بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

باب

قال أبو العباس : قال عليٌّ بن أبى طالب رضى ا لله عنه فى خطبة له : أيُّها النـاس ، اتقـوا ا لله الذى إن قُلتم سمع ، وإن أضمرتم علم ، وبادروا الموت الذى إن هربتُم أدرككُم ، وإن أقمتُم أخذكُم .(١)

* * *

وحدثنى التوزى فى إسنادٍ ذكره ، آخرهُ عبد الملك بنُ عميرٍ الليثىُّ ، قـال : بينـا نحنُ فى المسجد الجامع بالكوفة ، وأهلُ الكوفة يومئذ ذوو حال حسنةٍ، يخرج الرجل منهم فى العشرة والعشرين من مواليه إذ أتى آتٍ فقال:هذا الحجاج قد قدم أميرًا على العراق ! فإذا به قد دخل المسجد معتمًّا بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه ، متقلدًا سيفًا متنكّباً قوساً يؤم المنبر (٢)، فقام الناس نحوه حتى صعـد المنبر، فمكـث سـاعة لا يتكلـم ، فقـال النـاس بعضهم لبعض : قبح ا لله بنى أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق ! حتـى قـال عمـير بن ضابئ البرجُمِىُّ(٣): ألا أحصبه لكم ؟ فقالوا : أمهِـل حتـى ننظـر ، فلمَّـا رأى عيـون الناس إليه حسر اللِّثام عن فيه ونهض فقال: (٤)

---

(١) فى خطبة على رضى ا لله عنه فنون من البلاغة ، منها : النداء فى قوله :(أيها النـاس) لجـذب القلوب والأسماع ، الأمر فى قوله (اتقوا ا لله) للتخويف ، وكذا الصلة بعده والصلة التى بعـد المـوت للتعظيم والتخويف كذلك ، وأما قولـه :(إن قلتـم سمع ، وإن أضمـرتم علـم) وقولـه : (إن هربتـم أدرككم ، وإن أقمتم أخذكم) فهو من حسن التقسيم ، والتقسيم يطلق على أمرين : أحدهمـا : أن يذكـر أحـوال الشـيء مضافـا إلى كـل حـال مـا يليـق بهـا ، والثـانى: اسـتيفاء أقسـام الشـيء بالذكر.الإيضاح للقزوينى ص٥١٠ .

وماورد فى خطبة على رضى ا لله عنه تصح إضافته لكلا النوعين ، فإنه قد استوفى أقسام النـاس فـى علم ا لله تعالى بأحوالهم ثم أضاف لكل نوع ما يناسبه ، فهم إما أن يقولوا فهو سامع لكلامهم ، وإما أن يضمروا فهو عالم بضمائرهم وكذا أحوالهم بالنسبة للموت : إما أن يهربوا منه فهو مدركهم،وإمـا أن يقيموا فهو آخذهم.

(٢)يؤم المنبر :أى يقصده ويتوجه إليه

(٣) عمير بن ضابئ البرجمى : سيذكر المبرد طرفاً من أخباره قريباً بعد شرحه كلام الحجاج فى هذا الموضع .

(٤) البيت لسحيم بن وثيل الرياحى ،وقد نسبه أبو العباس فيما سيأتى ،وسبق البيت فانظر تخريجه وانظر خطبة الحجاج فى البيان والتبيين ٢/٣٠٧-٣١٠ ،وهى فى وفيات الأعيان ٢/٣٣-٣٤ منقولة عن الكامل .

أنـــا ابـــنُ جـــلا وطـــلاعُ الثّنايـــا   مَتَـى أضـعِ العمامـةَ تعرِفَونـــي

وقال يأهل الكوفة ، إني لأرى رءوسًا [1]قد أينعـتْ وحـان قطافُهـا . وإنـي لصاحبهـا ، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى ، ثم قال :

هـــذا أوانُ الشَّـــدِّ فاشـــتدِّي زيـــم   قـد لفَّهـا الليـلُ بِسَـوَّاق حُطَـمْ

ليـــس براعـــي إبـــلٍ ولاغنـــمْ   ولا بجزَّارٍ على ظهر وضـمْ [2] [3]

ثم قال :

قـــد لفَّهـــا الليـــلُ بِعَصْلَبِـــيٍّ   أروع خـــرَّاجٍ مـــن الـــدَّوِّيِّ

---

(١) قوله :" إني لأرى رءوسا قد أينعت وحان قطافها " فيه فنون من البلاغة :فهو خـبر الغـرض منه التهديد والوعيد ، وهو كناية عن استحقاق هؤلاء القتل فى اعتقاده ، وقوله :" أينعت " وحان قطافها " استعارة مكنية ، وهى صورة بليغة شبه فيهـا الرءوس بثمـار قـد نضجـت وأوشـكت أن تسـقط ، وذلك ليوحى عن طريق التخييل والصورة بقرب سقوطها وسهولته ، وهذا التخييل يمكـن المعنـى فـى النفوس فيزيدها خوفًا ورهبة .

(٢)انظر اللسان (حطم)و(شدد) ومن نسبت إليه ، وتفسير بعضها ، وفرحة الأديـب ١٤٥، والسـمط ٧٢٩، والأغـانى ١٥/٢٥٥، وديـوان الحماسـة بشـرح المرزوقـى ٣٥٤والتـبريزى ١/١٨٤ والحماسـة البصرية ١/١٠٣ ، وانظر أيضاً شرح أبيات سيبويه ٢/ ٢٨٦، وأسماء خيل العرب للغندجانى ١١٨، والحماسة الشجرية ١٤٤-١٤٠ والتنبيه والإيضاح ٢/٢٩ وبلا نسبة فى جمهرة اللغة ص ٨٣٠ ، وسر صناعة الإعراب ٢/٥٠٩، وشرح المفصل ٩/٣٢، واللسان (زيم) ، وتاج العروس (زيم) .

(٣)وهذا الرجز يقوله رشيد فى شريح بن ضبيعة القيسي وأمه هند بنت حسـان بـن عمـرو بـن مرثـد وكان على ما روى أبو عبيدة غزا اليمن فى جموع من ربيعة فغنم وسبى بعد حرب كانت بينـه وبـين كندة أسر فيها فرعان بن مهدى بن معد يكرب عم الأشعث بن قيس،وأخذ على طريق مفـازة فضـل بهم دليلهم ثم هرب وقد جهدوا من العطش فمات فرعان وخلـق كثـير منهـم وجعـل شـريح يسـوق بأصحابه سوقاً عنيفاً حتى نجوا ووردوا الماء،فقال فيه رشيد هذا الرجز. وقد رواه أبو عبيـدة وزاد فيـه قال :

هـــذا أوان الشـــدِّ فاشـــتدى زيـــم   لســـت براعـــى إبـــل ولا غنـــم

ولابجـــزار علـــى ظهـــر وضـــم   نـــام الحُـــداة وابـــنُ هنـــد لم ينـــم

بـــات يقاســـيها غـــلام كـــالزلم   خَـــدَلج الســـاقين خفـــاق القـــدم

قد لفها الليل بسواق حطم

فلقب شريح يومئذ بالحطم لقول رشيد هذا . وسيأتى شرح ذلك اهـ رغبة الآمل.

مُهاجِرِ ليس بأعرابىّ(١)

وقال:

قـد شَـمَّرتْ عـن سـاقِها فشَـدُّوا وجـدَّتُ الحـربُ بكـم فَجِـدُّوا

والقـوسُ فيهـا وتـر عُـرُدُّ مِثْلُ ذراعِ البَكْـرِ أو أشَـدُّ(٢)(٣)

إنى –وا لله يا أهل العراق _ما يُقَعْقَعُ لى بالشنان ، ولا يغمز جانبى كتغماز التين (٤)،ولقد فررت عن ذكاء ،وفتشت عن تجربة ، وإن أمير المؤمنين نثر كنانته (٥)بين يديه فعجم عيدانها فوجدنى أمرَّها عودًا ، وأصلبها مكسرًا(٦) ، فرماكم بى ، لأنكم طالما أوضعتم فى الفتنة ، واضطجعتم فى مراقد الضلال (٧).

وا لله لأحزمنكم حزم السلمة ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل ، فإنكم لكأهل قرية ﴿ كانَتْ آمنةً مطمئِنّةً يأتيهـا رِزْقُها رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بأنْعُمِ ا للهِ

---

(١)الأبيات بلا نسبة في البيان و التبيين٢/٣٠٨،واللسان(عصلب)،و(حشش)،و(دوا)و تاج العروس(عصلب) وفيه:(الدادي)مكان(الدوي)، و (حشش)، و جمهرة اللغةصـ١١٢٦، و المخصص٢/٩٢،و ديوان الأدب٢/٣٣،و كتاب الجيم٢/٣٢٢،و تهذيب اللغة٣/٣٣٥،٣٩٢،و البيان و التبيين٢/٣٠٨/و كتاب العين٢/٣٣٨، ومقاييس اللغة٤/٣٧٠،و يروى (قد حَسَّها) قال ابن منظور:"و الذي ورد في خطبة الحجاج: قد لفها..."أهـ .

(٢)البيتان الأخيران فى تاريخ الطبرى ٢/٢٠٩ ، والنقائض ٦٤٢ لحنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلى ، وانظر كذلك فى جمهرة اللغة ٦٣٣ وشرح شواهد الشافية صـ ٣٠٠ له أيضاً ، وبلا نسبة فى اللسان (عرد) ، والعقد الفريد (٤/١٢١) ، وتهذيب اللغة ٢/١٩٩، وتاج العروس ٨/٣٧٢ (عرد)

ويروى (مثل جران الفيل أو أشد) فى بعض ما سبق .

(٣)قوله :(والقوس فيها وترعرد ..إلخ) كناية عن شدة فتكه وإصابته ، فهى قوس ذات وتر شديد ، إذا أصاب به قتل لامحالة . وهذه الأبيات التى أوردها الحجاج كلها من باب إيراد المثل ، وهو فن من فنون البديع . انظر التبيان للطيبى بتحقيقي ، ط المكتبة التجارية بمكة المكرمة ٢/٢٩٠

(٤) التين : قد يكون هو التين المعروف ، أو جمع (تينة) وهى (الدبر) كما فى اللسان والقاموس مادة (تين) .

(٥)قوله(نثر كنانته)استعارة تصريحية،حيث شبه عُدته من الأمراء والجند بالكنانة،كما شبههم بالسهام

(٦)قوله :(وجدنى أمرها عودًا ، وأصلبها مكسرا) قوله :أمرها أفعل تفضيل من المرارة ، أو من المرة أى القوة . ومكسِرا :على وزن مفعِل مصدر ميمى ، منصوب على التمييز .

وهذا الكلام السابق كناية عن تناهى قوته وبأسه واستحقاقه للإمارة على من سواه .

(٧)قوله : اضطجعتم فى مراقد الضلال : كناية عن تمكنهم فى الغى وثباتهم فيه .

فَأذَاقَها ا للهُ لِبَاسَ الْجُوعِ والْخَوْفِ بِمَا كانُوا يَصْنَعُوْنَ﴾[1] ،وإنــى وا لله لا أقـول [2]إلا وفيت ،ولا أهم إلا أمضيت ،ولا أخلق إلا فريت .

وإن أمير المؤمنين أمرنى بإعطائكم أعطياتكم [3] ،وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلّب بن أبى صُفرة . وإنى أقسم بـا لله لا أجـد رجـلا تخلـف بعـد أخـذ عطائـه بثلاثـه أيـام إلا ضربت عنقه ! يا غلام ، اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين ، فقرأ :

"بسم ا لله الرحمن الرحيم، من عبد ا لله عبد الملك أمير المؤمنــين،إلى مـن بالكوفـة مـن المسلمين سلام عليكم فلم يقل أحد منهم شيئاً ، فقال الحجاج: اكْفُفْ يا غلام ، ثم أقبـل على الناس ، فقال : أسلم عليكم أمير المؤمنين ، فلم تردوا عليه شيئًا ؟ هذا أدب ابن نهيـة أما وا لله لأؤدبنكم غير هذا الأدب أو لتستقيمن ! اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنــين ، فلمـا بلغ إلى قولــه :" سـلام عليكـم " لم يبـق فـى المسـجد أحـد إلا قـال:وعلـى أمير المؤمنـين السلام[4]!

ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم،فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرعش كـبرًا،فقـال:أيهـا الأمير،إنى من الضّعفِ على ما ترى،ولى ابـن هـو أقـوى علـى الأسـفار منـى أفتقبلـه بـدلا منى؟فقال له الحجاج:نفعل أيها الشيخ.فلما ولى قال له قائل : أتدرى من هذا أيها الأمير؟ قال : لا ، قال : هذا عمير بن ضابئ البرجمىُّ الذى يقول أبوه :

هممتُ ولم أفعـلْ وكـدتُ وليتَنـى تركـتُ على عثمـانَ تبكِـى حلائِلُـه[5]

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولاً فوطئ بطنه فكسـر ضلعـين مـن أضلاعـه ، فقـال : ردوه ! فلما رد قال له الحجاج : أيُّها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمـان بـدلا يـوم الدار ! إن فى قتلك أيها الشيخ لصلاحًا للمسـلمين ، يـا حرسـى اضربـن عنقـه[6] فجعـل

---

(١) سورة النحل : ١١٢ .

(٢) فى نسخة : ما أقول .

(٣) أعطيات بفتح الهمزة جمع الجمع لعطية ،وجمعها : أعطية اللسان : (عطو) .

(٤) بعده فى زيادات بعض النسخ :" زعم أبو العباس أن ابن نهية رجل كان على الشرطة بـالبصرة قبل الحجاج ".

(٥)البيت مـن الطويـل لضـابئ البرجمى كمـافى القصـة ، وحماسـة البحـترى ص١١، وخزانـة الأدب ٣٢٣/٩، ٣٢٧ ، والشعر والشعراء ٣٥٨/١، واللسان (قير) ، ومعاهد التنصيص ١٨٧/١ . وسـتأتى بعد صفحات ترجمة لضابئ .

(٦) قوله يا حرسى ....يبدو أن هذا كان تهديداً لم يصل إلى حد التنفيذ والسياق بعده يدل عليه.

الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل ،ويأمر وليه أن يلحقه جهازه ، ففى ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدى: (١)

تجهَّز (٢) فإما أن تَزُورَ ابنَ ضابئٍ عُميرًا وإمَّا أن تزور المهلَّبا

هما خطَّتا خسفٍ نجاؤك منهما رُكُوبُك حوليا منَ الثَّلج أشْهبا

فأضْحى ولو كانت خُراسانُ دونَه رآها مكانَ السُّوق أو هى أقْرَبا

قوله " أنا ابن جلا" إنما يريد المنكشف الأمر ،ولم يصرف "جلا" لأنه أراد الفعل فحكى والفعل إذا كان فاعله مضمرًا أو مظهرًا لم يكن إلا حكاية كقولك : تأبط شرًّا ، وكما قال :

كذبْتُم وبيتِ اللهِ لا تأخذونَها بنى شابَ قرناها تصُرُّ وتحلُبُ(٣)

وتقول : قرأتُ ﴿ اقتربَتِ السَّاعةُ وانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (٤) لأنك حكيت ، وكذلك الابتداء والخبر تقول : قرأتُ ﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ (٥).

وقال الشاعر : والله ما زيد بنام صاحبه (٦)

---

(١) لعبد الله بن الزبير الأسدى ، بفتح الزاى له ترجمة فى تبصير المنتبه :ص٦٤٠ شعره : ق٤/٢،٤،٦ ص٥٤-٥٥، وسيأتى الشعر مع أبيات أخر

وهى من الطويل ، والثالث له فى الأغانى ١٤/ ٢٣١، وخزانة الأدب ٧/٥٠، ٥٢، ٥٣ وبعد "الأسدى " فى بعض النسخ :" الأسدى أسد خزيمة وليس من أسد قريش ".

(٢) قال المرصفى فى رغبة الآمل ٧٨/٤:" الرواية تخير ".

(٣) البيت من الطويل ، قال فى اللسان :" قرنان أى ضفيرتان ، وقال الأسدى :...." فأنشده (لا تنكحونها) وضبط آخره : تُصَرُّ وتُحلب ، بالبناء للمجهول (قرن) وبلا نسبة فى أمالى المرتضى ٢٧٣/٢، والخصائص ٣٦٧/٢ عجزه وشرح التصريح ١١٧/١ ، وشرح المفصل ٢٨/١ ، والكتاب ٢٠٧/٣، ٣٢٦، واللسان أيضاً (نوم) ،وما ينصرف ومالاينصرف ص ٢٠، ١٢٣،والمقتضب ٩/٤؛ ٢٢٦، والكتاب أيضاً ٢٥٩/١، ٢/٧،٦٥

(٤) سورة القمر : ١ .

(٥) سورة الفاتحة : ٢ .

(٦) واللّه ما زيدٌ بنامَ صاحبُهْ .

ويروى : والله ما لَيْلي بنام صاحبه ، وهذا بيت من الرجز ، للقناني في شرح أبيات سيبويه ٤١٦/٢،وبلا نسبة في أسرار العربيةص٩٩،١٠٠، والإنصاف١١٢/١ ، وخزانة الأدب ٣٨٨/٩ ، ٣٨٩ ، والخصائص ٣٦٦/٢ ، والدرر ٧٦/١، ٢٤/٦ ، وشرح الأشموني ٣٧١/٢ ، وشرح عمدة الحافظ ص٥٤٩ ، وشرح المفصل ٦٢/٣ ، وشرح قطر الندى ص٢٩ ، واللسان (نوم) ، والمقاصد

وقوله :" أنا ابن جلا" [1] لسحيم بن وثيل الرياحى ،وإنما قاله الحجاج متمثلاً .

وقوله :" وطلاع الثنايا " الثنايا : جمع ثنية ، والثنية : الطريق فى الجبل ، والطريق فى الرمل يقال له : الخل ، وإنما أراد أنه جلد يطلع الثنايا فى ارتفاعها وصعوبتها ، كما قال دريد بن الصمة يعنى أخاه عبد الله :

كميشُ الإزار خارج نصف ساقه بعيد من السوءاتِ طلاع أنْجُدِ[2]

والنجد : ما ارتفع من الأرض ،وقد مضى تفسير هذا.

النحوية ٣/٤ ، وهمع الهوامع ٦/١ ، ١٢٠/٢ .

ويروى في بعض ما سبق : تاللّه ...

ولجرير شعر يهجو زهرة القناني منه :

سأسألُ إن لقيتُ بني زيادٍ : متى ضَلّت حُلُومُ بني مَنانِ

ديوانه ص ٤٦٥ صادر .

(١) قال في اللسان : "وجلا : اسم رجل ، سُمّي بالفعل الماضي .

قال ابن سيده : وابن جلا الليثي ، سُمّي بذلك لوضوح أمره ، وذكر البيت ... ثم قال : "وكان ابن جلا هذا صاحب فتك يطلع في الغارات من ثَنِيَّة الجبل على أهلها ، وقوله : متى أضع العمامة تعرفوني . قال ثعلب : العمامة تلبس في الحرب وتوضع في السلم .

قال عيسى بن عمر : إذا سُمّي الرجل بقتل وضرب ونحوهما فإنه لا يُصرف ، واستدل بهذا البيت ، وقال غيره : يحتمل هذا البيت وجهًا آخر ، وهو أنه لم ينونه، لأنه أراد الحكاية ، كأنه قال: أنا ابن الذي يُقال له جلا الأمور وكشفها فلذلك لم يَصرفه .

قال ابن برِّي : وقوله : لم ينونه، لأنّه فعل وفاعل ، وقد استشهد الحجاج بقوله :

(أنا ابن جلا وطلاع الثنايا)

أي أنا الظاهر الذي لا يخفى وكل أحد يعرفني . ويقال للسيد : ابن جلا . وقال سيبويه : جَلا فعل ماض ، كأنه بمعنى جلا الأمور أي أوضحها وكشفها ؛ قال ابن بَرِّي : ومثله قول الآخر :

أنا القُلاخ بن جُنابِ بن جلا أبو خناثيرَ أقود الجملا

وابن أجلى كابن جلا ، واستشهد ببيت للعجاج . اللسان : (جلا) .

قلت : فحاصل ما ذكر في سبب منعه من الصرف أنه ممنوع إما للعلمية ووزن الفعل ، أو لإرادة الحكاية .

(٢) ويُروى عجزه : (صبور على العزاء ...) ، ويُروى (... على الجلاء ...) ديوان دريد بن الصمة ص٦٦ ، اللسان (سوق) ، والمخصص ٦٧/١٣ ، ٣٧/١٦، وتهذيب اللغة ٢٣٤/٩ ، ١٠ / ٤٨٨، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٨١٨ ، والأصمعيات ق١٣/٢٨ ص١١٠٨ ، والاختيارين ق٢٧/٦٥ ص ٤١٢ وأمالى اليزيدى ٣٨ ، وبلا نسبة فى اللسان (جلل)

وقوله :" إني لأرى رءوساً قد أينعت " ، يريد أدركت ، يقال أينعت الثمرة إيناعاً وينعت ينعا وينعا، ويقرأ﴿انْظُروا إلى ثَمَرِهِ إذا أثْمَرَ و يَنْعِهِ﴾[1]و﴿يُنْعِهِ﴾كلاهما جائز.[2]
قال أبو عبيدة : هذا الشعر يختلف فيه فبعضهم ينسبه إلى الأحوص وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية وهو : [قال أبو الحسن : الصحيح أنه ليزيد] [3]:

ولها بالماطرون[4] إذا	أكل النمل الذى جمعا
خرفة حتى إذا ارتبعت[5]	سكنت من جلّق[6] بيعا
في قباب حول دسكرة[7]	حولها الزيتون قد ينعا

[قال أبو الحسن: أول هذه الأبيات :

طال هذا الهم فاكتنعا[8]	وأمرَّ النوم فامتنعا[9]

وبعد هذا ما أنشده أبو العباس] .

---

(١) سورة الأنعام :٩٩
(٢) وينعه بالفتح قراءة الجمهور ، ونسبت القراءة بالضم إلى قتادة والضحاك وابن محيصن وابن أبى إسحاق ، انظر البحر ١٩١/٤ ، وتفسير القرطبى ٧/ ٥٠ .
(٣)فى بعض النسخ " ليزيد يصف جارية " .
(٤) كذا فى بعض النسخ وهى الرواية فى المصادر . وفى سائر النسخ :" الماطرين " ، و "الماطرون"موضع، ذكره في اللسان(مطر)، ومستشهد بالبيت.
(٥) كذا فى بعض النسخ وفى سائر النسخ :" ربعت " وكلاهما رواية . والخرفة : ما يجتنى من الفواكه .
(٦) جلق : الشام
(٧) الدسكرة : بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم ، يكون فيها الشراب والملاهى ، اللسان :(دسكر) وذكر البيت ونسبه للأخطل ، وفيه (عند دسكرة) بدل (حول).
(٨) فى اللسان " اكتنع الشيء : حضر ، والمكتنع : الحاضر .واكتنع الليل إذا حضر و دنا ؛ قال يزيد بن معاوية :

آب هذا الليل واكتنعا ... وأمر النومُ وامتنعا

كذا ذكره فى اللسان (كنع) بهذا اللفظ منسوبا إلى يزيد بن معاوية ، بينما نسب البيت السابق للأخطل ،والذى صححه أبو الحسن أنها ليزيد
(٩) الأبيات من المديد ، اختلفوا فى نسبتها ؛ لأبى دهبل الجمحى فى ديوانه ق٣٩/٥،٦،٤ص٨٤-٨٥وانظر التعليق ص ١٣٠ ، ١٣١ ، والحيوان ١٠/٤، و المستقصى ٥١/١، وللأحوص الأنصارى فى ديوانه ص٢٢١، وليزيد بن معاوية فى ديوانه ص ٢٢، وشرح التصريح ٧٦/١، والمقاصد النحوية ٤٨/١، وليزيد أو للأحوص فى خزانة الأدب ٣٠٩/٧-٣١٢، وللأخطل فى اللسان (مطر) ، والممتع فى التصريف ١٥٨/١. وانظر اللسان (ينع) و تاج العروس (ينع) وتهذيب اللغة ٢٢١/٣، والتاج أيضاً (دسكر) واللسان (دسكر) .

قال أبو العباس : وقوله : هذا أوانُ الشد فاشتدّى زيم

يعنى فرسًا أو ناقة ، والشعر للحُطم القيسيّ.

وقوله : قد لفّها الليلُ بسوّاق حطم

فهو الذى لا يبقى من السير شيئًا ، ويقال:رجل حطم للذى يأتى على الزاد لشدة أكله، ويقال للنار التى لا تُبقى : حطمة .

وقوله :" على ظهر وضم " فالوضم : كل ما قطع عليه اللحم ، قال الشاعر :

وفتيان صدق حسان الوجو ه لا يجدون لشيء ألم

من المغيرة[1] لا يشهدو ن عند المجازر لحم الوَضَمْ[2]

وقوله : قد لفها الليل بعصلبيّ

أى شديد .وأروع : أى ذكى . وقوله :" خرّاج من الدوى " يقول : خراج من كل غماء شديدة يقال للصحراء : دوية وهى التى لا تكاد تنقضى ، وهى منسوبة إلى الدوّ: والدوّ : صحراء ملساء لاعلم بها ولا أمارة ، قال الحطيئةّ :

وأنّى اهتدت والدو بينى وبينها وماخلتّ سارى الدَّوِّ باللَّيْلِ يهتدى[3]

والداويَّة : المتسعة التى تسمع لها دويا بالليل ، وإنما ذلك الدويٌّ من أخفاف الإبل تنفسح أصواتها فيها ، وتقول جهلة الأعراب : إنَّ ذلك عزيف الجنٌّ .

وقوله : والقوسُ فيها وتر عرد

فهو الشديد ويقال : عرند فى هذا المعنى .

وقوله :"إنى وا لله ما يقعقع لى بالشنان "واحدها شن ، وهو الجلد اليابس ؛ فإذا قعقع به نفرت الإبل منه ، فضرب ذلك مثلاً لنفسه [4]، وقال النابغة الذبيانى:

---

(١) (من آل المغيرة) يريد جده المغيرة بن عبد ا لله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لوى)

(٢) منسوبان إلى عمر بن أبى ربيعة ، انظر ديوانه القسم الثالث ص ٤٩٩-محى الدين عبد الحميد وأنشدهما فى اللسان " للآخر " (وضم) ، قال ابن السيد : هذا الشعر لعمر بن أبى ربيعة ، وهذه القصيدة يتغزل فيها بأم الحكم ، وهى امرأة من بنى أمية قدمت مكة قبل أوان الحج معتمرة ، فمر بها عمر ، وهى تطوف على بغلة، فتحدثت معه ، ولم يزل يتردد إليها حتى انقضت أيام الحج وأولها :

تأوب ليلى بنصب وهم وعاود ذكراً لأم الحكم

وقد يروى البيتان لابن الزبعرى .(انظر الملحق من التعليقات المختارة من كتاب القرط على الكامل)ط. الرسالة .

(٣) ديوان الحطيئة ص ١٤٨.

(٤) هذا المثل كناية عن أنه لايخدع ولايروع ، قال فى اللسان :" وفى المثل : فلان لايقعقع له بالشنان " أى لايخدع ولايروع ، وأصله من تحريك الجلد اليابس للبعير ليفزع. اللسان (قعقع) .

كـأنّك مــن جمــال بــن أقيــش[1]　　يقعقــع خلــف[2] رجليــه بشــنٍّ[3]

وقوله :"ولقد فررت عن ذكاء [4]" يعنى تمام السن . و"الذكاء " على ضربين : أحدهما تمام النسن ، والآخر حدة القلب ، فمما جاء فى تمام السن قول قيس بن زهير :" جرى المذكيات غلاب "[5] وقال زهير :

يفضّلــه إذا اجتهـــدا[6] عليــه　　تمـــام الســـنّ منـــه والذّكـــاءُ[7]

وقوله :" فعجم عيدانها " ، يقول :مضغها لينظر أيها أصلَبُ ، يقال : عجمت العود:إذا مضغته ، وكذلك كل شيء ، قال النابغة :

---

(١) (أقيش) بن عبيد بن كعب بن عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبد مناة بن أد بن طابخة. وعكل هو عوف بن عبد مناة حضنته أمة تدعى عكل فلقب به .اهـ . من رغبة الآمل .

(٢) فى بعض النسخ :(بين) .

(٣) ديوان النابغة الذبيانى ص١٣٧-دار الكتب العلمية ، خزانة الأدب ٦٧/٥، ٦٩ شرح أبيات سيبويه ٥٨/٢، شرح المفصل ٥٩/٣، والكتاب ٣٤٥/٢، واللسان (وقش)، و(قع) و(شنن) ؛ والمقاصد النحوية ٦٧/٤ وبلانسبة فى سر صناعة الإعراب ٢٨٤/١، وشرح الأشمونى ٤٠١/٢ وشرح المفصل ٦١/١واللسان (حذر) ، (أقش) ، (دنا) ،والمقتضب ١٣٨/٢ .

(٤) يقال : فر الدابة يفرها ، بالضم ، فرا : كشف عن أسنانها لينظر ماسنّها .

اللسان : فرّ، وذكر قول الحجاج فى : (فرّ) ، و(ذكا) وأما قول المبرد فى الذكاء تمام السن قال . وهذا كناية عن كونه ليس بالغرّ

قال فى اللسان : وتأويل تمام ا لسن : النهاية فى الشباب ، فإذا نقص عن ذلك أوزاد فلا يقال له الذكاء ". اللسان (ذكاء)

(٥)هذا المثل لقيس بن زهير العبسى لحذيفة بن بدر _ وقيل لحمل بن بدر -قاله عند الرهان الذى كان بينهما فى داحس والغبراء . انظر أمثال أبى عبيد ٩١ ،١٠٧ ، وجمهرة الأمثال ٢٩٩/١، ومجمع الأمثال ١٥٨/١.

وانظر خبر داحس والغبراء فى النقائض ٨٣-١٠٨ ، والفاخر ٢١٩ -٢٣٥ والأغانى ١٨٧/١٧ -٢٠٨ ، وسمط اللآلى ٥٨١-٥٨٣ واستقصاء تخريجه فيه . وذكره فى اللسان فقال " وفى المثل : (جرى المذكيات غلاب) ، أى جرى المسان الفرح من الخيل أن تغالب الجرى " اللسان :(ذكا) .

(٦) (إذا احتهدا) يريد اجتهد الحمار والأتان فى العَدو. وضمير " عليه " عائد على الوعث . والأجود حمل (الذكاء) على حدة الفؤاد ؛ لتكون له فائدة غير تمام السن . ا.هـ من رغبة الآمل ٨٩/٤ .

(٧) ديوان زهير ص٦٢ وديوانه صنعة الأعلم ص ١٣٢ برواية الأصمعى : إذا احتهدت والبيت من الوافر ، وفى اللسان أن الذكاء هنا هو تمام السن ، وأنشد البيت بلفظ (إذا احتهدوا) وقال الأستاذ عبد الله على الكبير :" صوابه احتهدا والبيت فى وصف حمار وأتانه ، ومعناه : يفضّل هذا الحمار على أتانه(إذا احتهدا سنّه " وذكاؤه . والضمير فى " عليه يعود إلى الوعث فى بيت قبله ."اهـ .

فظلَّ يعجُمُ أعلى الروق منقبضًا   فى حالك اللون صــدق غـير ذى أود[١]

والمصدر العجمُ ، يقال : عجمتهُ عجما ، ويقال لنوى كل شئ : عجَـم ، مفتـوح ، ومـن أسكن فقد أخطأ ، كما قال الأعشى :

....   وجذعانهـــا كلقيـــط العجـــم[٢]

وقوله :" طالما أوضعتم فى الفتنة " ، الإيضاع : ضرب من السَّير .[٣]

وقوله: فاضحى ولو كانت خراسان دونه

يعنى دون السفر [٤]. رآها مكان السوق للخوف والطاعة .

* * *

وكان من قصة عمير بن ضابئ أن أباه ضابئ بن الحارث البرجمى وجب عليـه حبس عنـد عثمان رحمه الله وأدب ، وذلك أنه كان استعار من قوم كلبا فأعــاروه إيـاه ، ثـم طلبـوه

قال فى اللسان ":وأصل الذكاء فى اللغة كلها إتمام الشئ فمن ذلك الذكـاء فى الســن والفهـم ، وهـو تمـام الســن.قـال وقال الخليل : الذكاء فى السن أن يأتى على قروحه سـنة ، وذلـك استتمام القـوة ، ثـم ذكـر بيت زهـير : يفضله إذا إجتهدا عليه ...تمام اللسان (ذكا)

(١) البيت من البسيط ، وهو للنابغة الذبيانى فى ديوانه ص-١٢ ط الكتب العلمية ، ولسان العرب (صدق)، (عجم) ، ويعجم : أى يعضغ، والروق: القرن ،منقبضًا : متألما. والصدق : ما استوى من الرماح ، لأود : الاعوجاج

(٢) وصدره ، غزاتك بالخيل أرض العدو. والبيت من المتقارب ، وهـو للأعشـى فـى ديوانـه ص ٨٧، وبـلا نسـبة فـى جمهرة اللغة ص ٤٨٤، ٩٣٢. وفى الديوان مقادك بالخيل ..) وفيه " كلفيظ العجم" وهو كذا فى بعض أصول الكتاب وفى بعضها (لفيظ) بدل (لقيط) .

قال المرصفى (غزاتك) عن ثعلب الغزاة عمل سنة والغزوة الواحدة من الغزو (وحذعانها) جمع حذع " محركا" وهـو من الخيل مأتم له سنتان ودخل فى الثالثة

(٣)الوضع : أهون سير الدواب والإبل ، وقيل هو ضرب من سير الإبل دون الشد ، وقيل : هو ضرب من سـير الإبـل دون الشد ، وقيل هو فوق الخبب ،... ، قال الأزهرى : ويقال : وضع الرحل إذا عدا يضع وضعًا ؛ وأنشد لدريـد بـن الصمة فى يوم هوازن :   ياليتَنى فيها جذع

أخب فيها وأضع

أقود وطفاء الزمع

كأنها شاة صدع

أخب من الخبب، وأضع :أعدو من الوضع .(اللسان: وضع) وفى حديث حذيفة بن أسيد:" شـر النـاس فـى الفتنـة الراكب الموضع" أى المسرع فيها (النهاية : وضع)

(٤) سبقت الأبيات وأولها :

تجهز فإما أن تزور ابن ضابئ   عُميرًا وإما أن تزور المهلبا

وقد ورد فى زيادات بعض النسخ (أن الهاء فى قوله (دونه) عائدة على المهلب المذكور فى البيت الأول ، وهذا قد جوده المرصفى فى رغبة الآمل ٩٠/٤، وهو خلاف رأى المبرد .

منه ،وكان فحاشاً ، فرمى أمَّهم به ، فقال في بعض كلامه:

فـأمكم لاتتركوهـا وكلبَكُـم ... فإنَّ عقوقَ الوالـداتِ كبيـرُ[1]

فاضطغن على عثمان ما فعل به ، فلما دعى به ليؤدَّب شـد سكينا فـى ساقه ليقتـل بهـا عثمان فعثر عليه فأحسن أدبه [2]، ففي ذلك يقول :

وقائلة إن مـات فـى السـجن ضـابئ ... لنعـم الفتـى تخلـو بـه وتواصلـه

وقائلـة لا يبعـدن ذلـك الفتـى ... ولا تبعـدن أخلاقـه وشمائلـه

وقائلـة لا يبعـد ا لله ضابئـاً ... إذا الكبش[3]لم يوجـد لـه من يُنازلـه

وقائلـه لا يبعـد ا لله ضابئـاً ... إذا الخصم لم يوجد لـه مـن يُقاولـه

فـلا تُتبعينـى إن هلكـت ملامـةً ... فليـس بعـار قتـل مـن لا أقاتلُـه

هممـت ولم أفعـل وكـدت وليتنـى ... تركـت على عثمـان تبكـى حلائلـه

ومـا الفتـك مـا آمـرت فيـه ولا الـذى ... تخبِّر مـن لاقيـت أنـك فاعلـه[4]

قال أبو العباس:وشبيه بقوله ما حدثنا به عن أبى شجرة السلميٍّ ، وكان من فتاك العـرب فأتى عمر بن الخطاب رحمه ا لله يستحمله[5] فقال له عمر :ومن أنت ؟قال:أبو شـجرة[6]

---

(١)البيت من كلمة له فى النقائض ٢١٩ -٢٢٠، والشعر والشعراء ٣٥٠،وطبقـات فحـول الشعراء ١٧٣ ، وأنساب الأشراف ٤/ ١/ ٦٧ ، والخزانة ٤/ ٨١ ، والخبر فيها

قال المرصفى فى رغبة الآمل ٤/ ٩٠ .

تجشم نحوى وفد قرحان سربخًا ... تظل به الوجناء وهى حسير

فأردفتـهم كلبا فراحـوا كأنما ... حباهم بتاج الهرمزان أمير

وقلدتهم ما لو رميـت متـالعاً ... به وهو مغبر لكاد يطير

فيا راكبًـا إمـا عـرضت فبلغا ... أمامة منى والأمور تدور

فأمكم البيت : وهو (قرحان) " بالضم " اسم الكلب (والسربخ) المفازة الواسـعة البعيـدة الأجـزاء (ومتالع) " بضم الميم " جبل بنجد

(٢)فأحسن أدبه : ضربه ورده إلى السجن حتى مات فيه .رغبة الآمل ٤/ ٩١

(٣)كبش القوم: رئيسهم وسيدهم. اللسان (كبش) .

(٤)آمرت فيه:شاورت فيه والمعنى أن الفتك هو ما يقع بغتة وليس عـن مشـاورة وأخبارالأبيـات فـى النقائض ٢٢١، وطبقات الشعراء ١٧٤ -١٧٥ ، والخزانـة ٤/ ٨٠ ، وبعضهـا فـى أنسـاب الأشـراف ٤/ ١/ ٥٧٦ ، والبيت الثالث فى تهذيب اللغة ١٣/ ٨٥ ، ولسان العرب (أسن) بلفظ

وقائلة لايبعد ا لله ضابئًا ... ولا تبعدن آسانه وشمائله

(٥)أى يطلب منه ما يتجهز به للغزو من دابة تحمله وسلاح ونحوه ، والألف والسين والتاء للطلب

السلمى ، فقال له عمر : أى عُدَي[1] نفسه ، ألست القائل حيث ارتددت :

ورويّت رمحى من كتيبة خالد … وإنى لأرجُو بعدها أن أعمَّرا[2]

وعارضتُها شهباء تخطر بالقنا … ترى البيض فى حافاتها والسنورا[3]

ثم انحنى عليه عمر بالدرة فسعى إلى ناقته فحل عقالها وأقبلها حرة بنى سليم بأحثّ السير هربا من الدرة ، وهو يقول [4]

قد ضنّ عنها أبُو حفص بنائِلِهِ … وكل مختبطٍ يومًا له ورقُ

مازال يضربُنى حتى خذيت له … وحالَ من دون بعض الرغبة الشفقُ

ثم التفت إليها وهى حانية … مثل الرِّتاج إذا ما لزّه الغلق

أقبلتها الخلَّ من شوران مجتهدًا … إنى لأزرى عليها وهى تنطلق[5]

---

(٦)فى زيادات بعض النسخ :" أبو شجرة هو عمرو بن عبد العزى وأمه الخنساء . وقال الطبرى: اسمه سليم بن عبد العزى ".

والطبرى لم يسمه فى تاريخه ٣/ ٢٦٦-٢٦٧ بل قال: أبو شجرة بن عبد العزى ، و لم يسمه ابن الأثير فى الكامل فى التاريخ ٢/٣٥١-٣٥٢ . وترجم له صاحب الإصابة ٧٤/٢ برقم ٣٤٤١ وسماه سليم بن عبد العزيز ؟. وفى كنى الشعراء لابن حبيب (نوادر ا لمخطوطات ٢/ ٢٨٤) اسمه عمرو ابن عبد العزى . أفاده محقق (س) .

(١)عُدىّ : تصغير عدو ، والتصغيرهنا للتحقير .

(٢)فى زيادات بعض النسخ " ويروى أن أعمِّر بكسر الميم ، ومعناه أن أفعل ذلك بكتيبة عمر " . ولعل هذه الرواية أرجح ، لأنها أنسب لسياق القصة وهو ما رجحه أبو الحسن_ رحمه ا لله _ ففى زيادات بعض النسخ :

قال أبو الحسن : هكذا روى أبو العباس " أن أعمرا"، والذى عندى " أن أعمِّرا " عنى به عمر بن الخطاب رضى ا لله عنه" .

(٣)البيتان من كلمة له فى تاريخ الطبرى ٢٦٧/٢ مع اختلاف فى الألفاظ والترتيب والكامل فى التاريخ ٣٥١/٢ .

(٤)الأبيات من كلمة له فى تاريخ الطبرى ٢/ ٢٦٧ والبيت الأخير من البسيط ، وهو بلا نسبة فى لسان العرب (خلل) ، وكتاب العين (١٦٩/٥) ، وأساس البلاغة (قبل) ، (روى) ، والمخصص ١٤٢/١٠. ولفظه :" من شوران مصعدة" .

(٥)قوله : بنائله : أى بعطائه وفضله ، وقوله :(وحال من دون بعض الرغبة الشفق) أى تحول حاله من الرغبة فى عطاء عمر وفضله إلى الإشفاق على نفسه ، والخوف من عقابه.

وقوله :(مثل الرتاج إذا ما لزه الغلق) الرتج ، بفتحتين : الباب العظيم ، وكذا (الرتاج) بالكسر ومنه (رتاج الكعبة) ، وقيل : الرتاج : الباب المغلق ، وعليه باب صغير . مختار الصحاح (رتج) ،

ويروى أنّه كان يرمى المسلمين يوم الردة فلا يغنى شيئًا ، فجعل يقول :

هــا إن رميـــى عنهـــم لمعبـــولْ فـلا صريـح اليـوم إلا المصقـولْ[1]

قوله :

وكل مختبط يومًا له ورق

أصل هذا فى الشـجرة أن يختبطهـا الراعـى ، وهـو أن يضربهـا حتـى يسـقط ورقهـا ، فضرب ذلك مثلاً لمن يطلب فضله وقال زهير : [2]:

وليس مانع ذى قربـى ولا رحـم[3] يومًا ولا معدما من خابط ورقا

(٤)

وقوله :" حتى خذيت له " يقول : خضعت له ، وأكثر ما تستعمل العامة هذه اللفظة بالزيادة ، تقول : استخذيت له ، وزعم الأصمعى أنه شك فيها ، وأنه أحـب أن يستثبت أهى مهموزة أم غير مهموزة ؟، قال : فقلت لأعرابى : أتقول : استخذيت أم

ولزه : شده وألصقه ، والغلق بفتحتين : (المغلاق) وهو ما يغلق به الباب .

والخل : موضع بين مكة والمدينة (معجـم البلـدان ٢/ ٣٨٥) وشـوران : بفتـح الشـين : جبـل كبـير مرتفع يحيط بالمدينة ، فى ديار بنى سليم (معجم البلدان ٣/ ٣٧١)

وقوله :(إنى لأزرى عليها وهى تنطلق) فيه مقابلة بديعة تصور الحالة النفسية لأبى شجرة السـلمى ، فهو يقر بأن ناقته منطلقة مجتهدة فى السير،ولكنه لفرط خوفه وجزعه من درة عمر (رضى الله عنـه) فهو يزرى عليها سيرها كما لو كانت مقصرة معيبة.

(١) الرجز بلا نسبة فى تهذيب اللغة ٢/ ٤٠٨ ، وتاج العروس (عبل) ولسان العرب (عبل) .

(٢) البيت من البسيط ،وهو لزهير بن أبى سـلمى فـى ديوانـه ص ٥٣ ، ولسـان العـرب (خبـط) ، وتهذيب اللغة ٢/٢٥١، ٧/٢٥٠، وجمهرة اللغة ص٢٩١، وأساس البلاغـة (خبـط) ، وتـاج العـروس (خبط) ، وبلا نسبة فى لسان العرب (عدم) ، وتاج العـروس (عـدم). ورد عجـز البيـت فـى اللسـان (خبط) بلفظ يوماً ولاخابطاً من ماله ورقا "

(٣)فى بعض النسخ : " ذى قربى وذى نسب " وكلاهما رواية .

(٤)بعده فى زيادات بعض النسخ :" قوله : ولا معدم ، بالخفض ، عطفه على توهم الباء فى مـانع ، ومثله ما أنشده :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا يبين غرابها

على توهم الباء فى مصلحين ، ومن فى خابط زائدة ".

استخذأت ، قال : لا أقولهما ، قلت : ولم ؟ قال:لأن العرب لا تستخذى[١] ،وهذا غير مهموز واشتقاقه من قولهم: أذن خذواء وينمة خذواءُ : أى مسترخية [٢] قال الأصمعى : وقلت لأعرابى : أتهمز الفارة ؟ قال : تهمزها الهرَّة ، وقوله :" إنى لأزرى عليها" ، يقول أستحثها ، يقال : زرى عليه :أى عاب عليه ، وأزرى به أى قصر به [٣]فيقول : إنها لمجتهدة ،وإنى لأزرى عليها:أى أعيب عليها لطلبى النجاء والسرعة ، وقال الأخطل:[٤]

فظل يفدِّيها وظلَّتْ كأنّها عُقابٌ دعاها جنح ليل إلى وكرها

وقوله : **إنَّ رميى عنهم لمعبول[٥]**

يقول:مخبول* مردود .والصريح : المحض الخالص[٦] ،يقال ذلك للبن إذا لم يَشُبْه ماء ، ويقال : عربى صريح ومولى صريح :أى خالص .

* * *

قال : وحدثنى محمَّد بن إبراهيم الهاشمىُّ فى إسناد ذكره قال : بلغ عمر بن الخطاب _ رحمه الله -أن أقواما يفضلونه على أبى بكر الصديق - رحمه الله - فوثب مغضبًا حتى صعد المنبر فحمد الله ، وصلّى على نبيه ﷺ ، ثم قال : أيها الناس إنى سأخبركم عنى وعن أبى بكر : إنه لمَّا توفى رسول الله ﷺ ارتدت العرب ، ومنعت شاتها وبعيرها فأجمع رأينا كلّنا أصحاب محمد ﷺ أن [٧]قلنا له : يا خليفة رسول الله ، إن رسول الله ﷺ كان يقاتل العرب بالوحى والملائكة يمده الله بهم ، وقد انقطع ذلك اليوم ،

---

(١) وهذه الإجابة تدل على فطنة الأعرابى وذكائه حيث أراد أن ينبه الأصمعى -وهو عربى- أن هذا اللفظ لا ينسب للعرب على سبيل الإيجاب وإنما ينسب لهم فى سياق السلب والنفى -وإن ضمن هذا أن اللفظ غير مهموز.

(٢) فى بعض النسخ :" والينمة بقلة من أحرار البقل وذكوره " وفى زيادات بعض النسخ : "قال أبو الحسن : الينمة نبت مسترخٍ على وجه الأرض تأكله الإبل فتكثر عنه ألبانها" .

(٣) فى زيادات بعض النسخ :" قال أبو الحسن : زريتُ عليه زرياً وزراية : إذا عبت عليه أزرى . وأزريت به أزرى إزراءً : إذا قصرت به ".

(٤) ديوانه ج١/١٨٥ .

(٥) فسر المؤلف المعبول بقوله : يقول مخبول مودود .

* قال المرصفى : المخبول : ممنوع ، من خبله عن كذا يخبله خبلا أى حبسه ومنعه وليت أبا العباس اكتفى بقوله مردود ففى اللغة : عبلته إذا رددته اهـ . من رغبة الآمل ٤/ ٩٥ .

(٦)زاد فى بعض النسخ" والصريخ : المغيث ".

(٧)بهامش بعض النسخ : أن مفعولة على تقدير: على أن ".

فالزم بيتك ومسجدك ؛ فإنه لا طاقة لك بقتال العرب ، فقال أبو بكر : أو كلُّكم رأيه على هذا ؟ فقلنا : نعم ؛ فقال : وا لله لأن أخر من السماء فتخطفنى الطير أحبُّ إلى من أن يكون هذا رأيى ، ثم صعد المنبر فحمد ا لله وكبَّره وصلَّى على نبيهﷺ ، ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد ا لله فإن ا لله حى لا يموت ، أيها الناس أإن كثر أعداؤكم ، وقل عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب [1]؟ وا لله ليظهرن ا لله هذا الدين على الأديان كلِّها ولو كره المشركون ، قوله الحق،ووعده الصدق،﴿**بل نقذف بالحقِّ على الباطلِ فيدمغه فإذا هو زاهق**﴾[2] ، و﴿**كم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً بإذن ا للهِ وا للهُ مع الصَّابرين**﴾[3]، وا لله أيها الناس لو أفردت من جميعكم لجاهدتهم فى ا لله حق جهاده حتى أبلى بنفسى عذرًا أو أقتل قتلا . وا لله أيها الناس،لو منعونى عقالاً لجاهدتهم عليه،واستعنت عليهم ا لله وهو خير معين[4].

قال : ثم نزل فجاهد فى ا لله حقَّ جهاده حتى أذعنت العرب بالحقِّ .

قوله :" كم من فئة " فهى الجماعة ،وهى مهموزة ، وتخفيف الهمز فى هذا الموضع أن تقلب الهمزة ياءً ، وإن كانت قبلها ضمة وهى مفتوحة قلبتها واوًا نحو : جؤن ، تقول : جون [5].

وقوله :"لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه "على خلاف ما تتأوله العامة ، ولقول العامةِ وجه قد يجوز ، فأما الصحيح فإن المصدِّق إذا أخذ من الصدقة ما فيها و لم يأخذ ثمنها قيل : أخذ عقالا ، وإذا أخذ الثمن قيل : أخذ نقدًا ، قال الشاعر :

---

(١)اعتمد الصديق (رضى ا لله عنه) فى خطبتة على فن المقابلة بدرجة كبيرة ، حيث قابل بين افتراض عبادة الناس لمحمد صلى ا لله عليه وسلم وبين موته فالألوهية تنافى الموت ، ثم قابل بين عبادة الفانى وعبادة الباقى سبحانه ، ثم قابل بين كثرة أعدائهم وقلة أعدادهم فى أسلوب الاستفهام الاستنكارى ، فهو يستنكر أن يكون ذلك سببًا داعيًا إلى ترك قتال المرتدين ويؤيد استنكاره ذلك بما ورد فى كتاب ا لله تعالى من أن الغلبة للحق وأهله مهما قلت فئتهم وأعدادهم .

(٢)سورة الأنبياء :١٨

(٣) سورة البقرة :٢٤٩

(٤) قصة قتال أبى بكر لأهل الردة ومراجعة عمر إياه أصلها فى الصحيحين أخرجها البخارى فى " استتابة المرتدين " باب قتل من أبى قبول الفرائض ما نسبوا إلى الردة (١٢/٢٨٨) ، ح ٦٩٢٤، ٦٩٢٥ ، ومسلم فى الإيمان " ، باب : الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا ا لله (١/١٧٠) ط . الشعب .

(٥) فى زيادات بعض النسخ :" الجؤنة : الحقة يجعل فيها الحلى".

أتانـا أبـو الخطّـاب يضـــرب طبلـــه فرُد ولم يأخذ عقالا ولا نقـدا[1]

والذى تقوله العامة تأويله : لو منعونى ما يساوى عقالا فضـلاً عـن غـيره ، وهـذا وجـه ، والأول هو الصحيح[2] لأنه ليس عليهم عقال يعقلّ به البعير فيطلبه فيمنعه، ولكــن مجـازُه فى قول العامة ما ذكرنا . ومن كلام العرب : أتانا بجفنةٍ يقعد عليهـا ثلاثـة ، أى لـو قعـد

---

(١) فى زيادات بعض النسخ " كانت الأمراء إذا خرجت لأخذ الصدقة تضرب الطبول ".

(٢)قال فى النهاية :" وفى حديث أبى بكر " لو منعونى عقالاً مما كانوا يؤدونه إلى رسـول ا لله صلـى ا لله عليه وسلم لقاتلتهم عليه " أراد بالعقال : الحبـل الـذى يعقـل بـه البعـير الـذى كـان يؤخـذ فـى الصدقة؛ لأن على صاحبها التسليم . وإنما يقع القبض بالرباط .

وقيل : أراد ما يساوى عقالا من حقوق الصدقة .

وقيل : إذا أخذ المصدق أعيان الإبل قيل : أخذ عقالا ، وإذا أخذ أثمانها قيل : أخذ نقدًا .

وقيل : أراد بالعقال صدقة العام . يقال : أخذ المصدق عقـال هـذا العـام : أى أخـذ منهـم صدقتـه .

وبعث فلان على عقال بنى فلان : إذا بعث على صدقاتهم. واختاره أبو عبيد ، وقال هو أشبه عنـدى بالمعنى .

وقال الخطابى : إنما يضرب المثل فى مثل هذا بالأقل لا بالأكثر ، وليس بسائر فى لسانهم أن العقــال صدقة عام ،وفى أكثر الروايات " لو منعونى عناقًا" وفى أخرى " جديًا" قلت قد جاء قلت : قد جـاء فى الحديث ما يدل على القولين .

* فمن الأول حديث عمر " أنه كان يأخذ مع كل فريضة عقالا ورواء ، فإذا جاءت إلى المدينة باعهـا ثم تصدق بها ".

* وحديث محمد بن مسلمة " أنه كان يعمل على الصدقة فى عهد رسول ا لله صلى ا لله عليـه وسـلم، فكان يأمر الرجل إذا جاء بفريضتين أن يأتى بعقاليهما وقرانيهما ".

* ومن الثانى حديث عمر " أنه أخر الصدقة عام الرمادة ، فلما أحيا الناس بعث عامله فقـال : اعقـل عنهم عقالين فاقسم فيهم عقالاً وأتنى بالآخر " يريد صدقة عامين .

* وفى حديث معاوية " أنه استعمل ابن أخيه عمرو بن عتبة بـن أبـى سـفيان علـى صدقـات كلـب ، فاعتدى عليهم ، فقال ابن العداء الكلبى :

سعى عقالاً فلم يترك لنا سبداً فكيف لو سعى عمرو عقالين

نصب عقالاً على الظرف ، أراد مدة عقال .

عليها ثلاثةٌ لصلح .

وكان ارتداد من ارتَدَّ من العرب أن قالوا : نقيم الصلاة ولا نؤتى الزكاة ، فمن ذلك قول الحطيئة[1]:

ألا كل أرماحٍ قصار أذلة	فداء لأرماح نصبن[2] على الغمر
فباست بنى عبس وأستاه طيّئ[3]	وباست بنى دودان حاشا بنى نصر
أبَوْا غير ضرب يجثم الهام وقعه	وطعن كأفواه المزفتة الحمر[4]
اطعنا رسول الله إذ كان حاضرًا[5]	فيا لهفتا ما بال دين أبى بكر
أيورثها بكراً إذا مات بعده	فتلك وبيت الله قاصمة الظهر[6]
فقوموا ولا تعطوا اللئام مقادة الجمر	وقوموا ولو[7] كان القيام على الجمر[8]
فدى لبنى نصر طريفى وتالدى[9]	عشية ذادوا بالرماح أبا بكر[10]

(١)قال الشيخ المرصفى :" هذا الشعر رواه أبو العباس كلمة واحدة قالها الحطيئة فى وقعة واحدة فحصل فيها اضطراب ...والصواب ما رواه غيره أنه كلمتان أولاهما قالها عشية أبى بكر وهى برواية أبى عمرو:

فدى لبنى ذبيان أمى وخالتى عشية يحدى بالرماح أبو بكر

بعده : أطعنا رسول الله _ الأبيات .وثانيتهما قالها أيام خالد بن الوليد وقد حارب بنى عبس وطيئ وبنى دودان بن أسد حتى أدوا الزكاة ولذلك عيرهم بقوله : فباست بنى عبس ....إلخ

(٢) فى بعض النسخ : ركزن .

(٣) فى بعض النسخ : وأفناء طيئ

(٤)" المزفتة المطلية بالزفت وهو القطران يعنى الإبل وهو أشبه بكلام العرب ومعناه ، وقيل الزقاق ". وهذا التعليق من قول أبى الحسن الآتى بعد قليل .

(٥)فى بعض النسخ : إذ كان بيننا .

(٦) جاء هذا البيت فى آخر هذه الكلمة بعد قوله فدى لبنى نصر .

(٧)بعض النسخ : وإن .

(٨) لم يرد هذا البيت والذى يليه فى بعض نسخ الكامل.

(٩)الطريف : هو الحديث ، والتد : القديم الأصيل .

(١٠)بعده فى زيادات بعض النسخ : " قوله زادوا بالرماح أبا بكر ، كذب ، إنما أخرجوا الإبل=

قوله :" يجثم الهام وقعه " ، إنما هو مثل[1] ، يقال : جثم الطائر ، كما يقال برك الجمل ، وربض العير [**قال أبو الحسن : المزفتة الحمر قيل فيه قولان : أحدهما أن المزفتة المطلية بالزفت – وهو القطران – يعنى الإبل ، وهذا أشبه بكلام العرب ومعناها ؛ والآخر : الزقاق**]

☆ ☆ ☆

-فقعقعوا لها بالشنان فنفرت وفرت ".

(١) قوله : (إنما هو مثل) كثيرا ما يعبر المبرد رحمه الله (بالمثل) عما كان فيه تشبيه أو استعارة أو نحو ذلك ، وقد سبق مثل ذلك كثيرا فى كلامه، والدليل عليه ما بعده ، فهو يقول:" إنما هو مثل ، يقال : جثم الطائر ، كما يقال برك الجمل ، وربض العير " فهو يدل على أن قوله (يجثم الهام وقعه) إنما هو من قبيل الاستعارة حيث شبه الهام بالطيور ، واستعار لها صفة من صفاتها وهى (الجثوم) .

وكان قيسُ بنُ عاصم بن سنان بن خالد بن مِنْقَرٍ [١]عاملاً على صدقات بني سعدٍ فقسمَ ما كان في يده [٢]وقال :

مَــنْ مُبْلِــغٌ عَنِّــي قُرَيْشًــا رِســالةً إذا مَــا أَتَتْهــا مُحْكَمــاتُ الوَدائــعِ

حَبَـوْتُ بمـا صَدَّقْـتُ في العـامِ مِنْقَـرًا وأيأسْتُ منها كـلَّ أَطْلَـسَ طـامعِ[٣]

قوله : " فأجمع رأينا كلَّنا أصحابَ محمد " ، فإنمـا خفـضَ كُـلٍّ علـى أنـه توكيـد لأسمائهم المضمرة ، والظاهرُ لا يكون بدلاً [٤]من المُضمرِ الـذي يَعنِـي بـه المتكلـمُ نفسـهُ ،

---

(١)قال المرصفى : هذا الشعر رواه أبو العباس كلمة واحدة قالها الحطيئة فـى وقعـة واحـدة فحصـل فيها إضراب سيتبين لك . والصواب ما رواه غيره أنه كلمتـان أوليهمـا قالهـا عشـية أبـى بكـر وهـى برواية أبى عمرو .

فدى لبنى ذبيان أمي وخالتي عشية يحدى بالرماح أبو بكر

وبعده . أطعنا رسول الله ... الأبيات . وثانيتهما قالها أيام خالد بـن الوليـد وقـد حـارب بـني عبـس وطيئ وبني دودان بن أسد . حتى أدوا الزكاة ولذلـك عيرهم بقولـه : فباسـت بنـى عبـس إلخ ، ولم يصبر على الارتداد فى محاربته سوى بنى نصر بن قعين " بالتصغير " ابن الحرث بن ثعلبة بـن دودان ابن أسد وأولها : ألا كل أرماح قصار أذلة . إلى قوله : كأفواه المزفتة الحمر . رغبة الآمل ٤/٩٨

(٢)يروى أن الزبرقان بن بدر دس إليه من زين له المنع لما فى يده وقال له : إن النبـى صلـى الله عليـه وسلم الله عليه وسلم قد توفى فهلم نجمع هذه الصدقة ونجعلها فى قومنا فإن استقام الأمر لأبـى بكـر وأدت العرب إليه الزكاة جمعنا له الثانية فـرق قيـس الإبـل فـى قومـه وانطلـق الزبرقـان إلى أبـى بكـر بسبعمائة بعير فأداها إليه وقال فى ذلك :

وفيت بأذواد النبى محمد وكنت امرأ لا أفسد الدين بالغدر

ففرق قيس ما ماده بن الزبرقان ، فقال : لو عاهد الزبرقان أمه لغدر بها رغبة الآمل ٤/١٠٠ .

(٣) البيتان مـن الطويـل ، وهمـا لقيـس بـن عـاصم فـى تـاريخ الطـبرى (٢/٢٦٨،٢٨٧)، والأغـانى (١٤/٧٦) والبيت الأول فى الأغانى هكذا :

ألا أبلغا عنى قريشاً رسالة إذا ما أتتهم مهديات الودائع

والبيتان فى تاريخ الطبري هكذا :

ألا أبلغا عنى قريشا رســالــــــة إذا ما أتتها بينات الودائع

حبوت بها فى الدهر أعراض منقرٍ إذا ما أتتهم بينات الودائع

(٤)فى بعض النسخ : والظاهرة لاتكون بدلاً .

أو يَعْنِي به المُخَاطبَ ، لا يجوز أن تقول : مررتُ بي زيدٍ ، لأن هذه الياءَ لاَ يَشْـرَكُهُ فيهـا شريكٌ فيحتاجُ [1] إلى التَّبْيين ، وكذلـك لا يجـوز : ضربتُـكَ زيـدًا ؛ لأن المخـاطبَ منفـردٌ بهذه الكاف ؛ فأما الهاءُ نحو : مررتُ به عبدِ ا لله فيجوز لأنا نحتاج إلى أن يُعَرِّفَنا مُبَيِّنًا مَـنْ صاحب الهاء ؛ لأنها ليست للذي يخاطبُه فلا ينكـرُ نفسَـه ، وإنمـا يُحَـدِّثُ بـه عـن غـائب فَيَحْتَاجُ إلى البيان .

وقوله : " أصحاب محمد " اختصاصٌ ، ينتصب بفعل مضمر ، وهو أعني ، لِيُبَيِّـنَ مَنْ هؤلاء الجماعةُ ، كما يُنْشَدُ :[2]

نَحْنُ بـني ضَبَّـةَ أصحــابُ الْجَمَـلْ[3]

أراد:نحن أصحاب الجمل ، ثم بَيَّنَ مَنْ هُمْ ، لأن هذا قد كان يقع علـى مَـنْ دون بني ضَبَّةَ معه ، وعلى من فوقَها إلى مُضَرَ ونزار ومَعَدٍّ ومَنْ بعدهم ؛ وكذلـك:نحـن العـربَ أَقْرَى النـاس لِضَيْـفٍ[4] ، ونحـن الصَّعـاليكَ لا طاقـة بنـا علـى المُروءةِ ، ويُخْتَـارُ في هــذا الشعر:[5]

إنــا بــني مِنْقَــرٍ قَــوْمٌ ذَوُو حَسَــبٍ   فِينـا سَــراةُ بَــني سَـعْدٍ وناديهــا[6]

وقليلُ هذا يدلُّ على جميع هذا الباب .

---

(١) ضبطت فى بعض النسخ بالرفع وبعضها بالنصب وبعضها بكليهما .

(٢) سبق البيت قيل هو للحرث الضبى أو لو سيم بن عمرو الضبى وبعد هذا الشطر

نبــارز القــرن إذا القـرن نـزل   نبغى ابن عفان بأطراف الأسل

المــوت أحلى عــندنا من العسل   ردوا علينا شيخــنا ثــم بجــل

(٣)البيت من أبيات للأعرج المعنى كما فى ديوان الحماسة بشرح المرزوقى ٢٨٩ ، وبشرح التـبريزى ١/ ١٥٤ ، وقال التبريزى : وقيل الصحيح :إنها لعمــرو بـن يـثربى "، وقيـل لرجـل مـن ضبـة اسمه الحارث . انظر العقد الفريد ٤/ ٣٢٧.

(٤) فى بعض النسخ للضيف

(٥) فى بعض النسخ :" هو لعمرو بن الأهتم المنقرى ". وقد سبق البيت

(٦) البيت من البسيط وهو لعمرو بن الأهتم ، وهو من كلمة له أوردها ابـن الشـجرى فـى حماسته ١/٨ ١٨، والمرصفى فى رغبة الآمل ٢/٦٨-٦٩ .وهو من شواهد الكتاب١/ ٣٢٧،والـدرر ٣/ ١٣ وبلا نسبة فى خزانة الأدب ٣٠٦/٨، وهمع الهوامع ١٧١/١، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٢٠ .

باب

قال أبو العباس : هذه أشعار اخترناها من أشعار المولَّدين[1] حكيمةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ يُحتاجُ إليها للتَمَثُّلِ ، لأنَّها أَشْكَلُ بالدهر [2]، ويُسْتعارُ من ألفاظها في المخاطبات والخُطَبِ والكُتُبِ .

قال عبد الصمدِ بن المُعَذَّل : [3]

تُكَلِّفُنــي[4] إذْلالَ نَفْسِــي لِعِزِّهــا	وهــانَ عليهــا أنْ أُهــانَ لِتُكْرَمَــا[5]
تَقولُ سَلِ المَعْرُوفَ يَحْيَـى بـنَ أَكْثَـمٍ	فقلتُ سَلِيهِ رَبَّ يَحْيَى بـنِ أَكْثَما[6]

---

(١) المولدون هم الذين نشئوا بين العرب ، وتعلموا لغتهم وليسوا منهم ، ولكنهم تكلموا بكلامهم ، وتأدبوا بأدبهم ، جاء فى اللسان ·ولد) "وجاريه مولدة : تولديين العرب وتنشأ مع أولادهم ويفذونها غذاء الولد ويعلمونا من الأدب مثل ما يعلمون أولادهم ، كذلك المولد من العبيد ، وإن سمى المولد من الكلام مولداً إذا استحدثوه و لم يكن من كلامهم فيما مضى"لسان العرب مادة (ولد) "

(٢)قوله لأنها أشكل بالدهر ... فيه إشارة لطيفة إلى أن الأدب من شعر ونثر وخطابة ... إلخ لابد أن يكون له وظيفة وتأثير فى الواقع المعيش والبيئة المحيطة بل إن الأدب بأنواعه جيده ورديئة ما هو إلا أحد إفرازات هذا الواقع وهذه البيئة .

(٣) عبد الصمد بن المعذل – بتشديد الذال المفتوحة – ابن غيلان بن الحكم – من بنى أسد بن ربيعة ابن نزار يكنى بأبى القاسم ، شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية ، وكان خبيث اللسان شديد العارضة . اهـ . من رغبة الأمل ٤/ ١٠٢ –١٠٣

(٤)قال المرصفى ": تكلفنى إلخ " يروى أنه كان يغشى مجلس القاضى يحيى بن أكثم وكان يجد أحيانًا فى الوصول إليه مشقة ومذلة فانقطع عن زيارته فلامته امرأته ؛ فقال هذين البيتين . أ. هـ من رغبة الآمل ٤/١٠٣

(٥) البيتان فى زهر الآداب ٦٥٤.

(٦) بعده فى زيادات بعض النسخ :" بالثاء المثلثة لا غير ، وكذلك أكثم بن صيفي . ويقال : إن يحيى بن أكثم من ولد أكثم بن صيفى ".

وقال بَشَّارُ بنُ بُرْدٍ يذكر عُبَيْدَ ا لله بنَ قَزْعَةَ ، وهو أبو المُغيرةِ أخو المَلَوِيِّ المُتكلِّم ، قال المازنيُّ : لم أر أعْلَمَ من المَلَوِيِّ بالكلام ، وكان من أصحاب إبراهيم النَظَّامِ [1]:

خَليليَّ مِنْ كَعْبٍ أَعِينا أخاكُمَا ... على دَهْرِهِ إنَّ الكريمَ مُعِينُ[2]

وَلاَ تَبْخَلاَ بُخْلَ ابنِ قَزْعَةَ إنَّهُ ... مَخَافَةَ أن يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينُ

كَأَنَّ عُبَيْدَ ا للهِ لم يَلْقَ ماجدًا ... ولم يَدْرِ أَنَّ المَكْرُمَاتِ تكونُ

فقل لأبي يَحْيَى مَتَى تُدْرِكُ العُلَى ... وفي كُلِّ مَعْرُوفٍ عليك يَمينُ

إذا جئتَهُ في حاجةٍ سَدَّ بابَهُ ... فلم تَلْقَهُ إلا وَأَنْتَ كَمِينُ

نظيرُ قوله :

وفي كل معروف عليك يمين

قولُ جرير [3]:

وَلاَ خَيْرَ في مالٍ عليه أَلِيَّةٌ[4] ... ولا في يَمينٍ عُقِّدَتْ بالمآثِمِ[5]

---

(١)إبراهيم النظام : هو إبراهيم بن سيار النظام كان من شياطين القدرية طالع كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة وله مقالة انفرد بها وتبعه أناس تسمى بالنظامية اهـ . رغبة الأمل ١٠٣/٤ .

(٢) بعضها فى الشعر والشعراء ٧٥٩، وعيون الأخبار ١/٨٨-٨٩ ، وزهر الآداب ١٠١٦ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ٢٦ ، وانظر اللآلى ٢٢٥ .

(٣)تذييل ديوانه ٩٩٣/٢ عن النقائض ٧٥٣ ، ورواية عجزه .

ولا فى يمين غير ذات مخارم

(٤)الألية : اليمين وفى اللسان (ألا) :" (ينقل ١١٧/١)

(٥) البيت من الطويل ، وهو لجرير فى ديوانه ص٩٩٣، ولسان العرب (طلع) وتهذيب اللغة ١٧٢/٢، وتاج العروس (طلع) ، وبلا نسبة فى مقاييس اللغة ٢/ ١٧٤، وأساس البلاغة (خرم). ورواية عجزه :

ولا فى يمين غير ذات مخارم

ويروى صدره بلفظ :(ولا خير فى مال بغير رزية) كما فى الأساس .

وقال إسماعيلُ بن القاسم :

أَطِعِ اللهَ بجُهْدِكْ عَامِدًا أو دونَ جُهْدِكْ

أَعْطِ مَوْلاَكَ كما تَطْلُبُ من طاعةِ عَبْدِكْ

وقال محمود [1]:

تَعْصِي الإلهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هذا مُحَالٌ في القِياسِ بَدِيعُ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صادقًا لأَطَعْتَهُ إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطيعُ [2]

وقال أيضًا :

إنِّي شَكَرْتُ لِظالِمي ظُلْمِي وَغَفَرْتُ ذاكَ لَهُ على عِلْمِي

ورأيتُه أَسْدَى إليَّ يَدًا لَمَّا أَبانَ بجَهْلِهِ حِلْمِي

رَجَعَتْ إسَاءَتُهُ عليه وإحْسانِي فَغَدا مُضاعفَ الجُرْمِ

وَغَدَوْتُ ذا أجْرٍ وَمَحمَدَةٍ وَغَدَا بكَسْبِ الظُّلْمِ وَالإِثْمِ

فَكَأَنَّما الإِحْسَانُ كان لَهُ وأنا المُسِيءُ إليه في الحُكْمِ

ما زال يَظلِمُني وَأَرْحَمُهُ حتَّى بَكَيْتُ لَهُ مِنَ الظُّلْمِ [3]

---

(١)زاد في بعض النسخ :" الوراق " هو(محمود) بن حسن الوراق من فضلاء الأدباء أكثر شعره في المواعظ والحكم مات في عهد المعتصم . رغبة الآمل ٤/ ١٠٤ .

(٢)البيتان في زهر الآداب ٩٨.

البيت الأول فيه مقابلة بديعة بين المعصية وإظهار المحبة ، وهي تظهر التناقض الواضح بين الحالين لأن ادعاء المحبة برهان صدق الطاعة والولاء التام .

أما البيت الثاني فهو من الكلام الجامع ، وشطره الثاني يجري مجرى المثل .

(٣) الأبيات من الكامل ، و لم أجد إلا البيتين الأول والأخير في الأغاني (١٨/١٥٢) ، وفيها (رثيت) بدلاً من (بكيت) ونسبها لمساور الوراق لا لمحمود الوراق .

الأبيات من الكلام الجامع ، قال الطيبي في تعريفه :" هو أن يجلي المتكلم كلامة بشيء من الحكمة والموعظة ، وشكاية الزمان والإخوان ".

التبيان ٣٨٤/٢ بتحقيقي ، والطيبي قد عرفه بذكر أنواعه ، وإنما يرجع حده إلى استيعاب المعنى مع إيجاز اللفظ .

أَخَذَ هذا المعنى من قول رجل من قريس لرجل قال له : إني مررتُ بقومٍ من قريش من آل الزُّبَيْرِ أو غيرهم يَشْتِمُونَكَ شَتْمًا رَحِمْتُكَ منه ، قال: أَفَسَمِعْتَني أقولُ إلاّ خَيْرًا ؟ قال : لا ، قال : إيَّاهُمْ فارْحَمْ .

وقال أبو بكر الصِّدِّيقُ رحمه الله لرجل قال له : لأَشْتِمَنَّكَ شَتْمًا يَدْخُلُ معك في قبرك ، قال : معكَ والله يَدْخُلُ لا معي !!

وقال ابنُ مسعود : إنَّ الرجل ليظلمني فأَرْحَمُهُ [1].

وقال رجل للشَّعْبِيِّ كلامًا أَقْذَعَ له فيه ، فقال له الشعبيُّ : إنْ كنتَ صادقاً فَغَفَر الله لي ، وإن كنتَ كاذبًا فغفر الله لك[2] .

ويُرْوَى أنَّه أَتَى مسجدًا فصادف فيه قومًا يغتابونه فأخذ بِعِضَادَتي الباب ، ثم قال :

هَنيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ لِعَزَّةَ من أعْراضِنا ما اسْتَحلَّتِ[3]

وذكر ابنُ عائشةَ أنَّ رجلاً من أهل الشأم قال : دخلتُ المدينة فرأيتُ رجلاً راكبًا على بغلة لم أرَ أَحْسَنَ وجْهًا ولا سمْتا ولا ثوبًا ولا دابةً منه ، فمال قلبي إليه ، فسألت عنه فقيل لي : هذا الحسنُ بنُ عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنهما ، فامتلأ قلبي له بُغضًا ، وحَسَدْتُ عَلِيًّا أن يكونَ له ابنُ مثلهُ ، فَصِرْتُ إليه ، فقلتُ له: أَأَنْتَ ابنُ أبي طالب؟ فقال أنا ابنُ ابْنِه ، فقلت: فَبِكَ وبأبيك أَسُبُّهما ، فلما انقضى كلامي قال لي : أَحْسِبُكَ غريبًا ،

---

(١)زاد فى بعض النسخ :" وروى عن بعض الصالحين أنه قال : لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فإنما سعى فى نفعك وضره "

(٢)كلام الشعبى من التقسيم الذى يرجع حسنه إلى استيفاء أقسام الشئ بالذكر (البيان ٢/ ٤٥٠) فهو كلام جامع يدخل فى باب (الجمع مع التقسيم) : (التبيان ٢/ ٤٤٥) .

(٣) البيت من الطويل وهو لكثير عزة فى ديوانه ص١٠٠، وكتاب العين ٤/ ٢٦٣، ومقاييس اللغة ٢/ ٢١٦، والأغانى ٣٨/٩، وأمالى القالى ٢/ ١٠٩، وتزيين الأسواق ١٢٢/١، وبلا نسبة فى تهذيب اللغة ٣٧٦/٧ . وهو يتمثل بقول كثير عزة وقد تقدمت قصيدته ، بعضا دتى الباب هما الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل وشماله . ا.هـ بتصرف من رغبة الآمل ١٠٥/٤ .

قلت : أَجَلْ ، قال : فَمِلْ بنـا ، فـإن احْتَجْـتَ إلى منزل أنزلنـاك ، أو إلى مـال آسَيْناكَ ، أو إلى حاجة عاوَنَّاكَ ، قال فانصرفتُ عنه وما على الأرض[1] أَحَدٌ أحبُّ إليَّ منه .

وقال محمود الورَّاقُ :

يـا نـاظِرًا يَرْنُـو بعَيْنَـيْ راقـدٍ ... وَمُشَـاهِدًا لِلأَمْـرِ غَـيْر مُشـاهدِ[2]
مَنَّيْـتَ نَفْسَـكَ ضَلَّـةً وَأَبَحْتَهَـا ... طُـرُقَ الرَّجاءِ وَهُـنَّ غَـيْرُ قَوَاصِـدِ
تَصِلُ الذُّنوبَ إلَى الذُّنوبِ وَتَرْتَجِـي ... دَرَكَ الْجِنَـانِ بِهـا وَفَـوْزَ الْعـابِدِ
وَنَسِـيتَ أَنَّ ا للهَ أَخْـرَجَ آدَمًـا ... مِنْهَـا إلَى الدُّنْيَـا بِذَنْـبٍ وَاحِـدِ[3]

* * *

(١)في بعض النسخ : فانصرفت عنه ووا لله ما على الأرض . وفي بعضها : على وجه الأرض .

(٢)في البيت أسلوب الطباق بقسميه ففي الشطر الأول قوله : يرنو بعيني راقد وهو طباق خفي وفي الشطر الثاني ومشاهدًا للأمر غير مشاهد وهو ما يسمى بطباق السلب ومثله في القرآن قوله تعالى:﴿ ولا تخشوا الناس واخشوني﴾﴿ أأنذرتهم أم لم تنذرهم ﴾﴿ وا لله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾

(٣)زاد بعده في بعض النسخ :" قال أبو العباس : أخذ هذا المعنى من خبر عمر بن عبد العزيز حيث قال للقاسم بن محمد بن أبي بكر ومحمد بن كعب القرظي : عظاني ، فقال محمد : استيقن أنك أول خليفة يموت ، وقال القاسم : أبونا آدم أخرج من الجنة إلى الدنيا بذنب واحدٍ ".

هذه الأبيات كسابقتها التي يقول فيها :(تعصى الإله وأنت تظهر حبه) وهو يعتمد فيها كسابقتها على فن المقابلة الذى يظهر المفارقات ، ويبرز المعاني المتضادة (وهو أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر ، وبين ضديهما ، ثم إذا شرطت هنا شرطا شرطت هناك ضده " التبيان ٢/ ٣٩٧ ويبدو أن الفن سمة من السمات الأسلوبية لهذا الشاعر يعتمد عليه لإبراز المفارقة الواضحة في السلوك الإنساني تجاه خالقه ، فمن تلك المقابلات جمعه بين النظرة والرقدة ، والمشاهدة والغفلة ، والرجاء مع الجور ، والتمادي في العصيان مع الطمع في الجنان ، ...إلخ .

وقال الحكمي [1] للفضل بن الربيع [2]:

مَـا مِـنْ يَـدٍ في النَّـاسِ واحِـدَةٍ ... كَيَـدٍ أَبُـو الْعَبَّـاسِ مَوْلاَهَـا

نَـامَ الْكِـرَامُ عَلَـى مَضَـاجِعِهِمْ ... وَسَـرَى إِلَـى نَفْسِـي فَأَحْيَاهَـا

قَـدْ كُنْـتُ خِفْتُـكَ ثُـمَّ آمَنَنِـي ... مِـنْ أَنْ أَخَـافَكَ خَوْفُـكَ ا للهَ

فَعَفَـوْتَ عَنِّـي عَفْـوَ مُقْتَـدِرٍ ... حَلَّـتْ لَـهُ نِقَـمٌ فَأَلْغَاهَـا [3]

وقال عبدُ ا لله بنُ محمد بن أبي عُيَيْنَةَ لذي اليَمِينَيْن : [4]

لَمَّـا رَأَيْتُـكَ قَـاعِدًا مُسْـتَقْبِلاً [5] ... أَيْقَنْـتُ أَنَّـكَ لِلْهُمُـومِ قَرِيـنُ

فَـارْفِضْ بِهَـا وَتَعَـرَّ مِـنْ أَثْوَابِهـا ... إِنْ كَـان عِنْـدَكَ لِلْقَضَـاءِ يَقِيـنُ

مَـالاً يَكُـونُ فَـلاَ يَكُـونُ بِحِيلَـةٍ ... أَبَـدًا وَمَـا هُـوَ كَـائِنٌ سَـيَكُونُ

يَسْعَى الذَّكِـيُّ فَـلاَ يَنَـالُ بِسَـعْيِهِ ... حَظًّـا وَيَحْظَـى عَـاجِزٌ وَمَهِـينُ

سَـيَكُونُ مَـا هُـوَ كَـائِنٌ فِي وَقْتِـهِ ... وَأَخُـو الجَهَالَـةِ مُتْعَـبٌ مَحْـزُونُ

---

(١)بعده فى زيادات :" هو أبو نواس الحسن بن هانئ ، وهو منسوب إلى حكم قبيلة من مذحج ". والأبيات فى ديوانه ص٤٥٩ .

(٢) الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد ا لله بن أبى فروة،واسمه كيسان مولى الإمام عثمان رضى ا لله عنه استوزره الرشيد بعد نكبة البرامكة والأمين ابنه بعده اهـ. عن رغبة الآمل ٤/ ١٠٦

(٣) الحكمى هو أبو نواس الحسن بن هانئ، وهو منسوب إلى حكم قبيلة من مذحج ". والأبيات فى ديوانه ص٤٥٩ .

(٤)بده في زيادات بعض النسخ : سمى ذا اليمينين لأنه ضرب إنساناً فجعله قسمين .

" التفت ابن الأثير إلى براعة أبى نواس فى التعبير بصيغة اسم الفاعل (مقتدر) بدلا من (قادر) وذلك فى حديثه عن (قوة اللفظ لقوة المعنى) حيث قال :" ومما ينتظم بهذا السلك

و ذو اليمينين هو طاهر بن الحسن بن رزيق ، ورزيق مولى طلحة الطلحات الخزاعى وكان طاهر من أكبر أعوان المأمون ، ويحكى عنه فى سبب التسمية بذى اليمينين أنه ضرب إنساناً بيساره فجعله قسمين اهـ . من رغبة الآمل ٤/ ١٠٧ .

(٥) فى بعض النسخ مستقبلاً.

اللهُ يَعْلَمُ أَنَّ فُرْقَةَ بَيْنِنَا ... فِيمَا أَرَى شَيْءٌ عَلَيَّ يَهُونُ[1]

وقال صالحُ بنُ عبد القُدُّوسِ[2] :

إنْ يَكُنْ مَا بِهِ أُصِبْتُ جَلِيلاً ... فَذَهَابُ الْعَزَاءِ فِيهِ أَجَلُّ

كُلُّ آتٍ لا شَكَّ آتٍ[3] وَذُو الجَهْـ ... ـلِ مُعَنًّى وَالْغَمُّ وَالْحُزْنُ فَضْلُ

وأنشدني مُنْشِدٌ من الأبيات المنفردة القائمة بأنفسها[4] :

إذا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى ... إِلَى بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ

ومنها قولُ ابنِ وُهَيْبٍ[5] :

وَإِنِّي لأَرْجُو اللهَ حَتَّى كَأَنَّما[6] ... أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللهُ صانِعُ

وقال آخر :

---

(١) الأبيات من الكامل ، و لم أجد إلا ثلاثة أبيات منها في الأغاني (٢٠/١٠٤)لابن أبي عيينة أو غيره ، مع اختلاف في ترتيبها عن التي ذكرها المبرد ، وهي على النحو التالي :

مالايكون فلا يكون بحيلة ... أبدًا وماهو كائن فيكون

سيكون ماهو كائن في وقته ... وأخو الجهالة متعب محزون

يسعى القوي فلا ينال بسعيه ... حظًّا ويحظى عاجز ومهين

(٢)بعده في زيادات بعض النسخ : صلبه عبد الملك بن مروان على الزندقة ، أعني صالحاً ".

قال الشيخ المرصفي :" هذا غلط بين ، وإنما الذى علقه ببغداد بعدما ضربه بالسيف فقدَّه نصفين أمير المؤمنين المهدى وكان مولعًا بقتل الزنادقة رحمه الله تعالى " رغبة الآمل ١٠٧/٤ .

(٣)في الأبيات حث على التسليم للمشيئة الإلهية والإيمان بالقدر خيره وشره .

وفي قول الشاعر :ما لا يكون فلا يكون ... وماهو كائن فسيكون . فيه من ألوان البديع . التكرير والمشاكلة أو ما يسمى بالاتحاد : وهو إعادة اللفظ الواحد مرتين فصاعداً ، فإذا كانت الألفاظ متحدة لفظاً ومعنى فهو البناء _ كما في البيت _ وإن كان في اللفظ دون المعنى فهو الجناس .

(٤)بعده في زيادات بعض النسخ"لهشام بن عبد الملك". والبيت أنشده في الفاضل ١٢٣ قال :ويروى لهشام بن عبد الملك و لم يقل غيره : إذا أنت لم تعص ....البيت .

(٥)ترجمة محمد بن وهيب في الأغاني ٧٤/١٩.

(٦) في بعض النسخ : كأنني .

وَيَعْرِفُ وَجْهَ الحَزْمِ حَتَّى كَأَنَّمَا تُخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهْ[1]

وقال أَشْجَعُ السُّلَمِيُّ :

رَأْيٌ سَرَى وَعُيُونُ النَّاسِ رَاقِدَةٌ مَا أَخَّرَ الحَزْمَ رَأْيٌ قَدَّمَ الحَذَرَا

وقال آخر :

فَلِلّهِ مِنِّى جَانِبٌ لا أُضِيعُهُ وَلِلَّهْوِ مِنِّى وَالْبَطَالَةِ جَانِبُ[2]

وقال آخر :

فَلَوْ عَابَ نَفْسِي غَيْرُ نَفْسِي لَسُؤْتُهُ فَكَيْفَ وَنَفْسِي قَدْ أَتَتْ مَا يَعِيبُهَا

وقال آخر :

يَرَى فَلَتَاتِ الرَّأْيِ وَالرَّأْيُ مُقْبِلٌ كَأَنَّ لَهُ فِي الْيَوْمِ عَيْنًا عَلَى غَدِ[3]

وقال عبدُ الصَّمَدِ بنُ الْمُعَذَّل :

أَمُنُّ عَلَى الْمُجْتَدِي وَمَا أُتْبِعُ الْمَنَّ مَنْ
كَأَنْ لَمْ يَزَلْ مَا أَتَى وَمَا قَدْ مَضَى لَمْ يَكُنْ

---

(١)فى البيت استعارة مكنية بديعة شخصت العواقب وجعلتها أشخاصا تنبئ الحازم بما سيكون ، فيقدم فى أمره على ثقة ويقين

(٢) قال ابن السيد : هو للخنس بن شهاب وقبله فى المفضليات ص٢٠٤

فأديت عنى ما استعرت من الصبا وللمال منى اليوم راع وكاسب .

البيت فيه حسن الجمع والتقسيم حيث بين حظى الدنيا والآخرة وأعاد على كل مايناسبه.

(٣)هذا البيت والبيت السابق (ويعرف وجه الحزم ..) قد أخذ أحدهما من الآخر ، غير أن الأول أرق وأبدع لروعة الاستعارة والتشخيص فيه ، فقد جعل العواقب تخاطبه ، وهذا يصور المعنى فى النفس ويقرره بطريق التمثيل والتشخيص بخلاف الاستعارة التصريحية فى بيت الآخر (عينا) إذ ليس فيها ذلك التصوير والتمثيل

أَرَى النَّـــــاسَ أُحْدُوثَـــــــةً فَكُونِـــــي [1] حَدِيثًـــا حَسَـــنْ

وقال أيضًا :

زَعَمَـــتْ عَـــاذِلَتِي أَنِّـــي لِمَـــا حَفِـظَ الْبُخْـلُ مِـنَ الْمَـالِ مُضِيـعُ

كَلَّفَتْنِـــي عِـــذْرَةَ الْبَـــاخِلِ [2] إِذْ [3] طَـرَقَ الطَّـارِقُ وَالنَّـاسُ هُجُـوعُ

لَيْـسَ لِـي عُـــذْرٌ وَعِنْـــدِي بُلْغَـــةٌ إِنَّمَـا الْعُـذْرُ لِمَـنْ لاَ يَسْـتَطِيعُ

وقال الحسن بن هانئ الحَكَمِيُّ :

إِلَيْكَ غَدَتْ بي حاجَـةٌ لَـمْ أَبُحْ بِهَـا أَخَـافُ عَلَيْهَـا شَـامِتًا فَـأُدَارِي

فَأَلْقِ [4] عَلَيْهَا سِتْرَ مَعْرُوفِكَ الَّـذِي سَتَرْتَ بِـهِ قِدْمًـا علـيَّ عُـوَارِي [5]

وقال [6] أيضًا :

قَـــدْ قُلْـــتُ لِلْعَبَّـــاس مُعْتَـــذِرًا مِـــنْ ضَعْـفِ شُـكْرِيهِ وَمُعْتَرِفَـــا

أَنْـــتَ امْــرُؤٌ جَلَّلْتَـــنِي نِعَمًـــا أَوْهَتْ قُـوَى شُكْرِي فَقَـدْ ضَعُفَـا [7]

فَـــإِلَيْكَ بَعْـــدَ الْيَـــوْمِ تَقْدِمَـــةٌ [8] لاقَتْـــكَ بِـــالتَّصْرِيحِ مُنْكَشِـــفَا

---

(١) فى بعض النسخ : فكونوا .

(٢)(عذرة الباخل) " بكسر العين " الاسم من الاعتذار وهو ما يخرج به من الذنب

(٣)فى بعض النسخ : إن .

(٤)فى بعض النسخ : فأرخ ،وكذا فى الديوان .

(٥) ديوانه ص ٤٣٦.

(٦)ديوانه ص:٤٣٣، والثانى والرابع فى الفاضل ٩٨ .

(٧) فى قوله جللتنى نعما أوهت ..إلخ استعارة تمثيلية رائعة حيث صور النعم فى صورة الشيء الحسي كأنه جرم ثقيل يوهن القوى ، ويضعف الأبدان ، وكذا صور الشكر فى صورة الشخص أو الجسد الذى ناء بحمل تلك النعم .

(٨)ضبطت فى نسخة :" تقدمة " وكتب فوقها " معاً" . وفى نسخة ومتن نسخة : بعد ا لله .

لا تُحْدِثَنَّ إلَيَّ عَارِفَةً حَتَّى[1] أَقُوم بِشُكْرِ ما سَلَفَا

وقال دِعْبِلُ[2] بن علي الخُزَاعِيُّ[3]:

أَحْبَبْتُ قَوْمِي وَلَمْ أَعْدِلْ بحُبِّهِمُ قَالُوا تَعَصَّبَ جَهْلاً قَوْلَ ذِي بَهَتِ

دَعْنِي أَصِلْ رَحِمِي إنْ كُنْتَ قَاطِعَهَا لاَ بُدَّ لِلرَّحِمِ الدُّنْيَا مِنَ الصِّلَةِ

فاحْفَظْ عَشِيرَتَكَ الأَدْنَيْنَ إنَّ لَهُمْ حَقًّا يُفَرِّقُ بَيْنَ الزَّوْجِ وَالْمَرَةِ[4]

قَوْمِي بَنُو مَذْحِجٍ وَالأَزْدُ إخْوَتُهُمْ وآلُ كِنْدَةَ وَالأَحْيَاءُ مِنْ عُلَةِ

ثُبْتُ الحُلُومِ فَإنْ سُلَّتْ حَفَائِظُهُمْ سَلُّوا السُّيُوفَ فَأَرْدَوْا كُلَّ ذِي عَنَتِ

لاَ تَعْرِضَنَّ بِمَزْحٍ لامْرِيءٍ طَبِنٍ مَا رَاضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ في الشَّفَةِ

فَرُبَّ قَافِيَةٍ بِالْمَزْحِ جَارِيَةٍ مَشْؤُومَةٍ لَمْ يُرَدْ إنمَاؤُهَا نَمَتِ

إنِّي إذا قُلْتُ بَيْتًا مَاتَ قَائِلُهُ[5] وَمَنْ يُقَالُ لَه والبيتُ لم يَمُتِ

---

(١):"حسبى"

(٢)ديوانه ص٤٦-٤٨

(٣)دعبل بكسر الدال والباء ، واسمه محمد وكنيته أبو جعفر (ابن على) بن رزين _ بالتصغير _ ابن سليمان الخزاعى وهو شاعر مطبوع خبيث لم يسلم منه خليفة ولا وزير ولا ذو نباهة أحسن إليه أو لم يحسن إليه .

والبهت : الكذب والافتراء ، والمرة : لغة فى المرأة ، وسلت : من السل وهو انتزاع الشيء وإخراجه فى رفق ، يقول : أخرجت حقاظهم _ غضبهم _ بانتهاك حرمة أو ظلم جار أو نكث عهد والعنت الفساد والمشقة . أ. هـ عن رغبة الآمل بتصرف ٤/ ١١٠

(٤)فى اللسان : المرء : الإنسان ..وقد أنثوا فقالوا : مرأة ، وخففوا التخفيف القياسي فقالوا :(مرة) بترك الهمزة وفتح الراء ، وهذا مطرد .....وقال ابن الأنبارى : الألف فى امرأة وامرئ ألف وصل . قال : وللعرب فى المرأة ثلاث لغات ، يقال : هى امرأته ، وهى مرأته ، وهى مرته ". اللسان (مرأ) ٢ فى اللسان (طبن) ٤/٢٦٤٠ .

(٥) قوله : إنى إذا قلت بيتاً مات قائله .. فيه التفات من حال التكلم (قلت) إلى حال الغيبة مات قائله ودلالة هذا الالتفات أن موت القائل ليس خاصا بالشاعر وحده ، بل هى قضية عامة لكل الشعراء يموت القائل والسامع ويبقى القول والمعنى .

وقال أيضًا:

نَعَوْنِي وَلَمَّا يَنْعَنِي غَـيْرُ شـامِتٍ وغـيرُ عَـدُوّ قَـدْ أُصِيبَـتْ مَقَاتِلُـه

يقولون إنْ ذاقَ الرَّدَى مات شِعْرُهُ وَهَيْهَاتَ عُمْرُ الشِّعْرِ طالت طوائِلُه[1]

سَأَقْضِي ببيتٍ يَحْمَـدُ الناسُ أَمْرَهُ وَيَكْـثُرُ مـن أَهْـلِ الرِّوايـةِ حامِلُـه

يموت رَديُّ الشِّـعْرِ من قبل أَهْلِه وَجَيِّـدُهُ يَبْقَـى وَإنْ مـات قَائِلُـه[2]

* * *

وقال إسماعيل بن القاسم [3]:

يـا مَـنْ يَعيـبُ وعَيْبُـهُ مُتَشَـعِّبٌ كَـمْ فيكَ مِنْ عَيْبٍ وأَنْتَ تَعيـبُ

لله دَرُّكَ كيـفَ أنـتَ وغايَـةً[4] يَدْعـوكَ ربُّـكَ عِنْدَهـا فَتُجيـبُ

وقال أيضًا [5]:

يـا علـيُّ بـنَ ثـابتٍ بـانَ مِنّـي صـاحبٌ جَـلَّ فَقْـدُهُ يـومَ بِنْتـا[6]

---

(١)زاد بها بعض النسخ :

هبوا شعره إن مات مات فأين ما تضمنه الراوون والخط حابله

وهو البيت الرابع فى الديوان وروايته :

وهب شعره .... تحمَّله الراوون والخط ناقله

(٢) ديوانه ص ١٢٣-١٢٤

بعده فى زيادات بعض النسخ :" البيت الأخير ليس لدعبل ، وإنما هو مضمن ".

(٣)ديوانه ص٢٩

(٤)ضبط فى بعض النسخ " وغاية " بالرفع وضبط فى بعضها الوجهين .

(٥)ديوانه ص٧٠.

(٦) بعده فى بعض النسخ : **يا على بن ثابت أين أنتا أنت بين القبور حيث دفنتا**

وهذا هو البيت الأول فى الديوان : وقوله يا على بـن ثـابت بـان منـى صـاحب ...إلخ) خاطبـه أولاً بقوله يا على ، ثم التفت عن الخطاب إلى الغيبة بقوله :(بان منى صاحب) فكأنه جد منه آخر مثلـه متصف بصفة (الصاحب) إظهار لعظم الصفة ومبالغة فيهـا ، وهـو شـبيه بأسـلوب التجريـد . وقـد عرفه الطيبى فى التبيان (٢/ ٣٥١) بقوله .

قد لَعَمْـرِي حَكَيْـتَ لي غُصَـصَ المَوْ ... ت وحَرَّكْتَـنِي لهـا وسَكَنْتا [1]

وقال أيضًا : [2]

صـاحِبٌ كـان [3]لي هَلَـكْ ... والسَّبيلُ الـتي سَلَكْ[4]

يـا علـيُّ بـنَ ثـابت ... غَفَـرَ اللهُ لي ولَـكْ

كُـلُّ حَـيٍّ مُمَلَّـكٍ ... سَـوْفَ يَفْنَـى ومـا مَلَـكْ

وقال أيضًا [5]:

طَوَتْـكَ خُطـوبُ دَهْـرِكَ بعد نَشْـرٍ ... كـذاكَ خُطُوبُـه نَشْـرًا وطَيَّـا

فلـو نَشَـرَتْ قُـواكَ لِـيَ المَنايـا ... شَـكَوْتُ إليـكَ مـا صَنَعَـتْ إليَّـا

بكيتُـكَ يـا أُخَـيَّ[6] بدَمْـعِ عَيْـني ... فلـم يُغْـنِ البُكـاءُ عليـك شَـيَّا

كَفَـى حَزَنًـا بدَفْنِـكَ ثـم إنِّـي ... نَفَضْـتُ تـرابَ قـبرِكَ عـن يَدَيَّـا

وكـانتْ في حَيـاتِكَ لي عِظَـاتٌ ... وأَنْـتَ اليـومَ أوعَـظُ مِنْـكَ حيَّـا

وكان إسماعيلُ بن القاسم لا يكاد يُخلي شِعْرَه مما تقدَّم من الأخبار وآثار فَيَنْظِمُ ذلك الكلام المَنْثورَ ويتناوله أَقْرَبَ مُتَنَاوَلٍ ويَسْرِقه أخفَى سَرِقَةٍ .

فقوله

---

(١) ديوانه ص٧٠.

(٢)ديوانه ص٥٩٦.

(٣)بهامش بعض النسخ :" مؤنس كان " وهى رواية .

(٤)بعده بها فى زيادات بعض النسخ :" والسبيل التى سلك : ابتداء وخبر ، ومن قال غير هـذا فقـد أخطأ ".

(٥) ديوانه صـ ٦٧٥: ٦٧٩ وانظر الديوان ص ٤٤٢

(٦)بهامش بعض النسخ : يا على .

وأَنْـتَ اليـــومَ أوعَــظُ مِنْــكَ حيًّــا

إنما أخذه من قول المُوبَذِ[1] لِقُباذَ[2] المَلِكِ حيث مات ، فإنَّه قال في ذلك الوقت : كان المَلِكُ أَمْسِ أنْطقَ منه اليوم ، وهو اليومَ أوعَظُ منه أمس .

وأخذ قوله :

قد لَعَمْرِي حَكَيْتَ لي غُصَصَ المَوْ ... ت وحَرَّكْتَنِي لهــا وسَــكَنْتا

من قول نادب الإسْكَنْدَر ، فإنَّهُ لما مات بكى مَنْ بحضرته فقال نادِبُهُ : حَرَّكَنا بسُكونه .

وقال إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية[3] :

يـا عَجَبًـا لِلنَّاسِ لَـوْ فَكَّـرُوا ... وحاسَـبُوا أَنْفُسَـهُمْ أَبْصَـرُوا

وَعَـبَرُوا الدُّنيـا إلى غَيْرِهـا ... فإنمـا الدُّنْيـا لَهُـمْ مَعْـبَرُ[4]

الْخَـيْرُ مِمَّـا يَخْفَـى هُـوَ الْـ ... ـمَعْـرُوفُ والشَّـرُّ هـو المُنْكَـرُ

وَالمَوْعِـدُ المـوتُ ومـا بَعْـدَهُ الْـ ... ـحَشْـرُ فَـذَاكَ المَوْعِـدُ الأَكْـبَرُ

لاَ فَخْـرَ إلاَّ فَخْـرُ أَهْـلِ التُّقَـى ... غَـدًا إذا ضَمَّهُـمُ المَحْشَـرُ

لَيَعْلَمَـنَّ النَّـاسُ إنْ التُّقَـى ... والـبِرَّ كانـا خَـيْرَ مـا يُذْخَـرُ

---

(١) قال ابن السيد : الموبذ شبيه القاضى ، ومنه قول مسلم بن بشار : لو كان أبو فلانـة مـن العجـم لكان موبذ موبذان يعنى : قاضى القضاة .

(٢) ":فأما قباذ بن فيروز بن يزجرد فليس له من أثر جليل ولا عمل جميل يستحق عليه حسن الذكر ولقد استحل الفروج وهتك الحرم اتباعاً لمزدك الزنديق الذى ظهر فى أيامه حتى لفظته خاصـة مملكتـه ونعت عليه عامة دولته ". اهـ ن رغبة الآمل ٤/١١٢ .

(٣) الأبيات فى ديوانه ص١٥١ _ ١٥٢ .

(٤) بعده زيادات فى بعض النسخ :" يعبر بفتح الميم وكسرها لابن السراج ، وبفتح الميم لا غير رواية عاصمٍ ".

عَجِبْتُ للإنسانِ في فَخْرِهِ وهْوَ غَدًا في قَبْرِهِ يُقْبَرُ
مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ
أَصبَحَ لاَ يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا يَرْجُو ولا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ
وأصْبَحَ الأَمْرُ إلى غَيْرِهِ في كُلِّ ما يُقْضَى وما يُقْدَرُ[1]

أما قوله :

يا عَجَبًا لِلنَّاسِ لَوْ فَكَّرُوا وحاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَبْصَرُوا

فمأخوذ من قولهم : الفكرة مرآة تريك حسنك من قلبيحك ، ومن قول لقمان لابنه : يابني لاينبغى لعاقل أن يخلى نفسه من أربعة أوقات : فوقت منها يناجى فيه ربه ،ووقت يحاسب فيه نفسه ،ووقت يكسب فيه لمعاشه ، ووقت يخلى فيه بين نفسه وبين لذتها ليستعين بذلك على سائر الأوقات .

مأخوذٌ من قول الحسن : اجْعَلِ الدُّنيا كالقَنْطرة تَجوزُ عليها ولا تَعْمُرُها .

وقوله :

الخير مما ليس يخفى هو الـ ـمعروف والشر هو المنكر

مأخوذٌ من حديث عبدِ اللهِ بن عَمْرِو بنِ العاص ، قال : " قال رسول الله ﷺ : **يا عبدَ الله كَيْفَ بِكَ إذَا بَقِيتَ في حُثالةٍ من الناس مَرِجَتْ عُهودُهُمْ وأماناتُهُمْ ، وصار الناس هكذا ، وشَبَّكَ بين أصابعه** ، فقلتُ : مُرْنِي يا رسولَ الله ، فقال : " **خُذْ ما عَرَفْتَ ، ودَعْ ما أَنْكَرْتَ ، وعليك بخُوَيِّصة نفسك ، وإيَّاك وعَوَامَّها** " [2].

---

(١) والأبيات فى ديوانه ص١٥١-١٥٢ .

(٢)الحديث "صحيح" بنحوه أخرجه أحمد فى "المسند"(٢/٢١٢) ، وأبو داود ، والحاكم ، وصححه وأقره الذهبى ، وبنحوه أيضاً أخرجه أبو داود ، وابن حبان ، والدولابى، انظر صحيح أبى داود (ح٣٦٤٨،٣٦٤٩) ، وصحيح ابن ماجه (ح٣١٩٦) ، وصحيح الجامع (ح٤٥٩٤)، وراجع الصحيحة (ح٢٠٥،٢٠٦).

قوله ﷺ :" **في حُثالةٍ من الناس** " ، أما الحُثالةُ فهو مـايَبْقَى في الإنـاء مـن رَدِيِّ الطعام ، وضربه مَثَلاً . وقوله : " **مَرِجَتْ عُهودُهم** " ، يقول : اختطلتْ وذهبتْ بهم كلَّ مذْهَبٍ ، يقال : مَرَجَ الماءُ : إذا سال فلم يكن له مانع [1]، قال ا لله عزَّ وجـلَّ : ﴿ **مَـرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ** ﴾ [2].

وقوله :

لَيَعْلَمَـــنَّ النَّـــاسُ أَنَّ التُّقَـــى وَالْـبِرَّ كَانَـا خَـيْرَ مَـا يُذْخَـرُ

مأخوذٌ مِنْ قَوْلِ أبي هُرَيْرَةَ عن النبي ﷺ : [3]" **إذا حُشِرَ الناسُ في صَعيدٍ واحـد نادى مُنَادٍ من قِبَلِ العَرْشِ : لَيَعْلَمَنَّ أهلُ المَوْقِفِ مَنْ أهلُ الكَرَمِ اليومَ ؟ لِيَقُـمِ المُتَّقـون ، ثم تلا رسولُ ا لله ﷺ : ﴿ إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ا للهِ أَتْقَاكُمْ ﴾** [4] .

وقوله :

---

(١)قال الشيخ المرصفى " لم يفرق أبو العباس بين مرج العهد ومرج الماء ؛ والذى فـى اللغـة أن الأول بابه طرب والثانى بابه نصر ..." [و] الأنسب بالآية أن يأتى بفعل متجاوز غير لازم . وعبارة غـيره ، والمرج بسكون الراء مصدر مرج الدابة يمرجها بالضم أرسلها فى المرعى تسرح حيث شـاءت ومنـه مرج البحرين يلتقيان " رغبة الآمل ٤/١١٤-١١٥ . وانظر اللسان (مرج) .

(٢)سورة الرحمن : ١٩ .

(٣) لم نعثر عليه بهذا اللفظ ، وإنما أخرجه الحـاكم فـى المستدرك (٢/٤٦٣) والبيهقـى فـى الشعب (ح٥١٣٨،٥١٣٩) (٤/٢٨٩، ٣٩٠) من حديث أبى هريرة رضى ا لله عنه أن النبى صلى ا لله عليه وسلم قال : إن ا لله عز وجل يقول يوم القيامة : أمرتكم فضيعتم ماعهدت إليكم فيه ورفعتم أنسابكم فاليوم أرفع نسبى وأضيع أنسابكم ، أين المتقون ؟ أين المتقون ؟ إن أكرمكم عند ا لله أتقاكم "

وقال الحاكم :" هذا حديث عال غريب الإسناد والمتن و لم يخرجاه ، وتعقبه الذهبـى بقولـه : " المخزومى ابن زبالة ساقط ".

وقال الشيخ الألبانى فى ضعيف الجامع (١٧٥٤) : "ضعيف جدا" .

(٤)سورة الحجرات :١٣ .

مَـا بَـالُ مَـنْ أَوَّلُـهُ نُطْفَـةٌ وَجِيفَـةٌ آخِـرُهُ يَفْخَـرُ

مأخوذٌ من قول عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه : وما ابْنُ آدَمَ والفَخْرُ ؟ وإنما أوَّله نُطْفَـةٌ وآخِرُهُ جِيفةٌ لا يَرْزُقُ نفسَه ، ولا يَدْفَعُ حَتْفَهُ .

وقال ابنُ أبي عُيَيْنَةَ :

مَا رَاحَ يَوْمٌ عَلَى حَيٍّ وَلاَ ابْتَكَرا إلاَّ رَأَى عِـبْرَةً فِيـهِ إنِ اعْتَـبَرَا

وَلاَ أَتَتْ سَاعَةٌ فِي الدَّهْرِ فَانْصَرَمَتْ حَتَّـى تُؤَثِّـرَ فِي قَـوْمٍ لَهَـا أَثَـرَا

إنَّ اللَّيَـالِيَ وَالأَيَّـامَ أَنفُسَـهَا عَنْ غَيْرِ أَنْفُسِها لَمْ تَكْتُمِ الْخَبَرَا

فأخذ هذا المعنى حبيبُ بن أوس الطائي وجمعه في ألفاظ يسيرة فقال :

عَمْرِي لَقَـدْ نَصَـحَ الزَّمَـانُ وَإِنَّـهُ لَمِنَ العَجَائِبِ نَـاصِحٌ لا يُشْـفِقُ[1]

فزاد بقوله " ناصح لا يشفق " على قول ابن أبي عُيَيْنة شيئًا طريفًا ، وهكذا يفعل الحاذق بالكلام . ولو قال قائل : إن أقرب ما أَخَذَ منه أبو العتاهية :

لَيَعْلَمَـنَّ النَّـاسُ أَنَّ التُّقَـى وَالْـبِرَّ كانـا خَـيْرَ مـا يُذْخَـرُ

من قول الخليل بن أحمد [قال أبو الحسن : زعم النَّسَّابُونَ أنهـم لا يعرفـون منـذ وقت النبي صلى الله عليه وسلم إلى الوقت الذي وُلِدَ فيه أحمدُ أبو الخليل أحدًا سُمِّيَ بأحمد غيرَه] :

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَـائِرِ لَمْ تَجِـدْ ذُخْـرًا يَكُـونُ كَصَـالِحِ الأَعْمَـالِ[2]

---

(١) ديوان أبي تمام ٤/ ٣٩٤، ويروى :"لمن الكبائر "، وكلاهما رواية .

(٢) الصحيح أنه للأخطل فى ديوانه ١٤٤/١، والبيت من الكامل ، وانظر جمهرة اللغة ص٥٨١، والأغانى ٣٢١/٨، وكان الخليل كثيرًا ما ينشد هذا البيت ، وانظر طبقات النحويين ، ووفيات الأعيان ٢٤٨/٢، وأورد البيت الحافظ الذهبى فى " السير"(٤٣٠/٧)عند ترجمة الخليل ، قال وكان كثيراً ما ينشد ...وذكر البيت . قال المحقق فى الحاشية فى تخريجه للبيت : البيت للأخطل التغلبى غياث بن غوث بن الصلت ، أبو مالك ، المتوفى سنة (٩٠هـ) ، من قصيدة يمدح بها عكرمة بن ربعى الفياض ، ومطلعها :

لمن الديار بحائل فوعال درست وغيرها سنون حوالى

لكان قد قال قولاً :

وقال العباسُ بنُ الفَرَج :

أَمَلِـــي مِـــنْ دُونِـــهِ أَجَلِـــي   فَمَتَـــى أُفْضِـــي إِلَـــى أَمَلِـــي

* * *

وقال الخليل بن أحمد وكان نظر في النجوم فَأَبْعَدَ ثم لَمْ يَرْضَها فقال :

أَبْلِغَـــا عَنِّـــيَ الْمُنَجِّـــمَ أَنِّـــي   كَـافِرٌ بِـالَّذِي قَضَتْـــهُ الْكَواكِـــبْ

عَـــالِمٌ أَنَّ مـــا يَكُـــونُ ومَـــا كَـــا   نَ بِحَتْـمٍ مِـنَ الْمُهَيْمِـنِ وَاجِـبْ [(١)]

وقال محمد بن يَسِير [(٢)] يعيبُ المتكلمين أنشدنيه الرِّياشِيُّ :

يَـا سَـائِلِي عَـنْ مَقَالَـةِ الشِّـيَعِ   وَعَـنْ صُنُـوفِ الأَهْـوَاءِ وَالْبِـدَعِ

دَعْ مَـنْ يَقُـودُ الْكَـلامَ نَاحِيَـةً   فَمَـا يَقُـودُ الْكَـلامَ ذُو وَرَعِ

---

(١) البيتان من الخفيف ، وهما للخليل بن أحمد فى ديوانه ص٣٣٩، ولسان العرب (كون) ،وللإمام الشافعي فى ديوانه ص ٤٤، وانظر طبقات النحويين ٤٧. ويروى صدر البيت الأول "بلغا"، وعجز البيت الثانى :" قضاء من المهيمن "

وهذا المعنى مأخوذ من عدة أحاديث نهى النبى صلى الله عليه وسلم فيها عن التنجيم والسحر منها ماروى عن ابن عمر مرفوعاً :" تعلموا من النجوم ماتهتدون به فى ظلمات البر والبحر ثم انتهوا". وعن أبى هريرة قال : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النظر فى النجوم " رواهما ابن مردويه والخطيب

وروى مسلم عن أبى مالك الأشعرى : أن رسول الله قال : أربع فى أمتى من الجاهلية .. منها : والاستسقاء بالنجوم أ هـ

(٢)" محمد بن يسير " هذا هو الصواب ووقع فى بعض النسخ (بشير) وهو خطأ ، ويسير بالياء التحتية المثناة والسين المهملة . انظر الإكمال ١/ ٣٠٣ وحاشية الشيخ خليل المعلمى عليه ١/٤٣٨ . وانظر سمط الآلى ١٠٤ .

كُـلُّ أُنـاسٍ بَدِيُّهُـمْ حَسَـنٌ ... ثُـمَّ يَصِيرُونُ بَعْـدُ لِلشُّـنَعِ

أَكْـثَرُ مـا فِيـهِ أنْ يُقَـالَ لَـهُ ... لَـمْ يَـكُ فِي قَوْلِـهِ بِمُنْقَطِـعِ[1]

وأنشدني الرياشي لغيره :

قَدْ نَقَّرَ النَّاسُ حَتَّى أَحْدَثُوا بِدَعًا ... فِي الدِّينِ بالرَّأْيِ لَمْ تُبْعَثْ بِهَا الرسل

حَتَّى اسْتَخَفَّ بِحَقِّ اللهِ أَكْثَرُهُمْ ... وَفِي الَّذِي حُمِّلُوا مِـنْ حَقِّهِ شُـغُلُ

وقال محمد بن يَسِير :

وَيْـلٌ لِمَـنْ لَـمْ يَرْحَـمِ اللهُ ... وَمَـنْ تَكُـونُ النَّـارُ مَثْـوَاهُ

يـا حَسْـرَتَا فِي كُـلِّ يَـوْمٍ مَضَـى ... يُذْكِرُنِـي الْمَـوْتَ وَأَنْسَـاهُ

مـن طـال في الدُّنيـا بِـهِ عُمْـرُهُ ... وعـاشَ فَـالْمَوْتُ قُصَـاراهُ

كَأَنَّـهُ قَـدْ قِيـلَ فِي مَجْلِـسٍ ... قَـدْ كُنْـتُ آتِيـهِ وأغْشَـاهُ

صـار الْيَسِـيرِيُّ إلى رَبِّـهِ ... يَرْحَمُنَـا اللهُ وَإِيَّـاهُ[2]

وقال أيضًا :

أَيُّ صَفْـوٍ إلاّ إلى تَكْدِيـرِ ... ونَعِيـمٍ إلاَّ إلى تَغْيِيـرِ

وسُـرورٍ وَلَـذَّةٍ وحُبُـورٍ ... لَيـس رَهْنًـا لنـا بِيَـوْمٍ عَسِـيرِ

عَجَبًـا لي ومِـنْ رِضَـايَ بِدُنْيـا ... أنـا فيهـا علـى شَـفَا تَغْرِيـرِ

عـالِمٌ لا أَشُـكُّ أَنِّـي إلى اللهِ ... إذا مِـتُّ أو عَـذَابِ السَّـعِيرِ

ثـم أَلْهُـو ولَسْـتُ أَدْرِي إلى أَيِّـ ... هِمـا بَعْـدَهُ يَصِيرُ مَصِـيرِي

أَيُّ يَـوْمٍ علـيَّ أَفْظَـعُ مِـنْ يَـوْ ... مٍ بِـهِ تُـبْرِزُ النُّعَـاةُ سَـرِيرِي

---

(١) الأبيات رواها صاحب الأغانى ١٤/٤٣. بسنده عن الرياشي .

(٢) الأبيات من السريع ، وهى لأبى جعفر محمد بن يسير البصرى ، والبيتـان الرابع والخامس فى تاج العروس ١٤/٤٦٠(يسر) ولمحمد بن بشير (الرياشى) فى معجم الشعراء ص٤١٨. وانظر الأبيات فى "الأغانى " ١٤/ ٣٩. ويروى عجز البيت الرابع بلفظ : آتيه وأخشاه ".

كُلَّمـا مُـرَّ بـي على أَهْــلِ نـادٍ كُنْـتُ حِينًـا بهـم كَثِـيرَ الْمُـرُورِ
قِيـلَ مَـنْ ذَا عَلَـى سَــرِيرِ الْمَنَايَـا قِيـلَ هـذَا مُحَمَّـدُ بْــنُ يَسِــيرِ[1]

وقال الحَكَميُّ أبو نُواسٍ :

أخِي مَا بَـالُ قَلْبِـكَ لَيْـس يَنْقَـى كَـأَنَّكَ لا تَظُـنَّ المَــوْتَ حَقًّـا
ألاَ يَـا بْـنَ الَّذِيـنَ فَنُـوا وَبَـادُوا أمَـا وا للهِ مَـا ذَهَبُـوا لِتَبْقَـى
وَمَـا أَحَـدٌ بِـزَادِكَ مِنْـكَ أَحْظَـى وَمَـا أحَـدٌ بـزَادِكَ مِنْـكَ أَشْـقَى
وَلاَ لَــكَ غَـيْرَ تَقْـوَى ا للهِ زَادٌ إذَا جَعَلَـتْ إلَى اللَّهَـوَاتِ تَرْقَـى[2]

ومما يُسْتَحْسَنُ [3]من شعره قوله :

لا أذُودُ الطَّـيْرَ عَـنْ شَـجَرٍ قَـدْ بَلَـوْتُ الْمُـرَّ مِـنْ ثَمَـرِهْ[4]

ومثلُ هذا لو تقدَّم لكان في صُدُورِ الأمثال ، وكذلك قوله أيضًا :

فـامْضِ لاَ تَمْنُـنْ عَلَـيَّ يَـدًا مَنُّـكَ المَعْـرُوفَ مِـنْ كَـدَرِهْ[5]

---

(١) الأبيات ٣،٤،٧،٨، فى البيان والتبيين للجاحظ ٣/ ١٧٩ .

(٢) الأبيات لأبى نواس فى ديوانه ص١٩١،ط. دار العرب ، مع تقديم وتأخير فى الأبيات ، وأختلاف فى بعض الألفاظ فصدر البيت الثالث روى فى الديوان بلفظ :" بزادك منك أخطا" والبيت الرابع روي بلفظ ." ومالك غير ما قدمت زاد ".

(٣) (ومما يستحسن ...الخ) ذلك من أبي العباس حسن جميل وقد اعتبرت هذه القصيدة فوجدتها جامعة بين حسن البادية ورقة الحاضرة فى لطف الكناية وملاحة الاستعارة وحسن المثل السائر فأحببت ذكرها لجودتها ولتعلم مواقع الأبيات المذكورة منها :

أيها المنتاب عن عفره لست من ليلى ولا سمره
لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المرّ من ثمره
قد لبست الدهر لبس فتى أخذ الآداب عن غيره اهـ . رغبة الآمل ٤/١١٨،١١٩

(٤) ديوانه ص ٤٢٧ .

(٥) انظر ديوانه ص ٤٢٨ .

وكان يقال : ذِكْرُ المَعْرُوفِ من المُنْعِمِ إفسادٌ له ، وكِتْمانُه من المُنْعَمِ عليه كُفرٌ له .

وفي هذا الشعر أبيات مختارة ، فمنها :

وَإِذَا مَـجَّ الْقَنَـا عَلَقًـا ... وَتَـرَاءَى المَـوْتُ في صُـوَرِهْ

رَاحَ في ثِنْيَـيْ مُفَاضَتِـهِ ... أَسَـدٌ يَدْمَـى شَـبَا ظُفُـرِهْ

تَتَـأَنَّى الطَّـيْرُ غَدْوَتَـهُ ... ثِقَـةً بالشِّـبْعِ مِـنْ جَـزَرِه

فَاسْـلُ عَـنْ نَـوْءِ تُؤَمِّلُـهُ ... حَسْـبُكَ الْعَبَّـاسُ مِـنْ مَطَـرِه

لاَ تَغَطَّـى عَنْـهُ مَكْرُمَـةٌ ... برُبَـا وَادٍ وَلاَ خَمَـرِه

ذُلِّلَـتْ تِلْـكَ الْفِجَـاجُ لَـهُ ... فَهْـوَ مُجْتَـازٌ عَلَـى بَصَـرِه[1]

وقد عابوا قوله :

كَيْـفَ لاَ يُدْنِيـكَ مِـنْ أَمَـلٍ ... مَـنْ رَسُـولُ اللهِ مِـنْ نَفَـرِه [2]

وهو لَعَمْري كلام مُسْتَهْجَنٌ موضوعٌ في غير موضعه ، لأنَّ حقَّ رسول الله ﷺ أَنْ يُضافَ إليه ، ولا يُضَافَ إلى غيره ، ولَوِ اتَّسَعَ مُتَّسِعٌ فأجراه في باب الحيلة لخرج على الاحتيال ، ولكنه عَسِرٌ موضوعٌ في غير موضعه . وبابُ الاحْتِيال فيه أن تقول : قد يقول القائل من بني هاشم لغيره مِنْ أفناء قريش : منَّا رسولُ الله ﷺ ، وحَقُّ هذا أنه من القَبيلِ الذي أنا منه ، فقد أَضافَه إلى نفسه ، وكذلك يقول القُرَشِيُّ لسائِر العرب ، كما قال حسانُ بن ثابت :

وَمَازَالَ في الإِسْلامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... دَعَـائِمُ عِـزٍّ لا تُـرامُ ومَفْخَـرُ

بَهَـاليلُ مِنْهُـمْ جَعْفَـرٌ وابْـنُ أُمِّـهِ ... علـيٌّ ومِنْهُـمْ أَحْمَـدُ المُتَخَـيَّرُ[3]

---

(١) انظر ديوانه ص٤٣٠-٤٣١ .

(٢) انظر ديوانه ص٤٣٠ .

(٣)البيتان من الطويل،وهما لحسان بن ثابت فى ديوانه ص٢٢٤،والبيت الثانى فى أساس البلاغة (بهل).

فقال" منهم"كما قال هذا " من نفره " ، أراد من النفر الذين العباسُ هذا الممدوحُ منهم .

وأما قول حَسَّان :

.... مِنهُـمْ جَعْفَـرٌ وابْـنُ أُمِّـهِ   علـيٌّ ومِنهُـمْ أَحْمَـدُ المُتخَـيَّرُ

فإن العرب إذا كان العطفُ بالواو قَدَّمَتْ وأخرتْ ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُم كَافِرٌ وَمِنكُم مُؤْمِنٌ ﴾[1]وقال:﴿ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنسِ ﴾[2] وقال : ﴿ واسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[3] ولو كان بثمّ أو بالفاء لم يصلح إلا تقديم المقدم ثم الذي يليه واحدًا فواحدًا . وأما قولُه في هذا الشعر :

وكريـمُ الخـالِ مِـنْ يَمَـنٍ   وكريـمُ العـمِّ مِـنْ مُضَـرِه[4]

فأضاف مُضَرَ إليه ، فهو أجودُ كلامٍ لا يَمْتَنِعُ منه مُمْتَنِعٌ ؛ قال عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه يوم الجمل للأشْتَرِ ـ وهو مالكُ بنُ الحارث أَحَدُ النَّخَع بنِ عَمْرِو بنِ عُلَةَ بنِ جَلْدٍ [5]ـ وكان على المَيْمَنَة : احْمِل ، فَحَمَلَ في أصحابه فَكَشَفَ مَنْ بإزائه ، ثم قال لهاشم بن عُتْبَةَ بن مالك أحدِ بني زُهْرَةَ بن كلابٍ ، وكان على المَيْسَرَةِ : احْمِلْ ، فَحَمَل فى المُضَرِيةِ فَكَشَفَ مَنْ بإزائه ، فقال علي رضي الله عنه لأصحابه : كيف رأيتم مُضَرِي ويَمَنِي ! فأضاف القبيلتين إلى نفسهِ وقال[6] جرير :

إنَّ الذيـن ابتَنَـوْا مَجْـدًا وَمَكْرُمَـةً   تِلْكُم قُرَيشِيَ والأَنْصَـارُ أنْصَارِي[7]

* * *

---

(١)سورة التغابن : ٢

(٢)سورة الرحمن : ٣٢ .

(٣)سورة آل عمران : ٤٣ .

(٤) ديوانه ص٢٢٤ .

(٥)فى بعض النسخ : خالد ، وهو تصحيف . وبهامش نسخة كمال فى المتن وهو الصواب . انظر ما سلف ص ٤٣٦.

(٦)فى نسخة " قال " بلا الواو .

(٧) ديوانه ١/ ٢٣٥

ومِمّا يُستَحْسَنُ من أشعار المُحْدَثين قولُ إسحاق بنِ خَلَفٍ البَهْرَانيّ ، ونَسَبُهُ في بني حنيفة لِسباءٍ وَقَعَ عليه ، يقوله لعليٍّ بن عيسى بن موسى بن طلحةَ الأشعريِّ المعروفِ بالقُمِّيِّ [1]:

ولِلْكُرْدِ مِنكَ إذا زُرْتَهُمْ	بكَيْدِكَ يَومٌ كَيَوْمِ الْجَمَلْ
ومَازال عِيسى بنُ مُوسَى لَهُ	مَوَاهِبُ غَيْرُ النِّطافِ الْمُكُلْ
لَسَلُّ السُّيُوفِ وشَقُّ الصُّفُوفِ	لِنقْضِ التِّراتِ وضَرْبِ القُلَلْ
ولُبْسُ العَجَاجَةِ والخَافِقاتُ	تُرِيكَ المَنا بِرُؤُوسِ الأَسَلْ
وقَدْ كَشَرَتْ عَنْ شَبَا نابِها	عَرُوسُ المَنِيَّةِ بَيْنَ الشُّعَلْ
وَجَاءَتْ تَهَادَى وأَبْناؤُها	كَأنَّ عَلَيْهِمْ شُرُوقَ الطَّفَلْ
خَرُوسٌ نَطُوقٌ إذا اسْتُنْطِقَتْ	جَهُولٌ تَطِيشُ على مَنْ جَهِلْ
إذا خطِبَتْ أَخَذَتْ مَهْرَها	رُؤُوسًا تَحَادَرُ قبلَ النَّفَلْ
أَلَذُّ إلَيْهِ مِنَ المُسْمِعاتِ	وحَثِّ الكُؤُوسَةِ في يومِ طَلْ
وشُرْبِ المُدَامِ ومَنْ يَشْتَهِيهِ	مُعاطٍ لَهُ بِمِزَاجِ القُبَلْ
بَعَثْنا النَّوَاعِجَ تَحْتَ الرِّحالِ	تَسَاقَطُ أَشْداقُها في الجُدُلْ
إذَا مَا حُدِينَ بِمَدْحِ الأَمِيرْ	سَبَقْنَ لِحَاظَ المُحِثِّ الْعَجِلْ [2]

قوله : " تريك المَنا " ، يريد المنايا ، وهذه كلمةٌ تَخِفُّ على ألسنتهم فيحذفونها، وزعم الأصمعيُّ أنه سمع العرب تقول : دَرَسَ المَنا ، ، يريدون المنازل [3] وجاء في

---

(١)منسوب إلى قُم وهى بلدة أو قرية من خرسان " انظر معجم البلدان ٣٩٧/٤ ، واللباب ٣/ ٥٥.

(٢) الأبيات من المتقارب ، وهى لخلف بن إسحاق البهرانى ، فى ديوانه ٢٣٥/١ والبيت الحادى عشر فى لسان العرب (سفه). بلفظ :" أشداقها فى اللحم".

بعده فى زيادات : " من كسر الميم فهو من حث ، ومن ضم الميم جعله من أحث ، يقال : حث وأحث على فعل وأفعل لغتان ".

(٣)قال لبيد :

درس المنا بمتالع فأبان فتقادمت بالحبس فالسوبان

ديوانه ص٢٠٦ ، والشاهد فيه قوله : المنا ، أى المنازل ، فحذفت تخفيفاً

التخفيف أعجبُ من هذا : حدَّثني أصحابُنا عن الأصمعيِّ وذكره سيبويه في كتابه [1] ولم يذكر قائله ولكنَّ الأصمعيَّ قال : كَان أَخَوان متجاوران لا يكلم كلٌّ واحد منهما صاحبَه سائِرَ سنتهِ حتى يأتيَ وقت الرَّعْي ، فيقول أحدُهما لصاحبه : ألاتا ، فيقـول الآخر :بلى فا،يريد ألا تَنْهَضُ ؟فيقول الآخر:بلى فانْهَضْ، وحكى سيبويه في هذا الباب :

بِـــالْخَيْرِ خَـــيْرَاتٍ وَإِنْ شَـــرًّا فَـــا   وَلا أُرِيـــدُ الشَّـــرَّ إلاَّ أَنْ تَـــا [2]

يريد وإن شرًّا فشرٌّ ، ولا أريد الشرَّ إلا أن تُريدَ .

وهذا خلافُ ما تستعملهُ الحكمـاءُ ، فإنـه يقـال : إن اللسـانَ إذا كَـثُرَتْ حركتُـه رَقَّتْ عَذَبَتُهُ .

وحدثني أبو عثمان الجاحظ قال : قال لي محمدُ بنُ الجَهْمِ : لَمّا كانتْ أيامُ الـزُّطِّ [3] أدْمَنْتُ الفِكْرَ ، وأمسكتُ عن القول ، فأصابتني حُبْسَةٌ في لساني .

وقال رجل من الأعراب [4] يذكر آخَرَ منهم :

كَـــأَنَّ فِيـــهِ لَفَفًـــا إذَا نَطَـــقْ   مِـنْ طُـولِ تَحْبِيـسٍ وَهَـمٍّ وَأَرَقْ [5]

---

(١) الكتاب ٦٢/٢. وقال الخليل :" وسمعت من العرب من يقول ألا تابلى فإنما أرادوا ألا تفعل وبلى فافعل ولكنه قطع كما كان قاطعاً بالألف فى أنا ..." .

(٢) من أبيات للقيم بن أوس من بنى أبى ربيعة بن مالك ، أجاب بها امرأته كما فـى النـوادر ١٢٦. وهما فى الكتاب ٦٢/٢، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٣٢١، وضرائر الشعر لابن عصفور ١٨٥، وشرح شواهد شرح الشافية ٢٦٢-٢٧٤. والبيت فى اللسان بلا نسبة (تا) .

(٣) قال المرصفى :(الزط) واحدهم زطى كروم وورومى ، وهم جيـل مـن السند غلبـوا علـى طريـق البصرة وعاثوا فيما حولها وأخافوا السبيل ،وذلك فى عهد المعتصم بن الرشيد ، فوجـه إليهـم عجيـف ابن عنبسة فأوقع بهم وقتل منهم خلقاً كثيراً . ا.هـ رغبة الآمل ٤/ ١٢٨

(٤)هو أبو الزحف بن عطاء بن الخطفى ابن عم جرير ، كما فى البيان والتبيين ٣٨/١ .

(٥)الرجز بلا نسبة فى أساس البلاغة (لفف)

وقال رجلٌ لخالد بن صَفْوانَ : إنّك لَتُكْثِرُ ، فقال أُكْثِرُ لضربين : أحدهما فيما لا تُغْنِي فيه القِلَّةُ ، والآخر لَتَمْرِينِ اللسان ، فإنَّ حَبْسَه يُورِثُ العُقْلَةَ .

وكان خالد يقول : لا تكونُ بليغًا حتّى تُكَلِّمَ أَمَتَكَ السوداءَ في الليلة الظَّلْماء في الحاجة المُهِمَّةِ بما تَتَكَلَّمُ به في نادى قَوْمِك ؛ فإنما اللسانُ عُضْوٌ إذا مَرَنْتَهُ مَرَنَ ، وإذا أهملتَه خارَ ، كاليد التي تُخَشِّنُهَا بالممارسةِ ، والبدنِ الذي تُقَوِّيهِ برفع الحَجَرِ ، وما أشبهه ، والرِّجْلِ إذا عُوِّدَتِ المَشْيَ مَشَتْ .

وقال عمر بن الخطاب ﷺ : لا تَزالُون أصِحّاءَ ما نَزَعْتُمْ وَنَزَوْتُمْ .

فنزعتم في القِسِيِّ ، ونزوتم على ظهور الخيل .

وقال بعضُ الحكماءُ : لا ينبغي للعاقل أن يُخلِيَ نفسَه من ثلاثٍ في غير إفراط : الأكلُ ، والمَشْيُ ، والجِماعُ ؛ فأما الأكلُ فإنَّ الإمعاءَ تَضِيقُ لِتَرْكِه ـ وكان ابنُ الزبير يُواصلُ فيما ذكروا بين خمسَ عشرةَ من يوم وليلة ، ثم يُفْطِرُ على سَمْنٍ وَصَبِرٍ لِيَفْتُقَ أمعاءَه ـ قال أبو العباس : قال الأول:والمشيُ إنْ لم تَتَعَهَّدْهُ أَوْشَكْتَ أن تَطْلُبَه فلا تَجِده ، والجِماعُ كالبئر إن نُزِحَتْ جَمَّتْ ، وإنْ تُرِكَتْ تَحَيَّر مَاؤُها .

وحَقُّ هذا كله القَصْدُ .

وقوله :

كَأَنَّ عَلَيْهِمْ شُرُوقَ الطَّفَلْ[1]

يريد تَأَلُّقَ الحديد كأنّه شمسٌ طالعةٌ عليهم ، وإن لم تكنْ شمسٌ ، وأحسنُ من هذا قولُ سلامة بن جَنْدَلٍ :

---

(١) قال المرصفى :(وأحسن من هذا .... إلخ) هذا إنما يحسن لو كان الشاعران تواردا على معنى واحد وليس هنا كذلك فإن إسحق بن خلف إنما شبه كما قال أبو العباس تألق الحديد وهو الدروع والبيض وسائر السلاح بالشمس حين بزوغها وانتشار ضوئها وسلامة بن جندل إنما شبه بيض الحديد وحده ببيض النعام فى الشكل وهيئة الاستدارة فكلاهما مصيب فيما قصد له من التشبيه أ.هـ من رغبة الآمل ٤/ ١٢٩ .

كَأَنَّ النَّعَامَ بَاضَ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ . . . . [1]

فهذا التَّشْبِيهُ المُصِيبُ [2].

وأما قوله :

أَلَذُّ إِلَيْهِ مِنَ المُسْمِعَاتِ

فقد قال مثله القاسمُ بن عيسى بن إدريسَ أبو دُلف العِجْلِيُّ :

يَوْمَايَ يَوْمٌ فِي أَوَانِسَ كَالدُّمَى   لَهْوِي وَيَوْمٌ فِي قِتَالِ الدَّيْلَمِ
هَذَا حَلِيفُ غَلاَئِلٍ مَكْسُوَّةٍ   مِسْكًا وَصَافِيَةٍ كَنَضْخِ الْعَنْدَمِ
وَلِذَاكَ خَالِصَةُ الدُّرُوعِ وَضُمَّرٌ   يَكْسُونَنَا رَهَجَ الْغُبَارِ الأَقْتَمِ
وَلِيَوْمِهِنَّ الْفَضْلُ لَوْلاَ لَذَّةٌ   سَبَقَتْ بِطَعْنِ الدَّيْلَمِيِّ الْمُعْلَمِ

وأول هذه القصيدة طريفٌ مُسْتَمْلَحٌ وهو :

طَوَاهُ الْهَوَى فَطَوَى مَنْ عَذَلْ   وَحَالَفَ ذَا الصَّبْوَةِ الْمُخْتَبَلْ

وأما قوله :

---

(١) ديوانه ص١٦٧، والأصمعيات قصيده ٤٢/١٥ ص١٣٤، وقد ورد بتمامه فى بعض النسخ وعجزه :" وأعينهم تحت الحديد جواحم"، ولا أدرى من أين أتوا بهذا العجز ، وإنما صوابه:" بنهى القذاف أو بنهى مخفق ". والبيت من الطويل ، وقد ورد على صوابه فى تاج العروس بلا نسبة ٢٥٧/١٨ (بيض).

(٢)قال على بن حمزة فى التنبيهات ١٢٩ :

" أساء فى هذا القول ، إنما شبه سلامة بيض الحديد وحده ببيض النعام فأصاب التشبيه ، وهذا البهرانى شبه تألق البيض والدروع ولمعان السيوف والحجف بالشمس ، وذلك مالا يقاومه بريق بيض النعام فضلاً عن أن يربى عليه .... وتمام بيت سلامة الذى أنشده :

بنهى القذاف أو بنهى مخفق " اهـ .

تَسَـــافَهُ أَشْـــدَاقُهَا فِي الجُـــدُلِ[1]

فـ " تسافه " من السَّفَهِ ، وإنَّما يَصِفُها بالمَرَح ، وأنَّها تميل كذا مرة ، وكذا مرة ، كما قاله رؤبة :

يَمْشِي العِرَضْنَى فِي الحَدِيدِ المُتْقَنِ[2]

وكما قال الآخر :

إذَا رَأَى السَّوْطَ مَشَى الْهَيْدَبَى ويَتَّقِي الأَرْضَ بِمُعْجٍ رِقَاقِ[3]

وكما قال الحطيئة [4]:

---

(١) (وإنما يصفها بالمرح ....إلخ) كأن أبا العباس سمع قول ذى الرمة يصف سيفا

وأبيض موشى القميص نصبته على خصر مقلاة سفيه جديلها

فظن أن تسافه الأشداق هو تسافه الجدل و لم يعلم أن تسافه الأشداق أن تترامى بلغامها الأبيض يمنة ويسرة كما قال الجرمى

تسافه أشداقها باللغام فتكسو ذفاريها والجنوبا

فأما تسافه الجدل فهو كما قال تميل كذا مرة وكذا مرة يمينا وشمالا.وذلك من اضطراب رؤوس الإبل. رغبة الآمل ٤/١٣٠ ، ١٣١.

(٢) ملحق ديوانه ص١٨٧، والرجز لأبى الأخزر الحمانى فى تاج العروس ٥٣٨/٢٠ (درع)، ولسان العرب(درع)

(٣) قال ابن السيد : كذا الرواية ، والقوائم لا توصف بالرقة . وكذلك الحوافر والصحيح : دقاق بالدال ، يريد أنها تدق الحجارة ، وهى جمع داق كما يقال :راع ورعاء . (ملحق القرط) ط. الرسالة .

(٤)وقال على بن حمزة فى التنبيهات ١٣٠- ١٣١ :" قد وهم فى هذا التفسير ، وعدل عن المعنى ، واستشهد بما ليس من البيت فى شيء ، وإنما المعنى أنها تترامى بلغامها يمنة وشأمة فتكسو به رؤوسها وحواركها وتؤذى به ركبانها ومن يليها ، وذلك لجدها فى السير ومرحها فيه ، قال الجرمى :

تسافه أشداقها باللغام فتكسو ذفاريها والجنوبا .

.... وقال ذو الرمة :

كأنما ضربت قدَّام أعينها عناً بمستحصد الأوتار محلوج

أراد أخلاص الدم باللغام ، فلذلك شبهه بالعهن ، فهذا معنى تسافه الأشداق ، فأما قول ذى الرمة :

وأبيض موشي القميص نصبته على خصر مقلات سفيه جديلها .

فإنما أراد أن جديلها يضطرب لاضطراب رأسها من النشاط ، وأظن أبا العباس ظن هذا ذاك ، وليس به، ذاك من تسافه الأشداق وهذا من تسافه الجدل" اهـ .

وإنْ آنَسَتْ حِسًّا مِنَ السَّوْطِ عارضت بِيَ الْجَوْرَ حَتَّى تَسْتقيمَ ضُحَى الغد[1]

والجُدُلُ : جمع جَديلٍ وهو الزمامُ المجدول ، كما تقول : قتيل ومقتول ، وأدنى العدد أَجْدِلَةٌ ، كقولك قضيبٌ وقضيب وأَقْضِبةٌ ، وكذلك كَثِيبٌ ورَغيفٌ وجَريبٌ وفُعْلان كَفُعُلٍ في الكثير ، يقال : قُضْبانٌ ورُغْفَانٌ وجُرْبانٌ .

ومثلُ قوله :

تَسَــافَهُ أَشْــدَاقُها في الجُــدُلْ

قولُ حَبيبِ بنِ أَوْسٍ الطائيِّ :

سَفِيهُ الرُّمْحِ جَاهِلُهُ إذَا مَا بَدَا فَضْلُ السَّفِيهِ عَلَى الحَلِيمِ

* * *

ومما يُستحسن من شعر إسحاق هذا قوله في الحسن بن سَهْلٍ :

بَابُ الأَمِيرِ عَرَاءٌ مَا بِهِ أَحَدٌ إلاَّ امْرُؤٌ وَاضِعٌ كفًّا عَلَى ذَقَنِ

قَالَتْ وقَدْ أَمَلَتْ مَا كُنْتُ آمُلُهُ هذَا الأَمِيرُ ابْنُ سَهْلٍ حَاتِمُ الْيَمَنِ

كَفَيْتُكَ النَّاسَ لاَ تَلْقَى أَخَا طَلَبٍ بِفَيْءِ دَارِكَ يَسْتَعِدى عَلَى الزَّمَنِ

إنَّ الرَّجَاءِ الَّذِي قَدْ كُنْتُ آمُلُهُ وَضَعْتُهُ وَرَجَاءَ النَّاسِ فِي كفَنِ

في ا للهِ مِنْهُ وَجَدْوَى كَفِّهِ خَلَفٌ لَيْسَ السَّدَى والنَّدَى في رَاحَةِ الْحَسَنِ

وإسحاق هذا هو الذي يقول في صفة السَّيفِ :

أَلْقَى بِجَانِبِ خَصْرِهِ أَمْضَى مِنَ الأَجَلِ الْمُتَاحْ

---

(١) البيت فى ديوانه ص١٥٥. ولفظه "آنست وقعاً ".

وَكَأَنَّمَــــا ذَرَّ الْهَبَــــا ءَ عَلَيْـــهِ أَنْفَـــاسُ الرِّيَـــاحْ[1]

وإسحاق هذا هو الذي يقول في مَدْحِ العَرَبِيَّةِ :

النَّحْوُ يَبْسُطُ مِـنْ لِسـانِ الأَلْكَـنِ ... وَالمَـرْءُ تُكْرِمُـهُ إِذَا لَـمْ يَلْحَـنِ

وَإِذَا طَلَبْـتَ مِـنَ الْعُلُـومِ أَجَلَّهَـا ... فَأَجَلُّهَـا مِنْهَـا مُقِيـمُ الأَلْسُـنِ[2]

قال أبو العباس : وَأَحْسِبُه أخذ قوله :

وَالمَـرْءُ تُكْرِمُـهُ إِذَا لَـمْ يَلْحَـنِ

من حديث حَدَّثَنَاهُ أبو عثمان المازنيُّ عن الأصمعيِّ قال : كان يقال : ثلاثةٌ يُحْكَمُ لهم بالنُّبْلِ حَتَّى يُدْرَى مَنْ هُمْ ، وهُمْ رجلٌ رَأَيْتَه راكبًا ، أو سَمِعْتَه يُعْرِبُ ، أو شَمِمْتَ منه طيبًا ، وثلاثةٌ يحكم عليهم بالاسْتِصْغار حتى يُدْرَى مَنْ هُمْ ، وهم رجلٌ شَمِمْتَ منه رائحة نَبِيذٍ في مَحْفِلٍ ، أو سمعتَه في مِصْرٍ عَرَبِيٍّ يتكلم بالفارسية ، أو رجلٌ رأيتَه على ظهر طريقٍ ينازعُ في القَدَرِ .

* * *

قال أبو العباس : أنشدني أحدُ الأمراءِ لشاعر من أهل الرَّيِّ يُكْنَى أبا يزيد شيئًا يقولُه لعبد الله بن طاهرٍ أحسنَ فيه وأصاب الفَصَّ ، وقَصَدَ بالمدح إلى مَعْدِنِه واختارَه لأهله :

اشْرَبْ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقًا ... في شَاذَمِهْرَ وَدَعْ غُمْدَانَ لِلْيَمَنِ

فَأَنْتَ أَوْلَى بِتَاجِ المُلْكِ تَلْبَسُه ... مِنْ هَوْذَةَ بن عَلِيٍّ وَابْنِ ذِي يَزَنِ

(١) قال الوقشي : الصحيح أن البيتين لوالبة بن الحباب .(ملحق التعليقات من كتاب القرط)ط. الرسالة .

(٢) البيتان بلا نسبة فى الفاضل ٤، وفيه :" والمرء تعظمه ".

فأحسنَ الترتيب جدًّا ، وإن كانت الملوكُ كلُّها تَلْبَسُ التّاجَ في ذلك الدهر ، وإنما ذكر ابنَ ذي يَزَن لقول أبي الصلت الثقفي :

اشْرَبْ هَنِيئًا عَلَيْكَ التّاجُ مُرْتَفِقًا　　　فِي رَأْسِ غُمْدَانَ دَارًا مِنْكَ مِحْلَالَا (١)

وقال الأعشى في هَوْذَةَ بن عليٍّ ، وإن لم يكن هوذةُ مَلِكًا :

مَنْ يَرَ هَوْذَةَ يَسْجُدْ غَيْرَ مُتَّئِبٍ　　　إِذَا تَعَمَّمَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا

---

(١) صدر البيت الأول فى " اللسان (رق قال ابن منظور : ومنه حديث ابن ذى يزن ثم ذكره ، وقال ابن السيد: قال ابن مرداذبه : كان أحمد بن سعيد بن قادم المعروف بالمالكى أحد القواد مع طاهر بن عبد الله بن طاهر ، وكان معه بالرى ، وكان معه من السلطان مغنيًا كثير الغناء ، فحضر مجلس طاهر فى متنزه بظاهر الرى فى موضع يعرف بشاذمهر ، وقيل حضره بقصره الشاذياخ فغنى هذا المغنى :

اشرب هنيئًا عليك التاج مرتفعًا　　　بالشاذياخ ودع غمدان لليمن

فأنت أولى بتاج الملك ...البيت

قال فطرب طاهر واستعاده مرات وشرب عليه حتى سكر ، وأعطى لأحمد بن سعيد الجائزة (ملحق كتاب القرط) ط . الرسالة

والبيت من البسيط وهو لأبى الصلت الثقفى فى ديوان ابنه أمية ص٥٢،ومعجم البلدان ٤/ ٢١٠ (غمدان)، وعجزه بلا نسبة فى لسان العرب (غمد)، وتاج العروس ٣٥١/٢٥(رفق) ، وجمهرة اللغة ص٣٤٠. والبيت من كلمة له كما فى السيرة النبوية ٦٧/١-٦٨، وطبقات فحول الشعراء ٢٦٠-٢٦٢، والشعر والشعراء ٤٦١، وأكثر الرواة ينسب القصيدة التى من ضمنها هذا البيت لأبى الصلت وبعضهم ينسبها لابنه أمية انظر ديوانه ص٤٥٨ ، وقدأفاض محقق الديوان فى تخريجها والكلام عليها انظر الديوان ص٥٨٨-٥٩٢، وبعضهم ينسبها لزمعة جد أمية وقد روى البيت بلفظ

اشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم　　　وأسبل اليوم فى برديك إسبالا

وقد روى البيت بلفظ .

وهو لأبى الصلت فى ديوان أمية ابنه ص٥٢، ولسان العرب (نعم) ، ولأمية بن أبى الصلت فى جمهرة اللغة ص٣٤٠ .

لَــهُ أَكَــالِيلُ بِالْيَــاقُوتِ فَصَّلَهَــا صَوَّاغُهَا لاَ تَرَى عَيْبًا وَلاَ طَبَعًا[1]

قال أبو العباس:وحدثني التوزي ، قال سمعتُ أبا عُبيدةَ يقول عن أبي عمرو قال : لَمْ يَتَتوَّجْ مَعَدِّي قطُّ ، إنما كانت التيجان لليمن فسألته عن هوذة بن علي الحنفيِّ ، فقال : إنما كانتْ خرزاتٌ تُنْظم له . قال أبو العباس : وقد كتب رسولُ الله ﷺ إلى هَوْذَةَ بن عليٍّ يدعوه [2] كما كتب إلى الملوك ، وكان يُجيزَ لَطِيمَةَ كِسْرَى في البرِّ بِجَنَبَاتِ اليمامة . واللَّطيمةُ : الإبلُ تَحْمِلُ الطِّيبَ والبَزَّ . ووفَدَ هَوْذَةُ بن عليٍّ على كِسْرَى بهذا السبب فسأله عن بَنِيهِ فذكر منهم عددًا فقال : أيُّهم أحبُّ إليك ؟ فقال : الصَّغيرُ حتَّى يَكْبَرَ ، والغائبُ حتَّى يَقْدَمَ والمريضُ حتى يَصِحَّ ، فقال له كسرى : ما غِذاؤُكَ في بَلَدِك ؟ فقال : الخُبْزُ ، فقال كسرى لِجُلسائه : هذا عَقْلُ الخُبْزِ ؛ يُفَضِّلُهُ على عقول أهل البوادي الذين يَغْتذونَ اللَّبَنَ والتمْرَ .

وقد رُوِي عن رسول الله ﷺ أنه قال : **لَقَدْ هَمَمْتُ ألا أقْبلَ هَدِيَّةً - ويروى ألاَّ أتَّهِبَ هِبَةً - إلا من قُرَشِيٍّ أو أنْصَارِيٍّ أو ثَقَفِيٍّ ، وروى بعضُهم : أَو دَوْسِيٍّ .**

---

(١) البيتان من البسيط وهما للأعشى فى ديوانه ص١٥٧ ، والبيت الأول فى لسان العرب (وأب) ، (هوذ) ، وتاج العروس ٣٢٨/٤(وأب)، ٥٠٩/٩ (هوذ) ٤٤١/٢١(طبع) ، والمخصص ١٠٧/١٣ ، بلفظ :" من يلق هوذة".

والبيت الثانى ، بلا نسبة فى مقاييس اللغة ٤٣٩/٣

(٢)قال الشيخ المرصفى :" يروى أنه ، بعث إليه سليط بن عمرو العامرى القرشى بكتاب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . سلام على من اتبع الهدى واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر فأسلم لتسلم وأجعلُ لك ما تحت يديك . فأرسل هوذة إليه : إن جعلت الأمر من بعدك لى أسلمت وسرت إليك ونصرتك وإلا قصدت حربك .فقال رسول الله : لا ولا كرامة ، اللهم اكفنيه . فمات بعد قليل" رغبة الآمل ١٣٦/٤. وانظر الكامل فى التاريخ ٢/ ٢١٥ ، وعيون الأثر ٢٦٩/٢ .

وذلك أن أعرابيًا أهدى إليه هدية فَمَنَّ بها ، فذكر رسول الله ﷺ أَهْلَ الأَمْصار تفضيلاً على أهل البوادي [1].

* * *

وقال عبدُ الله بن محمدِ بن أبي عُيَيْنَةَ يعاتبُ رجلاً من الأشراف :

أَتَيْتُكَ زَائِرًا لِقَضَاءِ حَقٍّ ... فَحَالَ السِّتْرُ دُونَكَ وَالْحِجَابُ
وَعِنْدَكَ مَعْشَرٌ فِيهِمْ أَخٌ لِي ... كَأَنَّ إِخَاءَهُ الآلُ السَّرَابُ
وَلَسْتُ بِسَاقِطٍ فِي قِدْرِ قَوْمٍ ... وَإِنْ كَرُمُوا كَمَا يَقَعُ الذُّبَابُ
وَرَائِي مَذْهَبٌ عَنْ كُلِّ نَاءٍ ... بِجَانِبِهِ إِذَا عَزَّ الذَّهَابُ [2]

وقال أيضًا :

كُنَّا مُلُوكًا إِذْ كَانَ أَوَّلُنَا ... لِلْجُودِ وَالْبَأْسِ وَالعُلَى خُلِقُوا
كَانُوا جِبَالاً عِزًّا يُلاذُ بِهَا ... وَرَائِحَاتٍ بِالوَبْلِ تَنْبَعِقُ
كَانُوا بِهِمْ تُرْسِلُ السَّمَاءُ عَلَى الْـ ... أَرْضِ غِيَاثًا وَيُشْرِقُ الأُفُقُ
لاَ يَرْتُقُ الرَّاتِقُونَ إِنْ فَتَقُوا ... فَتْقًا وَلاَ يَفْتُقُونَ مَا رَتَقُوا

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد فى المسند (٢/٢٩٢) والترمذى فى المناقب برقم ٤٢٢٢ من حديث أبى هريرة " أن أعرابيًا أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكرة فعوضه منها ست بكرات فتسخطه ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن فلاناً أهدى إلى ناقة فعوضته منها ست بكرات فظل ساخطاً ، ولقد هممت أن لا أقبل هدية إلا من قرشى أو أنصارى أو ثقفى أو دوسي ". وبغير هذا السياق أورده البخارى فى الأدب المفرد ، وأبو داود . وانظر صحيح الترمذى (ح٣٠٩١،٣٠٩٢)، وصحيح الأدب المفرد (ح٤٦٤)، وصحيح أبى دواد (ح٣٠٢١) ، وصحيح الجامع (ح٥١٤٦)، وزاد نسبته إلى النسائى ، وعزاه إلى أحمد والبخارى فى الأدب المفرد وأبى داود ــ وابن حبان والبيهقى فى "الشعب " من حديث ابن عباس . وراجع الصحيحة (ح٢٦٨٤)

(٢) الأبيات من الوافر ، والبيت الثانى بلا نسبة فى تذكرة النحاة ٤٧٦ .

لَيْسُوا كَمِعْزى مَطِيرَةٍ بَقِيَتْ فَمَا بِهَا مِنْ سَحَابَةٍ لَثَقُ[1]
وَالضَّعْفُ وَالْجُبْنُ عِنْدَ نَائِبَةٍ تَنُوبُهُمْ وَالْجِذَارُ وَالْفَرَقُ
هَذَا زَمَانٌ بِالنَّاسِ مُنْقَلِبٌ ظَهْرًا لِبَطْنٍ جَدِيدُهُ خَلَقُ[2]
الأُسْدُ فِيهِ عَلَى بَرَائِنِهَا مُسْتَأْخِرَاتٌ تَكَادُ تَمَّزِقُ

وكان سببُ قوله هذا الشعر أنَّ إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن عليٍّ بن عبد الله بن العباس كان له صديقًا ، وكان عبد الله بنُ محمد بن أبي عُيينة من رؤساء من أخذ البصرة للمأمون في أيام المَخْلوع [3]، وكان معاضدًا لطاهر بن الحسين في حروبه ، وكان إسماعيل بنُ جعفر جليلَ القَدْرِ مُطاعًا في مواليه وأهله ، وكانت الحال بينهما ألطف حال ، فوصله ابنُ أبي عيينة بذي اليمينَيْن فَوَلاَّه البصرة ، ووَلَّى ابنَ أبي عيينة اليمامة والبَحْرَين وغوصَ البحرِ ، فلما رجعا إلى البصرة تنَكَّرَ إسماعيلُ لابن أبي عيينة فهاجَ بينهما من التباعد على مِثال ما كان بينهما من المقاربة ، ثم عُزِلَ ابنُ أبي عيينةَ فلم يزلْ يهجو إسماعيل ، وسأل ذا اليمينين عَزْلَهُ فدافعه ، وضنَّ بالرَّجُل ، فكان يهجو من أهله من يواصل إسماعيل ، وكان أكْبَرَ أهله قدرًا في ذلك الوقت يزيدُ بنُ المُنْجَابِ ، وكان أعورَ قائمَ العين لم يُطَّلَعْ على عِلتِه إلا بشعر ابن أبي عيينة ، وكان منهم ـ وكان سيِّدَ أهل البصرة أجمعين ـ محمدُ بن عَبَّادِ بن عبَّادِ بنِ حَبِيبِ بن المُهَلَّبِ ، ومنهم سعيدُ بن المُهَلَّبِ بن المغيرة بن حربِ بن محمد بن المُهَلَّبِ بن أبي صُفْرَةَ ، وكان قصيرًا ، وكان ابنُ عبادٍ أحْوَلَ فذلك حيث يقول ابنُ أبي عيينة في هذا الشعر الذي أمْلَيناه :

تَسْتَقْدِمُ النَّعْجَتَانِ والبَرَقُ في زَمَنٍ سَرْوُ أَهْلِهِ المَلَقُ

(١)بعده في زيادات بعض النسخ : اللثق : البلل

(٢)البيت في الشعر والشعراء ٨٧٥ .

(٣)قال الشيخ المرصفي :" هو الأمين بن هارون خلعه أهل مكة والمدينة وكثير من عماله وبايعوا للمأمون وهو بخراسان". رغبة الآمل ١٣٨/٤.

عُـورٌ وَحُـولٌ وَثَـالِثٌ لَهُـمُ ... كَأَنَّـهُ بَيْـنَ أَسْـطُرٍ لَحَـقُ [1]

ولهم يقول ولاثْنَين ظنَّ أنهما معهم وقد مرُّوا به يريدون إسماعيلَ بنَ جعفرٍ :

أَلاَ قُـلْ لِرَهْـطٍ خَمْسَـةٍ أَوْ ثَلاَثَـةٍ ... يُعَـدُّونَ مِـنْ أَبْنَـاءِ آلِ الْمُهَلَّـبِ

عَلَى بَابِ إسْمَاعِيل رُوحُوا وَبَكِّـرُوا ... دَجَاجَ الْقُرَى مَبْثوثَةً حَوْلَ ثَعْلَبِ

وَأَثْنُـوا عليـه بـالجَمِيلِ فَإِنَّـهُ ... يُسِرُّ لكم حبـًّا هُوَ الْحُبُّ وَاقْلِبِ

يلِـينُ لَكُـمْ عِنْـدَ اللّقَـاءِ مُوَارِبًـا ... وَيَخْلُفُكُـمْ مِنْـهُ بِنَـابٍ وَمِخْلَـبِ

وَلَـوْلاَ الَّـذِي تُولُونَـهُ لَتَكَشَّـفَتْ ... سَـرِيرَتُهُ عَـنْ بَغْضَـةٍ وَتَعَصُّـبِ

أَبَعْـدَ بَلاَئِـي عِنْـدَهُ إذْ وَجَدْتُـهُ ... طَرِيحًا كَنَصْلِ الْقِدْحِ لَمَّا يُرَكَّـبِ

بِـهِ صَـدَأٌ قَـدْ عَابَـهُ فَجَلَوْتُـهُ ... بِكَفِّـيَ حَتَّى ضَوءُهُ ضَوْءُ كَوْكَـبِ

وَرَكَّبْتُـهُ فِي خُـوطِ نَبْـعٍ ورِشْـتُهُ ... بِقَـادِمَتَيْ نَسْـرٍ وَمَتْـنٍ مُعَقَّـبِ

فَمَـا إنْ اتَـانِي مِنْـهُ إلاَّ مُبَـوَّأً ... إلَـيَّ بِنَصْـلٍ كَـالْحَرِيقِ مُـذَرَّبِ

فَفَلَّلْـتُ مِنْـهُ حَـدَّهُ وَتَرَكْتُـهُ ... كَهُدْبَةِ ثَـوْبِ الْخَـزِّ لَمَّـا يُهَـذَّبِ

رَضِيتُـمْ بِـأَخْلاَقِ الدَّنِـيِّ وَعِفْتُـمُ ... خَلاَئِقَ مَاضِيكُمْ مِنَ الْعَـمِّ وَالأَبِ

وفي هذا يقول لطاهر بن الحسين :

مَـالِي رَأَيْتُـكَ تُدْنِـي كُـلَّ مُنْتَكِـثٍ ... إذَا تَغَيَّـبَ مُلْتَـاثٍ إذَا حَضَـرَا

إذَا تَنَسَّـمَ رِيـحَ الْغَـدْرِ قَابَلَهَـا ... حَتَّـى إذَا نَفَخَـتْ فِي أَنْفِـهِ غَـدَرَا

وَمَنْ يَجِيءُ عَلَى التَّقْرِيـبِ مِنْـكَ لَهُ ... وَأَنْـتَ تَعْرِفُ فِيـهِ الْمَيْـلَ والصَّعَـرَا

أَحَلَّـكَ ا للهُ مِـنْ قَحْطَـانَ مَنْزِلَـةً ... فِي الرَّأْسَ حَيْثُ أَحَلَّ السَّمْعَ وَالْبَصَـرَا

فَـلاَ تُضِـعْ حَـقَّ قَحْطَـانٍ فَتُغْضِبَهَـا ... ولا رَبِيعَـةَ كَـلاَّ لاَ وَلاَ مُضَـرَا

أَعْطِ الرِّجَـالَ عَلَى مِقْدَارِ أَنْفُسِـهِمْ ... وَأَوْلِ كُـلاًّ بِمَـا أَوْلَـى وَمَـا صَـبَرَا

---

(١) البيتان فى الشعر والشعراء ٨٧٤-٨٧٥ .

وَلاَ تَقُولَنَّ إنِّي لَسْتُ مِنْ أحَدٍ ... لاَ تَمْحَقِ النَّيِّرَيْنِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَا

ويقول له في أخرى :

هُوَ الصَّبْرُ وَالتَّسْلِيمُ لِلّهِ وَالرِّضَا ... إذَا نَزَلَتْ بِي خُطَّةٌ لاَ أشَاؤُها

إذا نَحْنُ أبْنَا سَالِمِينَ بِأنْفُسٍ ... كِرَامٍ رَجَتْ أمْرًا فَخَابَ رَجَاؤُهَا

فَأنْفُسُنَا خَيْرُ الْغَنِيمَةِ إنَّهَا ... تَؤُوبُ وَفِيهَا مَاؤُهَا وَحَيَاؤُهَا

هي الأنْفُسُ الكُبْرُ التي إنْ تَقَدَّمَتْ ... أو اسْتأخَرَتْ فَالْقَتْلُ بالسَّيْفِ دَاؤُهَا

سَيَعْلَمُ إسْمَاعِيلُ أنَّ عَدَاوَتِي ... لَهُ رِيقُ أفْعَى لاَ يُصَابُ دَوَاؤُهَا[1]

ولَمَّا حُمِلَ إسماعيلُ مُقَيَّدًا ، ومعه ابناه أحدهما في سلسلة معه مَقْرُونٌ ، وكان الذي تولى ذلك أحمدُ بنُ أبي خالدٍ في قِصَّةٍ كانت لإسماعيل أيامَ الخُضْرَةِ[2] ، فقال ابنُ أبي عُيَينةَ في ذلك :

مَرَّ إسْمَاعِيلُ وَابْنَا ... هُ مَعًا في الأسَرَاءِ

جَالِسًا في مَحْمِلٍ ضَنْـ ... ـكٍ عَلَى غَيْرِ وِطَاءِ

يَتَغَنَّى الْقَيْدُ في رِجْـ ... ـلَيْهِ ألْوَانَ الغِنَاءِ

بَاكِيًا لاَ رَقَأتْ عَيْـ ... ـنَاهُ مِنْ طُولِ الْبُكَاءِ

---

(١) الأبيات فى الشعر والشعراء ٨٧٤.

(٢)قال الشيخ المرصفى :" هى الأيام التى أمر المأمون فيها جنده وقواده وبنى هاشم أن تطرح شعار السواد وأن تلبس الخضرة فى أقبيتهم وقلانسهم وأعلامهم يوم أن جعل عليَّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن حسين بن على بن أبى طالب ولىَّ عهد المسلمين والخليفة من بعده وسماه الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وكتب بذلك إلى الآفاق فغضب بنو العباس . وكان إسماعيل بن جعفر أشد الناس غضبا حتى أظهر خلع المأمون فوجه إليه المأمون قائده عيسى بن يزيد فلما أشرف على البصرة رحل إسماعيل منها إلى الحسن بن سهل فحبسه وكتب إلى المأمون فأمر بحمله إلى مرو فلما قرب منها أمر برده إلى جرجان فحبسه بها فلما أعيته الحيلة وجه بالبيعة للرضا إلى المأمون فرضى عنه ، وكان ذلك سنة إحدى ومائتين " . رغبة الآمل ١٤١/٤.

يَـا عُقَـابَ الدَّجْـنِ فِي الأَمْــ ـــنِ وَفِـي الخَـوفِ ابـنَ مَـاءِ

وقد كان تَطَيَّرَ عليه بِمِثْلِ ما نَزَلَ به ، فمن ذلك قولُه :

لاَ تَعْـدَمِ الْعَـزْلَ يَـا أَبَـا الحسَـنِ وَلاَ هُــزالاً في دَوْلَـةِ السِّـمَنِ

وَلاَ انْتِقَـالاً مِـنْ دَارِ عَافِيَـةٍ إِلَـى دِيَـار الْبَـلاَءِ وَالفِتَـنِ

وَلاَ خُرُوجًا إِلَـى القِفَـارِ مَـنَ الْـ أَرْضِ وَتَـرْكَ الأَحْبَـابِ والوَطَـنِ

كَـمْ رَوْحَـةٍ فيـكَ لِـي مُهَجِّـرَةٍ وَدُلْجَـةٍ في بَقِيَّـةِ الْوَسَـنِ

في الحَرِّ والقُـرِّ كَيْ تُوَلَّى عَلَى الْـ ـبَصْـرَةِ عَيْـنِ الأَمْصَـارِ وَالْمُـدُنِ

إِنِّـي أُحَـاجِيكَ يَـا أَبَـا حَسَـنِ مـا صُـورَةٌ صُـوِّرَتْ فَلَـمْ تَكُـنِ[1]

وَمَـا بَهِـيٌّ في الْعَيْـنِ مَنْظَـرُهُ لَـوْ وَزَنُـوه بِـالزِّفِّ لَـمْ يَـزِنِ

ظَـاهِرُهُ رَائِـعٌ وَبَاطِنُـهُ مَـلآنُ مِـنْ سَـوْأَةٍ وَمِـنْ دَرَنِ

وهذا الشعر اعترض له فيه عَمْرو بن زَعْبَلٍ مولى بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، وكان منقطعًا إلى إسماعيل وولده ، وكان لا يَبْلُغُ ابن أبي عُيينة في الشعر ولا يدانيه ، ومن أمثل شعره وما اعترض له به قوله :

إِنِّـي أُحَاجِيكَ مَـا حَنِيـفٌ عَلَـى الْـ ـفِطْـرَةِ بَـاعَ الرِّبَـاحَ بِـالْغَبَنِ[2]

---

(١)بهامش نسخة ما نصه:" قوله : يعنى المهجو ، وقيل ، يعنى العنقاء . وكذلك البيت الثانى قيل : يعنى المهجو وقيل :يعنى النار . والبيت الثالث قيل :هو المهجو لا غير " اهـ .

(٢) قال محقق (س) بهامش نسخة ما نصه :" ماحنيف على الفطرة يعنى إبليس لعنه ا الله ، وفى البيت الذى يليه الحائك ، ويعنى بالسهام أنساق الحائك واحدها نسق ويقال له أيضاً منسق وقول العامة زق مصحف ، والسيوف سيوف الحائك وهذه التسمية واقعة على مشهور من آلتهم وقوله : وما ابن ماء يعنى : الحوت ، وما عقاب يعنى السفينة ، وهذه الإشارة كلها فى محاجاته إنما هى إشارة إلى ابن أبى عيينة إذ لا ظاهر لإبليس ، وإشارته إلى الحياكة بآلاتها وإلى السفينة بصفاتها وإلى ابن ماء بلغزه إنما يريد أن فى أجداد ابن أبى عيينة من يعاب بهذه الصناعات اللئيمة من الحياكة وتصييد الحوت وتخدم السفن" اهـ .

وَمَـا شُـيَيْخٌ مِـنْ تَحْـتِ سِـدْرَتِهِ ... مُعَلَّـقٌ نَعْلَـهُ عَلَـى غُصُـنِ
وَمَـا سُـيُوفٌ حُمْـرٌ مُصَقَّلَـةٌ ... قَـدْ غُرِّبَـتْ مِـنْ مَقَـابِضِ السُّـفُنِ
وَمَـا سِـهَامٌ صُفْـرٌ مُجَوَّفَـةٌ ... تُحْشَـى خُيُـوطَ الْكَتَّـانِ وَالقُطُـنِ
وَمَـا ابْـنُ مَـاءٍ إِنْ يُخْرِجُوهُ إِلَـى الْـ ... أَرْضِ تَسِـلْ نَفْسُـهُ مِـنَ الأُذُنِ
وَمَـا عُقَـابٌ زَوْرَاءُ تُلْجَـمُ مِـنْ ... خَلـفٍ فَتَهْوِى قَصْـدًا عَلَـى سَنَنِ
لَهَـا جَنَاحَـانِ يَحْفِـزَانِ بِهَـا ... نِيطَـا إِلَيْهَـا بِجِذْوَتَـي رَسَـنِ
يَـا ذَا الْيَمِينَـيْنِ اضْـرِبْ عِلاَوَتَـهُ ... يُدْفَـعْ وَمَـانِي فِي النَّـارِ فِي قَـرَنِ

فأجابه إبراهيم السَّوَّاقُ مولى آلِ المُهَلَّبِ ، وكان مُقَدَّمًا في الشعر بأبيات لا أحفظ أكثرَها منها :

قَـدْ قِيـلَ مـا قِيـلَ فِي أَبِـي حَسَـنٍ ... فَـانْتَحِرُوا فِي تَطَـاوُلِ الزَّمَـنِ

وهذا السواق هو الذي يقول لبُسْرِ بـن داودَ بـن يزيـد بـن حـاتم بـن قبيصـة بـن المهلب :

سَـمَاؤُكَ تُمْطِـرُ الذَّهَبَـا ... وَحَرْبُـكَ تَلْتَظِـي لَهَبَـا
وَأَيُّ كَتِيبَـةٍ لاَقْتَـ ... ـكَ لَـمْ تَسْتَحْسِـنَ الهَرَبَـا

ومن شعره السائر :

هَبِينِـي يَـا مُعَذِّبَتِـي أَسَـأْتُ ... وَبِـالْهِجْرَانِ قَبْلَكُـمُ بَـدَأْتُ
فَأَيْنَ الْفَضْلُ مِنْكِ فَدَتْكِ نَفْسِي ... عَلَـيَّ إِذَا أَسَـأْتِ كَمَـا أَسَـأْتُ[1]

ولابن أبي عُيينـة في هـذا المعنـى أشـعارٌ كثـيرةٌ في معاتبـات ذي اليمينـين وهجـاء إسماعيل وغيره سنذكرها بعدُ في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ومن شعره المُستحسن

---

(١) قال ابن السيد : أنشد ابن الجراح هذين البيتين لأبى راسب البجلى وهو شاعر من أهل البصرة . (ملحق تعليقات كتاب القرط) ط. الرسالة .

قولُه في عيسى بن سليمان بن عليٍّ بن عبد الله بن العباس ، وكان تَزَوَّج امرأةً منهم يقال لها فاطمة بنتُ عُمَرَ بن حفص هزارْمَرْدَ ، وهو من ولد قبيصة بن أبي صفرة ،

ولم يلده المهلب ، وكان يقال لأبي صفرةَ ظالمُ بنُ سرَّاق :

أَفَاطِمَ قَدْ تزوَّجْتِ عِيسى فَأَيْقِنِي ... بِذُلٍّ لَدَيْهِ عَاجِلٍ غَيْرِ آجِلِ

فَإِنَّكِ قَدْ زُوِّجْت عَنْ غَيْرِ خِبْرَةٍ ... فَتًى مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ لَيْسَ بِعَاقِلِ

فَإِنْ قُلْتِ مِنْ رَهْطِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ ... وَإِنْ كَانَ حُرَّ الأَصْلِ عَبْدُ الشَّمائِلِ

فَقَدْ ظَفِرَتْ كَفَّاهُ مِنْكِ بِطَائِلٍ ... وَمَا ظَفِرَتْ كَفَّاكِ مِنْهُ بِطَائِلِ

وقَدْ قَالَ فِيهِ جَعْفَرٌ وَمُحَمَّدٌ ... أَقَاوِيلَ حَتَّى قَالَهَا كُلُّ قَائِلِ

وَمَا قُلْتُ مَا قَالاَ لإِنَّكِ أُخْتُنَا ... وفي البَيْتِ مِنَّا الذُّرَا وَالْكَوَاهِلِ

لَعَمْرِي لَقَدْ أَثْبَتُّهِ في نِصَابِهِ ... طَإِنْ صِرْتِ مِنْهُ في مَحَلِّ الحَلاَئِلِ

إِذَا مَا بَنُو الْعَبَّاسِ يَوْمًا تَبَادَرُوا ... عُرَا المَجْد وَابْتَاعُوا كِرَامَ الْفَضَائِلِ

رَأَيْتِ أَبَا الْعَبَّاسِ يَسْمُو بِنفْسِهِ ... إِلَى بَيْعِ بَيَّاحَاتِهِ وَالمَبَاقِلِ

يُرَخِّمُ بَيْضَ الْعَامِ تَحْتَ دَجَاجِهِ ... لِيُخْرِجَ بَيْضًا مِنْ فَرَارِيجِ قَابِلِ [1]

قال أبو العباس : وَوَلَدُ عيسى من فاطمة هذه لَهُمْ شجاعةٌ وَنَجْدَةٌ وشِدَّة أبدان؛ وفاطمة التي ذكرتها هي التي كانت [2] يَنْسِبُ بها أبو عُيينة أخو عبد الله ويَكْنِي عنها بـ " دُنْيا " ، ومن ذلك قوله لها :

دَعَوْتُكِ بالْقَرَابَةِ وَالْجِوَارِ ... دُعَاءَ مُصَرِّح بَادِي السِّرَارِ

لأَنِّي عَنْكِ مُشْتَغِلٌ بِنَفْسِي ... وَمُحْتَرِقٌ عَلَيْكَ بِغَيْرِ نَارِ

وَأَنْتِ تَوَقَّرِينَ وَلَيْسَ عِنْدِي ... عَلَى نَارِ الصَّبَابَةِ مِنْ وَقَارِ

فَأَنْتِ لأنَّ مَا بِكِ دُونَ مَا بِي ... تُدَارِينَ الْعُيُونَ وَلاَ أُدَارِي

---

(١) الأبيات فى الأغانى ٢٠/٨٤_٨٥، وفيه :" لديه بذل"

(٢)فى بعض النسخ : كانت .

وَلَــوْ وَا للهِ تَشْـتَاقِينَ شَــوْقِي ... جمَحْـتِ إِلَـيَّ خَالِعَـةَ الْعِـذَارِ [١]

وقال عبد الله يعاتبُ ذا اليمينين :

مَـنْ مُبْلِـغٌ عَنِّـي الأَمِـيرَ رِسَـالَةً ... مَحْصُـورَةً عِنْـدِي عِـنِ الإِنْشَـادِ
كُـلُّ المَصَـائِبِ قَـدْ تَمُـرُّ عَلَى الْفَتَـى ... فَتهُـونُ غَـيْرَ شَـمَاتِةِ الحُسَّـادِ
وَأَظُـنُّ لِـي مِنْهَـا لَدَيْـكَ خَبِيئَـةً ... سَـتَكُونُ عِنْـدَ الـزَّادِ آخِـرَ زَادِ
مَـالِي أَرَى أَمْـرِي لَدَيْـكَ كَأَنَّـهُ ... مِـنْ ثِقْلِـهِ طَـوْدٌ مِـنَ الأَطْـوَادِ
وَأَرَاكَ تُرْجِيـهِ وَتُمضِـي غَـيْرَهُ ... فِي سَـاعَةِ الإِصْـدَارِ وَالإِيْـرَادِ
ا للهُ يَعْلَـمُ مَـا أَتَيْتُـكَ زَائِـرًا ... مِنْ ضِيقِ ذَاتِ يَـدٍ وَضِيقِ بِـلاَدِ
لَكِـنْ أَتَيْتُـكَ زَائِـرًا لَـكَ رَاجِيًـا ... بِـكَ رُتْبَـةَ الآبَـاءِ وَالأَجْـدَادِ
قَـدْ كَانَ لِي بِالْمِصْرِ يَـوْمٌ جَـامِعٌ ... لَـكَ مُصْلِـحٌ فِيـهِ لِكُـلِّ فَسَـادِ
وَدَعَـوْتُ مَنْصُـورًا فَـأَعْلَنَ بَيْعَـةً ... فِي جَمْـعِ أَهْـلِ المِصْـرِ والأَجْنَـادِ
بَـارَتْ مُسَـارَعَتِي إِلَيْـكَ بِطَـاعَتِي ... كُـلَّ البَـوَارِ وآذَنَـتْ بِكَسَـادِ
فِي الأَرْضِ مُنْفَسَـحٌ وَرِزقٌ وَاسِـعٌ ... لِي عَنْـكَ فِي غَـوْرِي وفِي إِنْجَـادِي

وقال أيضًا يعاتبه :

أَيَـا ذَا الْيَمِينَيْـنِ إِنَّ الْعِتَـا ... بَ يُغْـرِي صُـدُورًا وَيَشْـفِي صُـدُورا
وَكُنْـتُ أَرَى أَنَّ تَـرْكَ العِتَـا ... بِ خَـيْرٌ وَأَجْـدَرُ أَلاَّ يَضِـيرا
إِلَـى أَنْ ظَنَنْـتُ بِـأَنْ قَـدْ ظَنَنْـتَ ... بِـأَنِّي لِنَفْسِـيَ أَرْضَـى الحَقِـيرَا
فَـأَضْمَرَتِ النَّفْـسُ فِـي وَهْمِهَـا ... مِـنَ الْهَـمِّ هَمًّـا يَكُـدُّ الضَّمِـيرَا
وَلاَ بُـدَّ لِلْمَـاءِ فِي مِرْجَـلٍ ... عَلَـى النَّـارِ مُوَقَـدَةً أَنْ يَفُـورَا
وَمَـنْ أُشْـرِبَ الْيَـأْسَ كَـانَ الْغَنِـيَّ ... وَمَـنْ أُشْـرِبَ الحِرصَ كَانَ الْفَقِـيرَا

(١) الأبيات فى الأغانى ٢٠/٨٥ .

عَـــلامَ وَفِيـــمَ أَرَى طَـــاعَتِي لَدَيْـكَ ونَصْري لَـكَ الدَّهْـرَ بُـورَا

أَلَـمْ أَكُ بـالمِصْرِ أَدْعُـو البَعِيـدَ إِلَيْـكَ وأَدْعُـو القَرِيـبَ العَشِيـرا

أَلَـــمْ أَكُ أَوَّلَ آتٍ أَتَـــاكَ بطَاعَـةِ مَـنْ كَـانَ خَلْفِـي بَشِيـرَا

وأَلْـزَمُ غَـرْزَكَ فِي مَـأَقِطِ الْـ ـحُـرُوبِ عَلَيْهَـا مُقِيمًـا صَبُـورَا

فَفِيـــمَ تُقَـــدِّمُ جَفَّالَـــةً إِلَيْـكَ أَمَـامِي وَأُدْعَـى أَخِيـرَا

كَـأَنَّكَ لَـمْ تَـرَ أَنَّ الْفَتَـى الْـ ـحَمِـيَّ إذا زَارَ يَوْمًـا أَمِيـرَا

فَقُـدِّمَ مَـنْ دُونَـهُ قَبْلَـهُ أَلَسْـتَ تَـرَاهُ بسُـخْطٍ جَدِيـرًا

أَلَسْـتَ تَـرَى أَنَّ سَـفَّ الـتُّرَابِ بِـهِ كَـانَ أَكْـرَمَ مِـنْ أَنْ يَـزُورَا

وَلَسْـتُ ضَعِيـفَ المَـدَى والهَـوَى أَكُـونُ الصَّبَـا وَأَكُـونُ الدَّبُـورَا

وَلَكِـنْ شِـهَابٌ فَـإِنْ تَـرْمِ بـي مُهِمًّـا تَجِـدْ كَوْكَبِـي مُسْـتَنِيرَا

فَهَـلْ لَـكَ فِي الإذْنِ لِي رَاضِيًـا فَـإِنِّي أَرَى الإِذْنَ غُنْمًـا كَبِيـرَا

وَكَـانَ لَـكَ اللهُ فِيمَـا ابْتُعِثْـتَ لَـهُ مِـنْ جِهَـادٍ وَنَصْـرٍ نَصِيـرَا

وَلاَ جَعَـلَ اللهُ فِـي دَوْلَـةٍ سَـبَقْتَ إِلَيْهَـا وَرِيـحٍ فُتُـورَا

فَـإِنَّ وَرَائِـيَ لِـي مَذْهَبًـا بَعِيـدًا مِـنَ الأَرْضِ قَاعًـا وَقُـورَا

بِـهِ الضَّـبُّ تَحْسِـبُهُ بـالْفَلاَةِ إِذَا خَفَـقَ الآلُ فِيهَـا بَعِيـرَا

وَمَـالاً وَمِصْـرًا عَلَـى أَهْلِـهِ يَـدُ اللهِ مِـنْ جَـائِرٍ أَنْ يَجُـورَا

وَإِنِّـي لَمِـنْ خَـيْرِ سُـكَّانِهِ وَأَكْـثَرِهِمْ بِنَفِـيرِي نَفِـيرَا[1]

وقال عبدُ الله لعليِّ بن محمد بن جعفر بن محمدِ بن عليِّ بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ﷺ ، وكان دعاهُ إلى نُصْرَته[2] حين ظهرت المُبَيِّضَة[3] فلم يُجِبْهُ ، فتوعَّده عليٌّ ،فقال عبد الله :

(١) الأبيات ١-٩،١١-١٤،١٧ فى الشعر والشعراء ٨٧٣.

(٢)(وكان دعاه إلى نصرته)يريد إلى نصرة أبيه محمد بن جعفر وكان أهل مكة وآل أبى طالب اجتمعوا إليه عقب موت الأمين يبايعونه وسموه أمير المؤمنين وكان القائم بالدعاء إليه ابنه على والحسين بن الحسن الأفطس ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وكانا أسوأ الناس سيرة فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم من معهم فحاربوهم فانهزم محمد بن جعفر وأصحابه ثم طلب الأمان وقد خلع نفسه وبايع المأمون ثم خرج به عيسى ابن يزيد وسلمه للحسن بن سهل فبعث به إلى المأمون مع رجاء بن أبى الضحاك .

(٣) قال الشيخ المرصفى :" هم قوم من أعداء الدولة العباسية جعلوا شعارهم بيض الثياب يخالفون به شعار بنى العباس من لباس السواد " رغبة الآمل ١٥٠/٤ .

أَعَلِـيّ إنَّـكَ جَـاهِلٌ مَغْـرُورُ ... لاَ ظُلْمَـةٌ لَـكَ لاَ وَلاَ لَـكَ نُـورُ

أَكَتَبْـتَ تُوعِدُنـي أن اسْـتَبْطَأْتَنِي ... إنِّـي بِحَرْبِـكَ مَـا حَيِيـتُ جَدِيـرُ

فَـدَعِ الْوَعِيـدَ فَمَـا وَعِيـدُكَ ضَـائِرِي ... أَطَنِـينُ أَجْنِحَـةِ الْبَعُـوضِ يَضِـيرُ

وَإذَا ارْتَحَلْـتُ فَـإنَّ نَصْـرِيَ لِلأُلَـى ... أَبَوَاهُـمُ الْمَهْـدِيُّ وَالْمَنْصُـورُ

نَبَتَـتْ عَلَيْـهِ لُحومُنَـا وَدِمَاؤُنَـا ... وَعَلَيْـهِ قُـدِّرَ سَـعْيُنَا الْمَشْـكُورُ

وقال عبد الله في قَتْلِ دَاودَ بن يَزيدَ بن حاتم بن قَبيصَةَ بن المُهَلَّبِ مَنْ قَتَلَ بأرضِ السِّنْدِ بدم أخيه المُغيرةِ بن يزيد :

أَفْنَـى تَمِيمًـا سَـعْدَهَا وَرِبَابَهَـا ... بِالسِّـنْدِ قَتْـلُ مُغِـيرَةَ بْـنِ يَزِيـدِ

صَعَقَـتْ عَلَيْهِـمْ صَعْقَـةٌ عَتَكِيَّـةٌ ... جَعَلَـتْ لَهُـم يَوْمًـا كَيَـوْمِ ثَمُـودِ

ذَاقَـتْ تَمِيـمٌ عَرْكَتَيْـنِ عَذَابَنَـا ... بِالسَّـنْدِ مِـنْ عُمَـرٍ وَمِـنْ دَاوُدِ

قُدْنَـا الجِيَـادَ مِـنَ العِـرَاقِ إلَيْهِـمُ ... مِثْـلَ الْقَطَـا مُسْـتَنَّةً لِـوُرُودِ

يَحْمِلْـنَ مِـنْ وَلَـدِ المُهَلَّـبِ عُصْبَـةً ... خُلِقَـتْ قُلُوبُهُـمُ قُلُـوبَ أُسُـودِ

وفي المغيرة يقول في قصيدة طويلةٍ :

إذَا كَـرَّ فِيهِـمْ كَـرَّةً أَفْرَجُـوا لَـهُ ... فِـرَارَ بُغَاثِ الطَّيْرِ صَادَفْنَ أَجْـدَلاَ

وَمَـا نِيـلَ إلاَّ مِـنْ بَعِيـدٍ بِحَـاصِبٍ ... مِنَ النَّبْلِ وَالنُّشَّابِ حَتَّـى تَجَـدَّلاَ

وَإنِّـي لَمُثْـنٍ بِـالَّذِي كَـانَ أَهْلَـهُ ... أَبُـو حَـاتِمٍ إنْ نَـابَ دَهْـرٌ فَـأَعْضَلاَ

فَتىً كَانَ يَسْتَحْيِي مِنَ الذَّمِّ أَنْ يَـرَى ... لَـهُ مَخْرَجًـا يَوْمًـا عَلَيْـهِ وَمَدْخَـلاَ

وَكَانَ يَظُنُّ المَوْتَ عَـارًا عَلَى الْفَتَى ... يَـدَ الدَّهْـرِ إلاَّ أَنْ يُصَـابَ فَيُقْتَـلاَ

مَنِيَّـةُ أَبْنَـاءِ المُهَلَّـبِ إنَّهُـمْ ... يَـرَوْنَ بِهَـا حَتْمًـا كِتَابًـا مُعَجَّـلاَ

وَقَـدْ أَطْلَقَ اللهُ اللِّسَـانَ بِقَتْـلِ مَـنْ ... قَتَلْنَـا بِـهِ مِنْهُـمْ وَمَـنَّ وَأَفْضَـلاَ

أَنَـاخَ بِهِـمْ دَاوُدُ يَصْـرِفُ نَابَـهُ ... وَيُلْقِي عَلَيْهِمْ كَلْكَـلاً ثُـمَّ كَلْكَـلاَ

يُقَتِّلُهُـمْ جُوعًـا إذَا مَـا تَحَصَّنُـوا ... وَتَقْرِيبِهِـمْ هُـوجَ المَجَـانِيقِ جَنْـدَلاَ

وهذا شعرٌ عجيبٌ من شعره ، وفي هذه القصة يقول :

أَبَـــتْ إلاّ بُكَـــاًء وَانْتِحَابـــا   وَذِكْـــرًا لِلْمُغِـــيرَةِ وَاكْتِئَابـــا
أَلَـمْ تعْلَـمْ بـأَنَّ الْقَتْــلَ وِرْدٌ   لَنَـا كَالْمَـاءِ حِيـنَ صَفَـا وَطَابَـا
وَقُلْـتُ لَهَـا : قِـرِي وَثِقِـي بِقَوْلِـي   كَـأَنَّكِ قَـدْ قَـرَأْتِ بِـهِ كِتَابـا[1]
فَقَـدْ جَـاءَ الكِتَـابُ بِـهِ فَقُولِـي   أَلا لاَ تَعْـدَمِ الـرَّأْيَ الصَّوَابـا
جَلَبْنَـا الْخَيْـلَ مِـنْ بَغْـدَادَ شُـعْثًا   عَوَابِـسَ تَحْمِـلُ الأُسْـدَ الغِضَابَـا
بِكُـلِّ فَتًـى أَغَـرَّ مُهَلَّبِـيٍّ   تَخَـالُ بِضَـوْءِ صُورَتِـهِ شِـهَابا
وَمِـنْ قَحْطَـانَ كُـلَّ أَخِـي حِفَـاظٍ   إِذَا يُدْعَـى لِنَائِبَـةٍ أَجَابَـا
فَمَـا بَلَغَـتْ قُـرَى كَرْمَـانَ حَتَّـى   تَخَـدَّدَ لَحْمُهَـا عَنْهَـا فَذَابَـا
وَكَـانَ لَهُـنَّ فِي كَرْمَـانَ يَـوْمٌ   أَمَـرَّ عَلَـى الشُّـرَاةِ بِهَـا الشَّـرَابَا
وَإِنَّـا تَـارِكُونَ غَـدًا حَدِيثًـا   بِـأَرْضِ السِّـنْدِ سَـعْدًا وَالرَّبَابـا
تُفَـاخِرُ بِـابْنِ أَحْوَزِهَـا تَمِيـمٌ   لَقَـدْ حَـانَ الْمُفَـاخِرُ لِي وَخَابَـا

وفى مثل هذا البيت الأخير يقول أخوه أبو عيينة :

أعاذل صه لست من شيمتى   وإن كنت لى ناصحاً مشفقاً
أَرَاكَ تُفَرِّقُنِـي دَائِبًـا   وَمَـا يَنْبَغِـي لِـيَ أَنْ أُفْرَقَـا
أَنَـا ابْـنُ الَّـذِي شَـادَ لِـي مَنْصِبًـا   وكَـانَ السِّـمَاكَ إِذَا حَلَّقَـا
قَرِيـعُ الْعِـرَاقِ وَبِطْرِيقُهُـمْ   وَعِزُّهُـمُ الْمُرْتَجَـى الْمُتَّقَـى
فَمَـنْ يَسْـتَطِيعُ إِذَا مَـا ذَهَبْـ   ـتُ أَنْطِـقُ فِي الْمَجْـدِ أَنْ يَنْطِقَـا
أَنَـا ابْـنُ الْمُهَلَّـبِ مَـا فَـوْقَ ذَا   لِعَـالٍ إِلَى شَـرَفٍ مُرْتَقَـى
فَدَعْنِـيَ أُغْلِـي ثِيَـابَ الصِّبَـا   بِجِدَّتِهَـا قَبْـلَ أَنْ تَخْلُقَـا

---

(١)(كأنك قد قرأت به كتابا) ذلك حين ما نعى له ثم ورد عليه كتاب موته فذلك قوله : فقد جاء الكتاب به رغبة الآمل ٤/١٥٢(تخدد لحمها) تنقص هزالا (الشراة) هم الخوارج كانوا يقولون : إنا شرينا أنفسنا فى طاعة الله " يريدون بعناها بالجنة " حين فارقنا الأئمة الجائرة . الواحد شارٍ

قال أبو الحسن : وهذا شعرٌ حَسَنٌ أوَّله :

أَلَـمْ تَنْـهَ نَفْسَـكَ أَنْ تَعْشَـقَا ... وَمَـا أَنْـتَ وَالْعِشْـقُ لَـوْلاَ الشَّـقَا

أَمِـنْ بَعْـدِ شُـرْبِكَ كَـأْسَ النُّهَـى ... وَشَـمِّكَ رَيْحَـانَ أَهْـلِ التُّقَـا

عَشِـقْتَ فَـأَصْبَحْتَ فِي الْعَاشِقِيـ ... ـنَ أَشْـهَرَ مِـنْ فَـرَسٍ أَبْلَقَـا[1]

ثم قال :

أَعَـاذِلُ صَـهْ لَسْـتَ مِـنْ شِـيمَتِي

ثم قال بعد قوله :

فَدَعْنِـي أُغْلِـي ثِيَـابَ الصِّبَـا

أُثَلِّيَاهَا مِـنْ غَمْـرِ بَحْـرِ الْهَـوَى ... خُـذِي بِيَـدِي قَبْـلَ أَنْ أَغْرَقَـا

أَنَـا لَـكِ عَبْـدٌ فَكُونِـي كَمَـنْ ... إِذَا سَـرَّهُ عَبْـدُهُ أَعْتَقَـا[2]

قال أبو الحسن : قوله " أنا لكِ عبد " فَوَصَلَ بالألف ، فهذا إنَّما يجوزُ في الضرورةِ ، والألفُ تَثْبُتُ في الوقف لبيان الحركة ، فإذا وَصَلْتَ بانت الحركة ، فلم يُحْتَجْ إلى الألف ، ومن أثبتَها في الوصل قَاسَهُ على الوقف للضرورة كقوله :

فَـإِنْ يَـكُ غَثًّـا أَوْ سَـمِينًا فَـإِنَّنِي ... سَـأَجْعَلُ عَيْنَيْـهِ لِنَفْسِـهِ مَقْنَعَـا[3]

---

(١) الأبيات فى الأغانى ٢٠/٨٧.

(٢) البيتان فى الأغانى ٢٠/٨٨.

(٣) البيت من الطويل ، وهو لمالك بن حريم الهمدانى ، وهو من كلمة له فى الأصمعيات ص٦٧ ، والوحشيات ٢٥٩. وهو من شواهد الكتاب ١/١٠ ، والمقتضب ١/٣٨-٢٦٦، وسمط اللآلى ص٧٤٩، وشرح أبيات سيبويه ١ /٢٤٣، وبلا نسبة فى الإنصاف ٢/ ٥١٧ ، وشرح شواهد الإيضاح ص٢٨٤، والمعانى الكبير ص٤٢٢.

لأنَّه إذا وُقِفَ وُقِفَ على الهاء وَحْدَها فأجَرى الوصل على الوقف[1] ، وأنشدوا قول الأَعْشَى :

فَكَيْفَ أَنَا وَانْتِحَالِي الْقَوَافِـ ـيَ بَعْدَ الْمَشِيب كَفَى ذَاكَ عارًا[2]

والرواية الجيدة :

فَكَيْفَ يَكُونُ انْتِحَالِي القَوَافِـ ـيَ بَعْدَ الْمَشِيبِ . . . .

سَقَى اللهُ دُنيا عَلَى نَأيِها مِنَ الْقَطْرِ مُنْبَعِقًا رَيِّقَا

أَلَمْ أَخْدَعِ النَّاسَ عَنْ حُبِّها وَقَدْ يَخْدَعُ الْكَيِّسُ الأَحْمَقَا

بَلَى وَسَبَقْتُهُمُ إنَّنِي أُحِبُّ إِلَى الْمَجْدِ أَنْ أَسْبِقَا

وَيَومَ الْجِنَازَةِ إذْ أَرْسَلَتْ عَلَى رِقْبَةٍ أَنْ جُزِ الْخَنْدَقَا

---

(١) فلم يأت بمدة الهاء فى الوصل ، قال الشيخ المرصفى :" هذا ما ارتأى أبو الحسن أن ذلك ضرورة وصنعة لا مذهب ولا لغة . وعن الليث : للعرب فى " أنا " لغات أجودها إذا وقفت عليها أثبت الألف وإذا مضيت قلت : أن فعلت _ بفتح النون بلا ألف - ومنهم من يقول : أنا فعلت بإثبات الألف فى الوصل ومنهم من يسكن النون فيقول : أن فعلت وهى قليلة ، وقضاعة تمد الألف الأولى وتفتح النون فتقول : أن قلته . فأما تحريك الضمير فى " لنفسه " لغير تمام فإنه لغة لا ضرورة كما زعم ..." رغبة الآمل ٤/ ١٥٤ . وانظر اللسان (أنن ، ها) .

(٢) البيت من المتقارب ، وهو للأعشى فى ديوانه ص١٠٣ ،وتخليص الشواهد ص١٠٣ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ص٧٠٩، وشرح شواهد الإيضاح ص٢٧٣،ولسان العرب (نحل)، وبلا نسبة فى رصف المباني ١٤، ٤٠٣،وشرح المفصل ٤/ ٤٥، والمقرب ٢/ ٣٥. وروايته فى الديوان :

فما أنا أم ما انتحالى القوا فى بعد المشيب كفى ذاك عارا

البيت فى ضرائر الشعر لابن عصفور ٤٩، كما رواه أبو الحسن هنا . ثم زاد ابن منظور فى اللسان بلفظ : **فكيف أنا وانتحالى القوا ف بعد المشيب كفى ذاك عارا .**

ثم زاد : **وقيدنى الشعر فى بيته كما قيد الآسرات الحمارا**

ثم قال :أراد انتحالى القوافى فدلت كسرة الفاء من القوافى على سقوط الياء فحذفها ، كما قال الله عز وجل :" وجفانٍ كالجوابِ".

إلَى السَّالِّ فَاخْتَرْ لَنا مَجْلِسًا قَرِيبًا وَإِيَّاكَ أَنْ تَخْرُقَا[1]

هذا مما يَغْلَطُ فيه عامةُ أهلِ البصرة ، يقولون : السَّالَ [2] بالتخفيف ، وإنما هو السَّالُّ يا هذا ، وجمعهُ سُلَّانٌ ، وهو الغالُّ وجمعه غُلَّانٌ ، وهو الشَّقُّ الْخَفِيُّ في الوادي .

فَكُنَّا كَغُصْنَيْنِ مِنْ بَانَةٍ رَطِيبَيْنِ حِدْثَانَ مَا أَوْرَقَا
فَقَالَتْ لِتِرْبٍ لَهَا اسْتَنْشِدِيهِ مِنْ شِعْرِهِ الْحَسَنِ الْمُنْتَقَى
فَقُلْتُ : أُمِرْتُ بِكِتْمانِهِ وَحُذِّرْتُ إنْ شاعَ أَنْ يُسْرَقا
فَقَالَتْ بِعَيشِكِ ! قُولِي لَهُ تَمَنَّعْ لَعَلَّكَ أَنْ تَنْفُقَا[3]

قوله" لعلك أن تنفقا " اضطرارٌ ، وحقُّه ، لعل تَنْفُقُ : لأن " لَعَلَّ " من أخوات إنَّ فأَجْرَيْتَ مُجْرَاها ، ومن أتى بأنْ فلمضارَعتها عسى ، كما قال مُتَمِّمُ بنُ نُوَيرَةَ :

لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ عَلَيْكَ مِنَ اللاَّئِي يَدَعْنَكَ أَجْدَعا[4]

[وهذا كثير] .

قال أبو العباس : وزعم أبو مُعاذٍ النُّمَيريُّ أنَّه كان يَعْتَادُ عبدَ الله بنَ محمَّدِ ابن أبي عُيَيْنَةَ ، ويُكثِرُ الْمُقَامَ عنده ، وكان راويةً لِشِعْرِه ، وأمُّ ابن أبي عُيَيْنَةَ بنِ المُهَلَّبِ يقال لها:

---

(١) الأبيات ٢،٣،٤ في الأغاني ٢٠/٨٨.

(٢) قال المرصفي :(وإنما هو السال) بتشديد اللام (وهو الشق الخفى) كأنه سل مايكون فيه وغله حتى لا يرى أو السال كالسليل اسم واسع غامض ينبت السلم والينمة والحلمة والسمر والغال واد مطمئن كثير الشجر ". رغبة الآمل ٤/١٥٥ ، ١٥٦

(٣) الأبيات في الآغاني ٢٠/٨٨.

(٤) البيت من الطويل ، وهو لمتمم بن نويرة في ديوانه ص١١٩، وخزانة الأدب ٥/٣٤٥-٣٤٦، وشرح شواهد المغنى٢/٥٦٧،٦٩٥،ولسان العرب (علل)، وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر ٢/ ١٩١، وشرح المفصل ٨/٨٦، ومغنى اللبيب ١/٢٨٨، والمقتضب ٣/٧٤

خَيْرَةُ ، وهي من بني سَلَمَةِ الخَيْرِ بنِ قُشَيْرِ بن كَعْبِ بنِ رَبيعةَ بنِ عامرِ بن صَعْصَعَةَ ، فَأَبْطَأْتُ عليه أيامًا فكتب إليَّ :

تَمَادى في الجَفَاءِ أَبُو مُعَاذ ... وَرَاوَغنِي وَلاَذَ بِلا مَلاَذِ

وَلَوْلاَ حَقُّ أَخْوَالِي قُشَيْرٍ ... أَتَتْهُ قَصَائِدٌ غَيْرُ اللِّذَاذِ

كَمَا رَاحَ الْهِلاَلِيُّ ابْنُ حَرْبٍ ... بِهِ سِمَةٌ عَلَى عُنُقٍ وَحَاذِ

يعني محمَّدَ بنَ حربِ بنِ قَبيصَةَ بن المُخَارِق الهلاليَّ ، وكانَ من أقْعَدِ الناس .

ولِقَبيصَةَ بنِ المخارِق صحبةٌ لرسول الله ﷺ،وكانَ سار إليه فأكرمه وبَسَطَ له رِدَاءَهُ ، وقال:مرحبًا بخالي[1] ! فقال : يا رسول الله ، رَقَّ جِلْدِي ، ودَقَّ عَظْمي، وَقَل مالي ، وهُنْتُ على أهلي ! فقال له رسول الله ﷺ : **لقد أبْكَيْتَ بما ذكرتَ ملائكةَ السماء** ".

ومحمدُ بنُ حَرْبٍ هذا وَلِي شُرْطَةَ البصرة سبعَ مراتٍ ، وكان على شُرْطةِ جعفرِ بن سليمانَ على المدينة ، وكان كثيرَ الأدب غَزيرَهُ ، فأغْضَبَ ابنَ أبي عُيَيْنَة فى حُكمٍ جرَى عليه بحضرة إسحاقَ بن عيسى ـ وكان على شرطته إذ ذلك ـ ففي ذلك يقول عبد الله :

بِأَخْوَالِي وَأَعْمَامِي أَقَامَتْ ... قُرَيْشٌ مُلْكَهَا وَبِهَا تُهَابُ

مَتَى مَا أَدْعُ أَخْوَالِي لِحَرْبٍ ... وَأَعْمَامِي لِنَائِبَةٍ أَجَابُوا

أَنَا ابْنُ أَبِي عُيَيْنَةَ فَرْعُ قَوْمِي ... وَكَعْبٌ وَالِدِي وَأَبِي كِلابُ

خَلاَ ابنِ عُكَابَةَ الظَّرِبانِ سَهْلٍ ... لَهُ فَسْوٌ تُصَادُ بِهِ الضِّبَابُ

وَآخَر مِنْ هِلاَلٍ قَدْ تَدَاعَى ... فَصَارَ كَأَنَّهُ الشَّيْءُ الْخَرَابُ

* * *

[1] قال المرصفى(مرحباً بخالى)ذلك منه ﷺ عطف وحنان وإنما هو خال عمه الحارث بن عبد المطلب وذلك أن أمه سمراء ابنة جندب من بنى عامر بن صعصعة.رغبة الآمل ١٥٧/٤

باب

قال أبو العباس : كان ابنُ شُبْرُمَةَ إذا نزلتْ به نازلةٌ قال : سَحابةٌ ثم تَنْقَشِعُ [١].

وكان يقال : أَرْبَعٌ من كنوز الجنة : كِتْمانُ المُصِيبَةِ ، وكِتْمَانُ الصَّدَقةِ ، وكِتْمانُ الفَاقة ، وكِتْمانُ الوَجَعِ .

وقال عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رحمه الله: لو كان الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ بَعِيرَيْنِ ما باليتُ أَيَّهما رَكِبْتُ .

وقال العُتْبِيُّ محمدُ بنُ عُبَيْدِ الله يذكر ابنًا له مات :

أَضْحَتْ بِخَدِّي لِلدُّموعِ رُسُومُ ... أَسَفًا عَلَيْكَ وَفي الْفُؤَادِ كُلُومُ
وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ في المَصَائِبِ كُلِّهَا ... إلاَّ عَلَيْكَ فَإنَّهُ مَذمُومُ [٢]

قال أبو العباس : وأَحْسِبُ أن حَبيبًا الطائيَّ سَمِعَ هذا فاسْتَرَقَهُ في بيتين أحدهما قولُه في إدريسَ بن بَدْرٍ الشَّاميِّ :

دُمُوعٌ أَجابَتْ دَاعِيَ الْحُزْنِ هُمَّعُ ... تَوَصَّلُ مِنَّا عَنْ قُلُوبٍ تَقَطَّعُ

---

(١) قول ابن شبرمة إذا نزلت به نازلة ، قال :في هامش نسخة :ط سحابة صيف عن قريب تقشع " ما نصه : أول البيت :

فذرها وإن طالت على فإنها ... سحابة صيف عن قريب تقشع

وفى بعضها :" تنقشع ".

(٢) البيتان فى التعازى والمراثى له ص ١٦٥ .

وفى ا لبيتين ذم للصبر عند فقد المرثى ، وفيهما من ألوان البديع أسلوب التكميل والاحتراس ، وجيئ لدفع إيهام خلاف المقصود ولحفظ المعنى من توهم غير المراد . اهـ. وقوله :

والصبر يحمد فى المصائب كلها ... إلا عليك فإنه مذموم

قلت : الصبر يحمد فى كل حال وأين هذا من قول المعصوم صلى ا الله عليه وسلم : (إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع ، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون ولا نقول إلا ما يرضى ربنا)؟!

وقال ا الله تعالى :(واصبر وما صبرك إلا با الله)

وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لابِسُ الصَّبْرِ حازِمًـا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حازِمًا حِـينَ يَجْـزَعُ[1]

والآخر قوله :

قَالُوا الرَّحِيلَ ! فَمَـا شَـكَكْتُ بِأَنّها نَفْسِـي عَـنِ الدُّنْيَـا تُرِيـدُ رَحِيــلاَ

الصَّــبْرُ أَجْمَــلُ غَــيْرَ أَنَّ تَلَــدُّدًا فِي الحُبِّ أَحْرَى أَنْ يَكُونَ جَمِيلاَ[2]

وقال سابقٌ البَرْبَرِيُّ:

وَإِنْ جَـاء مَـا لاَ تَسْـتَطِيعَانِ دَفْعَـهُ فَلاَ تَجْزَعَا مِمَّا قَضَى ا لله واصْبِرا[3]

وقال أيضًا :

اصْبِرْ عَلَـى الْقَدَرِالمَجْلُوبِ وَارْض بِـهِ وَإِنْ أَتَاكَ بِمَـا لاَ تَشْـتَهِي الْقَـدَرُ[4]

* * *

وكان خالدُ بنُ صفوانَ يدخل على بلالِ بن أبي بُرْدَةَ يُحَدِّثُهُ فَيَلْحَـنُ ، فلمـا كـثر ذلك على بلال قال له : أتُحَدِّثُـني أحـاديث الخلفـاء ، وتَلْحَـنُ لَحْـنَ السَّـقَّاءاتِ ؟! . قـال التَّوَّزِيُّ : فكان خالدُ بنُ صفوان بعد ذلك يأتي المسجد وَيَتَعَلَّمُ الإِعْـرابَ . وكُـفَّ بَصَـرُهُ فكان إذا مَرَّ به مَوْكِبُ بلالٍ يقول : ما هذا ؟ فيقال له الأمير: ! فيقول خالد :

---

(١) ديوان أبى تمام ٤/ ٩٢-٩٤.

(٢) ديوانه (٣/٦٦)، وروى الشطر الأول من البيت الثانى فى بعض النسخ بلفظ " الصبر أحمد غير أن تلددى".

(٣) قال محقق (س)بهامش فى بعض النسخ "للنابغة الجعدى"، والبيت للجعدى فى شعره ق ٤/١٣ صـ ٣٥ ، و٣ب ص ٦١ ، وروايته :

وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه فلا تجزعا مما قضى ا لله واصبرا .

(٤) بعده زيادات فى بعض النسخ

فما صفا لامرئ عيش يسر به إلا سيتبع يوماً صفوه كدِ

سَحَابَةُ صَيْـفٍ عَـنْ قَلِيـلٍ تَقَشَّـعُ[1]

فقيل ذلك لبلال ، فأجْلَسَ معه مَنْ يأتيه بخَبَرِه ، ثم مَرَّ به بلالٌ ، فقال خالد كمـا كان يقول ، فقيل ذلك لبلال ، فأقْبَلَ على خالد فقال : لا تَقَشَّعُ وا للهِ حتى تُصيبَكَ منهـا بشُؤْبوبِ بَرَدٍ ! فضربه مِائَتَيْ سوطٍ ، وقال بعضهم : بل أَمَرَ به فَدِيسَ بَطْنُهُ .

قوله : " بشؤبوب "،مهموز ، وهو الدُّفْعَةُ من المطر بشدَّة ، وجمعه شآبيبُ ؛ قـال النابغةُ يخاطب القبيلة :

وَلاَ تُلاَقِي كما لاَقَـتْ بَنُـو أَسَـدٍ فَقَـدْ أَصَـابَتْهُمُ مِنْهَـا بِشُـؤْبُوبِ[2]

يريد ما نال بني أسد من غارة النعمان عليهم ، وضرب الشـؤبوب للغـارة مثـلاً ، والغـارةُ تُضْرَبُ لذلك مثلاً ، كما يقال : شَنَّ عليهم الغارةَ ، أي صبَّها عليهم . قال ابنُ هَرْمَة :

كَـمْ بَـازِلٍ قَـدْ وَجَـأْتُ لَبَّتَهَـا بِمُسْتَهِلِّ الشُّـؤْبُوبِ أَوْ جَمَـلِ[3]

---

(١)البيت لعمران بن حطان،وانظر شعر الخوارج ص١٥٤،وفى بعض النسخ"عن قريب"،وفى البعض الآخر" سحائب.

وقوله : فكان إذا مر به موكب بلال .

قال ابن السيد: الجاحظ : " مر طارق ، صاحب شرطة خالد بن عبد ا لله القسرى بابن شبرمة ، وطارق فى مركبه ، فقال ابن شبرمة :

أراها وإن كانت تحب فإنها سحابة صيف عن قريب تقشع

اللهم لى دينى ولهم دنياهم،فاستعمل ابن شبرمة بعد ذلك على القضاء،فقال له ابنه:أتذكر قولك يوم مر طارق فى مركبه ؟ فقال:يا بنى،إنهم يجدون مثل أبيك،ولا يجد أبوك مثلهم .يا بنى:إن أباك أكل من حلوائهم،وحط فى أهوائهم . وقال غيره:كان ابن شبرمة،وابن أبى ليلى يجلسان على باب عيسى ابن موسى صدراً من الليل حتى يأذن لهما.قال ابن شبرمة :

إذا نحن أعتمنا ومالت بنا الكرى أتانا بإحدى الراحتين عياض

أى بالإذن أو الانصراف،وعياض صاحبه.(ملحق التعليقات المختارة من كتاب القرط)ط.(الرسالة).

(٢) ديوانه ص ٩٢ .

(٣)شعره ص ١٨٤،وفى بعض النسخ:" كم ناقة"وكذا رواية شعره،وفيه أيضًا :" وجأت منحرها ".

يريد ماوَجَأها به من حديدة ، يقول : لَمّا وَجَأْتُها دَفَعَتْ بشؤبوب من الدم ، فكأنه قال : بِسِنانٍ مُسْتَهِلِّ الشُّؤْبُوبِ ، أو ما أشبه ذلك .

* * *

وكان خالدُ بن صفوان أحدَ مَنْ إذا عَرَضَ له القولُ قال : فيقال : إنَّ سليمانَ بنَ عليٍّ سأله عن ابْنَيه جعفرٍ ومحمدٍ ،فقال:كيف إحْمادُك جَوارَهما يا أبا صفوان ! فقال :

أَبُو مَالِكٍ جَارٌ لها وَابْنُ بُرْثُنٍ فَيالَكَ جَارَيْ ذِلَّةٍ وَصَغَارِ[1]

فأَعْرَضَ عنه سليمانُ ، وكان سُليمانُ من أحْلَمِ الناسِ وأكرمِهم ، وهو في الوقت الذي أَعْرَضَ فيه عنه والي البَصْرَةِ وعَمُّ الخليفة المنصور . والشِّعْرُ الذي تَمَثَّلَ به خالدٌ ليزيدَ ابنِ مُفَرِّغٍ الْحِمْيَرِيِّ ، قال :

سَقَى ا لله دَارًا لي وَأَرْضًا تَركتُها إلَى جَنْبِ دَارَيْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارِ

أَبُو مَالِك جَارٌ لَهَا وَابْنُ بُرْثُنٍ فَيَالَكَ جَارَيْ ذِلَّةٍ وَصَغَارِ[2]

وكَان الحسنُ يقول : لسانُ العاقل من وراء قلبه ، فإن عَرَضَ له القولُ نظر ، فإن كَان له أن يقولَ قال ،وإن كان عليه القولُ أَمَسَكَ ، ولسانُ الأَحْمقِ أمامَ قلبه ، فإذا عرض له القول قال ، كان عليه أَوْ لَهُ .

---

(١) قوله أبو مالك جار لها وابن برثن .

قال الوقشى :إنما أبونافع جار لها ، وهو مولى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق (رضى ا لله عنه) وكان ينزل البصرة ، وله دار مشهورة بها ، وهو المعنى بهذا القول : بخت أبى نافع ، وكان مكثراً من المال ، وفيه قال ابن مفرغ الحميرى هذا الشعر الذى تمثل به خالد بن صفوان ، فقيل لأبى نافع : إنه هجاك ، قال :فإذا هجانى به أموت ، أو يموت ابنى طلحة ؟ قالوا :لا ، قال : فما أبالى . وابن برثن مولى لبنى ضبيعة ، ذكر هذا كله ابن قتيبة فى " المعارف " وقال غيره : عبد الرحمن بن برثن ، وروى عن أبى هريرة ، وجابر بن عبد ا لله ، ويقال له : صاحب السقاية ، وروى عنه قتادة وسليمان التميمى (ملحق التعليقات المختارة من كتاب القرط .ط. ا لرسالة)

(٢) ديوانه ص ١٤١ عن الكامل ، والمعارف لابن قتيبة ص٧٧ ، وفيه "أبو نافع ".

وخالدٌ لم يكن يقول الشِّعْرَ . ويُرْوَى أنَّه وَعَدَ الفَرَزْدَقَ شيئًا فأَخَّرَهُ عنه ، وكان خالدٌ أحدَ البُخَلاءِ ، فمرّ به الفرزدقُ فَتَهَدَّدَهُ ، فأَمْسَكَ عنه حتى جاز الفرزدقُ ، ثم أقبلَ على أصحابه فقال : إنَّ هذا قد جَعَلَ إحْدَى يَدَيْهِ سَطْحًا ، وملأَ الأخرى سَلْحًا ، وقال : إن عَمَرْتُمْ سَطْحِي ، وإلا نَضَحْتُكُمْ بِسَلْحي !

* * *

وقال إياسُ [١] بنُ معاويةَ المُزَنِيُّ أبو وَاثِلَةَ - وكان أحدَ العقلاء الدُّهاة الفضلاء - لخالدٍ : لا يَنْبَغي أَنْ نَجْتَمِعَ في مجلسٍ ، فقال له خالدٌ : وكيف يا أبا وَاثِلَةَ ؟ فقال : لأنَّك لا تُحِبُّ أنْ تَسْكُتَ ، وأنا لا أُحِبُّ أن أَسْمَعَ !

وخاصم إلى إياسٍ رجلٌ رجلاً في دَيْنٍ وهو قاضي البصرة ، فَطَلَبَ منه البَيِّنةَ ، فلم يَأْتِه بِمَقْنَعٍ ، فقيل للمُطَالِبِ : اسْتَجِرْ وَكيعَ بنَ أبى سُودٍ حتى يَشْهَدَ لك ، فإنَّ إياسًا لا يَجْتَرِئ على رَدِّ شهادته ، ففعل ، فقال وَكيعٌ : وا لله لأَشْهَدَنَّ لك ، فإن ردَّ شهادتي لأُعَمِّمَنَّهُ السيفَ ! فلما طَلَعَ وَكيعٌ فِهِمَ إياسٌ فأَقْعَدَهُ إلى جانبه ، ثم سأَلَه عن حاجته ، فقال : جئتُ شَاهِدًا ، فقال له : يا أبا المُطَرِّفِ ، أَتَشْهَدُ كما يَفْعَلُ المَوَالي والعَجَمُ ؟ أنتَ تَجِلُّ عن هذا ! فقال :إِذن:وا لله لا أشهد ، فقيل لوكيع بَعْدُ : إنما خَدَعَكَ ، فقال : أَوْلَى لابن اللَّخْناءِ !

وشهد رجلٌ من جلساء الحسن بشهادة عند إياس فردَّه ، فشكا الرجلُ ذلك إلى الحسن ، فأتاه الحسنُ فقال : يا أبا واثلةِ ، لِم رَدَدْتَ شهادةَ فلانٍ ؟ فقال : يا أبا سعيد إنَّ ا لله تعالى يقول : ﴿ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ [٢] وليس فلانٌ ممن أَرْضَى .

* * *

---

(١) (إياس بن معاوية) بن قرة بن إياس من مضر وهم ينسبون إلى مزينة ابنة كلب ، وهو قاضى البصرة لعمر بن عبد العزيز رضى ا لله عنه .

(٢) سورة البقرة :٢٨٢

واخْتَلَفَ نصرانيٌّ إلى أبي دُلامَة[1] مَوْلَى بني أسد يَتَطَبَّبُ لابن له ، فَوَعَدَه إنْ بَرَأَ عَلَى يديه أن يُعْطيه أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فبرأَ ابنُه ، فقال للمتطبب : إنَّ الدراهمَ ليست عندي ، ولكنْ وا لله لأُوصِلَنَّهَا إليك ! اِدَّعِ على جاري فلان هذه الدراهمَ فإنَّه مُوسِرٌ ، وأنا وابني نشهدُ لك فليس دون أخذها شيءٌ ، فصار النصرانيُّ بالجار إلى ابْنِ شُبْرُمَةَ ، فسأله البينةَ فطلع عليه أبو دُلامةَ وابْنُهُ ، ففهم القاضي ، فلما جلس بين يديه قال أبو دلامةَ :

إنِ النَّاسُ غَطَّوْنِي تَغَطَّيْتُ عَنْهُمُ ... وَإنْ بَحَثُوني كَانَ فيهمْ مَبَاحِثُ[2]

فقال ابنُ نبشواَ : من ذا الذي يَبْحَثُك يا أبا دُلامة ؟ ثم قال للمدعي : قد عرفتُ شاهِدَيْكَ ! فَخلِّ عن خصمك ، ورُحِ العَشيَّةَ إليَّ ، فراح إليه فَغَرِمها من ماله .

* * *

---

(١) (أبو دلامة) اسمه زند بن الجون ، وأكثر الناس يصحف اسمه فيقول زيد بالياء وهو خطأ وإنما هو زيد " بالنون" وقد أدرك آخر دولة بنى أمية و لم تكن له فى أيامهم نباهة ونبغ فى دولة بنى العباس وكان مع فساد دينه وارتكابه ما لا ينبغى جهره خفيف الروح حلو اللسان لطيف النادرة و لم يصل أحد من الشعراء إلى ما وصل إليه عند الخلفاء والأمراء

(٢)البيت من الطويل ، وهو لأبى دلامة فى ديوانه ص٣٨، ولسان العرب (نبث) ، وكتاب العين ٨/ ٢٣١، وتاج العروس ٥/ ٣٦٧،(نبث) ، ، وأخبار القضاة ١٣٩/٣، والأغانى ١٠/ ٢٨٦، وتاريخ بغداد ٨/ ٤٩٠ ، وديوان المعانى ٢٤٥/٢، وشذرات الذهب ١/ ٢٥٠، والعمدة ص١٣٣/ ومختار الأغانى ٧٦/٤، ومعاهد التنصيص ٢١٣/٢، والوافى بالوفيات ٢١٩/١٤ ووفيات الأعيان ٢/ ٣٢٥.
وفى بعض النسخ :"تغضب دونهم ، وفى البعض الآخر : منهم " وبعده فى زيادات بعض النسخ :

وإن نبثوا بندى نبثت بنارهم ... فسوف ترى ماذا ترد النبائث

وبلا نسبة فى أساس البلاغة (نبث) لكن بلفظ :

وإن حفروا بندى حفرت بنارهم ... وسوف نرى آثارها والنبائث

وفى بعضها :" وإن نبشوا بثرى ، وفى غيرها :" فننظر فيما تستثير البنائث ".

وشَهِدَ أبو عُبَيْدَةَ عند عُبَيْد ا لله بن الحسن العَنْبَرِيِّ على شهادة ورجلٌ عدلٌ فقال عبيدُ ا لله للمُدَّعِي : أما أبو عبيدة فقد عرفتُهُ ، فزدني شاهدًا . وكان عبيدُ ا لله أحدَ الأُدَباءِ الفُقَهاءِ الصُّلَحاءِ .

وزعم ابنُ عائشة قال : عَتَبْتُ عليه مرةً في شيء ، قال : فَلَقِيَنِي يدخلُ من باب المسجد يريدُ مجلسَ الحُكْمِ ، وأنا أَخرُجُ فقلت مُعَرِّضًا به :

طَمِعْتُ بِلَيْلَى أَنْ تَرِيعَ وَإِنَّمَا ... تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ المَطَامِعُ[1]

فأنشدني مُعَارِضًا لي تاركًا لما قصدتُ له :

وَبَايَعْتُ لَيْلَى فِي خَلاَءٍ وَلَمْ يَكُنْ ... شُهُودٌ عَلَى لَيْلَى عُدُولٌ مَقَانِعُ[2]

وكان ابنُ عائشة يَتحَدَّثُ عنه حديثًا عجيبًا ، ثم عُرِفَ مَخْرَجُ ذلك الحديث .

ذكر ابنُ عائشة ، وحَدَّثَنِيهِ عنه جماعة لا أُحْصِيهم كَثْرَةً : أنَّ عبيدَ ا لله بنَ الحسن شَهِدَ عنده رجلٌ من بني نَهْشَلٍ على أمْرٍ أَحْسِبُهُ دَيْنًا ، فقال له : أَتَرْوِي قولَ الأسْوَدِ بنِ يَعْفُرَ :

---

(١)البيت من الطويل ، وهو للبعيث فى لسان العرب (ريع) ، ولفظ عجزه: "تضرب أعناق". وبنفس الرواية التى أوردها المصنف أنشده فى اللسان (قطع)، زاد:

وبايعت ليلى فى الخلاء ولم يكن ... شهودى على ليلى عدول مقانع .

تاج العروس ١٣٧/٢١(ريع) ، ٤٦٠(طمع) ،٤٧/٢٢(قطع)، ومعجم البلدان ٣٧٩/٤(القعاقع)، وفصل المقال ص٤٠٨، وبلا نسبة فى مقاييس اللغة ٤٦٨/٢، ومجمل اللغة ٤٤٣/٢، وأساس البلاغة (ربع) ، وجمهرة الأمثال ص٢٧٧ والمستقصى ٣٠/٢ وهذا البيت والذى يليه للبعيث فى أمالى القالى ١٩٦/١ .

(٢) البيت من الطويل ، وهو لكثير فى لسان العرب (عدل) بلفظ :(فى الخلاء) ، وتاج العروس (عدل) وليس فى ديوانه ، وللبيعث فى لسان العرب (قطع) .(قنع) لكن بلفظ :" بالخلاء " ، وبلا نسبة فى جمهرة اللغة ص ٩٤٢ ، وشرح المفصل ١٣/١ ، ٥١/٣.

نَامَ الْخَلِيُّ ومَا أُحِسُّ رُقَادِي(١)

فقال له الرجلُ : لا ! فَرَدَّ شهادتَهُ وقال : لو كان في هذا خيرٌ لَرَوَى شرفَ أهلِهِ .

فحدثني شيخٌ من الأَزْدِ حديثًا ظننتُ أنَّ عبيدَ الله إياه قَصَدَ ، قال : تقدَّم رجلٌ إلى سَوَّارِ بن عبد الله - وسَوَّارٌ بنُ عَمَّ عبيد الله بن الحسن - يدَّعي دارًا ، وامرأةٌ تدافِعُهُ وتقول لسوَّار : إنَّها والله خِطَّةٌ ما وقع فيها كتابٌ قَطُّ ، فأتي المدعي بشاهدين يعرفهما سَوَّار فَشَهِدا له بالدار ، وجعَلَتِ المرأةُ تُنْكِرُ إنكارًا يَعْضُدُهُ التَّصْدِيقُ ، ثم قالت : سَلْ عن الشُّهُود ، فإنَّ الناسَ يَتَغَيَّرُون ، فَرَدَّ المسألةَ فَحُمِدَ الشاهدان . فلم يَزَلْ يُرَيِّثُ أُمورَهم،ويسألُ الجيرانَ فكلٌّ يُصَدِّقُ المرأةَ، والشاهدان قد ثَبَتَا ، فشَكَا ذلك إلى عبيد الله، فقال له عبيدُ الله : أنا أَحْضَرُ مَجْلِسَ الحُكْمِ معك فآتيك بالجَلِيَّة إن شاء الله ، فقال للشاهدين : ليس للقاضي أن يَسْألكما كيف شَهِدْتُما ولكن أنا أسْألُكما.قال:فقالا:أراد هذا أن يَحُجَّ فأَدَارَنَا على حُدُودِ الدار من خارج وقال : هذه داري ، فإنْ حَدَثَ بي حَدَثٌ فَلْتُبَعْ ولْتُقْسَمْ على سبيل كذا،قال : أفعندكما غيرُ هذه الشهادة ؟ قالا : لا فقال : الله أكْبَرُ ، وكذا لو أَدَرْتُكما على دار سَوَّار وقلت لكما مثلَ هذه المقالة أَكُنْتُما تَشْهَدانِ بها لي ؟ فَفَهِمَا أنَّهما قد اغْتَرَّا ، فكان سَوَّارٌ إذا سأل عن عدالة الشاهد يُتْبِع المسألةَ أن يقول أَفَجَائِزُ العدالةِ هو ؟ فظننتُ أن عبيدَ الله رأى في الشاهد غفلةً فاختبرَه بهذا وما أشبهه .

وحَدَّثَني بعضُ أصحابنا أنَّ رجلاً من الأعراب تقدَّم إلى سَوَّارٍ في أمر فلم يصادفْ عنده ما يُحِبُّ فاجتهد فلم يَظْفَرْ بحاجته ، قال : فقال الأعرابيُّ وفي يده عَصًا :

---

(١) البيت من الكامل وهو مطلع كلمة للأسود بن يعفر فى المفضليات ص٢١٦ - ٢٢٠، والاختيارين ص٥٥٨- ٥٧٠ ، وفى ديوانه ص٢٥، وخزانة الأدب ١/ ٤٠٦ ، وشرح شواهد المغنى ٥٥٣/٢، ٧٢٦ ، ومغنى اللبيب ٣١٣/١ ، وأساس البلاغة (حضر) وقد أتى فى بعض النسخ بلفظ :" فما (أحس) وهذا صدره ، وعجزه:

والهم محتضر لدى وسادى

وبعده : من غير ما سقم ولكن شفنى ... هم أراه قد أصاب فؤادى

رَأَيْــــتُ رُؤْيَـــا ثـــمَّ عَبَّرْتُهـــا وَكُنْـــتُ لِلأَحْـــلامِ عَبَّـــارا

بِــــأَنَّنِي أَخْبِـــطُ فِي لَيْلَـــتي كَلْبًـا فَكَـانَ الْكَلْـبُ سَـوَّارَا[1]

ثم انحنى على سوّارٍ بالعصا حتى مُنِعَ منه ، قال : فما عاقبه سَوَّارٌ .

قال : وحُدِّثْتُ أنَّ أعرابيا مـن بنـى العَنْبَر سـار إلى سَـوَّار فقـال : إنَّ أبـي مـات وتركني وأخًا لي وخطَّ خَطَّيْـن في الأرض ، ثـم قـال : وَهَجينًـا [2]، وخـطَّ خَطًّـا ناحيـةً، فكيف نَقْسِمُ المالَ ؟ فقال أههنا وارثٌ غيرُكم ؟ قـال : لا ، قـال : المـالُ بينكـم أثلاثًـا ،: فقال [3]: لا أَحْسِبُكَ فَهِمْتَ عنّي ! إنّه تركَـني وأخـي وَهَجينًـا لنـا ، فقـال سَـوّارٌ : المـالُ بينكم أثلاثًا ، فقال:الأعرابيُّ : أيأَخذ الهجينُ كما آخُذُ ، وكما يأخذُ أخـي ؟ قـال:أجَـلْ! فغضب الأعرابيُّ ، قال: ثمَّ أقبل على سوّار فقال : تَعَلَّمْ وا لله أنّك قليلُ الخالات بالدَّهْنـا، فقال سوار : إذًا لا يَضِيرني ذلك عند ا لله شيئًا .

***

وكان عَقِيلُ بنُ عُلَّفَةَ من الغَيْرةِ والأَنَفةِ على ما ليس عليه أحدٌ عَلِمناهُ ، فخطب إليه عبدُ الملك بنُ مَرْوانَ ابنته على أحد بَنِيه ، وكانت لِعَقِيلٍ إليه حاجاتٌ ، فقال له : أَمَّـا

---

(١) البيتان من السريع ، والبيت الأول بلا نسبة فى تاج العروس ٥١٢/١٢ (عبر) وقوله :رأيت رؤيا ثم عبرتها .

قال ابن السيد : ذكر ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٦٨/١) . قال : حدثنى رجل مـن بنـى جرير أن رجلاً منهم خاصم رجلاً إلى سوار بن عبد ا لله فقضى على الجريرى ، فمر سوار ببنى جرير ، فقـام إليه الجريرى فصرعه وخنقه وجعل يقول :

رأيت أحلامًا فعبرتها وكنت للأحــلام عبـارا

رأيتنى أخنق ضبًّا على جحر وكان الضب سوارا

(ملحق التعليقات المختارة من كتاب القرط)ط. الرسالة) .

(٢) الهجين : ابن الأمة من الحر وسيأتى قريبًا

(٣)فى نسخة : " قال : فقال "

إذْ كنتَ فاعلاً فجنّبْني هُجَناءَكَ [1]، وخَطَبَ إليه ابنَتَه إبراهيمُ بنُ هشامِ بن إسماعيلَ بن هشامِ بنِ الوَليدِ بن المُغيرة ، وهو خالُ هشامِ بن عبد الملك ووالِي المدينة ، وكان أبيضَ شديدَ البياض ، فردَّه عَقيلٌ وقال :

رَدَدْتُ صَحِيفَةَ الْقُرَشِيِّ لَمَّا ... أَبَتْ أَعْرَاقُهُ إلاَّ احْمِرارا

وكانتْ حَفْصةُ بنتُ عِمْرانَ بن إبراهيمَ بن محمَّدِ بن طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ الله قَدْ مِيتَ عنها ، فَخَطَبها جماعةٌ من قريش أَحَدُهم عبدُ الله بنُ حَسَنِ بنِ حَسَنِ بن عليٍّ بن أبي طالب ، وأَحَدُهم إبراهيمُ بنُ هشامٍ ، فكان أخوها محمَّدُ بن عمرانَ إذا دخلَ إلى إبراهيمَ بن هشامٍ أَوْسَعَ له وأنشده :

وَقَالُوا يَا جَمِيلُ أَتَى أَخُوهَا ... فَقُلْتُ أَتَى الْحَبِيبُ أخو الْحَبِيبِ

أُحِبُّكَ أَنْ نزَلْتَ جِبَالَ حِسْمَى ... وَأَنْ نَاسَبْتَ بَثْنَةَ مِنْ قَرِيبِ [2]

وهذا الشعر لجميل بن عبد الله بن مَعْمَرٍ الْعُذْرِيّ . فأما جَميلُ بنُ مَعْمَرٍ الجُمَحِيُّ فلا نَسَبَ بينَهُ وبين مَعْمَرٍ ، أي ليس بينه وبينه أبٌ آخر ، وكانت له صُحْبَةٌ ، وكان خاصًّا بعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ويروى عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال : أتيتُ باب عُمَرَ بن الخَطَّاب رحمه الله فسمعته يُنْشِدُ بالرُّكْبَانِيَّةِ : [**قال أبو الحسن : أي مثل إنشاد الرُّكْبان**] .

وَكَيْفَ ثَوَائِي بالْمَدِينَةِ بَعْدَمَا ... قَضَى وَطَرًا مِنْهَا جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرِ

---

(١) قال المرصفى [والهجنة فى الناس والخيل إنما تكون من قبل الأم فإذا كان الأب عتيقا والأم ليست كذلك كان الولد هجينا . والقرفة من قبل الأب فإذا كانت الأم عربية والأب ليس كذلك كان الولد مقرفا] اهـ .

(٢)البيتان من الوافر ، وهما لجميل فى ديوانه ص١٠٤ (دار بيروت) ، والبيت الثانى فى الأزهية ص٧٣ ، ولسان العرب (بثن) ، لكن بلفظ :

أحبك أن سكنت حبال جسمى ... وأن ناسيت بثنة من قريب

ولكن هنا فى البيتين يخاطب جميل أخا بثينة لا بثينة نفسها . وفى بعض النسخ :" جبال سلمى ".

فلمَّا استأذنتُ عليه قال لي : أسَمْعتَ ما قلتُ ؟ قلتُ نَعَمْ ! قـال : إنّـا إذا خَلَوْنَـا قلنا ما يقولُ الناسُ في بُيُوتِهم [1].

وكان جميلُ بنُ معمرٍ الجُمَحِيّ قتل أخًا لأبي خِراش الهُذَلِيِّ يـومَ فتـح مكـة وَأتـاه من ورائه وهو مُوثَقٌ فضَرَبه ، ففي ذلك يقول أبو خِرَاشٍ [2] :

فَأُقْسِـمُ لَـوْ لاقَيْتَـهُ غَـيْرَ مُوثَـقٍ   لآبَكَ بـالْعَرْجِ [3] الضِّبَـاعُ النَّوَاهِـلُ

لَكَـانَ جَمِيـلٌ أَسْوَأَ النَّاسِ صِرْعَـةً   وَلَكِـنَّ أَقْـرَانَ الظُّهُـورِ مَقَـاتِلُ

فَلَيْـسَ كَعَهْـدِ الـدَّارِ يَـا أُمَّ مَـالِكٍ   وَلَكِـنْ أَحَـاطَتْ بالرِّقَـابِ السَّلاَسِـلُ

وَعَـادَ الْفَتَـى كَـالْكَهْلِ لَيْـسَ بِقَـائِلٍ   سِوىَ الْحَقِّ شَيْئًا فَاسْتَراَحَ الْعَوَاذِلُ [4]

---

(١) قال الشيخ المرصفى :" كذلك روى الزبير بن بكار، قال : جاء عمر بن الخطاب إلى عبد الرحمن ابن عوف فسمعه قبل أن يدخل يتغنى بالنصب : وكيف ثوائى ...البيت ، فلما دخل قال : ما هذا يا أبا محمد ؟ قال : إنا إذا خلونا ...إلخ . وقد نقل ذلك ابن الأثير فى "أسد الغابة" قال : وروى هذا الخبر محمد بن يزيد فقلبه " وابن حجر فى الإصابة (١/ ٢٥٥) رغبة الآمل ١٧٤/٤ .

(٢) قال الشيخ المرصفى :" كذا حدث أبو العباس وتناقله الناس من بعده . والصواب ما قاله الأصمعى وأبو عمرو : إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا فى يوم حنين أسارى وكان فيهم زهير بن العجوة أخو بنى عمرو بن الحارث ، فمر به جميل بن معمر الجمحى وهو مربوط فى الأسرى وكانت بينهما إحنة فى الجاهلية فضرب عنقه فقال أبو خراش يرثيه ..." رغبة الآمل ٤/ ١٧٥ . وانظر الأغانى ١٠/١٢ ، وديوان الهذليين ٢/ ١٤٨ _ ١٥٠ .

(٣) الرواية فى المصادر :" بالجزع".

(٤)الأبيات من الطويل ، وهى لأبى خراش الهذلى فى ديوان الهذليين ١٤٨/٢ - ١٥٠ والبيت الثانى فى شرح أشعار الهذليين ص ١٢٢٢، والرواية فيه :

لظل جميل أسوأ القوم تلة   ولكن قرن للمرء شاغل

لسان العرب (ظهر) :" أسوأ الناس تلة "، وتاج العروس ٤٨٣/١٢ (ظهر) ، وبلا نسبة فى لسان العرب (ظهر) تهذيب اللغة ٢٤٧/٦ ، وروايته:

فلو كان قرنى واحدًا لكفيته   ولكن .....

جمهرة اللغة ٧٦٤، ٧٩٤. والبيت الثالث فى شرح أشعار الهذليين ص ١٢٢٣ ، ولسان العرب (عهد) وقد أنشد قبله :

فلم أنس أيامًا لنا ولياليا   بحلية إذ نلقى بها ما نحاول .

والتنبيه والإيضاح ٤٣/٢ . والأبيات فى الأغانى ٢١٠/٢١ .

قوله : " أسوأ الناس صِرعةً " ، أي : الهَيْئة التي يُصْرَعُ عليها ، ويقال : صَرَعْتُه صَرْعةً يا فتى ، أي : مرةً واحدةً،كما تقول : جلست جَلْسَةً وركبتُ رَكْبَةً ، وهو حَسَنُ الْجِلْسَةِ والرِّكْبَةِ [1]:أي :الهيئة التي يَجْلِسُ عليها وَيَرْكَبُ عليها، وكذلك القِعْدَةُ والنِّيمَة .

وقوله : " لآبكَ " ، أي : لعادكَ ، وأصلُ هذا من الإياب وهو الرُّجوعُ ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾[2] ، وقال عَبيدُ بنُ الأَبْرَص:

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَؤوبُ[3]

وقوله : " بالعَرْجِ " ، فهو ناحية من مكة ، به وُلِدَ عبدُ الله بنُ عُمَرَ بنِ عَمْرِو ابن عُثْمانَ بنِ عَفَّانَ ، فسمِّي العَرْجِيَّ* ، ويقال : بل كان له مالٌ بذلك الموضع فكان يُقيم فيه . والنَّوَاهِلُ قيل فيه قولان : أحدهما العطاشُ ، وليس بشيء ، والآخر : الذي قد شَرِبَ شَرْبَةً فلم يَرْوَ فاحتاج إلى أن يَعُلَّ ، كما قال امْرُؤُ الْقَيْسِ :

إِذْهُنَّ أَقْسَاطٌ كَرِجْلِ الدَّبى ... أَوْ كَقَطَا كَاظِمَةَ النَّاهِلِ[4]

وقوله : " أحاطتْ بالرقاب السلاسلُ " ، يقول : جاءَ الإسلامُ فمنع من الطلب بالأوْتارِ إلا على وجهها .

* * *

---

(١) يفرق المبرد هنا بين ما جاء على وزن (فعلة)بالفتح فهو اسم المرة ، وما جاء على وزن (فعلة) بالكسر فهو اسم الهيئة .

(٢) سورة الغاشية : ٢٥ .

(٣)البيت من مُخلّع البسيط ، وهو لعبيد بن الأبرص فى ديوانه ص ١٦، ولسان العرب (أوب) ، وتهذيب اللغة ٦٠٨/١٥ ، ومقاييس اللغة ١/ ١٥٣ . وعجزه :

وغائب الموت لا يؤوب

* (به ولد) الذى رواه الزبير بن بكار عن عمه أنه لقب بالعرجى لأنه كان يسكن عرج الطائف لا ولد به . وروى عن الأديب المكى سليمان بن عثمان بن يسار أنه كان للعرجى حائط يقال له العرج فى وسط بلاد بنى نصر ابن معاوية ا.هـ من رغبة الآمل ١٧٧/٤

(٤)البيت من السريع ، وهو لامرئ القيس فى ديوانه ص١٢١ ، ولسان العرب (قسط)، (كظم) وتهذيب اللغة ٣٨٩/٨ ، وتاج العروس ٣٣/٢٠ (قسط) ، (كظم) . وقوله :" إذهن أقساط.." أورده شارح القاموس فى المستدركات ، وفسره بقوله :" أى قطع " .

وكانَ يُقَالُ:إنَّ أَوَّلَ من أظْهَرَ الجَوْرَ من القُضاة في الحكم بلالُ بن أبي بُرْدَة ، وكان أميرَ البصرة وقاضيها ، و في ذلك يقول رؤبة :

وَأَنْتَ يابْنَ القاضِيَيْنِ قاضي(١)

وكان بلالٌ يقول : إنَّ الرَّجُلَين ليتقدمان إليَّ فأَجِدُ أحدَهما على قلبي أخَفَّ فأقضي له .

ويروى أن بلالاً وفد على عُمَرَ بن عبدِ العزيزِ بخُناصِرَةَ فَسَدِكَ بساريةٍ من المسجد فجعل يصلي إليها ويديمُ الصَّلاةَ ، فقال عُمَرُ بنُ عبدِ العزيز للعَلاءِ بنِ المُغيرةِ بن البُنْدارِ : إنْ يَكُنْ سِرُّ هذا كعلانيتِه فهو رجلُ أهل العراق غير مُدَافَعٍ ، فقال العَلاءُ : أنا آتِيكَ بِخَبَرِه . فأتاه وهو يُصَلِّي بين المَغرب والعشاء ، فقال : اشْفَعْ صَلاَتَك فإنَّ لي إليك حاجةً ، ففعل ، فقال له العلاءُ : قد عرفتَ حالي من أمير المؤمنين ، فإنْ أنا أشَرْتُ بكَ على ولاية العراق فما تَجْعَلُ لي ؟ قال : لك عُمَالتي سنةً ! وكان مَبْلَغُها عشْرِينَ أَلْفَ ألفِ درهمٍ . قال: فاكتبْ لي بذلك ، قال : فا رْقَدَّ بلالٌ إلى منزله ، فأتى بِدَواة وصَحيفةٍ فَكَتَبَ له بذلك . فأتى العلاءُ عُمَرَ بالكتاب فلما رآه كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن يزيد بن الخطاب ـ وكان والي الكوفة ـ أما بعد ، فإن بلالاً غَرَّنا با لله ، فَكِدْنا نَغْتَرُّ ، فسَبَكْنَاهُ فَوَجَدْنَاهُ خَبَثًا كُلَّهُ ، والسَّلامُ .

ويروى أنَّه كتب إلى عبد الحميد إذا ورَدَ عليك كتابي هذا فلا تَسْتَعِنْ على عَمَلِكَ بأحد من آل أبي موسى .

---

(١)الرجز لرؤبة فى ديوانه ص٨٢ ، وتاج العروس ٣٢٧/١٨ (دحض) ، ١٩ /٦٥ (مضض).وبعده

معتزم على الطريق الماضى بثابت النعل على الدحاض .

(وأنت يابن القاضيين) يريد أباه بردة استقصاه الحجاج بعد أن استقصى شريح بن الحرث عن قضاء الكوفة فأما جده أبو موسى الأشعرى فكان عاملا بالبصرة يقضى بين الناس فى عهد عمر وقد سلف وكان أحد الحكمين ا.هـ رغبة الآمل ١٧٨/٤ فى بعض النسخ أورد الشطر الثانى:

معتزم على الطريق ماضِ

قال أبو العباس : وكان بلالٌ داهَيةً لِقنًا أديبًا ، ويقال : إنَّ ذا الرُّمَّة لما أنشده :

سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِي بِلالاَ

تَناخِي عِنْدَ خير فَتًى يَمَانٍ إِذَا النَّكْبَاءُ نَاوَحَتِ الشَّمَالاَ[1]

فلما سمع قوله :

فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِي بِلالا

قال : يا غلامُ ، مُرْ لها بقَتٍّ ونَوًى !! أراد أن ذا الرُّمّة لا يُحْسِنُ المدح .

قوله : " سمعت الناس ينتجعون " حكايةٌ ، والمعنى إذا حُقِّقَ إنما هو سمعتُ هذه اللفظة : أي قائلاً يقول " الناسُ ينتجعون غَيْثًا " ومثل هذا قوله :

وَجَدْنَا فِي كِتَابِ بَنِي تَمِيمٍ أَحَقُّ الخَيْلِ بِالرَّكْضِ المُعَارُ[2]

فمعناه وجدنا هذه اللفظة مكتوبَةً ، فقوله : " أَحَقُّ الخيل " ابتداءٌ ، و " المُعَارُ "

---

(١)البيتان من الوافر ، وهما لذى الرمة فى ديوانه ص١٥٣٥-١٥٣٦ . والبيت الأول من شواهد المقتضب ١٠/٤ ، والخزانة ١٧/٤ ، والإفصاح ٣٣٠، وتعليقات الأخفش على النوادر . وجمهرة اللغة ص٥٠٣ ، وخزانة الأدب ١٦٧/٩ ، ١٦٨ ، وسر صناعة الإعراب ٢٣٢/١، وشرح التصريح٢٨٢/٢، ولسان العرب (صدح) والشطر الثانى فى اللسان أيضًا (نجع) ، ونوادر أبى زيد ص٣٢، وبلا نسبة فى أسرار العربية ص٣٩٠ ، وخزانة الأدب ٢٦٨/٩ ، ٣٩٣ ، وشرح الأشمونى ٦٤٤/٣. والبيت الثانى فى تاج العروس ٣٠٧/٤ (نكب) وروايته :" مناخى "

(٢)البيت من الوافر ، وهو لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ص٧٨ ، وشرح اختيارات المفضل ١٤٣٩/٣، وللطرماح فى ملحق ديوانه ص٥٧٣، ولسان العرب(عير)،وتاج العروس١٣/ ١٧٩(عير) ٢٧٤(عور) ، ٢٨٢(غور) ، و لبشر أو للطرماح أبيات سيبويه ٣٢٣/٢، ولابن الطراوة فى بغية الوعاة ٣٤١/٢ ، وبلا نسبة فى خزانة الأدب ١٦٨/٩ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٣١ ، وما ينصرف ومالا ينصرف ص١٢٥، والمقتضب ١٠/٤ ، ونوادر أبى زيد ص٣٢ ، والمفضليات ص٣٤٤ وشرحها للأنبارى ص٦٧٦ ، وديوان بشرق ص٧٨ زاده المحقق فى المصادر ، رواه الضبى لبشر ، ولم يروه الطوسى ، ولم يرد فى الاختيارين ، انظر شرح الأنبارى والاختيارين ص٥٩٣-٦٠٨. ورواه أبو عبيدة للطرماح . والبيت من شواهد الكتاب ٦٥/٢ .

خَبَرُهُ ، وكذلك " الناسُ " ابتداءٌ ، و " ينتجعون " خبرُه ، ومثلُ هذا في الكلام ، قرأتُ ﴿ الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ﴾ ، إنما حَكَيْتَ ما قرأتَ ، وكذلك : قرأتُ على خاتَمِهِ " الله أكْبَرُ " يا فتى ! فهذا لا يجوز سواه .

وقوله :

إذا النكبـــاء نـــاوحت الشَّـــمال

فإنَّ الرياحَ أربعٌ ، ونَكْباوَاتُها أربعٌ ، وهي الريحُ التي تأتي من بَينِ رِيحَيْن فتكونُ بينَ الشَّمالِ والصَّبَا ، أو الشَّمال والدَّبُورِ ، أو الجنوبِ والدَّبور ، أو الجَنُوبِ والصَّبَا ، فإذا كانتِ النَّكْباء تُناوِحُ الشَّمالِ فهي آيةُ الشِّتاء . ومعنى " تُناوِحُ " : تُقابلُ ، يقال تَناوَحَ الشَّجَرُ : إذا قابل بَعضهُ بَعْضًا ، وزعم الأصمعيُّ أنَّ النائحةَ بهذا سُمِّيَتْ ؛ لأنها تُقابِلُ صاحبتَها .

وقال يحيى بن نوفلٍ الحِمْيَرِيُّ ، ويقال إنَّه لم يَمْدَحْ أحدًا قطُّ :

فَلَوْ كُنْتُ مُمْتَدِحًا لِلنَّوالِ ... فَتًى لامْتَدَحْتُ عَلَيْهِ بِلالا
وَلكِنَّنِي لَسْتُ مِمَّنْ يُرِيدُ ... بِمَدْحِ الرِّجَالِ الْكِرَامِ السُّؤالا
سَيَكْفِي الْكَرِيمَ إخَاءُ الْكَرِيمِ ... وَيَقْنَعُ بِالْوُدِّ مِنْهُ نَوَالا[1]

ومن أحسن ما امْتَدحَ به ذو الرُّمَّةِ بلالاً قوله :

تَقُولُ عَجُوزٌ مَدْرَجِي مُتَرَوِّحًا ... عَلَى بَيْتِهَا[2] مِنْ عِنْدِ أهْلِي وَغَادِيَا
أذُو زَوْجَةٍ بِالْمِصْرِ أمْ ذو خُصُومَةٍ ... أرَاكَ لَهَا بِالْبَصْرَةِ الْعَامَ ثَاوِيَا

---

(١) الأبيات فى أخبار القضاة ٢/٣٢-٣٣ وتهذيب الكمال ٤/٢٧٧

(٢) بهامش بعض النسخ : " بابها " وهى رواية الديوان .

قال المرصفى : (على بيتها من عند أهلى) الرواية . على بابها من عند رحلى وبعده هذا البيت :

وقد عرفت وجهى منع اسم شهر على أننا كنا نطيل التنائيا . رغبة الآمل ٤/١٨٣

فَقُلْتُ لَهَا : لاَ ! إنَّ أهْلِي لَجِيرَةٌ   لأَكْثِبَةِ الدَّهْنَا جَمِيعًا وَمَالِيَا[1]
وَمَا كُنْتُ مُذْ أبْصَرْتِنِي فِي خُصُومَةٍ   أُرَاجِعُ فِيهَا يَا بْنَةَ الْخَيْرِ قَاضِيَا
وَلكِنَّنِي أقْبَلْتُ مِنْ جَانِبَي قَسَا   أَزُورُ فَتًى نَجْدًا كَرِيمًا يَمَانِيَا
مِنَ آلِ أبِي مُوسى تَرَى الْقَوْمَ حَوْلَهُ   كَأَنَّهُمُ الْكِرْوَانُ أبْصَرْنَ بَازِيَا
مُرِمِّينَ مِنْ لَيْثٍ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ   تَفَادَى الأُسُودُ الْغُلْبُ مِنْهُ تَفَادِيَا
وَمَا الْخُرْقَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ وَلاَ الْخَنَى   عَلَيْهِمْ وَلكِنْ هَيْبَةٌ هِيَ مَاهِيَا

قوله " مَدرجي " يقول : مُروري . فأما قولهم في المَثَل : " خَيْرُ مَنْ دَبَّ ودَرَجَ " فمعناه : مَنْ حَيِيَ ومَنْ ماتَ ، يريدون : مَنْ دَبَّ على وجه الأرض ومَنْ دَرَجَ عنها فَذَهب .

وقوله :

أراك لها بالبصرة العامَ ثاويا

فإنه يقال في هذا المعنى : ثَوَى الرجلُ فهو ثاوٍ يا فتى : إذا قام ، وهي أكثر ، ويقال أَثْوى فهو مُثْوٍ يا فتى ، وهي أَقَلُّ من تلك ، قال الأعْشَى :

أَثْوَى وَقَصَّرَ لَيْلَةً لِيُزَوَّدَا   فَمَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا[2]

وقوله : " قَسا " فهو موضع من بلاد بني تميم [3].

وقوله " لأكثبة الدهنا " فأَكْثِبَةٌ جمعُ كَثِيب وهو أقَلّ العدد ، والكثيرُ كُثُبٌ

---

(١) وقال الشيخ المرصفى :" فليس قوله "لا" جواباً لسؤالها وإنما هو رد لما توهمته من وقوع أحد الأمرين : ألا تراه لم يكتف بـ "لا" بل قال : إن أهلى لجيرة ، وقال : ما كنت مذ أبصرتنى فى خصومة ؟! فالخطأ إنما هو فى سؤالها " رغبة الآمل ٤/ ١٨٣ .

(٢)البيت من الكامل ، وهو للأعشى فى ديوانه ص٢٧٧ ، ولسان العرب (خلف) (ثوا)، وجمهرة اللغة ص٦١٥ ،ومقاييس اللغة ٣٩٣/١ ، ومجمل اللغة ٢١٣/٢ ـ وديوان الأدب ١٠٩/٤ ، وتهذيب اللغة ١٦٧/١٥ وتاج العروس ٢٧١/٢٣،(خلف) ، (ثوى) ، وبلا نسبة فى المخصص ٢٦٢/١٣

(٣) انظر معجم البلدان ٣٤٤/٤.

وكُثْبانٌ " والدَّهْنا " من بلاد بني تميم [1]، ولم أسْمَعْ إلا القصرَ مــن أهـل العلـم والعـربِ ، وسمعت بَعْدُ من يَرْوي مَدَّها ولا أعْرِفُه ، قال ذو الرمة [2]:

حَنَّتْ إلَى نَعَمِ الدَّهْنَا فَقُلْتُ لَهَا ... أُمِّي هِلالاً عَلَى التَّوْفِيقِ وَالرَّشَدِ

يعني هلالَ بن أحْوَزَ المازنيَّ ؛ وقال جرير [3]:

. . . . بَازٍ يُصَعْصِعُ بِالدَّهْنا قَطًا جُونا

وقوله :

كـأنهم الكـروان أبصـرن بازيـا

فالكِرْوانُ جماعةُ كَرَوانٍ ، وهو طائرٌ معروفٌ ، وليس هـذا الجمعُ لهذا الاسم بكماله ولكنَّه على حَذْفِ الزيادة . فالتقدير : كَرًا وكِرْوانٌ ، كما تقـول : أخٌ وإخْوانٌ ، ووَرَلٌ ووِرْلانٌ ، وبرَقٌ وبِرْقانٌ ، والبَرَقُ أعجميٌّ ولكنَّه قد أُعْرِبَ وجُمعَ كما تُجْمَعُ العربيةُ ، واسْتُعْمِلَ الكَرَاونُ جمعًا على حذْفِ الزِّيادة واسْتُعْمِلَ في الواحد كذلك .

تقول العرب في مثل من أمثالها :

أَطْـرِقْ كَـرَا أَطْـرِقْ كَـرَا ... إنَّ النَّعَـامَ في الْقُـرَى

يريدون الكروانَ [4].

وقوله :

منَ ال أبـي موسـى تـرى القـوم حولـه

---

(١) انظر معجم البلدان ٤٩٣/٢ وحكى فيها اللغتين .

(٢) ديوانه ق ١٧/٤ ج ١/ ١٧٥ .

(٣) سبق والبيت من البسيط ، وهو لجرير فى ديوانه ص ٥٤٢ ، ولسان العرب (صعع) ، (دهن) ، وفيه " نار تصعصع" ، وهذا عجزه ، وصدره كأن حاديها لما أضربها

(٤) انظر الكتاب ، فما ذهب إليه المبرد من أن الكروان جمع كروان كسر على حذف زوائده هو مذهب سيبويه وابن جنى ، ورده بعضهم وقال : الكرا لغة فى الكروان ، والكروان جمع كرا ، .

فقال : " تَرَى " ولم يقل : تَرَيْنَ ، وكانت المخاطبةُ أوَّلاً لامرأة ألا تراه يقول :

وَمَا كُنْتُ مُذْ أَبْصَرْتِنِي فِي خُصُومَةٍ أُرَاجِعُ فِيهَا يَا بْنَةَ الْخَيْرِ قَاضِيَا

ثم حَوَّلَ المخاطَبَة إلى رجل، والعربُ تَفْعَلُ ذلك ، قال الله عزَّ وجلَّ :﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾[1]فكأن التقدير - والله أعلم - كان للناس ، ثم حُوِّلَتِ المخاطبةُ إلى النبي ﷺ [2]، وقال عَنْتَرَةُ بنُ شدَّاد :

شَطَّتْ مَزَارَ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِرًا عَلَيَّ طِلَابُكِ ابْنَةَ مَخْرَمِ[3]

وقال جرير :

مَا لِلْمَنَازِلِ لا يُجِبْنَ حَزِينَا أصممْنَ أمْ قَدُمَ الْمَدَى فَبَلِينَا؟

وَتَرَى الْعَوَاذِلَ يَبْتَدِرْنَ مَلَامَتِي وَإِذَا أَرَدْنَ سِوَى هَوَاكِ عُصِينَا[4]

فقال أَوَّلا لرجل ، ثم قال : " سوى هواكِ "، وقال آخر :

فِدىً لَكَ وَالِدِي وَسَرَاةُ قَوْمِي وَمَالِي إِنَّهُ مِنْهُ أَتَانِي[5]

---

(١) سورة يونس :٢٢.

(٢) كذا قال ! وقال الشيخ المرصفي :"وإنما الخطاب فيها للناس ... ثم صرف ذلك الخطاب إلى الغيبة ..." رغبة الآمل ١٨٧/٤ . وانظر تفسير القرطبى ٣٢٤/٨_ ٣٢٥ .

(٣)البيت من الكامل ، وهو لعنترة فى ديوانه ص١٠٩ ، ولسان العرب قلت : ويسمى ذلك بالالتفات ، وهو فن بديع من فنون العربية ، والنكتة فيه فى هذه الآية هى أن المخاطبين ليسوا أهلاً للخطابة ، ولا أهلاً لتلك النعمى ، وهو جريان الفلك بهم بريح طيبة ، فلذلك حول الخطاب عنهم، ونزل منزلة الغائبين تحقيًا لهم"(زأر) ،(زور) (شطط)وتاج العروس(٣٩٦/١١(زأر) ، ٤٧٢ (زور)، ٤١٥/١٩ (شطط) ، (ركل) ، وبلا نسبة فى مقاييس اللغة ٤٢/٣، وفى لفظ :" على طلابها" والكلمة هى معلقته . وسيأتى البيت

(٤)البيتان من الكامل ، وهما لجرير فى ديوانه ص٤٣٨ ط.دار الكتب العلمية وبينهما بيت ثالث ، وفيه :(سوى هواى) .

(٥) قال على بن حمزة فى التنبيهات ١٣١:"لا معنى لهذا البيت على هذه الرواية [وإنما الرواية] فتى له والدى بالهاء مختلسة الحركة ...". اهـ وعلق العلامة الميمنى على هذا القول :بقوله " هذا بيت غفل فرد وأنا مع كثرة الإمعان لم أقف على هذه الإحالة بعد ولا أرى له مستنداً فيما يدعى " اهـ، وسيأتى البيت ، والبيت من الوافر وهو بلا نسبة فى لسان العرب (فدى) ، وتاج العروس (فدى) ، بلفظ :

فدى لك ولدى وفدتك نفسى ومالى إنه منكم أتانى

على تحويل المخاطبة .

وقوله : " مُرِمِّينَ " يريد سُكوتًا مُطْرِقين ، يقال : أَرَمَّ إذا أَطْرَقَ ساكتًا .

وقوله :" تفَادَى أُسُودُ " معناه يفتدي منه بعضُها ببعضٍ . وفي الخبر أنَّ سليمانَ ابنَ عبدِ المَلِكِ أَمَرَ بدَفْعِ عيالِ الحَجَّاجِ ولُحْمَتِهِ إلى يَزيدَ بنِ المُهَلَّبِ فَتَفَادَى منهم ، تأويله : فَدَى نفسَهُ من ذلك المقام بغيره .

وقوله :

وَمَا الخُرْقَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ وَلاَ الْخَنَى ... عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ هَيْبَةٌ هِيَ مَاهِيَا

إذا رفعتَ " هيبة " فالمعنى : ولكنْ أَمْرُهُ هَيْبَةٌ ، كما قال الله عزَّ وجلَّ :﴿ **لَمْ يَلْبَثُوا إلا ساعةً من نهار بَلاغٌ** ﴾ [1] أي :ذلك بلاغٌ ، ومثله قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ** ﴾ [2] يكون رفعُهُ على ضربين : أحدُهما : أمْرُنا طاعةٌ وقولٌ معروفٌ ، والوجه الآخر : طاعةٌ وقولٌ معروفٌ أمْثَلُ .

ومن نصب " هيبة " أراد المصدرَ أي : ولكن يُهابُ هَيبةً .

وأحسنُ ما قيل في هذا المعنى :

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ ... فَمَا يُكَلَّمُ إلا حِينَ يَبْتَسِمُ [3]

---

(١) سورة الأحقاف : ٣٥ .

(٢) سورة محمد : ٢١ .

(٣) البيت من البسيط ، وهو للحزين الكناني واسمه (عمرو بن عبد وهيب) وقال ابن أبى الدنيا (اسمه سليمان) مكارم الأخلاق صـ٢٣ ط ابن تيمية من كلمة يمدح بها عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، ورواه ابن أبى الدنيا مع آخر له فى مدح عبد العزيز بن مروان فى خبر حكاه ، ويرويان فى كلمة الفرزدق فى مدح زين العابدين وهو غلط ممن رواهما فيها كما قال الأصبهانى ، ويرويان لغيره انظر مكارم الأخلاق ص ٢٣ ، والأغانى ١٥/٣١٥ ، والبيان والتبيين ٣٠٧/١ ، والشعر والشعراء ١/ ٦٥ ، وشرح أبيات مغنى اللبيب ٥/ ٣١١-٣٣ ،ولسان العرب (حزن) ، والمؤتلف والمختلف ص٨٩ ، وللفرزدق فى ديوانه ٢/ ١٧٩ ، وأمالى المرتضى ١/ ٦٨ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ص١٦٢٢ ، وشرح شواهد المغنى ٢/ ٧٣٢ ، ومغنى اللبيب ١، ٣٢٠، والمقاصد النحوية ٥١٣/٢ ، ٣/ ٢٧٣ ، وبلا نسبة فى أوضح المسالك ١٤٦/٢ ، وشرح الأشمونى ١٨٣/١ ، وشرح المفصل ٢/ ٥٣ .

وقال الفرزدق [1] يعني يزيدَ بن المهلَّب :

وإذَا الرِّجَـالُ رَأَوْا يَزِيــدَ رَأَيْتَهُــمْ خُضُـعَ الرِّقَـابِ نَوَاكِـسَ الأَبْصَـارِ

وفي هذا البيت شيءٌ يَسْتَطْرِفُه النَّحْوِيُّون ، وهو أَنَّهم لا يَجمَعُون ماكان من فاعل نعتًا على فَوَاعِلَ ؛ لئلا يلتبس بالمؤنث ؛ لا يقولون ضاربٌ وَضَوارُب ، وقَاتِلٌ وقواتِلُ ، لأَنَّهم يقولون في جمع ضاربةٍ ضوارِبُ ، وقاتلةٍ قواتلُ ، ولم يَأْتِ ذلك إلا في حرفين أحدهما في جمع فارسٍ فَوَارِسُ ؛ لأنَّ هذا ممَّا لا يُسْتَعْمَلُ في النِّساء فَأَمِنُوا الالتباسَ ، ويقولون في المثل [2]: " هو هالِكٌ في الهوالِكِ " ، فأجْرَوْهُ على أصله لكَثْرَةِ الاستعمال لأنَّه مَثَلٌ ؛ فلما احتاج الفرزدقُ لِضَرُورَةِ الشِّعْرِ أَجْرَاه على أصله فقال : " نواكس الأبصار " ولا يكونُ مثلُ هذا أبدًا إلا في ضَرُورَةٍ [4].

* * *

---

(١)البيت من الكامل ،وهو للفرزدق فى ديوانه ١/٣٠٤، والكتاب ٢/ ٢٠٧ ، والمقتضب ١/ ١١ ، ٢/ ٢١٩ والخزانة ١/ ٩٩ - ١٠٨، وجمهرة اللغة ص٦٠٧ ، وشرح أبيات سيبويه ٢/٣٦٧ ، وشرح التصريح ٢/ ٣١٣ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ص٣٩ ، وشرح شواهد الشافية ص ١٤٢ ، وشرح المفصل ٥/٥٦ ، ولسان العرب (نكس) (خضع)

(٢) ذكر البغدادى فى الخزانة ١/ ١٠٠ أحد عشر لفظاً على فواعل جمع فاعل صفة لمذكر وهى : ناكس ونواكس ، وفارس وفوارس ، وهالك وهوالك ، وغائب وغوائب ، وشاهد وشواهد ، وحارس وحوارس ،وحاجب وحواجب من الحجابة ، وخاطئ وخواطئ ،وحاج وحواج ،ودارج ودوارج ، ورافد وروافد .

(٣) قال على بن حمزة فى التنبيهات ١٣٢:"... قد جاء طائح فى الطوائح كما قالوا هالك فى الهوالك ، قال نهشل بن حرى :

ليبك يزيد بائس ذو ضراعة وأشعث ممن طوحته الطوائح

وقد جاء فى غير الضرورة لذى الرمة فى صفة فحل إبل :

طوى البطن عافى الظهر أقصى صريفه عن الشول شذان الفحول العوارم " اهـ .

وقال أبو الوليد الوقشى فى شرح الكامل :" هذا مخرج على الضرورة وهو أن تريد بالرجال جماعات الرجال فكأنه جماعات نواكس وواحده جماعة ناكسة فيكون مقيساً جاريًا على بابه كقائلة وقوائل .." انظر كلامه فى الخزانة ١/ ٩٩ -١٠٠ .

باب

قال جريرٌ ، ونزل بقَوْمٍ من بني العَنْبَرِ بن عَمْرِو بن تميم ، فلم يَقْرُوهُ حتى اشـتْرَى منهم القِرَى ، فانْصَرَف وهو يقول :

يَـا مـاَلِكُ بـنَ طَرِيـفٍ إنَّ بَيْعَكُـمُ	رِفْـدَ القِـرَى مُفْسِـدٌ لِلدِّيـنِ وَالحَسَـبِ
قَـالُوا : نَبِيعُكَـهُ بَيْعًـا فَقُلْـتُ لَهُـمْ	بِيعُـوا المَوَالِـيَ وَاسْتَحْيُوا مِـنَ الْعَـرَبِ
لَوْلا كِرَامُ طَرِيفٍ مَـا غَفَـرْتُ لَكُـمْ	بَيْعِـي قِـرَايَ وَلاَ أَنْسَـأْتُكُمْ غَضَبِـي
هَـلْ أَنْتُـمُ غَـيْر أَوْشَـابٍ زَعانِفَـةٍ	رِيشُ الذُّنَابَي وَلَيْسَ الرَّأْسُ كَالذَّنَبِ[1]

قوله :" يا مالكَ بنَ طَرِيفٍ " فمن نصب فإنما هو على أنَّه جعل " ابن " تابعًا لِما قبلَه ، كالشيءِ الواحد ، وهو أَكْثَرُ في الكلام إذا كان اسمًا عَلَمًا منسوبًا إلى اسمٍ عَلَمٍ جُعِلَ " ابن " مع ما قبلَه بمنزلة الشيءِ الواحد ، ومثل ذلك :

يَا حَكَمَ بنَ المُنْذِرِ بنِ الجَارُود[2]

ومن وقَفَ على الاسم الأول ثمَّ جعلَ الثاني نعتًا لم يَكُنْ في الأول إلا الرَّفْعُ ، لأنَّه

---

(١) الأبيات فى ديوانه ص ٤٦ط. دار الكتب العلمية بدون البيت الرابع مع تقديم وتأخير واختلاف فى الألفاظ وفيمن سقيت على النحو التالى

ياطعم يابن قريط إن بيعكمُ	رفد القرى ناقص للدين والحسب
لولا عظام طريفٍ ماغفرت لكم	يومى بأود ولا أنسأتكم غضبى
قالوا: اشتروا جزرًا منافقلت لهم	بيعوا الموالى واستحيوا من العرب

(٢) البيت من الرجز وهو للكذاب الحرمازى- وهو عبد الله بن الأعور والكذاب لقبه -من أبيات فى الشعر والشعراء ٢/ ٦٨٩، وهو من شواهد الكتاب ١/ ٣١٣، والمقتضب ٢٣٢/٤وانظر شرح أبيات سيبويه ٤٧٢/١، والبيت لرؤبة فى ملحق ديوانه ص١٧٢، ولسان العرب (سردق) ، وتاج العروس (سردق) ،وفيه : قال الصاغانى الرجز ليس له ، وإنما هو للكذاب الحرمازى ، والكتاب ٢٠٣/٢،ولرؤبة أو للكذاب الحرمازى فى شرح التصريح ١٦٩/٢، والمقاصد النحوية ٢١٠/٤ ، وبلا نسبة فى أوضح المسالك ٢٢/٤ ، ورصف المبانى ص ٣٥٦ ، وسر صناعة الإعراب ٥٢٦/٢ وشرح الأشمونى ٤٤٦/٢ وشرح المفصل ٥/٢. وبعده :

أنت الجواد ابن الجواد المحمود　　سرادق المجد عليك ممدود

مفردٌ نُعِتَ بمضافٍ ، فصار كقولك : يا زيدُ ذا الجُمَّةِ .

وقوله " وَلاَ أَنْسَأْتُكمْ غَضَبِي " يقول : لم أُؤَخِّرْهُ عنكم ، يقال : نَسَأَ ا الله في أَجلِكَ ، وَأَنْسَأَ ا الله أَجَلَكَ ، والنَّسِيءُ من هذا ، ومعناه تأخيرُ شَهْرٍ عن شهر ، وكانتِ النَّسَأَةُ من بني مُدْلِجِ بنِ كنانةَ،فأنزل ا الله عزَّ وجلَّ: **﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾**[(١)]؛ لأنَّهم كانوا يُؤَخِّرون الشُّهُورَ فيُحَرِّمون غيرَ الحرام ،ويُحِلُّونَ غيرَ الحَلالِ ، لِمَا يُقَدِّرونه من حُرُوبهم وتَصَرُّفِهِمْ ، فاستَوَتِ الشُّهُورُ لَمَّا جاء الإِسلام،وَأبان ذلك رسول ا الله ﷺ في قوله:" **إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ ا الله السَّمَواتِ والأَرْضَ**"[(٢)].

وقوله :

هل أنتمُ غيرُ أوشابٍ زعانفةٍ

فالأشابةُ : جماعةٌ تدْخُلُ في قومٍ وليستْ منهم ، وإنما هو مأخوذ من الأمر الأَشِبِ أي المختلط ، ويزعم بعض الرواة أن أصلَه فارسيٌّ أُعْرِبَ ، يقال بالفارسية : وقعَ القومُ في آشُوب أي:في اختلاطٍ، ثم تَصَرَّفَ ، فقيل : تَأَشَّبَ النبتُ ، فصُنِعَ منه فِعْلٌ [(٣)].

وأَمَّا " الزَّعانفُ " فأصلُها أجنحةُ السَمَكِ ، سمي بذلك الأَدْعِيَاءُ لأنَّهم الْتَصَقُوا بالصميم ، كما التصقتْ تلك الأجنحة بعظام السمكِ ؛ قال أَوسُ بنُ حجرٍ :

---

(١) سورة التوبة / ٣٧ .

(٢)الحديث أخرجه البخارى فى "الأضاحى "، باب من قال :الأضحى يوم النحر (١٠/١٠) ، (ح٥٥٥٠)، ومسلم فى " القسامة"، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ،(ح١٦٧٩). كلاهما من حديث أبى بكرة.

(٣) قال محقق (س) بعد زيادات ر: "هذا وهم من أبى العباس ليس لأشابة ولا الأشب من الأوشاب، لأن فاء الفعل من الأشابة همزة ومن أوشاب واو ، ولكنه مثله فى المعنى يحتمل أن يكون أصله وشابة وأبدلت الواو المضمومة همزة ". وعلق الشيخ المرصفى على قول صاحب الحاشية يحتمل أن يكون ....إلخ قال :" لا مساغ لهذا الاحتمال مع اتفاق أهل الغة على أنهما مادتان ليست إحداهما مقلوبة عن الأخرى " رغبة الآمل ٤/ ١٩٢ .

. . . . .كَأَنَّمــــا   قَوَائمُــــه في جَانِبَيْـــهِ زَعَـــانِفُ

وتزعم الرُّواةُ أنَّ مِمَّا أَنِفتْ منه جِلَّةُ المَوَالِي هذا البيتُ ، يعني قولَ جرير :

بِيعُـوا المَوَالِـيَ وَاسْـتَحْيُوا مِـنَ الْعَـرَبِ

لأنَّه حَطَّهُمْ ووَضَعَهم،ورأى أنَّ الإساءَةَ إليهم غـيرُ محسوبة عَيْبًـا،ومثـلُ ذلـك قـولُ المُنْتَجعِ لرجل من الأشـراف:مَـا عَلَّمْـتَ وَلَـدَكَ؟قـال:الفرائـضَ،قـال:ذلـك عِلْـمُ المَـوَالي لا أبالك!عَلِّمْهُمُ الرَّجزَ،فإنَّه يُهَرِّتُ أَشْدَاقَهُمْ [1].ومن ذلك قولُ الشَّعْبِيِّ ومَرَّ بقوم مـن المـوالي يتذاكرونِ النحو ، فقال : لَئِنْ أَصْلَحْتُمُوهُ إِنَّكُمْ لأَوَّلُ من أَفْسَدَهُ ! ومن ذلك قول عنترة :

فَمَــا وَجَدُونَـا بِـالْفَرُوقِ[2] أُشَـابَةً   وَلاَ كُشُــفًا وَلاَ دُعِينَـا مَوَالِيــا[3]

ومن ذلك قولُ الآخر :

يُسَمُّونَنَا الأَعْرَاب[4] وَالعَرَبُ اسْمُنَا   وَأَسْـمَاؤُهُمْ فينـا رِقَــابُ المَـزَاوِدِ[5]

يريد أسماؤُهم عندنا الحَمرَاءُ [6]، وقولُ العرب : " ما يَخْفَـى ذلـك علـى الأسْـودِ والأحْمَرِ " يريد العربي والعجمي ، قال المختار لإبراهيم بن الأشتر يومَ خَازِرَ - وهو اليــومُ

---

(١)(يهرت أشداقهم) يوسعها وقد هرت شدقه " بالكسر " فهو أهرت إذا اتسع . يريد أن حفظ الرجز يسد العارضة ويقيم . رغبة الآمل ١٩٣/٤ .

(٢)(بالفروق) " بفتح الفاء " اسم عقبة دون هجر كانت بها وقعة لبنى عبس بن بغيض على بنى سعد ابن زيد بن مناة بن تميم . رغبة الآمل ١٩٣/٤ .

(٣) البيت من الطويل ، وهو لعنترة فى شرح ديوانه ص ١٦٠ ط . دار الكتب العملية .

(٤)(الأعراب) هم من نزلوا البادية وانتجعوا لطلب الكلأ ومساقط الغيث (والعرب) هم من نزلوا المدن والقرى من بلادهم وكلاهما فى معناه جمع واحده عربى وأعرابى والعربى أشرف وأكرم من الأعرابى رغبة الآمل ١٩٤/٤ .

(٥)البيت من الطويل ، وهو بلا نسبة فى أساس البلاغة ص١٧٢ (رقب).

(٦) قال الشيخ المرصفى :" على سبيل الكناية . والعرب تلقب الموالى وسائر العجم من الفرس والروم ومن صاقبهم بالحمراء لغلبة البياض على ألوانهم " رغبة الآمل ٤/ ١٩٤.

الذي قُتِلَ فيه عبيدُ الله بنُ زياد ـ : إن عَامَّةَ جُنْدِكَ هؤلاء الْحَمْرَاءُ ، وإنَّ الحَرْبَ إنْ ضَرَّسَتْهُمْ هَرَبُوا ، فاحمِلِ العَرَبَ على مُتُونِ الخَيْلِ ، وأَرْجِلِ الحَمْراءَ أمامَهم .

ومن ذلك قولُ الأشعثِ بن قَيْسٍ لعليٍّ بن أبي طالب رحمه الله ، وأتاه يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاس، وعليٌّ على المِنْبَرِ فقال : يا أميرَ المؤمنين ! غَلَبَتْنا هذه الحمراءُ على قُرْبِكَ ، قال : فَرَكَضَ عليٌّ المِنْبَرَ برِجْلِه ، فقال صَعْصَعَةُ بنُ صُوحانَ الْعَبْديُّ : مالنا ولهذا ؟ ـ يعني الأشعث ـ لَيَقُولَنَّ أميرُ المؤمنين اليومَ في العرب قَوْلاً لا يَزَالُ يُذْكَرُ ، فقال عليٌّ : مَنْ يَعْذِرُني من هذه الضَّيَاطِرَةِ ؟ يَتَمَرَّغُ أَحَدُهُمْ على فراشِه تَمَرُّغَ الحِمار ، ويَهْجَرُ قَوْمٌ للذِّكْرِ ، فيَأْمُرُوني أن أَطْرُدَهُمْ ، ما كنتُ لأَطْرُدَهُمْ فأكونَ من الجاهلين ، والذي فَلَقَ الحبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَيَضْرِبُنَّكُمْ على الدِّين عَوْدًا كما ضَرَبْتُمُوهُم عليه بَدْءًا .

قوله :" الضياطرة " واحدهم ضَيْطَرٌ وَضَيْطَارٌ ، وهو الأحمر الْعَضِلُ الفاحِشُ ، قال خِداشُ بنُ زُهَيْرٍ :

وَتُرْكَبُ خَيْلٌ لاَ هَوَادَةَ بَيْنَهَا ... وَتَشْقَى الرِّماحُ بالضَّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ[1]

وإنما قال جريرٌ لبني الْعَنْبَرِ :

هل أنتم غير أوشاب زعانفة

لأنَّ النسَّابين يزعمون أنَّ العَنْبَرَ بن عَمْرِو بن تميم إنَّما هو ابنُ عمرو بن بَهْرَاءَ ، وأنَّ أُمَّه أُمُّ خارِجةَ الْبَجَلِيَّةُ التي يقال لها في المَثَلِ : " أَسْرَعُ من نِكاح أُمِّ خَارِجَةَ " وكانت قَدْ وَلَدَتْ في العرب في نَيِّفٍ وعشرين حَيًّا من آباءٍ متفرقين[2]؛ وكان يقول لها الرجلُ :

---

(١)البيت من الطويل ، وهو لخداش بن زهير فى الأضداد ص ١٥٣، وأمالى المرتضى (٤٦٦/١) ، ولسان العرب ٤٨٩/٤ (ضطر) ، وبلا نسبة فى سر صناعة الإعراب (٣٢٣/١) ، والصاحبى فى فقه اللغة ص٢٠٣بلفظ (ونركب خيلا).

(٢) قال على بن حمزة فى التنبيهات ١٧٣ :"قال أبو جعفر [بن النحاس] :" الذى حكاه أهل اللغة ، يقال : هم مفترقون فى النسب ، وكانوا جماعة فصاروا متفرقين . وقول أبى جعفر هو الأعلى والأصح ".

خِطْبٌ ؟ فتقول : نُكْحٌ[1] ، وكذلك قال يونس بن حَبيب . فَنَظَرَ بَنُوها إلى عَمْرِو بن تميم قد وَرَدَ بلادَهم ، فَأَحَسُّوا بأنَّه أراد أُمَّهم فبَادروا إليهليَمْنَعُوه تَزَوُّجَهَا ، وَسَبَقَهُمْ لأَنَّه كان راكبًا ، فقال لها : إنَّ فيك لَبَقِيَّةً ! فقالتْ : إنْ شئتَ ؛ فجاءوا وقد بَنَى عليها ، ثم نَقَلَها بعدُ إلى بلده . فتزعم الرواةُ أنَّها جاءت بالْعَنْبَرِ معها صغيرًا ، وَأَوْلَدَهَا عَمْرُو بنُ تميم أُسَيِّدَ وَالْهُجَيْمَ وَالقُلَيْبَ ، فَخَرَجُوا ذاتَ يوم يَسْتَقُونَ فَقَلَّ عليهم الماءُ ، فأَنْزَلُوا مائِحًا من تميم فَجَعَلَ المائحُ يملأُ الدَّلْوَ إذا كانتْ لِلْهُجَيْمِ وَأُسَيِّدَ والقُلَيْبِ ، فإذا وَرَدَتْ دَلْوُ الْعَنْبَرِ تَرَكَها تَضْطَرِبُ ، فقال العنبرُ [2]:

قَدْ رَابَنِي مِنْ دَلْوِيَ اضْطِرَابُهَا ... وَالنَّأْيُ عَنْ بَهْرَاءَ وَاغْتِرَابُهَا

إلاَّ تَجِئْ مَلأَى يَجِئْ قُرَابُهَا

فهذا قولُ النَّسَّابين .

ويُرْوَى أنَّ رسول ا لله ﷺ قال يومًا لعائشة رحمها ا لله ، وقد كانت نَذَرَتْ أَنْ تُعْتِقَ قَوْمًا مِنْ وَلَدِ إسْماعِيلَ ، فَسُبِيَ قومٌ من بني الْعَنْبَرِ ، فقال لها رسولُ ا لله ﷺ : " **إنْ سَرَّكِ أَنْ تُعْتِقِي الصَّمِيمَ من وَلَدِ إسماعيلَ فَأَعْتِقِي من هؤلاء** "[3] . فقال النَّسَّابون :

---

(١) قال محقق (س) :بضم النون من نكح وعد كسرها غلطاً انظر الفاضل ١١٦ ، إلا أنه يقال : نكح بالكسر والضم لغتان ، انظر اللسان (نكح) ولعلهم آثروا الكسر ليوازن خطباً .

وضبط فى النسخ جميعاً بكسر النون وضبطته بالضم على ما حكاه المبرد عن يونس أنه بالضم .

(٢) الرجز للعنبر بن تميم فى لسان العرب ١/ ٦٦٤ (قرب) ، والتنبيه والإيضاح ١/ ١٢٧ ، وتاج العروس ٤/ ١٥ (قرب) ، وبلا نسبة فى لسان العرب ١/ ٤٤٣ (ريب)وكتاب الجيم ٣/٩٧. ، والأبيات فى طبقات فحول الشعراء ٢٧ ، والدرة الفاخرة ١/ ٢٢٥ .

(٣)قد ورد الحديث بلفظ :"أن أبا هريرة رضى ا لله عنه قال : ثلاث سمعتهن لبنى تميم من رسول ا لله ﷺ لا أبغض بنى تميم بعدهن أبدًا ، كان على عائشة رضى ا لله عنها نذر محرر من ولد إسماعيل فسُبِيَ سَبْى من بلعنبر فلما جيء بذلك السبى قال لها رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : "إن سرك أن تفى بنذرك فأعتقى محررًا من هؤلاء فجعلهم من ولد إسماعيل ...."الحديث وأخرجاه فى الصحيحين بنحوه من حديث أبى زرعة عن أبى هريرة فرواه البخارى فى " العتق " (٥/ ٢٠٢)،(ح٢٥٤٣) ، ومسلم (ح٢٥٢٥) .

فَبَهْرَاءُ من قُضَاعَةَ ، وقد قيلَ : قُضَاعَةُ من بني مَعَدٍّ ، فقد رجعُوا إلى إسماعيل ، ومن زعم أنَّ قضاعة من بني مالكِ بنِ حِمْيَرَ ـ وهو الحقُّ ـ قال : فالنسبُ الصَّحِيحُ في قَحْطَانَ الرُّجوعُ إلى إسماعيل ، وهو الحقُّ وقولُ المُبرزينَ من العلماء . وإنّما الْعَرَبُ المتقدمةُ من أولاد عابَرَ ورَهْطُهُ عادٌ وَطَسْمٌ وَجَدِيْس وَجُرْهُمٌ والعَماليقُ . فأما قحطانُ عند أهل العلم فهو ابنُ الْهَمَيْسَعِ بن تَيْمَنَ بن نَبْتِ بنِ قَيْذَارَ بن إسماعيلَ بنِ إبراهِيمَ صلواتُ الله عليه ؛ فقد رَجَعُوا إلى إسماعيل ، وقد قال رسول الله ﷺ لقومٍ من خُزَاعَةَ ، وقيل من الأَنْصَار " **ارْمُوا يا بني إسماعِيلَ ، فإنَّ أباكم كانَ رامِيًا** "(1) .

* * *

وقال يَحْيَى بن نوفلٍ يهجو العُرْيان بن الهَيْثَمِ بن الأسود النخعي ـ وكان العُرْيانُ تزوَّجَ زَبادِ من وَلَدِ هانئ بن قبيصة الشَّيْبانيِّ ، وكانت عند الوليد بن عبدِ الملك فطلَّقها فتزوَّجها العريان ، وكان ابنُ نوفل له هَجَّاء ـ فقال :

أَعُرْيَانُ مَا يَدْرِي امْرُؤٌ سِيلَ عَنْكُمُ	**أَمِنْ مَذْحِجٍ تُدْعَوْنَ أَمْ مِنْ إِيَادِ**
فَإِنْ قُلْتُمُ مِنْ مَذْحِجٍ إِنَّ مَذْحِجًا	**لَبِيضُ الوُجُوهِ غَيْرُ جِدٍّ جِعَادِ**
وَأَنْتُمْ صِغَارُ الهَامِ حُدْلٌ كَأَنَّمَا	**وجُوهُكُمُ مَطْلِيَّةٌ بِمِدَادِ**
فَإِنْ قُلْتُمُ الحَيُّ اليمَانُون أَصْلُنَا	**وَنَاصِرُنَا فِي كُلِّ يَوْمِ جِلادِ**
فَأَطْوِلْ بِأَيْرٍ مِنْ مَعَدٍّ وَنَزْوةٍ	**نَزَتْ بإِيَادٍ خَلْفَ دَارِ مُرَادِ**
لَعَمْرُ بَنِي شَيْبَانَ إِذْ يُنْكِحُونَهُ	**زَبَادِ لَقَدْ مَا قَصَّرُوا بِزَبادِ**
أَبْعَدَ الْوَلِيدِ أَنْكَحُوا عَبْدَ مَذْحِجٍ	**كَمُنْزِيَةٍ عَيْرًا خِلافَ جَوَادِ**

(1) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب "الجهاد" باب التحريض على الرمى برقم (٢٨٩٩)" وأحاديث الأنبياء برقم (٣٥٠٧) من حديث سلمة بن الأكوع قال :" مر النبى (ﷺ) على نفر من أسلم ينتضلون ، فقال النبى (ﷺ) : ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان رامياً ، ارموا وأنا مع بنى فلان . قال : فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال رسول الله (ﷺ) : مالكم لا ترمون ؟ قالوا : كيف نرمى وأنت معهم ؟ فقال النبى (ﷺ) : ارموا فأنا معكم كلكم ".

وَأَنْكَحَهَــا لاَ في كِفَــاءٍ وَلاَ غِنًــى   زيــادٌ أضَــلَّ اللهُ سَـــعْيَ زِيَــادِ

قوله :

أمــن مذحــج تدعــون أم مــن إيــاد

فبنو مَذْحِج بنو مالِكِ [بن أُدَدِ] بن زيد بن يَشْجُبَ بن عَرِيبِ بن زَيْدِ بن كَهْلانَ بنِ سبإ بن يَشجُبَ بن يعْرُبَ بن قحطان . وإيادٌ ابنُ نزارِ بن معدٍّ عدنان . ويقال : إنَّ النَّخَعَ وثَقِيفًا أخوان من إيادٍ . فأما ثَقِيفٌ فهو قَسِيُّ بنُ مُنَبِّه بن بكر بن هوازنَ بن منصورِ بن عِكْرِمة بن خصفةَ بن قيس بن عيلان بن مُضَرَ ، فهذا قولُ قوم . فأما آخرون فيزعمون أنَّ ثَقِيفًا من بقايا ثَمود ، ونسبهم غامضٌ على شَرَفِهم في أخلاقهم ، وكَثْرَةِ مَنَاكِحِهِمْ في قُرَيشٍ ، وقد قال الحجاج على المنبر : تزْعُمُون أَنَّا من بَقايا ثَمُودَ ، واللهُ عز وجل يقول: ﴿ وَثَمُودا فَمَا أَبْقَى ﴾ [1]. وقال الحجاجُ يومًا لأبي العَسُوسِ الطائيِّ : أَيُّ أَقْدَمُ ؟ أَنُزُولُ ثَقِيف الطَّائِفَ ، أم نزولُ طَيِّئ الجبلين ؟ فقال أبو العَسُوس : إنْ كانتْ ثقيف من بَكْرِ بنِ هَوازنَ فَنُزُولُ طيئ الجبلين قبلها،وإنْ كانتْ ثَقِيف من ثَمُودَ فهي أَقْدَمُ ، فقال الحجاجُ : يا أبا العَسُوسِ ، اتَّقِنِي فإنِّي سريعُ الخَطْفَةِ للأحمق المُتَهَوِّكِ[2] ! فقال أبو العَسُوس :

يُؤَدِّبُنِــي الحَجَّــاجُ تَــأْدِيبَ أَهْلِــهِ   فَلَوْ كُنْتُ مِنْ أَوْلاَدِ يُوسُفَ مَا عَدَا

وَإِنِّــي لأَخْشَــى ضَرْبَــةً ثَقَفِيَّــةً   يَقُــدُّ بِهَــا مِمَّــنْ عَصَــاهُ المُقَلَّـدَا[3]

عَلَــى أَنَّنِــي مِمَّــا أُحَــاذِرُ آمِــنٌ   إِذَا قِيلَ يَوْمًا قَدْ عَتَـا المَـرْءُ واعْتَـدَى

---

(١)سورة النجم : ٥١. وثمودا بالتنوين كذا فى بعض النسخ ، وهى قراءة غير حمزة وعاصم فى رواية حفص من السبعة ، فقرآ وثمود بغير تنوين وكذا ضبط فى بعض النسخ ـ . انظر السبعة لابن مجاهد ٦١٥ ، وحجة القراءات ٦٨٨ ، والنشر ٢/ ٣٧٩ ، ٢٨٩-٢٩٠ ،والكشف عن وجوه القراءات لمكى ٢/ ٢٩٦ و٥٣٣/١ ، والبحر ١٦٩/٨ ، وفات صاحب البحر نسبة القراءة بغير تنوين لحمزة ، وهى قراءة يعقوب من العشرة .

(٢)هو المتهور الذى يقع فى الشيء بغير مبالاة ولا روية . رغبة الامل ٤/ ٢٠١ .

(٣) المقلد : موضع القلادة ، يريد العنق .

وقد كان المغيرة بن شعبة ، وهو والي الكوفة ، صار إلى دَيْرِ هندٍ بنت النُعْمان بن المنذر ، وهي فيه عمياء مُترهِّبَةٌ فاستأْذَن عليها ، فقيل لها:أميرُ هذه المَدَرَةِ بالباب ، فقالت : قولوا له : أَمِنْ وَلَدِ جَبَلَةَ بن الأيْهَمِ أنت ؟ قال : لا ، قالت : أَفَمِنْ وَلَدِ المُنْذِرِ بن ماء السَّماء ؟ قال : لا ، قالت : فَمَنْ أنتَ ؟ قال : المُغيرةُ بنُ شعبة الثقفيُّ ، قالت : فما حاجتُك ؟ قال : جئتكِ خاطبًا ، قالت : لو كنتَ جئتني لِجَمال أو لمال لأَطْلَبْتُك، ولكنّك أردت أن تَتَشرَّفَ بي في مَحَافِلِ العرب ، فتقول : نكحتُ ابنةَ النعْمَانِ بنِ المنذر ، وإلا فأيُّ خيرٍ في اجتماع أَعْوَرَ وعَمْياءَ ؟ فبعثَ إليها:كيف كان أَمْرُكُم ؟ فقالت : سأختصرُ لك الجوابَ: أَمْسَيْنا مَسَاءً ، وليس في الأرض عَرَبيٌّ إلا وهو يَرْغَبُ إلينا ويَرْهَبُنا ثم أَصْبَحْنا ، وليس في الأرض عربيٌّ إلا ونحن نَرْغبُ إليه ونَرْهَبُهُ . قال : فما كان أبوك يقول في ثقيف ؟ قالت : اخْتَصَمَ إليه رجلان منهم ، أحدُهما يَنْمِيهَا إلى إيادٍ ، والآخر إلى بَكْرِ ابنِ هَوَازن ، فقضى بها للإيادِيِّ ، وقال :

إنَّ ثَقِيفًا لَمْ تَكُنْ هَوَازِنَا وَلَمْ تُنَاسِبْ عَامِرًا وَمَازِنَا

يريد عامر بن صعْصَعَةَ وَمَازِنَ بن مَنْصُورٍ ، فقال المغيرةُ : أما نحن فمن بكرِ بن هوازنَ ، فليقُلِ أبوكِ ما شاء !

وقالت أختُ الأشتر ، وهو مالكُ بن الحارث النخعي تبكيه ، وهذا الشعرُ رواه أبو اليقظان ، وكان متعصبًا :

أَبَعْدَ الأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ نَرْجُو مُكَاثَرَةً وَنَقْطَعُ بَطْنَ وَادِ
وَنَصْحَبُ مَذْحِجًا بإخاءِ صِدْقٍ وَإِنْ نُنْسَبْ فَنَحْنُ ذُرَا إِيَادِ
ثَقِيفٌ عَمُّنَا وَأَبُو أَبِينَا وَإِخْوَتُنَا نِزَارُ أُولُو السَّدَادِ

قوله [1]: " وأنتم صغار الهام حُدْلٌ " فالأحْدَلُ : المائلُ العُنُقِ ، يقال : قَوْسٌ حَدْلاءُ : إذا اعْوَجَّتْ سِيَتُها ، قال الراجز :

---

(١) يريد قول يحيى بن نوفل من كملته الدلية السالفة

لَهَـــا مَتَـــاعٌ وَلَهَـــاةٌ فَـــارِض   حَـدْلاَءُ كـالزِّقِّ (1) نَحاهُ المَـاخِضُ(2)

وأما قوله : " زَبادِ يا فتى " فله بابٌ نذكره على وجهـه باسـتقصائه بعـد فَراغنـا من تفسير هذا الشعر .

وقوله :" لَقَدْ مـا قَصَّرُوا " " مـا " زائـدةٌ مثـل قولـه تعـالى : ﴿ مِمَّـا خَطِيئَـاتِهِمْ أُغْرِقُوا ﴾(3) ولو قال " لَقِدْمًا قَصَّرُوا " لم يكنْ جيدًا ، ودخل الْوَليد في الذم .

وقوله :

كمُنْزِيَـــةٍ عَـــيْرًا خـــلافَ جَـــوَادِ

يقـول : بعد جواد ، قال الله عـزَّ وجـلَّ : ﴿ فَـرِحَ الْمُخَلَّفُـونَ بِمَقْعَدِهِـمْ خِـلاَفَ

---

(1) فى الأصل قال محقق(س)"كالوطب " ، وبهامش بعض النسخ كما فى المتن .

(2)الرجز لأبى محمد الفقعسى فى جمهرة اللغة ص٥٠٥ ، وبـلا نسـبة فـى تـاج العـروس ١٨ / ٤٨١ (فرض) . وبلا نسبة فى لسان العرب ٢/ ٢٨٦ (زجج) وتهذيب اللغة ١٠ / ٤٥٤ ، وتـاج العـروس ٦، ١٠ (زجج) والبيت مـن أبيـات ستة أوردهـا الصاغـانى فـى التكملـة (زجـج)، وهـو فـى الإبـل للأصمعى (الكنز اللغوى) ٢٠٤ لرؤبة أو لغير.

وقال على بن حمزة فى التنبيهات ١٣٣:" هذه رواية مغيرة للنسيان ... والرواية :

له زجاج ولهاة فارض   حدلاء كالوطب نحاه الماخض

وإنما عدل به إلى " لها" [فى الأصل : لهاة] قول أبى محمد :

فى هجمة يغدر منها القابض

وأنسى ما قاله بعد فى صفة الفحل وهو :

يتبعها عديس جرائض " اهـ.

وقد سلف البيت الأول وروايته ثمة " لها زجاج " وهو مـن أبيـات لأبـى محمـد الفقعسـى خرجناهـا .
وبعد الرجز فى زيادات : " كذا وقعت الرواية " لها " والصواب " له " لأنـه يعنـى الفحـل مـن الإبـل لأن الشقشقة لا تكون للأنثى ، قاله ش ". (لها متاع) له زجاج وهى أنياب الفحل (ولهـا فـارض) ضخمة. يريد شقشقة رغبة الآمل ٤/ ٢٠٣ .

(3) سورة نوح : ٢٥ .

رَسُولِ اللهِ ﴾[1] .

وقوله : " لا في كِفَاءٍ " يقال : هو كُفْؤُكَ و كَفْؤُكَ و كَفِيئُكَ و كِفَاؤُكَ : إذا كان عَديلَكَ في شَرَفٍ أو ما أشبهه ، كما قال الفرزدق [2]:

. . . . **وَتَنْكِحُ فِي أَكْفَائِهَا الحَبَطَاتُ**[3]

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾[4] ، وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : لأَمْنَعَنَّ النِّساءَ إلا من الأَكْفاءِ . وتحدَّثَ أصحابنا عن الأصمعي عن إسحاق بن عيسى ، قال : قُلْتُ لأمير المؤمنين الرَّشيدِ أو المهديِّ : يا أميرَ المؤمنين ، مَنْ أكفاؤُنا ؟ قال ، أعداؤنا ، يَعني بني أُميَّةَ .

و " زِيادٌ " الذي ذَكَرَ كَان أخاها .

هذا[5] تَفْسِيرُ ما كان من المؤنث على فَعَالِ مكسورَ الآخر .

وهو على أربعة أَضْرُبٍ والأصلُ واحدٌ .

اِعْلَمْ أنَّه لا يُبْنَى شيءٌ من هذا الباب على الكسر إلا وهو مؤنث معرفةٌ معدُولُ

---

(١) سورة التوبة : ٨١ .

(٢) سبق البيت بتمامه وهو فى ديوانه (١٠٧/١)

(٣) قا ل محقق (س) بعده فى زيادات نسخة : أول هذا البيت :

بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع

وآل مسمع بيت بكر بن وائل . والحبطات هم الحارث بن عمرو بن تميم . وإنما قال هذا الفرزدق حين بلغه أن رجلاً من الحبطات خطب امرأة من بنى دارم بن مالك ، فأجابه رجل من الحبطات :

أما كان عباد كفيئاً لدارم بلى ولأبيات بها الحجرات

عباد يعنى عاشم .. وقد تقدم هذا البيت للفرزدق فى مواضع" اهـ قوله فى مواضع كذا و لم يتقدم الاص ٨٩

(٤) سورة الإخلاص : ٤. وانظر ما سبق من التعليق على هذه القراءة ﴿كفؤا﴾ ص٨٨

(٥) فى بعض النسخ " باب هذا ..."

وفى نسخة :" هذا باب تفسير ..."

عن جهته ، وهو في المؤنث بمنزلة فُعَلَ نحو عُمَرَو قُثَمَ في المذكر .

وفُعَلُ [1]معدولٌ في حال المعرفة عن فاعل ، وكان فاعلٌ ينصرفُ ، فلما عُدِلَ عنه فُعَلُ لم يَنْصَرِفْ .

وفَعالِ معدولٌ عن فاعِلَة ، وفاعِلةُ لا ينصرفُ في المعرفة فَعُدِلَ إلى البناء ، لأنَّه ليس بَعْدَ ما لا ينصرفُ إلا المبنيُّ ، وبُنِيَ على الكسر لأنَّ في فاعِلَةَ علامةَ التأنيث ، وكان أصلُ هذا أن يكون إذا أردتَ به الأمرَ ساكنًا كالمجزوم من الفِعْلِ الذي هو في معناه فَكَسَرْتَه لالْتقاء الساكنين ، مع ما ذكرنا من علامة التأنيث ، والكَسْرُ مما يُؤَنَّثُ به فلم يَخْلُ من العلامة ، تقول للمرأة : أنتِ فَعَلْتِ ، فالكَسْرُ علامةُ التأنيث ، وكذلك : إنَّكِ ذاهبةٌ ، وضربتُكِ يا امرأةُ .

فمِمَّا لا يكون إلا معرفةً مكسورًا ما كان اسمًا للفعل نحو : نَزَالِ يا فتى ، ومعناه انْزِلْ ، وكذلك : تَرَاكِ زيدًا أي : اتركه ؛ فهما معدولان عن المتاركة والمنازلة وهما مؤنثان معرفتان ، يَدُلُّك على التأنيث القياسُ الذي ذكرنا ، قال الشاعر تصديقًا لذلك :

وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ أَنْتَ إذَا دُعِيَتْ نَزَالِ وَلُجَّ فِي الذُّعْرِ[2]

فقال : " دعيتْ " لما ذكرتُه لك من التأنيث ، وقال الآخر ،وهو زَيْدُ الخَيْلِ[3] :

---

(1) انظر باب فعل فى المقتضب ٣٢٣/٣ .

(2) البيت من الكامل ، وهو لزهير بن أبى سلمى فى ديوانه ص٨٩، وإصلاح المنطق ص٣٣٦ ، والإنصاف ٥٣٥/٢ ، وخزانة الأدب ٣١٧/٦، ٣١٨، ٣١٩، والدرر ٣٠٠/٥ ، وشرح أبيات سيبويه ٢٣١/٢ ، وشرح التصريح ٥٠/١، وشرح شواهد الشافية ص٢٣٠ ، وشرح المفصل ٢٦/٤، والشعر والشعراء ١٤٥/١، والكتاب ٢٧١/٣ ، ولسان العرب ٦٥٧/١١ ، ٥٨(نزل)،١٨/١٢ (أسم) ، وما ينصرف وما لا ينصرف ص٧٥، والمقتضب ٣٧٠/٣ وهمع الهوامع ١٠٥/٢، وبلا نسبة فى خزانة الأدب ٢٤٧/٧، ورصف المبانى ص٢٣٢، وشرح المفصل ٥٠/٤، ٥٢.بلفظ :" أنت إذ "

(3) البيت من الوافر ، وهو لزيد الخيل فى ديوانه ص ١٣٨ ، والحماسة البصرية ٧٧/١ ، وخزانة الأدب ٣١٧،٦ ، ولسان العرب ١١/ ٦٥٧ (نزل) ، والمقتضب ٣/ ٣٧١ . وسلف مع آخر .

وَقَـدْ عَلِمَـتْ سَـلامَةُ أَنَّ سَـيْفِي كَرِيـهٌ كُلَّمـا دُعِيَـتْ نَـزَالِ

وقال الشاعر [1]:

تَرَاكِهَـا مِـنْ إِبِـلٍ تَرَاكِهَـا أَمَـا تَـرَى المَـوْتَ لَـدَى أَوْرَاكِهَـا

أي: اتْرُكْها ، وقال آخر :

حَـذَارِ مِـنْ أَرْمَاحِنَـا حَـذَارِ [2]

وقال آخر :

نَظَـارِكَيْ أَرْكَبَـهُ نَظَـارِ [3]

---

(١) قال محقق (س) : هو طفيل بن يزيد الحارثى نسبة إلى الحارث بن كعب . ويقال فى نسبته :" المعقلى" نسبة إلى المعقل بضم الميم وفتح العين المهملة وفتح القاف المشددة ، كذا قيده الأمير فى الإكمال ٢٦٥/٧ ، والحافظ ابن حجر فى التبصير ٤/ ١٣٠٢ ، وكسر القاف صاحب القاموس (عقل) فقيده كمحدث . وهو عند صاحب اللباب ٢٣٥،٣ المعقلى" نسبة إلى المعقل " بفتح الميم وسكون العين وكسر القاف .
واسم المعقل ربيعة بن كعب الأرت بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن على بن جلد بن مذحج .
وانظر جمهرة أنساب العرب ٤١٧ وفيه سقط ، والأغانى ١٦/ ٣٢٨ فى ترجمة عبد يغوث وفيه تحريف .
والبيت له فى شرح أبيات سيبويه ٣٠٧/٢ ، والخزانة ٢/ ٣٥٤ -٣٥٥ ، واللسان (ترك) . وهو بلا نسبة فى الكتاب ٢/ ٣٧ ، وبلا نسبة فى الكتاب ١/ ١٢٣ ، والمقتضب ٣/ ٣٦٩ .
(٢)البيت من الرجز ،وهو لرؤبة فى ملحق ديوانه ص١٧٤،ونسب إليه فى الكتاب ٣٧/٢، واللسان (حذر) لأبى النجم العجلى ، والتنبيه والإيضاح ١٠٥/٢، وبلا نسبة فى المقتضب ٣٧٠/٣ ، وبعده فى بعض النسخ :

كالحوت لما غسَّ فى الأنهار

انظر اللسان (غسس).
(٣) الرجز للعجاج فى ديوانه ١١٦/١ وشرح أبيات سيبويه ٣٠٩/٢ ، ولرؤبة فى الإنصاف ٥٤٠/٢ ، والكتاب ٢٧١/٣، والمخصص ٦٣/١٧، وليس فى ديوانه ، وبلا نسبة فى المقتضب ٣٧٠/٣ ، وروايته :" كى أركبها ".

فهذا بابٌ من الأرْبعة .

ومنها أن يكون صفةً غالبةً تَحُلُّ مَحَلَّ الاسمِ ، نحو قولهم للضَّبُع : جَعارِ يا فتى ، وللمنية : حَلاقِ يا فَتَى ، لأنها حالقةٌ ، والدليلُ على التأنيث بعد ما ذكرنا قولُه:

لَحِقَتْ حَلاَقِ بِهِمْ عَلَى أَكْسائِهِمْ[1] ضَـرْبَ الرِّقَـابِ وَلاَيُهِـمُّ المغْنَـمُ

وتقول في النداء : يا فَساقِ ، ويا خَباثِ ، ويا لكاعِ ، تريد : يا فاسقةُ ويا خبيثـةُ ويا لكعاءُ ؛ لأنه في النداء في موضع معرفة ، كما تقول للرجل : يا فُسَقُ ويـا خبَـثُ ويـا لُكَعُ . فهذا باب ثانٍ .

ومن ذلك ما عُدِلَ عن المصدر نحو قوله :

جمَـادِ لَهَـا جَمَـادِ وَلاَ تَقُولِـي طَـوَالَ الدَّهْرِ ما ذُكِرَتْ حَمَـادِ[2]

وقال النابغة الذُّبياني :

إنَّـا اقْتَسَـمْنَا خُطَّتَيْنَـا بَيْنَنَـا فَحَمَلْتُ بَـرَّةَ واحْتَمَلْـتَ فَجـارِ[3]

---

(١) جمع كوسئ ، وهو مؤخرة الشيء ، ويقال للذى جاء أخرة جاء كسأة .

(٢) البيت من الوافر ، وهو للمتلمس فى ديوانه ص١٦٧ ، وروايته :

جماد لها جماد ولا تقولى لها أبداً إذا ذكرت حماد

والبيت كما رواه المبرد فى خزانة الأدب ٣٣٩/٦ _ ٣٤١،وشرح أبيات سيبويه ٢٣٢/٢، وشرح المفصل ٥٥/٤ ، والكتاب ٢٧٦/٣ ، ولسان العرب ١٣١/٣(جمد)،وما ينصرف وما لا ينصرف ص٧٤ . قال البغدادى :" وقوله :" ولا تقولى" ببناء المخاطبة ، وهذا هو المشهور ، وهو محرف من نون التوكيد الخفيفة ....وهى الصواب فإنه خطاب لمذكر ولم يتقدم ذكر أنثى ..."

(٣)البيت من الكامل ، وهو للنابغة الذبيانى فى ديوانه ص٥٥ ، وإصلاح المنطق ص٣٣٦ ، وخزانة الأدب ٣٢٧/٦، ٣٣٠،٣٣٣، والدرر ٩٧/١، وشرح أبيات سيبويه ٢١٦/٢ وشرح التصريح ١٢٥/١، وشرح المفصل ٥٣/٤، والكتاب ٢٧٤/٣، ولسان العرب ٥٢/٤(برر)، ٤٨/٥(فجر)، ١٧٤/١١(حمل) ،والمقاصد النحوية ٤٠٥/١ ، وبلا نسبة فى الأشتباه والنظائر ٣٤٩/١، وجمهرة اللغة ص٤٦٣، وخزانة الأدب ٢٨٧/٦ ، والخصائص ١٩٨/٢، ٢٦٥،٢٧١/٣ ، وشرح الأشمونى ٦٢/١، وشرح عمدة الحافظ ص١٤١ ، وشرح المفصل ٣٨/١ ، ولسان العرب ٣٧/١٣ (أذن) ، ومجالس ثعلب ٤٦٤/٢، وهمع الهوامع ٢٩/١، وتاج العروس (أنن).

يريد : قُولي لها جُمودًا ، ولا تقولي لها حَمْدًا ، هذا المعنى، ولكنّه عُدِلَ مؤنثًا ، وهذا باب ثالثٌ [١].

والباب الرابع : أن تُسَمِّيَ امرأةً ، أو شيئًا مؤنثًا باسمِ تَصُوغُهُ على هذا المثال ، نحو : رَقَاشِ ، وحَذامِ وقَطامِ ، وما أشبهه، فهذا مؤنث معدولٌ عن راقشةَ وحاذمةَ وقاطمةَ ، إذا سميتَ به . وأهل الحجاز يُجْرُونَه على قياسِ ما ذكرتُ ؛ لأنّه معدولٌ في الأصل وسُمِّيَ به فَنُقِلَ إلى مؤنث كالباب الذي كان قبلَه فلم يُغَيِّرُوه ، فعلى ذلك قالوا [٢]:

اسْقِ رَقَاشِ إنها سَقَّايَهْ

وقال آخر [٣]:

إذَا قَالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوهَا فَإنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامِ [٤]

وينشدون :

---

(١) قال محقق س :بعده فى زيادات ر :" برة اسم علم لجميع البر ، وفجار لجميع الفجور . لابن جنى: تخصيصه برة بفعلت وفجار بافتعلت مثل قوله تعالى :﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ فكسب للخير واكتسب للشر " .

وقد استشهد ابن جنى ببيت النابغة فى ثلاثة مواضع من الخصائص ١٩٨/٢ ، ٣/ ٢٦١ ، ٢٦٥-٢٦٦. وقال فى ثالث هذه المواضع :"فعبر عن البر بالحمل وعن الفجرة بالاحتمال . وهذا هو ما قلناه فى قوله عز اسمه ﴿ لها ما اكسبت وعليها ما اكتسبت﴾ لا فرق بينهما "أهـ وانظر ما قاله فى الآية قبل ما نقلته لك من كلامه .

(٢) فى المثل . انظر أمثال أبى عبيد ١٣٨ ، وجمهرة الأمثال ٥٦/١ ، ومجمع الأمثال ٣٣/١ ، والمستقصى ١٧٠/١ ، واللسان (رقش). ويضرب للمحسن ، فيقال : أحسنوا لإحسانه .

(٣) فى نسخة: " وقال الشاعر " .

(٤)البيت من الوافر ، وهو للجيم بن مصعب فى شرح التصريح ٢٢٥/٢ ، وشرح شواهد المغنى ٥٩٦/٢، والعقد الفريد ٣٦٣/٣ ، ولسان العرب ٣٠٦/٦(رقش) ، والمقاصد النحوية ٣٧٠/٤ ، وله أو لوشيم بن طارق فى لسان العرب ٩٩١/٢(نصت) ، وبلا نسبة فى أوضح المسالك ١٣١/٤، والخصائص ١٧٨/٢ ، وشرح الأشمونى ٥٣٧/٢، وشرح شذور الذهب ص١٢٣، وشرح ابن عقيل ص٥٨ وشرح قطر الندى ص١٤، وشرح المفصل ٦٤/٤، وما ينصرف وما لا ينصرف ص٧٥ ، ومغنى اللبيب ٢٢٠/١

وَأَقْفَرَ مِـنْ سَـلْمَى شَـرَاءِ فَيَذْبُـلُ[1]

وأما بنو تميم فإذا أزَالُوه عن النَّعْـتِ فَسَمَّوْا بـه صَرَفُـوه في النَّكِـرة ، ولم يَصْرِفُـوه في المعرفة ، وسيبويه يختار هذا القول،ولا يَرُدُّ القولَ الآخر ، فيقول : هذه رَقَاشُ قد جـاءت، وهذه غَلابُ قد جاءتْ ، وهذه غلابٌ أخرى . ولا اختلافَ بين العرب في صَرْفِه إذا كان نكرةً ، وفي إعرابه في المعرفة ، وصَرْفِهِ في النكرة إذا كان اسمًا لمذكـر ، نحـو رجـل تسميه نَزَّال أو رَقاش أوْ حَلاق ، فهو بمنزلة رجل سميتَه بعنـاقٍ أو أتـان ؛ لأنَّ التـأنيث قـد ذهـب عنه، فاحتج سيبويه في تصحيح هذا القول بأنك لو سميتَ شيئًا بـالفعل الـذي هـو مـأخوذٌ منه لأَعْرَبْتَهُ ، نحو : انزِلْ واضْرِبْ ، لو سميتَ بهمـا رجـلاً لَجَرى مجرى إصْبَعٍ ، وَأَحمـد وإثْمِدٍ ، ونحو ذلك ، فهذا يحيطُ بجميع هذا الباب .

قال أبو العباس ، وقالت امرأةٌ أحْسِبُها من بني عامر بن صعصعة زُوِّجَتْ في طَيِّئ :

لا تَحْمَـدَنَّ الدَّهْرَ أُخْـتَ أَخًـا لَهَـا   ولا تَرْثِيَـنَّ الدَّهْـرَ بِنْـتَ لِوَالِـدِ
هُـمُ جَعَلُوهَـا حَيْـثُ لَيْسَـتْ بِحُـرَّةٍ   وهُـمْ طَرَحُوهَـا في الأَقَـاصِي الأَبَـاعِدِ

ويروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إنَّما النِّكاحُ رِقٌّ فَلْيَنْظُرِ امْرُؤٌ مَن يُرِقُّ كَرِيمَتَهُ . وعلى هذا جاءت اللغـة ، فقـالوا :كُنّـا في إمْـلاكِ فـلانٍ ، وفي ملْـكِ فـلانٍ ، وفي

---

(١) قال محقق (س) بعد زيادات ر : " كذا وقع ، والصحيح : فقد أقفرت سلمى شراء ؛ لأن قبله:
تأبد من أطلال جمرة مأسل "

والشـعرمن الطويـل وهـو للنمـر بـن تولـب ،فـى ديوانـه ص ٣٦٣ ، ولسـان العـرب ٤٣١/١٤(شرى)، وجمهرة أشعار العرب ص ٥٣٥ ، وتاج العروس (شرى)

وقال على بن حمزة فى التنبيهات ١٣٣ :" الرواية :
تأبد من أطلال جمرة مأسل   فقد أقفرت منها شراء فيذبل
والبيت للنمر بن تولب ".

مَلَكةِ فلان [1]، وفي مِلْكان[2] فلان ، ويقول الرجل : مَلَكْتُ المرأةَ وأَمْلَكَنِيهَا وَلِيُّها، ومن ذلك أنَّ يمينَ الطلاق إذا وَقَعَ فيها حِنْثٌ إنّما يكونُ محلُّها محلَّ الإقرار [3]بتَرْكِ ما كان يَمْلِكُه كالعَتَاقِ .

وقال رسول الله ﷺ :" **أُوصِيكُمْ بالنِّساءِ فإنَّهُنَّ عِنْدَكُم عَوان** "[4] أي أسيراتٌ ، ويقال : عَنِيَ فلانٌ في بَنِي فلان : إذا أقام فيهم أسيرًا ، ويقال : فلان يَفُكُّ العُناةَ ، وأصلُ التَّعْنِية التَّذْلِيلُ ، وأصلُ الإسارِ الوثاقُ ، ويقال للقَتَبِ : مأسورٌ إذا شُدَّ بالقِدِّ ، هذا أصلُ هذا . فأما المَثَلُ في قولهم : " إنما فُلان غُلٌّ قَمِلٌ "[5] فإنهم كانوا يَتَّخِذُون الأغْلالَ من القِدِّ فكانت تَقْمَلُ .

وقال رجل يذكر امرأةً زُوِّجَتْ من غير كُفْءٍ :

لَقَدْ فَرِحَ الْوَاشُونَ أَنْ نَالَ تَغْلَبٌ ... شَبِيهَةَ ظَبْيٍ مُقْلَتَاهَا وَجِيدُهَا

أَضَرَّ بِهَا فَقْدُ الْوَلِيِّ فَأَصْبَحَتْ ... بِكَفِّ لَئِيمِ الْوَالِدَيْنِ يَقُودُهَا

ولما زَوَّجَ إبراهيمُ بن النعمانِ بن بشيرٍ الأنصاريُّ يحيى بنَ أبي حَفْصة مولى عثمانَ بن عَفَّانَ ابنته على عشرين ألف درهم قال قائل يُعَيِّرُهُ :

---

(١) فى بعض النسخ : فى مِلْك فلان وفى مَلْك فلان .

(٢) قوله " ملكان : لم أجده إلا اسمًا لرجل أو لجبل . انظر اللسان والتاج (ملك) ، ورغبة الآمل ٢١٢/٤ .

(٣) قال محقق (س) : بهامش الأصل ما نصه : " لا يتوجه للإقرار هاهنا معنى ، وأظنه مصحَّفًا من الإبرار ، وفى الحديث : وإبرار المقسم ؛ أى إن اليمين لا تحل محل البر إلا بهذا الفعل . من خط نقل من خط ابن وهب " اهـ وجاء هذا التعليق بهامش هـ من بعض النسخ .

(٤) الحديث ((حسن بمجموع طريقيه)) أخرجه بنحوه النسائى فى ((العشرة)) والترمذى وابن ماجه (١٨٥١) وقال الترمذى : ((حديث حسن صحيح)) . ومن طريق أخرى أخرجه أحمد فى المسند (٥/٧٢-٧٣) من حديث عم أبى حرة الرقاشى . انظر صحيح ابن ماجه (ح١٥٠١)، وراجع الإرواء (ح١٩٩٧، ٢٠٣٠) .

(٥) انظر جمهرة الأمثال ٢/ ٨٣ ، ومجمع الأمثال ٢/ ٦٠ ، واللسان (قمل) . ولفظه " غل قمل " بلا " إنما فلان" .

لَعَمْرِي لَقَدْ جَلَّلْتَ نَفْسَكَ خِزْيَةً[1] وَخَالَفْتَ فِعْلَ الأَكْثَرِينَ الأَكَارِمِ

وَلَوْ كَانِ جَدَّاكَ اللَّذَانِ تَتَابَعَا بِبَذْرٍ لَمَا رَامَا صَنِيعَ الأَلائِمِ

فقال إبراهيمُ بنُ النُّعْمَان يَرُدُّ عليه :

مَا تَرَكَتْ عِشْرُونَ أَلْفًا لِقَائِلٍ مَقَالاً فَلاَ تَحْفِلْ مَلاَمَةَ لاَئِمِ

وَإِنْ أَكُ قَدْ زَوَّجْتُ مَوْلًى فَقَدْ مَضَتْ بِهِ سُنَّةٌ قَبْلِي وَحُبُّ الدَّرَاهِمِ

وتَزَوَّج يحيى بنُ أبي حَفْصَةَ ـ وهو جَدُّ مَرْوانَ الشاعرِ ، ويزعم النَّسَّابون أنَّ أباه كان يهوديًّا أَسْلَمَ على يدَيْ عثمانَ بن عفَّانَ ، وكان يحيى من أَجْوَدِ النَّاسِ ، وكان ذا يَسار ـ فتزوَّج خَوْلَةَ بنتَ مُقاتِلِ بن طَلْبَةَ[2] بنِ قَيْس بن عاصمٍ سيِّد أهلِ الوَبَر ابن سنانِ ابن خالد ابن مِنْقَرٍ ، ومَهَرَها خِرَقًا ، ففي ذلك يقولُ القُلاخ بن حَزْن:

لَمْ أَرَ أَثْوَابًا أَجَرَّ لِخَزْيَةٍ وَأَلأَمَ مَكْسُوًّا وأَلأَمَ كَاسِيَا

مِنَ الْخِرَقِ اللاتِي صُبِبْنَ عَلَيْكُمُ بِحَجْرٍ فَكُنَّ الْمُبْقِيَاتِ الْبَوَالِيَا[3]

فقال يحيى بن أبي حَفْصة يُجيبُه :

تَجَاوَزْتُ حَزْنًا رَغْبَةً عَنْ بَنَاتِهِ وَأَدْرَكْتُ قَيْسًا ثَانِيًا مِنْ عِنَانِيَا

يقال ذلك للسَّابِقِ إذا تَقَدَّم تَقَدُّمًا بَيِّنًا فبلغ الغاية ، فمن شأنه أن يَثْنِيَ عِنَانَهُ فينظرَ إلى الخيل ، وقال الشاعر :

فَمَنْ يَفْخَرْ بِمِثْلِ أَبِي وَجَدِّي يَجِئْ قَبْلَ السَّوَابِقِ وَهْوَ ثَانِي

يريد ثاني عِنانِه، وقال القُلاخُ[4] في هذه القصة :

---

(١) انظر رغبة الآمل (٢١٣/٤) .

(٢) بعده فى زيادات بعض النسخ : " الرواية المشهورة بإسكان اللام ، وتسامح ابن سراج فى فتح اللام ".

(٣)البيتان مع آخرين قبلهما فى الأغانى ١٠ / ٩٤ . مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

(٤) الأبيات فى الشعر والشعراء ٦٧٣ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ٤٤.

نُبِّئْتُ خَوْلَةَ قالَتْ حِينَ أَنْكَحَهَا لَطَالَمَا كُنْتُ مِنْكَ العَارَ أَنْتَظِرُ
أَنَكَحْتَ عَبْدَيْنِ تَرْجُو فَضْلَ مَالِهِمَا في فِيكَ مِمَّا رَجَوْتَ التُّرْبُ والحَجَرُ
للهِ دَرُّ جِيَادٍ أَنْتَ سَائِسُهَا بَرْذَنْتَهَا[1] وَبِهَا التَّحْجِيلُ والغُرَرُ

وقال جرير[2] يُعيِّرهمْ :

رَأَيْتُ مُقَاتِلَ الطَّلَبَاتِ حَلَّى فُرُوجَ بَنَاتِهِ كَمَرَ المَوَالِي
لَقَدْ أنكَحْتُمُ عَبْدًا لِعَبْدٍ مِنَ الصُّهْبِ[3] المُشَوَّهَةِ السِّبَالِ
فَلاَ تَفْخَرْ بِقَيْسٍ إِنَّ قَيْسًا خَرِئْتُمْ فَوْقَ أَعْظُمِهِ البَوَالِي

وقال آخر في مثل هذه القصة :

أَلا يَا عِبَادَ الله قَلْبِي مُتَيَّمٌ بِأَحْسَنِ مَنْ صَلَّى وَأَقْبَحِهِمْ بَعْلا
يَدِبُّ عَلَى أَحْشَائِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ دَبِيبَ القَرَنْبِي بَاتَ يَقْرُو نَقًا(*) سَهْلا [4]

القَرَنْبي: دُوَيْبَةٌ على هيئة الخُنْفُس مُنَقَّطَة الظَّهْر، وربَّما كان في ظهرها نقطةٌ حمراءُ ، وفي قوائمها طولٌ على الخُنْفُسِ، وهي ضعيفةُ المشي، قال الفرزدق يعني عَطِيَّة أبا جَرير:

---

(١) جعلتها من براذين الخيل وهى ماليست من نتاج العراب . رغبة الآمل (٤/٢١٥) .

(٢) تذييل ديوانه ٢/١٠٣٥ عن هذا الكتاب " الكامل " .

(٣) انظر رغبة الآمل (٤/٢١٥) .

(*) قال المرصفى فى رغبة الآمل (٤/٢١٥) : [(يقرو) : يتتبع ، و(نقا) : هو قطعة من رمل محدودبة وهما نقوان ونقيات والجمع أنقاء ونُقيٌّ على فُعُل]

(٤)البيتان من الطويل وهما بلا نسبة فى الحيوان ٣/٥٢٥، والدر الفاخرة ١/٢٠٠ ، والحلل لابن السيد ١٩٣ ، والبيت الأول فى شرح قطر الندى ص٢٠٢. وهمع الهوامع ٢/٧٠ ، وقال محقق الحيوان : إن البيت منسوب للأخطل فى " حياة الحيوان" والبيت الثانى للأخطل فى (الدميرى) (رسم القرنبى)، (عن محقق كتاب الحيوان ٦/٣٨٦، الهامش ، وبلا نسبة فى لسان العرب ١/٦٧١ (قرنب)، وتاج العروس ٤/٣١(قرنب) ، والحيوان ٣٨٦، وفيهم :" يدب إلى أحشائها " و"بات يعلو".

قَرَنْبَـى يَحُـكُّ قَفَـا مُقْـرِفٍ لَئِيـمٍ مَـآثِرُهُ قُعْـدُدِ[1]

وفي هذا الشعر يقول [2]:

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّـا بَنِـي دَارِمٍ زُرَارَةُ مِنَّـا أَبُـو مَعْبَـدِ

وَمِنَّـا الَّـذِي مَنَـعَ الْوَائِـدَاتِ وَأَحْيَـا الوَئِيـدَ فَلَـمْ يُـوءَدِ[3]

أَلَسْـنَا بأَصْحَـابِ يَـوْمِ النِّسَـارِ* وَأَصْحَـابِ أَلْوِيَـةِ المِرْبَـدِ[4]

أَلَسْـنَا الَّذِيـنَ تَمِيـمٌ بِهِـمْ تُسَـامِي وَتَفْخَـرُ فِي المَشْـهَدِ

وَنَاجِيَـةُ الخَـيْرِ وَالأَقْرَعَـانِ وَقَـبْرٌ بِكَاظِمَـةَ المَـوْرِدِ**

إِذَا مَـا أَتَـى قَـبْرَه عَـائِذٌ أَنَـاخَ عَلَـى الْقَـبْرِ بِالأَسْـعُدِ

أَيَطْلُـبُ مَجْـدَ بَنِـي دَارِمٍ عَطِيَّـةُ كَـالجُعَلِ الأَسْـوَدِ

وَمَجْـدُ بَنِـي دَارِمٍ دُونَـهُ مَكَـانُ السِّـمَاكَيْنِ وَالفَرْقَـدِ[5]

قوله :

لم تـر أنّـا بـني دارمٍ

---

(١) البيت من المتقارب ، وهو للفرزدق فى ديوانه ١٧٥/١، وشرح شواهد الإيضاح ص٣٩٦، والكتاب ٤٤/٢، وبلا نسبة فى المقتضب ١٤٧/٢ ، ولسان العرب ٣/ ٣٦١ (قعد) ، وشواهد الكتاب ٢٣٨/١ .

(٢) ديوانه ١/ ١٧٣-١٧٤ . والأبيات من المتقارب وفيها تقديم وتأخير عما فى الديوان .

(٣) فى نسخة : توأد . والبيت من المتقارب ، وهو للفرزدق فى ديوانه ص ١٧٣/١ ، ولسان العرب (وأد) ، وكتاب العين ٩٧/٨ ، وجمهرة اللغة ص ٢٣٣، وتهذيب اللغة ٢٤٣/١٤ ، وتاج العروس(طوح)، وأساس البلاغة(واد) ، والإصابة (٢٤٥/٣) ، وروايته : (وجدي) بدلاً من (ومنّا) ، وبلا نسبة فى مقاييس اللغة ٧٨/٦ .

(٤) بعده فى زيادات نسخة : النسار جبل تألفه النسور كثيراً فلذلك سمى بهذا الاسم ".

(٥) ضبط فى بعض النسخ : " مكان " بفتح النون وضمها وبعد البيت فى زيادات تلك النسخة : " الرفع فى مكان أقوى ، وهو الوجه الجيد فى العربية ".

(*) انظر رغبة الآمل (٢١٦/٤) .

(**) انظر رغبة الآمل (٢١٧/٤) .

منصوب على الاختصاص وقد مضى تفسيره .

وَزُرارةُ الذي ذَكَرَ هو زُرارةُ بنُ عُدُسٍ بن زيد بن عَبْدِ الله بن دارمٍ ، وكان زرارةُ يُكَنّى أبا مَعْبَدٍ ، وكان له بنون : مَعْبَد ، ولَقِيطٌ ، وحاجِبٌ ، وعلقمةُ ، والمأْمُومُ. ويزعم قومٌ أن المأْمُوم هو علقمة ، ومنهم شيبانُ بنُ زرارةَ وابنه يزيد بن شيبانَ النسَّابةُ ، وكان حاجِبٌ أذكَرَ القومِ .

وَرَوَوْا أنَّ عبد الملك ذَكَرَ يومًا بني دارم ، فقال أحدُ جُلَسائهِ : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء قومٌ مَحْظُوظُون ، فقال عبد الملك : أتقولُ ذلك، وقد مضى منهم لقيطُ بنُ زُرارةَ ولم يُخَلِّفْ عَقِبًا ، ومضى القعقاعُ بنُ معبدِ بن زُرارةَ ولم يُخَلِّفْ عَقِبًا ، ومضى محمد بن عُمَيْرِ بن عُطارِدِ بن حاجب بن زُرارة ولم يُخَلِّفْ عَقِبًا ؟! والله لا تَنْسَى العربُ هؤلاءِ الثلاثةَ أبدًا .

وكان لقيطُ بنُ زُرارةَ قُتِلَ يوم جَبَلَةَ ، وأُسِرَ حَاجِبٌ فَفُودِيَ ، فزعم أبو عُبَيْدَةَ أنه لم يَكُنْ عُكاظيٌّ أَغْلَى فِدَاءً من حَاجب[1] ، وكان أَسَرَهُ زَهْدَمٌ العَبْسِيُّ[2] فَلَحِقَهُ ذو الرُّقَيْبَةِ القُشَيْرِيُّ - وبنو عَبْسٍ يومئذ نازلةٌ في بني عامر بن صعصعة .

---

(١) بهامش نسخة ما نصه:" اختلف فى مبلغ فداء حاجب بن زرارة ، فزعم قوم أنه كان ألف ناقة ومائه مائة إسير . وأما قيس فتزعم أنها أخذت منه ألف عبد وألفى ناقة معها أولادها ، وقد فخر بذلك أصم باهلة فقال :

حتى افتدوا حاجباً منا وقد جعلت ... سمر القيود بساقى حاجب أثرا

بألف عبدٍ وألفى رائم جعلوا ... أولادهن لنا من لؤمهم جزرا" اهـ .

(٢) بعده فى زيادات :" أخو كردم ".

فأخَذَه ذُو الرُّقَيْبةِ[1] بعِزِّه ، وإنَّه في مَحَلِّ قومِهِ، فقال حَاجبٌ : لَمَّا تَنَـازَعنِي الرَّجُـلانِ خِفْتُ أَنْ أُقتَلَ بينهما ، فقلت : حَكِّماني في نَفْسِي ، ففعلا ، فَحَكَمْتُ بسلاحي ورِكَـابي لزَهْدم ، وبنفسي لذي الرُّقَيْبَةِ . وكان حَاجبٌ يُكَنَّى أبا عِكْرِشةَ ، وكان أَحْلَمَ قَوْمِهِ ، وفي ذي الرُّقَيْبَةِ يقول الشاعرُ:

وَلَقَـدْ رَأَيْـتُ الْقَـائِلِينَ وَفِعْلَهُـمْ   فَلِـذِي الرُّقَيْبَـةِ مَـالِكٍ فَضْـلُ

كَفَّـاهُ مُتْلِفَـةٌ وَمُخْلِفَـةٌ   وَعَطَـاؤُهُ مُتَدَفِّـقٌ جَـزْلُ

فَفُدِيَ حَاجبٌ ، وقُتِلَ في ذلك اليوم لَقيطٌ ، وأُسِر عَمرُو بـنُ عَمْـرِو بـن عُـدُسٍ ، فلذلك يقولُ جرير يُعَيِّرُ الفرزدق ، لأن الفرزدق من بني مُجَاشعِ بن دارِمٍ ، وقـد مضـى ذكرُ هذا في الكتاب ، ولجرير في قَيْسٍ خئُولَةٌ ، فلما هَجَا الفرزدقُ قَيْسًا في أمر قُتَيْبَـةَ بـنِ مُسْلمٍ الباهليِّ قال [2]:

أَتَـانِي وَأَهْلِـي[3] بالمَدِينَـةِ وَقْعَـةٌ   لآلِ تَمِيـمٍ أَقْعَـدَتْ كُـلَّ قَـائِمِ

كـأَنَّ رُءوسَ النَّاس[4] إذْ سَـمِعُوا بهَـا   مُشَـدَّخَةٌ هَامَاتُهَـا بالأَمَـائِمِ[5]

وَمَا بَيْـنَ مَـنْ لَـمْ يُعْـطِ سَـمْعًا وَطَاعَـةً   وَبَيْـنَ تَمِيـمٍ غَـيْرُ حَـزِّ الْحلاَقِـمِ*

أَتَغْضَـبُ إِن أُذْنَـا قُتَيْبَـةَ حُزَّتَـا   جِهَارًا وَلَمْ تَغْضَبْ لِقَتْلِ ابْنِ خَـازِمِ[6]

---

(١) قال على بن حمزة فى التنبيهات ١٣٤_١٣٧:"... قد غلط فى هذه القصة مـن وجـوه ،قـال أبـو عبيدة وغيره من أهل العلم وألفاظ أبى جعفر محمد بن [حبيب] أحكى ، ولا اختلاف بين أهل العلـم فى المعانى وإن اختلفت ألفاظهم .

(٢) ديوانه ٢/ ٣١٠ -٣١٣، والنقائض ٣٤٩-٣٧٧، والأبيات من الطويـل ، وفيهـا تقديـم وتأخير عما فيهما.

(٣) فى بعض النسخ :" ورحلى " وهى رواية الديوان والنقائض . وبهامش هـ كما فى المتن .

(٤)فى نسختين:" القوم . وبهامشيهما كما فى المتن .

(٥) فى بعض النسخ زيادة :" حجارة تشدخ بها الرءوس ، الواحدة أممة ".

(*) انظر رغبة الآمل (٤/٢٢٠) .

(٦) البيت فـى ديوانـه ٢/٣١١، والأ زهيـة ص٧٣ ، وخزانـة الأدب ٤/ ٢٠ ، ٩/٧٨،٨٠، ٨١ ، والدرر ٤/ ٥٨ وشرح شواهد المغنى ٨٦/١ ، والكتاب ١٦١/٣ ، ومراتـب النحويين ص٣٦، وبـلا نسبة فى أمالى ابن الحاجب ٢١٨/١ ، والجنـى الدانى ص٢٢٤، وجواهـر الأدب ص٢٠٤، ومغنـى اللبيـب ٢٦/١ ، وهمع الهوامع ١٩/٢ ، وفى بعض النسخ ما نصه:" لم ينشده سيبويه إلا بالكسر "اهـ .

وَمَا مِنْهُمَا إلا نَقَلْنَا دِمَاغَهُ ... إلَى الشَّأمِ فَوقَ الشَّاحِجَاتِ الرَّوَاسِمِ

تَذَبْذبُ فِي المِخْلاَةِ تَحْتَ بُطُونِهَا ... مُحَذَّفَةُ الأذْنَابِ جُلْحُ المَقَادِمِ

وَمَا أَنْتَ مِنْ قَيْسٍ فَتَنْبحَ دُونَهَا ... وَلا مِنْ تَمِيمٍ فِي الرُّءُوسِ الأعَاظِمِ[1]

تُخَوِّفُنَا أَيام قَيْسٍ وَلَمْ نَدَعْ ... لِعَيْلانَ أَنْفًا مُسْتَقِيمَ الخَيَاشِمِ

لَقَدْ شَهِدَتْ قَيْسٌ فَمَا كَانَ نَصْرُهَا ... قُتَيْبَةَ إلا عَضُّهَا بِالأَبَاهِمِ[2]

وقال جريرٌ يُجيبُه :

أَبَاهِلَ مَا أَحْبَبْتُ قَتْلَ ابْنِ مُسْلِمٍ ... وَلاَ أَنْ تَرُوعُوا قَوْمَكُمْ بِالمَظَالِمِ

ثم قال يُخَوِّفُ الفرزدقَ :

تُحَضِّضُ يَا بْنَ الْقَيْنِ قَيْسًا لِيَجْعَلُوا ... لِقَوْمِكَ يَوْمًا مِثْلَ يَوْمِ الأَرَاقِمِ

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيطًا وَحَاجِبًا ... وَعَمْرَو بْنَ عَمْرٍو إِذْ دَعَوْا يَالَدَارِمِ

وَلَمْ تَشْهَدِ الجَوْنَيْنِ وَالشِّعْبَ ذا الصَّفَا ... وشَدَّاتِ قَيْسٍ يَوْمَ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ

فَيَوْمَ الصَّفَا كُنْتُمْ عَبِيدًا لِعَامِرٍ ... وبِالْحِنْوِ أَصْبَحْتُمْ عَبِيدَ اللَّهَازِمِ

إذَا عُدَّتِ الأَيَّامُ أَخْزَيْنَ دَارِمًا ... وَتُخْزِيكَ يَا بْنَ الْقَيْنِ أَيَّامُ دَارِمِ[3]

أما قولُ الفرزدق :

كَأَنَّ رُءُوسَ النَّاسِ إِذْ سَمِعُوا بِهَا ... مُشَدَّخَةٌ هَامَاتُهَا بِالأَمَائِمِ

---

(١) البيت فى الكتاب ١/٤٢٠ ، والمقتضب ٢/١٧ .

(٢) البيت فى المقتضب ٤/٩٠ . ويريد: بالأباهيم فحذف الياء وهو جمع الإبهام . رغبة الآمل ٤/٢٢٠

(٣) الأبيات من الطويل ، وهى لجرير فى ديوانه ص ٤٢٣ ط . دار الكتب العلمية . من قصيدة طويلة يجيب بها الفرزدق ، لكن الأبيات متناثرة فى القصيدة وليست على النحو الذى ذكره المبرد .

فإنَّ الشِّجاج مختلفةُ الأحكام، فإذا كانت الشَّجَّةُ شُقَيْقًا يَدْمَى فهي الداميــةُ ، وإذا أخذت من اللَّحْمِ شيئًا فهي الباضعةُ ، وإذا أمْعَنَتْ في اللَّحْمِ فهي المُتلاحِمَةُ ، فإذا هَشَـمَتِ العَظْمَ فهي الهاشِمَةُ ، وإذا كان بينَها وبين العظم جُلَيْدةٌ رقيقةٌ فهي السِّـمْحاقُ ــ مـن أجـل تلك الجُلَيْدَةِ يقال : ما علـى ثَـرْبِ[١] الشـاةِ مـن الشَّـحْمِ إلا سَمَاحِيقُ أي طرائـقُ ــ فـإذا خَرَجتْ منها عِظامٌ صِغارٌ فهي المُنَقِّلَةُ –وإنما أُخِذَ ذلك من النَّقْلِ وهي الحجـارةُ الصغـارُ ــ فإذا أوْضَحَتْ عن العَظْمِ فهي المُوضِحةُ ، فإذا خَرَقـتِ العَظْـمَ وبَلَغـتْ أمَّ الدِّمـاغ ــ وهـي جُلَيْدَةٌ قد ألْبَسَتِ الدِّماغَ - فهي الآمَّةُ ، وبعضُ العربِ يُسَمِّيها المأمُومـةَ ، واشتقاقُ ذلـك إفضاؤها إلى أمِّ الدماغ ولا غايةَ بعْدها ، قال الشاعر:

يَحُـجُّ مَأمُومَــةً فِـي قَعْرِهَــا لَجَــفٌ فاسْتُ الطَّبِيبِ قَذاهَا كَالْمَغارِيدِ[٢]

وقال ابنُ غَلْفاءَ الهُجَيْمِيُّ يردُّ على يزيدَ بن عمرو بن الصعق في هِجائِهِ بني تميم :

فَـإنَّكَ مِـنْ هِجَـاءِ بَنِـي تَمِيـمِ كَمُـزْدَادِ الْغَـرَامِ إلَـى الْغَـرَامِ
هُـمُ تَرَكُـوكَ أَسْـلَحَ مِـنْ حُبَـارَى رَأَتْ صَقْـرًا وأَشْـرَدَ مِـنْ نَعـامِ[٣]

---

(١) الثرب : شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء .

(٢) البيت من البسـيط، وهـو لعـذار بـن درة الطـائى فـى لسـان العـرب ٢/٢٢٨،(حجج) ٣١٣/٩ (لجف)، والتنبيه والإيضاح ١٩٧/١،ومجمل اللغة ٣٢/٢، ٢٦٦/٤، وتاج العروس ٤٥٩/٥ (حجج) ، ٣٥٣/٢٤ (لجف) ، وبـلا نسبة فـى لسـان العـرب ٣٢٥/٣(غـرد) ، ومقـاييس اللغـة ٢٣/١، ٣٠/٢،٥/٢٣٥، وجمهرة اللغة ص٨٦ ، ٦٣٣، ١٢٣٤، والمخصص ١٨٢/١٣، ٦٢/١٦ ، وتهذيـب اللغة ٣٩٠/٣ ، وتاج العروس ٤٦٦/٨(غرد) .

(٣) البيتان من الوافر ، وهما لأوس بن غلفاء فى لسان العرب (لفف) ، (لقـم) ، ولدجاجـة بـن عـتر فى جمهرة اللغة ص٨٦٦ . والثانى لأوس بن غلفاء فى الأصمعيـات ص ٢٣٣ ، وبـلا نسبة فـى تـاج العروس (حبر) .

وَهُمْ ضَرَبوكَ أمَّ الرَّأسِ[1] حَتَّى ... ـدَتْ أُمُّ الشُّؤونِ مِنَ العِظَامِ

إذَا يَأْسُونَها جَشَأَتْ إلَيْهِمْ ... ـرَنْبَثَةُ القَوَائِمِ أُمُّ هَامِ[2]

وابْنُ خازم هو عبدُ الله بن خازم السُّلمي [3]، وهو أحَدُ غِرْبانِ العرب في الإسلام ، وكان من أشجع الناس ، وقتله بنو تميم بخُراسان ، وكان الذي وَلِيَ قتْله منهم وكيعُ بنُ الدَّوْرَقِيَّةِ القُرَيْعِيُّ .

وقوله : " فوق الشَّاحِجاتِ " يعني البِغالَ . وَ " الرَّسِيمُ " : ضربٌ من السَّيْر ، وإنما عني هاهنا بغَالَ البَريد بقوله :

مُحَذَّقَةُ الأذْنَابِ جُلْحُ المَقَادِمِ

كما قال امْرُؤُ القيس [4]:

على كل مَقْصُوصِ الذُّنَابَى مُعَاوِدٍ ... بَرِيدَ السُّرَى بِاللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرْبَرَا[5]

وكانتْ بُرُدُ مُلُوك العرب في الجاهلية الخيل .

وأما قول جرير " الجَوْنَيْنِ " فقد مضى ذكرهما.

---

(١) البيتِ فى شرح اختيارات المفضل ص١٥٦٩ ، ولسان العرب ١٢/ ٥٤٧ (لقم) ، ولدجاجة بن عتر فى جمهرة اللغة ص٨٨٦ ، وبلا نسبة فى شرح عمدة الحافظ ص٥٨٦ ، بروايته :

وهم ضربوك ذات الرأس حتى ... بدت أم الدماغ من العظام

(٢) انظر رغبة الآمل (٤/٢٢٤) .

(٣) قال محقق(س)فى الأصل " عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال ابن حرام بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان". كذا وهو تصرف من النساخ أو الرواة،وهو خطأ.

والصواب : عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن سماك (سمال) ابن عوف بن امرؤ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان .

انظر جمهرة أنساب العرب ٢٦١-٢٦٢ ، ونسب عدنان وقحطان ١٢، والتاج (سمل) .

(٤) البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس فى ديوانه ص٦٦ ولسان العرب ٣/ ٨٦ (برد) ، وجمهرة اللغة ص٢٩٥ .

(٥) انظر رغبة الآمل (٤/٢٢٦) .

و " يوم دير الجماجم " يريدُ الحجاج في وقعته بدير الجماجم بعبدِ الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي .

وقوله :

بِالْحِنْوِ أصبحتم عبيدَ اللهازِمِ

فاللهازِمُ [1]: بنو قيسِ بن ثعلبة وبنو ذُهْلِ بن ثعلبةَ ، وبنو تَيْمِ اللات بن ثعلبة، وبنو عِجْلِ بن لُجَيمِ بن صَعْبِ بن عليٍّ بن بكر بن وائل ، وبنو مازن بن صعب[2] بن عليٍّ ، ثم تَلَهْزَمَتْ حَنيفةُ بنُ لُجَيْمٍ فصارتْ معهم .

وأما علقمة بن زُرارةَ فإنّه قَتَلَهُ بنو ضُبَيعةَ بن قيس بن ثعلبة فقتل به حاجبٌ أخوه أشيم بن شراحيل القيسيَّ ، فقال حاجبٌ في ذلك :

فَإِنْ تقتلُوا مِنّا كَرِيمًا فَإِنّنَا ... أَبَأْنا به مَأْوَى الصَّعَالِيكِ أَشْيَمَا
قَتَلْنَا بِهِ خَيْرَ الضُّبَيْعَاتِ كُلِّهَا ... ضُبَيْعة قَيْسٍ لا ضُبَيْعَة أَضْجَمَا

وكان يقال لأشْيَمَ : مَأْوَى الصَّعَالِيكِ ، وضُبَيْعةُ أضْجَمَ الذي ذكر هو ضبيعة ابنُ ربيعةَ بن نزارٍ رَهْطُ المُتَلَمِّسِ ، هذا لقبهم .

وأما معبد بن زُرارة فإن قيسًا أسرته يوم رَحْرَحَانَ ، فساروا به إلى الحجاز فأتى لقيطٌ في بعض الأشهر الحُرم لِيَفْدِيَهُ ، فطلبوا منه ألف بعيرٍ ، فقال لقيطٌ : إنَّ أبانا أَمَرَنَا ألا نزيدَ علي المائتين فتطمع فينا ذُؤْبانُ العرب ، فقال معبد : يا أخي ، افْدِني بمالي فإنّي

---

(١) فى النقائض ٤٧،٣٠٥،٧٦٤ واللسان والتاج (لهزم) أن اللهازم بنو قيس وتيم اللات ابنا ثعلبة ، وعجل بن لجيم ، وعنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وانظر اللباب ٣/ ١٣٧ وليس في عنزة نقلاً عن محقق (س) .

(٢) وقال على بن حمزة فى التنبيهات ١٣٨ :" إنما هم بنو زمان بن صعب " كذا! والصواب " بنو زمان بن مالك بن صعب " انظر نسب عدنان وقحطان ١٧ ، وجمهرة أنساب العرب ٣٠٩ نقلاً عن محقق (س) .

مَيِّتٌ ، فأَبى لقيط ، وأبى معبدٌ أن يأكل أو يشرب ، فكانوا يَشْحُوْن[1] فاه ويصبُّـون فيـه الطَّعامَ والشَّرابَ لئلا يَهلِكَ فيذهب فداؤهُ ، فلم يزلْ كذلك حتَّى مات ، فقال جَرِيرٌ يُعَـيِّرُ الفرزدق وقومَه بذلك :

تَرَكْتُـمْ بِـوَادِي رَحْرَحَـانَ نِسَـاءَكُمْ ... وَيَوْمَ الصَّفَا لاقَيْتُمُ الشِّـعْبَ أَوْعَـرَا

سَـمِعْتُمْ بَنِـي مَجْدٍ دَعَـوْا يَالَعَـامِرِ ... فَكُنْتُـمْ نَعَامًـا عِنْـدَ ذَاكَ مُنَفَّـرَا

وَأَسْلَمَتِ الْقَلْحَاءُ(*) في الْغُلِّ مَعْبَـدًا ... وَلاقَـى لَقِيـطٌ حَتْفَـهُ فَتَقَطَّـرَا[2]

قوله :

سمعتم بني مجد دعوا يالعامر

يعني مَجْدَ بنتَ النَضْرِ بنِ كِنانَةَ ، وَلَدَتْ رَبيعَةَ بنَ عامرِ بـنِ صَعْصَعَـةَ [3]، وَوَلَـدُهُ بنو كلابٍ وبنو كَعْبٍ وبنو عامرِ بنِ رَبيعَةَ .

و " القَلْحَاءُ " لقبٌ ، والقَلَحُ أن تركَبَ الأسنانَ صفرةٌ تَضْرِبُ إلى السَّوَادِ ، ويقال لها الحُبْرَةُ ؛ لِشِدَّة تأثيرها ، أنشدني المازنيُّ :

لَسْتُ بِسَـعْدِيٍّ عَلَـى فيـهِ حُـبْرَةٌ ... لَسْـتُ بِعَبْـدِيٍّ حَقِيبَتُـهُ التَّمْـرُ

وزعم أبو الحسن الأخفش أنَّ العربَ تقـول في هـذا المعنـى : في أسـنانهِ حِبرَةٌ ، وليس ذلك بمعروفٍ ، ولم يأت اسمٌ على فِعِل إلا إبِلٌ وإطِلٌ .

---

(١) يشحوه وشحاه : فتحه.

(*) انظر رغبة الآمل ٤/٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٢) الأبيات من الطويل لجرير في ديوانه ص ١٨٦ ط . دار الكتب العلمية والبيت الثالث على رواية المبرد مركب من بيتين ، وهما :

وأسلمت لابني أسيدة حاجبًا ... ولاقى لقيط حتفـه فتقطـرا

وأسلمت القلحاء للقوم معبدًا ... يجاذب مخموساً من القد أسمرا

(٣) قوله " ولدت ربيعة بن عـامر بـن صعصعـة" كـذا ! وربيعـة زوجهـا . وكـلاب وكعـب وعـامر وكليب بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وأمهم مجد بن تيم الأدرم بن غالب بن فهر بـن مـالك بـن النضر بن كنانة . انظر المحبر ١٧٨، وجمهرة أنساب العرب ٢٨٠، ٤٨٦ ، ورغبة الآمل ٤/ ٢٢٩ .

وقوله : ولاقَى لَقيطٌ حتفه فتَقَطَّرا

يقال : قَطَّرَهُ لِجَنْبِه وقَتَّرَهُ ، لغتان؛لأنَّ التاء من مَخْرَجِ الطَّاء ، فإنْ رَمَى به على قفاه قيل : سلَقَهُ ، وسَلْقاهُ ، وبَطَحَهُ لوجهه ، فإن رَمَى به على رأسه قيل : نَكَتَهُ .

رَجَعَ التَّفْسِيرُ إلى شِعْرِ الفَرَزْدَقِ الأَوَّلِ

أمَّا قوله : ومنا الذي منع الوائِدات

فإنه يعني جَدَّه صَعْصَعَةَ بنَ ناجيَةَ بن عقال ، وكانت العرب في الجاهلية تئِدُ البنات ، ولم يكن هذا في جميعها ، إنَّما كان في تميم بن مُرٍّ، ثم استفاض في جيرانهم ، فهذا قول . وقال قوم آخرون : بل كان في تميم وقيس وأسَدٍ وهُذَيْلٍ وبكرِ بن وائل لقولِ رسول الله ﷺ : " **اللهم اشْدُدْ وَطْأَتك عَلَى مُضَرَ وَاجْعَلْها عليهم سِنِينَ كَسِنِي يُوسفَ** "[1] وقال بعض الرواة : " **اشْدُدْ وَطْدَتَكَ** "(*) ، والمعنى قريبٌ يرجع إلى الثِّقَلِ ، فأَجْدَبُوا سَبْعَ سنين حتَّى أَكَلُوا الوَبَرَ بالدَّمِ ، فكانُوا يُسَمُّونه العِلْهِزَ ، ولهذا أبان الله عزَّ وجلَّ تحريم الدَّم ، ودَلَّ على ما من أجله قتلُوا البناتِ فقال : ﴿ **وَلاَ تَقْتُلوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ** ﴾ وقال : ﴿ **وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ** ﴾ فهذا خبرٌ بَيِّنٌ أنَّه لِلْحاجَةِ ؛ وقد روى بعضُهم أنَّهم إنَّما فَعَلُوا ذلك أَنَفَةً .

وذكر أبو عبيدة مَعْمَرُ بن المُثَنَّى أن تميمًا مَنَعَتِ النُّعْمانَ الإتاوَةَ سنةً من السنين وكانت العرب تسمِّي الخَراجَ الإتاوة ، وهي الأَرْيانُ ، فوجَّه إليهم أخاه الرَّيَّان بن المُنْذِر، وكانت

---

(١) أخرجه البخارى فى "الأذان"، باب: يهوى بالتكبير حين يسجد (٣٣٩/٢) (ح٨٠٤) ، وفى "الجهاد "(٢٩٣٢)، وفى "أحاديث الأنبياء "(٣٣٨٦)، وفى ((التفسير)) (٤٥٦٠و٤٥٩٨) وفى "الأدب "(٦٢٠٠) ، والإكراه (٦٩٤٠) ، وفى " الدعوات " ، ومسلم فى " المساجد ومواضع الصلاة" باب استحباب القنوت فى جميع الصلاة (ح٦٧٥) من حديث أبى هريرة .

(*) قال ابن الأثير فى النهاية : (٢٠٠/٥) :

وكان حماد بن سلمة يرويه ((اللهم اشدد وطدتك على مضر)) . والوَطْدُ : الإثبات والغمز فى الأرض .

للنُّعمان خمسُ كتائبَ : إحداها " الوَضائعُ " ، وهم قومٌ من الفُرْسِ كَان كسْرَى يَضَعُهُمْ عنده عُدَّةً ومَدَدًا ، فيُقِيمُون سنةً عند الملك من ملوك لَخْم ، فإذا كان في رأس الحَوْل رَدَّهُمْ إلى أَهْلِيهِم وبعث بمثلهم . وكتيبةٌ يقال لها : " الشَّهْباءُ " ، وهي أهلُ بيت الملك ، وكانوا بيض الوجوه يُسَمَّوْن الأشاهبَ . وكتيبةٌ ثالثة يقال لها : " الصَّنائعُ " ، وهم صنائعُ الملك أكثرهم من بكر بن وائل . وكتيبةٌ رابعةٌ يقال لها:" الرَّهائِنُ " ، وهم قومٌ كان يأخُذُهمْ من كُلِّ قبيلة فيكونون رُهُنًا عنده ثم يُوضَعُ مكانَهم مِثْلُهم . والخامسةُ " دَوْسر"، وهي كتيبةٌ ثقيلةٌ تجْمَعُ فُرْسانًا وَشُجْعانًا من كل قبيلة ، فأغْزَاهم أخاه ، وجُلُّ من معه بكْرُ بنُ وائلٍ ، فاسْتَاقَ النَّعَمَ وسَبَى الذَّرَاري ، وفي ذلك يقولُ المُشَمْرَجُ اليَشْكريُّ :

لَمَّا رَأَوْا رَايَةَ النُّعْمَان مُقْبِلَةً ... قَالُوا أَلاَ لَيْتَ أَدْنَى دَارِنَا عَدَنُ
يَا لَيْتَ أُمَّ تَمِيم لَمْ تَكُنْ عَرَفَتْ ... مُرًّا وَكَانَتْ كَمَنْ أُودَى بِهِ الزَّمَنُ
إنْ تَقْتُلُونَا فَأعْيَارٌ مَجَدَّعَةٌ ... أَوْ تُنْعِمُوا فَقَدِيمًا مِنْكُمُ المِنَنُ[1]
مِنْهُمْ زُهَيْرٌ وَعَتَّابٌ وَمُحْتَضَرٌ ... وَابْنَا لَقِيطٍ وَأَوْدَى فِي الْوَغَا قَطَنُ

ويقول النعمانُ في جواب هذا :

للهِ بَكْرٌ غَدَاةَ الرَّوْع لَوْ بهمُ ... أَرْمي ذُرَا حَضَن زَالَتْ بهمْ حضَنُ
إذْ لاَ أَرَى أَحَدًا فِي النَّاس أَشْبَهَهُمْ ... إلاَّ فَوَارسَ خَامَتْ عَنْهُمُ اليَمنُ[2]

وهذا خبرٌ طويلٌ ، فوفدت إليه بنو تميم فلما رآها أَحَبَّ البُقْيا فقال :

مَا كَانَ ضَرَّ تَمِيمًا لَوْ تَغَمَّدَهَا ... مِنْ فَضْلِنَا مَا عَلَيْه قَيْسُ عَيْلاَن

فأنابَ القومُ وسألوه النِّساء ، فقال النعمانُ : كلُّ امرأةٍ اختارتْ أباها رُدَّتْ إليه ،

---

(١) أعيار جمع عير ، وهو الحمار وحشيًا كان أو أهليًا . مجدعة : مقطعة الآذان . رغبة الآمل ٢٣٣/٤.

(٢) زالت بهم حضن : يريد زالت بهم أركان حضن ، وهو جبل بأعلى نجد ، خامت : جبنت وضعفت . رغبة الآمل ٢٣٣/٤ .

وإن اختَارَتْ صاحبهَا تُركتْ عليه ، فكلُّهن اختارتْ أباها إلا ابنةً لقيسِ بن عاصمٍ[1] فإنها اختارت صاحبَها عمرو بن المُشَمْرَج ، فنذر قيسٌ ألاّ تُولَدَ له ابنةٌ إلا قَتَلَها ؛ فهذا شيء يَعْتَلُّ به مَنْ وَأَد ، ويقول : فَعَلْناه أَنَفَةً ، وقد أُكْذِبَ ذلك بما أنزل الله تعالى في القرآن . وقال ابن عباس رحمهُ الله في تأويل هذه الآية [2]: وكانوا لا يورِّثون ، ولا يَتَّخِذُون إلا مَنْ طاعَنَ بالرُّمْح ومَنَع الحَرِيمَ ، يريدُ الذُّكْرانَ .

ورَوَتِ الرُّوَاةُ [3]أنَّ صَعْصَعَةَ بنَ ناجيةَ لما أتى رسول الله ﷺ فأسلم ، قال : يا رسول الله ، إنّي كُنْتُ أَعْمَلُ عَمَلاً في الجاهلية أَفَيَنْفَعُنِي ذلك اليومَ ؟ قال : وما عَمَلُك ؟ قال : أَضْلَلْتُ نَاقَتَيْنِ عُشَرَاوَيْنِ فركبتُ جملاً وَمضَيْتُ في بُغائِهما [4]، فَرُفِع لي بيتٌ حَرِيدٌ فقصدتُه ، فإذا شيخٌ جالس بفناء الدار ، فسألتُه عن الناقتين فقال : ما نارُهما ؟ قلتُ :

---

(١) قال محقق (س) : بهامش نسخة ما نصه :" قال أبو الفرج : هي ابنة أخته لا ابنته واسمها ريم بنت أحمر بن جندل السعدى "اهـ .

قلت أي محقق (س) : وأنا أنقل كلام أبي الفرج لفائدته وبيانه ، قال :" قال أحمد بن الهيثم قال عمى فحدثني عبد الله بن الأهتم : أن سبب وأد قيس بناته أن المشمرج اليشكرى أغار على بنى سعد فسبى منهم نساء واستاق أموالاً ، وكان فى النساء امرأة خالها قيس بن عاصم ، وهى رميم بنت أحمر بن جندل السعدى ، وأمها أخت قيس . فرحل قيس إليهم يسألهم أن يهبوهاله أو يفدوها ، فوجد عمرو بن المشمرج قد اصطفاها لنفسه، فسأله فيها فقال: قد جعلت أمرها إليها فإن اختارتك فخذها . فخيرت فاختارت عمرو بن المشمرج فانصرف قيس فوأد كل بنت ، وجعل ذلك سنة فى كل بنت تولد له ، واقتدت به العرب فى ذلك . فكان كل سيد يولد له بنت يئدها خوفاً من الفضيحة " الأغانى ١٤/ ٧١ .

(٢) يريد آية سورة الإسراء : ٣١:﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ﴾. وانظر فى تفسيرها تفسير ابن كثير ٥/٦٩، والبحر المحيط ٦/٣٢، تفسير القرطبى ١٠ /٢٥٢.

وقال الشيخ المرصفى معلقاً على قول المبرد وقد أكذب ذلك :"ليت شعرى ما يصنع أبو العباس لو تليت عليه آية ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ﴾. والحق أن من العرب من يئد خشية الإملاق ومنهم من يئد أنفة من العار وقد أخبر الله عنهم بآيتين صادقتين " رغبة الآمل ٤/ ٢٣٤.

(٣) روى أبو عبيدة فى النقائض ٦٩٧-٦٩٨ خبر إحياء صعصعة الوئيد وليس فيه خبره مع رسول الله ﷺ .

(٤) أي طلبهما .

مِيسَمُ بني دارمٍ ، فقال : هما عندي ، وقد أَحْيـا الله بهمـا قومًـا مـن أهلـك مـن مُضَـرَ ، فجلستُ معه لِتُخْرَجا إليَّ ، فإذا عجـوزٌ قـد خَرَجَـتْ مـن كِسْـرِ البيـت ، فقـال لها : مـا وَضَعَتْ ؟ فإنْ كان سَقْبًا شارَكْنا في أَمْوالِنا ، وإنْ كانَتْ حائلاً وَأَدْناها ، فقالتِ العجوزُ : وَضَعَتْ أنثى ! فقلتُ : أَتَبيعُها ؟ قال : وهـل تَبِيـعُ العَـرَبُ أولاَدَهـا ؟ قـال :قلـتُ : إنّمـا أشـتري حَياتَهَـا ، ولا أشـتري رِقَّهـا ، قـال : فبِكَـمْ ؟ قلـتُ : احْتَكِـمْ ، قـال : بالنّـاقَتَيْن والجملِ ، قال قلتُ : ذاك لك ، عَلى أن يُبَلِّغَني الجملُ وإيَّاها ، قال : ففعلَ ؛ فآمنتُ بـك يا رسولَ الله وقد صارتْ لي سُنَّةٌ في العرب عَلَيَّ أن أشتري كُلَّ مَوْءودةٍ بناقَتَيْن عُشَـرَاوَيْنِ وَجملٍ ، فعندي إلى هذه الغاية ثمانون ومائتا مَوْءودة قد أَنْقَذْتُها ، فقـال رسـول الله ﷺ : " لا يَنْفَعُكَ ذلك لأَنَّكَ لم تَبْتَغِ بـهِ وَجْـهَ الله وإنْ تَعْمَـلْ في إِسْلاَمِكَ عَمَـلاً صالحًـا تُثَـبْ عليه " [1].

وكان ابن عباس يقرأ : ﴿ وإذا المَوْءُودةُ سَأَلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلْتُ ﴾[2] وقال أهلُ

---

(١) أنكر السهيلي في الروض الأنف (٢٥٧/١) ما قاله المبرد ، قـال : " وقـال المبرد في الكـامل عـن النبي ﷺ كلامًا لم يصحّ لفظه ولا معناه ولا يشهد له أصل " وحكـى أنّ صعصعـة سـأل رسـول الله ﷺ : هل لي في ذلك من أجر ؟ فقال في أصح الروايتين : لك أجره إذا منّ الله عليك بالإسلام ... وهذه الرواية أوردها الحافظ السيوطى فى " الدر المنثور " (٥٢٨/٦) وعزاها إلى الطبرانى عن صعصعة ابن ناجية المجاشعي وهو جد الفرزدق. وكذا أشار إليها الحافظ فى "الإصابة"(٢٤٥/٣)، وعزاهـا إلى ابن أبى عاصم وابن السكن والطبراني من طريـق الطفيـل بـن عمـرو عـن صعصعـة بـن ناجيـة جـد الفرزدق ثم أورد قول الفرزدق فى ذلك :

وجـدي الــذي منـع الوائــدات وأحيــا الوئيــد فلــم يــؤد

ثم قال السهيلي :" والأصول تشهد له بهذه الرواية ، لما ثبت أن الكافر إذا أسلم وحســن إسلامه كتب له كل حسنة كان زلفها ".

وأورد الحديث بطوله الحافظ الهيثمى فى المجمع"،(٩٤/١،٩٥) وقـال :" رواه الطبرانى فـى الكبـير ، والبزار، وفيه الطفيل بن عمرو التميمى ، قال البخارى لا يصح حديثه . قال العقيلى :لا يتابع عليه" .

(٢) سورة التكوير : ٨-٩ ."سألت" مبنيًّا للفاعل و " قتلت " مبنيًّا للمفعول بسكون اللام وضم التاء وهى قراءة ابن مسعود وعلى وابن عباس وجابر بن زيد وأبى الضحى ومجاهد ، انظر البحر ٤٣٣/٨.

المعرفة في قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾[1] إنما تُسْأَلُ تَبْكِيتًا لمن فَعَلَ ذلك بها كما قال الله تعالى : ﴿ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾[2].

وقوله : " وُئِدَتْ " إِنَّما هو أُثْقِلَتْ بالتُّراب ، يقال للرجل : اتَّئِدْ ، أي : تَثَبَّتْ وَتَثَقَّلْ ، كما يقال : تَوَقَّرْ ، قال قَصيرٌ صاحبُ جَذِيمَةَ :

مَا لِلْجِمَالِ مَشْيُها وَئِيدا ... أَجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أَمْ حَدِيدَا[3]

وقوله : " أضللتُ ناقتين عُشَرَاوَيْنِ " ، " أَضْلَلْتُ "[4]: ضَلَّتَا مني ، وتَحْقِيقُه : صَادَفْتُهما ضالَّتَيْنِ كما قال :

أَوْ وَجْدُ شَيْخٍ أَضَلَّ نَاقَتَهُ ... حِينَ تَوَلَّى الْحَجِيجُ فَانْدَفَعُوا[5]

و " العُشَرَاءُ " : الناقةُ التي قد أتى عليها منذ حَمَلَتْ عشرةُ أشْهُرٍ ، وإنما حَمْلُ الناقة سنةٌ .

وقوله : " ما نارُهما " يريد : ما وَسْمُهُما ، كما قال :

---

(١) " سُئِلت" و" قُتِلت " مبنيان للمفعول بتاء التأنيث ، وهى قراءة الجمهور .

(٢) سورة المائدة : ١١٦.

(٣) الرجز للزباء فى لسان العرب ٤٤٣/٣(وأد) ، ١٩٣/٩(صرف) ، ١٤٨/١٠ ، (زهق) وأدب الكاتب ص ٢٠٠، والأغاني ٢٥٦/١٥، وأوضح المسالك ٨٦/٢ ، وجمهرة اللغة ص٧٤٢، ١٢٣٧ ،وخزانة الأدب ٢٩٥/٧، والدرر ٢٨١/٢، وشرح الأشموني ١٦٩/١، وشرح التصريح ٢٧١/١، وشرح شواهد المغني ٩١٢/٢ ، وتاج العروس ٢٤٨/٩(وأد) ،١٧/٢٤(صرف) ، وشرح عمدة الحافظ ص١٧٩، ومغني اللبيب ٥٨١/٢، وللزباء أو للخنساء فى المقاصد النحوية ٤٤٨/٢ ، وبلا نسبة فى همع الهوامع ١٥٩/١، ومقاييس اللغة ٧٨/٦، وكتاب العين ٧/ ١١١ ،وأساس البلاغة (وأد).

وبعده فى زيادات بعض النسخ :" هذا وهم من أبى العباس - حيث نسبه لصاحب جذيمة ــ وإنما هو للزباء "

وبعده فى بعض الزيادات :

أم صرفانا باردًا شديدًا

(٤) فى بعض النسخ : تأويل أضللت .

(٥) البيت من المنسرح ، وهو لمالك بن حريم فى أمالي القالي ٢/ ١٢٣ ، وبلا نسبة فى الأزهية ص١٢٠ ، والجنى الداني ص٢٣٠ ، برواية :" يوم توافر الحجيج ".

قَـــدْ سُـــقِيَتْ آبَـــالُهُمْ بالنَّـــار وَالنَّـارُ قَـدْ تَشْـفِي مِـنَ الأُوَار[1]

أي : عُرِفَ وَسْمُهُمْ فلم يُمْنَعُوا .

وقوله : " فإذا بيت حَرِيدٌ " يقول : مُتَنَحٍّ عن الناس ، وهـذا مـن قولهـم : انْحَـرَدَ الجملُ : إذا تَنَحَّى عن الإبل فلم يَبْرُكْ معها ، ويقال في غير هـذا الموضـع : حَـرَدَ حَـرْدَهُ ، أي قَصَدَ قَصْدَهُ ، قال الراجز :

قَدْ جَاءَ سَيْلٌ جَـاءَ مِـنْ أَمْـرِ الله يَحْـرِدُ حَـرْدَ الجَنَّـةِ المُغِلَّـه[2]

وقالوا في قوله عزَّ وجلَّ:﴿ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾[3] أي على قَصْدٍ كما ذكرنا ، وقالوا:على مَنْعٍ ، من قولهم : حارَدَتِ الناقةُ : إذا مَنَعَتْ لبنَها ، وحارَدَتِ السَّنَةُ : إذا مَنَعَتْ قَطْرَها ؛ والبعيرُ الأَحْرَدُ هو الذي يَضْرِبُ بيده ، وأصلُه الامتناع عن المَشْي .

وأما قوله :

. . . . وقـــبر بكاظمـــة المـــورد

إذا مـــا أتـــى قـــبره عـــائذ أنـــاخ علـــى القـــبر بالأســـعدِ

فإنَّه يعني قبر أبيه غالبِ بن صعصعة بن ناجية ، وكان الفرزدق يُجير من اسْتَجَارَ بقبر أبيه ، وكان أبوه جوادًا شريفًا ، ودخل الفـرزدقُ البصرة في إمْرَةِ زيـادٍ ، فبـاع إبـلاً كثيرةً وجعل يَصُرُّ أثمانها ، فقال له رجلٌ : إنَّك لَتَصُرُّ أثمانَها ، ولو كان غالبُ بنُ صعصعة ما صَرَّها ، ففتـح الفـرزدقُ تلـك الصُّـرَرَ ونَـثَرَ المـالَ ؛ وبلـغ الخـبرُ زيـادًا فطلبـه ، فهـرب الفرزدقُ ؛ وله في هَرَبِهِ حديثٌ طويلٌ ، واسْتِجارَتِه بسعيد بن العاصي بالمدينة نذكـره بعـد هذا إن شاء الله .

---

(١)الرجز بـلا نسـبة فـى لسـان العـرب ٣٥/٤(أور)،٢٤٣/٥(نـور) ، وشـرح شـواهد المغـني ٣٠٩/١،٣١٦، ومغنى اللبيب ١٠٣/١، وتـاج العـروس ٣٠٥/١٤(نـور) ،(ورى) ، ومقـاييس اللغـة ٤٠/١، ومجمل اللغة ٢١٥/١ ، وتهذيب اللغة ٢٣١/١٥، بلفظ : "حتى سقوا آبالهم ".

والأوار : العطش . كما في رغبة الآمل (٢٣٨/٤) .

(٢) الرجز لقطرب في خزانة الأدب ٣٥٦/١٠ ، وسمط اللآلي ص٣١ ، وبـلا نسبة في لسـان العـرب (حرد) ، (غلـل) ، (ألـه) ، وخزانـة الأدب ١٠/ ٣٥٦ ، وجمهـرة اللغـة ص ١٦٠ ، ٥٠١ ، ٩٦٢ ، وسر صناعة الإعراب ص ٧٢١ ، ومعجم ما استعجم ص٧٨٥ ، وتهذيـب اللغـة ٤٢٢/٦ ، ومجمـل اللغة ٥٦/٢ ، ومقاييس اللغـة ٥١/٢ ، وديـوان الأدب ١٥١/٢ ، وتـاج العـروس (غلـل) ، وكتـاب العين ١٨١/٣ .

(٣) سورة القلم : ٢٥ .

فممَّن استَجَارَ بقبر غالبٍ فأجَارَهُ الفرزدقُ امرأةٌ من بني جَعْفَر بن كلاب ، خافتْ لمّا هجا الفرزدقُ بني جعفرِ بن كلابٍ أنْ يُسَمِّيها ويَسُبَّها ، فعاذَت بقبر أبيه ، فلم يَذْكُرْ لها اسمًا ولا نسبًا، ولكنْ قال في كَلِمَتِه التي يهجو فيها بني جَعْفَر بن كلابٍ :

عَجُوزٌ تُصَلِّي الْخَمْسَ عَاذَتْ بِغَالِبٍ　　　فَلاَ وَالَّذِي عَاذَتْ بِهِ لاَ أَضِيرُهَا[1]

ومن ذلك أنَّ الحجاجَ لمّا وَلّى تَميمَ بنَ زَيْدٍ القَيْنِيَّ السِّنْدَ ، دَخَل البصرةَ فجعل يُخرِجُ من أهلها مَنْ شَاء ، فجاءَتْ عجوزٌ إلى الفرزدق فقالت : إني استجرتُ بقبر أبيك ، وأَتَتْ منه بحَصياتٍ ، فقال : ما شأْنك ؟ فقالتْ : إنَّ تميمَ بنَ زيدٍ خَرَجَ بابنٍ لي معه ولا قُرَّةَ لعيني ولا كاسِبَ لي غيرُهُ ، فقال لها : وما اسمُ ابنك ؟ فقالت : خُنَيْسٌ ، فكتب إلى تميمِ ابن زيدٍ مع بعض مَنْ شَخَصَ :

تَمِيمُ بْنَ زَيْدٍ لا تَكُونَنَّ حَاجَتِي　　　بِظَهْرٍ فَلاَ يَعْيَا عَلَيَّ جَوَابُهَا[2]

وَهَبْ لِي خنيسًا[3] **وَاحْتَسِبْ فيه مِنَّةً　　　لِعَبْرَةِ أُمٍّ مَا يَسُوغُ شَرَابُهَا**

أَتَتْنِي فَعَاذَتْ يَا تَمِيمُ بِغَالِبٍ　　　وَبِالْحُفْرَةِ السَّافِي عَلَيْهَا تُرَابُهَا

وَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّكَ مَاجِدٌ　　　وَلَيْثٌ إِذَا مَا الحَرْبُ شُبَّ شِهَابُهَا

فلما ورد الكتابُ على تميم تَشَكَّكَ في الاسم فقال : أَحُبَيْشٌ أم خُنَيْسٌ ؟ ثم قال : انْظُرُوا مَنْ له مثلُ هذا الاسم في عسكرنا ؟ فأُصيبَ ستةٌ ما بين حُبَيْشٍ وَخُنَيْسٍ فَوَجَّهَ بهم إليهم .

ومنهم مُكاتَبٌ لبني مِنْقَرٍ ظَلَعَ بمُكَاتَبَتِه [4]فأتى قَبْرَ غالب فاستجارَبه وَأَخَذَ منه حَصَياتٍ فَشَدَّهُنَّ في عِمامته ، ثم أتى الفرزدقَ فأخبره خَبَرَهُ وقال : إني قد قلتُ شعرًا فقال : هاتِه ، فقال :

---

(١) ديوانه ٣٦٧/١ ، والنقائض ٥٢٥ ، وطبقات فحول الشعراء ٣١٤.

(٢)الأبيات من الطويل فى ديوانه (٨٦/١) ، وأوردها ابن منظور فى لسان العرب (حوب) دون البيت الأخير فقدم وأخر ، وفى ألفاظها بعض اختلاف ، وفى مقاييس اللغة (٤٧٢/٣) ، وتاج العروس (٤٨٦/١٢).

(٣) في الأصل بغير نقط ، وقد عمد الشاعر إلى ذلك لغرض فني سيفصح عنه المبرد في قصته بعد.

(٤) من ظلع البعير بحمله كمنع عرج وغمز فى مشيه لثقله . يريد ضعف عن حمل ما كوتب به. رغبة الآمل ٢٤٢/٤.

بِقَبْرِ ابْنِ لَيْلَى غالِبٍ عُذْتُ بَعْدَمَا خَشيتُ الرَّدَى أَوْ أَنْ أُرَدَّ عَلَى قَسْرِ[1]

بِقَبْرِ امْرِئٍ تَقْرِي المِئِينَ عِظَامُهُ وَلَمْ يَكُ إلاَّ غالِبًا مَيِّتٌ يَقْرِي

فَقَالَ لِيَ اسْتَقْدِمْ أَمَامَكَ إنَّما فَكَاكُكَ أنْ تَلْقَى الْفَرَزْدَقَ بالمِصْرِ

فقال له الفرزدقُ : ما اسْمُكَ ؟ قال : لَهْذَمٌ ، قال : يَا لَهْذَمُ ، حُكْمُكَ مُسَمَّطًا ، قال : ناقةٌ كَوْماءُ سوداءُ الحَدَقَة ، قال : يا جارية ، اطْرَحِي إلينَا حبلاً ، ثم قال:يا لَهْذَمُ، اخْرُجْ بنا إلى المِرْبَدِ فألْقِهِ في عُنُقِ ما شئتَ ، فَتخيَّرَ العبدُ على عَيْنِه ، ثم رمى بالحبل في عنق ناقةٍ وجاء صاحبُها ، فقَال له الفرزدقُ : اغْدُ عليَّ في ثَمَنِها ؛ فجعَلَ لَهْذَمٌ يقودها والفرزدقُ يسوقُهَا حتى إذا نَفَذَ بهَا من البيوت إلى الصحراء صاحَ به الفرزدقُ : يا لَهْذَمُ ، قَبَّح ا لله أَخْسَرَنا !! .

قوله : ولم يك إلا غالبًا ميتٌ يقري

فإنه نَصَبَ غالبًا لأنَّه استثناءٌ مقدَّمٌ ، وإنما انْتَصَب الاستثناءُ المُقَدَّمُ لِما أذكره لك .حقُّ الاستثناء إذَا كان الفعلُ مشغولاً به أن يكونَ جاريًا عليه ، لا يكونُ فيه إلا هذا، تقول : ما جاءني إلا عبدُ ا لله ، ومارأيت إلا عبدَ ا لله ، وما مررتُ إلا بعبدِ ا لله، فإنْ كان الفعلُ مشغولاً بغيره فكان موجَبًا لم يكنْ في المستثنى إلا النصبُ ، نحو جاءني إخْوَتُكَ إلا زيدًا ، كما قال تعالى : ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ ﴾ وَنَصْبُ هذا على معنى الفعل و " إلا " دليلٌ على ذلك . فإذا قلتَ : "جاءني القومُ" لم يؤمن أن يقع عند السماع أن زيدًا أحدهم فإذا قلت : "إلا زيدًا" فالمعنى لا أَعْنِي فيهم زيدًا ، أو أستثني ممن ذكرتُ زيدًا ؛ ولسيبويه فيه تَمْثِيل[2]، والذي ذكرتُ لك أَبْيَنُ منه ، وهو مُتَرْجِمٌ عمّا قال غيرُ ناقِضٍ له .

وإن كان الأول منفيًا جاز البدلُ والنَّصْبُ ، والبدلُ أحسنُ ؛ لأنَّ الفعل الظاهرَ أولى بأن يَعْمَلَ من المُخْتَزَلِ الموجودِ بدليلٍ ، وذلك قولُك : ما أتاني أحدٌ إلا زيدٌ وما

---

(١) يريد على قهر العبودية . رغبة الآمل ٤/٢٤٢.

(٢) قال سيبويه في باب ما يكون استثناء بإلا :" اعلم أن إلا يكون الاسم بعدها على وجهين . فأحد الوجهين أن لا تغير الاسم عن الحال التى كان عليها قبل أن تلحق كما أن لا حين قلت لا مرحبًا ولا سلام لم تغير الاسم عن حاله قبل أن تلحق فكذلك إلا ولكنها تجيء لمعنى كما تجيء "لا" لمعنى. والوجه الآخر أن يكون الاسم بعدها خارجًا مما دخل فيه ما قبله عاملاً فيه ما قبله من الكلام كما تعمل عشرون فيما بعدها إذا قلت عشرون درهماً " الكتاب ١/ ٣٦٠ .

مررتُ بأحد إلا زيدٍ . والفصلُ بين الْمنفيِّ والموجَب أن المبدلَ من الشيء يُفرَّغُ لـه الفعلُ فأنت في المنفيِّ إذا قلتَ:ما جَاءَني أحدٌ إلا زيدٌ إذا حذفتَ على جهة البدل صار التقديرُ : ما جاءَني إلا زيدٌ ، لأنَّه بدلٌ من أحد ، والموجَبُ لا يكون فيه البـدلُ ؛ لأنَّـك إذَا قلـتَ : جاءَني إخوتُك إلا زيدًا لم يَجُزْ حذفُ الأوّلِ ، لا تقول : جاءني إلا زيدٌ ، وإن شئتَ أن تقول في النفي : ما جاءني أحدٌ إلا زيدًا جاز ، ونَصْبُـهُ بالاستثناء الـذي شـرحتُ لـك في الواجب ، والقراءةُ الجيدةُ : ﴿ **مَا فَعَلُوهُ إلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ** ﴾[1] وقد قُـرِئَ [2] : ﴿ **إلا قليـلاً منهم** ﴾ على ما شرحتُ لك في الواجب والقراءةُ الأُولى[3] .

فإذا قَدَّمْتَ المستثنَى بطلَ البدلُ ، لأنَّه ليس قبله شيءٌ يُبْدَلُ منه ، فلم يكنْ فيه إلاّ وجهُ الاستثناء ، فتقول : ما جاءني إلاَّ أباكَ أحدٌ ، وما مررتُ إلاّ أبـاك بـأحدٍ ، وكذلـك تُنْشَدُ هذه الأشعار ، قال كَعْبُ بنُ مالكٍ الأنصاريُّ لرسول الله ﷺ :

النَّاسُ أَلْـبٌ علينـا فيـكَ لَيْـسَ لنـا ... إلاَّ السُّيوفَ وأَطْـرَافَ القَنَـا وَزَرُ[4]

وقال الكُمَيْتُ بنُ زَيْدٍ :

فمـالِيَ إلاّ آلَ أحْمَـدَ شِـيعةٌ ... ومـالِيَ إلاّ مَشْعَبَ الحَقِّ مَشْعَبُ[5]

---

(١) سورة النساء : ٦٦ . وقليل بالرفع قراءة الجمهور .

(٢) قرأ قليلاً بالنصب أبيّ وابن أبى اسحاق وعيسى بن عمر وابن عامر ، وكذا هـى فـى مصـاحف أهل الشام . انظر السبعة ٢٣٥ ، والنشر ٢/ ٢٥٠ ، والكشف لمكى ١/ ٣٩٢، وحجة القراءات ٢٠٦ ، والبحر ٢٨٥/٣ . والمقنع ١١٠ . أفاده محقق(س) .

(٣) يريد والقراءة المختارة الجيدة القراءة الأولى بالرفع .

(٤) البيت من البسيط لحسان بن ثابت فى ديوانه صـ٢٠٦، وتذكرة النحاة صـ٧٣٥ ، وشرح أبيـات سيبويه (١٧٥/٢) ، ولكعب بن مالك فـى ديوانـه صـ٢٠٩ ، وشـرح المفصـل (٧٩/٢) ، والكتـاب (٣٣٦/٢) ، وبلا نسبة فى الإنصاف (٢٧٦/١) والمقتضب (٣٩٧/٤) .

و(ألب) "بفتح الهمزة" مصدر ألب القوم يألبون "بالكسر" تجمعوا . و(الوزر) الملجأ . رغبـة الآمـل ٢٤٥/٤ .

(٥) البيت من الطويل فى شرح هاشميات الكميت صـ٥٠ ، والإنصاف صـ٢٧٥، وتخليـص الشـواهد صـ٨٢ ، وخزانة الأدب (٣١٤/٤،٣١٩)،(١٣٨/٩) ، والدرر (١٦١/٣)، وشـرح شـذور الذهـب صـ٣٤١ ، وشرح أبيات سيبويه (١٣٥/٢) ، وشرح التصريح (٣٥٥/١) وشرح قطر الندى صـ٢٤٦ ولسان العرب (٥٠٢/١) (شعب) ، واللمع فى العربية صـ ١٥٢، والمقـاصد النحويـة (١١١/٣)، وبلا نسبة فى أوضح المسالك (٢٦٦/٢) ، وشرح الأشمونى (٢٣٠/١)، وشرح ابن عقيل صـ٣٠٨، ومجالس ثعلب صـ٦٢، والمقتضب (٣٩٨/٤).

لا يكونُ إلاّ هذا . وليُونُس قولٌ مرغوبٌ عنه ، فلذلك لم نَذْكره [1].

وقوله : " فقال لِيَ اسْتَقْدِمْ أَمَامَكَ " مُخبرٌ عن الميِّت بالقَوْلِ ، فإنَّ العربَ وأهلَ الحِكْمَةِ من العَجضم تجعلُ كلَّ دليلٍ قولاً ، فمن ذلك قولُ زُهَيْرٍ :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تكَلَّمِ .... [2]

وإنَّما كلامُهَا عندَه أنْ تُبيِّنَ بما يُرَى من الآثارِ فيها ، من قِدَمِ أهلِها وحِدْثانِ عَهْدِهِمْ .

ويُرْوى عن بعض الحكماءِ أنه قال : هَلاَّ وَقَفْتَ على المَعَاهِدِ والجنانِ فقلتَ : أَيَّتُها الجنانُ ، أَيْنَ مَنْ شَقَّ أنهارَكِ ، وغَرَسَ أَشجارَكِ ، وجَنَى ثِمارَكِ ؟ فإنَّها إنْ لم تُجبْكَ حِوارًا أَجابَتْكَ اعتبارًا .

وأهلُ النظر يقولون في قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [3]: لم يكنْ كلامٌ ، إنما فَعَلَ عزَّ وجلَّ ما أراد فَوُجدَ ؛ قال الراجزُ :

قد خَنَّقَ الحَوْضُ وقال قَطْني سَلاً رُوَيْدًا قد مَلأْتُ بَطْنِي [4]

و لم يكن كلامٌ ، إنما وُجدَ ذلك فيه . وكذلك قولُه :

فقالَ لِيَ اسْتَقْدِمْ أَمَامَكَ إنما فَكَاكُكَ أنْ تَلْقَى الفَرَزْدقَ بالمِصْرِ

أي : قد جُرِّبَ مثلُ هذا منكَ في المُسْتَجيرِ بقَبْرِه .

وحدَّثني العباسُ بنُ الفَرَجِ الرِّياشِيُّ في إسنادٍ قد ذَهَبَ عني أكثرُه ، قال : نزل النعمان بن المنذر ومعه عَدِيّ بنُ زَيْدٍ في ظلِّ شجرةٍ مُؤْنِقَةٍ ، لِيَلْهُوَ النعمانُ هناك ، فقالَ له

---

(١) حكى سيبويه قول يونس قال : " وحدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقولون : مالي إلا أبوك أحد فيجعلون أحدًا بدلاً كما قالوا ما مررت بمثله أحدٍ فجعلوه بدلاً " الكتاب ٣٧٢/١.

(٢)البيت من الطويل في ديوانه صـ٤ ،ولسان العرب (٢٧٠/٢) (درج) ،(٧٩/١٢) (ثلم) ، (١٢٨/١٣) (حمن)، وتهذيب اللغة (١٢١/٥، ٢٧٨) ، وجمهرة اللغة صـ٤٤٧ ، ١٣١٣، وتاج العروس(٥٥٥/٥) (درج) (ثلم) (حمن) . وعجزه : بحومانة الدراج فالمتثلم

(٣) سورة فصلت : ١١ . وانظر تفسيرها في تفسير ابن كثير ١٥٦/٧، وتفسير القرطبي ٣٤٣/١٥-٣٤٤.

(٤) أورده ابن منظور بلا نسبة فى (قطن) بلفظ :

امتلأ الحوض وقال قطنى سلاً رويدًا قد ملأت بطنى

انظر رغبة الآمل ٢٤٦/٤ .

عديُّ بنُ زيد : أيُّها الملكُ أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! أتَدْرِي ما تقولُ هذه الشجرةُ ؟ قال : وما الذي تقول ؟ ! قال : تقول :

رُبَّ شَـرْبٍ قـد أَنـاخُوا حَوْلَنـا   يَمْزُجُـونَ الخمـرَ بالمـاء الـزُّلالْ
ثُـمَّ أضْحَـوْا عَصَـفَ الدَّهْـرُ بهـم   وكـذاكَ الدَّهْـرُ حـالاً بعدَ حـالْ[1]

قال : فَتَنَغَّصَ النعمان .

وهذا في الأمثال كثيرٌ ، وفي الأشعار السائرة .

وأما قولهُ : " حُكْمُكَ مُسَمَّطًا " فإعرابُه أنه أرادَ : لك حُكْمُكَ مُسَمَّطًا ، واستُعْمِلَ هذا فكَثُر ، حتى حُذِفَ استخفافًا ، لعلم السامع ما يُرِيدُ القائلُ [2]، كقولك: "الهلالُ وا للهِ" أي : هذا الهلالُ ، وأَغْنَى عن قوله : "هذا" القصدُ والإشارةُ .

وكان يقالُ لرُؤْبَة : كيفَ أصبحتَ ؟ فيقول : خَيرٍ عافاكَ ا للهُ . فلم يُضْمِرْ حرفَ الخفْضِ ، ولكنه حَذَفَ لكَثْرة الاستعمال .

و " المُسَمَّطُ " : المُرْسَلُ غيرُ المردودِ . و " الكَوْماءُ " : العظيمةُ السَّنَامِ .

* * *

---

(١) البيتان من الرمل وهما في ديوان عدى بن زيد صـ٨٣ ، والدرر (٢/٥٥) وبلا نسبة في همع الهوامع (١/١١٣) .

في بعض النسخ قبله :

من رآنـا فليحـدث نفسـه   أنـه مـوف علـى قـرنِ زوالْ
وصـروف الدهـر لا يبقـى لهـا   ولمـا تـأتي بـه صـمُّ الجبـالْ
ربّ ركـب قـد أنـاخوا حولنـا   . . . . البيت وبعده
والأبـاريق عليهـا فـدمٌ   وجيـاد الخيـل تـردى في الجـلالْ
عمـروا الدهـر بعيـش حسـن   قطعـوا دهرهـم غـير عجـال
ثم أوضحوا . . . . البيت .

وانظر رغبة الآمل ٤/٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٢) وهو من أمثالهم . انظر جمهرة الأمثال ١/٣٧٤، ومجمع الأمثال ١/٢١٢ ، واللسان (سمط)

باب

قال أبو العباس : قال اللَّيثيُّ [1]: أعتقَ سعيدُ بنُ العاصي أبا رافعٍ إلاّ سَهْمًا واحدًا فيه ، من أسهُمٍ لم يُسَمَّ عَدَدُها لنا ، فاشترى رسولُ الله ﷺ ذلك السهمَ فأعتقه [2]، وكان لأبي رافعٍ بَنُونَ أشرافٌ ، منهم : عُبيدُ الله بنُ أبي رافع ، وحديثه أثبتُ الحديثِ عن عليٍّ بن أبي طالب ، وكان كالكاتِب له ، وكان عُبيدُ الله بنُ أبي رافعٍ شريفًا ، وكان عُبيدُ الله يُنْسَبُ إلى وَلاءِ رسولِ الله ﷺ ، فلما وَلِيَ عمروُ بنُ سعيدٍ الأشْدَقُ المدينةَ لم يَعْمَلْ شيئًا قبلَ إرساله إلى عُبيد الله بن أبي رافعٍ ، فقال له : مَوْلَى مَنْ أنتَ ؟ فقال : مولَى رسولِ الله ﷺ ، فأبْرزَه فضربَه مائة سوطٍ ، ثم قال له : مَوْلَى مَنْ أنْتَ ؟ فقال مولى رَسولِ الله ﷺ ، فضربه مائةً أخرى ، فلما رأى عبدُ الله أخاه غيرَ راجعٍ ، وأن عَمْرًا قد ألَحَّ في ضَرْبه ، قام إلى عمروٍ فقال : اذْكُرِ المِلْحَ ، فأمسك عنه .

والمِلْحُ ههنا اللَّبَنُ ، يريدُ الرَّضاعَ ، كما قال أبو الطَّمَحان القَيْنِيُّ :

وإنّي لأرْجُو مِلْحَها في بَطونكم ... وما بَسَطَتْ مِنْ جِلْدِ أشْعَثَ أغْبَرَا [3]

وكما قال الآخر [4] :

---

(١) بعده في زيادات : فى بعض النسخ " وهو الجاحظ ".

(٢) أورد الحافظ بن حجر قصة أبي رافع هذه فى"الإصابة "(٦٥/٧، ٦٦) ط. الكتب العلمية ، ثم قال :" ذكر المبرد فى " الكامل " واقتضى سياقه أنه أبو رافع القبطى السابق ذكره ، وجرى على ذلك ابن عبد البر وأورد القصة فى ترجمة أبى رافع القبطي والد عبيد الله بن أبى رافع كاتب علي وهو غلط بين ،لأن أبا رافع والد عبيد الله كان للعباس بن عبد المطلب فأعتقه . قال أبو عمر :هذه القصة لا تثبت من جهة النقل وفيها اضطراب كثير . وقد ذكر أبو سعيد الأعرابى هذه القصة فى "معجمه" من طريق جرير بن حازم عن حماد بن موسى رجل من أهل المدينة : أن عثمان بن البهى ابن أبى رافع حدثه قال .... ثم ساق القصة ، ثم قال : " هذا يبين أن صاحب هذه القصة غير أبي رافع والد عبيد الله بن أبى رافع إذ ليس فى ولده أحد يسمى البهى .

(٣) البيت من الطويل لأبى الطمحان فى لسان العرب (٢/ ٦٠٥) (ملح)،والتنبيه والإيضاح (٢٧٢/١)،وأساس البلاغة(ملح)،وبلا نسبة فى جمهرة اللغةص٥٦٩،والمخصص(٢٦/١) .

(٤) هو نهيكة بن الحارث المازنى من مازن فزارة . والبيت من أبيات له أنشدها ابن الأعرابى فى نوادره . انظر الخزانة ١٦٤/٤، وشرح أبيات مغنى اللبيب ٢٩٦/٤، ورغبة الآمل ٥/٥ . ونسبه المفضل بن سلمة فى الفاخر ١٠ لشتيم بن خوليد الفزى . ونقل عن المبرد نسبته إلى ابن الزبعرى ، انظر شعره ص٣٥، وشرح شواهد المغنى ١٩٥.

لا يُبْعِدِ اللهُ ربُّ العِبادِ والمِلْحُ ما وَلَدَتْ خالِدَهْ[1]

ويُرْوَى أنَّ عُبيد الله بنَ أبي رافع أتَى الحسنَ بنَ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ فقال : أنا مولاك ، فقال في ذلك مَوْلًى لِتمَّامِ بنِ العبَّاسِ بن عبد المُطَّلِبِ ، يَعْذُلُهُ ويُعَيِّرُهُ :

جَحَدْتَ بني العَبَّاس حَقَّ أبيهِمُ فما كُنْتَ في الدَّعْوَى كَريمَ العَوَاقِبِ

مَتَى كَانَ أولادُ البَناتِ كَوَارِثٍ يَحُوزُ ويُدْعَى والدًا في المَناسِبِ

يُريدُ أنَّ العباس أَوْلَى بوَلاء مَوْلَى رسولِ الله ﷺ ، لأن العَمَّ مَدْعُوٌّ والدًا [2]في كتابِ الله تعالى[3] ، وهو يَحوزُ الميراثَ .

وقال رجلُ من الثَّقَفِيِّينَ : أنشدْتُ مَرْوان بن أبي حفصة هذين البيتين ، فوقع عندي أنه من هذا أخذَ قولَه[4] :

أنَّى يَكُونُ ولَيْسَ ذاكَ بكائنٍ لِبَنِي البنَاتِ وِراثةُ الأعْمامِ

ألْغَى سِهامَهُمُ الكِتابُ فما لَهُمْ أنْ يَشْرَعُوا فيه بغَيْرِ سِهَامِ[5]

وقال طاهرُ بنُ علي بن سليمانَ بن عليٍّ بن عبد الله بن العَبَّاس للطَّالِبيِّين :

لو كان جَدُّكُمُ هناكَ وَجَدُّنا فَتَنازَعا فيها لِوَقْتِ خِصَامِ

كان التُّرَاثُ لِجَدِّنا مِن دُونِهِ فَحَوَاهُ بالقُرْبَى وبالإسلامِ

حقُّ البَناتِ فَرِيضَةٌ معروفةٌ والعَمُّ أَوْلَى من بني الأعْمامِ

---

(١) البيت من المتقارب ، وهو لشتيم بن خويلد الفزاري فى لسان العرب (٥٦٢/١٢) (لوم) ، وأساس البلاغة صـ٤٣٥،(ملح)، وبلا نسبة فى لسان العرب (٦٠٥/٢) (ملح) والمخصص (٢٦/١) ، وتهذيب اللغة (١٠٠/٥،١٠٢) .

(٢) فى نسخة : يُدعى آبًا .

(٣) قال الشيخ المرصفى :" وفى حديث رسوله . أما الكتاب ففى قوله عز شأنه :﴿ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ﴾ [سورة البقرة : ١٣٣] فجعلوا إسماعيل آبًا ليعقوب وهو عمه . وأما الحديث فقوله (ﷺ) يشير إلى عمه العباس : هذا بقية آبائى ، وقوله :"ردوا عليَّ أبي " رغبة الآمل ٦/٥ .

(٤) شعره ق ٦٦،٥/٦،ص١٠٤ .

(٥) أورد البيت الأول منهما الأصفهانى فى كتاب الأغانى (٢٢٠/٣) ،(١١١/١٠) والبيتان من بحر الكامل .

وذكر الزُّبَيْرِيُّون عن ابن الماجشُون قال : جاءني رجلٌ من ولد أبي رافع ، فقال: إني قد قاوَلْتُ رجلاً من مَوَالِي بعض العربِ ، فقلتُ : أنا خيرٌ منكَ ، فقال : بل أنا خيرٌ منكَ ، فما الذي يَجبُ لي عليه ؟ فقلتُ : ليس في هذا شيءٌ ، فقال : أنا مَوْلَى رسول الله ﷺ ، ويَزْعُمُ أنَّه خيرٌ مني ؟! قال : قلتُ : قد يَتَصَرَّفُ هذا على غير الحَسَبِ ، قال : فلما رآني لا أَقْضِي له بشيء ، قال لي : أنت دافعٌ مَغْرَمًا ؛ لأنَّ وَلائي عندَه ليس في موضعٍ مَرْضِيٍّ؟ قال : وصَدَقَ ، في بني تَيْمٍ لِتَيْمٍ مَنْ هو أشرفُ وَلاءً مِنِّي .

* * *

وحُدِّثْتُ أنَّ أُسامةَ بنَ زيدٍ قاوَلَ عمرو بن عثمان في أَمْرِ ضَيْعَة يدَّعيها كلُّ واحدٍ منهما ، فَلَجَّتْ بهما الخصومةُ ، فقال عمرو : يا أسامةُ ! أتأْنَفُ أن تكونَ مولايَ ؟ فقال أُسَامةُ : وا لله ما يَسُرُّني بوَلائي من رسول الله ﷺ نَسَبُكَ ! ثمَّ ارْتَفَعا إلى مُعاوية ، فَلَجَّا بين يديه في الخصومة ، فتقدمَّ سعيدُ بنُ العاصي إلى جانب عَمرو فجعل يُلَقِّنُهُ الحُجَّةَ ، فتقدم الحسنُ إلى جانبَ أُسَامَةَ يلقنُه ، فوَثَبَ عُتْبَةُ بن أبي سفيان فصار مع عَمْرٍو ، ووثَبَ الحسينُ فصار مع أسامة ، فقام عبدُ الرحمن بنُ أُمِّ الحَكَم فجلس مع عمرو ، فقام عبد الله ابنُ العبَّاس فجلس مع أسامة ، فقام الوليدُ بنُ عُقْبَة فجلس مع عمرو ، فقام عبد الله بنُ جعفر فجلس مع أُسامةَ ، فقال معاوية : الجَلِيَّةُ عندي ، حَضَرْتُ رسولَ الله ﷺ وقد أَقْطَعَ هذه الضَّيْعةَ أسامةَ ، فانصرف الهاشِمِيُّون ، وقد قُضِيَ لهم ، فقال الأُمَوِيُّون لمعاويةَ : هلاَّ إذْ كانتْ هذه القضيةُ عندَك بدأتَ بها قبل التَّحَزُّبِ ، أو أخَّرْتَها عن هذا المجلس ؟ فَتَكَلَّمَ بكلامٍ يدفعُه بعضُ الناس.

* * *

وكان الذي اعتد به الحجاج بن يوسف على سعيد بن جُبَيْر لَمَّا أُتِيَ به إليه بعد انقضاء أمر ابن الأشعث ،وكان سعيدٌ عبدًا لرجلٍ من بني أسدِ بن خُزَيْمَةَ فاشتراه سعيد بن العاصي في مائة عبدٍ فأعتقهم جميعًا ، فقال له الحجاج : يا شقي بن كسير ! أما قدمت الكوفة وليس يَؤُمُّ بها إلا عربيٌّ فجعلتك إمامًا ؟ قال : بلى ، قال : أفما وليتك القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا : لا يصلح القضاء إلا لعربي ، فاستقضيتُ أبا بردةَ بن أبي موسى الأشعري وأمرته ألا يقطع أمرًا دونك ؟ قال : بلى ، قال : أوَما جعلتك في سماري وكلهم من رءوس العرب ؟ قال : بلى ، قال : أوما أعطيتُك مائة ألف درهمٍ تُفرقها في أهل

الحاجة ، ثم لم أسألك عن شيء منها ؟ قال : بلى ، قال : فما أخرجك علي ؟ قال : بيعة كانتْ لابن الأشعثِ في عُنُقي ، فغضب الحجاج ، ثم قال : أفما كانتْ بيعة أمير المؤمنين عبد الملك في عنقك قبل ؟ وا لله لأقتلنك ، يا حرسي ، اضرب عنقه . ونظر الحجاج فإذا جل من خرج مع عبد الرحمن من الفقهاء وغيرهم من الموالي ، فأحب أن يُزيلهم عن موضع الفصاحة والآداب ، ويخلطهم بأهل القُرى والأنباط ، فقال : إنما الموالي علوج وإنما أتي بهم من القرى ، فقراهم أولى بهم ، فأمر بتسييرهم من الأمصار وإقرار العرب بها ، وأمر أن ينقش على يد كل إنسانٍ منهم اسم قريته ، وطالتْ ولايته ، فتوالد القوم هناك ، فخبثت لغات أولادهم، وفسدتْ طبائعهم ، فلما قام سليمانُ بنُ عبد الملك أخرج من كان في سجن الحجَّاج من المظلومين، فيقالُ إنه أخرج في يومٍ واحدٍ ثمانين ألفًا، وردَّ المنقوشين ، فرجعوا في صورة الأنباط ، ففي ذلك يقول الراجزُ :

جاريَةٌ لم تَدرِ ما سَوْقُ الإبلْ ... أخْرَجَها الحجَّاجُ من كِنٍّ وظِلْ

لو كانَ بَدْرٌ حاضِرًا وابنُ حَمَلْ ... ما نُقِشَتْ كفَّاكِ في جلْدٍ جَلَلْ

وقال شاعرٌ لأهلِ الكوفة لمَّا استُقْضِيَ عليها نُوحُ بنُ دَرَّاجٍ :

يا أيُّها الناسُ قد قامَتْ قيامَتُكُمْ ... إذْ صارَ قاضِيَكُمْ نوحُ بنُ دَرَّاجِ

لو كانَ حَيًّا له الحجَّاجُ ما سَلِمَتْ ... كَفَّاهُ ناجيةً من نَقْشِ حَجَّاجِ

ويُرْوَى عن حَسَّانَ المعروف بالنَّبطِّي، صاحب مَنارة حَسَّانَ في البَطِيحَةِ ، قال : أَرِيتُ الحجَّاجَ فيما يرى النائم ، فقلتُ : أصلح ا للهُ الأمير ، ما صنع ا للهُ بكَ ؟ فقال : يا نبطيُّ ! أهذا عليك ؟! قال : فرَأَيْتُنا لا نُفْلِتُ مِن نَقْشِهِ في الحياة ، ومِنْ شَتْمِهِ بَعدَ الوفاةِ !! .

ويُروى عن حسَّانَ أنه قَصَّ هذه الرؤيا على محمدِ بن سيرينَ ، فقال له ابنُ سيرين : لقد رأيتَ الحجَّاجَ بالصِّحة .

* * *

قال أبو العباس : وحُدِّثْتُ من ناحية الزُّبَيْرِيِّينَ أن الجَحَّافَ بنَ حَكِيم دخل على عبد الملك والأخْطَلُ عنده ، فلما بَصُرَ به الأخطلُ قال :

أَلاَ أَبْلِغ الجَحَّافَ هل هُوَ ثائِرٌ ... بقَتْلَى أُصِيبَتْ من سُلَيْم وعامِرِ[1]

فقال الجَحَّافُ :

بَلَى سَوْفَ نَبْكِيهِمْ بكُلِّ مُهَنَّدٍ ... وَنَبْكِي عُمَيرًا بالرِّماح الخَوَاطِرِ[2]

ثم قال:يا بْنَ النَّصرانيَّة! ما ظَنَنْتُكَ تَجْتَرِئُ عليَّ بِمِثْلِ هذا لو كُنْتُ مأسورًا لك ؟! فَحُمَّ الأخطلُ خوفًا ، فقال له عبدُ الملك : أنا جَارُكَ منه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ! هَبْكَ أَجَرْتَنِي منه في اليقظة ، فَمنْ يُجيرُني منه في النوم ؟! ومن هذا أو نحوه أَخَذَ السُّلَميُّ قولَهُ : [قال أبو الحسن : هو أَشْجَعُ السُّلَمِيُّ يقوله للرشيد] :

وعلى عَدُوِّكَ يا بنَ عَمِّ محمدٍ ... رَصَدَان ضَوْءُ الصُّبح والإظْلامُ

فإذا تنَبَّهَ رُعْتَهُ ، وإذا هَدَا ... سَلَّتْ عليه سُيوفَكَ الأَحْلامُ[3]

* * *

وكان العُدَيْلُ بنُ الفَرْخِ العِجْلِيُّ هاربًا من الحجَّاج ، فجعلَ لا يَحُلُّ بِبَلْدَةٍ إلاَّ رِيعَ لأَثَرٍ يراهُ من آثارِ الحجّاج فَيَهْرُبُ ، حتى أَبْعَدَ ففي ذلك يقول العُدَيْلُ :

يُخَشُّونَنِي الحجَّاجَ حَتَّى كأَنَّما ... يُحَرِّكُ عَظْمٌ في الفُؤادِ مَهِيضُ

ودُونَ يَدِ الحجَّاج من أَنْ تَنَالَني ... بَسَاطٌ لأَيْدِي اليَعْمَلاَتِ عَرِيضُ[4]

فلم يَنْشَبْ أن أُتيَ به الحجَّاجُ ، ففي ذلك يقولُ العُدَيْلُ [5]:

فلو كُنْتُ في سَلْمَى أجًا وشِعابها ... لكانَ لِحَجَّاج عليَّ دَليلُ

بَنَى قُبَّةَ الإسلام حتَّى كأَنَّما ... أَتَى الناسَ من بَعْدِ الضَّلال رسولُ

---

(١) البيت من بحر الطويل وهو فى ديوانه صـ١٣٠ وروايته " ألاسائل الجحاف" .

(٢) البيت من الطويل ،فى الجنى الدانى صـ٤٢١

(٣) البيتان فى أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق للصولى ٧٦ .

(٤) البيتان من الطويل فى ديوان العديل صـ١٣٠١،وانظر لسان العرب (٢٥٩/٧)(بسط)،وأساس البلاغة(بسط) ،وتاج العروس (١٤٥/١٩) (بسط) ،والأغانى ٣٣٣/٣٣٠/٢٢) والشعر والشعراء صـ ٤٢٠ ،وبلا نسبة فى مقاييس اللغة (٢٤٧/١) .

(٥) البيتان من الطويل ، وتاج العروس (١٤٩/١٩) (بسط) .

"أجًا وسَلْمَى":جَبَلاَ طَيّئٍ .و" أَجَأٌ "مهموزٌ ـ وإنما هو" أجًا "مقصورٌ، فاعلم[1]

قال زَيدُ الخَيْلِ :

جَلَبْنَا الخيلَ مِنْ أَجَأٍ وسَلْمَى ... تَخُبُّ نَزَائِعًا خَبَبَ الذِّئابِ

والشاعرُ إذا احتاجَ إلى قلب الهمزة قَلَبَها إن كَانتِ الهمزةُ مكسورةً جَعَلَها ياءً ، أو ساكنة جَعَلَها على حركةِ ما قَبْلَها ، وإن كانتْ مفتوحةً وقَبْلَهَا فتحةٌ جعلها أَلِفًا ، وإن كانت مفتوحةً وقبلها كسرةٌ جعلها ياءً ، وإن كانت قبلها ضمةٌ جعلها واوًا ، قال الفرزدق :

رَاحَتْ بِمَسْلَمةَ البِغَالُ عَشِيَّةً ... فَارْعَيْ فَزارةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ[2]

وقال حَسَّانُ بنُ ثابتٍ :

سَالَتْ هُذَيلٌ رَسُولَ اللهِ فاحشةً ... ضَلَّتْ هُذَيلٌ بما سَالَتْ ولم تُصِبِ[3]

وقال عبدُ الرحمن بنُ حسَّانَ :

وكنتَ أَذَلَّ من وَتِدٍ بقَاعٍ ... يُشَجِّجُ رأسَهُ بالفِهْرِ واجِي[4]

---

(١) قوله "و إنما .. فاعلم " ليس فى الأصل . وفى بعض النسخ : وأجأ مهموزاً إنما هو أجا مقصورا فاعلم . وفى بعض النسخ وإنما هى أجا وسلمى فاعلم .

ورسم أجا فى هذا الموضع وفى بعض النسخ: بالهمز والصواب أجا مقصور غير مهموز كما فى بعض النسخ وكما جاء فى شعر العديل ، وانظر كلام المبرد الآتى .

(٢) البيت من الكامل ، فى ديوان الفرزدق (١/٤٠٨) ، وشرح أبيات سيبويه (٢/٢٩٤) ، وشرح شواهد الشافعية وكتاب العين (٢/٦٨) ، والمقتضب (١/١٦٧) ، ولعبد الرحمن بن حسان فى ديوانه ص٣١، وبلا نسبة فى الخصائص (٣/١٥٢) ، وسر صناعة الإعراب (٢/٦٦) ، وشرح شافية ابن الحاجب (٣/٤٧) ، ولسان العرب (١/ ٨٤) (هنأ) والمحتسب (٢/١٣٢) ، والمقرب (٢/١٧٩) ، والممتع فى التصريف صـ٤٠٥ .

(٣) البيت من البسيط وهو فى ملحق ديوان حسان ين ثابت صـ٣٧٣، وشرح المفصل (٩/١١٤) ، والكتاب (٣/٤٦٨،٥٥٤)، والمقتضب(١/١٦٧) ،وبلا نسبة فى شرح شافية ابن الحاجب(٣/٤٨) ، والمحتسب (١/٩٠) ،والممتع فى التصريف صـ٤٠٥ .

(٤) البيت من الوافر ، وهو فى ديوان عبد الرحمن بن حسان صـ٨١، والخصائص (٣/١٥٢) ، والدرر (٤/١٧٨) وشرح أبيات سيبويه (٢/٣٠٦)، وشرح شواهد الشافية صـ٣٤١، وشرح المفصل (٩/١١٤) والكتاب (٣/٥٥٥) ولسان العرب (١/١٩١) (وجا) ، والمقتضب (١/١٦٦) ، وبلا نسبة فى سر صناعة الإعراب (٣/٧٣٩) وشرح شافية ابن الحاجب (٣/٤٩) ، والممتع فى التصريف (١/٣٨١)، والمنصف (١/٧٦) .

أما قولُ الفرزدق فإنّه يقولُ لمّا عُزِلَ مَسْلَمةُ بن عبد المَلكِ عن العِراق بعد قَتْله يزيدَ بن المُهَلّبِ لحاجةِ الخليفةِ إلى قُرْبه ، ووَلِيَ عُمَرُ بنُ هُبَيْرَةَ فقال[١] :

راحَتْ بمَسْلَمَةَ البغالُ عَشِيَّةً ... فَارْعَيْ فَزَارَةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ

ولقد عَلِمْتُ إذا فَزَارَةُ أُمِّرَتْ ... أنْ سوفَ تَطمَعُ في الإمارةِ أشْجَعُ

فأَرَى الأُمورَ تنكّرَتْ أَعْلامُها ... حتى أُمَيَّةُ عن فَزارةَ تُنْزَعُ

عُزِلَ ابنُ عَمْرٍو وابنُ بِشْرٍ قَبْلَهُ ... وأَخُو هَرَاةَ لِمِثْلِها يَتَوَقَّعُ[٢]

ففي جواب هذا يقول الأَسَدِيُّ لمّا وَلِيَ خَالدُ بنُ عبد الله القَسْرِيُّ :

بَكَتِ المَنَابرُ مِنْ فَزَارَةَ شَجْوَها ... فالآنَ مِنْ قَسْرٍ تَضِجُّ وتَخْشَعُ

وملوكُ خِنْدِف أَسْلَمُونَا لِلْعِدَى ... للهِ دَرُّ مُلوكِنَا مَا تَصْنَعُ[٣]

وأما قولُ حسانَ :

سالَتْ هذيلٌ رسولَ الله فاحشةً

فليس من لغته " سِلْتُ أَسَال " مثلُ : " خِفْتُ أخافُ " و " هُمَا يَتَسَاوَلَانِ " ، هذا من لُغةِ غيره ، وكانت هُذَيلٌ سألتْ رسول الله ﷺ أن يُحِلَّ لها الزِّنا .

ويُرْوَى أنَّ أسَدِيًّا وهُذَلِيًّا تَفاخرَا ، فرَضِيَا برجلٍ ، فقال:إنِّي ما أقْضِي بينكما إلاَّ أنْ تَجعلا لِي عَقْدًا وَثِيقًا ألاَّ تَضْرِبَا ولا تَشْتِما ؛ فإنِّي لستُ في بلادِ قَومِي ، ففعلاَ، فقال : يا أخا بَنِي أسدٍ ، كيفَ تُفاخِرُ العربَ وأنتَ تعلمُ أنه ليس حَيٌّ أحَبَّ إلى الجيشِ ولا أبْغَضَ إلى الضَّيف ولا أقَلَّ تحتَ الراياتِ منكم ؟! وأمّا أنتَ يا أخا هُذَيْلٍ ! فكيفَ تُكَلِّمُ الناسَ وفيكم خِلالٌ ثلاثٌ : كان منكم دَليلُ الحَبَشَةِ على الكَعْبةِ ، ومنكم خَوْلةُ ذاتُ النِّحْيَيْنِ ، وسألتُم رسولَ الله ﷺ أن يُحِلَّ لكم الزِّنا ؟! ولكنْ إذا أرَدْتُمَا بَيْتَيْ مُضَرَ ، فعليكُمَا بهذين الحَيَّيْن من تَميم وقَيْس ، قُومَا في غيرِ حفظِ الله .

وأمّا بيتُ عبدِ الرحمن بنِ حسَّانَ فإنه يقولُه لعبد الرحمن بن الحَكَمِ بن أبي العاصِي ، وكان يُهاجيهِ ، فقال له في كَلِمَتِهِ :

---

(١) ديوانه ١/٤٠٨ باختلاف فى الرواية . وستأتى.

(٢) سبق تخريجها .

(٣) الأبيات فى الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى (٣٨١/١١)

وأمّـــا قَوْلُـــكَ الخُلَفـــاءُ مِنّـــا ... فَهُـمْ مَنَعُـوا وَرِيـدَكَ مـن وِدَاجِ
ولولاهُـمْ لَكُنْتَ كَحُـوتِ بَحْـرٍ ... هَـوَى في مُظْلِـمِ الغَمَـرَاتِ دَاجِـي
وكُنْـتَ أذَلَّ مِـنْ وَتِـدٍ بِقَـاعٍ ... يُشَـجِّجُ رَأْسَـهُ بـالفِهْرِوَاجِي[1]

* * *

وكان أحَدَ مَنْ هربَ من الحجاج سَوَّارُ بنُ المُضَرَّبِ ففي ذلك يقولُ[2] :

أقَـاتِلِيَ الحَجَّـاجُ إنْ لم أزُرْ لَـهُ ... دَرَابَ وأَتْـرُكْ عنـدَ هِنْـدٍ فُؤَادِيَـا
فإنْ كَـان لا يُرْضِيـكَ حَتَّى تَرُدَّنِـي ... إلى قَطَـرِيٍّ مَـا إخَـالُكَ رَاضِيَـا
إذا جَـاوَزَتْ دَرْبَ المُجِيزِينَ نـاقتِي ... فَبِاسْتِ أبـي الحجَّـاج لَمَّـا ثَنَانِيَـا
أيَرْجُو بنـو مَـرْوَانَ سَمْعِي وطاعتِي ... وقَوْمِـي تَمِيـمٌ والفَـلاةُ وَرَائِيَـا[3]

" ورائي " ههنا في معنى : أمامي ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وإنِّـي خِفْتُ المَوَالِـيَ مِنْ وَرَائِي ﴾[4] وقال جل ثناؤه:﴿ وكان وراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [5]

ومِمَّن هرَبَ من الحجاج محمدُ بنُ عبدِ الله بن نُمَيْرٍ الثقفي ، وكان يُشَبِّبُ بزينبَ بِنْتِ يوسفَ أختِ الحجاج ، وهو القائل فيها[6] :

---

(١) تقدم تخريجه فى الجزء الأول

(٢) الأبيات فى النوادر ٤٥، والحماسة الشجرية ٢٠٨ .

(٣) الأبيات من الطويل ، وانظر الحماسة الشجرية (٢٠٨/١)،وخزانة الأدب (٥٥/٧) ، (٤٧٩/١٠) ،ولسان العرب (٣٩٠/١٥) (ورى) ،وتاج العروس (درى) ، ونوادر أبى زيد صـ٤٥، والدرر (٥٥/٣)،ومعجم ما استعجم صـ٥٤٩، والمقاصد النحوية (٤٥١/٢) والخصائص (٢/ ٤٣٣)، وشرح الأشمونى (١٦٩/١) ، وشرح المفصل(١/ ٨٠) والمحتسب (١٩١/٢) .

(٤) سورة مريم : ٥

(٥) سورة الكهف : ٧٩ .

قال علي بن حمزة فى التنبيهات ١٣٨-١٣٩:" الوراء الأمام والخلف صحيح إلا أنه غلط باستشهاده بالآية الأولى ، وإنما معنى قوله :﴿ وإنى خفت الموالى من ورائى ﴾ أى من بعدى هكذا قال المفسرون ولا معنى لأمامى والله أعلم ..." وانظر تفسير غريب القرآن ٢٧٢ وتفسير ابن كثير ٢٠٧/٥ ، وتفسير القرطبى ٧٩/١١.

(٦) شعره ـ شعراء أمويون ١٢٣/٣-١٢٤ ق ٧،١/٣ ، والأغانى ١٩٢/٦-١٩٣ .

تَضَوَّعَ مِسْكًا بطنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ ... بِهِ زَيْنَبٌ في نِسْوَةٍ عَطِراتِ

يُخَبِّئْنَ أَطْرافَ البَنَانِ مِن التُّقَى ... ويَخْرُجْنَ شَطْرَ الليلِ مُعْتَجِراتِ[1]

في كلمةٍ له ؛ فلمّا أُتِيَ به الحجاجُ قال [2]:

هاكَ يَدِي ضاقَتْ بِيَ الأرضُ رحْبها ... وإنْ كُنتُ قد طَوَّفْتُ كلَّ مَكانِ

فلو كنتُ بالعَنْقاءِ أو بأَسُومِهَا ... لَخِلْتُكَ إلاّ تَصُدَّ تَرَانِي[3]

ثمَّ قال : وا لله أيُّها الأميرُ ، إنْ قلتُ إلاّ خيرًا ، إنما قلتُ :

يُخَبِّئْنَ أَطْرافَ البَنَانِ مِن التُّقَى ... ويَخْرُجْنَ شَطْرَ الليلِ مُعْتَجِراتِ

فعفَا عنه ، ثم قَال له : أخبرني عن قولك :

ولَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ أعْرَضَتْ ... وكُنَّ مِنَ أنْ يَلْقَيْنَه حَذِرَاتِ[4]

ما كُنْتُم ؟ قال : كنتُ على حمارٍ هَزيلٍ ، ومعي صاحبٌ لي على أتانٍ مثله .

وممن هرب منه مالك بن الرَّيْبِ المازنيُّ ، أحدُ بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميمٍ ، وفي ذلك يقول [5]:

---

(١)البيتان من الطويل وهما فى الأغانى (٢٠٦/٦) والبيت الثانى فى جمهرة اللغة بلا نسبة صـ٣١٠. والأول فى لسان العرب (٢٢٩/٨) (ضوع) ، (٥٨٨/١٢) (نعم) لعبد الله النميرى فى الأغانى (٢٠٩/٦) ، ٢١٣، ٢١٤) فى تاج العروس (٤٢٩/٢١) ضوع) ،وبلا نسبة فى مقاييس اللغة (٣٧٧/٣)، ومجمل اللغة (٢٩٥/٣)، وأساس البلاغة صـ٣٠٤(عطر) ، وإصلاح المنطق صـ٢٠٨، وجمهرة اللغة صـ ٢٥٤ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى صـ١٢٨٩، ومجالس ثعلب صـ٢٥٠ .

(٢) شعره ـ شعراء أمويون ١٣٤/٣ ق١٨ وحدهما . وهما فى الأغانى ١٩٩/٦ باختلاف فى الرواية . وسيأتيان . ونسبهما صاحب الأغانى ٣٤١/٢٢ للعديل بن الفرخ .

(٣)الأبيات فى الأغانى (٣٤٣/٢٢) ولفظها :

هأنذا ضاقت بي الأرض كلها ... إليك وقد جولت كل مكان

فلو كنت في ثهلان أو شعبتي أجا ... لخلتك إلا أن تصد تراني

(٤) هو بيت من قصيدة النميرى فى زينب أخت الحجاج والتى أولها :

أضوع مسكا بطن نعمان إذ مشت ، والقصيدة فى الأغانى (٢٠٣/٦-٢٠٥) .

(٥) شعره ـ الشعر المنسوب إليه ـ شعراء أمويون ٥١/١-٥٢ ق١/١ ـ٤، ٦، ٧ وشك جامع شعره فى نسبتها إليه ؛ لأن مالكاً مات قبل أن يتولى الحجاج بأكثر من ١٨ عاماً .

والأبيات ١-٤ للفرزدق فى ديوانه ١٦٠/١ ، وديوان الحماسة بشرح المرزوقى ٢/ ٦٧٦والتبريزى ٢/ ١٠٩ ونسب ياقوت الأبيات الستة لبرج بن خنزير التميمى ، انظر معجم البلدان (حفير)٢٧٧/٢ ونسبها ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ٣٥٤لمالك بن الريب وانظر رغبة الآمل ٢٥/٥-٢٦ .

إنْ تُنْصِفُونَا يَالَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبْ ... إليكم وإلاَّ فَأْذَنُوا ببِعَادِ

فَإِنَّ لَنَا عنكم مَرَاحًا ومَزْحلاً ... بعِيسٍ إلى رِيحِ الفَلاَةِ صَوَادِي

فَفِي الأرضِ عن دارِ المَذَلَّةِ مَذْهَبٌ ... وكلُّ بلادٍ أُوطِنَتْ كَبلاَدِي

فماذا تُرَى الحَجَّاجَ يَبْلُغُ جُهْدُهُ ... إذا نَحْنُ جَاوَزْنَا حَفِيرَ زِيَادِ

فلولاَ بَنُو مَرْوَانَ كان ابنُ يُوسفٍ ... كما كانَ عبدًا من عَبِيدِ إِيَادِ

زَمانَ هُوَ العَبْدُ المُقِرُّ بِذِلَّة ... يُرَاوِحُ صِبْيَانَ القُرَى ويُغَادِي[1]

قال ذلك لأنَّ الحجاج كان هو وأخوه مُعَلِّمَيْنِ بالطائف ، وكان لَقَبُهُ كُلَيْبًا ، وفي ذلك يقول القائل :

أَيَنْسَى كلَيْبٌ زمانَ الهُزالِ ... وتَعْليمَهُ صِبْيَةَ الكَوْثَرِ

رَغِيفٌ له فَلْكَةٌ ما تُرَى ... وآخَرُ كالقَمَرِ الأَزْهَرِ[2]

يقول : خُبْزُ المُعَلِّمينَ يأتي مختلفًا ، لأنه من بيوتِ صبيانٍ مختلِفي الأحوال .

وأنْشَدَ أبو عثمان عمرُو بنُ بَحْرٍ الجاحظُ :

أَمَا رَأَيْتَ بني بَحْرٍ وقد حَفَلُوا ... كَأَنَّهُمْ خُبْزُ بَقَّالٍ وكُتَّابِ

هذا طويلٌ وهذا حَنْبَلٌ جَحِدٌ[3] ... يَمْشُونَ خَلْفَ عُمَيْرٍ صاحبِ البابِ

وفي لَقَبِهِ يقولُ آخر من أهل الطائف :

كُلَيْبٌ تَمَكَّنَ في أَرْضكم ... وقد كان فينا صَغِيرَ الخَطَرْ

* * *

ولما دخل الحجاج مكةَ اعتذر إلى أهلها لِقلَّة ما وصلهم به ، فقال قائل منهم : إذن واللهِ لا نَعْذِرك وأنتَ أمير العراقين وابنُ عظيم القريتين . وذلك أنَّ عُرْوَةَ بن مسعود ولدهُ من قِبل أُمِّه . وتأويلُ قولِ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هذا القُرْآنُ عَلَى

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) معجم البلدان (٤/ ٤٨١) (كوثر) .

(٣) الحنبل : القصير الضخم البطن . والجحد بكسر الحاء وصف من جحد عيشه : ضاق واشتد. عن رغبة الآمل ٥/٢٩.

رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[1] مجازُهُ في العربية : على رجل من رجلين من القريتين عظيم ، والقريتان : مكةُ والطائفُ ، والرجلان : عُرْوَةُ بنُ مسعود ، والآخرُ الوَليدُ بنُ المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ويُرْوَى أن أبا بكر الصديق ـ رحمه الله ـ مَرَّ بقبره ومعه خالدٌ ، فقال : أصبح جمرة في النار ، فأجابه خالد في ذلك بجواب غير مَرْضِيٍّ .

وأما عروة بن مسعود فإن رسول الله ﷺ بعثه إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام ، فَرَقِيَ سطحَهُ ، فرماه رجلٌ بسهم فقتله ، فلما وَجَّهَ رسولُ الله ﷺ العبَّاسَ بن عبد المُطَّلِب ـ رحمه الله ـ إلى أهل مكة أبْطأَ عليه ، فقال : " **رُدُّوا عليَّ أبي ، أَمَا لَئِنْ فَعَلَتْ به قُرَيْشٌ ما فَعَلَتْ ثقيفٌ بعُرْوَةَ بنِ مسعودٍ لأُضْرِمَنَّها عليهم نارًا** "[2] .

يقال : " رَقِيتُ " السطحَ ، وما كان مثلَهُ ، " أرقَاه " ، مثلُ " خَشِيتُهُ أَخْشاهُ " كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **أَوْ تَرْقَى فِي السَّماء** ﴾[3] ، ويقال : "رَقَيْتُ اللَّدِيغَ أَرْقِيه" مثلُ "رَمَيْتُه أَرْمِيه" . ويقال : " ما رَقَأَتْ عينُه من الدمع " مهموزٌ " تَرْقَأُ " يا فتى ، مثلُ " قَرَأْتَ تَقْرَأُ " يا فتى .

وكان الحجاج [4]رأى في منامه أن عَيْنَيْه قُلِعَتَا فَطَلَّقَ الْهِنْدَيْنِ : هندَ بنتَ المُهَلَّبِ ، وهند بنتَ أسماءِ بْنِ خارِجَة ، فلم يَلْبَثْ أَنْ جاءه نَعِيُّ أخيه من اليمن في اليوم الذي مات فيه ابنُه محمدٌ ، فقال : هذا والله تأويلُ رؤيايَ ، ثم قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، مُحَمَّدٌ ومُحَمَّدٌ في يوم واحدٍ .

حَسْبِي بقَاءُ اللهِ من كلِّ مَيِّتٍ ... وحَسْبِي رَجاءُ اللهِ مِن كلِّ هالِكِ[5]

---

(١) سورة الزخرف : ٣١ .

(٢) ورد الخبر بلفظ" احفظونى فى العباس فإنه بقية آبائى" وبلفظ "استوصوا بالعباس خيراً فإنه بقية آبائى فإنما عم الرجل صنو أبيه " أوردهما الهيثمى فى " المجمع" (٩/٢٦٩) ، وقال فى الأول :" رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط وفيه جماعة لم أعرفهم ". وقال فى الثانى :" رواه الطبرانى وفيه عبد الله من فراش وهو ضعيف ،ووثقه ابن حبان وقال ربما أخطأ وبقية رجاله وثقوا . وانظر ضعيف الجامع (ح٢١٣ ـ ٢١٥)

(٣) سورة الإسراء : ٩٣ .

(٤) الخبر فى التعازي والمراثي ١٩٩ ـ ٢٠١

(٥) البيتان فى التعازي والمراثي٢٠٠ ـ ٢٠١باختلاف فى الرواية .

إذا كان ربُّ العَرْش عَنّي رَاضِيًا فـإنَّ شِـفاءَ النَّفْـس فيمـا هُنَـالِكِ[1]

وقال : مَنْ يقول شعرًا يُسَلِّيني به ؟ فقال الفرزدق [2]:

إنَّ الرَّزِيَّـــةَ لا رَزِيَّـــةَ مِثْلُهـــا فُقْـــدَانُ مِثْـــل مُحَمَّـــدٍ ومُحَمَّـــدِ

مَلِكَـان قـــد خَلَـتِ المَنَـابرُ منهمـا أَخَـذَ الحِمَـامُ عليهمـا بـالمَرْصَدِ

فقال : لو زِدْتَنِي ! فقال الفرزدق[3] :

إنِّي لَبَـاكٍ عَلَـى ابْنَـيْ يُوسُـفٍ جَزَعًـا ومِثْـلُ فَقْدِهِمَـا لِلدِّيـن يُبْكِينِـي

مَـا سَـدَّ حَـيٌّ ولا مَيْـتٌ مَسَـدَّهُمَا إلا الخلائـفُ مِـنْ بَعْـدِ النَّبِيِّـين[4]

فقال له : ما صنعتَ شيئًا ، إنما زِدْتَ في حُزْني ، فقال:

لَئِـنْ جَـزِعَ الحَجَّـاجُ مَـا مِـنْ مُصِيبَـةٍ تكـونُ لِمَحْـزُون أَجَـلَّ وأَوْجَعَـا

مِنَ المُصْطَفَى والمُصَطَفَى من خيارهم خِيـارِهِمْ جَنَاحَيْـهِ لَمَّـا فارقـاهُ فَوَدَّعَـا

أَخٌ كـان أَغْنَـى أَيْمَـنَ الأرض كُلَّـهُ وأَغْنَى ابْنُـهُ أَهـلَ العراقَيْـن أَجْمَعَـا

جَنَاحَـا عُقَـابٍ فارقَـاهُ كِلاهُمَـا ولـو نُزِعَا مـن غـيره لَتَضَعْضَعَـا[5]

فقال : الآنَ .

أَمّا قوله :

إلا الخلائفَ من بعد النبيين

فخفض هذه النون ، وهي نونُ الجمع ، وإنما فعل ذلك لأنه جعل الإعراب فيها لا فيما قبلها ، وجعل هذا الجمع كسائر الجمع ، نحو " أَفْلُسٍ ، ومَسَاجدَ ، وكـلاب " فـإنَّ إعراب هذا كإعرابِ الواحدِ ، وإنما جازَ ذلك لأنَّ الجمع يكـون علـى أَبْنيـةٍ شَـتَّى ، وإنمـا يُلحق منه بمنهاج التثنية ماكان على حد التَّثْنِيةِ لا يُكَسَّرُ الواحـدُ عـن بنائـه،وإلاَّ فـلاَ؛ فـإنَّ

---

(١)سبق تخريجه .

(٢) ديوانه ١/ ١٦١ ، والتعازي والمراثي ٢٠٣ .

(٣) التعازى والمراثى ٢٠٣ ، وليسا فى ديوانه

(٤)البيتان فى التعازي والمراثي (٢٠٣) .

(٥)ديوانه ٣٩٧/١ ، والتعازى والمراثى ٢٠١ ، وفى بعض النسخ : فقال الفرزدق .

الجمعَ كالواحدِ لاختلاف معانيه كما تختلف معاني الواحدِ، والتثنيةُ ليستْ كذلك ؛ لأنها ضربٌ واحدٌ ، لا يكونُ اثنانِ أكثرَ من اثنين عددًا كما يكون الجمعُ أكثرَ من الجمع . فمِمَّا جاء على هذا المذهب قولُهم : هذه سنين فاعْلَمْ ، وهذه عشرينٌ فاعلم ، قال العَدْوانِيُّ [1]:

إنِّي أَبِيٌّ أَبِيٌّ ذو مُحافَظَةٍ وابنُ أَبِيٍّ أَبِيٍّ من أَبِيِّينِ

وأَنْتُمُ مَعْشَرٌ زَيْدٌ عَلَى مِائَةٍ فأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ طُرًّا فَكِيدُونِي [2]

وقال سُحَيْمُ بنُ وَثِيلٍ :

ومَاذَا يَدَّرِي الشُّعَراءُ مِنِّي وَقَدْ جاوَزْتُ رَأْسَ الأَرْبَعِينِ

أَخُو خَمْسِينَ مَجْتَمِعٌ أَشُدِّي ونَجَّذَنِي مُدَاوَرَةُ الشُّؤُونِ [3]

وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلاَ طَعَامٌ إلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴾[4] .

فإنْ قال قائلٌ : فإنَّ غِسْلينًا واحدٌ فإنَّه كلُّ ما كانَ على بناء الجمع من الواحد فإعرابُه كإعرابِ الجمع ، أَلاَ تَرَى أنَّ " عِشْرِينَ " ليس لها واحد من لفظها ، وإعرابُها كإعراب " مُسْلمينَ " واحدُهم مُسِلمٌ ، وكذلك جميعُ الإعراب وتقول : " هذه فِلَسْطونَ يا فَتى ، ورأيتُ فِلَسْطينَ يا فتى " هذا القولُ الأجْوَدُ ، وكذلك " يَبْرِينَ " وفي الرفع " يَبْرُونَ يا فتى " وكلُّ ما أَشْبَهَ هذا فهو بمنزلته ، تقولُ : " هذه قِنَّسْرُونَ ورأيت قِنَّسْرِينَ " والأجودُ في هذا البيت :

---

(١) وهو ذو الإصبع . المفضليات ق١٣/١١ / ١٢ص١٦٠ -١٦١ / وشرحها للأنبارى ٣٢٣ ، والأول من شواهد المقتضب ٣/ ٣٣٣.

(٢) البيتان من البسيط فى ديوانه صـ٩٥،وانظر لسان العرب (١٩٨/٣) (زيد) ،(٥٧٤/٤) (عشر)، (٥/١٤) (أبى) ، والتنبيه والإيضاح (٢٥/٢) ،وتاج العروس (١٥٥/٨) (زيد) ، (٤٦٤/٢٠) (جمع)، وأساس البلاغة (زيد) ،وكتاب الجيم (٥٩/٢) ، وسر صناعة الإعراب (٦٢٨/٢)، وشرح المفصل (١٣/٥) ، والأول بلا نسبة فى مجالس ثعلب (٢١٣/١) ، والمقتضب (٣٣٣/٣) .

والثانى بلا نسبة فى جمهرة اللغة صـ٦٤٣، ومقاييس اللغة (٤٠/٣) ،وديوان الأدب (٣٢٣/٣).

(٣) البيتان من الوافر ، فى لسان العرب (٥١٣/٣) (نجذ)، (٢٩٧/٤) (دور) ،(٢٥٥/١٤) (درى)، والتنبيه والإيضاح (٧٢/٢) ، وتاج العروس (٣٣٥/١١)(دور)، والمخصص (١٧_ ١٠٣)، وأساس البلاغة(دور)،وبلا نسبة فى لسان العرب (٩٩/٨) (ربع) ، وجمهرة اللغة صـ٤٥٥، وأساس البلاغة (نجذ) .

(٤) سورة الحاقة : ٣٦ .

وشَــــاهِدُنَا الجُــــلُّ واليَاسِـــمُو   نَ والمُسْـــمِعَاتُ بقُصَّابِهَـــا[1]

وفي القرآن ما يُصَدِّق ذلك قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **كَلاَّ إنَّ كِتابَ الأبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۞ وما أدْرَاكَ مَا عِلِّيُونَ** ﴾[2] فمن قال : " هذه قِنَّسْرُونَ ويَبْرونَ " فَنَسَبَ إلى واحدةٍ منهما رجلاً أو شيئًا قال : " هذا رجلٌ قِنَّسْريٌّ ويَبْرِيٌّ " بحذف النون والواو ، لمجيءِ حَرْفَيِ النَّسَبِ ، ولو أثْبَتَهُمَا لكان في الاسم رَفْعَان ونَصبانِ وجَرَّان ؛ لأنَّ الياء مرفوعة ، والواو علامة الرفع ؛ ومن قال :" هذه قنسرين كما ترى قال في النَّسَب : " قِنَّسْرِينِيٌّ " لأنَّ الإعراب في حرف النَّسَب ، وانكسرتِ النونُ كما ينكسر كلُّ ما لَحِقَهُ النَّسبُ .

وأما قوله : ونجَّذَني مُدَاورَةُ الشُّؤون

فمعناه : فَهَّمنِي وعَرَّفَنِي كما يقال : حَنَّكَتْهُ التَّجَارِبُ . و " الناجذُ " آخِرُ الأضراس ، من ذلك قولهم : ضحك حتى بدتْ نَوَاجِذُه . " والشُّؤونُ " جمعُ " شَأْنٍ " مهموزٌ ، وهو الأمْرُ .

وقال المفسِّرونَ من أهل الفقه وأهل اللغة في قول الله تبارك وتعالى:﴿ **غِسْلِين** ﴾[3]: هو غُسَالة أهلِ النار ، وقال النحويُّون : هو " فِعْلينٌ " من الغُسَالة .

ويُرْوَى أنَّ عُمَرَ بن عبد العزيز خرج يومًا فقال : الوليدُ بالشام ، والحجاج بالعراق ، وقُرَّةُ بن شريك بمصر ، وعثمانُ بن حيان بالحجاز ومحمدُ بن يوسفَ باليمن ؟ـ امتلأتِ الأرضُ والله جَوْرًا !

وكتب الحجاجُ إلى الوليد بن عبد الملك بعدَ وفاةِ محمد بن يوسف : أُخْبِرُ أمير المؤمنين ـ أكْرَمَه الله ـ أنه أُصِيبَ لمحمدِ بن يوسفَ خمسونَ ومائةُ ألف دينار ، فإن يَكُنْ أصابها مِن حِلِّها فرَحِمَهُ الله ، وإن تَكُنْ من خيانة فلا رحمه الله !! فكَتَبَ إليه الوليدُ : أما بعدُ ، فقد قَرَأ أميرُ المؤمنين كتابَكَ فيما خلَّف محمَّدُ بن يوسف ، وإنما أصاب ذلك المالَ من تجارةٍ أحْلَلْنَاهَا له ، فَتَرَحَّمْ عليه ، رحِمَهُ الله !

---

(١) البيت من المتقارب وهو للأعشى في ديوانه صـ ٢٢٣، ولسان العرب (٦٧٥/١،٦٧٦)(قصب) ، (١٢١/١١) (جل) ، والمخصص (١٣/١٣) ،ومقاييس اللغة (٩٥/٥) ، وتاج العروس (٤٤/٤) (قصب) ،(جلل) .

(٢) سورة المطففين : ١٨ ـ ١٩ .

(٣) هذا ما أورده المبرد من الآية كما فى بعض النسخ. وفى بقية النسخ .(ليس لهم طعام إلا من غسلين) والصواب :﴿ **ولا طعام إلا من غسلين** ﴾ [سورة الحاقة ٣٦].

ويُرْوَى أنَّ يزيد بن معاوية قال لمعاوية في يوم بُويعَ له على عَهْدِهِ ، فجعل الناس يمدحونه ويُقَرِّظونَهُ : يا أمير المؤمنين ! وا للهِ ما نَدْري أَنَخْدَعُ الناسَ أم يَخْدَعُونَنا ؟ ! فقال له معاويةُ :كلُّ مَنْ أردتَ خديعتَه فتخادَع لك حَتّى تبلغ منه حاجتَكَ فقد خَدَعْتَهُ !

ويُرْوَى أنَّ الحجاج كتبَ إلى عبد الملك بن مروان : بلغني أن أمير المؤمنين عَطَسَ عَطْسَةً فَشَمَّتَهُ قومٌ فقال : يَغْفِرُ ا لله لنا ولكم ، فَيَالَيْتَنِي كنتُ معهم فأَفُوزَ فَوزًا عظيمًا !!.

وزعم الأصمعي قال : خرج الوليدُ يومًا على الناس ، وهو مُشْعَانُّ الرَّأْسِ ، فقال : مات الحجاج بن يوسف ، وقُرَّةُ بن شريك ، وجعل يتفجَّعُ عليهما .

قوله : مشعَانُّ الرأسِ " يعني مُتَنَفِّشَ الشَّعَرِ مُتَفَرِّقَه. ومثلُ هذا لا يكون في شعرٍ ، لأن في هذا التقاءَ ساكنَيْنِ ، ولا يقعُ مثلُ هذا في وزن الشِّعر ، إلا فيما تقدم ذِكْرُهُ في المُتَقارِبِ ، وليس ذا على ذلك الوزنِ .

* * *

وَحُدِّثْتُ أَنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيز رحمه ا لله وجَّهَ عبدَ ا لله بنَ عبدِ الأعْلَى ومعه رجلٌ من عَنْسٍ إلى أَلْيُونَ ، فقال العَنْسِيُّ : فَخَلاَ بي عُمَرُ دونَه ، وقال لي : احفظ كلَّ ما يكونُ منه ، فلما صِرْنا إليه صِرْنَا إلى رجلٍ عَرَبيِّ اللسان إنما نَشَأَ بمَرْعَشَ [1]، فَذَهبَ عبدُ ا لله ليتكَلَّمَ ، فقلتُ : على رِسْلِكَ ، فَحَمِدْتُ ا للهَ وصليتُ على نَبِيِّه ، ثم قلتُ : إنِّي وُجِّهْتُ بالذي وُجِّهَ به هذا ، وإنَّ أمير المؤمنين يدعوك إلى الإسلام ، فإنْ تَقْبَلْهُ تُصِبْ رُشْدَكَ ، وإني لأَحْسِبُ أنَّ الكتابَ قد سَبَقَ عليك بالشَّقاء ، إلاَّ أنْ يشاء ا لله غيرَ ذلك ، فإن قَبِلْت وإلا فاكتبْ جوابَ كِتابنا ، قال : ثم تكلَّمَ عبدُ ا لله ، فحمد ا لله وصلَّى على نبيه ، وذهب في القول ، وكانَ مُفَوَّهًا ، فقال له : أَلْيُونُ : يا عبدَ ا لله ! ما تقول في المسيح ؟ فقال : رُوحُ ا للهِ وكَلِمَتُهُ ، فقال : أيكونُ ولَدٌ من غَيْرِ فَحْلٍ ! فقال عبدُ ا لله : في هذا نَظَرٌ ! فقال : أيُّ نَظَر في هذا ؟ إمَّا نَعَمْ وإمّا لاَ ! فقال عبدُ ا لله : آدمُ خَلَقَهُ ا للهُ من ترابٍ ، فقال : إنَّ هذا أُخْرِجَ مِن رَحِمٍ ، قال : في هذا نظر ! قال له أَلْيُونُ بالرُّومِيَّة : إنِّي أَعْلَمُ أنك لَسْتَ على ديني ولا على دينِ الذي أرسلك - قال : وأنا أفهمُ بالرُّومية - ثمَّ قال : أَتعظمون يومًا غيرَ يومِ الجمعة ؟ فقال : نعم ، فقال : وما ذلك اليومُ أَمِنْ أَعْيَادِكُم هو ؟ فقال : لا ، قال:فلم تُعَظِّمُونَه ؟ قال : عيدٌ لقومٍ كانوا صالحين قبلَ أن يَصِيرَ إليكم،

(١)مرعش : جزيرة بالشام . كذا في بعض النسخ .

قال : فقال له أُلْيُونُ : قد علمتُ أنَّكَ لستَ على ديني ولا دين الـذي أرسـلك ؛ بالرومية فقال له عبدُ الله : أَتَدْري ما يقولُ أهلُ السَّفَه ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون : قـال إبليسُ : أُمِرْتُ أَلاَّ أَسْجُدَ إلاَّ لله ، ثم قيلَ لي اسْجُد لآدم ! قال: فقال له بالرومية : الأمْـرُ فيك أَبْيَنُ من ذلك ، قال:ثـمَّ كَتَـبَ جـوابَ كُتُبنـا . قـال:فَرَجَعْنـا إلى عمـرَ بهـا ، قـال : فَخَبَّرْنَاه بما أَرَدْنا ثم نهضنا ، فَرَدَّني إليه من باب الدار فخلاَ بي ، فأخبرتُه فقال:لَعَنَهُ الله ! لقد كانت نفسي تأباه ، و لم أَحْسِبْهُ يَجْترِئ على مِثل هذا ، قال:فلما خرجتُ قال لي عبد الله : ما الذي قال لكَ ؟ قال : قلتُ : قال لي : أَتَطْمَعُ فيه ؟ قلت : لا .

* * *

ولَمَّا وَجَّهَ عبدُ الملك الشَعْبِيَّ إلى صاحب الرُّوم فكلَّمه قال له صـاحبُ الـرُّوم بعد انقضاء ما بينهما : أَمِنْ أَهلِ بيـت المَمْلَكـة أنـت ؟ قـال : قلـتُ : لا ، ولكنِّـي رجـلٌ مـن العرب ، قال : فكتب معي رُقْعةً ، وقال : إذا أَدَّيْتَ جوابَ ما جئتَ له فأَدِّ هذه الرُّقعة إلى صاحبك . قال : فلمَّا رَجَعْتُ إلى عبد الملك فأعطيتُه جـوابَ كِتابـه وخَبَّرتُـه بمـا دَارَ بيننـا نَهَضْتُ ، ثم ذَكَرْتُ الرقعةَ ، فرجعتُ فدفعتها إليه ، فلمَّا وَلَّيْتُ دعانِي ، فقال لي: أَتَـدْري ما في هذه الرقعةِ ؟ قلتُ : لا ، قـال : فيهـا : العَجَـبُ لِقَـوْمٍ فيهـم مثـلُ هـذا كيـفَ وَلَّـوْا أُمورَهم غيرَهُ ؟ قال : فلما وَلَّيْتُ دعاني ، فقال لي: أَفتَدْري مَا أرادَ بهذا ؟ قلتُ:لا، قـال: حَسَدَنِي عليكَ ، فأرادَ أن أَقْتُلك ، قال : فقلتُ : إنما كَثُرْتُ عندَه ـ يا أميرَ المؤمنين ـ لأنـه لم يَرَكَ ، قال فرجَعَ الكلام إلى مَلِكِ الروم ، فقال : لِلّهِ أَبُوه ! ما عَدَا مَا في نَفْسِي!

* * *

وحُدِّثْتُ أنَّ معاويةَ كان إذا أتاه عن بَطْرِيقٍ من بَطارِقة الرُّوم كَيْدٌ للإسلام احتالَ له ، فأَهْدَى إليه وكاتَبَه ، حتى يُغْرِيَ به مَلِكَ الروم ، فكانت رُسُلُهُ تأتيه فتُخبِرُهُ بأنَّ هناك بطَرِيقًا يُؤْذِي الرُّسُلَ ، ويَطْعُنُ[1] عليهـم ، ويسـيءُ عِشْـرَتَهُمْ ، فقـال معاويـةُ : أيُّ مَـا في عَمَلِ الإسلامِ أَحَبُّ إليه ؟ فقيل له : الخِفافِ الحُمْرُ ودُهْـنُ البَـان ، فأَلْطَفَـهُ بهمـا ، حتـى عَرَفَتْ رسُلُه باعتيادِهِ ، ثم كَتَبَ إليه ، كأنه جوابُ كتابـهِ منه ، يُعْلِمُـهُ فيـه أنه وَثِق بما وَعَدَهُ به من نَصْـرِه وخِـذْلان مَلِـكِ الـرومِ ، وأَمَـرَ الرَّسـولَ بـأن يَتَعـرَّضَ لأنْ يُظْهَـرَ علـى

---

(١)يقال (يطعن) بضم العين وفتحها .

الكتابِ ، فلمَّا ذَهَبتْ رُسُلُه في أوقاتها ثم رَجعَتْ إليـه قـال : مـا حَـدَثَ هنـاك ؟ قـالوا : فلانٌ البَطْرِيقُ رأيناهُ مقتولاً مصلوبًا ، فقال : وأَنَا أبو عبد الرحمن [1]!!

* * *

وَحُدِّثْتُ أن ملك الروم في ذلك الأوان وجّه إلى معاوية : إنَّ المُلُوكَ قَبْلَـك كـانتْ تُرَاسِلُ الملوكَ منَّا،ويَجْهَدُ بعضُهم في أنْ يُغْرِبَ على بعض، أفَتَأْذَنُ في ذلـك؟ فـأذِنَ لـه [2]. فوجَّهَ إليه برجلين : أحدُهمـا طويـلٌ جَسِيمٌ ، والآخـرُ أَيِّدٌ . فقـال معاويـةُ لعَمْـرو : أَمَّـا الطويلُ فقد أَصَبْنا كُفْأَهُ ، وهو قَيْسُ بنُ سعدِ بن عُبادَةَ ، وأمّا الآخرُ الأيِّدُ فقد احتَجْنـا إلى رأيكَ فيه . فقال : ههنا رجلان ، كلاهُما إليك بَغيضٌ : مُحمَّدُ بنُ الحَنَفيَّةِ ، وعبدُ ا لله بنُ الزُّبَيْرِ . فقال معاويةُ : مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إلينَا على حالٍ . فلما دخلَ الرجلان وَجَّـهَ إلى قيـسِ بن سعدِ بنِ عُبادَةَ يُعْلِمُهُ ؛ فدخل قيسٌ ، فلما مَثَلَ بين يَدَيْ معاوية نَزَعَ سَراوِيلَهُ فرمى بها إلى العِلْجِ ، فلبسها فنالتْ ثَنْدُوَتَهُ، فأَطْرَقَ مغلوبًا . فَحُدِّثْتُ أنَّ قَيْسًا ليمَ في ذلك فقيلَ له : لِمَ تَبَذَّلْتَ هذا التَّبَذُّلَ بِحَضْرَةَ معاويَةَ ، هلاَّ وَجَّهْتَ إلى غيرها ؟ فقال :

أَرَدْتُ لِكَيمَـا يَعْلَـمَ النـاسُ أَنَّهـا ... سَـراوِيلُ قَيْـسٍ والوفُـودُ شُـهودُ
وأَلاَّ يَقُولُـوا غَـابَ قَيْـسٌ وهـذه ... سَـراويلُ عـادِيٍّ نَمَتْـهُ ثَمـودُ
وإنِّـي مِـنَ القـومِ اليَمـانِينَ سَـيِّدٌ ... ومـا النَّـاسُ إلاَّ سَـيِّدٌ ومَسُـودُ
وبَـذَّ جَمِيعَ الخَلْـقِ أَصْلـي ومَنْصِبِي ... وجسْـم بِـهِ أَعْلُـو الرِّجـالَ مَدِيـدُ[3]

وكان قيـسٌ سِناطًا [4]، فكـانت الأنصـارُ تقـول : لَوَدِدْنـا أنَّـا اشْـتَرَيْنا لـه لِحْيَـةً بأَنْصَافِ أَمْوالِنا . وسنَذْكُرُ خبره بعد انقضاء الخبر إن شاء ا لله تعالى . ثـم وَجَّـهَ إلى محمـدِ ابن الحنفيَّةِ ، فدخل ، فخُبِرَ بما دُعِيَ له ، فقال : قولوا له : إنْ شاء فَلْيجَلْسَ ولَيُعطـني يَـدَهُ

---

(١) قوله :"وأنا عبد الرحمن " أى على سبيل الافتخار أنه دبر فنجح تدبيره .

(٢) قال أبو عمر بن عبد البر :" لا تصح هذه الحكاية بوجه ." انظر رغبة الآمل ٤٠/٥، وانظر الخبر والأبيات فى سير أعلام النبلاء ١١٢/٣

(٣)الأبيات من الطويل ، وهي لقيس بن سعد بن عبادة في خزانة الأدب ٥١٤/٨، ولسان العرب ٣٣٤/١١ (سرل) ، ورصف المباني ص٢١٥ .

(٤)السناط والسنوط :أن يكون فى الذقن شيء من الشعر ، ولا يكون فى العارضين شيء ، فإن لم يكن فيهما جميعا فهو الثطّ.

حتّى أُقِيمَهُ ، أو يُقْعِدَني ، وإنْ شاءَ فليكُن القائمَ وأنا القاعِدُ ! فاختـارَ الرومـيُّ الجلـوسَ ، فأقامه محمدٌ ، وعَجزَ هو عن إقْعَادِهِ،ثمَّ اختَارَ أنْ يكونَ محمدٌ هو القاعدَ ، فَجَذَبَهُ فأَقْعَدَه ، وعجزَ الروميُّ عن إقامَتِهِ ، فانْصرَفَا مغلوبين .

* * *

وحدثني أحدُ الهاشمِيِّين أنَّ مَلِكَ الرُّومِ وجَّهَ إلى معاوية بقارورةٍ ، فقـال: ابْعَـثْ إليَّ فيها من كلِّ شيءٍ ، فبعثَ إلى ابن عباسٍ ، فقال : لِتُمْلأ له مَاءً ، فلما وُرِدَ بها على ملـك الروم قال : لِلّهِ أبوه ، ما أدْهاهُ ! فقيلَ لابن عباسٍ : كيفَ اخْتَرْتَ ذلـك ؟ فقـال : لقـولِ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كلَّ شَيْءٍ حَيٍّ** ﴾[1] .

وقيلَ لرجلٍ من بني هاشمٍ ، وهو جَعْفَرُ بنُ محمدِ بن عليٍّ بـنِ الحُسَيْنِ ، وكـان يُقَدَّمُ في مَعْرِفَتِهِ : ما طَعْمُ الماء ؟ فقال : طَعْمُ الحَيَاة .

* * *

وأمَّا عبدُ الله بنُ الزُّبَيْرِ فَيَذْكُرُ أَهْلُهُ أنّه قال : عَـالَجْتُ لِحيْـتي لِتتصِـلَ لي ، إلى أنْ بلغتُ سِتّين سنةً ، فلمَّا أكْمَلْتُهَا يَئِستُ منها .

* * *

وكان قيسُ بنُ سعدٍ شجاعًا جَوادًا سيِّدًا ، وجاءَته عجوزٌ قد كانتْ تَأْلَفُهُ ، فقـال لها : كيفَ حالُكِ ؟ فقالت : ما فِي بيتِي جُرَذٌ [2]، فقال : ما أَحْسَنَ ما سَأَلْتِ ! أَمَـا والله لأُكْثِرَنَّ جُرْذَانَ بَيْتِكِ .

وكان سعدُ بنُ عبادة حيث تَوَجَّهَ إلى حَوْرَانَ قَسَمَ مالَه بين وَلَده ، وكان لهُ حَمْلٌ لم يشعُرْ به ، فلما وُلِدَ له ، قال له عُمَرُ بنُ الخطَّابِ ـ يعني قَيْسًا ـ : لأَنْقُضَنَّ ما فعـلَ سـعدٌ ، فجاءه قيسٌ ، فقال يا أميرَ المؤمنين ! نصيبي لهذا المولودِ ، ولا تَنْقُضْ ما فَعَلَ سعدٌ .

قال أبو العباس : حُدِّثْتُ بهذا الحديث مِنْ حيثُ أثـقُ بـه : أنَّ أبـا بكـرٍ وعمـر ـ رحمهما الله ـ مَشَيَا إلى قيس بن سعدٍ يَسْأَلانِهِ في أمرِ هذا المولـود ، فقـال : نصيبي لـه ولا

---

(١) سورة الأنبياء : ٣٠

(٢)قولها ذلك من الكنايات اللطيفة ، فهو كناية عن عـدم الخبز والطعام فى بيتهـا فلذلـك لا تألفـه الجرذان .

أُغَيِّرُ ما فعل سعدٌ .

وكان معاويةُ كتب إلى قيس بن سعدٍ ، وهو وَالِي مصرَ لِعَليّ بن أبي طالبٍ رحمه الله : أمّا بعد ، فإنّكَ يَهُودِيٌّ بنُ يَهودي ، إن غَلَبَ أَحَبُّ الفريقين إليك عَزَلَكَ واسْتَبْدَلَ بك ، وإن غَلَبَ أبغضُهما إليك قَتَلَك ، وَمَثَّلَ بك، وقد كان أَبُوك فَوَّقَ سَهْمَه، ورمَى غَرَضَهُ ، فأكْثَرَ الحَزَّ ، وأَخْطَأَ المَفْصِلَ ، حتّى خَذَلَهُ قَوْمُهُ ، وأَدْرَكَهُ يومُهُ ، فمات غريبًا بحَوْران ، والسلام . فكتب إليه قيسٌ :أمّا بعدُ ، فإنك وَثَنُ بنُ وَثَنٍ ، لم يَقْدُمْ إيمانُك، ولم يَحْدُثْ نِفَاقُكَ ، دَخَلْتَ في الدين كُرْهًا ، وخرجتَ منه طوعًا ، وقد كان أبي فوَّقَ سهمَهُ ، ورَمَى غَرَضَهُ ، فَسَعَيْتَ عليه أنتَ وأبوكَ ونُظَرَاؤُكَ ، فلم تَشُقُّوا غُبَارَهُ ، ولم تُدْرِكُوا شَأْوَه ، ونحن أنصارُ الدِّين الذي خرجتَ منهُ ، وأعداءُ الدين الذي خرجتَ إليه ، والسلام .

وكان قيسٌ موصوفًا مع جماعةٍ قد بَذُّوا النَّاسَ طولاً وجمالاً ، منهم : العباسُ بنُ عبد المطلب رحمه الله ،ووَلَدُهُ ، وجريرُ بن عبد الله البجلي ، والأشعث بن قيس الكنديُّ، وعديُّ بن حاتمِ الطائي ، ، وابن جِذْل الطِّعانِ الكنانيُّ ، وأبو زُبَيْدٍ الطَّائِيُّ ، وزيدُ الخَيْلِ ابنُ مُهَلْهِلٍ الطائيُّ .

وكان أحدُ هؤلاء يُقَبِل المرأة على الهَوْدَجِ ، وكان يقال للرجل منهم : مُقَبِّلُ الظُّعُنِ ، وكان طلحةُ بن عبيد الله موصوفًا بالتَّمامِ .

* * *

باب

قال أبو العباس : قال السُّلَيْكُ بنُ السُّلَكَةِ - وهي أُمُّه ، وكانتْ سوداءَ حبشيَّةً ، وكان من غِرْبان العرب ، وهو السُّلَيْكَ بنُ عَمَيْر السَّعْدِيُّ - :

أَلاَ عَتَبَتْ عَلَيَّ فَصَارَمَتْني ... وأَعجَبَها ذَوُو اللِّمَم الطِّوَال

فإنّي يا بْنَةَ الأَقْوام أُرْبي ... على فِعْل الوَضِيِّ مِنَ الرِّجَال

فلا تَصِلي بصُعْلُوكٍ نَؤُوم ... إذا أَمْسَى يُعَدُّ منَ العِيَال

ولكنْ كُلُّ صُعْلُوكٍ ضَرُوبٍ ... بنَصْل السَّيْفِ هَامَاتِ الرِّجَال

أَشَابَ الرأسَ أَنِّي كُلَّ يوم ... أَرَى لِي خَالَةً وسْطَ الرِّحَال

يَشُقُّ عليَّ أنْ يَلْقَيْنَ ضَيْمًا ... ويَعْجزُ عن تَخلُّصِهِنَّ مَالِي

قوله :

وأعجبها ذَوو اللِّمَمِ الطِّوَال

يعني : الجُمَم ، وإن شئتَ قلتَ : الجِمَامَ ، يقالُ : " جُمَّة وجُمَمٌ " كقولك " ظُلْمَةٌ وظُلَمٌ " ويقال :" جمَامٌ " كقولك"جُفْرَةٌ وجفَارٌ " و " بُرْمةٌ وبرامٌ " قال الشاعرُ :

إما تَريْ لِمَّتِي أَوْدَى الزَّمانُ بها ... وشَيَّبَ الدَّهْرُ أَصْدَاغِي وأَفْوَادِي

وقوله : على فِعلِ الوَضِيِّ من الرجال

يريد : الجميلَ ، وهو " فَعِيلٌ " مِنْ " وَضُؤَ يَوْضُؤُ " يا فتى ، تقديرُهُ : كَرُم يَكْرُم وهو كريم " ومَصْدَرهُ " الوَضَاءَةُ "وكذلك " قَبُحَ يَقْبُحُ قَبَاحَةً " و " سَمُجَ يَسْمُجُ سَمَاجَةً " ؛ ويقال : ما كُنْتَ وَضيئًا ، ولقد وضُؤْتَ بعدَنا .

وقوله : " فلا تَصِلِي بصُعْلوكٍ " يقول : لاَ تَتَّصِلِي به ، كما قال ابنُ أَحْمَرَ(1):

ولا تَصِلِي بمَطْرُوق إذا مَا ... سَرَى في القوم أَصْبَحَ مُسْتَكِينا

إذا شَربَ المُرِضَّة قال أَوْكِي ... عَلَى ما فِي سِقَائِكِ قد رَوِينَا(2)

---

(1) هو عمرو بن أحمر الباهلي . شعره ق ١٩/٥٣، ٢٠ص١٦١ .

(2) البيتان من الوافر وهما في ديوانه صـ١٦١، ولسان العرب (١٥٥/٧) (رصص) ، وتاج العروس (٣٤٧/١٨) (رصص)،وبلا نسبة في المخصص (١٠٢/٣) . وانظر لسان العرب (٤٠٦/٢) (معد)،(٢١٨/١٠) (طرق) ،وتاج العروس (١٧٩/٩) (معد) ، وأساس البلاغة (رصص) ، (وكى) ، وجمهرة اللغة صـ٧٥٢، ومقاييس اللغة (٣٧٥/٢) ،(٤٨/٣) ،ومجمل اللغة (٤١/٣) .

ورواية البيت الأول : ولا تخلى بمطروق ....

الصعلوكَ : الذي لا مَالَ لَهُ ، قال الشاعرُ :

كأنَّ الفَتى لم يَعْرَ يومًا إذا اكْتَسَى ولم يَكُ صُعْلُوكًا إذا مَا تَمَوَّلاَ

وقوله : " نَؤُوم " يَصِفُه بالبَلادة والكسل ، وكانت العربُ تَمْدَحُ بِخِفَّة الرؤُوس عن النوم ، وتَذُمُّ النُّوَمَةَ ؛ كما قال عبدُ الملكِ لمؤدِّبِ وَلَدِهِ : عَلِّمْهُم العَوْمَ ، وخُذْهُم بِقِلَّةِ النَّوْم (١).

وإنما تَوَجَّعَ لخالاتِه لأنَّهُنَّ كُنَّ إماءً .

* * *

ويُرْوَى عن رجلٍ من قُريش ، لم يُسَمَّ لنا ، قال:كنتُ أُجالِسُ سعيدَ بنَ المُسَيِّبِ ، فقال لي يومًا : مَنْ أخوالُكَ ؟ فقلتُ : أُمِّي فَتَاةٌ ، فَكَأَنِّي نَقَصْتُ في عَيْنِهِ ، فأَمْهَلْتُ حتى دخلَ إليه سالمُ بنُ عبدُ الله بنِ عمرَ بنِ الخطَّابِ رحمه الله ، فلما خَرَجَ مِنْ عندِه قلتُ : يا عمِّ ، مَنْ هذا ؟ فقال : يا سُبْحَانَ الله ! أَتَجْهَلُ مثلَ هذا من قومك ؟! هذا سالمُ بنُ عبدِ الله بن عمرَ ! قلتُ : فَمَنْ أُمُّهُ ؟ قال : فتاةٌ قال : ثم أتاه القاسم بن محمد بنِ أبي بكرٍ الصِّدِّيق رحمه الله ، فجلسَ عندهَ ثم نَهَضَ ، فقلتُ:يا عَمِّ، مَنْ هذا ؟ فقال : أَتَجْهَلُ مِنْ أَهْلِكَ مِثْلَهُ ؟ ما أَعْجَبَ هذا! هذا القاسمُ بنُ محمدِ بنِ أبي بكرِ الصِّدِّيق ! قلتُ: فَمَنْ أُمُّهُ ؟ قال : فَتَاةٌ ، فأَمْهَلْتُ شيئًا حتى جاءَه عليُّ بنُ الحسينِ بن عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه ، فسلَّم عليه ثم نهضَ،فقلتُ : يا عَمِّ ، مَنْ هذا ؟ قال : هذا الذي لا يَسَعُ مُسْلِمًا أَنْ يَجْهَله ، هذا عليُّ بنُ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ! قلتُ:فمن أُمُّه ؟ قال : فتاة ، قال : قلتُ : يا عَم ، رأيتَنِي نَقَصْتُ في عينكَ لَمَّا عَلِمْتَ أَنِّي لأُمِّ وَلَدٍ ! أَفَمَالِي في هؤلاء أُسْوَةٌ ؟! قال : فَجَلَلْتُ في عَيْنِه جدًّا .

وكانتْ أُم عليِّ بن الحسينِ " سُلافَةُ " من ولد يَزْدَجَرْدَ معروفةَ النَّسَبِ ، وكانت من خِيَرَاتِ (٢) النِّسَاء .

ويُرْوَى أنه قيلَ لِعَلِيِّ بن الحسين رحمه الله : إنَّكَ مِنْ أَبَرِّ الناسِ ، ولَسْتَ تَأْكُلُ مع أُمِّكَ في صَحْفَةٍ ؟ فقال : أَكْرَهُ أَنْ تَسْبِقَ يَدِي إلى ما قد سبقتْ إليه عَيْنُها فأكون قد عَقَقْتُها .

---

(١) سبق قول عبد الملك

(٢) الخِيرات بكسر الخاء وفتح مابعدها جمع خِيرَة ، يقال : فلانة الخَيْرةُ والخِيَرَة والخُورَى والخِيرَى . اللسان : خير

وكان يقالُ له : ابْنُ الخِيَرَتَيْنِ[1] لقولِ رسول الله ﷺ : " **للهِ مِنْ عبادِه خِيَرَتَانِ ، فخِيَرَتُهُ من العربِ قُرَيْشٌ ، ومن العَجَمِ فارِسُ** " [2].

وكانت سلافة عمة أم يزيد الناقص أو أختها

وقال رجلٌ من وَلَدِ الحكَمِ بن أبي العاصي - يقال له عُبَيْدُ الله بنُ الحُرِّ ، وكان شاعرًا متقدِّمًا ، وكانَ لأُمِّ وَلَدٍ ، وهو من ولد مَرْوانَ بن الحكَم : -

فإنْ تَكُ أُمِّي مِنْ نِسَاءِ أَفَاءَهَا ... جِيَادُ القَنَا والمُرْهَفَاتِ الصَّفَائِحِ

فَتَبًّا لِفَضْلِ الحُرِّ إنْ لم أَنَلْ بِهِ ... كَرَائِمَ أَوْلادِ النِّسَاءِ الصَّرَائِحِ[3]

وإنّما أخذَ هذا من قول عنترة [4]:

وأَنَا امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِبًا ... شَطْرِي وأَحْمِي سَائِرِي بالمُنْصَلِ[5]

وأُنْشِدَ لِبلال بن جرير ، وبلغه أن مُوسىَ بن جرير كان إذا ذكره نسبه إلى أمِّهِ ، لأنَّه ابنُ أمِّ ولدٍ ، فيقولُ : قال ابنُ أمِّ حَكِيمٍ ، فقال بلالٌ :

يا رُبَّ خالٍ لِي أَغَرَّ أَبْلَجَا ... مِنْ آلِ كِسْرَى يَغْتَدى مُتَوَّجَا

ليس كَخَالٍ لَكَ يُدْعَى عَشْنَجَا[6]

والعَشْنَجُ : المُتَقَبِّضُ الوجهِ السَّيِّئُ المَنْظَرِ .

وكانَ سببُ أمِّ بلالٍ عند جريرٍ أنَّ جريرًا في أوَّل دخوله العراقَ دَخَل على

---

(١) بعده فى بعض النسخ : "بتحريك الياء أفصح ".

(٢) وعلق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله عليه فى الكامل ٤٦٣ بتحقيقه قال :" ليس على هذا الكلام طلاوة الأحاديث النبوية ، ولا نعرف هذا فى شيء من الحديث الصحيح. وقد ذكر الفتنى فى تذكرة الموضوعات حديث " خير الناس العرب ، وخير العرب قريش وخير قريش بنو هاشم وخير العجم فارس "...إلخ وقال :" فيه عنبسة : متروك متهم " وعنبسة هذا هو ابن مهران البصرى الحداد ، روى عن الزهرى ، قال أبو حاتم : منكر الحديث " اهـ. "

(٣) البيتان لابن الحر فى ذيل الأمالي والنوادر ٢١٧ ، وحكى العلامة الميمنى فى ذيل السمط ١٠٣ -١٠٤ قول المبرد " وقال رجل من ولد الحكم .. إلخ " وقال عقبه :" كذا قال . والمعروف هو عبيد ابن الحر الجعفى ، شجاع شغب بابن زياد والمختار ومصعب ، وقتل فى عهد عبد الملك فى خبر ، وله خبر مع الحسين حين خرج إلى الكوفة ".

(٤) ديوانه ق٦/٩ ص٢٤٨.

(٥) البيت من الكامل وهو له فى ديوانه (ص٢٤٨) ، ولسان العرب (٤/٤٩٢) (ضمر) ، وتاج العروس (١٢/٤٠٣) (ضمر) ،(نصل) ، وبلا نسبة فى مقاييس اللغة (٥/٤٣٣)

(٦) الرجز له فى لسان العرب (٢/٣٣١) (عنشج)، بلا نسبة فى تهذيب اللغة (٩/٤٣٤) .

الحَكَمِ بن أيّوبَ بن أبي عَقِيل الثَّقفِيِّ ، وهو ابنُ عَمِّ الحجاجِ وعامِلُهُ على البصرة ، وفي ذلك يقول جريرٌ:

أَقْبَلْنَ مِنْ ثَهْلاَنَ أَوْ وَادي خِيَمْ — عَلى قِلاَصٍ مِثْلِ خِيطَانِ السَّلَمْ
إذا قَطَعْنَ عَلَمًا بَدَا عَلَمْ — حَتَّى أَنَخْنَاهَا إلى بابِ الحكَمْ
خَلِيفةِ الحجَّاجِ غيرِ المُتَّهَمْ — في ضِئْضِئِ المَجْدِ وبُحْبُوحِ الكَرَمْ[1]

فكتبَ الحكمُ بعدَ أنْ فَاطَنَهُ[2] إلى الحجاج ، وذلك في أوّل سَبَبِه : أنّه قَدِمَ عليَّ أعرابيٌّ باقِعةٌ [3] لم أرَ مِثْلَهُ . فكَتَبَ إليه أن يَحْمِلَه معه ، فلما دخل إليه قال له : بَلَغَنِي أنك ذُو بديهةٍ ، فَقُلْ في هذه الجارية ـ لجاريةٍ قائمةٍ على رَأْسِه ـ فقال جريرٌ : مَالِي أنْ أقولَ فيها حتَّى أَتَأَمَّلَهَا ، ومَالِي أنْ أتأمَّل جارية الأمير فقال : بَلَى ، فتأمَّلْهَا واسْأَلْها ، فقال لها :ما اسْمُكِ يا جارية ؟ فأَمْسَكَتْ ، فقالت لها الحجاجُ : خَبِّرِيهِ يالَخَنَاءُ فقالت : أُمَامةُ فقال جريرٌ :

ودِّعْ أُمَامَةَ حَانَ مِنْكَ رَحِيلُ — إنَّ الوَدَاعَ لِمَنْ تُحِبُّ قَلِيلُ
مِثْلُ الكَثِيبِ تَمَايَلَتْ أَعْطَافُهُ — فالرِّيحُ تَجْبُرُ مَتْنَهُ وتَهِيلُ
هذِي القُلُوبُ صَوَادِيًا تَيَّمْتِها — وأَرَى الشِّفاء ومَا إليه سَبِيلُ[4]

فقال له الحجاجُ : قد جَعَلَ الله لَكَ السَبِيلَ إليها ، خُذْهَا فهي لك ، فضرَبَ بيده إلى يَدِها ، فَتَمَنَّعَت عليه فقال :

إنْ كَانَ طِبُّكُمُ الدَّلاَلَ فإنَّه — حَسَنٌ دَلاَلُكِ يا أُمَامَ جَمِيلُ[5]

---

(١) الرجز فى ديوانه صـ٥١٢، وخزانة الأدب (١٦٣/٥) ، ولسان العرب (١٩٤/١٢) (خيم)، ومعجم ما استعجم صـ١٠١٤، وتاج العروس(٢٧٦/١٩)(خوط) ،(خيم) ، ومجمل اللغة(٢٢٦/٢) ، وبلا نسبة فى مقاييس اللغة (٢٢٩/٢) . ستأتى الأبيات وسيأتى الثالث منفردًا .

(٢) فاطنه : أى راجعه فى الحديث .

(٣) الباقعة : الطائر الحذر ، يريد أنه داهية .

(٤) فى ديوانه صـ٣٥٤ باختلاف فى الرواية .

(٥) فى الموضوع السابق من ديوانه .

فاسْتُضْحِكَ الحجاجُ ، وأَمَرَ بتجهيزها معه إلى اليمامة، وخُبِّرتُ أَنَّها كانتْ من أهل الرَّيِّ وكان إِخْوتُها أحرارًا فاتَّبعُوه ، فأَعْطَوْه بها حتّى بَلَغُوا عشرينَ ألفًا ، فلم يَفْعَلْ، ففي ذلك يقولُ [1]:

إذا عَرَضُوا عِشْرِينَ ألفًا تَعَرَّضَتْ لأُمِّ حَكيمٍ حاجةٌ هِيَ ما هِيَا

لَقَدْ زِدْتِ أهْلَ الرَّيِّ عندِي مَوَدَّةً وحَبَّبْتِ أضعافًا إليَّ المَوالِيَا [2]

فأولدَها حَكيمًا وبلالاً وحَزْرَةَ ، بَني جَريرٍ ، هؤلاء مَنْ أَذْكُرُ مِنْ وَلَدِهَا .

ويقال : إنَّ الحِمَّانِيَّ [3] قاوَلَ بلالاً ذاتَ يوم ، فيما كان بينهما من الشرِّ فقال : يا بنَ أُمِّ حَكِيمٍ ! فقال له بلالٌ : ما تَذْكُرُ من ابْنَةِ دِهْقان ، وأخِيذَةِ رِمَاحٍ ، وعَطِيَّةِ مَلِكٍ ؟ ليستْ كأُمِّكَ التي بالمَرُّوتِ [4] ، تَغْدو على أَثْرِ ضَأْنِهَا ، كأنما عَقِبَاهَا حَافِرَا حِمَارٍ ! فقال له الحِمَّانيُّ : أنا أَعْلَمُ بأُمِّكَ ، إنما عَتَبَ عليها الحجّاجُ في أمرٍ ، الله أعلمُ به ، فحلفَ أن يَدْفعها إلى ألأم العربِ ، فلما رَأى أباكَ لم يَشْكُكْ فيه !!

قال : وأُنْشِدْتُ لرجلٍ من رُجّازِ بني سَعْد :

أَنَا ابنُ سَعْدٍ وتَوَسَّطْتُ العَجَمْ فأنَا فِيما شِئْتَ من خالٍ وعَمْ

وقال عمرُ بنُ الخطابِ رحمه الله : ليس قومٌ أَكْيَسَ من أولادِ السَّرَارِيِّ ، لأنهم يَجْمَعُونَ عِزَّ العَرَبِ ودَهاءَ العَجَمِ .

وكتبَ أميرُ المؤمنين المنصور إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليِّ بن أبي طالب - رحمهم الله - لَمَّا كتب إليه محمد : " واْعلمْ أنِّي لستُ من أولادِ الطُّلَقاء ، ولا أولادِ اللُّعَناء ، ولا أعْرَقَتْ فِيَّ الإِمَاءُ ، ولا حَضَنَتْنِي أُمَّهَاتُ الأولادِ ، ولقد عَلِمْتَ أنَّ هاشمًا وَلَدَ عليًّا مرّتين ، وأنَّ عبدَ المُطَّلب وَلَد الحسنَ مرَّتين ، وأنَّ رسول الله ﷺ وَلَدَني مرّتين من قِبَلِ جَدَّيَّ الحسنِ والحسين " . يعني أنَّ أمَّ عَليٍّ فاطمةُ بنتُ أسدِ بن هاشم، وأمَّ الحسن فاطمةُ بنتُ رسول الله ﷺ ابن عبدِ الله بن عبدِ المُطَّلِب بن هاشمٍ ، وأن أُمَّهُ فاطمةُ بنتُ

---

(١) ديوانه ق ١٥٩ وحدهما ج٢/٥٦٥ . وفى الرواية اختلاف .

(٢) البيتان فى ديوان جرير صـ ٤٥٦ وروايتهما :

إذا أعرضوا ألفين منها تعرضت لأم حكيم حاجة في مؤاديا

لقد زدت أهل الري عندي ملاحة وحببت أضعافا إلي المواليا

(٣) اسمه أبو نخيلة . عن رغبة الآمل ٥/٥٤

(٤) وادٍ بالعالية كانت به وقعة بين تميم وقشير ، وقيل إنهم انظر معجم البلدان ٥/١١١ ، ورغبة الآمل ٥/٥٤

الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب بن عبد المُطَّلِب بن هاشم . فكتب إليه المنصور : " أمَّا ما ذكرتَ من ولادةِ هاشم عليًّا مرتين ، وولادةِ عبدِ المطّلب الحسنَ مرتين ، فخيرُ الأوَّلِينَ والآخرينَ رسولُ الله ﷺ لم يَلِدْهُ هاشمٌ إلاَّ مرةً واحدةً، ولا عبدُ المطلب إلا مرةً واحدة ، وله السَّبْقُ إلى كلِّ خير ، ولقد علمتَ أنه بُعِثَ رسولُ الله ﷺ وعُمومَتُهُ أرْبعةٌ ، فآمَنَ به اثنان ، أحَدُهُما أبي ، وكفر به اثنان أحَدُهما أبوك ، وَأمَّا ما ذكرتَ أنَّه لم تُعْرقْ فيكَ الإماءُ فقد فَخَرْتَ على بني هاشم طُرًّا ، أوّلُهم إبراهيمُ ابنُ رسول الله ﷺ ، ثم عليُّ بنُ الحَسين الذي لم يُولَدْ فيكم بعدَ وفاةِ رسول الله ﷺ مولودٌ مثلُهُ " .

وهذه رسالة للمنصور طَريفةٌ مُستحسَنةٌ جداً ، سَنُمْلِيهَا في موضعها من هذا الكتاب ، إن شاء الله .

* * *

وأنشدني الرِّياشيُّ:

إنَّ أولادَ السَّـــراري كَـــثُرُوا يـــا رَبِّ فِينَـــا
رَبِّ أدْخِلْنِـــي بـــلادًا لا أرَى فيهـــا هَجِينَـــا[1]

و " الهَجينُ " عند العرب : الذي أبوه شريفٌ وأُمُّه وضيعةٌ ، والأصلُ في ذلك أن تكونَ أَمَةً ، وإنما قيل :" هجينٌ " من أجْلِ البَيَاض ، وكأنَّهم قَصَدُوا قَصْدَ الرُّوم والصَّقَالِبَةِ ومَنْ أشْبَهَهُم ، والدليلُ على أنَّ الهَجينَ الأبيضُ أنَّ العرب تقولُ : ما يَخْفَى ذلك على الأسودِ والأحمرِ ، أي العَرَبيِّ والعَجَمِيِّ ، ويُسَمُّونَ الموالِيَ وسائرَ العجمِ : " الحَمْراءَ " وقد ذكرنا ذلك ، ولذلك قال زيدُ الخَيْلِ :

. . . . وأيْقَـنَ أنَّنَـا صُهْـبُ السِّبَالِ

أي كهؤلاء العَدُوِّ من العجمِ . وقال ابنُ الرُّقَيَّاتِ[2] :

أنْ تَرَيْنِـي تَغَـيَّرَ اللَّـونُ مِنِّـي وعَـلاَ الشَّـيْبُ مَفْرِقِـي وقَذَالِـي
فَظِـلاَلُ السُّيوفِ شَـيَّبْنَ رأْسـي وطِعَانِي في الحرب صُهْـبَ السِّبَالِ[3]

فقيل " هجينٌ " من ههنا .

---

(١) الفاضل ١٠٦ ، وانظر شرح أبيات مغني اللبيب ٢/ ٢٢١.

(٢) ديوانه ق ٤٦/٨ ، ٩ ص١١٣ .

(٣) البيتين من الخفيف فى ديوانه صـ١١٣، ولسان العرب (٥٣٢/١) (صهب) ، وتاج العروس (٢٢٠/٣) (صهب) ، وبلا نسبة فى لسان العرب (٣٢٢/١١) (سبل) ، وتهذيب اللغة (٤٣٨/١٢) والمخصص (١٣/ ١٣٢) ، وأساس البلاغة (صهب) ، وتاج العروس (سبل) .

وإذا كانت الأمُّ كَرِيمةً والأبُ خَسِيسًا قيلَ له :" المُذَرَّعُ " ، قال الفرزدق[1] :

إذا بَـــاهِلِيٌّ تَحْتَـــهُ حَنْظَلِيَّـــةٌ لَـهُ وَلَـدٌ منهـا فَـذَاكَ المُــذَرَّعُ[2]

وقال الآخرُ : [3]

إنَّ المُــذَرَّعَ لا تُغْنِـــي خُؤُولَتُـــهُ كَالبَغْلِ يَعْجِزُ عن شَـوطِ المَحَاضِـيرِ[4]

وإنما سُمِّيَ " مُذَرَّعا " لـلرَّقْمَتَيْنِ [5]في ذِراعِ البغـلِ ، وإنمـا صارتـا فيـه مـن ناحيـة الحمارِ ؛ قال هُدْبَةُ :

وَرِثَـتْ رَقَـاش اللُّـؤْمَ عــن آبائِهَـا كتـوَارُثِ الحُمُـراتِ رَقْــمَ الأذْرُعِ

وقال عبدُ الله بنُ العباسِ في كلام يُجيبُ به ابن الزُّبير:وا لله إنَّه لَمصْلُـوبُ قُريشٍ ، ومتى كان عَوَّامُ بنُ عَوَّامٍ يَطْمَعُ في صَفيَّةَ بنتِ عبد المطَّلب ؟ إنَّما أنْتَ كمـا قيـل للبغـل : مَنْ أبُوكَ يا بَغْلُ ؟ فقال : خالِي الفَرَس ؟! .

---

(١) ديوانه ١/٤١٦.

(٢)البيت من الطويل وهو فى ديوانـه (٤١٦/١) ، والـدرر (١٠٣/٣) ،وشـرح التصريـح (٤٠/٢) ، وشـرح شـواهد المغنـى صــ٢٧٠ ، والمقـاصد النحويـة(١٤٤/٣) ، وبـلا نسـبة فـى أوضـح المســالك (١٢٧/٣)، والجنى الدانى صـ ٣٦٨، وشرح الأشمونى (٣١٦/٢) ، ولسان العرب (٩٣/٨) (ذرع) ، ومغنى اللبيب صـ ٩٧ ، وهمع الهوامع (٢٠٧/١) .

(٣) وهو عرهم بن قيس العدوى الأسدى كما فى كتاب البغال -رسائل الجاحظ ٣٥٨/٢

(٤)البيت من البسيط ، وهو لابن قيس العدوى (عرهم) فى لسان العرب (٩٣/٨) (ذرع) ، ولعرهم ابن قيس الأسدى فى ك البغال صـ١١٥ .

(٥) الرقمتان:واحدتهما (رقمة) ، وهما أثران بباطن الزراعين لاينبتان الشعر . رغبة الآمل ٥/ ٥٨ .

باب

قال أبو العباس : قال أعرابيٌّ :

كُـــلُّ أمْــرِئ ذِي لِحْيَــةٍ عَثْوَلِيَّــةٍ ... يَقُـومُ عليهـا ظَـنَّ أنَّ لَـهُ فَضْــلاَ

ومَا الفَضْلُ في طُولِ السِّـبالِ وعرضها ... إذَا ا للهُ لم يَجْعَـلْ لِصَاحِبَهـا عَقْــلاَ

" عَثْوَلِيَّة " يقول:كَثيرةٌ ، والمُسْتَعْمَلُ يقالُ: رجلٌ " عِثْوَلٌّ " إذا كانَ كثيرَ الشَّعَر ، وأصلُ ذلك في الرأس واللّحية ، وبناهُ الأعرابيُّ بناء " جَدْوَلٍ " كأنه " عَثْـوَلٌ " ثـم نَسَـبَ إليه . و " السَّبَلَةٌ " مُقَدَّمُ اللّحية ، يقال لِمَا أسْبَلَ من الشاربين " سَبَلَتَانِ " وتقول العربُ : أخَذَ فلانٌ شَفْرةً فَلتَم بها سَبَلَةَ بعيره ، أي نَحَرَهُ ، واللّتْمُ : الشَّـقُّ ، فهـذا مـا أسْبَلَ مـن جِرانِه (١).

وقال بعض المُحْدَثين :

ومــا حُسْــنُ الرِّجَـال لهـم بفَخــرٍ ... إذا مــا أخْطَـأ الحُسْــنَ البَيَـــانُ

كَفَـــى بـــالمَرْءِ عَيْبًـــا أنْ تَـــرَاه ... لَــهُ وجــهٌ وليــس لــه لِسَـــانُ

وقال آخر :

إنِّـي على مَـا تَـزْدَري من دَمَـامَتِي ... إذَا قِيـسَ ذَرْعِــي بالرِّجَـالِ طويـلُ

ونظر يزيد بن مزيدٍ الشَّيبانيُّ إلى رجل ذي لحيةٍ عظيمةٍ ، وقد تَلَفَّفَتْ على صـدره ، فإذا هو خَاضِبٌ، فقال : إنكَّ مِنْ لِحَيتكَ في مَؤُونةٍ ! فقال:أجلْ ولذلك أقول :

لَهـا دِرْهَـمٌ للدُّهْنِ في كـلِّ جُمْعَـةٍ ... وآخَـــرُ لِلْحِنَّـــاءِ يَبْتَــــدِرَانِ

---

(١) قال المرصفى :" يريد ما ذكر من سبلة البعير ، وأسبل استرخى ، والجـران جلـدة تضطـرب على باطن العنق من ثغرة النحر إلى منتهى العنق فى الرأس أو هو مقـدم العنـق أو باطنـه ". رغبـة الآمـل ٦٠/٥ .

وَلَوْلا نَوالٌ من يَزيدَ بنِ مَزْيدٍ لَصَوَّتَ في حافاتِها الجَلَمَانِ[1]

وقال إسحاق بن خلفٍ يصف رجلاً بالقصر وطُول اللّحية :

مـا سـرَّني أنَّني في طُول دَاوُدِ وأنَّني عَلَمٌ في البَأْسِ والجُودِ
مَاشَيْتُ دَاودَ فاسْتُضْحِكْتُ من عَجبٍ كأنّني وَالِدٌ يَمْشي بمولُودِ
مـا طُولُ دَاوُدَ إلاّ طُولُ لِحْيَتِه يَظَلُّ فيها غَيْرَ مَوْجُودِ
تُكِنُّهُ خُصْلَةٌ منها إذا نَفَخَتْ ريحُ الشِّتَاء وجفَّ الماءُ في العُودِ
كالأَنْبَجَانِيِّ مَصْقُولاً عَوَارِضُهَا سَوْداءُ في لِينِ خَدِّ الغَادَةِ الرُّودِ[2]
أجْزَى وأَغْنَى من الخَزِّ الصَّفِيقِ ومِنْ بيض القَطَائِف[3] يومَ القُرِّ والسُّودِ
إنْ هَبَّتِ الرِّيحُ أدَّتْهُ إلى عَدَنٍ إنْ كَانَ مالَفٌّ منها غَيْرَ مَعْقُودِ[4]

* * *

وفي الحديث[5] : " من سعادة المرْء خِفَّةُ عارضَيْه " . وليس هذا بناقضٍ لما جاءَ في إِعْفاء اللّحى وإحْفاءِ الشَّوارِبِ، فقد رُويَ أنهم قالوا : لا بأسَ بأخْذِ العارِضيْنِ والتَّبطِين .

---

(١)البيتان من الطويل وهما بلا نسبة فى لسان العرب (١٢_٤٩٠) (قلم) ، (١٠٢/١٢) (جلم) وروايتهما:

لها درهم الرحمن فى كل جمعة وآخر الحناء يبتدران
ولولا آياد من يزيد تتابعت لصبح فى حافاتها القلمان

(٢) الأنبجانى : كساء من الصوف له خمل ولاعلم فيه ينسب إلى منبج على غير قياس . والفادة المرأة اللينة . الرود : الحسمة الثياب . عن رغبة الآمل ٦١/٥

(٣)القطائف : جمع قطيفة وهى كساء مربع غليظ له خمل ووبر . رغبة الآمل ٦٢/٥.

(٤)الأبيات من البسيط ، وانظر تاج العروس (٢٢٧/٦) (ببج)

(٥) انظر الفائق ٤٢٢/٢ ، والنهاية ٢١٢/٣ ، ورغبة الآمل ٦٢/٥.
وقال الشيخ المرصفى:"كأن أبا العباس فهم من خفة عارضيه أن يخففهما صاحبهما ، وليس كما فهم ، وإنما معناه خفة عارضيه خلقة لا بفعل فاعل ". وقال الخطابى : وخفتهما كناية عن كثرة الذكر لله تعالى وحركتهما به . وقال ابن الأثير :وقيل أراد بخفة العارضين خفة اللحية ، وما أراه مناسباً . أورده العلامة الشوكانى فى " الفوائد المجموعة"(٥٨٢/٢) ، بلفظ :" من سعادة المرء خفة لحيته " وقال : "رواه الخطيب عن ابن عباس مرفوعًا ، ورواه ابن عدى عن أبى هريرة مرفوعاً .وزاد : إن لرأس العقل التحبب إلى الناس . وفى إسناد الأول المغيره بن سويد ، وهو مجهول ، وسكين بن أبى سراج وهو يروى الموضوعات ، ويوسف بن الغرق وهو كذاب .

وأما الإعفاء فهو التَّكْثِير ، وهو من الأضداد ، قال ا لله عزَّ وجلَّ : ﴿ حَتَّى عَفَوْا ﴾ أي : حتى كَثُرُوا ، ويقال : عَفَا وَبَرُ الناقةِ : إذا كَثُرَ ، قال الشاعرُ :

وَلَكِنَّا نُعِضُّ السَّيْفَ منها ... بِأَسْوُقِ عَافِيَاتِ اللَّحْمِ كُومِ[1]

والكُومُ: العِظامُ الأسْنِمَةِ ، واحدتها : كَوْماء ، ويقال : عَفَا الربْعُ : إذا دَرَسَ ، ومن ذلك :

.... عَلَى آثَارِ مَنْ ذَهَبَ العَفَاءُ[2]

أي : الدُّروسُ

وقال مَسْلَمَةُ بنُ عبد الملك : إني لأَعْجَبُ من ثلاثةٍ : من رجلٍ قَصَّرَ شَعَرَهُ ثم عادَ فأَطَالَهُ ، وشَمَّرَ ثَوْبَهُ ثم عاد فأَسْبَلَهُ ، أو تمَتَّعَ بِالسَّرَارِيِّ ثم عادَ إلى المَهِيرَاتِ !!

واحدةُ المَهِيرَاتِ " مَهِيرَةٌ " وهي الحُرَّةُ المَمْهُورَةُ ، و " مَفْعُولٌ " يَخْرُجُ إلى "فَعِيلٍ" كمقتولٍ وقَتِيل ، ومجروحٍ وجَرِيح ، قال الأعشى :

ومَنْكُوحَةٍ غَيْرِ مَمْهُورَةٍ ... وأُخْرَى يُقَالُ لها فَادِهَا[3]

وفى إسناد الثانى : حسين بن المبارك ، قال ابن عدى : حدث بأسانيد ومتون منكرة . قال فى " اللآلى ": المغيرة ، وذكره ابن حبان فى " الثقات " وقد روى بلفظ :" من سعادة المرء خفة عارضيه" كما فى الطبرانى . اهـ .

قلت : وأورده الحافظ الهيثمى فى " المجمع " (١٦٤/٥) ، وقال :" رواه الطبرانى وفيه يوسف بن الفرق ، قال الأزدى : كذاب " .

(١)البيت من الوافر ، وهو للبيد فى ديوانه صـ١٠٤ ولسان العرب (٤٥٠/١١) (عطل) ،(٧٦/١٥) (عفا) وتهذيب اللغة (٢٢٩/٣) وأساس البلاغة (عضض) ، وتاج العروس (عطل) .

(٢)البيت من الوافر وهو لزهير بن أبى سلمى فى ديوانه ص٥٨، ولسان العرب (٧٨/١٥) (عفا)،ومقاييس اللغة (٥٩/٤) ، وكتاب العين (٢٥٩/٢) ، وكتاب الجيم (٣٣٧/٢) ، وتهذيب اللغة (١٢٤/٣) ، وتاج العروس (عفا)وبلا نسبة فى المخصص (٦٣/١٠) ،(١٠٣/١١) .
وصدر البيت : تحمل أهلها منها فباتوا ....

(٣)البيت من المتقارب وهو فى ديوانه صـ١٢٥، وجمهرة اللغة صـ١٢٥٨ .

فهذا المعروفُ في كلامِ العربِ : " مَهَرْتُ المَرأَةَ فهي مَمْهُورَةٌ " ويقالُ ـ وليس بالكثير ـ : " أمْهَرْتُها في مُمْهَرةٌ " ؛ أنشدني المازنيُّ :

أُخِذْنَ اغْتِصَابًا خِطْبَةً عَجْرَفِيَّةً وأُمْهِرْنَ أَرْماحًا مِنَ الخَطِّ ذُبَّلاً[1]

* * *

وأهل الحجاز يَرونَ النِّكاحَ العَقْدَ دونَ الفِعْل ، ولا يُنْكِرُونَه في الفعل ، ويحتجُّون بقولِ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **يأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ المُؤمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَها** ﴾ فهذا الأشْيَعُ في كلام العرب ، قال الأعْشَى :

وأَمْتَعْتُ نَفْسِي مِنَ الغانِيَا تِ إِمَّا نِكَاحًا وإِمَّا أُزَنْ[2]

ومِنْ كُلِّ بَيْضَاءَ رُعْبُوبَةٍ لها بَشَرٌ نَاصِعٌ كاللَّبَنْ[3]

ويكونُ النِّكاحُ الجِمَاعَ ، وهو الأصل كِناية ، قال الراجزُ :

إذا زَنَيْتَ فأَجِدْ نِكَاحا وأَعْمِلِ الغُدُوَّ والرَّوَاحَا

والكِنايةُ تَقَعُ عن هذا الباب كثيرًا ،والأصلُ ما ذكرْنا لك،وقال رسول الله ﷺ : " **أَنَا مِنْ نِكاحٍ لا مِنْ سِفَاحٍ** "[4] ومِنْ خُطِب المسلمين : " **إنّ الله عزَّ وجلَّ أحَلَّ النِّكاحَ وحَرَّمَ السِّفَاحَ** " .

---

(١)البيت من الطويل وهو للقحيف العقيلى فى تاج العروس (٢٥٢/١٩) (خطط) ، وبلا نسبة فى لسان العرب (١٨٤/٥) (مهر)،وتهذيب اللغة (٢٩٨/٦) ، وأساس البلاغة (مهر) ، وتاج العروس (١٥٩/١٤) (مهر) ، والمخصص (٢٥/٤)، ونوادر أبى زيد صـ ٢٠٨ .

(٢) قوله : (أزن) أراد (أزنى) فحذف الياء وخفف النون .

(٣)البيتان من المتقارب ، فى ديوانه صـ٦٧، ولسان العرب (٣٥٩/١٤) (زنا) ،وجمهرة اللغة ص١٣١ وتاج العروس (زنا) .

(٤)أورده بنحوه الحافظ البيهقى فى " الدلائل"، (١٧٤/١)، ضمن حديث طويل أوله : "أنا محمد بن عبد الله.....إلى قوله :" وخرجت من نكاح ، و لم أخرج من سفاح ...." الحديث ، وقال الحافظ ابن كثير فى " البداية والنهاية" (٢٥٥/٥) :"حديث غريب جدًّا من حديث مالك ، تفرد به القدامى وهو ضعيف" . وأورده السيوطى فى " الجامع الصغير" وذكره الشيخ الألبانى فى ضعيف الجامع (ح١٤١٧) ، وقال :" ضعيف جدًّا "

والكنايةُ تَقَعُ عن الجمَاعِ ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إلى نِسَائِكُمْ** ﴾ [1]فهذه كنايةٌ عن الجماع .

وقال أكثرُ الفقهاء في قوله تبارك وتعالى : ﴿ **أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ** ﴾ [2]قالوا : كنايةٌ عن الجماع ، وليس الأمرُ عندنا كذلك ، وما أصِفُ مذهبُ أهلِ المدينة ، قد فُرِغ من النكاح تصْرِيحًا ، وإنما المُلاَمسة أنْ يَلْمِسَهَا [3]الرجلُ بيَدٍ أو بإدْناء جَسَدٍ من جسدٍ ، فذلك يَنقضُ الوضوءَ في قول أهل المدينة ، لأنه قال تبارك وتعالى بعدَ ذِكْرِ الجُنُبِ ﴿ **أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ** ﴾ .

وقولُه عزَّ وجلَّ : ﴿ **كَانَا يأْكُلاَنِ الطَّعَامَ** ﴾ [4]كنايةٌ بإجْماعٍ عن قضاءِ الحاجة[5] ، لأنَّ كلَّ مَنْ أكَلَ الطعام في الدنيا أَنْجَى ، يقال : نَجَا وأَنْجَى : إذا قام لحاجة الإِنسان .

---

(١) البقرة : ١٨٧

(٢) النساء : ٤٣- المائدة : ٦ قال الشيخ أحمد شاكر فيما علقه على الكامل ٤٧٣ بتحقيقه :"ليس هذا القول بالراجح عندنا، ولا هو مما تؤيده الدلائل الصحاح بل أدلة السنة تدل على أن الملامسة أو اللمس فى الآية – على اختلاف القراءتين -إنما يكنى بها هنا عن الجماع ، من أجل أنه قد صح الحديث بأن النبى ﷺ قبل بعض أزواجه ثم صلى و لم يتوضأ ، وهو حديث لاشك فى ثبوته ، وهو قرينة لإرادة المعنى المجازى لا الحقيقى وقد فصلنا القول فى ذلك فى شرحنا على سنن الترمذى ١/١٣٩-١٤٢ " اهـ ...

وانظر تفسير ابن كثير ٢/٢٧٥-٢٧٩ ، وتفسير القرطبى ٥/٢٢٣-٢٢٨.

(٣)(لمسه) من باب ضرب ونصر بكسر الميم وضمها . مختار الصحاح (لمس)

(٤)المائدة : ٧٥

(٥)علق الشيخ أحمد شاكر على هذا الموضع من الكامل بتحقيقه ٤٧٤ بقوله :" دعوى الإجماع هنا غير جيدة ، فإن كثيراً من المفسرين لايرون إلا المعنى هنا ، وهو الراجح عندهم ، قال الطبرى فى التفسير ٦/٢٠٣: "إنهما كانا أهل حاجة إلى ما يغذوهما وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب كسائر البشر من بنى آدم ، فإن من كان كذلك فغير كان إلها ، لأن المحتاج إلى الغذاء قوامه بغيره وحاجته إلى ما يقيمه دليل واضح على عجزه ، والعاجز لا يكون إلا مربوباً لاربا ".فأنت ترى أنه لم يفسره غير المعنى الحقيقى و لم يذكر الكناية أصلاً وذكرها غيره ، وليست الكناية هنا واضحة ، لأنه وإن وجدت العلاقة بين المعنيين إلا أن القرينة التى تمنع إرادة المعنى الحقيقى وتوجب النقل إلى المجازى غير موجودة أصلاً ، فلا تقبل ، ثم إن المعنى الحقيقي معنى عال ديق ، كما أوضحه الطبرى ، فلا مسوغ للعدول عنه " اهـ .

وانظر تفسير ابن كثير ٣/١٥٠ ، وتفسير القرطبى ٦/٢٥٠ .

وكذلك : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ [1]: كنايةُ عن الفروج .
ومثلُه : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ ﴾ [2]فإنما الغائطُ كالوَادِي،وقال عَمْرو بنُ مَعْدِي كَرِبَ :

وكَمْ مِنْ غَائِطٍ مِنْ دُونِ سَلْمَى ... قليلِ الإِنْسِ لَيْسَ بِهِ كَتِيعُ[3]

* * *

يقالُ : " وَهِمَ " الرجلُ " يَوْهَمُ " : إذا شَكَّ ، وهو الأجْوَدُ ، ويجوزُ : " يَيْهَمُ ، وِييهَمُ ، وياهَمُ " لِعِلَلٍ ، وكذلك ما كان مِثْلَهُ ، نحو : وَجِلَ يَوْجَلُ ، ووَحِلَ يَوْحَلُ ، ووَجِعَ يَوْجَعُ ، ويجوز في " وَهِمَ " أن تقول : " يَهِمُ " فإنَّ المعْتَلَّ مَنِ هذا يجيءُ على مثال : حَسِبَ يحْسِبُ ، مثل : وَلِيَ الأميرُ يَلي ، ووَرِمَ الجُرْحُ يَرِمُ ، فهذا جميعُ ما في هذا الباب .

* * *

وقال رجلٌ أحْسِبُهُ من بني تَمِيمٍ :

لاَ تَسْأَلَنَّ الخَيْلَ يا سَعْدُ مَالَها ... وكُنْ أُخْرَيَاتِ الخَيْلِ عَلَّكَ تُجْرَحُ
لَعَلَّك تَحْمِي عَنْ صِحَابٍ بطَعْنَةٍ ... لها عَانِدٌ يَنْفِي الحَصَا حِينَ يَنْفَحُ
وأَكْرِمْ كرِيمًا إنْ أَتَاكِ لحاجةٍ ... لِعَاقِبَةٍ إنَّ العِضَاةَ تَرَوَّحُ[4]

قوله :

لا تسألنَّ الخيلَ يا سعدُ مَالَها

---

(١)فصلت : ٢١

(٢)النساء : ٤٣ ، المائدة : ٦ .

(٣)البيت من الوافر وهو فى ديوانه صـ١٤٦، ولسان العرب (٣٠٦/٨) (كتع) ، وتاج العروس (٣٢٥/٢١) (صرع) ،(١٠٨/٢٢) (كتع) ، كتاب الجيم (١٧١/٢) .

(٤)الأبيات من الطويل ، وانظر أساس البلاغة صـ١٨٣ (روح) .

يقول : لا تَتَخَلَّفْ عن القِتال وتَسْأَل عن أخبار القومِ ، ولكِنْ كُنْ فيهم كما قـال مُهَلْهِلٌ :

ليـسَ مِثْلِـي يُخَـبِّرُ القَـوْمَ عَـنْ آ ... بَـائِهِمْ قُتِّلُـوا ويَنْسَـى القِتَـالا
لم أَرِمْ حَوْمَـةَ الكَتِيبَـةِ حَتَّـى ... حُذِي الـوَرْدُ مـن دِمَـاءٍ نِعَـالاَ[1]

يقول : كنتُ في حَوْمَةِ القِتالِ وصَلِيتُ الحربَ أكثرَ ممّا صَلِيهَا غيري .

* * *

ويُرْوَى عن رجلٍ من بني أسَدِ بن عبد العُزَّى ـ يقال له : فُلانُ بنُ السَّـائِبِ ـ أنَّـه زَوَّجَ ابنتَه عَمْرَو بن عثمانَ بن عَفَّانَ ، فلمّا نُصَّتْ عليه طَلَّقَهَا على المِنَصَّـةِ[2] فجـاء أبوُهـا إلى عبدِ الله بن الزُّبَيْر ، فقال : إنَّ عَمْرَو بنَ عثمانَ طلَّقَ ابنَتِي على المِنَصَّة ، وقد ظنَّ النَّاسُ أنَّ ذلك لِعَاهَةٍ،وأنتَ عَمُّها ، فَقُمْ فـادْخُلْ إليهَـا ، فقـال عبـدُ الله : أوَ خَـيْرًا مِـنْ ذلِـكَ ؟ جيئوني بالمُصْعَبِ ، فَخطَبَ عبدُ الله فَزَوَّجَهَا من المُصْعَبِ ، وأَقْسَمَ عليـه لَيَدْخُلَـنَّ بهـا في لَيْلَتِهِ ، فلا تُعـرَفُ امـرأةٌ نُصَّـتْ عَلَـى رَجُلَـيْنِ في لَيْلَـةٍ غَيْرُهـا ، فأَوْلَدَهَـا المُصْعَـبُ عيسَـى وعُكَّاشَةَ ، فلمَّا كان يومُ مَسْكَنَ [3]وهَرَبَ أكثرُ الناسِ عن المُصْعَبِ دخـل إلى سُـكَيْنَة بنـةِ الحسين بن عليٍّ بن أبي طالبٍ ، وكانت له شديدة المَحَبَّة ، وكانت تُخْفي ذلـك ، فَلَبِـسَ غلاَلَةً وتَوَشَّح عليها ، وانْتَضَـى السَّـيْفَ ؛ فلمَّـا رأتْ ذلـك عَلِمَـتْ أنَّـه عَـزَمَ ألاَّ يَرْجِـعَ ،

---

(١)البيتان فى الأغانى (٥/٥٥) وفى رواية البيت الثانى (عرصة) بدلا من (حومة) ،(انتحل) بدلا من (حذى).

(٢)المنصة سرير العروس ترفع عليه لترى من بين النساء ، وكل شـئ رفعته وأظهرتـه فقـد نصصتـه . رغبة الآمل ٥/٦٨.

(٣)بفتح الميم وسكون السين وكسر الكاف ، وكـذا قيـده يـاقوت والبكرى ، انظر معجـم البلـدان ١٢٧/٥ ، ومعجم ما استعجم ١٢٢٧ ، وقد سلف تحديده .

فصاحتْ مِن ورائِه : وَاحَرَبَاهْ ؟ فالتَفَتَ إليها ، فقال : أَوَ هذا لي في قَلْبِكِ ؟ فقالت : إي وا لله ، وأكثرُ من هذا ، فقال : أمَا لوْ عَلِمْتُ لكانَ لي ولكِ شَأْنٌ ، ثم خَرَجَ ، فقال لابنِه عيسى : يا بُنَيّ انْجُ إلى نجَائِكَ ، فإن القومَ لا حَاجةَ بهم إلى غَيْري ، وسَتُفْلِتُ بحيلةٍ أو بُقْيا ، فقال : يا أَبَتَاهُ ، لا أحدِّثُ وا لله عَنْكَ أبدًا ، فقال : أمَا وا لله لَئِنْ قلتَ ذلكَ لَما زِلْتُ أَتَعَرَّفُ الكَرَمَ في إسْرارِكَ وأنْتَ تُقَلَّبُ في مَهْدِكَ ، فَقُتِلَ بين يَدَيْ أبيهِ ، ففي ذلك يقولُ شاعِرُ أهْلِ الشَّأْم من اليَمانِيَة :

نَحْنُ قَتَلْنا مُصْعَبًا وعِيسى ... وابْنَ الزُّبَيْرِ البَطَلَ الرَّئِيسَا

عَمْدًا أَذَقْنا مُضَرَ التَّبْئِيسَا

وقال رجلٌ يُعَاتِبُ رجلاً :

فلو كان شَهْمَ النَّفْسِ أو ذا حَفيظةٍ ... رَأى ما رَأى في الموتِ عيسى بنُ مُصْعَبِ

وقال بلال بن جرير يَمدحُ عبد ا لله بن الزُّبَيْر :

مَدَّ الزُّبَيْرُ عليكَ إذْ يَبْني العلاَ ... كَفَّيْهِ حتّى نَالَتا العَيُّوقَا

ولَوَ أنَّ عبدَ ا لله فَاخَرَ مَنْ تَرَى ... فَاتَ البَرِيَّةَ عِزَّةً وَسُمُوقَا

قَرْمٌ إذا ما كانَ يومُ نُفورَةٍ ... جَمَعَ الزُّبَيْرَ عليكَ والصِّدِّيقَا

لو شِئْتَ ما فَاتُوك إذْ جَارَيْتَهُمْ ... ولَكُنْتَ بالسَّبْقِ المُبرِّ حَقيقَا

لكنْ أَتَيْتَ مُصَلِّيًا بَرًّا بِهِمْ ... ولقد تَرَى ونَرَى لَدَيْكَ طَرِيقَا

* * *

عاد الحديثُ إلى تفسير الأبيات المتقدِّمة :

قوله :

لعلَّك تَحْمِي عن صِحَابٍ بطعْنَة[1]

---

(١)سبق تخريجها

يقال : " حَمَيْتُ الناحِيَةَ أحْميها حَمْيًا وحِمَايةً " ، كما قال الفرزدق :

وإذَا النُّفُوسُ جَشَأْنَ طَأْمَنَ جَأْشَها ثِقَةً لهَا بِحِمَايَةِ الأدْبَارِ[1]

(٢)

ومعنى ذلك : مَنَعْتُ ودَفعتُ . ويقال : " أحْمَيْتُ الأرضَ " أي : جعلتُها حِمىً لا تُقْرَبُ ، و " أحْمَيْتُ الحديدَ أُحْميهِ إحْماءً " و " حَمَيْتُ أنْفي مَحْمِيَّةً " يا فتى : إذاَ أنتَ أَبيْتَ الضَّيْمَ .

و " صِحَابٌ " جمعُ " صاحبٍ " وقد يقالُ : هو جمع " صَحْبٍ " كما تقول : "تاجرٌ وتَجْرٌ " و " راكبٌ ورَكْبٌ " ونحو ذلك ، ثم تَجْمَعُ " صَحْبًا " على " صِحَابٍ " ، كقولك : " كَلْبٌ وكِلاَبٌ " و " فَرْخٌ و فِراخٌ " فهذا مذهب حَسَنٌ ، ومن قال : هو جمعُ " صاحبٍ " فنظيرهُ " قَائِمٌ وقِيامٌ " و " تَاجِرٌ وتِجارٌ " .

وقوله : " لها عانِدٌ يَنْفِي الحَصَا " يعني الدَّم ، يقال " عَنَدَ العِرْقُ " : إذا خرج الدمُّ منه بجِدَّةٍ ، و " ينفي الحَصَا " يعني الدَّم بشدَّة جَرْيه ، كما قال :

مُسَحْسِحَةٍ تَنْفِي الحَصَا عن طَرِيقها . . . .[3]

يعني طعنةً ، وقال آخرُ في صفة طعنةٍ :

ومُسْتَنَّةٍ كَاسْتِنَانِ الخَرُو فِ قَدْ قَطَعَ الحبْلَ بالمِرْوَدِ[4]

والخروفُ هاهنا : إنما هو الفَلُوُّ الصَّغيرُ .

---

(١) سبق تخريجه

(٢) سبق تخريجه

(٣) سبق تخريجه

(٤)البيت من المتقارب ، وهو لرجل من بنى الحارث بن كعب فى لسان العرب (٦/٩)(خرف)،وتهذيب اللغة (٧/٣٥٠) ،وتاج العروس(١٢٠/٢٣) (خرف) ،وبلا نسبة فى رصف المبانى صـ ١٤٥ وسر صناعة الإعراب (١٣٤/١) ،وشرح المفصل (٢٣/٨) ،ولسان العرب (٩٥/٢) والمحتسب (٨٨/٢).

وقوله :

وأكْـرِمْ كَرِيمًـا إنْ أتـاك لحاجـةٍ لِعاقبـةٍ إنَّ العِضَـاهَ تَـرَوَّحُ[1]

يقولُ : الشجرُ يُصيبهُ النَّـدَى في آخرِ الصَّيفِ فَيَنْشَأُ لـه وَرَقٌ ، فيقـولُ : لعلَّـك تحتاجُ إلى هذا الكريمِ وقد قَدَرَ .

ومثْله :

ولا تُهِـينَ الكَرِيـمَ عَلَّـكَ أَنْ تَرْكَعَ يومًا والدَّهْـرُ قَـدْ رَفَعَـهْ[2]

أراد " ولا تُهِينَنْ : بالنون الخفيفة،فحذفها لالتقاءِ الساكنين،وهذا الحكم فيها .

ومِثْلُ ذلك في المعنى قولُ عَبَّا بن عَبَّادِ بن حَبيبِ بن المُهَلَّبِ :

إذا خَلَّـةٌ نَـابَتْ صَدِيقَـكَ فـاغْتَنِمْ مرَمَّتَهـا فـالدَّهْرُ بالنَّـاس قُلَّـبُ[3]

وبـادِرْ بمَعْـرُوفٍ إذا كُنْـتَ قـادِرًا زَوَالَ اقْتِدارٍ أو غِنِىً عنك يُعْقِـبُ[4]

ومثل هذا كثيرٌ .

---

(١)تقدمت الأبيات برقم ٢٥١

(٢)البيت من المنسرح ، وهو للأضبط بن قريع فى الأغانى (٦٨/١٨)، والحماسة الشجرية (٤٧٤/١) وخزانة الأدب (٤٥٠/١١ /٤٥٢) ، والـدرر (٢/ ١٦٤) ، (٥/ ١٨٣) ، وشـرح التصريـح (٢٠٨/٢) ، وشرح ديـوان الحماسـة للمرزوقى صـ ١١٥١، وشرح شـواهد الشـافية صـ ١٦٠ ، وشرح شواهد المغنى صـ ٤٥٣، والشعر والشعراء (٣٩٠/١) ، والمعانى الكبير صـ٤٩٥ ، والمقـاصد النحوية (٣٣٤/٤) ، وتـاج العروس (١٢٢/٢١) (ركـع) ، وبـلا نسبة فـى الإنصـاف (٢٢١/١) ، وأوضح المسـالك (١١١/٤) ، وجواهـر الأدب صـ ١٤٦،٥٧، ورصـف المبـانى صـ ٤،٣٧٣،٢٤٩ ٣٧، وشرح الأشمونى (٥٠٤/٢) ، وشرح شافية ابن الحاجب (٣٢/٢)، وشرح ابن عقيل صـ٥٥٠ ، وشرح المفصل (٩/ ٤٣، ٤٤) ، ولسان العرب (١٨٤/٦) (قنس) ، (١٣٣/٨) (ركع) ،(٤٣٨/١٣) (هون) ، واللمع صـ٢٧٨، ومغنى اللبيب (١٥٥/١) ،والمقرب (١٨/٢)، وهمـع الهوامـع (١٣٤/١) (٧٩/٢) ، وتاج العروس (هون) .

ورواية البيت ولا تهين الفقير علك أن

(٣)قلب : صيغة مبالغة على وزن فعل تدل على كثرة تقلب الدهر وكثرة صروفه .

(٤)ورواية البيت ولا تهين الفقير علك أن

وقال جعفر بن محمد بن عليٍّ بن الحسين ـ رحمهم الله ـ : إنّي لأسارعُ إلى حاجة عَدُوي خوْفًا من أَنْ أَرُدَّهُ فيَسْتَغْنِيَ عنِّ .

وقال رجلٌ من العرب:ما رَدَدْتُ رجلاً عن حاجة فوَلّى عنّي إلاّ رَأَيْتُ الغِنى في قَفَاهُ .

وقال عبدُ الله بنُ العباس بنِ عبدِ المُطّلبِ : ما رأيتُ أحدًا أسْعَفْتُهُ في حاجةٍ إلا أضاءَ ما بَيْني وبينَه ، ولا رأيتُ رجلاً رددتُه عن حاجةٍ إلاّ أظْلَم ما بيني وبينَه .

وقال عمرُ بنُ الخطاب ـ رحمه الله ـ : مَنْ يَئِسَ من شَيءٍ اسْتَغنى عنه .

وقال عبدُ الله بن هَمَّامٍ السَّلُولِيُّ :

فأَخْلِفْ وأَتْلِفْ إنّما المالُ عارَةٌ	**فَكُلْهُ معَ الدَّهرِ الذي هو آكِلُهْ**
فأَهْوَنُ مَفْقُودٍ وأَيْسَرُ هالِكٍ	**على الحيِّ من لا يَبْلُغُ الحيَّ نائِلُهْ**[1]

" عارةٌ " أي :مُعارٌ ، ووزنه " فَعَلَةٌ " .

* * *

وقال أحد المُحْدَثين ـ وليس من هذا الباب ولكنّا ذكرناه في الإعارَة :

أعارَكَ مالَهُ لِتَقُومَ فيه	**بطاعَتِهِ وتَعْرِفَ فَضْلَ حَقِّهْ**
فَلَمْ تَشْكُرْهُ نِعْمَتَه ولكِنْ	**قَوِيتَ على مَعَاصِيه برِزْقِه**
تُجَاهِرُهُ بِهَا عَوْدًا وبَدْءًا	**وتَسْتَخْفِي بها مِن شَرِّ خَلْقِهْ**[2]

وقال جرير :

وإنى لأستحيي أخى أن أرى له	**عليَّ من الحقِّ الذى لا يرى ليا**[3]

---

(١)البيتان من الطويل وهما لابن مقبل فى ديوانه صـ ٢٤٣، ولسان العرب (٦١٩/٤) (عور) (٨٨/٩) (خلف) ، وتاج العروس (١٦٣/١٣) (عور) ، وبلا نسبة فى جمهرة اللغة صـ١٢٥١، وأساس البلاغة (تلف) ، ومجمل اللغة (٤٢١/٣).

(٢)سبق تخريجه .

(٣)البيت من الطويل ، وهو بلا نسبة فى لسان العرب (٢١٨/١٤)

هذا بيتٌ يحملهُ قومٌ على خِلَافِ معناهُ ، وإنما تأويلهُ : إنّي لأستَحِي أخِي أن يكونَ له عليَّ فضلٌ ولا يكون لي عليه فَضْلٌ ومِنّي إليه مُكافَأةٌ ، فأستحيي أنْ أرَى له عليَّ حقًّا لِمَا فَعَلَ إليَّ ، ولا أفعلَ إليه ما يكونُ لي به عليه حَقٌّ ، وهذا مِن مذاهبِ الكِرَام ، ومِمَّا تأخذُ به أنْفُسَهَا .

فأمَّا قولُ عائِذِ الكَلْبِ الزُّبَيْرِيِّ لعَبْد الله بن حَسَن بن حَسَن :

لَـهُ حَـقٌ ولَيْـسَ عليـه حَـقٌّ ومَهْمـا قـال فالحَسَـنُ الجَمِيـلُ

وقـد كـانَ الرَّسـولُ يَـرَى حُقوقًـا عليـه لِغَـيْرِهِ وهُـوَ الرَّسـولُ[1]

فإنَّهُ ذَكَرَهُ بِقلَّة الإنصافِ ، فقال : يرَى له حقًّا على النَّاس ، ولا يَرَى لهم عليه حقًّا ، من أجل نسَبِه بالرسولِ ﷺ ، وبيَّن ذلك بقوله :

وقـد كـان الرَّسـولُ يـرى حقوقًـا عليـه لغـيره وهـو الرسـولُ

فالذي يَفتَخِرُ به عبدُ الله يَرَى للناسِ عليه حقًّا ، فالمُفْتَخِرُ بِهِ أجْدَرُ .

وقد قيل لعليِّ بن الحُسَين ، وكان بَيِّنَ الفضل ـ رحمهُ الله ـ : ما بالُكَ إذا سافَرْتَ كَتَمْتَ نَسَبَكَ أهْلَ الرُّفْقَةِ ؟ فقال : أكْرَهُ أنْ آخذَ برسول الله ﷺ ما لاَ أُعْطِي مِثْلَهُ .

وإنما يعتري هذا البابُ ـ منَ الظُّلمِ وقِلَّةِ الإنصاف للناسِ والبُعْدِ من الرِّقَّةِ عليهم ـ الجَهَلَةَ من أهلِ هذا النَسَبِ ، والله جَلَّ ذكرُه يقول لنبيِّه ﷺ : ﴿ **بالمُؤْمِنِينَ رَؤُوف رَحِيمٌ** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إنّي أخَافُ إنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظيمٍ** ﴾ فإذا كان هُو ـ ﷺ ـ يَخَافُ من المعصية فكيفَ يَأْمَنُهَا غيرهُ به ؟ !

* * *

---

(١)البيتان له فى الأغانى ٢٤/٢٤١ ، وسمط الآلى ٥٧٠

وأما قول جريرٍ لهشامِ بن عبد المَلك فهو المدح الصحيح على خلاف هذا المعنى ، قال :

وأنــتَ إذا نَظَــرْتَ إلى هِشــام عَرَفْـتَ نِجَـارَ مُنْتَجَـبٍ[١] كَرِيـمِ
وَلِــيُّ الحَــقّ حــينَ يَــؤُمُّ حَجّـًا صُفُوفًـا بَيْــنَ زَمْــزَمَ والحَطِيــمِ
يَــرَى لِلْمُسْـلِمِينَ عليـه حَقّــًا كفِعْـلِ الوالِـدِ الــرَّؤُفِ الرَّحِيـمِ
إذا بَعْــضُ السِّــنِينَ تَعرَّقَتْنــا كَفَى الأيْتـامَ فَقْـدَ أَبِـي اليَتِيـمِ[٢]

وفي هذا الشعر :

أمِــيرُ المُؤْمِنِــينَ علــى صِــرَاطٍ إذا اعْــوَجَّ المَــوَارِدُ مُسْــتَقِيمِ
أمِــيرَ المُؤْمِنــينَ جَمَعْــتَ دِينًــا وحِلْمًــا فــاضِلاً لــذَوِي الحُلــومِ
لَــكَ المُتخَــيَّرَانِ أَبًــا وخــالاً فــأَكْرِمْ بالخُؤُولَــةِ والعُمُــومِ
فَيَــابْنَ المُطْعِمِــينَ إذا شَــتَوْنَا ويـا بْـنَ الذَّائدِيـنَ عـنِ الحَرِيـمِ
سَمَــا بِــكَ خَــالِدٌ وبَنُــو هِشــامٍ إلى العَلْيــاءِ في الحَسَــبِ الجَسِــيمِ
وتَنزِلُ مِــنْ أُمَيَّــةَ حَيْــثُ تَلْقــى شُــؤُونُ الــرَّأْسِ مُجْتَمَــعَ الصَّمِيــمِ
تَوَاصَــتْ مــن تَكرُّمِهــا قُرَيْــشٌ بِــرَدِّ الخَيْــلِ دامِيَــةَ الكُلُــومِ
فَمــا الأُمُّ الــتي وَلَــدَتْ قريشًــا بِمُقْرِفَــةِ النِّجَــارِ[٣] ولا عَقِيــمِ
ومــا فَحْــلٌ بــأَنجَبَ مِــنْ أبيكُــمْ ولا خَــالٌ بــأَكْرَمَ مِــنْ تَمِيــمِ
سَــمَا أَوْلادُ بَــرَّةَ بِنْــتِ مُــرٍّ إلى العَلْيــاءِ في الحَسَــبِ العظيــمِ
لَــكَ الغُــرُّ السَّــوابقُ مــن قُرَيْــشٍ فَقَـدْ عُـرِفَ الأغَـرُّ مـن البَهِيـمِ[٤]

---

(١)فى بعض النسخ : (منخب) بالخاء المعجمة الفوقية .

(٢)الأبيات من الوافر فى ديوانه صـ٣٨٢ وفى روايته بعض الاختلاف

(٣)النجار هو الأصل والإقراف المقصود به مداناة مايشين النسب . رغبة الآمل (٧٩/٥) .

(٤)الأبيات من الوافر فى ديوانه صـ٣٨٢ وفى روايته بعض الاختلاف

قولهُ " حين يؤمُّ حَجّا " فيكون " الحجُّ " جمعَ " حاجٌّ " كما يقال" تاجرٌ وتَجْرٌ ، وراكبٌ ورَكْبٌ " قال العَجاجُ :

بِوَاسِطٍ أكْرَمَ دارٍ دارا ... وا لله سَمّى نَصْرَكَ الأنْصَارَا[1]

فأخرَجَه على" ناصرٍ ونَصْرٍ " . قال : ويجوزُ أن يكونَ " حَجٌّ " : أصحابَ حَجٌّ ، كما قال ا لله عزَّ وجلَّ : ﴿ واسْألِ القَرْيَةَ ﴾ [2]يريد : أهْلَها .

وقولهُ : كفعلِ الوالدِ الرَّؤُفِ الرَّحيم

يقال " رَؤُفٌ " على " فَعُلٍ " مثلُ " يَقُظٍ وحَذُرٍ " و " رؤوفٌ " على وزن " ضَرُوبٍ " . وقال الأنصاري :

نُطِيعُ نَبِيَنا ونُطِيعُ رَبّا ... هو الرَّحمنُ كان بنا رَؤُوفا[3]

وقد قُرِئ : ﴿ وا لله رَؤُفٌ بالْعِبَادِ ﴾ و " رؤُوفٌ " أكثر ، وإنما هو من الرَّأْفة ، وهي أَشَدُّ الرَّحمةِ ، ويقالُ " رَآفَةٌ " وقُرِئَ : ﴿ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَآفَةٌ في دِينِ ا لله ﴾ على وزن الصَّرَامَةِ والسَّفَاهَةِ .

وقولهُ : إذا بعضُ السِّنينَ تعرَّقَتْنا

يُفَسَّرُ على وجهين : أحدُهما : أن يكونَ ذهبَ إلى أنَّ بعضَ السِّنينَ يُؤَنَّث لأنَّه سنةٌ وسنون ، كما قال الأعشى :

---

(١)ديوانه ق ٦٥/٣٤ ، ٦٧ج ٢/١٠٧ وسيأتيان .

(٢)سورة يوسف : ٨٢

وبهامش نسخة مانصه : قبله : إذقدر المقدر الأقدار

ونصب " أكرم دار " على الحال ، والعامل فيه مقدر " .

(٣)البيت من الوافر ، وهو لكعب بن مالك فى ديوانه صـ ٢٣٦ ، ولسان العرب (١١٢/٩) (رأف) وتاج العروس (٣٢٢/٢٣) (رأف) ، وبلا نسبة فى مقاييس اللغة (٤٧١/٢) .

وَتَشْرَقُ بالقولِ الذي قَدْ أذَعْتَهُ   كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ[1]

لأنَّ صدْرَ القناة قَنَاةٌ ، ومن كلام العرب : ذَهَبَتْ بعضُ أصابعه ؛ لأنَّ بعضَ الأصابعِ إصْبَعٌ ، فهذا قولٌ .

والأجْوَدُ : أنْ يكونَ الخبرُ في المعنى عن المضاف إليه ، فأقْحَمَ المضافَ توكيدًا ؛ لأنَّه غيرُ خَارجٍ من المعنى ، وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ إنما المعنى:فَظَلُّوا لها خاضعينَ ، والخضوعُ بَيِّنٌ في الأعناقِ ، فأخْبَرَ عنهم، فأَقْحَمَ الأعناق توكيدًا ، وكان أبو زيدٍ الأنصاريُّ يقولُ : أعناقُهم : جماعاتُهم ، تقولُ : أتاني عُنُقٌ من النَّاسِ ، والأوَّلُ قولُ عامَّةِ النحويين .

وقال جرير :

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ   سُورُ المَدِينَةِ والجِبالُ الخُشَّعُ[2]

وقال أيضًا :

رأتْ مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّي   كما أَخَذَ السِّرَارُ من الهِلَالِ[3]

---

(١)البيت من الطويل وهو للأعشى فى ديوانه صـ ١٧٣، والأزهية صـ ٢٣٨، والأشباه والنظائر (٢٥٥/٥) ، وخزانة الأدب (١٠٦/٥) ، والدرر (١٩/٥) وشرح أبيات سيبويه (٥٤/١) ، والكتاب (٥٢/١)، ولسان العرب (٤٤٦/٤) (صدر)، (١٧٨/١٠) (شرق) ، والمقاصد النحوية (٣٧٨/٣) ، وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر (١٠٥/٢) ، والخصائص (٤١٧/٢) ، ومغنى اللبيب (٥١٣/٢) ، والمقاصد (١٩٧/٤، ١٩٩) ، وهمع الهوامع (٢/ ٤٩) .

(٢)البيت من الكامل ، وهو لجرير فى ديوانه صـ٩١٣ ، والأشباه والنظائر (١٠٥/٢،٢٢٠،٢٢٥) ، وجمهرة اللغة صـ٧٢٣ وخزانة الأدب (٢١٨/٤) ، وشرح أبيات سيبويه (٥٧/١) ، ولسان العرب (١٣٧/٢) (حرث) ، (٤/ ٣٨٥) (سود) (٦/١٠) (أفق) ، وجرير أو للفرزدق فى سمط اللآلى صـ ٣٧٩،٩٢٢، وليس فى ديوان الفرزدق ، وبلا نسبة فى الخصائص (٤١٨/٢) ، ورصف المبانى صـ١٦٩، والصاحبى فى فقه اللغة صـ ٢٦٧ ، والمقتضب (٤/ ١٩٧) .

(٣)البيت من الوافر ، وهو لجرير فى ديوانه صـ ٥٤٦، والدرر (١٣٥/١) ، وبلا نسبة فى تهذيب اللغة (١٥٣/١)،والمخصص (١٠٣/١٧)،ولسان العرب(٧٣/٨) (خضع) ، والمقتضب (٢٠٠/٤) .

وقال ذو الرُّمَّةِ :

مَشَيْنَ كما اهتزَّتْ رِمَاحٌ تَسفَّهَتْ أَعَالِيَهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّواسِمِ[1]

ومِثْلُ هذا كثيرٌ .

وعلى مِثْلِ هذا القول الثاني تقول : " يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ " لأنك أردتَ " يا تيْمَ عَدِيٍّ " وأَقْحَمْتَ الآخر توكيدًا ، وكذلك " لا أَبَالَكَ " لأنَّ الألف لا تثْبُتُ في " الأبِ " في النصب إلاّ في الإِضافة ، أو بدلاً من التنوينِ ، فإنَّما أرادَ " لا أَبَاكَ " ثم أقْحَمَ الَّلامَ توكيدًا للإِضافةِ ، وأنشدني المازِنيُّ :

وقد ماتَ شَمَّاخٌ وماتَ مُزَرِّدٌ وأيُّ كَرِيمٍ لا أَبَاكِ يُخَلَّدُ[2]

وقال آخر :

أَبِالْمَوْتِ الذي لاَ بُدَّ أنِّي مُلاَقٍ لاَ أَبَاكِ تُخَوِّفِيني؟[3]

---

(١)البيت من الطويل ، وهو لذى الرمة فى ديوانه صـ٧٥٤، وخزانة الأدب (٢٢٥/٤) ، وشرح أبيات سيبويه (٥٨/١) ،والكتاب (٦٥،٥٢/١) ، والمحتسب (٢٣٧/١) والمقاصد النحوية (٣٦٧/٣)، وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر (٢٣٩/٥) ، والخصائص (٤١٧/٢) ، وشرح الأشمونى (٣١٠/٢)، وشرح ابن عقيل صـ٣٨٠، وشرح عمدة الحافظ صـ٨٣٨، ولسان العرب (٢٨٨/٣) (عرر)، ط٤٤٦/٤) (صدر) ، (٥٣٦/١١) (قبل) ، (١٣/ ٤٩٩) (سفه) ، والمقتضب (١٩٧/٤)

(٢)البيت من الطويل وهو لمسكين الدارمى فى ديوانه صـ ٣١ ، والكتاب (٢/ ٢٧٩) ، وبلا نسبة فى جواهر الأدب صـ٢٤٢، وشرح المفصل (١٥٠/٢) ، كتاب اللامات صـ ١٠٣ ، ولسان العرب (١٢/١٤) (أبى) ، والمقتضب (٣٧٥/٤)

(٣)البيت من الوافر ، وهو لأبى حية النميرى فى ديوانه صـ ١٧٧، وخزانة الأدب (١٠٠/٤،١٠٥،١٠٧) ،والدرر (٢١٩/٢) وشرح شواهد الإيضاح صـ٣١١، ولسان العرب (١١/ ٢١٠) (خعل) ، (١٢/١٤) (أبى) ، (١٥/ ١٦٣) (فلا) ، وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر (١٣٢/٣) ، والخصائص (٣٤٥/١) ، وشرح التصريح (٢٦/٢) ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى صـ ٥٠١ ، وشرح شذور الذهب صـ٤٢٤ وشرح المفصل (١٠٥/٢) ، واللامات صـ١٠٣، والمقتضب (٣٧٥/٤) ، والمقرب(١٩٧/١) ، والمقتضب (٣٣٧/٢) ، وهمع الهوامع (٣٣٧/١) .

وقولهُ : " على صِراطٍ " فالصِّراطُ : المِنْهَاجُ الواضحُ ، وكذلك قالت العلماء في قولِ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ ﴾ .

وقولهُ : " سَمَا بكَ خالدٌ " يريدُ : خالدَ بنَ الوليد بنِ المُغيرةِ بن عبدِ الله بنِ عُمَرَ ابنِ مَخْزُومِ بن يَقَظَةَ بن مرة بنِ كَعْبٍ ، لأن أُمَّ هشامٍ بنتُ هشامِ بن إسماعيل بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بن مخزومٍ ، وكان هشامُ بنُ المغيرةِ أَجَلَّ قُرَشِيٍّ حِلْمًا وجُودًا ، وكانت قريشٌ تُؤَرِّخُ بموتِهِ ، كما كانت تُؤَرِّخُ بعام الفيلِ وبِمُلْكِ فلانٍ ، قال الشاعر :

زَمانَ تَنَاعَى الناسُ موتَ هِشَامِ

ومن أجلِهِ يقول القائلُ :

فَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِرًّا كَأَنَّ الأَرضَ لَيْسَ بها هِشَامُ[1]

يقول : هُوَ وإن كان ماتَ فهو مدفونٌ في الأرض ، فقد كان يَجبُ من أجله ألاّ ينالَها جَدْبٌ . وقال الآخر :

ذَرِيني أَصْطَبِحْ يَاسَلْمَ إِنِّي رَأَيْتُ المَوْتَ نَقَّبَ عن هِشَامِ[2]

قوله : " نَقَّبَ " أي طَوَّف حتى أصابَ هشامًا ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ أي طَوَّفوا ، ومثله قولُ امرئ القيسِ :

وقَدْ نَقَّبْتُ في الآفاقِ حتَّى رَضِيتُ مِنَ الغَنِيمةِ بالإِيَابِ[3]

---

(١)البيت من الوافر ، وهو للحارث بن خالد فى ديوانه صـ ٩٣، والاشتقاق صـ ١٠١، ١٤٧ ، وبلا نسبة فى الجنى الدانى صـ ٥٧١ ، وجواهر الأدب صـ٩٣ ، والدرر (١٦٣/٢) ، وشرح التصريح (٢١٢/١) ، وشرح شواهد المغنى (٥١٥/٢) ، ولسان العرب (٤٦١/١٢) (قتم) ، ومغنى اللبيب (١/ ١٩٢) ، وهمع الهوامع (١٣٣/١) .

(٢)البيت من الوافر ، وهو لأبى بكر بن الأسود الليثى فى لسان العرب (٧٣/١٢) (تهم) ، وتاج العروس (تهم)وفى روايته (يا بكر) بدلا من (يا سلم)

(٣)البيت من الوافر ، وهو له فى ديوانه صـ٤٣، ولسان العرب(٧٦٩/١) (نقب) ، وجمهرة الأمثال (٤٨٤/١) ، والعقد الفريد (١٢٦/٣) ، والفاخر صـ٢٦٠، وكتاب الأمثال صـ ٢٤٩، وكتاب الأمثال لمجهول صـ٦٥، والمستقصى (١٠٠/٢) ، ومجمع الأمثال (٢٩٥/١) ، وتهذيب اللغة (١٩٧/٩) ، وتاج العروس (٣٠٠/٤) (نقب) .
وفى روايته (السلامة) بدلاً من (الغنيمة).

فأما التأْريخُ الذي يُؤَرَّخُ به اليومَ فأوَّلُ مَن فعلَه في الإِسلام عمرُ بنُ الخَطَّاب رحمه الله . حيثُ دَوَّنَ الدَوَاوِينَ ، فقيل له : لو أَرَّخْتَ - يا أميرَ المؤمنين - لكنتَ تَعْرِفُ الأمورَ في أوقاتِها . فقال : وما التَّأْريخُ ؟ فأُعْلِمَ ما كانتِ العجمُ تفعلهُ ، فقال : أرِّخُوا ، فقالوا : مُذْ أيِّ سنَةٍ ؟ فاجتَمَعُوا على سَنَةِ الهجرةِ ؛ لأنَّه الوقتُ الذي حكَمَ فيه رسولُ الله ﷺ على غيرِ تَقِيَّةٍ ، ثم قالوا : في أي شهرٍ ؟ فقالوا : نَسْتَقْبِلُ بالناس أمورَهم في شهر المُحَرَّم إذا انْقَضى حَجُّهُمْ ، وكانت هجرَة رسول الله ﷺ في شهر ربيع الآخر ، فَقَدَّمَ التأريخُ على الهجرة بهذه الأشهرَ (١)، وجاءَ في تَصْحِيح هذا الوقت - أعني المحرَّمَ - ما رُوي لنا عن ابن عباسٍ رحمه الله ، فإنه قال في قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ قال : أقْسَمَ بِفَجْرِ السَّنَةِ ، وهو المحرَّمُ (٢).

وقوله : فما الأُمُّ التي ولَدَتْ قريشًا

(١)قال الحافظ فى" الفتح " (٧/ ٣١٥) ط الريان :" أخرج أبو نعيم الفضل بن دكين فى تاريخه ، ومن طريقه الحاكم ، من طريق الشعبى أن أبا موسى كتب إلى عمر : إنه يأتينامنك كتب ليس لها تاريخ . فجمع عمر الناس ، فقال بعضهم : أرخ بالمبعث ، وبعضهم : أرخ بالهجرة فقال عمر : الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها ، وذلك سنة ١٧ ، فلما اتفقوا قال بعضهم : ابدءوا برمضان ، فقال عمر:بل بالمحرم فإنه منصرف الناس من حجهم ، فاتفقوا عليه"ثم نقل آثارًا " أخر وقال : " فاستفدنا من مجموع هذه الآثار أن الذى . أشار بالمحرم عمر وعثمان وعلى " أفدته من تعليق الشيخ أحمد شاكر على الكامل ٤٨٨ بتحقيقه .

(٢)الرواية المشهورة عنه أن الفجر هو الصبح وهو قول على رضى الله عنه ومجاهد ، والسدى . وفى رواية عن ابن عباس أن الفجر النهار كله . وما رواه المبرد عنه هو رواية عنه أيضاً ، انظر تفسير القرطبى (١٠/ ٧١٢٨)

ورواية ابن عباس هذه التى أوردها المصنف ذكرها الحافظ السيوطى فى " الدر المنثور " وعزاها إلى سعيد بن منصور والبيهقى فى شعب الإيمان وابن عساكر ، والرواية الصحيحة عنه التى اقتصر عليها الطبرى وابن كثير أن الفجر هو فجر النهار ، وانظر الدر المنثور ٥٧٧/٦ ، ٥٧٨ .

يعني بَرَّةَ بنتَ مُرٍّ كانت أُمَّ النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ ، وهو أبو قُرَيْشٍ ، ومَـنْ لم يكـنْ مـن ولَدِهِ فليس بقُرَشيٍّ ، وتَمِيمُ بنُ مُرٍّ خالُهُ .

وكان يقالُ : مَنْ عَرَفَ حَقَّ أخيه دام له إخَاؤُهُ ، ومَنْ تكبَّرَ على الناس ورجـا أن يكونَ له صَديقٌ فقد غَرَّ نفسَه .

وقيلَ : ليس لِلَجُوجٍ تَدْبيرٌ ، ولا لِسَيِّءِ الخُلُقِ عَيْشٌ ، ولا لِمُتَكبِّرٍ صديقٌ .

وقيل : مَنْ بَسَطَ بالخير لسانَهُ انْبَسَطَتْ في القُلُوبِ محبَّتُهُ ، والمِنَّةُ تُفْسِدُ الصَّنِيعَةَ .

ويُروى أنّ شاعرًا أتَى أبا البَخْتَرِيِّ وَهْبَ بنَ وهْـبٍ ، وكـان مـن أجْـوَدِ النَّـاس ، وكان إذا سَمِعَ مَدْحَ المادح ضَحِكَ وسَرَى السُّرُورُ في جوانحه ، وأَعْطَى وزَادَ ، فأتاه هـذا الشاعر فأنشده :

لِكُلِّ أَخِـي فَضْـلٍ نَصِيـبٌ مِـنَ العُـلاَ ... ورَأْسُ العُلاَ طُرًّا عَقِيدُ النَّدَى وَهْـبُ
وما ضَرَّ وَهْبًا قَوْلُ مَـنْ غَمِـطَ العُـلاَ ... كمـا لاَ يَضُـرُّ البَـدْرَ يَنْبَحُـهُ الكَلْـبُ

فَثَنى له الوِسادَةَ ، وهَشَّ له ورَفَدَهُ ، وحمَلَهُ وأضافه ، فلمَّا أَنْ أرادَ الرجـلُ الرِّحْلَـةَ لم يَخْدُمْهُ أحدٌ من غِلمان أبي البَخْتَرِيِّ ، ولا عَقَدَ له ولا حَلَّ معه ! فأَنْكَرَ ذلك مع جَمِيلِ مافَعَل به وأَنَّهُ قد تجاوَزَ بِهِ أَمَلَهَ ، فَعاتَبَ بعضَهم ، فقال له الغـلامُ : إنَّـا إنَّمـا نُعيـنُ النـازِلَ على الإقامةِ ، ولا نُعينُ الراحِلَ على الفِراق ؛ فبلغَ هذا الكلامُ جَليلاً من القُرَشِيِّين ، فقال : وا لله لَفِعْلُ هؤلاء العَبيدِ على هذا القَصْدِ أَحْسَنُ من رِفْدِ سَيِّدِهم !

* * *

باب

قال أبو العباس : قال عبدُ الملك بن مروانَ يومًا لجُلَسائِه ـ وكان يَجْتَنِبُ غيرَ الأُدَبَاءِ ـ :" أيُّ المَنادِيلِ أفضلُ ؟ فقال قائلٌ منهم : مناديلُ مِصْرَ ، كأنَّهَا غِرْقِئُ البَيْضِ ، وقال آخرُ : مناديلُ اليمن ، كأنها أَنْوارُ الرَّبيعِ ، فقال عبدُ الملك : ما صَنَعْتُما شيئًا ، أفضلُ المناديلِ ما قال أخو تَميم - يعني عَبْدَةَ بن الطَّبيبِ :

لَمَّا نَزلنا نصَبْنَا ظِلَّ أَخْبِيَةٍ   وَفَارَ لِلقَوْمِ باللَّحم المَرَاجِيلُ

وَرْدٌ وأَشْقَرُ ما يُؤْنِيهِ طَابِخُهُ   مَا غَيَّرَ الغَلْيُ منه فهو مَأْكُولُ

ثُمَّتَ قُمْنَا إلى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ   أَعْرَافُهُنَّ لأَيْدينا مَناديلُ[1]

قولُه" غرقئُ البيض" يعني القشرةَ الرقيقةَ التي تَرْكَبُ البيضةَ دونَ قشرِها الأعلَى ، وقشرُها الأعلَى يقال له :" القَيْضُ " .

وقوله : " المَرَاجِيلُ " إنَّما حَدُّهُ " المَرَاجِلُ " ولكنْ لَمّا كانت الكسرةُ لازمةً أشبَعَها للضرورة ، كما قال :

. . . .   نفي الدراهيم تنقاد الصياريف[2]

وقد مَرَّ تفيسرُ هذا :

وقولُه :   وَرْدٌ وأَشْقَرُ ما يُؤنيه طابِخُهُ

يقولُ : ما تَغَير من اللحم قبل نُضْجِهِ .

وقوله " ما يُؤنيه طابِخُه " يقول : ما يُؤَخِّرُه ؛ لأنه لو آنَاهُ لأَنْضَجَه ، لأن معنى " آنَاهُ " بلَغ به إناه أي إدْراكَهُ ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إلى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إناهُ ﴾ وتقول " أَنى يَأْني إنىً " ، " وآن يِئِينُ مثلُه . وقولُه عزَّ وجلَّ : ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾ أي : قد بلَغَ إناهُ .

---

(١)الأبيات من البسيط ، له فى ديوانه صـ٧٣، وبلا نسبة فى الإنصاف (١/٢٩، ١٠٦) .

(٢)البيت للفرزدق بتمامه وقد تقدم

وقوله : ما غَيَّرَ الغَلْيُ منه فهو مأكولُ

يقول : نحنُ أصحابُ صَيْدٍ ، وهذا من فعلهم .

وقوله : " مُسَوَّمَةٍ " تكونُ على ضَرْبَيْن : أحدُهما : أن تكونَ مُعْلَمةً ، والثاني : أن تكونَ قد أُسِيمَتْ في المَرْعَى ، وهي هاهنا مُعْلَمَةٌ ، وقد مَضَى هذا التفسير .

وإنما أَخَذَ ما في هذه الأبيات من بيتِ امرئ القيسِ ، فإنه جَمَعَ ما في هذه الأبيات في بيتٍ واحدٍ ، مع فضلِ التقدُّمِ :

نَمُشُّ بأَعْرَافِ الجيادِ أَكُفَّنَا إذا نَحْنَ قُمْنَا عَنْ شِوَاءِ مُضَهَّبِ[1]

وهو الذي لم يُدْرِكْ ، و " نمشُّ " نَمْسَحُ ، ويقال للمِنْدِيل " المَشُوشُ " وكانت العربُ تَأْلَفُ الطِّيبَ ، وتَطَّرِحُ ذلك في حالتين : في الحرب والصَّيدِ ، قال النابغةُ :

سَهِكِينَ مِنْ صَدَأ الحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ تَحْتَ السَّنَوَّرِ جِنَّةُ البَقَّارِ[2]

وقال آخر :

وأَسْيافُكُمْ مِسْكٌ مَحَلُّ أَكُفِّكُمْ على أَنَّهَا رِيح الدِّمَاءِ تَضُوعُ[3]

معنى " تَضُوعُ " : تَفُوحُ .

* * *

---

(١)البيت من الطويل ، وهو له فى ديوانه صـ ٥١، ولسان العرب (١/٥٥٢) (ضهب) ،(٢/١٨٩) (مشث) ، (٦/٣٤٧) (مشش) ، مقاييس اللغة (٣/ ٣٧٤٩)، والتنبية والإيضاح (٢/٣٢٥) ، وكتاب العين (٦/٢٢٥) ، (٨/٢١٧) ، وجمهرة اللغة صـ١٤٠، ٣٥٦، وتاج العروس (٣/٢٥٧) (ضهب)، (٥/٣٥٥)،(مشث) (١٧/ ٣٨٤) (مشمس) ، (٢٣/١٤٠) (عرف) ، وبلا نسبة فى مجمل اللغة (٣/٢٩٢) .

(٢)البيت من الكامل وهو فى ديوانه صـ ٥٦،ولسان العرب (١٠/٤٤٥)(سهك)،وتهذيب اللغة (٦/٨) (١٢/ ٣٩٦)،وجمهرة اللغة صـ١١٨٩،١٣٣٢،ومقاييس اللغة (١/١٨)، (٣/١١٠)،وكتاب العين (٣/٣٧٣)،ومجمل اللغة (١/ ٢٨٣) ، وأساس البلاغة (سنر) ، وتاج العروس (سهك) وبلا نسبة فى لسان العرب (٤/٣٨١) (سنر) ، والمخصص (١١/٢٠٧) ، وتاج العروس (١٢/٩٤) (سنر).

(٣)البيت من الطويل ، وهو بلا نسبة فى مجمل اللغة (٣/٢٩٤)

ورُوِيَ عن ابنةِ هانئِ بنِ قَبيصَة أنَّه لما قُتِلَ عنها لَقِيطُ بنُ زُرَارَةَ بنِ عُدُسِ بن زيدِ بن عبد الله بن دَارِمِ بن مالكِ بن حنظلة فتزوَّجها رجلٌ من أهلها ، فكان لا يزَالُ يراها تَذْكُرُ لَقِيطًا ، فقال لها ذَات مَرَّةٍ : ما استحسنْتِ مِنْ لَقيطٍ ؟ فقالت : كُلُّ أُمُوره كانتْ حسنةً ، ولكنِّي أُحَدِّثُكَ : أنَّه خرجَ مرةً إلى الصيد وقد انْتَشَى ، فرجَعَ وبقميصه نَضْخٌ من دَمِ صَيْدِه ، والمِسْكُ يَضُوعُ من أَعْطافِه ،ورائحةُ الشَّراب مِنْ فِيهِ ، فَضَمَّني ضَمَّة، وشَمَّني شَمَّة ، فليتَني كنتُ مِتُّ ثَمَّة ! ! قال : ففعل زوجُها مثل ذلك ، ثمَّ ضَمَّها إليه، وقال : أينَ أنَا مِنْ لَقيطٍ ؟ فقالت : ماءٌ ولا كَصَدْءَاءَ [1]- مثلُ " حمراءَ " ووزنُها " فَعْلاءُ" وموضع اللام همزةٌ ؛ وهي بئر مُقَدَّمَةٌ واسمُها ما ذكرنا عن الأصمعِيِّ وأبي عبيدة، وكذلك سمعنا العربَ تقولهُ ، ومَنْ ثَقَّلَ فقد أخطأ ، ومثلُ ذلك : رجلٌ وَلاَ كمالِكٍ - يَعْنُونَ مالكَ بنَ نُوَيْرَةَ ومَرْعىً ولا كالسَّعْدانِ .

* * *

وحدثني عليُّ بن عبد الله عن ابن عائشةَ قال : كان ذو الإصبع العَدْوانيُّ رجلاً غيورًا ، وكانت له بناتٌ أربعٌ ، وكان لا يُزَوِّجُهُنَّ غَيْرَةً ، فاسْتَمَع عليهنّ يومًا ، وقد خَلَوْنَ يَتَحَدَّثْنَ ، فقالت قائلةٌ منهنَّ : لِتَقُلْ كلُّ واحدة منكنَّ ما في نفسِها ، ولْنَصْدُقْ جميعًا ، قال: فقالت كُبْرَاهُنَّ :

أَلا لَيْتَ زوْجِي مِنْ أُنَاسٍ ذَوِي غِنىً	حَدِيثُ الشَّبابِ طيِّبُ النَّشْرِ والذكر
لَصُوقٌ بأَكْبَادِ النِّساء كأنَّه	خَليفةُ جانٍ لا يُقِيمُ عَلَى هَجْرِ

فقُلْنَ لها : أنتِ تُريدينَ غَنِيًّا شابًّا . قال : وقالت الثانية :

أَلاَ لَيْتَهُ يُعْطَى الجمالَ بَدِيئةً [2]	له جَفْنةُ تَشْقَى بها النِّيبُ والجُزْرُ

---

(١) سبق المثل وتخريجه .

(٢) فى بعض النسخ : بديهة

أَلاَ لَيْتَـهُ يُعْطَـى الجمـالَ بَدِيئَـةً[1] له جَفْنَـةٌ تَشْقَى بهـا النِّيبُ والجُـزُرُ
له حَكَمـاتُ الدَّهْرِ مِنْ غيرِ كَبْرَةٍ تَشِينُ فَـلا فَـانٍ ولا ضَـرَعٌ غُمْـرُ

فَقُلْنَ لها : أنتِ تُريدين سَيِّدًا ! فقالت الثالثةُ :

أَلاَ هَـلْ تَرَاهَـا مَـرَّةً وَحَلِيلُهـا أَشَمُّ كَنَصْلِ السَّيْفِ عـين المُهَنَّـدِ
عَلِيمًـا بِـأَدْوَاءِ النِّسَـاءِ وَرَهْطُـهُ إذا ما انْتَمى مِنْ أهلِ بَيْتِي ومَحْتِدِي

فقلْنَ لها : أنتِ تُريدينَ ابْنَ عَمٍّ لك ، فقد عَرَفْتِهِ ! وقُلْنَ للصغرى : مـا تقولـين ؟ فقالتْ : لا أَقولُ شيئًا ، فَقُلْنَ : لا نَدَعُـكِ وذَاكِ ، إنَّـكِ اطَّلَعْتِ على أَسـرارِنَا وتَكْتُمِـينَ سِرَّكِ ! فقالت : زَوْجٌ من عُودٍ ، خَيْرٌ من قُعُودٍ !!

قال : فَخُطِبْنَ فَزَوَّجَهُنَّ جُمَعَ ، ثم أَمْهَلَهُنَّ حَوْلاً ، ثمَّ زارَ الكُـبْرَى ، فقـال لهـا : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ قالَتْ : خيرَ زَوْجٍ ، يُكْرِمُ أهلَـه ، ويَنْسَـى فَضْلَـهُ ، قـال لهـا : فَمَـا مَالُكُمْ ؟ قالت : الإبِلُ ، قال : وماهي ؟ قالتْ : نَأكُل لُحْمَانَهـا مُزَعًـا ، ونشـربُ أَلْبَانَهـا جُرَعًا ، وتَحْمِلُنا وضَعَفَتَنَا معًا ، فقال لها : زوجٌ كريـمٌ ، ومـالٌ عَمِيـمٌ ، ثـم زار الثَّانيـة ، فلقال لها : كيفَ رأيتِ زوجَك ؟ قالت : يُكْـرِمُ الحَلِيلَـةَ ، ويُقَـرِّبُ الوَسِـيلَةَ ، قـال : فمـا مَالُكُمْ ؟ قالت : البَقَرُ ، قال : وما هي ؟ قـالت : تَـأْلَفُ الفِنَـاءَ ، وتَمْـلأُ الإنـاءَ ، وتُـودِّكُ السِّقَاءَ ، وَنِسَاءٌ مَعَ نِسَاءٍ ، قال لها : رَضِيتِ وحَظِيتِ . ثم زارَ الثَّالثَة ، فقال لهـا : كيـفَ رأيت زوجَك ؟ فقالت : لا سَمْحٌ بَـذِرٌ ولا بَخِيـلٌ حَكِـرٌ ، قـال : فمـا مـالُكم ؟ قـالت : الْمِعْزَى ، قال : وما هي ؟ قالت : لو كُنَّـا نُوَلِّدُهـا فُطُمًـا ، ونَسْلَخُهَا أَدَمًـا ، لم نَبْـغِ بِهَـا نَعَمًا، فقال لها : جذوٌ مُغْنِيَةٌ . ثم زار الرَّابعةَ ، فقال لها: كيف رأيتِ زوجَكِ ؟ فقالت : شرُّ زَوْجٍ ، يُكرِمُ نفسَهُ ، ويُهينُ عِرْسَهُ ، قال لها : فما مَالُكُمْ ؟ قالت : شَرُّ مَالٍ : الضَّـأْنُ ! قال لها : وما هُنَّ ؟ قالت : جُوفٌ لا يَشْبَعْنَ ، وهِيمٌ لا يَنْقَعْنَ ، وصُمٌّ لا يَسْمَعْنَ ، وَأَمْرَ مُغْوِيَتِهِنَّ يَتْبَعْنَ ، فقال : " أَشْبَهَ امْرُؤٌ بعض بَزِّهِ " فَأَرْسَلَها مثلاً .

---

(١) في بعض النسخ : بديهة

قال عليٌّ بنُ عبد الله : قلتُ لابنِ عائشةَ : ما قولها : " وأَمْرَ مُغْوِيَتِهنَّ يَتْبَعْـنَ " ؟ فقال : أَمَا تَرَاهُنَّ يَمْرُرْنَ فتسقطُ الواحدة منهنَّ في ماءٍ أو وَحَلٍ أو ما أشبهَ ذلـك فَيَتْبَعْنَهـا إليه ! .

قولُ الثانية : له جَفنةٌ تَشْقَى بها النِّيبُ والجُزْرُ

فالنيبُ : جمع نَابٍ ، وهي المُسِنَّةُ ، وإنمـا قيـلَ لهـا " نَـابٌ " لطُـولِ نَابِهـا ؛ قـال أَوْسُ بنُ حَجَرٍ :

تُشَبَّهُ نَابًا وَهْـيَ فِي السِّـنِّ بَكْـرَةٌ[1] . . . .

وتقدير " نِيبٍ " من الفعل " فُعْلٌ " ، ولكنْ مـا كـانَ مـن ذواتِ اليـاء كُسِرَ لـه موضعُ الفاءِ من الفعلِ لِتَصِحَّ الياءُ ؛ لأن الياء إذا سَكَنَتْ وانضمَّ مـا قبلَهـا كـانت واوًا في الأصل ، نحو : " مُوقِنٍ ومُوسِرٍ " ، وإن فارَقَتْها الضمةُ عادتْ إلى أصلها ، نحو : " مَيَاسِيرُ " ، ومثلُ ذلك : " أبيض وبِيضٌ " ، وإنما " بِيضٌ " " فُعْلٌ " كـ" أحْمَـرَ وحُمْـر " و" أصْفَرَ وصُفْر " ، ولكن كُسِرتِ النونُ لتصحَّ الياءُ ، ولو كانت واوًا في الأصل لم تُغَيَّرْ ، نحو " أَسْوَدَ وسُودٍ " . وقوله " نَابٌ " تقديرها " فَعَلٌ " متحركةُ العين ، ولا تنقلبُ اليـاءُ ولا الواوُ أَلِفًا إلاَّ وَهُما في موضعِ حركةٍ وما قبلَهما مفتوحٌ ، نحـو : " بَـاعَ وقَـالَ ورَمَـى وغَزَا " ؛ لأن التقديرَ " فَعَلَ " ، ولو كان على " فَعْلٍ " لَصَحَّتِ الياءُ والواوُ ، كما تقـول : بَيْعٌ وقَوْلٌ ، و " فَعَلٌ " قد يَجمعونَه على " فُعْلٍ " كقولهم : أَسَدٌ وأُسْدٌ ، ووَثَنٌ ووُثْنٌ .

وقولها : " تَشْقَى بها النِّيبُ والجُزْرُ " فإنَّما عَطَفَت أحدَهما على الآخرِ ؛ لأنَّ من الإبل ما يكونُ جَزُورًا للنَّحْرِ لا غيرُ .

وأما قولُها : " وَلاَ ضَرَعٌ غُمْرُ " فالضَّرَعُ : الضعيفُ ، والغُمْرُ : الذي لم يُجَـرِّبِ الأمور[2] .

---

(١)البيت فى شرح الأنبارى على المفضليات ص ٤٧٩ .

وعجزة :

كميت عليها كبرة فهى شارفُ

(٢) " صبى غُمْرُ وغَمْرُ وغَمَرُ وغَمِرُ ومُغَمَّرُ : لم يجرِّب الأمور " اللسان : غمر .

ويُرْوَى : أنَّ الحجاجَ لَمّا وَرَدَ عليه ظَفَـرُ المُهَلَّـبِ بـن أبـي صُفْـرَةَ وَقَتْلُـهُ عبـدَ رَبِّـه الصغيرَ وهَرَبُ قَطَرِيٌّ عنـه تَمَثَّـلَ فقـال : لله دَرُّ المُهَلَّـبِ ، وا لله لَكَأَنَّـهُ مـا وَصَـفَ لَقِيـطٌ الإِياديُّ حيثُ يقولُ :

وَقَلِّـــدُوا أَمْرَكُـــمْ للهِ دَرُّكُـــمُ رَحْبَ الذِّرَاعِ بِأَمْرِ الحَرْبِ مُضْطَلِعَـا

لاَ مُتْرَفًـا إِنْ رَخَـاءُ العَيْـشِ سَـاعَدَهُ ولا إذا عَـضَّ مَكْـرُوهٌ بِـهِ خَشَـعَا

ما زال يَحْلُـبُ هـذا الدَّهْـرَ أَشْطُرَهُ يَكُـــونُ مُتبِعًـــا طَـــوْرًا ومُتَّبَعَـــا

حَتَّـى استَمَرَّتْ على شَـزْرٍ مَرِيرَتُـهُ مُـرَّ العَزِيمَـةِ لا رَتًّـا وَلاَ ضَرَعَـا[1]

فقام إليه رجلٌ فقال : أيُّها الأميرُ ! وا لله لَكَأَنِّي أسمعُ هـذا التمثيـل مِـنْ قَطَـرِيٍّ في المهلَّب ، فَسُرَّ الحجاجُ بذلك سرورًا تَبَيَّنَ في وجهِهِ .

وقولُها : كَنَصْلِ السَّيفِ عَيْنِ المُهَنَّدِ

فالمهنَّدُ : المنسوبُ إلى الهِنْدِ .

وقولها : " مِنْ أهلِ بيتِي ومَحْتِدِي " فالمحتِدُ : الأصلُ ، قال الشاعرُ :

وَفِي السِّـرِ مِـنْ قَحْطَـانَ أَوْلاَدُ حُـرَّةٍ عِظَامُ اللُّهَـا[2] بِيـضٌ كِـرامُ المَحَـاتِدِ

وقولُه : " مالٌ عميمٌ " يقولُ: جامِعٌ ، أَخَذَهُ مِنْ " عَمَّ يَعُمُّ " .

وقولُه : " جِذْوٌ مُغْنِيَةٌ " فالجِذْوُ : جمعُ " جَذْوةٍ " وهي القِطْعَـة ، وأصـلُ ذلـك في الخشبِ ما كانَ منهُ فيه نارٌ ، قال ا لله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾[3] وتجمعُ أيضًا " جُذًا " ، قال ابنُ مُقْبِلٍ :

---

(١) ديوانه ص ٤٧-٤٩ ، ورغبة الآمل ٥/٩٩-١٠٦

(٢) اللها " بالضم " العطايا الجزيلة واحدتها لهوة " بـالضم والفتـح" وهـى فـى الأصـل مـا تلقيـه مـن الحبوب فى فم الرحى لتطحنه وقد ألهبت له لهوة إذا أعطيت ـ رغبة الآمل ٥/١٠٧ .

(٣) سورة القصص : ٢٩ .وضبطت " جذوة " بالكسر والفتح والضم . وبكسر الجيم قرأ أبو عمـرو. وابن كثير ونافع والكسائى .

ويفتحها قرأ عاصم . ويضمها قرأ حمزة ، من السبعة . انظر السـبعة لابـن مجـاهد ٤٩٣ ، والكشـف لمكى ٢/ ١٧٣ .

بَاتَتْ حَوَاطِبُ سَلْمَى يَلْتَمِسْنَ لها جَزْلَ الجذَا غَيْرَ خَوَّارٍ وَلاَ دَعِرِ[1]

" الخَوَّارُ " : الضعيفُ ، و " الدَّعِرُ " : الكثير الثُّقَبِ ، يقالُ : عُودٌ دَعِرٌ .

وقولها : " جُوفٌ لا يَشْبَعْنَ " تقولُ " عِظَام الأجْوَافِ . و " هِيمٌ لا يَنْقَعْنَ " الهِيمُ " العِطَاشُ ، يكون الواحِدُ من هِيمٍ " أَهْيَمَ " ، ويقالُ في هذا المعنى " هَيْمَانُ " . وقال بعضُ المفسِّرينَ في قول ا لله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ ﴾[2] قال : هي الإِبلُ العِطَاشُ[3]، قال ذو الرُّمَّة :

فراحَتِ الحُقْبُ لم تَقْصَعْ صَرَائِرَهَا وَقَدْ نَشَحْنَ فلارِيٌّ وَلاَ هِيمُ

ويقال : " قَصَع صَارَّتَهُ " : إذا رَوِي ، والصَّارَّةُ : شِدَّةُ العَطَش . " والنُّشُوحُ " أن تَشْرَبَ دُونَ الرِّيِّ ، يقال : نَشَحَ يَنْشَحُ ، ومثلُه : " تَغَمَّرَ " : إذا لم يَرْوَ ، ويقالُ للقَدَحِ الصغير:الغُمَرُ مِنْ هذا . وقال بعضُ المفسِّرين : الهِيمُ : رِمَالٌ بعينها ، واحدتُها " هَيْماءُ " يافتى .

وقولُها : " لا يَنْقَعْنَ " : أي لا يَرْوَيْنَ ، يقال : ما نَقَعَتْ ماشيةُ بني فلانٍ بِرِيٍّ : إذا لم تَبْلُغْ من الماءِ حقَّها ، ويقال للماء " النَّقْعُ " ويقالُ " النَّقْعُ " في غير هذا الموضع لِلغُبَارِ ، يقال : أثارُوا النَّقْعَ بينهم ، و " النَّقْعُ " اسمُ موضع بعينه ، قال الشاعر :

لقد حَبَّبَتْ نُعْمٌ إلينا بوجهِهَا مَساكِنَ ما بَيْنَ الوَتَائِرِ والنَّقْعِ[4]

---

(١)البيت من البسيط ، وهو لابن مقبل فى ديوانه صـ ٩١ ، ولسان العرب ٢٨٦/٤(دعر) ، ١٣٩/١٤(جذا) ، وتهذيب اللغة ٢٠٣/٢، ١٦٧/١١ ومقاييس اللغة ٢/ ٢٨٣ ، والمخصص ٢٣/١١ ١٥٦/١٥،وتاج العروس ٢٩٤/١١ (دعر) ،(جزل)،(جذو) وأساس البلاغة (جذو) ، والكامل صـ٦٨٣ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ١٠٠/١ .

(٢) سورة الواقعة : ٥٥

(٣) قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والسدى وعكرمة وغيرهم . انظر تفسير ابن كثير ١٦/٨ ، وتفسير القرطبى ٢١٤/١٧ -٢١٥ ، وتفسير غريب القرآن ٤٥٠

(٤)البيت من الطويل ، وهو لعمر بن أبى ربيعة فى ديوانه صـ ١٨٢ وجمهرة اللغة صـ ٣٩٦، وتاج العروس ٣٤٤/١٤(وترا) ، وللعرجى فى ملحق ديوانه صـ ١٨٦ ، ومعجم ما استعجم صـ ١٣٢٢، وبلا نسبة فى لسان العرب ٥/ ٢٧٧(وتر) .

و " النَّقْعُ " الصُّرَاخُ ، قال لَبيدٌ :

فَمَتَــى يَنْقَــعْ صُــرَاخٌ صَــادِقٌ   يُحْلِبُــوهُ ذاتَ جَــرْسٍ وزَجَــلْ[1]

وقولُها :"وصُمٌّ لا يَسْمَعْنَ"طَرِيفٌ من كلام العرب ، وذلك أنَّه يقالُ لكلِّ صحيح البَصَرِ ولا يُعْمِلُ بَصَرَه : أعمى ، وإنما يُراد به أنَّه قد حَلَّ مَحَلَّ مَنْ لا يُبْصِرُ الْبَتَّةَ ، إذ لم يُعْمِلْ بَصَرَه ، وكذلك يقالُ للسميع الذي لا يَقْبَلُ : أَصَمُّ ، قال الله جل ذِكْرُه : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ [2] كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُها ﴾ [3] وكذلك : ﴿ إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ ﴾ [4]وقولُه عزَّ وجلَّ :﴿ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إلاَّ دُعاءً ونِدَاءً ﴾ [5] .

وتقول العربُ : أَبْلَدُ ما يُرْعَى الضَّأْنُ ، ويقالُ : أَحْمَقُ مِنْ رَاعِي ضَأْنٍ ثَمَانِينَ [6] .

وتحدَّثَ عمرُو بن بَحْرٍ قال : كان يقالُ : لا ينبغي لعاقلٍ أن يُشاوِرَ واحدًا من خمسةٍ : القَطَّانُ ، والغَزَّالُ ، والمُعَلِّمُ ، وراعِيَ ضأنٍ،ولا الرجلُ الكثيرُ المحادَثَةِ للنِّسَاء .

وقيلَ في مِثْلِ هذا : لا تَدَعْ أُمَّ صَبِيِّكَ تَضْرِبُهُ ، فإنَّه أعقلُ منها ، وإن كان طِفْلاً .

وقال الأحْنَفُ بن قَيْس : إنِّي لأُجالِسُ الأحمقَ السَّاعةَ فأتَبَيَّنُ ذلك في عَقْلِي .

---

(١)البيت من الرمل ، وهو للبيد فى ديوانه صـ ١٩١، ولسان العرب ٣٦٢/٨(نفع)، وتهذيب اللغة ٢٦٣/١، وجمهرة اللغة صـ ٩٤٣وديوان الأدب ٢١٥/٢، وكتاب العين ١٧٣/١ وتاج العروس ٢٧١/٢٢، ٢٨١ (نقع) ، وبلا نسبة فى مقاييس اللغة ٤٧٣/٥ .

(٢) سورة البقرة : ١٨ ، ١٧

(٣) سورة محمد : ٢٤

(٤) سورة النمل : ٨٠

(٥) سورة البقرة : ١٧١

(٦) انظر المثل " أحمق من راعى ضأن ثمانين " فى أمثال أبى عبيدة ٣٦ ، وجمهرة الأمثال ٣٩١/١، ومجمع الأمثال ٢٢٤/١، والمستقصى ٨٩/١ ، والحيوان ٤٨٨/٥ ، والبيان والتبيين ٢٤٨/١ ، واللسان (ثمن)

وقال جلَّ ثناؤه في صفةِ النِّساء: ﴿أَوَمَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وهُوَ فِي الخِصَامِ غيرُ مُبِينٍ﴾[1] .

* * *

وحُدِّثْتُ أنَّ عُمَرَ بنَ عبدِ ا لله بن أبي ربيعة أتَى المدينة فأقام بها،ففي ذلك يقولُ :

يا خَلِيلَيَّ قد مَلِلْتُ ثَوَائِي   بالمُصَلَّى وقَدْ شَنِئْتُ البَقِيعَا[2]

فلمّا أراد الشُّخُوصَ شَخَصَ معه الأحوصُ بنُ محمدٍ ، فلما نَزَلاَ وَدَّانَ[3] صار إليهما نُصَيْبُ ، فمضى الأحوصُ لبعض حاجته ، فرجع إلى صاحبيه ، فقال : إني رأيتُ كثيرًا بموضِع كذا ، فقال عمر: فابْعثوُا إليه ليصير إلينا ، فقال الأحوصُ: أَهُوَ يَصيرُ إليك ؟ هو وا للهِ أعْظَمُ كِبْرًا من ذلك ! قال : فإذَن نَصِيرُ إليه ، فصاروا إليه ، وهو جالسٌ على جلْدِ كبشٍ ، فوا لله ما رَفَعَ منهم أحدًا ولا القُرَشِيَّ ! ثم أقبل على القُرشيِّ ، فقال : يا أخا قُرَيْشٍ ، وا لله لقد قلتَ فأحسنتَ في كثيرٍ من شعرك ، ولكن خبِّرْني عن قولك :

قالتْ لها أُختُها تُعاتِبُها   لَتُفْسِدِنَّ الطَّوَافَ في عُمَرِ

قُومِي تَصَدَّيْ لَهُ لِيُبْصِرَنَا   ثم اغمِزِيهِ يا أُخْتِ في خَفَرِ

قالتْ لها قَدْ غَمَزْتُهُ فأَبَى   ثم اسْبَطَرَّتْ تَشْتَدُّ في أَثَرِي[4]

وا لله لو قد قلتَ هذا في هِرَّةِ أهلِكَ ما عَدَا ! أردت أن تَنْسِبَ بها فنَسَبْتَ بنفسكَ ، أهكذا يقالُ للمرأة ؟ ! إنما تَوصَفُ بالخَفَرِ ، وأنَّها مطلوبةٌ مُمْتَنِعةٌ ، هَلاَّ قُلْتَ كما قال هذا ـ وضَرَ بيده على كَتِفِ الأحْوَصِ :

---

(١) سورة الزخرف : ١٨. وينشأ بفتح الياء والتخفيف قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو بن عامر وعاصم فى رواية أبى بكر . وضبط فى نسخة " ينشأ" بضم الياء وفتح النون والتشديد وهى قراءة حمزة والكسائى و حفص عن عاصم .

(٢)البيت لعمر بن أبى ربيعة فى ديوانه صـ ٣٩٦

(٣) ودّان : قرية جامعة من نواحى الفرع بين مكة والمدينة . معجم البلدان ٥/٣٦٥

(٤)الأبيات فى ديوانه صـ ١٤٥

أَدُورُ وَلَـــوْلاَ أنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَـــرِ بِأَبْيَــاتِكُمْ مَــا دُرْتُ حيــثُ أَدُورُ
وما كنـتُ زَوَّارًا ولكـنَّ ذَا الهَــوَى إِذا لم يُــزَرْ لاَبُــدَ أَنْ سَــيزُورُ
لَقَـدْ مَنَعَـتْ مَعْرُوفَهــا أُمُّ جعفــرِ وإِنِّــي إلى مَعْرُوفِهــا لَفَقِــيرُ[1]

قال : فامتلأَ الأحوصُ سرورًا ، ثم أقبلَ عليـه فقـال : يـا أَحْـوَصُ ، خَبِّرْني عـن قولك :

فـإِنْ تَصِلِـي أَصِلْـكِ وإِنْ تَعُـودِي لِهَجْـرٍ بَعْـدَ وَصْلِـكِ لا أُبـالِي[2]

أَما وا لله لو كنتَ من فُحول الشعراء لَبالَيْتَ ! هلاَّ قلتَ كما قال هذا - وضَـرَبَ بيده على جنبِ نُصَيْب :

بِزَيْنَبَ أَلْمِمْ قَبْلَ أَنْ يَظْعَنَ الرَّكْـبُ وَقُلْ : إِنْ تَمَلِّينا فَمَا مَلَّكِ القَلْبُ[3]

قال: فانتَفَخ نُصَيْبٌ، ثم أقبلَ عليه فقال له:ولكنْ أخبرني عن قولك - يا أَسْوَدُ- :

أَهيـمُ بدَعْـدٍ مـا حَيِيـتُ فـإِنْ أَمُـتْ فَوَاحَزَنَـا مَـنْ ذَا يَهِيـمُ بِهـا بَعْـدِي

كأَنَّك اغْتَممْتَ أَلاّ يُفْعَل بها بَعْدَك - لاَبَكْنِي . فقال بعضُهم لبعض : قوموا فقـد اسْتَوَتِ القِرْفَةُ ، وهي لُعْبَةٌ على خُطُـوطٍ ، فاستواؤُها انقضاؤُهـا . [قـال أبـو الحسـن : " الطبْـنُ " هـي السُّـدَّرُ ، فـإذا زيـدَفي خُطوطِه سمَّتْـه العـربُ " القِرْفَـةَ " وتُسـمِّيه العامَّـة "السُّدَّرَ"].

* * *

---

(١)فى الأغانى ٢٤٤/٤.
وهو لعروة بن حزام (توفى نحو ٣٠ هـ / ٦٥٠م)

(٢)شعره ق ١/١٣٧ ص ١٨٦.

(٣) سلف البيت

قال:وحُدِّثْتُ أن كُثَيِّرًا دَخَل على عبد الملك بن مروان وعنده الأخطل فأنشده ، فالتفت عبدُ الملك إلى الأخطل ، فقال:كيف ترَى ؟ فقال : حجازيٌّ مُجَوَّعٌ مَقْرُورٌ ، دَعِنِي أَضْغَمْهُ يا أميرَ المؤمنين ! فقال كُثَيِّر : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال له : هذا الأخطلُ ، فقال له كُثَيِّر : مَهْلاً ! فهلاَّ ضَغَمْتَ الذي يقول :

لا تَطْلُبَنَّ خُئولةً في تَغْلِبٍ ... فالزِّنْجُ أَكْرَمُ منهم أَخْوالاَ

والتَّغْلَبِيُّ إذَا تَنَحْنَحَ لِلْقِرَى ... حَكَّ اسْتَهُ وتَمثَّلَ الأَمْثَالاَ[1]

فسكتَ الأخطلُ فما أجابه بحرفٍ .

قال أبو العباس : سمعتُ مَنْ يُنْشِدُ هذا الشعرَ :

والتَّغْلَبِيُّ إذا تُنُبِّحَ للقِرَى

وهو أبلغُ .

قال : وخُبِّرْتُ [2]أنَّ نُصَيْبًا نزلَ بامرأةٍ تُكْنَى أمَّ حَبِيبٍ ، من أهل مَلَلٍ ، وكانتْ تُضيفُ بذلك الموضِع وتَقْرِي ،ولا يزالُ الشريفُ قد نَزَلَ بها فأَفْضَلَ عليها الفضْلَ الكثيرَ، ولا يزالُ الشريفُ ممن لم يَحْلُلْ بها يَتناولُهَا بالبرِّ ، لِيعينَهَا عَلَى مُرُوَّتِها ، فنزلَ بها نُصَيْبٌ ومعه رجُلانِ من قريشٍ ، فلما أرادُوا الرِّحْلَةَ عنها وَصَلَها القُرَشِيَّان ، وكان نُصيبٌ لا مالَ معه في ذلك الوقت ، فقال لها : إنْ شئت فَلَكِ أنْ أُوَجِّهَ إليكِ بمثلِ ما أعطاك أحدُهما ، وإن شئتِ قلتُ فيك شعرًا ، فَغَزِلَتْ أمُّ حَبيبٍ فقالتْ : بل الشِّعْرَ ! فقال :

أَلاَ حَيِّ قبلَ الْبَيْنِ امَّ حَبيبِ ... وإنْ لم تكنْ مِنَّا غدًا بقَرِيبِ

وإنْ لم يَكُنْ أَنِّي أُحِبُّكِ صادقًا ... فما أحدٌ عندِي إذًا بِحَبِيبِ

تَهَامٍ أَصَابَتْ قَلْبَه مَلَلِيَّةٌ ... غَرِيبُ الهَوَى وَاهًا لكُلِّ غَرِيبِ

---

(١)

لا تطلبن خئولة فى تغلب ... فالزنج أكرم منهم أخوالا

البيت من الكامل ، وهو لجرير فى ديوانه صـ٦٥ ، ولسان العرب ٤١١/١١(خول) .

(٢) انظر الخبر والأبيات فى الأغانى ٣٤٦/١-٣٤٧ ، ومعجم البلدان ١٩٤/٥.

وحُدِّثْتُ أنَّ نُصيبًا أَتى عبدَ المِلكِ فأَنْشدَه،فاستَحسنَ عبدُ الملك شِعْرَه وسُرَّبه، فوصَلَـه، ثم دَعَا بالغَدَاء فَطَعِمَ معه ، فقال له عبد الملك : يا نُصيبُ : هـل لـكَ فيمـا يُتنـادَم عليـه؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، تأَمَّلْني ، قال : قد أَراكَ ! فقال : يا أَميرَ المؤمنين، جلْدِي أَسْـوَدُ، وخَلْقِي مُشَوَّهٌ ، ووَجْهي قبيحٌ، ولستُ في مَنْصِبٍ، وإنَّما بَلَغَ بـي مُجَالَسَـتَكَ ومُؤَاكَلَتَـكَ عَقْلِي ، وأنا أكرهُ ـ يا أَميرَ المؤمنين ـ أن أُدْخِلَ عليه ما يَنْقُصُهُ ! فأَعْجَبَه كَلاَمُه ، فأَعْفَاهُ.

وقال الوليدُ بنُ عبد الملك للحجاج ، في وَفْدَةٍ وفَدَهَا عليه ـ وقد أَكلاَ ـ : هـل لَـكَ في الشراب ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ليسَ بحرام ما أَحْلَلْتَهُ ،ولكِنِّي أمنعُ أهلَ عَمَلِي منـه، وأَكرهُ أنْ أُخالِفَ قولَ العبدِ الصَّالِح:﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَـالِفَكُمْ إِلَـى مَـا أَنْهـاكُمْ عَنْـهُ﴾[1] فأعفاهُ [2].

وقال مَسْلَمَةُ بنُ عبد الملك يومًا لنُصيبٍ : أَمَدَحْتَ فلانًا ، لِرَجُلٍ مِـنْ أهلِـه ؟ قـال: قد فعلتُ ، قال: أَوَ حرَمَك ؟ قال : قد فعلَ ، قال : فَهَلاَّ هَجَوْتَه ؟ قَال : لم أَفْعَلْ ،قـال: ولِمَ ؟ قال : لأنّي كنتُ أَحَقَّ بالهِجاء منه إذْ رَأَيْتُهُ موضِعًا لِمَدْحي! فـأُعْجِبَ بـه مسلمةُ، فقال : اسْأَلْنِي ، قال : لا أفعَلُ ! قالَ : ولِمَ ؟ فقال:لأنَّ كَفَّكَ بالعطيَّةِ أَجْوَدُ مِـن لسانِي بِالمسْأَلَةِ !! فوهَبَ له ألفَ دينارٍ .

وحُدِّثْتُ أنَّ الكُمَيْتَ بنَ زيدٍ أنشد نُصَيْبًا فاستَمَعَ له ، فكان فيما أنشدَه :

وقـد رأينـا بِهَـا حُـورًا مُنَعَّمَـةً ... بِيضًا تكامَلَ فيهَا الـدَّلُّ والشَّـنَبُ[3]

فَثَنَى نُصَيبٌ خِنْصَرَهُ ، فقال له الكُمَيْـتُ : مَـا تَصْنَـعُ ؟ قـال : أُحْصِـي خَطَـأَكَ ! تَبَاعَدْتَ في قولك : " تكامَلَ فيها الدَّلُّ والشَّنَبُ " هلاَّ قلتَ كما قال ذو الرمة :

لَمْيَـاءُ في شَـفَتَيْها حُـوَّةٌ لَعَـسٌ ... وَفِـي اللِّثَاثِ وَفِـي أَنْيَابِهَـا شَـنَبُ[4]

---

(١) سورة هود : ٨٨

(٢) لو صحت هذه القصة لكانت كفرًا من الوليد والحجاج ، والعياذ با لله ، ولسنا نظن بهمـا ذلـك . قاله الشيخ أحمد شاكر فيما علقه على الكامل صـ ٥٠٥ بتحقيقه وأغلب الظن لدى أن الشراب الذى دعا إليه عبد الملك الحجاج هو ذلك النبيذ الذى اختلف فيه الفقهـاء وكـان أهـل العـراق يرون حلـه ، وبعضهم يحرمه .

(٣) الخبر الأبيات فى الأغانى ٣٤٨/١ .

(٤) البيـت فـى الأغـانى ٣٣٣/١، قـال الشـيخ المرصفـى:(لميـاء) مـن اللمـى، وهـو سمـرة الشـفتين. و(الحوة) حمرة تضرب إلى سواد قليلاً ،و(اللعن) كذلك فهو بدل منها ،و(الشنب) برد الفم والأسنان

كَــأَنَّ الغُطَــامِطَ مِــنْ غَلْيِهــا　　أَرَاجِــيزُ أَسْــلَمَ تَهْجُــو غِفَــارَا[1]

فقال له نُصيبٌ : ما هَجَتْ أَسْلَمُ غِفَارًا قَطُّ : فاستحيَا الكُمَيتُ فسَكَتَ !

قال أبو العباس : والذي عابه نُصيبٌ من قوله : " تَكَـامَلَ فيهَـا الـدَّلُّ والشَّـنَبُ " قبيحٌ جِدًّا، وذلك أنَّ الكلامَ لم يَجْرِ على نَظْمٍ ، ولاَ وَقَعَ إلى جانب الكلمةِ ما يُشَاكِلُهَا ، وأوَّلُ ما يَحتاجُ إليه القولُ أن يُنْظَمَ على نَسَقٍ ، وأن يُوضَعَ على رسم المُشَاكَلَةِ .

وخُبِّرْتُ أنَّ عُمَرَ بنَ لَجَأ قال لابْنِ عمٍّ له : أنا أشْعَرُ منـك ، قـال لـه : وكيـف ؟ قال : لأنّي أقولُ البيتَ وأخاه ، وأنت تقولُ البيتَ وابنَ عمِّه !

وأنشد عَمْرُو بنُ بَحْرٍ :

وَشِعْرٍ كَبَعْــرِ الْكَبْــشِ فَــرَّقَ بينَــهُ　　لِسَـانُ دَعِيٍّ في القَرِيـضِ دَخِيــلِ[2]

وبَعْرُ الكبش يَقَعُ مُتَفَرِّقًا ؛ فمن ذلك قولُ ابنةِ الحُطَيْئة له ، لَمَّا نَزَلَ في بنـي كُلَيْـبِ ابن يَرْبُوعٍ : تَرَكْتَ الثَّروةَ والعَدَدَ ، ونزلت في بني كُلَيْبٍ بَعْرِ الكَبْشِ !

يقال " بَعْرٌ وبَعَرٌ " و " شَعْرٌ وشَعَرٌ " و " شَمْع وشَمَعٌ " ويقـالُ للصَّدْرِ " قَـصٌّ وقَصَصٌ " وكذلك " نَهْرٌ ونَهَرٌ " .

وزعم الأصمعي أنه سَأَلَ أعرابيًّا ، وهو بالموضع الذي ذكرهُ زُهَيْرٌ فقال :

ثُـمَّ اسْتَمَرُّوا وقَــالُوا إنَّ مَشْــرَبَكُمْ　　ماءٌ بِشَرْقِيِّ سَــلْمَى فَيْدُ أَوْرَكَـكُ[3]

قال الأصمعيُّ : فقلتُ لأعرابيٍّ : أتعـرفُ رَكَكًـا ؟ فقـال : لا ، ولكـنْ قـد كـان ههنا ماءٌ يُسمَّى رَكًّا .

---

(١)البيت فى الأغانى ٣٣٤/١. (الغطامط): اضطراب موج البحر ، يصـف قـدرًا فيه لحـم ؛ فشبه غليان القدروارتفاع اللحم فيه بالموج الذى يرتفع .

(٢)البيتان والتبين ٦٦/١ لأبى البيداء الرياحى

(٣)البيت لزهير بن أبـى سلمى فـى ديوانـه صــ ١٦٧، والعقـد الفريـد (٣٥٥/٥) ، ولسـان العـرب (٣٤١/٣) (فيـد) ،(٤٣٤/١٠) (ركـك) / وتـاج العـروس (٥١٥/٨) (فيـد) (ركـك) ، والمحتسـب (٨٧/١) ،(٢٧/٢) ، ومعجم البلدان (٦٤/٣) (ركك) ، والمصتف (٢٠/١) ، والمقـرب (١٥٦/٢) والممتع فى التصريف (٦٤٣/٢) .

فهذا ليستْ فيه لغتانِ ، ولكن الشاعر إذا احتاج إلى الحركة أَتْبَعَ الحرفَ المتحرِّكَ الذي يليه الساكنُ ما يشاكله ، فَحَرَّكَ الساكنَ بتلك الحركة ؛ قال عبدُ منافِ بن رِبْعٍ الهُذَلِيُّ (١):

إذا تَجَاوَبَ نَوْح قامَتَا معهُ ضَرْبًا أليمًا بِسِبْتٍ يَلْعَجُ الجِلِدَا(٢)

يريدُ " الجِلْدَ " فهذا مُطَّرِدٌ .

ومن مَذاهِبِهِم المطَّرِدَةِ في الشِّعر أنْ يُلْقُوا على السَّاكِنِ الذي يَسْكُنُ ما بَعدَه للتَّقييدِ حركَةَ الإعراب ، كما قال الراجزُ :

أنا ابنُ مَاوِيَّةَ إذْ جَدَّ النَّقُرْ(٣)

---

(١)البيت من البسيط، وهو له فى جمهرة اللغة صـ ٤٨٣، والدرر (٢٣٢/٦) ، وشرح أشعار الهذليين (٦٧٢/٢) ، ولسان العرب (٣٥٧/٢) (العج) (١٢٤/٣) (جلد) ، (١١/ ٤٣٠) (عجل) ، ونوادر أبى زيد (ص٣٠) ، وبلا نسبة فى الخصائص (٣٣٣/٢) ، والمصنف (٣٠٨/٢)

(٢)(ضرباً) يريد تضضربا ضربة

(السبت) بكسر فسكوت ، الجلد المدبوغ

وقد كانت نساء العرب فى مناحتهن يلطمن على خدودهن ، الجلود ، (يلعج) يحرق ، لعج الحب علبه : أحرقه (النوح) النساء يجتمعن للنوح ، والجمع أنواح .

(٣)الرجز لعبيد بن ماوية الطائى فى لسان العرب (٢٣١/٥) (نقر) وله أو لبعض السعديين أو لفدكى ابن عبد الله فى الدرر(٣٠٠/٦) وله أو لفدكى بن أعبد المنقرى أو لبعض السعديين فى المقاصد النحويه (٥٥٩/٤) ، ولبعض السعديين فى شرح شواهد الإيضاح صـ ٣٥٩ ، والكتاب (١٧٣/٤) ، والتنبيه والإيضاح (٢١٧/٢) وتاج العروس (٢٧٨/١٤) (نقر) ، وبلا نسبة فى لسان العرب(٨٩/٤) (بحر) ،(٦٣/١٠) ،(حلق) ، وأسرار العربية صـ ٤١٤ ، والإنصاف (٧٣٢/٢) ، وأوضح المسالك (٣٤٦/٤) ، وشرح التصريح (٣٤١/٢) ، ومغنى اللبيب (٤٣٤/٢) ، وهمع الهوامع (٢/ ٢٠٨،١٠٧) ، والمخصص (٨١/١) ، (٢٦١/١٢) ، وتهذيب اللغة (٢٠٢/٤) .

وبعده فى زيادات نسخة النقير [كذا والصواب النقر] صويت باللسان يسكن به الفرس إذا اضطرب بفارسه ، قال امرؤ القيس [ديوانه ص ٧٥، ويقال إن الكلمة لأبى [واد]

أخفضه بالنقر لما علوته ويرفع طرفًا غير جاف غضيض "

يريدُ " النَّقْرُ " يا فتى وهو : النَّقْرُ بالخيل ، فلما أَسْكَنَ الرَّاء أَلْقَى حركتَهَا على الساكنِ الذي قبلَها وشَبيهٌ بهذا قولُهُ :

عجِبْتُ والدَّهرُ كَثيرٌ عَجَبُهْ مِن عَنَزِيٍّ سبَّنِي لم أَضْرِبُهْ[1]

أرادَ : " لم أضرِبْهُ " يا فتى ، فلما أسكن الهاءَ أَلْقَى حركتَها على الباءِ ، وكان ذلك في الباءِ أحسنَ ، لخفاء الهاءِ . وقال أبو النَّجْمِ :

أَقولُ قَرِّبْ ذَا وهذا أَزْحلُهْ[2]

يريدُ " أَزْحِلْهُ " يا فتى . وقال طَرَفَةُ :

حَابِسِي رَبْعٌ وَقَفْتُ بِهِ لَوْ أُطِيعُ النَّفْسَ لم أَرِمُهْ[3]

و لم يَلْزَمْه رَدُّ الياء لَمّا تحركت الميمُ ، لأنَّ تحرُّكَهَا ليس لها على الحقيقة ، وإنما هي حركةُ الهاءِ .

وأما قولُ الشاعر :

حديثُ بَنِي بَدْرٍ إذا ما لَقِيتَهم كَنَزْوِ الدَّبى فى العَرْفَجِ المُتَقَارِبِ[4]

---

(١)الرجز لزياد الأعجم فى ديوانه صـ ٤٥، والدرر (٣٠٣/٦) ، وشرح شواهد الإيضاح صـ٣٨٦، وشرح شواهد الشافية صـ ٢٦١ ، والكتاب (١٨٠/٤) ، ولسان العرب (٥٥٤/١٢) (لمم) ، وتاج العروس (لوم) ، وبلا نسبة فى سر صناعة الإعراب (٣٨٩/١) ، وشرح الأشمونى (٧٥٣/٣)، وشرح شافية ابن الحاجب (٣٢٢/٢) ، وشرح عمدة الحافظ صـ ٩٧٤، وشرح المفصل (٧٠/٩) ، والمحتسب (١٩٦/١) ، وهمع الهوامع (٢٠٨/٢) .

ورواية البيت : يا عجب والدهر جم عجبيه.

(٢)الرجز لأبى النجم فى شرح المفصل (٧٢،٧١/٩) ، والكتاب (١٨٠/٤)، وتاج العروس (زحل) وروايته : فقربن هذا وهذا أزحله

(٣) ديوانه ق ٦/٣ص ٧٥. قال المرصفى :(لك أرمه) لم أبرحه ، و لم أفراقه يقال رام المكان يريمه ريما .

(٤)البيت بلا نسبة فى البيان التبيين ٣٩/١ (الدبى) صغار الجراد ، ونزوها وثوابها ، (والعرفج) نبت لا يطول . رغبة الآمل ١٢٤/٥ .

فليس كقوله " وشِعْرٍ كبَعْرِ الكَبْشِ " ولكنَّه وصفهم بضئُولةِ الأصواتِ وسُرعة الكلامِ وإدخال بعضِه في بعض .

والذي يُحمَدُ الجَهَارَةُ والفَخامة . وأُنْشِدْتُ لرجل قال يَمدحُ الرشيد :

جَهِيرُ الكلام جَهِيرُ العُطَاسِ   جَهِيرُ الرُّوَاءِ جَهِيرُ النَّغَمْ
ويَخْطُو على الأَيْنِ خَطْوَ الظَّلِيمِ   ويَعْلُو الرِّجالَ بخَلْقٍ عَمَمْ[1]

ويُرْوَى أنَّ الرشيدَ كان يَأْتزِرُ في الطَّوافِ فيُذَنِّبُ إزارهُ ويُبَاعدُ بين خُطاهُ ، فإذا رجع بيده كاد يُفْتِنُ مَنْ يراهُ ، فعند ذلك مُدِحَ بهذا الشِّعرِ .

ويُرْوَى أن عائشةَ رحمها الله نظرَتْ إلى رجل مُتماوِتٍ ، فقالت : ما هذا ؟ فقالوا : أحَدُ القُرَّاء ! فقالت : قد كان عمرُ بن الخطابِ قارئًا ، فكان إذا قال أسْمَعَ ، وإذا مشَى أسرعَ ، وإذا ضرب أَوْجَعَ !

ويُرْوَى أنّ عمرَ بنَ الخطاب رحمه الله نظر إلى رجل مُظْهِرٍ للنُّسْكِ مُتماوِتٍ ، فَخَفَقَهُ بالدِّرَّةِ ، وقال : لا تُمِتْ علينا دِينَنا ، أماتَكَ الله !

ويُرْوَى أن عبدَ الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس أتَتْهُ وُفودُ من الرُّوم ، وقام السِّماطَان[2] ، فأُتِيَ برجلٍ منهم ، وعَطَسَ أحَدُ مَنْ في السِّماطَيْنِ فأخْفَى عَطْسَتَهُ ، فقال له عبد الملك لمّا انقضَى أمر الوَفْدِ : هَلاَّ إذْ كنتَ لَئِيمَ العُطاسِ أتْبَعْتَ عَطْسَتَكَ صيحةً حتّى تَخْلَعَ بها قَلْبَ العِلْجِ !!

---

(١)البيتان من المتقارب وهما بلا نسبة فى أساس البلاغة (جهر).

بعده فى زيادات نسخ : "الرجل هو العمانى الشاعر . وقوله عمم أى جسيم والأين الإعياء . ويكون الأين الحية وهى الأيم ".

والعمانى هو محمد بن ذؤيب الفقيمى العمانى

(٢) (السماطان) : الصفان من الرجال

وكان العباسُ بنُ عبد المطلب ـ رحمه الله -أجهرَ النّاسِ صوْتًا ؛ ولذلك قال رسولُ الله ﷺ لّما انهزم الناسُ يومَ حُنَيْنٍ : " **يا عباسُ ! اصْرُخْ بالناس** "[(١)].

ويروى أنَّ غارة أَتَتْهُم يومًا ، فصاح العباسُ : يا صَبَاحَاهْ ! فأسْقَطَتِ الحواملُ لشدّةِ صوته .

وقد طُعِنَ في قول النّابغة الجَعْدِيِّ :

زَجْرَ أبي عُرْوَةَ السِّباعَ إذا ... أشْفَقَ أنْ يَخْتَلِطْنَ بالغَنَمِ[(٢)]

وذلك أنَّ الرواة احْتَمَلتْ هذا البيت على أنّه كان يزجُرُ الذّئاب ونحوَها ممّا يُغِيرُ على الغَنَم ، فَيَفتَقُ مَرَارَةَ السَّبعِ في جَوْفه . فقال مَنْ يَطْعُنُ في هذا : السَّبُعُ أشدُّ أَيْدًا من الغَنَمِ ، فإذا فعل ذلك بالسبَّعِ هَلكتِ الغنمُ قبلهَ . فقال مَنْ يحتجُّ له : إنَّ الغنمَ كانتْ قد أنِسَتْ بهذا منه ، والصوتُ الرَّائِعُ أُنْسٌ لِمَنْ أَنِسَ به ، كالرَّعْد القاصِفِ الذي لَوْلا خَشْيَةُ صاعقَتِه لم يُفزِعْ كبيرَ فَزَعٍ ، ولو جاء أقلُّ منه من جوفِ الأرض لَذَعَرَ ، ولم يَبْعُدْ أن يَقتُلَ إذا أتى مِنْ حيثُ لم يُعْتَدْ .

وجملةُ هذا البيتِ أنّه وَصَفَ شِدَّةَ صوتِ المذكورِ ، وتأويلهُ : أنّه من تَكاذِيبِ الأعْراب ! .

* * *

---

(١)الحديث أصله عند مسلم أخرجه فى صحيحه ضمن حديث طويل ، كتاب : "الجهاد والسير" من حديثه هو رضى الله عنه باب : غزوة حنين ،(٤/٠٠٤) ط. الشعب " وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال"...أى عباس ناد أصحاب السمرة ، فقال عباس "وكان رجلاً صيتاً "..الحديث .

(٢)البيت من المنسرح ، وهو فى ديوانه صـ ١٥٨ ، ولسان العرب (١٥/٥١)(عرا) وتهذيب اللغة (١٦٢/٣) . وورواية البيت (يلتبس) بدلا من (يختلطن)، بعده فى زيادات نسخة :" يروى : زجر أبى عروة ا لسباع ، بخفصه السباع كما قيل قيس الرقيات فصار على هذا يعرف بأبى عروة السباع مثل ذلك ".

وقبله فى زيادات نسخة :

وأزجر الكاشح العدو إذا أغـ ... تابك عندى زجراً على أضم

وحُدِّثْتُ أنَّ الحسنَ نظرَ إلى رجلٍ يجودُ بنفسِه ، فقال: إنَّ أمْرًا هذا آخِـرُهُ لَحَدِيـرٌ بأَنْ يُزْهَدَ في أَوَّلِه ، وإنَّ أمرًا هذا أوَّلُهُ لجديرٌ أنْ يُخَافَ آخِرُهُ .

وقيل لرجل من أشراف العجم في عِلّته الـتي مـاتَ فيهـا : مـا بـك ؟ قـال : فِكْـرٌ عَجيبٌ ، وحَسرةٌ طَويلةٌ ! فقيل : ممَّ ذَاكَ ؟ فقال:ما ظَنُّكُم بمَنْ يَقْطَعُ سَفَرًا قَفْرًا بلا زادٍ ، ويَسْكُنُ قَبْرًا مُوحِشًا بلا مُؤْنسٍ ، ويَقْدَمُ على حَكَمٍ عادلٍ بلا حُجَّةٍ ؟!

وقال بعض المُحْدَثِينَ ، وهو محمودٌ الورَّاقُ :

بِـأَيٍّ اعْتِـذارٍ أَمْ بأَيَّـةِ حُجَّـةٍ يقولُ الذي يَدْرِي مِنَ الأَمْـرِ لا أَدْرِي

إذا كـانَ وَجْـهُ العُـذْرِ ليـسَ بِبيِّـنٍ فـإنَّ اطِّرَاحَ العُـذْرِ خَيْرٌ مِـنَ العُـذْرِ

واعْتَذَر رجلٌ إلى سَلْم بن قُتَيْبَةَ من أمرٍ بلغه عنه ، فعذره ، ثم قال لـه : يـا هـذا ، لا يَحْمِلَنَّكَ الخُرُوجُ من أمرٍ تخلَّصْتَ منه على الدُّخولِ في أمرٍ لعلك لا تَخلَّصُ [(١)] منه .

وقيلَ لخالد بن صفوان : أيُّ إخوانك أَحَبُّ إليك ؟ فقـال : الـذي يَسُدُّ خَلَلِي ، ويَغْفِرُ زَلَلِي ، ويَقْبَل عِلَلِي .

وافتقد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب صديقًا له من مجلسه ، ثم جـاءه ، فقـال له : أين كانتْ غَيْبَتُك ؟فقال : خرجتُ إلى عُرْضٍ من أعْرَاض المدينة مع صديق لي ، فقال له : إنْ لم تجدْ من صُحبةِ الرِّجال بُدًّا ، فعليك بصحبة من إن صحِبْتَهُ زانك ، وإن خففـتَ له صانك ، وإن احتجتَ إليه مانَكَ[(٢)] ، وإن رأى منك خلَّـةً سـدَّها ، أو حسـنةً عَدَّهـا ، وإنْ وَعَـدكَ لم يُحْرِضْـكَ [(٣)]، وإن كَـثُرتَ عليـه لم يَرْفِضْـكَ ، وإنْ سـألته أعطــاك ، وإن أمسكْتَ عنه ابتَدَاكَ .

---

(١)تخلص : بحذف إحدى التاءين تخفيفا أى تتخلص ، كذا ورد فى بعض النسخ .

(٢)أى احتمل مئونتك

(٣)فى بعض النسخ " يحرضك " . ويجرضك بالجيم من الجمض وهو الريق ، يقال أجرضـه بريقه إذا أغصه ، وهو ههنا كناية عن تخييبه إياه .

أما بحرضك بالحاء فغسره الشيخ المرصفى أنه من أحرضه إذا أشفى منه على الموت يريـد لم يجتهـدك بكثرة خلف الوعد ؟ رغبة الآمل ١٢٨/٥

وامتدح نُصَيْبٌ عبد الله بن جعفر ، فأمر له بخيلٍ وإبلٍ وأثاثٍ ودنانير ودراهم ، فقال له رجلٌ:أَمِثلُ هذا الأسود يُعْطَى مثل هذا المال ؟ فقال له عبدُ الله بن جعفر:إنْ كان أسودَ فإنَّ شِعْرَه لأَبْيَضُ ، وإن ثناءَه لَعَرَبِيٌّ ، ولقد استحقَّ بما قال أكثر مما نال، وهل أعطيناهُ إلا ثيابًا تَبْلَى،ومالاً يَفْنَى، ومطايا تُنْضَى، وأعطانَا مدْحًا يُرْوَى ، وثناءً يَبْقَى؟! (١)

وقيل لعبد الله بن جعفر : إنك لتبذل الكثير إذا سُئِلْتَ، وتَضُيِّقُ في القليل إذا تُوجِرْتَ ! فقال !إني أَبْذُلُ مالِي ، وأَضَنُّ بعقلِي (٢) .

وقيل ليزيد بن معاوية : ما الجودُ ؟ فقال : إعطاءُ المال من لا تَعْرِفُ ، فإنه لا يصيرُ إليه حتَّى يتَخَطَّى مَنْ تَعرفُ .

وخُبِّرْتُ أن رجلاً من الأنصار قال لابن عبد الرحمن بن عَوْفٍ:ما تَرَكَ لك أبوكَ ؟ قال : ترك لي مالاً كثيرًا ، فقال : ألا أُعلِّمُك شيئًا هو خيرٌ لك مما تركَ لك أبوك ؟ إنَّه لا مالَ لعاجزٍ ، ولا ضَياعَ على حازمٍ ، والرَّقِيقُ جَمَالٌ ، وليس بمَالٍ ، فعليكَ من المالِ بما يَعُولُكَ ولا تَعُولُه .

وقال معاوية : الخَفْضُ والدَّعَةُ سَعَةُ المنزلِ وكثرةُ الخُدَّامِ .

وقيل لخُرَيْمٍ المرِّيِّ ـ وهو المُنَبَّزُ بخُرَيْمٍ النَّاعِمِ (٣)ـ : ما النِّعْمَةُ ؟ فقال : الأمنُ ، فإنَّه ليس لخائفٍ عيشٌ ، والغِنَى ، فإنَّه ليس لفقير عيشٌ ، والصِّحةُ ، فإنه ليس لسَقيمٍ عيشٌ ، قيلَ : ثُمَّ ماذا ؟ قال : لا مَزِيدَ بعدَ هذا .

وقال سَلْمُ بنُ قُتيبةَ : الشَّبَابُ الصحةُ ، والسُّلْطانُ الغني ، والمُرُوءَةُ الصَّبرُ على الرِّجالِ .

---

(١)فى كلام عبد الله بن جعفر من المقابلات ما يكشف عن استقلاله لما أعطى الشاعر

(٢)من المال الزائل مقابل الذكر والثناء الباقي .

يقال : ضننت أضن بالفتح هذه هى اللغة العالية ، ويجوز الكسر ، انظر اللسان (صنف) ..

(٣)قوله (المنبز بخريم الناعم) يعنى أنه لقب ينبزبه أى : يعاب به .

وقال المُهَلَّبُ بن أبي صُفْرَةَ : العَجَبُ لمن يَشتري المماليك بماله ، ولا يشتري الأحرار بمعروفِه ! وكان يقولُ لِبَنيهِ : إذا غَدًا عليكم الرجلُ وراح مُسَلِّمًا فكَفَى بذلك تَقَاضِيًا .

وقال خالدُ بنُ عبد الله القَسْريُّ: مَحْضُ الجودِ ما لم تَسْبِقْهُ مسأَلةٌ ، وما لم يَتْبَعْهُ مَنٌّ ، ولم يزْرِ بهِ قِصَرٌ ، ووافقَ موضعَ الحاجة .

وقال بعضُ المُحْدَثين ـ وهو الطَّائيُّ ـ :

أسَائِلَ نَصْرٍ لاتَسَلْهُ فإنَّه ... أَحَنُّ إلى الإرْفادِ منك إلى الرِّفْدِ [1]

وقال آخر ، وهو أبو العتاهيةِ :

لاَ تَسْأَلَنَّ المَرْءَ ذَاتَ يَدَيهِ ... فَلَيَحْقِرَنَّكَ مَنْ رَغِبْتَ إلَيْهِ
الْمَرْءُ ما لم تَرْزَهُ لك مُكْرِمٌ ... فإذَا رَزَأْتَ[2] المَرْءَ هُنْتَ عليهِ
وكما يكونُ لَدَيْكَ مَنْ عاشَرتَهُ ... فكَذَاكَ فارْضَ بِأَنْ تكونَ لَدَيهِ[3]

* * *

ودخل النَّخَّارُ العُذْرِيُّ [4] على معاوية في عَبَاءَةٍ ، فاحتقَرَه معاويةُ ، فرأى ذلك النَّخَّارُ في وَجْهِهِ ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، ليست العباءَةُ تُكَلِّمُكَ ، إنَّما يكلِّمك مَنْ فيها ! ثُمَّ تَكَلَّمَ فمَلأَ سَمْعَهُ ، ثم نَهَضَ ولم يَسْأَلْهُ ، فقال معاويةُ : ما رأيتُ رجلاً أحْقَرَ أَوَّلاً ولا أَجَلَّ آخِرًا منه !

---

(١)البيت فى ديوانه ٦٦/٢

(٢)الرزء: المصيبة ، ورزأته هنا أى : أخذت ماله ، جعله كالمصاب لعظم الأمر على المأخوذ منه .

(٣) لم أجد الأبيات فى ديوانه ، ولا فى تكملته . وانظر المستدرك على تكملة الديوان ص ٧١٠

(٤) النخار بالنون والخاء المعجمة المشددة والراء المهملة فى أخره ، وهو ابن أوس بن أبير ابن عمرو بن عبد الحارث بن عبد مناف بن الحارث بن سعد هذيم من قضاعة. والعذرى نسبة إلى عذرة بن سعد هذيم وكان بنو الحارث حلفاء بنى عذرة وهم بطن فيهم . وكان النخار أنسب العرب .
انظر جمهرة أنساب العرب ٤٤٧-٤٤٨، والإكمال ٣٣٣/٧.

ودخل محمدُ بن كعبٍ القُرظيُّ على سليمان بن عبد الملك في ثياب رثّةٍ ، فقال له سليمانُ : ما يحملُك على لُبسِ هذه ؟ فقال : أكْرَهُ أنْ أقولَ : الزُّهْدُ ، فأُطْرِي نفسِي ، أو أقولَ : الفقرُ ، فأَشْكُوَ رَبّي .

وحدثني التّوزّي قال : دخل سالمُ بنُ عبد الله بن عُمَرَ على هشام بن عبد الملك في ثيابٍ وعليه عمامةٌ تُخالِفُهَا ، فقال له هشام : كأنَّ العمامة ليست من الثياب ؟! فقال : إنها مُسْتَعارةٌ ! فقال له : كم سِنُّكَ ؟ قال : سِتُّون سنةً ، فقال : ما رأيتُ ابنَ ستينَ أَبْقَى كُدْنَةً منك [1]! ما طعامُك ؟ قال الخُبزُ والزّيتُ ، قال : أمَا تأْجَمُهُما[2] ؟ قال : إذا أجِمْتُهما تركتُهما حَتّى أشْتَهِيَهُما ، ثمَّ خرج من عنده وقد صُدِّعَ ، فقال : أَتَرَوْنَ الأحْوال لَقَعَنِي بعينه ؟ مات من تلك العِلّةِ[3] .

ونظر أعرابيٌّ إلى رجلٍ جَيِّدِ الكُدْنَةِ ، فقال: يا هذا : إنّي لأرى عليك قطيفةً مُحْكمةً من نَسْج أضْراسِك !

ودخل أبو الأسودِ الدُّؤَليُّ [4]على عُبيد الله بن زيادٍ في ثيابٍ رثّةً ، فكساه ثيابًا جيادًا ، فخرج وهو يقول :

كَسَاكَ ولم تَسْتَكْسِهِ فَشَكَرْتَهُ ... أخٌ لَكَ يُعْطِيكَ الجَزِيلَ ونَاصِرُ

---

(١)بعده فى زيادات نسخة :ط كدنة : قوة الجسم .قال ابن القفطية فى الأفعال كدن الشفة كدوناً : أسودت ، وأكدن البعير كثر لحمه وشحمه" .

قوله كدوناً لم أجده ، والفعل من باب فرح فمصدره مدنًا بالتحريك . والكدنه غلط الجسم وكثرة اللحم

(٢)أى تكرههما

(٣)بعده فى زيادات نسخة " قال ابن الأعرابى : لقع فلان فلاناً بعينه ، وزلفه وزلقه وأزلقه زشقذه لى أجدت فتصبيينى بالعين ، ورحل معين: إذا أصيب بالعين ، وشاه وشائه وشقذ وشقذان " .

(٤) بعده فى زيادات بعض النسخ :" اسم أبى الأسود الدؤلى ظالم بن عمرو بن سفيان وقيل ابن عمرو بن جندل ابن سفيان ، وأمه من بنى عبد الدار ، بصرى ثقة من أصحاب على من كتابه .

وإنَّ أَحَقَّ النَّـاسِ إنْ كنـتَ مَادِحــا   بمَدْحِكَ مَنْ أَعْطَاكَ والوَجْـهُ وَافِـرُ[1]

وحدثني الرِّياشِيُّ قال : دخل [2]أبو الأسود الدُّؤَلِيُّ على عُبَيْـدِ ا لله بـن زيـادٍ وقـد أَسَنَّ ، فقال له عُبَيْدُ ا لله يَهْزَأُ به : يا أبا الأسود ، إنـك لجميـلٌ ، فلـو تَعَلَّقْـتَ تَميمـةً تَـردُّ عنك بعض العُيونِ !فقال أبو الأسودِ :

أَفْنَى الشَّبَابَ الـذي أفنيـتُ جِدَّتَـهُ   كَـرُّ الجَدِيدَيْـنِ مِـن آتٍ ومُنطلِـقِ

لَـمْ يَتْرُكَـا لِـيَ في طُولِ اخْتِلافِهِمـا   شَـيْئًا أخـاف عليـه لَذْعَـةَ الحَـدَقِ

قوله"فلو تعلَّقْتَ تميمةً " هي : المَعَاذَةُ يُعَلِّقُها الرجلُ * ، قال ابنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ :

صَدَرُوا لَيْلَـةَ انْقَضَـى الحَـجُّ فِيهِـم   طَفْلَـــةٌ[3] زَانَهَـــا أَغـــرُّ وَسِـــيمُ

يَتقِّـــي أَهْلُهـــا العُيُـــونَ عليهـــا   فعلَـى جِيدِهـا الرُّقَـى وَالتَّمِيـــمُ[4]

وقال أبو ذُؤَيْبٍ:

---

(١)البيتـان مـن الطويـل لـه فـى ديوانـه صـ ١٦٦،٣٠٩ ، وإنبـاه الـرواة (٥٨/١) ، ودرة الغـواص صـ١٥٧، وحماسة البحترى صـ ١٤٩، وسمط اللآلى صـــ ١٦٦، وشـرح التصريـح (٣١٦/١) ، وبـلا نسبة فى شرح الأشمونى (٢٠٣/١) قال الشيخ المرصفى :" هذا مـن أبـى العبـاس أشبه بـالكذب مـن الصدق ؛ وذلك أن زيادًا وابنه عبيد كانا يكرهان أبا الأسود ويمنعانه خاصة لما يعلمانه مـن هـواه فـى علي وتشيعه له ..هذا وقد روى الأصبهانى فى أغانية بسنده عـن ابـن عبـاس قـال : كـان المنذر بـن الجارود العبدى صديقًا لأبى الأسود تعجبه مجالسته وحديثه ، وكانت لأبى الأسود ومقطعة من بـرود يكثر لبسها . فقال له المنذز :

أدمنت لبس هذه المقطعة ! فقال أبو الأسود : ربَّ محلول لا يستطاع فراقـه،فعلـم أنـه قـد احتـاج إلى كسوة ،فأهدى له ثيابًا فقال أبو الأسود : كساك و لم تستكسه ....البيتان " رغبة الآمـل ١٣٤/٥ وانظر الأغانى ٣٣١/١٢.

(٢) قال الشيخ المرصفى :" الذى حدث به الأخفش عن أبى عمر الجرمـى قـال : دخـل أبـو الأسـود على معاوية فقال له : لقد أصبحت جميلاً يا أبا الأسود فلو تعلقت تميمة تنفى عنك فقال أبـو الأسـود إلخ " رغبة الآمل ١٣٥/٥. وانظر الأغانى ٣٢٢/١٢.

* وفى الحديث :"من تعلق تميمة فلا أتم له" ، و"من تعلق تميمة فقد أشرك".

(٣)الطفل بالفتح : الرخص الناعم ، والجمع طفال وطفول، والأنثى طفلة ، ويقال : جاريـة طفلـة إذا كانت رخصة اللسان . (طفل)

(٤) ديوانه – ص١٩٥.

وإذا المَنِيَّــةُ أَنْشَــبَتْ أظفارَهَـــا   أَلْفَيْـتَ كُـلَّ تميمَــةٍ لاَ تنْفَـعُ[1]

وقوله " لَذْعَةُ الحَدَق " من قولك : " لَذَعَتْهُ النارُ " : إذا لَفَحَتْهُ ، ويقال : " لَـذَعَ فلانٌ فلانًا بأَدَبٍ " : إذا أَدَّبَهُ أَدَبًا يسيرًا ، كأَنَّهُ كالمقدار الذي وصفْنا من النَّار .

وقولُ ابنِ قيسِ الرُّقَيَّاتِ : " زَانَهَا أَغرُّ وسيم " فالأَغَرُّ : الأبيـض ، يعـني الوجه ، والوسيمُ : الجميلُ ، والمصدرُ " الوَسَامَةُ والوَسَامُ " .

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ ـ ذكرناهُ بقولِ أبي الأسود ـ:

قد كُنْـتُ أَرْتـاعُ للبَيْضـاءِ في حَلَـكٍ   فَصِـرْتُ أَرْتـاعُ لِلسَّـوْداءِ في يَقَـقِ

مَنْ لَمْ يَشِـبْ ليـس مِمْلاَقًا حَليلَتَـهُ   وصـاحبُ الشَّيْبِ لِلنِّسْوَانِ ذو مَلَـقِ

قـد كُنَّ يَفْرَقْـنَ مِنْـهُ[2] في شَـبِيبَتِهِ   فصـار يَفْـرَقُ مِمَّـنْ كـانَ ذا فَـرَقِ

إنَّ الخِضَـابَ لَتَدْليـسٌ يُغَـشُّ بِـهِ   كَالثَّوْبِ يُطْوَى لِتَدْلِيس على حَـرَقِ[3]

وشبيه بهذا المعنى قول أبي تمام :

طَـالَ إنْكَـارِيَ البَيَـاضَ وإنْ عُمـ   ـمِرْتُ شيئًا أَنْكَرْتُ لَوْنَ السَّـوَادِ[4]

وحدثني الزياديُّ قال : قيلَ لأعرابيٍّ : أَلاَ تَخْضِبُ بالوَسْمَةِ[5] ؟فقال: ولِـمَ ذاكَ ؟ فقيل : لِتَصْبُوَ إليكَ النساءُ ، فقال : أَمَّا نِسَاؤُنَا فما يَبْغِين بنا بَدَلاً وَأَمَّا غيرُهنَّ فَمَـا نَلْتَمِسُ صَبْوَتَه .

---

(١)البيت من الكامل له فى شرح أشعار الهذليين صـ٨، وتهذيب اللغة (١١/٣٨٠) ،(١٤،٢٦٠) ، وسمط اللآلى صـ٨٨٨، وآمالى القالى (٢/٢٥٥) ، وكتاب الصناعتين صـ٢٨٤، وللهذليـين فـى لسـان العرب (١٢/٧٠) (تمم) ، وبلا نسبة فى لسان العرب (١/٧٥٧) (نشب) ، وتاج العروس (٤/٢٦٨) (نشب) ، (تمم) ، والعقـد الفريـد (٥/٢٤) .والمفضليـات ق١٢٦/٩ ص ٤٢٢وهـو مـن الاستعارات الحسنة الذائعة .

(٢) (يفرقن منه) يفزعن ويرتعن من روعة جماله وروقة شبابه ا.هـ . رغبة الأمل (٥/١٣٦) .

(٣)والأبيات سبعة فى أمالى القالى ١/١١١ لخزاعى ، ونسـبها البحـترى فـى حماسـته ٢٦٦لثعلبـة بـن موسى ، أفدته عن حاشية محقق الأمالى .

(٤)البيت من الخفيف فى ديوانه صـ ٧٧ فى قصيدة يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبى دؤاد .

(٥)قال أبو حنيفة :" قد يخلط الوسمـة أيضـاً بالحنـاء فيكـن لـه شبابًا ومسـودًا ، والوسمـة العظلـم ... فيشبب ويطبخ ويشبب به الحناء وربما اختضب بالوسمة وحدها بعد الحناء ..." النبات ١٧٩-١٨٠ .

وقال العُتْبِيُّ :

وَقَائِلَةٍ تُبَيِّضُ وَالغَوَانِي ... نَوَافِرُ عَنْ مُعَالَجَةِ القَتِيرِ(١)

عَلَيْكَ الخِطْرَ(٢) عَلَّكَ أَنْ تَدَنَّى ... إِلَى بِيضٍ تَرَائِبُهُنَّ حُورِ

فَقُلْتُ لها المَشِيبُ نَذِيرُ عُمْرِي ... وَلَسْتُ مُسَوِّدًا وَجْهَ النَّذِيرِ(٣)

وقال آخرُ ، وهو أبو خالدٍ يزيدُ بن محمدٍ المهلبيُّ :

صَبَغْتُ الرَّأسَ خَتْلاً للغَوَانِي ... كَمَا غَطَّى على الرَّيْبِ المُرِيبُ

أُعَلِّلُ مَرَّةً وأُسَاءُ أُخْرَى ... ولا تُحْصَى مِنَ الكِبَرِ العُيُوبُ

أُسَوِّفُ تَوبَتِي خَمْسِينَ حَوْلاً ... وظَنِّي أَنَّ مِثْلَى لاَ يَتُوبُ

يُقَوِّمُ بالثِّقَافِ العُودُ لَدْنًا(٤) ... وَلاَ يَتَقَوَّمُ العُودُ الصَّلِيبُ

وقال مالكُ بنُ دِينَار :جاهِدُوا أهواءَكم كما تُجَاهِدُونَ أعداءَكم . وكان يقول: ما أشدَّ فِطَامَ الكَبيرِ ! .

وقال آخر :

دَعِي لَوْمِي ومَعْتَبَتِي أُمَامَا ... فَإنِّي لَمْ أُعَوَّدْ أَنْ أُلامَا

---

(١)يروى معالجة ، بكسر اللام ، فمن فتح اللام جعله مصدرًا ، ومن كسر اللام فهى الجماعة التى تعالج ذلك الشيء ". وأراد بالقتير الشيب ، وانظر اللسان (قتر) .

(٢)قال أبو حنيفة :" يشب الحناء بالخطر فيسود . أخبرنى بعض الأعراب أنه شبيه بالكتم ، قال : وكثيرًا ما ينبت معه وأخبرنى غيره أن نبات الخطر نبات الحبق كأنه هو . وقال البكرى : الخط الوسمة شئ واحد " النبات ١٨٠. الخطر (بكسر فسكون) واحدته خطرة وهو الوسمة أو نبات آخر يجعل ورقه فى الخضاب.

(٣) بهامش نسخة ما نصه: " قال قتادة فى قوله ﴿وجاءكم النذير﴾ [سورة فاطر] قال : الشيب ".

(٤) (ختلا) مصدر ختل الصائد الصيد إذا استترعه بشيء . ثم هل مثلاً لكل شيء ورى بغيره وستر على صاحبه و(الريب) الظنة والتهمة و(الثقاف) سلف أنه خشبة قوية قدر ذراع فى طرفها فرق يدخل فيه ما يراد تقديمه من رمح أو قوس . والعدد أثقفة والجمع ثقف " بضمتين "و (اللدن) اللين من كل شيء والجمع بدان وكدن ". بضم فسكون "

وقيل لأعرابيٌّ أَلاَ تُغَيِّرُ شيبَك بالخِضَابِ ؟ فقال : بَلَى ، ففعل ذلك مرةً ، ثم لم يُعاودْه ، فقيل له : لِمَ لم تُعاوِدِ الخِضابَ ؟ فقالَ : يا هَنَاه ! لقد شُدَّ لَحْيايَ فجعلتُ إِخَالُنِي مَيِّتًا !!

وقال بعض المُحْدَثِينَ ، وهو محمودٌ الورَّاق :

يَا خَاضِبَ الشَّيْبِ الذي ... في كُلِّ ثالثةٍ يَعُودُ
إنَّ النصُولَ [1] إذا بَدَا ... فكأنَّه شَيْبٌ جَدِيدُ
ولَه بدَيهةُ لَوْعَةٍ ... مَكْرُوهُهَا أبدًا عَتِيدُ
فَدَعِ المَشِيبَ لِمَا أَرَا ... دَ فَلَنْ يَعُودَ كَمَا تُرِيدُ

وقال [2] أيضًا :

أَلَيْسَ عَجيبًا بِأَنَّ الفَتَى ... يُصَابُ بِبَعْضِ الذي في يَدَيْه [3]
فَمِنْ بَيْنِ بَاكٍ لَه مُوجَعٍ ... وَبَيْنِ مُعَزٍّ مُغِذٍّ [4] إلَيْه
وَيَسْلُبُهُ الشَّيْبُ شَرْخَ الشَّبَابِ ... فَلَيْسَ يُعَزِّيهِ خَلْقٌ عَلَيْه [5]

وقال أيضًا :

يَا خَاضِبَ الشَّيْبَةِ نُحْ فَقْدَهَا ... فَإِنَّمَا تُدْرِجُهَا في كَفَنْ
أَمَا تَرَاهَا مُنْذُ عَايَنْتَهَا ... تَزِيدُ فِي الرَّأْسِ بِنَقْصِ البَدَنْ

وقال أيضًا :

---

(١)النصول مصدر نصلت اللحية إذا خرجت من الخضاب ، عن رغبة الآمل ١٣٨/٥ .

(٢)فى بعض النسخ : وقال محمود الوراق . والأبيات فى البيان والتبيين ١٩٧/٣-١٩٨، وأمالى القالى ١٠٨/١، وأمالى المرتضى ٦٠٨/١ وذكر أنها تروى لمحمد بن حازم الباهلى . والأول فى شرح أبيات مغنى اللبيب ٣٨٥/٢ .

(٣) ضبطت الأبيات بكسر حرف الروى " الهاء"، ويجوز قراءتها بكلا الوجهين الإسكان والكسر .

(٤)من الإغذاء وهو الإسراع . رغبة الآمل (١٣٨/٥)

(٥)الأبيات من المتقارب ، لمحمود الوراق فى البيان والتبيين (٣/ ١٩٧) ، وشرح شواهد المغنى (٣٣٨/١) ، وبلا نسبة فى شرح التصريح (٢٠١/١) ، ومغنى اللبيب (١١٠/١) .

اغْتَنِمْ غَفْلَةَ المَنِيَّةِ واعْلَمْ   أَنَّما الشَّيْبُ لِلْمَنِيَّةِ جِسْرُ
كم كَبِيرٍ يومَ القيامةِ يُقْصَى   وصَغِيرٍ لَه هُنَالِكَ قَدْرُ

[قال أبو الحسن : يقال " جِسْرٌ وجَسْرٌ " وهو مأخوذٌ من الناقة الكبيرة ، يقال لها " الجَسْرُ "][1] .

وقال أعرابي :

قالت سُلَيْمَى أنتَ شَيْخٌ أَنْزَعُ[2]   فقلتُ مَا ذَاكِ وَإِنِّي أَصْلَعُ
ثم حَسَرْتُ عَنْ صَفَاةٍ تَلْمَعُ   فَأَقْبَلَتْ قائِلَةً تَسْتَرْجِعُ[3]
مَا رأسُ ذَا إلاَّ جَبِينٌ أَجْمَعُ

وقال آخر ، وهو رُؤْبةُ:

قَدْ تَرَكَ الدَّهْرُ صَفَاتِي صَفْصَفَا[4]   فصارَ رأسِي جَبْهةً إلى القَفَا
كأنَّه قدْ كَانَ رَبْعًا فَعَفَا   يُمْسِي ويُضْحِي للمَنَايَا هَدَفَا[5]

وكان نَصْرُ بنُ حَجَّاجِ بن عِلاَطٍ السُّلَمِيُّ ثم البَهْزِيُّ جميلاً ، فعثرَ عليه عمر بنُ الخطاب رحمه الله في أمرٍ الله أعلم به ، فحلقَ رأسَه ، وكان عمرُ أصْلَعَ ، لم يَبْقَ من شَعْرِه إلاَّ حِفَافٌ ، كذلك قال الأصمعيُّ ، فقال نصرُ بنُ حجَّاجٍ :

لَضَنَّ ابنُ خطَّاب عليَّ بِجُمَّةٍ   إذا رُجِّلَتْ تَهْتَزُّ هَزَّ السَّلاَسِلِ
فَصَلَّعَ رَأْسًا لم يُصَلِّعْهُ رَبُّهُ   يَرِفُّ رَفِيفًا بَعْدَ أَسْوَدَ جَائِلِ[6]

---

(١)وقوله " يقال لها الجسر " قال المرصفى :" هذا غلط صوابه الجسرة ، فأما الجسر فهو الجمل القوى الجريء " رغبة الآمل ١٣٨/٥ .

(٢)من النزع بالتحريك وهو انحسار مقدم شعر الرأس من جانبى الجبهة . رغبة الآمل ١٣٩/٥ .

(٣) تسترجع أى تقول إنا لله وإنا إليه راجعون . رغبة الآمل ١٣٩/٥ .

(٤) على المثال "بالقاع الصفصف" وهو الأملس لانبات له . رغبة الآمل (١٣٩/٥) .

(٥)فى ديوانه صـ ١٧٩ .

(٦)جائل أى كثير لين .

لقد حَسَدَ الفُرْعَانَ[1] أَصْلَعُ لم يَكُنْ   إذا ما مَشَى بالفَرْعِ بالمُتَخَايِلِ[2]

قوله " بالفَرْعِ بالمتخايلِ " ليس أنَّهُ جَعلَ " بِالفَرْعِ " مِن صِلَةِ " المَتَخَايِل " فيكون معناه : بالذي يختالُ بالفرع ، فيكون قد قدمَ الصِّلة على الموصول ولكنه جعل قوله " بالفرع " تبيينًا ، فصار بمنزلة " بكَ " التي تَقَعُ بعدَ " مَرْحَبًا " للتبيين . وقد مَرَّ تفسيرُ هذا مستقصى في الكتاب المُقْتَضَبِ[3].

وقال آخر[4]:

تُغَطِّي نُمَيْرٌ بالعَمَائِمِ لُؤْمَهَا   وكيفَ يُغَطى اللُّؤْمَ طَيُّ العَمَائِمِ

فإنْ تَضْرِبُونا بالسِّياط فإنَّنَا   ضَرَبْنَاكُمْ بالمُرْهَفَاتِ الصَّوارِمِ

وإن تَحْلِقُوا مِنَّا الرُّؤوسَ فإنَّنا   حَلَقْنا رُءُوسًا باللَّهَا والغَلاصِمِ[5]

وإنْ تَمْنَعوا مِنَّا السِّلاحَ فعِنْدَنا   سِلاحٌ لنا لا يُشْتَرَى بالدَّراهِمِ

جَلامِيدُ[6] أَمْلاءُ الأَكُفِّ كأنَّها   رُؤُوسُ رِجالٍ حُلِّقَتْ بالمَواسِمِ[7]

* * *

---

(٦)جاثل أى كثير لين .

(١)الفرعان جمع أفراع وهو الوافى الشعر .

(٢)الأبيات من الطويل ، وانظر تاج العروس (٣٤٨/٢١) (صلع) .

(٣) انظر المقتضب ٢١٧/٣-٢٢٧ ، والكتاب ١٤٨/١-١٤٩-١٥٦-١٥٨ . وانظر ما سلف ص٥١-٥٢

(٤) هو نافع بن خليفة الغنوى كما فى ذيل الأمالى ١١٦.رواها القالى عن ابن أبى الأزهر عن المبرد .

(٥)(حلقنا) يريد أزلنا بالسيوف ،.و(اللها) بفتح اللام ويمد جمع (لهاة) عكدة اللسان،و(الغلاصيم) جمع الغلصمة وهى لحمة بين الرأس والعنق .

(٦)واحدها جلمود وهو شئ تأخذه بيدك يدق به النون ، لسان العرب (حلمد).

(٧)الأبيات من الطويل،وهى بلا نسبة فى خزانة الأدب،من بنى حنيفة فى أساس البلاغة (ملأ) والبيت الأخير لنافع بن خليفة الغنوى فى ذيل الأمالى صـ ١١٧،وبلا نسبة فى مقاييس اللغة (٥٠٧/١).

وكان يزيدُ بنُ الطَّثْرِيَّة غَزِلاً ، وكان أخوه ثَوْرٌ ذا مالٍ ، فكان يزيدُ يـأتي العَطَّـارَ فيقولُ ادْهُنِّي دَهْنةً بناقةٍ من إبلِ ثُورٍ فيفعلُ وكان ذا جُمَّـةٍ حَسَنَةٍ فإذا كَثُرَ عليه الدَّيْـنُ هربَ فَتَبَدَّى ، فإذا ذكرَ حُوشِيَّةَ - وهي امرأة ، كان يُشَبِّبُ بها[1] - قَدِمَ فـاقْتَطَعَ مـن إبـلِ أخيه ما يَقْضِي به دَيْنَه ، وفي ذلك يقول [2]:

قَضَـى غُرَمَـائِي حُـبُّ أَسمـاءَ بَعدَمَـا ... تَخَوَّنَنِـي ظُلْـمٌ لَهُـمْ وفُجـورُ

فذلـك دَأْبِي مـا حَيِيتُ ومـا مَشَـى ... لثَـوْرٍ علـى ظَهـرِ الفَـلاةِ بَعِـيرُ[3]

فاسْتَعْدى عليه ثورٌ السُّلْطانَ ، فأَمَرَ بحلْق رأسه ، فقال :

أَقُـولُ لِثَـوْرٍ وهـو يَحْلِـقُ لِمَّتِـي ... بعَقْفَـاءَ مَـرْدُودٌ عليهـا نِصَابُهَـا

تَرَفَّـقْ بهـا يـا ثَـوْرُ ليـس ثَوابُهَـا ... بهـذا ولكـنْ عنـدَ رَبِّـي ثَوَابُهَـا

أَلاَ رُبَّمـا يـا ثَـوْرُ فَـرَّقَ بينَهـا ... أنـامِلُ رَخْصـاتٌ حَدِيـثٌ خِضَابُهَـا

فيَهْلِكُ مِـدْرَى العَـاجِ فِي مُدْلَهِمَّـةٍ ... إذا لم تُفَرَّجْ مـات غَمًّـا صُؤَابُهـا

فجـاء بهـا ثَـوْرٌ تَـرِفُّ كأَنَّهَـا ... سلاسِـلُ بَـرْقٍ لِينُهـا وانْسِـكَابُهَا

ورُحْتُ بـرَأْسٍ كـالصُّخَيْرَةِ أَشْرَفَتْ ... عليهـا عُقَـابٌ ثـم طـارتْ عُقَابُهَـا

خُدَارِيَّـةٌ كالشَّـرْيَةِ الفَـرْدِ جَادَهَـا ... مِنَ الصَّيْفِ أَنـواءٌ مَطِيرٌ سَحَابُهَا[4]

* * *

(١)ليس فى الأصل فى زيادات بعض النسخ :" حوشية بنت أبى فديك بن قرة ، ولها مع يزيد حديث طريف ".

(٢)شعره ق١/٣١،٧ص٣٩-٤٠، والأغانى ١٦٨/٨، والوحشيات ٢٦٨

(٣)البيتان فى الأغانى (١٧٧/٨) مع اختلاف فى بعض الرواية .

(٤) ذيل الأمالى ٧٥، وانظر ذيل السمط ٣٨.

باب

قال رجلٌ من المتقدمين ، وهو قيسُ بنُ عاصمٍ المِنْقَرِيُّ :

أَيَابْنَــةَ عبــدِ اللهِ وابْنَــةَ مــالكٍ ... ويابْنَـةَ ذِي الجَدَّيــنِ والفَـرَسِ الـوَرْدِ

إذا مـا صَنَعْـتِ الزَّادِ فالتَمِسِـي لَـهُ ... أَكِيـلاً فـإنِّي لَسْـتُ آكِلَـهُ وَحْـدِي

قَصِيًّــا كَرِيمًــا أو قَرِيبًــا فــإنني ... أَخَافُ مَذَمَّـاتِ الأَحَـادِيثِ مِن بَعْـدِي

وإنِّـي لَعَبْـدُ الضَّيْـفِ مـا دامَ نـازِلاً ... وما مِنْ خِلاَلِي[1] غيرَها شِيمَةُ العَبْدِ[2]

" غيرَها " استثناءٌ مقدَّم ، وقد مضى تفسير هذا .

وقوله " قَصِيًّا كريمًا ": من طريف المَعاني ، وذلك أنَّه لم يَحْتَجْ إلى أنْ يَشْتَرِط في نِسْبته الكِرَامَ ، لأنَّه قد ضَمِنَ ذلك ، واشترط في القَصِي أن يكونَ كريمًا ، لأنه كَرِه أن يكونَ مُؤَاكِلُهُ غيرَ كَرِيمٍ .

وهذا ليس من الباب الذي ذكره جريرٌ ، حيثُ يقولُ :

ضَيْفُكُــمُ جَـائِعٌ إنْ لم يَبِــتْ غَـزِلاً ... وجـارُكُمْ يَـا بَنِـي هِــزَّانَ مَسْـرُوقُ

رأيــتُ هِــزَّانَ في أَخْـرَاحِ نِسْـوَتِها ... رُحْــبٌ وهِــزَّانُ في أَفْعَالِهـا ضِيــقُ

وقال آخرُ من المُحْدَثِينَ ، وهي يحيى بنُ نَوْفَلٍ ، أنشدَه دِعْبِلٌ :

كُنْـتُ ضَيْفًـا بِبَرْمَنَــا يــا لِعَبْـدِ الْــ ... ــهِ والضَّيْـــفُ حَقُّــهُ معلــومُ

فــانْبَرَى يَمْـــدَحُ الصِّيـــامَ إلى أَنْ ... صُمْـتُ يومًـا مـا كُنْـتُ فيـه أَصُـومُ

---

(١) فى قوله : وما من خلالى ..إلخ احتراس حسن عن اتصافه بشيء من صفات العبد غير ما ذكر.

(٢)الأبيات من الطويل وهى بلا نسبة فى البيان والتبيين ٣/٣٠٩ -٣١٠ ، وعيـون الأخبـار ٣/٢٦٣/ وديوان الحماسة بشرح المرزوقى ١٦٦٨ . ونسبت لقيـس بـن عـاصم فـى الأغـانى ١٤ /٧١-٧٢ ، ولحاتم الطائى فى ديوان الحماسة بشرح التبريزى ٤/١٠٠-١٠١ ، وله أو لقيس فى الحماســة البصريـة ٢/٢٣٨ ، ونسبت إلى أبى الجواس الحارثى وإلى عـروة بـن الـورد . انظـر شـرح أبيـات مغنـى اللبيـب ٤/٣١٣-٣١٥ وقد تقصى البغدادى الكلام على قائلها وشرحها فى حاشية على شرح بانت سعاد ص ١٢٤-١٣٢.

ثـم أَنْشَـا يَسْـتَامُ بِرْذَوْنِـيَ الـوَرْ   دَ مُلِحًّـا كمَـا يُلِـحُّ الغَرِيـمُ

[قال الأخفش : يُرْوى " بِرْذَوْنِيَ الزَّرْدَ " وهو الأصفرُ] .

ولَعَمْـرِي إنَّ ابـن عُتْبَـةَ إذْ يَسْـ   ـتَـامُ بِـبِـرْذَوْنَ ضَيفِـه لَلَئِيـمِ

وقال رجلٌ لابنِ دَغْلَجٍ ، وكان ابنُ دَغْلَجٍ يتولَّى بني تميمٍ، أنشدنيه السجستاني :

إذا جئـتَ الأَمـيرَ فقـلْ سَـلامٌ   عليـكَ ورَحْمَـةُ الـرَّبِّ الرَّحِيـمِ

وأَمَّـا بَعْـدَ ذاكَ فلِـي غَرِيـمٌ   مِـنَ الأَعْـراب قُبِّـحَ مِـن غَرِيـمِ

لَـزُومٌ مـا عَلِمْـتُ بِبـابِ داري   لُـزُومَ الكَهْـفِ أصحـابُ الرَّقِيـمِ

لَـهُ مِائـةُ علـيَّ ونصـفُ أُخْـرَى   ونِصْـفُ النِّصْـفِ في صَـكٍّ قَديـمِ

دَرَاهِـمُ مـا انْتَفَعْـتُ بهـا ولكـنْ   حَبَـوْتُ بهـا شُـيوخَ بـني تَميـمِ[1]

[زاد أبو الحسن :

أَتَوْنِـي بالعَشـيرةِ يَسْـأَلُونِي   ولم أَكُ في العَشـيرةِ بـالمُلِيمِ[2]

قال أبو الحسن : لم يعْرِفُ أبو العباس هذا البيت الأخير ، وهو صحيحٌ] .

ويُرْوَى أنَّ قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن مِنْقَرٍ أَجَارَ خَمَّارًا فشَرِبَ شَرَابَه ، وأخذَ متاعَه ، ثم أَوْثَقه ، فقال : افْدِ نَفْسَكَ ! وقال في ذلك :

وتَـاجِرٍ فَـاجِرٍ جـاءَ الإلـهُ بِـهِ   كـأنَّ عُثْنُونَـهُ أَذْنَـابُ أَجْمَـالِ

وقال النِّمِرُ بنُ تَوْلَبٍ [3]:

إذا كُنْـتَ في سَـعْدٍ وأُمُّـكَ مِنْهـمُ   غَرِيبا فـلا يَغْرُرْكَ خـالُكَ مِنْ سَعْدِ

فإنَّ ابنَ أُخْتِ القَوْمِ مُصْغًى إنَـاؤُهُ[4]   إذا لم يُزَاحِـمْ خالَـهُ بـأبٍ جلْـدِ[5]

---

(١)الأبيات لأبى لامة فى الأغانى (٣٠٩_ ٣١٠) وفى روايته بعض النسخ خلاف .

(٢)الموضع السابق وفى روايته (اللئيم) بدلا من (المليم)

(٣)شعره – ص١٢٥.

(٤)(مصغى إناؤه) ممال من أصغى الإناء أماله إلى جنبه ليجتمع مافيه . ضرب ذلك مثلا لهضم حقه . رغبة الأمل (٥/ ١٤٧-١٤٨)

(٥)البيتان من الطويل لـه ان ملحق ديوانـه صـ ٣٩٧ ، ولسـان العـرب (٦/٦٠١) (ليـس) ، (٤٦١/١٤) (صغا) ، والحماسة البصرية (٢٨٨/٢) ، والحيوان (١٣٧/٣) ، وتاج العروس (صغا)،

واسْتَعْمَلَ رسولُ اللهِ ﷺ قَيْسَ بنَ عاصمٍ على صدقاتِ بني سعدٍ ، فتُوفِّي رسولُ الله ﷺ ، فَقَسَمَها قيسٌ بعدُ في بَنِي مِنْقَرٍ ، وقال :

مَـنْ مُبْلِـغٌ عَنِّـي قُرَيْشًـا رسـالةً إذا مَـا أَتَتْهَـا مُحْكَمَـاتُ الوَدائـعِ

حَبَـوْتُ بمـا صَدَّقْـتُ في العـامِ مِنْقَـرًا وأيْأَسْتُ منها كُلَّ أَطْلَـسَ طـامِعِ[1]

* * *

وجاور عُرْوَةُ بنُ مُرَّةَ أخو أَبي خِراشٍ الهُذَلِيِّ ثُمالَةَ من الأَزْدِ ، فجلس يومًا بِفِناء بيته آمِنًا لايخافُ شيئًا ، فاسْتَدْبَرَه رجلٌ منهم بسهم ، فقَصَم صُلْبَهُ ، فَفي ذلك يقول أبو خِرَاشٍ :

قَبَّـحَ [2]الإلـهُ وُجُـوهَ قـومٍ رُضَّـعٍ غَـدَرُوا بعُـرْوَةَ مـن بـني بَـلاَّلِ[3]

قال أبو العباس : أُسِرَ ابنُ أبـي خِـراشٍ ، وهـو خِـراشُ بـنُ أبي خِـرَاشٍ ، أَسَـرَتْهُ ثُمالَةُ[4] ، فكان فيهم مُقيمًا ، فدعا آسِرُهُ يومًا رجلاً منهم للمُنادَمَةِ ، فرأى ابنَ أَبي خِرَاش

وجمهرة الأمثال (٢/٨٦)، والدرة الفاخرة (١/٣٢٤) ، والمستقصى (١/٢٦٠) ، ومجمع الأمثال (٢/٦٥) .

ولغسان بن يعلة فى لسان العرب (٤/٤٠٨) (شطر) وتاج العروس (١٢/١٧٢) (شطر) ، والتنبيه والإيضاح (٢/١٤١) ،ولضمرة بن ضمرة فى تاج العروس (١٦/٤٦٣) (قطن) .

وبلا نسبة فى المخصص (١٣/١٦١) ، وأساس البلاغة صـ٣٥٤(صغو) ، وتهذيب اللغة (٨/١٥٩).

(١)تقدم تخريج البيتين.

(٢)قال محقق (س) كذا فى ف وس ود وى - وكذا هى فى الموضع الأتى فى جميع النسخ _ وفى سائر النسخ ها هنا " لعن " كما فى التنبيهات ١٤١.

(٣)البيت من الكامل له فى زياد شرح أشعار الهذليين صـ١٣٤٣، وتاج العروس (بلل) .

ورواية البيت :

لعن الإله ، ولا أماشى معشراً

(٤)قال على بن حمزة فى التنبيهات١٤١-١٤٥عقب حكايته قول المبرد " وجاور عروة .. ثمالة ". فذكر خبراً له يروى عن أبى عبيدة . وليس يثبت عند أهل العلم ، والذى عليه أكثر الرواة أن بنى رزام وبنى بلال وهما بطنان من ثمالة أسروا عروة وخراشًا فنهى بنو رزام قتلهما ، وأبى بنو بلال إلا=

مُوثَقًا في القِدِّ ، فأَمْهَلَ حتى قامَ الآسِرُ لحاجةٍ ، فقال المَدْعُوُّ لابن أبي خِراش :مَنْ أنتَ ؟ قال : أنا ابنُ أبي خِرَاشٍ ، فقال : كيف دِلِّيلاكَ [1]؟ قال: قَطَاةٌ ، قال : فَقُمْ فاجْلِسْ وَرَائي ،وأَلْقَى عليه رِداءَهُ ، ورَجَعَ صاحبُهُ ، فلمَّا رَأى ذلك أصْلَتَ له السَّيْفَ ، وقال: أَسِيري ! فَنَثَر المُجيرُ كنانته ، وقال : وا لله لأَرْمِيَنَّكَ إنْ رُمْتَه ، فإنِّي قد أجَرْتُه ! فَخَلَّى عنه، فجاء إلى أبيه ، فقال له : مَنْ أجارَكَ ؟ فقال : وا لله ما أَعْرِفُهُ ، فقال أبو خِرَاشٍ ـ وتزعم الرواة أنَّها لا تَعْرِفُ أحدًا مَدَحَ مَنْ لا يَعْرِفُ غيرَ أبي خِراشٍ ـ :

حَمِدْتُ إلهي بعدَ عُرْوَةَ إذْ نَجَا ... خِراشٌ وبَعْضُ الشرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ [2]

فوا لله لا أَنسَى قَتيلاً رُزِئْتُهُ ... بجانِبِ قُوْسَى ما مَشَيْتُ على الأرضِ [3]

بَلَى إنَّها تَعْفُو الكُلومُ وإنَّما ... نُوَكَّلُ بالأَدْنَى وإنْ جَلَّ ما يَمْضِي

ولم أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عليه رِدَاءَهُ ... عَلَى أنه قد سُلَّ عن مَاجِدٍ مَحْضِ

كأَنَّهُمُ يَسْعَوْنَ في إثْرِ طائرٍ ... خَفِيف المُشَاش [4] عَظْمُهُ غَيْرُ ذِي نَحْضِ

=قتلهما ، حتى كاد يقع بينهم [شر]، ثم إن القوم شغلوا بقتل عروة ، وألقى رجل ثوبه على خراش وقال له انج ، وطلبه القوم فأعجزهم .

وإنما عدل أبو العباس إلى أضعف الروايات وآثر إيرادها وألزم ثمالة الغدر لعلة قد سبقنا إلى التنبيه عليها حكاها هو ورواها لنا عنه جماعة منهم أبو محمد بن درستويه وأبو بكر بن أبى الأزهر ، وقد ساقها ابن أبى الأزهر فى أخبار ظرفاء المجانين فقال – فساق عنه خبر ما كان بين أبى العباس وأحد المجانين فى المخيس ثم قال _ فهجاء أبى العباس ثمالة على لسان عبد الصمد ونسب ثمالة بالغدر متفقان فى المعنى وقد وضحت علة ذلك للمجانين ، والعقلاء بمعرفتها أولى " اهـ .

(١)يسأله عن هدايته إلى الطريق . رغبة الآمل ١٤٩/٥ .

(٢)الأبيات فى ديوان الهذليين ١٥٧/٢-١٥٩

(٣)قال محقق (س) :" رزيته " على التسهيل . وضبط " قوسى" فى ى بفتح القاف وضمها مع إسكان الواو ، واقتصر ياقوت على الفتح وحكاه البكرى بالفتح والضم .انظر معجم البلدان ٤١٣/٤، ومعجم ما استعجم ١١٠٢، وسمط اللآلى ٦٠١ ، والخزانة ٤٦٠/٢ .

(٤)(المشاش) بضم الميم رءوس العظام اللينة واحدتة مشاشة .

يُبَادِرُ جُنْحَ اللَّيْلِ فهو مُهَابِذٌ يَحُثُّ الجَنَاحَ بالتَّبَسُّطِ والقَبْضِ[١]

قوله : قَبحَ الإلهُ وُجوهَ قومٍ رُضَّعٍ

فهو جماعةُ " راضعٌ " . وقومٌ يقولون : هو توكيدٌ لِلَئيمِ ، كما يقولون : جائعٌ نائِعٌ ، وحَسَنٌ بَسَنٌ ، وعَطْشَانُ نَطْشَانُ ، وأجمعُ أكْتَعُ . وقومٌ يقولون : الراضعُ : هو الذي يَرْتَضِعُ من الضَّرْعِ لئلاّ يَسْمعَ الضَّيفُ والجارُ صوتَ الحلَبِ فَيَطْلُبَ منه ، وتصديقُ ذلك ما أنشدَناه أبو عثمان عمرو بن بحرٍ لرجلٍ من الأعراب يَنْسُبُ ابنَ عَمٍّ له إلى اللُّؤمِ والتَّوَحُّش :

أحَبُّ شيءٍ إليه أنْ يَكُونَ لَهُ حُلْقُومُ وَادٍ لَه في جَوْفِه غارُ

لا تَعْرفُ الرِّيحُ مُمْسَاهُ ومُصْبَحَهُ ولا يُشَبُّ إذا أَمْسَى لَه نارُ

لا يَحْلُبُ الضَّرْعَ لُؤمًا في الإناءِ ولا يُرَى له في نَواحي الصَّحْنِ آثارُ

وقوله : " كيفَ دلِّيلاكَ " ، فهي كثرةُ الدِّلالة . و " الفِعِّيلَى " إنما تُستعملُ في الكثرة ، يقالُ " القِتِّيتَى " لكثرة النَّميمة ، و " الهجِّيرَى " لكثرة الكلمة المتردِّدة على لسانِ الرَّجلِ ، يقالُ : ذِكْرُكَ هِجِّيرَايَ ، أي : هو الذي يَجْري على لساني . وفي الحديث : كان هِجِّيري أبي بكر رحمه الله " لا إله إلاّ الله " [٢]، ويقال : كان بينهم رِمِّيًا : لكثرة الرَّمْيِ ، وكذلك كلُّ ما أشبَه هذا [٣].

---

(١)الأبيات من الطويل له فى شرح أشعار الهذليين (١٢٣٠/٣) وانظر آمالى المرتضى (١٩٨/١) ، وخزانة الأدب (٤٠٦/٥، ٤١٣، ٤١٤) ، وسمط اللآلى صـ ٦٠١ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى صـ ٧٨٠ ، وشرح شواهد المغنى (٤٢١/١) ، والشعر والشعراء (٢/ ٦٦٨) ، ومعجم ما استعجم صـ ١١٠٢، وللهذلى فى المحتسب (٢٠٩/٢) ، وبلا نسبة فى آمالى ابن الحاجب صـ ٤٥٣، والخصائص (٧١/١)

(٢) فى الفائق ٩٤/٤ أن عمر كان يطوف بالبيت وهو يقول :﴿ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ ماله هجيرى غيرها . وانظر النهاية ٥/ ٢٤٦.

(٣)قال على بن حمزة فى التنبيهات ١٤٥:"ما كل ما حكاه جاء للتكثير ، وقد قالوا فلانة خطب فلان وخطيبا أى التى يخطبها ... وقال عمر بن الخطاب : لو استطعت الأذان مع الخليفى لأذنت قال الشيخ الميمنى :" قد صدق . وقد ذكر منها ابن سيده [فى المخصص] ٤/ ١٦ نحو ٢٨ كلمة ليس كلها للكثرة .."

وقولُه " بجانب قُوْسَى " هو بلد تَحُلُّهُ ثُمَالة بالسَّرَاةِ .

وقوله " بلى إنَّها تَعْفُو الكُلُومُ " فهي الجِراحُ والآثارُ التي تُشْبِهُها قال جريرٌ :

تَلْقَى السَّلِيطِيَّ [١] والأبطالُ قد كلموا وَسْطَ الرِّجال سليمًا غيرَ مَكْلُومِ [٢]

وينشد " وَسْطَ الرِّحَالِ " و " تَعْفُو " تَدْرُسُ .

وقولُه " عظمُهُ غيرُ ذِي نَحْضٍ " " النَّحْضُ " : اللَّحْمُ ، يقالُ : يأْكُلُ نَحْضًا ويَرْوَى مَحْضًا .

وقولُه " فهو مُهَابِذُ " يقولُ : مجتهدٌ . وَهُذَيْلُ فيها سَعْيٌ شديدٌ ، وفي جماعةٍ من القبائلِ التي تَحُلُّ بأَكْنَافِ الحجازِ .

ولقي الزِّبْرِقَانُ بنُ بَدْرٍ وهو قاصدٌ بصدقاتِ قومه إلى أبي بكر الصديق ، رحمه الله الحُطَيْئَةَ في طريقه ، فقال له الزبرقانُ : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا أبو مُلَيْكَةَ ، أنا حَسَبٌ مَوْضُوعٌ ! فقال له الزبرقان : إنِّي أُريدُ هذا الوَجْهَ ، ومالَكَ مَنْزِلٌ فامْضِ إلى منزلي بهذا السَّهْمِ ، فسَلْ عن القَمَرِ بنِ القَمَرِ ، وكُنْ هناك حتى أعُودَ إليك ، ففعل ، فأَنْزَلُوه ، وأكرموه ، فأقام بينهم ، فحسدَهُمْ عليه بَنُو عَمِّهم مِن بني قُرَيْعٍ ، وذلك أنَّ الزبرقانَ من بني بَهْدَلَةَ بن عَوْفِ بن كعبِ بن سعد بن زيد مَنَاةَ بن تَمِيمٍ ، وحاسِدُوهُ بنو قُرَيْعِ بن عوفِ بن كعب ، ولم يَكُنْ لِعَوفٍ إلا قُرَيعٌ وعُطارِدٌ وبَهْدَلَة ، وكان الذين حَسَدوه منهم بنو لأْيِ بن شَمَّاسِ بن أَنْفِ النَّاقِةِ بنِ قُرَيْعٍ ، فَدَسُّوا إلى الحُطَيْئة : أَنْ تَحَوَّلْ إلينا نُعطِكَ مائةَ ناقةٍ ، ونَشُدُّ كُلَّ طُنُبٍ من أَطْنابِ بيْتِكَ بِجُلَّةٍ بَحْوَنَةٍ ، [قال أبو الحسن:ما سمعتُ " بَحْوَنَة

---

(١)(السليطى) نسبة إلى سليط وهو كعب بن الحرث بن يربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

(٢)قال على بن حمزة فى التنبيهات ١٤٥:"إنما الرواية : غير مفلول ، يلى هذا البيت

لم يركبوا الخيل إلا بعد ما هرموا فهم ثقال على أكتافها ميل ".

وعلق العلامة الميمنى على قول ابن حمزة بقوله :" رواية النقائض رقم ١٧ [ص:٢٨] ود الصاوى ٤٦٥ [نعمان : ٩٥٤] بطيناً وهو مفلول . والغريب أن تخفى على أبى القاسم فيرتكب الإقواء " اهـ .

" إلا في هذه القصة] ، قال : فأنّى لِي بذلك ؟! قالوا : إنّهم يريدونَ النُّجْعَة فإذا احْتَملُوا فتخلَّفْ عنهم ، ثم دَسُّوا إلى امرأةِ الزِّبرقانِ مَنْ خبَّرها أنَّ الزبرقانَ إنّما قَدَّمَ هذا الشَّيْخَ لِيَتزوَّجَ ابنتَه -! فَقَدحَ ذلك في قَلْبِهَا -! فلمَّا احْتَمَل القومُ تَخلَّفَ الحُطَيْئَةُ ، فاحْتَمَلَهُ القُرَيْعيُّونَ ، فَبَنَوْا لَهُ ووَفَوْا له ، فلمَّا جاء الزبرقانُ صار إليهم ، فقال : رُدُّوا عليَّ جَارِي ، فقالوا : ليس لَكَ بجَارٍ وقد طَرَحْتَه ! فلذلك حيثُ يقولُ الحُطَيئةُ :

وإن التي نَكَّبْتُها عَنْ مَعاشِرٍ ... عَليَّ عِضَابٍ أَنْ صَدَدْتُ كما صَدُّوا

أَتَتْ آلَ شَمَّاسِ بنِ لأْيٍ وإنّما ... أَتَاهُمْ بها الأحْلاَمُ والحَسَبُ العِدُّ

فإنّ الشَّقِيّ مَنْ تُعَادِي صُدُورُهُمْ ... وذو الجَدِّ مَنْ لانُوا إليه ومَنْ وَدُّوا

يَسُوسُونَ أحلامًا بَعِيدًا أَنَاتُهَا ... وإنْ غَضِبُوا جاءَ الحَفِيظَةُ [1] والجِدُّ [2]

أَقِلُّوا عليهم لاَ أبا لأَبِيكُمُ ... مِنَ اللَّوْمِ أو سُدُّوا المَكانَ الذي سَدُّوا

أولئك قَوْمٌ إنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا البُنَى ... وإنْ عاهَدُوا أَوْفَوا وإنْ عَقَدُوا شَدُّوا

وإنْ كانَتِ النَّعْمَاءُ فيهم جَزَوْا بِهَا ... وإنْ أَنْعَمُوا لا كَدَّرُوهَا ولاَ كَدُّوا

وإنْ قال مَولاَهُمُ على جُلِّ حَادِثٍ ... مِنَ الدَّهْرِ : رُدُّوا فَضْلَ أَحْلامِكُمْ رَدُّوا

وتَعْذُلُنِي أَفْنَاءُ سَعْدٍ عَلَيْهِمُ ... وما قُلْتُ إلا بالّذي عَلِمَتْ سعدُ

قولُه " بجُلَّة بَحْوَنة " : أي ضخمة ، يقالُ ذلك للناقةِ والنَّخلةِ إذا اسْتَفْحَلَتْ وطَالَتْ .

وقوله " نَكَّبْتُها " يقولُ : عَدَلْتُ بها .

وقوله " والحَسَبُ العِدُّ " معناه : الجليلُ الكَثِير ، وأصلُ ذلك في الماء ، يقال " بِئْرٌ عِدٌّ " إذا كانت ذاتَ مادَّةٍ من العُيونِ لا تَنْقَطِعُ ، وكلُّ ماءٍ ثابتٍ فهو " عِدٌّ " .

وقولُه : يَسُوسُونَ أَحلامًا بعيدًا أَناتُها

(١)(الحفيظة) اسم من الحفاظ وهو الذب عن المحارم والمحافظة عليها

(٢)(الجد) " بالكسر" الاجتهاد ساعة البأس .

يقولُ : ثقالٌ لا يُبْلَغُ آخِرُها ، وأصلُ ذلـك أنَّ " الأنَـاة " مـن التـأنِّي والانتظـار ، فيقولُ : لا يُبْلَغُ آخِرُها فتَسفَّهَ .

وقوله : أولئك قومٌ إنْ بَنَوْا أحسنُوا البُنَى

وإن شئتَ قلتَ " البِنَى " فهما مقصُوران ، يقال " بَنَى بِنْيَةً وبُنْيَةً " فجمْـعُ " بِنْيـةٍ " بِنىً " وجَمْعُ " بُنْيةٍ " بُنىً " فبِنْيَةٌ وبِنىً ككِسْرَةٍ وكِسَـرٍ ، وبُنْيـة وبُنـىً كظُلْمـةٍ وظُلَـمٍ ، فأمَّا المصدَرُ مِنْ " بَنْيتُ " فَمَمْدُودٌ ، يقالُ : " بَنَيْتُه بِنَاءً حسنًا " وما أَحْسَنَ بِنَاءَكَ " .

وقولُه " وإن عَاهَدُوا أَوْفَوْا " " أَوْفَى " أَحْسَنُ اللُّغتين،" وَفَى " لغةٌ ، قـال الشـاعرُ، فجمَعَ بينَ اللغتين :

أَمَّـا ابنُ بِيـضٍ[1] فقـد أَوْفَـى بذِمَّتِـهِ كما وَفَى بقلاص النَّجْـم حادِيهَـا[2]

وفي القرآن : ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِه ﴾[3] وقال الله تبارك وتعـالى : ﴿ وَأَوْفُـوا بِعَهْدِ الله إِذَا عاهَدْتُمْ ﴾[4] وقال عـزَّ وجـلَّ : ﴿ وَالْمُوفُـونَ بِعَهْدِهِـمْ إِذَا عـاهَدُوا ﴾[5] فهذا كله على" أَوْفَى" وقال رسولُ الله ﷺ فيما رُويَ أنه[6] قَتَلَ مسلمًا بِمُعاهَدٍ ، وقال :

---

(١)" بفتح الباء وكسرها " هو عن أبى زيد رجل تاجر مكثر . كان لقمان بن عاد يجبره على خراج يؤديه اليه كل عام . فلما حضرته الوفاة قال لوالده لا تجاورن لقمان وسر لمالك وأهلك فإذا صرت الى عقبة كذا فضح حقه عليها . ففعل . فجاء لقمان فأخذه وانصرف (كمـا وفى الخ) ذلـك على ماتزعم العرب أن الدبر ان خطب الثريا وساق لها عشرين نجما .

(٢)البيت من البسيط ، وهو لطفيل الغنوى فى ديوانه صـ ١١٣، ولسـان العرب (٨٢/٧) (قلص) ، (٣٩٨/١٥) (وفى) ، وتاج العروس (١٢٥/١٨) (قلص) ، (وفى) .

(٣)سورة آل عمران : ٧٦ .

(٤) سورة النحل : ٩١

(٥)سورة البقرة : ١٧٧ .

(٦)فى أ : من أنه .

" أنا أَوْلَى مَنْ أَوْفَى بِذِمتِهِ " .[1]

وقال السَّمَوْأَلُ في اللغة الأُخرَى :

وَفَيْتُ بأَذْرُعِ الكِنْدِيِّ إنّي ... إذا ما خانَ أقوامٌ وَفَيْتُ[2]

وقال المُكَعْبَرُ الضَّبِّيُّ : [قال أبو الحسن : حفظي " المُكَعْبِرُ " بكسر الباء]

وَفيْتُ وَفاءً لَمَ يَرَ الناسُ مِثْلَه ... بِتِعْشَارَ [3] إذْ تَحْبُو إليَّ الأَكابرُ[4]

وقولُهُ :

وإنْ كانتِ النَّعْمَاءُ فيهم جَزَوْا بِهَا ... وإنْ أَنْعَمُوا لا كَدَّرُوهَا وَلاَ كَدُّوا

يقولُ ما قالَ جريرٌ مِثْلَه :

وإنّي لأَسْتَحْيِي أَخِي أَنْ أَرَى لَهُ ... عليَّ من الحقِّ الّذي لا يرَى لِيَا[5]

يقولُ : أَسْتَحْيِي أن أَرَى نعمتَه عليَّ ولا يَرَى على نفسِه لي مِثْلَها .

---

(١)" منكر : أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه، وكذا عبد الرزاق ، وأبو داود فى " المراسيل "، والطحاوى ، والدار قطنى (ح٣٢٣٢) والبيهقى (٢١،٢٠/٨)،وقال الحافظ فى " الفتح" (٢٧٣/١٢) بعد ذكره هذا الخبر :" قال الدار قطنى :إبراهيم ضعيف ولم يروه موصولا غيره ، والمشهور عن ابن البيلمانى مرسلا.. " ثم قال أيضًا :" وهو منقطع وراويه غير ثقة..." قلت : ومما يزيدْ معارضٌ أنه معارض للحديث الصحيح ، وهو قوله (من) :" لا يقتل مسلم بكافر " أخرجه البخارى فى "الديات "باب : لا يقتل المسلم بالكافر (٢٧٢/١٢)، (ح٦٩١٥) من حديث على رضى الله عنه . وقد استوفى الكلام عليه العلامة الألبانى فى " الضعيفة" (ح٤٦٠) . فراجعه إن شئت .

(٢)البيت فى ديوانه صـ ٨٠

(٣)تعشار بكسر التاء موضع بالدهناء . معجم البلدان ٣٤/٢ .

(٤)البيت من الطويل له فى لسان العرب (١٣١/٥) (كبر) ، وتاج العروس (٥٥/١١) (عشر) ، (١٤/١٤) (كبر) ، وتهذيب اللغة (٣١٣/١٠) .

(٥)تقدم تخريجه

وقوله : " على جُلٍّ حادثٍ " فهو الجليلُ من الأمر ، يقالُ : فلان يُدْعَى للجُلَّى ، قال طَرَفَةُ:

وإنْ أُدْعَ لِلْجُلَّى أَكُنْ مِنْ حَمَاتِها . . . . [1]

وفيهم [2]يقولُ الحطيئةُ [3]:

لَقَدْ مَرَيْتُكُمُ لَوْ أَنَّ دِرَّتَكُمْ ... يومًا يَجِيءُ بها مَسْحِي وإبْسَاسِي

لَمَّا بَدَا لِيَ منكم غَيْبُ أَنْفُسِكُم ... ولم يَكُنْ لجِرَاحِي فيكُمُ آسِ

أَزْمَعْتُ يَأْسًا مُبِينًا مِن نَوَالِكُمُ ... ولا تَرَى طَارِدًا لِلْحُرِّ كَاليَاسِ

ما كان ذَنْبُ بَغِيضٍ لاَ أَبا لَكُمُ ... في بَائِسٍ جاءَ يَحْدُو آخِرَ النَّاسِ

جَارٌ لقَوْمٍ أَطَالُوا هُونَ مَنْزِلِهِ ... وغَادَرُوهُ مُقِيمًا بينَ أَرْمَاسِ[4]

مَلُّوا قِرَاهُ وهَرَّتْهُ كِلاَبُهُمُ ... وجَرَّحُوهُ بأَنْيابٍ وَأَضْرَاسِ

دَعِ المَكَارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِها ... واقْعُدْ فإنَّكَ أنتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي[5]

مَنْ يَفْعَلِ الخَيرَ لا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ ... لا يَذْهَبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ[6]

---

(١)عجزه : وإن يأتك الأعداد بالجهد أجهد

(٢) يريد فى الزبرقان وأهله

(٣) ديوانه ق ٣/٧١، ٧، ٢، ١٠، ١، ١٣، ١٥،ص ٢٨٣-٢٨٤ سبق البيت و١٢ ص٤٧٢.

(٤)الأرماس : جمع رمس وهو القبر أو التراب ، وفسره المبرد فيما يأتى

(٥) قوله فإنك أنت للطاعم الكاس جاء اسم الفاعل وأراد اسم المفعول أى المطعوم المسكو، وهذا من الهجاء المفزع .

(٦)الأبيات من البسيط ، وهى له فى ديوانه صـ ١٠٧-١٠٨ ، وانظر لسان العرب (٦/٢٣٠) (نسس) ،(٦/١٠٢) (رمس) ،والأغانى (٢/١٥٤) ، وحاشية يس (٢/٦٣) ، وحماسة البحترى صـ١٦٦، والخصائص (٣/٢٥٨) ،والدرر (٥/٢٥١) ، وشرح شواهد المغنى (٢/٩١٦) ، والمحتسب (١/٣٠٧) ، ومغنى اللبيب صـ٥٨٨/٢، وهمع الهوامع (٢/٩٣) .

قولـه : " لقـد مَرَيْتُكُـمْ " أَصْلُ " المَرْيِ " : المَسْحُ ، يقـال " مَرَيـتُ الناقـةَ " إذا مسحتَ ضَرْعَها لِتَدُرَّ ، ويقـالُ " مَـرَي الفـرسُ والناقـةُ " : إذا قـام أحدُهمـا علـى ثـلاثٍ ومَسَحَ الأرَضَ بيده الأُخْرى ،قال الشاعر :

إذا حُطَّ عَنْها الرَّحْلُ أَلْقَـتْ بِرأْسِـهَا ... إلى شَذَبِ العِيدَانِ أَوْ صَفَنَتْ تَمْرِي[1]

وهذا من أَحْسَنِ أوصافِها .

وقال بعض المحدثِينَ يَصِفُ بِرْذَوْنًا بحسن الأدب :

وإذا احْتَبَـى قَرَبُوسُـــهُ بِعِنَانِـــهِ[2] ... عَلَـكَ اللِّجَامَ إلى انْصِرَافِ الزَّائِـرِ

ويقال : " مَرَاهُ " مائةَ سوطٍ ومائةَ درهمٍ : إذا أَوْصَـلَ ذلـك إليـه ، ولِـ " مَـرَاهُ " موضعٌ آخرُ ، ومعناه ، مَرَاهُ حقَّهُ : إذا دَفَعَهُ عنه ومنَعـهُ منـه ، وقـد قُـرِيءَ : ﴿ أَفَتَمْرُونَـهُ عَلَى مَا يَرَى ﴾[3] أي تَدْفَعُونَهُ عنه ، و " على " ههنا " في موضع "عن"قال العَامِرِيُّ[4] :

إذا رَضِيَـــتْ علـــيَّ بَنُـــو قُشَـــيْرٍ ... لَعَمْـــرُ اللهِ أعْجَبَنِـــي رِضَاهَـــا[5]

---

(١)البيت من الطويل ، وهو بلا نسبة فى لسان العرب (٢٧٧/١٥) (مرا) ، وتهذيب اللغة (٢٨٣/١٥) ، وكتاب الجيم (١٢٦/٢) ، وتاج العروس (مرى).

(٢)ولا تسكن راؤه فى الشعر مقدم وفيه العضادن ومؤخر وفيه الرجلان والاحتباء أن يضم الرجل ركبته الى بطنه بثوب يجمعهما مع ظهره ثم يشده وقد يكون الاحتباء باليدين بضمهما على ركبتيه والعنان " بالكسر " سير اللجام الذى نمسك به الدابة وهما سيران على صفحتى العنق مشدود آخرهما فإذا على القربوس كانت هيئته كهيئة المحتبى واسناد الاحتباء اليه مجاز وسعه (ومعناه) كان المناسب أن يقول يقال مراه حقه ومعناه دفعه الخ يريد جحده ومنه قول عرفطة الأسدى

(٣) سورة النجم :١٢. وأفتمرونه بفتح التاء وسكون الميم مضارع مرى هى قراءة حمزة والكسائى من السبعة ويعقوب وخلف من العشرة ، وعزاها صاحب البحر لعلى وعبد الله وابن عباس والجحدرى وابن سعدان .

وقرأ الجمهور (أفتمارونه) بضم التاء وألف مضارع مارى . انظر السبعة لابن مجاهد ٦١٤، وحجة القراءات ٦٨٥، والكشف لمكى ٢٩٤/٢، والنشر ٣٧٩/٢ ، والبحر ١٥٩/٨ .

(٤)البيت فى النوادر ١٧٦ ،والمقتضب ٢/ ٣٢٠ ، والخزانة ٢٤٧/٤ ، ومجاز القرآن ٨٤/٢ ، وانظر أدب الكاتب ٥٠٧ وقد خرجناه هناك . وسيأتى البيت

(٥)البيت من الوافر ، وهو للقحيف العقيلى فى أدب الكاتب صـ٥٠٧ والأزهية صـ٢٧٧، وخزانة الأدب (١٣٢/١٠) والدرر (١٣٥/٤١) ، وشرح التصريح (١٤/٢) ، وشرح شواهد المغنى

وبنو كعْبِ بن رَبيعةَ بنِ عامرٍ يقولون : " رضي ا لله عليك " .

وأمَّا " الإبْساسُ " فأنْ تَدْعُو الناقةَ باسمِهَا ، أوْ تُلَيِّنَ لها الطريقَ إلى الحَلَبِ ، يقولُ أو مَسْحٍ أو ما أشبهَ ذلك ، فإذا كانت الناقةُ تَدُرُّ على الدُّعاء والمَلَقِ قيل : " ناقةٌ بَسُوسٌ " وذلك مِنْ صفاتِها في حُسْنِ الخُلُقِ .

وقوله : ولم يكُنْ لجِرَاحِي فيكمُ آس

يقول : مُدَاوٍ ، و " الآسِي " : الطبيبُ ، قال الفرزدق[1] يصف شَجَّةً :

إذا نَظَرَ الآسُونَ فيها تَقَلَّبَتْ حَمَالِيقُهُم مِنْ هَوْلِ أنْيَابِهَا العُصْلِ

و " الإساءُ " الدَّواءُ ، ممدودٌ ، قال الحطيئة:

هُمُ الآسُونَ أُمَّ الرَّأْسِ لَمَّا تَوَاكَلَهَا الأطِبَّةُ والإسَاءُ[2]

فأمَّا " الأسى " فمقصورٌ ، وهو : الحُزْنُ ، ومِنْ ذلك قولُ ا لله جلَّ ثناؤه :﴿ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الكَافِرِينَ ﴾ [3]وقال العَجَّاج[4] :

(١/٤١٦) ولسان العرب (١٤/٣٣٢) (رضى) والمقاصد النحوية (٣/٢ ٢٨) ونوادر أبي زيد ص١٧٦ ، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر (٢/١١٨) ، والإنصاف (٢/٦٣٠) ،وأوضح المسالك (٣/٤١) ، وجمهرة اللغة صـ ١٣١٤ ، والجنى الداني صـ ٤٧٧ ، والخصائص (٢/٣١١، ٣٨٩) ، ورصف المباني صـ ٣٧٢، وشرح الأشموني (٢/٢٩٤) ، وشرح شواهد المغني (٢/٩٥٤) ، وشرح ابن عقيل صـ ٣٦٥، وشرح المفصل (١/ ١٢٠) ، ولسان العرب (١٥/٤٤٤) (با) ، والمحتسب (١/ ٥٢، ٣٤٨) ، وشرح المفصل (١/ ١٢٠) ، ومغني اللبيب (٢/١٤٣) والمقتضب (٢/ ٣٢٠) وهمع الهوامع (٢/٢٨) ، وتاج العروس (عنن) .

(١) ديوانه ٢/ ١٥٤ وفيه " أنيابها الثعل "

(٢)البيت من الوافر ، وهو له في ديوانه صـ ٥٦، ولسان العرب (١٤/٣٤) (أسا) ، ومقاييس اللغة (١/ ١٠٥) ، وتهذيب اللغة (١/ ١٤٠) .

(٣)سورة المائدة : ٦٨ .

(٤) ديوانه ١/١٨٥ .

يا صَاحِ هل تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسًا[1]؟ قال : نَعَمْ أَعْرِفُهُ ، وأَبْلَسَا[2]

وانْحَلَبَتْ عَيْنَاهُ مِن فَرْطِ الأَسَى[3]

فإذا قلتَ " الأُسَى " قَصَرْتَ أيضًا ، وهو جَمْعُ " أُسْوَةٍ " ، يقال " فلانٌ أُسْوَتِي وقُدْوَتِي " قال ا لله جل وعزَّ : ﴿ لقَدْ كانَ لكم في رَسُولِ ا لله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[4] .

و " الرَّمْسُ " : التُّرابُ ، يقال : رُمِسَ فلانٌ في قبره .

* * *

وأشعارُ الحُطيئةِ في هذا الباب كثيرةٌ ، ولولاَ أنَّها معروفةٌ مشهورةٌ لأتَيْنَا على آخِرِها ، ولكنَّا نَذْكُرُ منها شيئًا مختارًا .

فمن ذلك قوله :

جَزَى ا لله خيرًا والجَزَاءُ بِكَفِّه عَلَى خَيْرِ ما يَجْزِي الرجالَ بَغِيضَا

فلَو شاءَ إذْ جِئْناهُ ضَنَّ فلم يُلَمْ وصادَفَ مَنًّا في البلادِ عَرِيضَا[5]

---

(١)من أكرس المكان صار فيه كرس " بكسر فسكون " وهو أبوال الابل والغنم وأبعارها يتلبد بعضها على بعض ومنه الكراسة " بضم فتشديد " لتكرس بعضها وانضمامه إلى بعض والإبلاس السكوت هما .

(٢) مكسراً : متلبدًا من آثار الأربعاء حتى صار طرائق بعضه على بعض . وأبلس : سكت . عن الديوان .

(٣)الرجز له فى ديوانه (١/ ١٨٥) ، ولسان العرب (٦/ ٣٠) (بلس) ، (١٩٣) (كرسى) ، والتنبيه والإيضاح (٢/ ٢٦٢) ، وتهذيب اللغة (١٢/ ٤٤٢) ، وتاج العروس(١٥/٤٦٤) (بلس) ، (١٦/٢٣٢) (عجنس)،(١٦/٤٤٠) (كرسى) ،(٢٤/٤٢١) (وكف) ، وجمهرة اللغة صـ ٧١٩، وأساس البلاغة (بجس)، وبلا نسبة فى لسان العرب (١/٣٣١) (حلب) ، مقاييس اللغة (٥/١٦٩) ، والمخصص (١/ ١٢٦) ، (٥/ ١٢٣) ، وتاج العروس (٢/٣١٠) (حلب) ، وتهذيب اللغة (١٠/٥٣)

(٤)سورة الأحزاب : ٢١

(٥)ديوانه ص١٩٥ .

يقولُ : كَثُرتْ مَحاسِنه حتى كُذِّبَ ذَامُّهُ ، فاسْتَغْنَى عن أن يُكْثِرَ ، ثِقةً بأنَّ هاجيَهُ غيرُ مُصدَّقٍ ، فاعْتَبِرْ هذا الكلامَ ، فإنك تَجدهُ رأسًا في بابه .

ومن ذلك قوله :

وإنّـي قـد عَلِقْـتُ بِحَبْـلِ قـومٍ	أعـانَهُمُ علـى الحسَـبِ الـثَّرَاءُ
إذا نـزَلَ الشّـتاءُ بِجَـارِ قـومٍ	تَجَنَّـبَ جَـارَ بَيْتِهـمُ الشـتاءُ
هُـمُ الآسُـونَ أُمَّ الـرأسِ لَمَّـا	تَوَاكَلَهـا الأَطِبَّـةُ والإِسَـاءُ[1]

ثم قال يخاطب الزبرقان ورهطَهُ[2] :

ألم أكُ نائيًـا فَدَعَوْتُمونـي	فجـاء بِـيَ المَوَاعِـدُ والرَّجـاءُ
فلمّـا كُنْـتُ جـارَكُمُ أَبَيْتُـمْ	وشَـر مواطـن الحَسَـب الإبـاء
ولمـا كنـت جـارهم حبونـي	وفِيكُـمْ كـانَ لـو شِـئْتُمْ حِبـاءُ
فلمّـا أنْ مَدَحْـتُ القَـوْمَ قُلْتُـمْ	هَجَوْتَ ، وهـل يَحِـلُّ لِيَ الهِجَـاءُ
ولم أشْـتِمْ لكـم عِرْضًـا ولكـنْ	حَـدَوْتُ بحَيـثُ يُسْتَمَعُ الحُـدَاءُ

ويُرْوى أنَّ الحُطَيْئَة ـ واسمُه جَرْوَلُ بنُ أَوْسٍ ، ويُكْنَى أبا مُلَيْكَـةَ ـ مَـرَّ بحسَّـانَ بـنِ ثابتٍ وحسَّانُ يُنْشدُ :

لنـا الجَفَنـات الغُـرُّ يَلْمَعْنَ بـالضُّحَى	وأَسْيافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَـا[3]

---

(١)الأبيات من الوافر له في ديوانه (ص٥٦-٥٧) ، وانظر لسان العرب (٦٠٦/١) (غضب) ، (٤٢٢/١٤) (شتا) ، والمخصص (٢٩/١٦) ، وتهذيب اللغة (٩/ ٣٢٨) ، (٣٩٦/١١) ،وتاج العروس (٣٩٢/٣) (غضب) ،(شتا) . وقد تقدم البيت الأخير قبل ذلك بشاهدين .

(٢)الأبيات ٣،٦،٧،٨،١٠ص٩٨.

(٣)البيت من الطويل ديوانه صـ ١٣١، وأسرار العربية ص ٣٥٦وخزانة الأدب (١٠٦/٨،١٠٧،١١٠،١١٦) ، وشرح الأشموني (٦٧١/٣) ، وشرح شواهد الإيضاح صـ ٥٢١، وشرح المفصل (١٠/٥) ، والكتاب (٥٧٨/٣) ، ولسان العرب (١٣٦/١٤) (جدا) ،والمحتسب (١٨٧/١)، والمقاصد النحوية(٥٢٧/٤) ، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر (١٣٥/١) والخصائص (٢٠٦/٢) ، والمقتضب (١٨٨/٢) .

فالتفت إليه فقال : كيف ترَى ؟ فقال : ما أَرَى بأْسًا ! فقال حَسان : انظروا إلى هذا الأعرابيِّ يقولُ : ما أرَى بأسًا !! أبو مَـنْ ؟ قـال : أبـو مُلَيْكَـةَ ، فقـال حسـان : مـا كنتَ عليَّ أهونَ منكَ حيثُ اكْتَنَيْتَ بامرأةٍ ! مـا اسْمُـكَ ؟ قـال : الحطيئـةُ ، قـال : امْـضِ بِسَلاَمٍ .

وكان الحطيئةُ في حَبْسِ عمرَ بن الخطاب رحمه الله ، باسْـتِعْداءِ الزبرقـانِ عليـه في هذه القصة ، ولِعُمَرَ يقولُ[1] :

ماذا تقولُ لأَفْرَاخٍ[2] بِذِي مَـرَخٍ ... حُمْرِ الحواصِلِ لا مـاءٌ ولا شَـجَرُ
أَلْقَيْـتَ كَاسِبَهُمْ في قَعْـرِ مُظْلِمَـةٍ ... فـاغْفِرْ عليكَ سلامُ الله يـا عُمَـرُ
أَنْتَ الإِمامُ الـذي مِنْ بَعْدِ صاحِبِـه ... أَلْقَى إليـك مقَـاليدَ النُّهَـى البَشَـرُ
مـا آثَـرُوكَ بهـا إذْ قَدَّمُـوكَ لهـا ... لكنْ بك اسْتأْثَرُوا إذْ كانتِ الأُثَرُ[3]

ويُروى عن أبي زيدٍ الأنصاريِّ أنه قال : ويُروَى " الإِثَرُ "[4] ، والواحدةُ " أُثْرَةٌ " و" إِثْرَةٌ " ومعناه : الاستئثارُ .

فَرَقَّ له عمر فأخرجه .

---

(١)ديوانه ص٢٠٨

(٢) (لأفراخ) يريد به عياله

(٣)الأبيات من البسيط ، وهى له فى ديوانه صـ ١٦٤- ١٦٥ ، والأخير فى لسان العـرب (٨،٧/٤) (أثر) ،وتاج العروس (١٧/٣) (أثر) ، وتهذيب اللغة (١٢٢/١٥) .
والأول فـى الأغـانى (١٥٦/٢) ، وأوضـح المسـالك (٣١٠/٤) ، وخزانـة الأدب (٢٩٤/٣) ، والخصائص (٥٩/٣) ، وشرح التصريح (٣٠٢/٢) (طلح) والشعر والشعراء (٣٣٤/١) ولسان العرب (٢/ ٥٣٢) ، معجم ما استعجم صـ ٨٩٢، والمقاصد النحوية (٥٢٤/٤) ، وبلا نسبة فى أسرار العربية صـ ٣٤١، وشرح الأشمونى (٦٧٤/٣) ، وشرح المفصل (١٦/٥) ، والمقتضب (١٩٦/٢) والثانى فى لسان العرب (٥٣٢/٢) (طلح) ، وتاج العروس (٥٨٦/٦) (طلح) .
٣٤٨ انظر هامش الكتاب صـ٧٢٦ رقم (٤)

(٤)انظر النوادر ٨٧ .

ويُرْوَى أنَّ عمرَ بن الخطاب رحمه الله دَعَا بكرسيٍّ فجلسَ عليه ، ودَعَا بالحُطيئة فأجلسه بينَ يديه ، ودَعا بإشْفَى وشَفْرَةٍ ، يُوهِمُه أنه عازِمٌ على قَطْعِ لسانِه ، حتى ضَجَّ من ذلك ، فكان فيما قال له الحطيئةُ : يا أميرَ المؤمنين ! إني والله قد هَجَوتُ أبي وأُمِّي وامرأتي وهَجوتُ نفسِي فتبَّسَم عمرُ رحمه الله ، ثم قال: فما الذي قلتَ ؟ قال : قلتُ لأبي وأُمي - والمخاطَبةُ للأُمِّ :

ولقد رأيتُكِ في النِّساءِ فَسُؤْتِني وأَبَا بَنِيكِ فساءَني في المَجْلِسِ[1]

وقلتُ لها :

تَنَحَّيْ فَاجْلِسِي مِنِّي بَعِيدًا أَرَاحَ اللهُ مِنْكِ العالَمِينَا

أَغِرْبالاً إذا اسْتُودِعْتِ سِرًّا وَكانُونًا على المُتَحَدِّثينا[2]

وقلتُ لامرأتي :

أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثم آوِي إلى بيتٍ قَعِيدَتُه لَكَاعِ[3]

---

(١) فى بعض النسخ :" ألقت ".

(٢)البيتان من الوافر له فى ديوانه صـ١٢٣

والأول فى لسان العرب (١٥/٤٨٤)،هنأ) ، وتهذيب اللغة (٥ /٣٧٦) ،(٦/٤٣٦) ، وتاج العروس (هنأ)

وروايته : فهنا اقعدي منى بعيدا

والبيت الثانى فى لسان العرب (١٣/٣٦٢) (كفن) ، وتهذيب اللغة (٩/٤٥٤) ، ومقاييس اللغة (٥/١٢٣) ، ومجمل اللغة (٤/١٩٠) ، وديوان الأدب (٣/٦١) ،وتاج العروس (غربل) ،وبلا نسبة فى تاج العروس (كفن) .

(٣)البيت من الوافر ،له فى ملحق ديوانه صـ ١٥٦، وجمهرة اللغة صـ٦٦٢، وخزانة الأدب (٢/٤٠٤،٤٠٥) والدرر(١/٢٥٤) ،وشرح التصريح (٢/١٨٠) ، وشرح المفصل (٤/٥٧) ، والمقاصد النحوية (١/٤٧٣) (٤/٢٢٩) ولأبى الغريب النصرى فى لسان العرب (٨/٣٢٣) (٤/٢٢٩) ولأبى الغريب النصرى فى لسان العرب (٨/ ٣٢٣) (لكع) ، وبلا نسبة فى أوضح المسالك(٤/٤٥) ،والدرر (٣/٣٩) ، وشرح شذور الذهب صـ١٢٠،وشرح ابن عقيل صـ ٧٦،والمقتضب (٤/٢٣٨) ، وهمع الهوامع (١/٨٢/١٧٨) .

ورواية البيت . أجول . بدلاً من "أطوف" .

فقال له عمرُ رحمه الله : فكيفَ هَجَوْتَ نفسك ؟ فقال : اطَّلَعْتُ في بئرٍ فرأيتُ وجهي فاسْتَقْبَحْتُه ! فقلتُ :

أَبَتْ شَفَتايَ اليومَ إلاَّ تَكَلُّمًا   بسُوءٍ فما أَدْري لِمَنْ أَنا قائِلُهْ

أَرى لِيَ وَجْهًا قَبَّحَ الله خَلْقَهُ   فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ !! [1]

* * *

ونزل أعرابيٌّ من طَيِّءٍ يقالُ له المُثَنَّى بنُ معروفٍ بأبي جَبْرٍ الفَزارِيِّ ، فسمعه يومًا يقول : والله لَوَدِدْتُ أنِّي بِتُّ الليلةَ خاليًا بابنةِ عبد الملك بن مَرْوَانَ ! فقال : أَحلالاً أم حرامًا ؟ فقال : ما أُبالِي ! فوَثَبَ عليه فضرب رأسهَ برِحَالةٍ [2]، ثم انتقلَ فقال :

أَبْلِغْ أميرَ المُؤْمِنِينَ رِسالةً   عَلَى النَّأْيِ أنِّي قَدْ وَتَرْتُ أَبا جَبْرِ

كَسَرْتُ على اليافُوخِ [3]منه رِحَالَةً   لِنَصْرِ أميرِ المؤمنينَ وما يَدْرِي

على غيرِ شيءٍ غيرَ أنِّي سَمِعْتُهُ   بَنَى بِنِساءِ المُسْلِمِينَ بلا مَهْرِ

* * *

ويُرْوَى : أنَّ الحجاجَ بن يوسفَ جلسَ لِقَتْلِ أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعَثِ ، فقامَ رجلٌ منهم فقال : أصلحَ الله الأمير ! إنَّ لي عليك حَقًّا ، قال : وما حَقُّكَ ؟ قال : سَبَّكَ عبدُ الرحمن يومًا فرددتُ عليه ، فقال : مَنْ يعلمُ ذلكَ ؟ فقال : أَنْشُدُ الله رجلاً سمعَ ذلكَ إلاَّ شَهِدَ به ، فقام رجلٌ من الأُسَرَاءِ فقال : قد كان ذلكَ أيُّها الأمير ! قال : خَلُّوا عنه ، ثم قال للشاهد : فما مَنَعَك أنْ تُنْكِرَ كما أَنْكَرَ ؟ قال : لِقَدِيم بُغْضي إيَّاكَ ! قال : ولْيُخَلَّ عنه لصِدْقِهِ .

* * *

---

(١) ديوانه ص ٢٨٢ .

(٢) الرحالة : سرج من جلد لا خشب فيه .

(٣)(اليافوخ) بهمز وهو ملتقى عظمى مقدم الرأس ومؤخره

وقال عمرُ بنُ الخطاب لرجلٍ - وهو أبو مريمَ السَّلُوليُّ ـ : وا اللهِ لا أُحِبُّـكَ حَتـى تُحِبَّ الأرْضُ الدَّمَ ! قال : أَفَتَمْنَعُنِي حقًّا ؟ قال : لا ، قال : فلا بَأْسَ ، إنَّمَا يَأْسَفُ علـى الحُبِّ النساءُ (١).

وقال الحجاجُ لرجلٍ من الخوارج : وا الله إنِّي لأُبْغِضُكُمْ ، فقال الخارجيّ : أدْخـلَ ا الله أَشَدَّنَا بُغْضًا لصاحبه الجنَّةَ !

وأُتِيَ الحجاجُ بامرأةٍ من الخوارج ، فجعلتْ لا تَنْظُـرُ إليـه ، وكـان يزيـدُ بـنُ أبـي مُسْلم يَرَى رأيَ الخوارجِ ويَكْتُمُ ذلكَ ، فأَقْبلَ على المرأةِ فقال : انْظُرِي إلى الأميرِ، فقالت: لا أَنْظُرُ إلى مَنْ لا ينظـرُ ا الله إليـه ! فكَلَّمَهـا الحجـاجُ وهـي كالسَّـاهِيَة ، فقـالَ لها يزيـد: اسْمَعِي - وَيْلَكِ - من الأمير ! فقالت : بل الويلُ لك أيُّها الكافرُ الرِّدِّيُّ .

قال أبو العباس : و " الرِّدِّيُّ " عند الخـوارج : الـذي لـه عَقْدُهُـمْ ويُظْهِـرُ خلافَـه رغبةً في الدنيا .

وكان صالح بنُ عبد الرحمن كاتِبَ الحجـاجِ وصـاحبَ دَوَاويـنِ العـراقِ ، والـذي قَلَبَ الدَّواوينَ إلى العربية ، ثمَّ كان على خَرَاجِ العراقِ أيامَ وَلِيَ يزيدُ بنُ المُهَلَّـبِ العـراق ، فأشْجَى يزيد ، وكان يَرَى رأْيَ الخوارج ، فكايَدَهُ يزيدُ بـنُ أبـي مُسْلِمٍ مَوْلَـى الحجـاج ، فأشارَ على الحجاج أن يأْمُرَهُ بقتلِ جَوَّابِ الضَّبِّيِّ ، وهو رأسٌ من رُءوسِ الخوارجِ ، وقـال

---

(١)بعده فى زيادات بعض النسخ : " وهم أبو العباس رحمه ا لله فى قوله " أبو مريـم السـلولى " إنما هو أبو مريم الحنفى ، وكان سبب بغضه إياه أنه قتل أخاه زيد بن الخطاب وكان أبـو مريـم صـاحب مسيلمة الكذاب واسم أبى مريم إياس بن صبيح [كذا] ثقة كوفي : واسم أبي مريم السلولي مالك بـن ربيعة من الصحابة . روي عنه ابنه يزيد [كذا] وغيره اهـ . وما استدرك به صاحب الحاشية صحيح . وقد جعلت [كذا] فى موضعين منها تنبيهاً على أنهما مصحفان . أما الأول فـالصواب " إيـاس بـن ضبيح " بالضاد المعجمة نص عليه الأمير فى الإكمال ١٧١/٥، والذهبى فى المشـتبه ٤٠٩ و لم يذكـرا غيره . وانظر تعليق العلامة المعلمى اليمانى على الإكمال .

وأما الثانى فالصواب " روى عنه ابنه بريد " بضـم البـاء الموحـدة وفتـح الـراء نـص عليـه الأمـير فـى الإكمال ٢٢٧/١ .

يَزيدُ : إنْ فَعَلَ بِرئَتْ منه الخوارجُ وقَتَلَتْهَ ، وإنْ أَمْسَكَ قَتَله الحجاجُ ، فقَتَلَه . خُبِّرْتُ أنَّه قال : وا الله ما قتلتُه رغبةً في الحياة ، ولكنيَّ خِفْتُ أَنْ يَسْبِيَ الحجاجُ بَنَاتي ، وكان يقولُ بَعْدُ : إنِّي حينَ أَقْتُلُ جَوَّابًا لحرِيصٌ على الدنيا ! فلما عَذَّبه ابن هُبَيْرَةَ في خلافة يزيدَ بن عاتكةَ رُمِيَ به على قُمامَةٍ ، وهو لِمَا بِهِ [1]، فسُمِعَ يُحَكِّمُ عليها . وحَكَّمَ مالكُ بنُ المنذرِ ابن الجارودِ وهو بآخر رمق في سجن هشامِ بن عبد الملك .

ودخلَ يزيدُ بنُ أبي مُسلمٍ على سليمان بن عبدِ الملك ، وكان دَمِيمًا ، فلما رآهُ سليمانُ قال : قَبَحَ الله رجلاً أَجرَّكَ رَسَنَهُ، وأَشْرَكَكَ في أمانَتِه ! فقال له يزيدُ:يا أمير المؤمنين ، رأيتَنِي والأَمْرُ عَنِّي مُدْبِرٌ، ولو رأيتني والأمرُ عليَّ مُقْبِلٌ لاَسْتَكْبَرْتَ مِنِّي ما اسْتَصْغَرْتَ واسْتَعْظَمْتَ منيِّ ما اسْتَحْقَرْتَ ، فقال:أَتُرَى الحجاجَ اسْتَقَرَّ في قعر جَهَنَّم بَعْدُ؟! فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تَقُلْ ذلك في الحجاج ، فإنَّ الحجاجَ وطَّأَ لَكُم المنابرَ ، وأذَلَّ لكم الجَبَابِرَ ، وهو يَجِيءُ يومَ القيامةِ عن يمين أبيك ، وعن يسارِ أخيك ، فحيثُ كانَا كانَ !!

* * *

---

(١)قال محقق س : لما به :اللام الجارة والموصولية والباء الجارة والضمير هذا الصواب ، وضبط فى ر: لمآبه " كذا قرأها فليشر وذكر أنها لم تضبط فى أى من النسخ ، وأن ما فيها جميعًا :" لما به "وارتضى الشيخ المرصفى " لمآبه " فشرحها فى رغبة الآمل ١٦٩/٥ ؟ وكذا ضبطه من جاء بعده ، والصواب ما أثبت .

باب

قال أبو العباس وهذا بابٌ من تكاذِيب الأعرابِ .

حدثني أبو عُمَرِ الجَرْمِيُّ قال : سأَلْتُ أبا عُبيدةَ عن قول الراجز :

أَهَدَمُـــوا بيتَـــكَ لا أَبالَكـــا وأنَــا أَمْشــي الدَّأَلَــى حَوَالَكــا[1]

فقلتُ : لِمَنْ هذا الشعرُ ؟ قال : تقولُ العربُ : هـذا يقولُـه الضَّبُّ للحِسْلِ أَيَّـامَ كانت الأشياءُ تتكلّمُ !

" الدَّأَلَى " مَشْيٌ كَمَشْيِ الذِّئْبِ ، يقالُ : هو يَدْأَلُ في مِشْيَتِهِ : إذا مَشَـى كَمِشْـيَةِ الذِّئب ، من ذلك قولُ امْرِيءِ القيس [2]:

. . . . أَقَبَّ[3] حَثِيثِ الرَّكْضِ والـدَّأَلاَنِ[4]

ومَنْ قال في بيتِ ابنِ عَنَمَةَ الضَّبِّيِّ :

. . . . تُعارِضُـــهُ مُرَبَّبـــةٌ دَؤُولُ[5]

فإنَّما أرادَ هذا ، ومن قال " ذَؤُولُ " فإنَّما أَراد السُّرعةَ ، يقـالُ : " مَـرَّ يَـذْأَلُ " : إذا مَرَّ يُسْرِعُ .

---

(١)الرجز على لسان ضب فى الحيوان (١٢٨/٦) ، والدرر (١١٩/١) ، وبلا نسبة فى لسان العـرب (١٤/٢) (بيت) ، (١٨٧/١١) (حول) ،(٢٣٣/١١) (دال) ، وجمهـرة اللغـة صـ ١٣٠٩، والـدرر (٢/ ٢١٦) ، وشـرح شـواهد الشـافية صـ ١٢، والكتـاب (٣٥١/١) ، والمعـانى الكبـير صـ ٦٥٠، وهمع الهوامع (١٤٥/٤١/١) ، والمخصص(٢٢٦/٣، ٢٢٣) ، وتاج العروس (دأل) .

(٢) ديوانه ق ٨/٨ ص ٨٦ . والدألان بالدال رواية السكرى ، ورواية غيره بـالذال المعجمـة . انظر الديوان ص ٣٩٩. وروايته :" مسح حثيث ".

(٣) (أقب) الفرس الضامر .

(٤)فى ديوانه صـ ١٦٦ وروايته :

على زيد يزداد عفؤا إذا جرى مسح حثيث الركض والذ ألان

(٥) الأصمعيات ص٣٧ ، ولاختيارين ص٣٩٢ . وتخريج الكلمة فى الصمعيات .

وقولهُ " حَوَالكَا " يقالُ : هو يطوف : حَوَالَهُ وحَوْلَهُ وحَوَالَيْه " ومَنْ قال "حَوَالَيهِ " بالكسر فقد أخْطأ ، وفي القرآن : ﴿ نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[1] و " حَوَالَيْهِ " تثنيةُ " حَوَالِ " كما تقولُ " حَنَانَيْهِ " الواحدُ " حَنانٌ " قال الشاعرُ:

فقالتْ حَنَانٌ ما أَتَى بكَ هَهُنَا … أَذُو نَسَبٍ أم أنتَ بالحَيِّ عارِفٌ[2]

و " الحنانُ " الرحمةُ ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا ﴾[3] قال الشاعر لعمرَ بن الخطاب رحمه الله :

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَدَاكَ المَلِيكُ … فإنَّ لِكلِّ مَقَامٍ مَقَالاً[4]

وقال طَرَفَةُ [5]:

(١) سورة النمل :٨

(٢)البيت من الطويل وهو لمنذر بن درهم الكلبى فى خزانة الأدب (٢/ ١١٢) ، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٢٣٥) ، وبلا نسبة فى آمالى الزجاجى صـ ١٣١ ، وأوضح المسالك (٢١٧/١) ،والدرر اللوامع (٦٦/٣) ، وشرح الأشمونى (١/ ١٠٦) ، وشرح التصريح (١/ ١٧٧) ، وشرح عمدة الحافظ صـ ١٩٠، وشرح المفصل (١/ ١١٨) ، والصاحبى فى فقه اللغة صـ ٢٥٥، والكتاب (١/ ٣٢٠ ، ٣٤٩) ، ولسان العرب (١٣/ ١٢٩) (حنن) ، والمقاصد النحوية (١/ ٥٣٩) ، والمقتضب (٣/ ٢٢٥) ، وهمع الهوامع (١/ ١٨٩)

(٣) سورة مريم : ١٣.

(٤)البيت من المتقارب ، وهو للحطيئة فى ديوانه صـ ٧٢، وتخليص الشواهد صـ ٢٠٦ ، والدرر (٣/ ٦٤) ، ولسان العرب (١١/ ٥٧٣) (قول) ،(١٣٠/١٣) (حنن) ، وتاج العروس (قول) ، (حنن) ، بلا نسبة فى العقد الفريد (٥/ ٤٩٣) ، والمقتضب (٢٢٤/٣) ، وهمع الهوامع (١/ ١٨٩) .

(٥) ديوانه ص١٧٢.

أَبَـا مُنْـذِرٍ أَفْنَيْـتَ فاسْـتَبْق بَعْضَنَـا حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّر ٍّأهوَنُ مِنْ بَعْـضِ[1]

* * *

وحدَّثني غيرُ واحدٍ من أصحابنا ، قال : قيل لرُؤْبة : ما قولُكَ [2]:

لَـوْ أَنَّـني عُمِّـرْتُ سِـنَّ الحِسْـلِ أو عُمْـرَ نُـوحٍ زَمَـنَ الفِطَحْـلِ[3]

قال : أيّامَ كانتِ السِّلامُ [4]رطابًا . وبعد هذا البيت .

والصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كمِثْلِ الوَحْلِ

قولُه " سِنَّ الحِسْلِ " مثلٌ [5]تَضربُه العربُ في طول العُمُرِ .

وأنشدني رجلٌ من بني العَنْبَرِ ، أعرابيٌّ فصيحٌ ، لعُبَيْدِ بنِ أيوبَ العَنْبَرِيِّ :

كَـأَنّي ولَيْلَـى لم يَكُـنْ حَـلَّ أهْلُنَـا بـواد خَصِيـبٍ والسِّـلامُ رِطَـابُ

* * *

(١)البيت من الطويل له فى ديوانه صـ ٦٦ ، والدرر (٣/ ٦٧) ، والكتاب (١/ ٣٤٨) ، ولسان العرب (١٣٠/١٣) (حنن) ،وهمع الهوامع (١/ ١٩٠) وتاج العروس (حنن) ، وبلا نسبة فى جمهرة اللغة صـ١٢٧٣، وشرح المفصل (١١٨/١ ، والمقتضب (٣/ ٢٢٤) .

(٢) ديوانه ق ص١٢٨ . والرواية فى الأول : فقلت لو عمرت.

(٣)الرجز له فى ديوانه صـ ١٢٨، ولسان العرب (٥/ ١٨١) (معـر) (٥٢٧/١١) (فطحـل) ، وتهذيب اللغة (١٠١/٤) ، وجمهرة اللغة صـ ٥٦٢، والمخصص (٦٤/٩) ،(٢٨٧/١٢)، وتاج العروس (فطحل) ، ولرؤبة أو للعجاج فى الحيوان (٤: ٢٠٢) ولسان العرب (١٦٢/١١) (حكـل) ، وتاج العروس فى حكل ، وللعجاج فى شرح الأشمونى (٧٨٩/٣) ، وليس فى ديوانه ، وبلا نسبة فى الحيوان (١١٦/٦) ، والمخصص (١٧١/١٠) وروايته:

فقلت لو عمرت عمر الحسل وقد أتاه زمن الفطحل

(٤)السلام : أى الحجارة واحدتها سليمة بكسر اللام . رغبة الآمل ٥/ ١٧٣ .

(٥) يقولون " لا آتيك سن الحسل ". انظر أمثال أبى عبيد ٣٨١ ، وجمهرة الأمثال ٤٠٩/٢ ، ومجمع الأمثال ٢٢٦/٢ ، والمستقصى ٢٤٤/٢، واللسان (حسل ، سنن). وفى زيادات بعض النسخ الكامل وهو فى نسخة رغبة الآمل ٥/ ١٧٣ (ذكر ابن جنى أن الحسل يعيش ثلثمائة سنة) .

وحدّثني سليمانُ بنُ عبد الله عن أبي العَمَيْثَلِ مولَى العباس بن محمد ، قال تَكاذَبَ أعرابيَّانِ فقال أحدُهما : خرجتُ مرة على فرسٍ لي ، فإذا أنا بظُلْمةٍ شديدةٍ ، فَيَمَّمْتُها حتّى وصلتُ إليها ، فإذا قِطْعَةٌ من اللَّيل لم تَنْتَبِهْ ! فما زِلْتُ أَحْمِلُ عليها بفرسي حتى أنبَهْتُها ، فانْجَابَتْ!! قال : فقال الآخرُ:لقد رَمَيْتُ ظَبْيًا مَرَّةً بسَهمٍ فَعَدَلَ الظّبيُ يمْنَةً ، فعدلَ السهمُ خلفَه ، فتياسرَ الظبيُ ، فتَيَاسَرَ السهمُ خلفَه! ثم عَلاَ الظبيُ فَعَلاَ السهمُ خلفه! ثمّ انحدرَ فانحَدرَ حتى أخَذَه !!

وتزعمُ الرواةُ أنَّ عروة بن عُتْبةَ بن جعفر بن كلابٍ قال لابْنَي الجَوْن الكِنْديين يوم جبلة : إنَّ لي عليكما حقًا ووفادتي ، فدعُوني أُنذر قومي من موضعي هذا ، فقالوا : شأنك ، فصرخ بقومه ، فأسمعهُم على مسيرةِ ليلةٍ !!

* * *

ويروى عن حمَّادٍ الرَّاوِيَةِ قال : قالتْ ليلى بنتُ عروة بن زيد الخيلِ لأبيها : أرَأَيْتَ قولَ أبيك :

بَنِي عامرٍ هَلْ تعرفُونَ إذا غَدَا	أبو مُكْنِفٍ قَدْ شَدَّ عَقْدَ الدَّوابِرِ
بِجَيْشٍ تَضِلُ البُلْقُ في حَجَرَاتِهِ	ترَى الأُكْمَ منه سُجَّدًا للحَوَافِرِ
وَجَمْعٍ كمِثْلِ اللَّيْلِ مُرْتَجِسِ الوَغَى	كَثِيرٍ تَوَالِيهِ سَرِيعِ البَوَادِرِ
أَبَتْ عادةٌ لِلْوَرْدِ أنْ يَكْرَهَ الوَغَى	وحاجة رُمْحي في نُمَيْر بن عَامر[1]

فقلتُ لأبي : أحضرْتَ هذه الوَقْعة ؟ قال : نعم ، قلتُ : فكم كانت خيلُكم ؟ قال : ثلاثةُ أفراسٍ أحدُها فرَسُهُ ، قال : فذكرتُ هذا لابن أبي بكر الهُذَلي ، فحدثني عن أبيه قال : حضرتُ يوم جَبَلة ــ قال : وكان قد بلغَ مائة سنة ، وكان قد أدْرَكَ أيّام الحجاجِ ـ قال : فكانت الخيلُ في الفريقين، مع ما كان مع ابْنَي الجَوْنِ ثلاثين فرسًا ، قال :

---

(١)الأبيات من ١-٣فى الأغانى (١٧/٢٥٨) ،والأربعة فى الحماسة الشجرية (١/٦٩) والأول والثانى والرابع فى الحماسة الشجرية (١/٦٩)

فحدَّثتُ بهذا الحديث الخثعمي، وكان راويةَ أهلِ الكوفة، فحدثني أن خثعم قتلتْ رجلاً [1]من بني سُلَيْمِ بن منصورٍ ، فقالت أختُه تَرْثيهِ :

لَعَمْرِي وما عَمْرِي عليَّ بِهَيِّنٍ لَنِعْمَ الفتى غَادَرْتُمُ آلَ خَثْعَمَا

وكان إذا ما أَوْرَدَ الخَيْلَ بيشَةً[2] إلى جَنْبِ أَشْراجٍ[3] أَناخَ فأَلْجَمَا

فأَرْسَلَها رَهْوًا رِعَالاً كأنَّها جَرادٌ زَهَتْهُ ريحُ نَجْدٍ فأَتْهَمَا[4]

فقيلَ لها : كم كانتْ خيلُ أخيك ؟ قالت : اللهم إني لا أَعْرِفُ إلا فرسَهُ !

قولُه : " قد شَدَّ عَقَدَ الدَّوابِرِ " يريدُ : دوابرَ الدِّرْع ، فإن الفارس إذا حَمِيَ فعلَ ذلك [5].

وقولُه " تَضِلَّ البُلْقُ في حَجَرَاتِه " يقولُ : لكثرته لا يُرَى فيه الأَبْلَقُ ، والأبلقُ مشهورُ المَنْظَرِ ، لاختلافِ لَوْنَيْهِ ، من ذلك قولُه :

---

(١) قال محقق (س)بهامش الأصل ما نصه :" هو عباس الرعلى ، ورعل قبيلة من سليم . وقائلة الشعر ابنته ريطة وكان سماها باسم أمه ريطة بنت عباس بن مرداس السلمى . ذكر ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتاب المقاتل [فى الأصل :المقابل ، مصحفاً] والمقاتل اسم كتابين لأبى عبيدة : مقاتل الفرسان ، مقاتل الأشراف .

(٢) (بيشة) : بالهمزة وتركه مسهلة .

(٣) (أشراج): جمع شرج" بالتسكين . مجارى الماء من الحرار إلى السهولة .

(٤)الأبيات من الطويل ، والأخير بلا نسبة فى لسان العرب (٣٤٣/١٤)(رها) ،(٣٦٢/١٤) (زها) .

(٥) قال على بن حمزة فى التنبيهات ١٥١ :" هذا لم يقله أحد غيره ولا وجه له ، ولو كان الفارس إذا حمى شمر درعه لاكتفى بالتسليك ولما وصفت الدروع بأنها سوابغ. وإنما البيضة تشد بالدرع لئلا تسقط إذا ركض الفارس ، وقد قال المنخل اليشكرى ففسر فى شعره ما قلناه :

وفوارس كأوار حر رالنار أحلاس الذكور

شدوا دوابر بيضهم فى كل محكمة القتير

وعلق الشيخ الميمنى على كلام ابن حمزة بقوله :" الذى قاله المبرد لا غبار عليه فإن التشمير معروف وإنما يفعله الشجاع تهورا وتغريرًا بنفسه وإقدامًا على الهلكة ولو لم تكن الدروع سوابغ لم يتمكن من فعله هذا وبيت المنخل من غير هذا الباب ، فاللفظان مختلفان " اهـ . وانظر رغبة الآمل ١٧٥/٥ .

فَلَئِنْ وَقَفْتَ لَتَخْطِفَنْكَ رِماحُنا وَلِئن هَرَبْتَ لَيُعْرَفَنَّ الأَبْلَقُ

و " حَجَرَاته " نواحِيه .

وقولُه : تَرَى الأُكْمَ منه سُجَّدًا للحوافِرِ

يقول : لكثرة الجيش يَطْحَنُ الأُكْمَ حتّى يُلْصِقَها بالأرض .

وقوله " كمثلِ الليلِ " يقول : كثرةً ، فيكاد يَسُدُّ سوادُهُ الأُفق ، ولذلك يقال " كتيبةٌ خضراءُ " أي : سوداء ، وكانت كَتيبةُ رسولِ الله ﷺ التي هو فيها والمهاجرون والأنصارُ يقالُ لها : " الخَضْرَاءُ " .

و" المُرْتَجِسُ " : الذي يُسْمَعُ صوتُه ولا يَتَبَيَّنُ كلامُهُ ، يقال : " ارتجَسَ الرَّعْدُ " من هذا . و " الوَغَى " الأصواتُ .

و " التَّوَالي " : اللَّواحقُ ، يقال : " تَلاهُ يَتلُوهُ " اتَّبعَهُ ، و " تَلوْتُ القرآنَ " : أَتْبَعْتُ بعضه بعضًا ، و " المُتلِيَةُ " : التي معها وَلَدُها .

وقولُه " فأرْسَلَها رَهْوًا " يقولُ : ساكنةً[1] ، قال الله جلَّ وعزَّ ﴿ واتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾[2] ويقالُ : " عيشٌ رَاهٍ " يا فتى : أي ساكنٌ .

و " رِعالٌ " جمعُ " رَعِيلٍ " وهو ما تَقَدَّم من الخيل ، يقالُ : " جاءَ في الرَّعيلِ الأوَّلِ " قال عَنْترةُ[3]:

إذْ لاَ أُبادِرُ في المَضِيقِ فَوَارِسِي وَلاَ أُوَكَّلُ بالرَّعِيلِ الأوَّلِ[4]

---

(١) قال على بن حمزة :" الرهو من الأضداد وهى ههنا السراع التنبيهات ١٥١.

(٢) سورة الدخان : ٢٤ .

وقيل رهوًا : طريقًا بيسًا كهيئته ، قال ابن عباس وغيره . انظر تفسير ابن كثير ٧/٢٣٨ ، وتفسير القرطبى ١٦/ ١٣٧، وتفسير غريب القرآن ٤٠٢.

(٣) ديوانه ق ٦/١٥ص٢٥٠ .

(٤)البيت من الكامل ، وهو له فى ديوانه ص ٢٥٠ ولسان العرب (٢٨٧/١١) (رعل) ، وتاج العروس (رعل) ، وبلا نسبة فى المخصص (٦/ ٢٠١) .

وروايته الشطر الثانى أو لا أوكل ..." وعلى هذه الرواية فالبيت موقوص (أى دخله الوقص: وهو حذف الثانى المتحرك)

وقولُه : " زَهَتْهُ ريحُ نَجْدٍ فَأَتْهَمَا " يقول : رَفَعَتْهُ واسْتَخَفَّتْهُ ، قال ابن أبي رَبيعةَ:

فلمـا تَوَاقَفْنَـا وسَـلَّمْتُ أشْـرَقَتْ وُجُـوهٌ زَهَاهَـا الحُسْـنُ أنْ تَتَقَنَّعَـا[1]

ومعنى " أَتْهَمَ " [2] أَتَى تِهَامَةَ .

* * *

وزعم أبو عبيدة معمرُ بنُ المُثَنَّى[3] عمَّن حدثه : أنَّ بكـر بـن وائـلٍ أرداتِ الغـارةَ على قبائل بني تميمٍ ، فقالوا : إنْ عَلِمَ بنَا السُّلَيكُ أَنْذَرَهُمْ ، فبعثـوا فارسَيْنِ علـى جوادَيْـنِ يُرِيغَانِ[4] السُّلَيْكَ ، فبصُرا به فقصداه ، وخرج يَمْحَصُ[5] كأنَّـه ظَبْـيٌ ، فطـارَدَاهُ سَـحَابَةَ يومِهما ، فقالا : هذا النهارُ ، ولو جَنَّ عليه الليلُ لقد فَتَرَ ، فجَدَّا في طَلَبه ، فإذا بـأَثَرِهِ قـد بال فَرَغَا في الأرْضِ فخدَّهَا[6] ، فقالا : قاتَلَهُ الله ! ما أشدَّ مَتْنَيْهِ ! ولعلَّ هذا كان من أوَّلِ اللَّيلِ فلما امْتَدَّ به اللَيلُ فَتَرَ ، فاتَّبَعَاهُ ، فإذا به قد عَثَرَ بأَصْلِ شجرةٍ فندرَ منها كمكانِ تلك وانكسرتْ قوسُه ، فارْتَزَّتْ قِصْدَةٌ منها في الأرض ، فنشـبتْ ، فقـالا : قاتَلـه الله ! وا للهِ لا نَتْبَعُه بعد هذا ! فرجعا عنه ، فَتَمَّ إلى قومِه فأنذرهم !! فلم يصدِّقُوه لِبُعْـدِ الغايـة ، ففـي ذلك يقولُ :

---

(١)البيت من الطويل ،وهو لعمر بن أبي ربيعة في ديوانـه صـ ١٧٩ ، ولسـان العـرب ١٤/٣٦١-٣٦٢ (زها) ، والمخصـص (١٤/١٧٦) وتـاج العـروس (زهـا) ، وبـلا نسبة فـي شـرح المفصـل (٩/١٢١) ورواية الشطر الأول : ولما تفاوضنا الحديث وأسفرت ....إلخ وسيأتي مع بيتين آخرين .

(٢) أتهم على وزن أفعل وهى تأتي لمعان كثيرة منها الدخول فى المكان ، والدخول فى الزمان أصبح وأمسى وغير ذلك

(٣) الخبر فى الأغانى ٢٠/٣٨١-٣٨٣ ، وانظر خبر المثل "أعدى مـن السـليك " فـى الـدرة الفـاخرة ١/٣٠٦، وجمهـرة الأمثـال ٢/٦٨ ، ومجمـع الأمثـال ٢/٤٧ ، والمستقصى ١/٢٣٨ . و" معمـر بــن المثنى" ساقط من نسخة .

(٤) أى يطلبان .

(٥) أى يعدو.

(٦) رغا فى الأرض : ظهرت لبوله رغوة ، وخدها شق فيها شقا .

يُكَذِّبُني العَمْرَانِ عَمْرُو بنُ جُنْدُبٍ ... وعمرُو بنُ كَعْبٍ والمكَذِّب أكْذَبُ

ثَكِلْتُكما إنْ لم أكُنْ قد رأيتُها ... كَرَادِيسَ[1] يَهْدِيهَا إلى الحيِّ مَوكِبُ

كراديسُ فيها الحَوْفَزَانُ وحولَه ... فوارسُ هَمَّامٍ مَتَى يَدْعُ يَرْكَبُوا[2]

فصدَّقه قومٌ فنجوْا ، وكذَّبه قومٌ فَوَرَدَ عليهم الجيشُ فاكْتَسَحَهُمْ .

وحدثني التَّوَّزِيُّ قال : : سألتُ أبا عُبيدَةَ عن مثلِ هذه الأخبار من أخبار العرب فقال : إنَّ العجَمَ تَكْذِبُ فتقولُ : كان رجلٌ ثُلُثُهُ من نُحاسٍ وثُلُثُهُ من نارٍ، وثُلُثه من ثَلْجٍ! فتُعارِضُها العربُ بهذا وما أشبهه .

ومن ذلك قولُ مُهَلْهِلِ بن رَبيعة .

فلو نُبِشَ[3] المَقابرُ عن كُلَيْبٍ ... فَيُخْبَرَ بالذَّنائِبِ أيُّ زِيرِ[4]

بيَوْمِ الشَّعْثَمَيْنِ لَقَرَّ عَيْنًا ... وكيفَ لِقاءُ مَنْ تحتَ القُبورِ

كأنَّا غُدْوَةً وبَنِي أبينا ... بِجَنْبِ عُنَيْزَةٍ رَحَيَا مُدِيرِ

كأنَّ رِمَاحَهُم أشْطانُ بِئْرٍ ... بَعيدٍ بَيْنُ جَالَيْهَا جَرُورِ

فلولا الرِّيحُ أُسْمِعَ مَنْ بِحَجْرٍ ... صَلِيلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذُّكورِ[5]

---

(١) (كراديس): جمع كردوس كعصفور وهو القطعة العظيمة من الخيل ويقال كردس القائد خيله جعلها كتيبة كتيبة .

(٢)الأبيات فى الأغانى (٢٠/٣٩٦).

(٣) فى نسخة : نشر .

(٤) قال ابن السيد فيما كتبه على الكامل:"إنما نصب فيخبر على معنى : لو وقع نبش فإخبار ، لأن لو فيها معنى الشرط فصار بمنزلة قوله : إن تأتنى فتحدثنى أحسن إليك ، وهو قبيح ، إنما يحسن فيما يخالف فيه الثانى الأول من أجوبة الأشياء الستة المشهورة"عن شرح أبيات مغنى اللبيب ٥/٦٧.

(٥)الأبيات من الوافر وهى له فى ديوانه صـ ١٦٩- ١٧٠ .

والأول والثانى فى الأصمعيات صـ ١٥٤، ١٥٥، و الأغانى (٥/٣٢، ٤٩) ،وأمالى القالى (٢/١٣١)،وتذكره النحاة صـ ٧٢، ١٢٥،وسمط اللآلى صـ١١٢،وشرح شواهد المغنى (٢/ ٦٥٤) ، ولسان العرب (١/٣٩٣) (ذنب)، والمقاصد النحوية (٤/٤٦٣) ،وبلا نسبة فى الاشتقاق صـ٣٣٨ (الأول فقط) ، والجنى الدانى صـ٢٨٩، وشرح الأشمونى (٣/ ٥٩٧) (الأول فقط) ومغنى اللبيب (١/ ٢٦٧) والثالث فى أدب الكاتب صـ ٢٥٧ ، وجمهرة اللغة صـ ٦٤٢، وخزانة الأدب (٨/٣٢٧)،ولسان العرب(١٤/٣١٢)،وبلا نسبة فى الاشتقاق صـ٣٢١،وشرح المفصل (٤/١٤٧) .

[قال أبو الحسن : يقالُ : فلانٌ زِيرُ نِسَاءٍ ، وطِلْبُ نساءٍ ، وتِبْعُ نساءٍ ، وخِلْمُ نساءٍ:إذا كان صاحبَ نساءٍ ، وذلك أنَّ مُهَلْهِلاً كان صاحِبَ نساءٍ، فكان كُلَيْبٌ يقولُ : إنَّ مهلهلاً زيرُ نساءٍ لا يُدْرِكُ بثأْرٍ ، فلمَّا أَدْرَكَ مهلهلٌ بثأرِ كليبٍ قال : " أيُّ زِيرٍ " فرفَعَ " أيًّا " بالابتداء ، والخبرُ محذوفٌ ، فكأنه قال : أيُّ زيرٍ أنا في هذا اليوم !] .

* * *

قال أبو العباس : وحدَّثني عَمْرُو بنُ بَحْرٍ قال : أتيتُ أَبا الرّبيعِ الغَنَوِيَّ ، وكان من أفصح الناس وأَبْلَغِهِم ، ومعي رجلٌ من بني هاشمٍ ، فقلتُ : أأبو الرَّبيع ههنا ؟ فخرجَ إليَّ وهو يقولُ : خَرَجَ إليك رجلٌ كَرَمٌ ! فلمّا رأى الهاشميَّ استحيَا من فَخْرِهِ بحضرتِه ، فقال : أَكْرَمُ الناسِ رَدِيفًا ، وأشرفُهم حَلِيفًا ، فحدَّثنا مَلِيًّا ، ثمَّ نهضَ الهاشميُّ ، فقلتُ لأبي الرَّبيعِ : يا أَبا الربيعِ ، مَنْ خيْرُ الخلقِ ؟ قال : الناسُ وا للهِ،فقلتُ : فمن خَيْرُ الناسِ؟ قال:العربُ وا للهِ ، قلتُ : فَمَنْ خيرُ العرب ؟ قال : مُضَرُ وا للهِ ، قلتُ : فَمَنْ خيرُ مُضَرَ ؟ قال : قيْسٌ وا للهِ ، قلتُ : فمَنْ خيرُ قيسٍ ؟ قال : يَعْصُرُ وا للهِ ، قلتُ : فَمَنْ خيرُ يَعْصُرَ ؟ قال : غَنِيٌّ وا للهِ ، قلتُ : فمن خيرُ غَنِيٍّ ؟ قال : المُخَاطِبُ لك وا للهِ !! قلتُ : أَفَأَنْتَ خيرُ الناسِ خَمْسًا ! قال : إي وا للهِ !! قلتُ:أَيَسُرُّكَ أنَّ تحتَكَ بنت يزيدَ بن المهُلَّبِ ؟ قال : لا وا للهِ ! قلتُ : ولكَ ألفُ دينارٍ ؟ قال : لا وا للهِ ! قلتُ : فألفَا دينارٍ ؟ قال : لا وا للهِ ! قلتُ : ولك الجَنَّةُ ؟ فأطرقَ مَلِيًّا ثم قال : على أن لا تَلِدَ مِنِّي !! وأنشدَ :

تَأْبَى لأعْصُرَ أَعْرَاقٌ مُهَذَّبَةٌ ... مِنْ أَنْ تُناسِبَ قَوْمًا غيرَ أكفاءِ

فإنْ يَكُنْ ذاكَ حَتْمًا لا مَرَدَّ لَهُ ... فاذْكُرْ حُذَيْفَ فإنّي غيرُ آبَاءِ

قولهُ : أكرمُ الناسِ رديفًا " فإنَّ أبا مَرْثَدٍ الغَنَوِيَّ كانَ رديفَ رسول ا لله ﷺ .

وقولُه : وأشرفُهم حليفًا " فكانَ أبو مَرْثَدٍ حليفَ حمزةَ بن عبدِ المطَّلب .

وقولُه : " فاذْكرْ حُذَيْفَ " أرادَ حُذَيْفَةَ بنَ بَدْرٍ الفَزَارِيَّ ، وإنّما ذكره من بين الأشراف لأنه أقربُهم إليه نسبًا ، وذلك أنَّ يَعْصُرَ بنُ سعد بن قيسٍ ، وهؤلاءِ بنو رَيْثِ بنِ

غَطَفَانَ بن سعدِ بن قيسٍ ، وقد قال عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ يَهْجُو وَلَدَ يَعْصُر ، وهُمْ غَنِيٌّ وباهِلَةُ والطُّفَاوَةُ :

أَبَاهِلَ ما أَدْرِي أَمِنْ لُؤْمِ مَنْصِبِي أُحِبُّكُمُ أَمْ بِي جُنُونٌ وأَوْلَقُ

أُسَيِّدُ أَخْوَالِي وَيَعْصُرُ إِخْوَتِي فَمَنْ ذَا الَّذي مِنِّي معَ اللُّؤْمِ أَحْمَقُ[1]

فقال الباهليُّ يُجيبُهُ :

كيف تُحِبُّ الدهرَ قومًا هُمُ الأُولى نَوَاصِيَكُمْ في سالفِ الدَّهْرِ حَلَّقُوا

أَلَسْتَ فَزَارِيًّا عليكَ غَضَاضَةٌ وإن كنتَ كِنْدِيًّا فإنَّك مُلْصَقُ

* * *

وتَحَدَّثَ الرواةُ أنَّ الحجاج رأى محمد بن عبد الله بن نُمَيْرٍ الثقفي ، وكان يَنْسِبُ بزينبَ بنتِ يوسف ، فارْتَاعَ من نظرِ الحجاجِ إليه فدَعَا به ، فلمَّا عَرَفَهُ قال مُبْتَدِئًا:

هاكَ يَدِي ضاقتْ بِيَ الأَرْضُ رَحْبُها وإنْ كنتُ قد طَوَّفْتُ كلَّ مكانِ

ولو كُنْتُ بالعَنْقاء[2]أَوْ بِيَسُومِهَا لِخِلْتُكَ إلاَّ أن تَصُدَّ تَرَانِي[3]

ثم قال : والله إنْ قلتُ إلا خيرًا ، إنما قلتُ:

يُخَبِّئْنَ أَطْرافَ البَنانِ مِنَ التُّقَى ويَخْرُجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ[4]

قال : أَجَلْ ولكنْ أخبرني عن قولِكَ :

ولَمَّا رأتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ أعرَضَتْ وكُنَّ مِنَ انْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ[3]

في كَمْ كُنْتَ ؟ قال : والله إنْ كنتُ إلاَّ على حمارٍ هزيلٍ ، ومعِي رَفيقٌ لي على أتانٍ مثلِهِ .

* * *

---

(١)البيتان من الطويل ، والأول له فى لسان العرب (٨/١٠)(ألق)

(٢) (العنقاء) سلف عن أبى زيد أنها أكمة على جبل مشرف .

(٣)تقدم تخريج البيتين.

(٤) سبق البيت.

ومن ذلك ما يَحْكُونَ في خبر لُقْمانَ بن عَادٍ ، فإنَّهم يَصِفُونَ أنَّ جاريةً له سُئِلَتْ عمَّا بَقِيَ مِن بَصَرِه ، فقالتْ : وا لله لقد ضَعُفَ بَصَرُه ، ولقد بَقِيَتْ منه بَقِيَّةٌ : إنَّهُ لَيَفصِلُ بين أَثَرِ الأُنثى والذَّكَرِ من الذَّرِّ إذا دَبَّ على الصَّفَا !! في أشْيَاءَ تُشَاكِلُ هذا من الكَذِب .

* * *

وحُدِّثْتُ أنَّ امرأة عِمْرانَ بن حِطَّانَ السَّدُوسِيِّ قالت له : أمَا حَلَفْتَ أنَّك لا تَكْذِبُ في شعرٍ ؟ فقال لها : أَوَ كانَ ذاكِ ؟ قالت : نعَم ، قلتَ [1]:

فهُنَاكَ مَجْزَأَةُ بنُ ثَوْرٍ كانَ أشْجَعَ من أُسامَةْ[2]

أيكونُ رجلٌ أشْجَعَ من أَسَدٍ ؟ ! فقال لها : ما رأيتُ أسدًا فتحَ مدينةً قطُّ ، ومَجْزَأَةُ بنُ ثَوْرٍ قد فتحَ مدينةً.

ومَرَّ عمرانُ بن حطَّان بالفرزدق وهو يُنْشِدُ ، فوقف عليه فقال[3] :

أيُّها المادِحُ العِبادَ لِيُعْطَى إنَّ لِلهِ ما بأيدِي العِبادِ
فَاسْألِ ا لله ما طَلَبْتَ إليهم وارْجُ فَضْلَ المقَسِّمِ العَوَّادِ
لا تَقُلْ لِلْجَوادِ ما ليس فيه وتُسَمِّ البَخِيلَ باسْمِ الجَوادِ[4]

* * *

وأنشدني الحسنُ بن رجاء لرجلٍ من المُحْدَثِينَ :

أبا دُلَفٍ يا أَكْذَبَ النّاسِ كُلِّهِمْ سِوَايَ فإنّي في مَدِيحِكَ أَكْذَبُ

وأنشدني لرجلٍ من المُحْدَثين : [قال أبو الحسن : هو بَكْرُ بنُ النَّطَّاح]

إنِّي امْتَدَحْتُكَ كاذبًا فأَثَبْتَني لَمَّا امتدَحْتكَ ما يُثابُ الكاذبُ

(١) الأغانى ١٢٠/١٨ ، وانظر شعر الخوارج ١٥٩ .

(٢)الأبيات فى الأغانى (١٢٤/١٨) .

(٣) الأبيات فى الأغانى ١١٩/١٨ ، وانظر شعر الخوارج ١٥٨ .

(٤)البيت فى الأغانى (١٢٦/١٨) .

قال الأصمعي : قلتُ لأعرابيٍّ كنتُ أعرِفهُ بالكذبِ : أصَدَقْتَ قطُّ ؟ قال : لولا أنّي أخافُ أنْ أصْدُقَ في هذا لقلتُ : لا !! .

* * *

وتَحَدَّثُوا من غير وجهٍ أنَّ عَمْرَو بن مَعْدِي كَرِبَ كان معروفًا بالكذب . وقيلَ لِخَلفٍ الأحمرِ - وكان شديدَ التعصُّب لِلْيمنِ - : أكان عَمْرُو بنُ معدي كربَ يَكذبُ ؟ قال : نعم ، كان يكذِبُ في المَقَالِ ، ويَصْدُقُ في الفعَالِ !

وذكروا من غير وجه أن أهل الكوفةِ الأشراف كانوا يَظْهَرُونَ بالكُناسةِ[1] على دَوَابِّهم فَيَتحدَّثون إلى أن تَطْرُدَهُم الشمْسُ ، فوقفَ عمرُو بنُ معدي كربَ وخالدُ بن الصَّقْعَبِ النَّهْدِيُّ ، فأقْبَلَ عَمْرٌو يُحَدِّثُهُ ، فقال له : أَغَرْنا مَرَّةً على بني نَهْدٍ ، فخرجوا مُسْتَرْعِفِينَ بخالِد بن الصَّقْعَبِ ، فحملتُ عليه فطعَنْتُه فأذْرَيْتُهُ[2]، ثم مِلْتُ عليه بالصَّمْصَامَةِ ، فأخذتُ رأسَهُ ! فقال له خالدٌ : حِلاًّ أبا ثَورٍ ! إنَّ قَتِيلَكَ هو المُحَدِّثُ . فقال له عمروٌ : يا هذا إذا حُدِّثْتَ بحديثٍ فاسْتَمِعْ ، فإنّما نَتَحَدَّثُ بمثلِ ما تَسْمَعُ لِنُرْهِبَ به هذه المَعَدِّيَّةَ !!

قولُه :" مُسْتَرْعِفِين " يقولُ : مُقَدِّمين له ، يقال : جاء فلانٌ يَرْعُفُ الجيشَ ويَؤُمُّ الجيشَ : إذا جاءَ متقدِّمًا لهم ، ويقالُ في الرُّعافِ : " رَعَف يَرْعُفُ " لا يقالُ غيرُ "رَعَف" ويجوزُ "يَرْعَفُ" من أجلِ العَيْنِ ، وليس بالوَجْهِ . وسنذكر هذا البابَ بعدَ انقضاء هذه الأخبار إن شاء الله تعالى .

وقوله " حِلاًّ أبا ثَوْرٍ " يقولُ : اسْتَثْنِ ، يقالُ : حَلَفَ ولم يَتَحَلَّلْ .

وخُبِّرْتُ أنَّ قاصًّا كان يُكْثِرُ الحديثَ عن هَرِمَ بن حَيَّانَ فاتَّفَقَ هرمٌ معه مرَّةً في المسجد وهو يقول :حَدَّثَنا هرمُ بنُ حيَّانَ مرة بعدَ مرةٍ ، بأشياءَ لا يعرفُها هَرِمٌ ، فقال له:

---

(١) اسم محلة بالكوفة . معجم البلدان ٤/٤٨١ .

(٢) أى : صرعته وألقيته عن فرسه . رغبة الآمل ٥/١٨٧ .

يا هذا : أَتَعْرِفُنِي ؟ أنا هرِمُ بنُ حيَّانَ ، وا لله ما حدَّثْتُـك مـن هـذا بشـيء قـطُّ ! فقـال لـه القاصُّ : وهذا أيضًا من عجائِبك : إنَّه ليُصَلِّي معنا في مسجدنا خمسةَ عَشَرَ رجلاً اسمُ كلِّ رجلٍ منهم هَرِمُ بنُ حَيَّانَ ، فكيفَ تَوَهَّمْتَ أنَّه ليس في الدنيا هَرِمُ بن حيانَ غيرُك !؟

* * *

وكان بالرَّقَّةِ قاصٌّ يُكْنَى أبا عَقِيلٍ يُكْثِرُ التَّحَدُّثَ عن بني إسرائيل فيُظَنُّ بـهِ الكـذبُ ، فقال له يومًا الحجاجُ بن حَنْتَمةَ :ما كان اسمُ بقرةِ بـني إسـرائيلَ ؟ قـال:حَنْتَمَـةُ! فقـال لـه رجلٌ من ولد أَبي موسى الأشعريِّ : في أيِّ الكتب وَجَدْتَ هذا !؟ قال : في كتاب عَمرِو بن العاصي !

وقال القَيْنيُّ : أنَا أَصْدُقُ في صَغِير مَا يَضُرُّني لِيَجُوزَ كَذِبي في كَبيرِ ما ينفعُني !

وأنشدني المازنيُّ للأَعْشى ، وليس ممَّا رَوَتِ الرواةُ متَّصلاً بقصيدة ـ[1] :

فَصَدَقْتُهُـــــمْ وكَذَبْتُهُـــــمْ والَمــــرْءُ ينفعـــــهُ كِذَابُــــهْ

ويروى أنَّ رجلاً وَفَدَ على رسول ا لله ﷺ ، فسأله فكَذَبَهُ ، فقال لـه رسـولُ ا لله ﷺ : **" أَأَسْأَلُكَ فتكْذِبُنِي ؟ لولا سَخاءٌ فيكَ وَمِقَكَ ا لله عليـه لَشَـرَّدْتُ بـكَ مِـنْ وافـدِ قَوْمٍ "**[2]. معنى " وَمِقَكَ " : أَحَبَّكَ ، يقال: " وَمِقْتُهُ أَمِقُـهُ " وهـو علـى " فَعِلْـتُ أَفْعِـلُ " ونظيرُه من هذا المُعْتَلِّ " وَرِمَ يَرِمُ " و " وَلِي الأميرُ يَلِي " ، وكذلك " وَسَعَ يَسَعُ " كـانت

---

(١)البيت من مجزوء الكامل وهو للأعشى فى شواهد الإيضاح صـ ٦٠٦،ولسـان العـرب (١/ ١٩٣)، (صدق) ، وبلا نسبة فى شرح المفصل (٦/ ٤٤) .

ورواية البيت **فصدقته وكذبته**

والبيت له فى مجاز القرآن ٢/ ٢٨٣ ، والحجة ١/٢٤٧، ومجمع البيان المجلد ٣/٢٧٠ ، ٥/٤٢٣ والمخصص ١٢٨/١٤ ، وحجة القراءات ٧٤٦. ولم يرد فى رواية ثعلب لشعر الأعشى وهى رواية مطبوعة الديوان ، وورد فى رواية يعقوب كما ذكر ابن السيد فى القرط ٥٠٤-٥٠٥ وموضعه بعد قوله: [د، ١٤/٥٤ ص٣٧٣] :

غراء تبهج والكف زينها خضابه

(٢) انظر نثر الدر ١/١٩٦، والنهاية ٥/ ٢٣ .

السينُ مكسورةً وإنما فُتِحتْ للعينِ ، ولو كانَ أصلُها الفتح لَظَهَرتِ الواوُ ، نحو " وَجِلَ يَوْجَلُ " و"وَجِلَ يَوْحَلُ " . والمصدر " مِقَةٌ " كقولك :" وَعَدَ يَعِدُ عِدَةً " و " وَجَدَ يَجِدُ جِدَةً " .

ويُروى أنَّ رجلاً أَتى رسولَ الله ﷺ فأَسَلم ، ثم قال : يَا رسول الله ، إنَّما أُوخَذُ من الذُّنوب بما ظَهَرَ وأنا أَسْتَسِرُّ بخِلاَل أَربعٍ : الزنا والسَّرَق وشُرْبِ الخمر والكَذِبِ،فأَيُّهنَّ أَحْبَبْتَ تركتُ لك سِرًّا؟! فقال دَعِ الكَذِبَ.فلما تَوَلَّى مِنْ عندِ رسولِ الله ﷺ هَمَّ بالزِّنا ، فقال : يَسْأَلني رسولُ الله فإنْ جَحَدْتُ نَقَضْتُ ما جَعلتُ له ، وإنْ أَقْرَرْتُ حَدِدْتُ ، فلم يَزْنِ ثم هَمَّ بالسَّرَقِ ، ثم بشُرْبِ الخمرِ ، ففكَّرَ في مثلِ ذلك ، فرجَعَ إلى رسول الله ﷺ فقال : يَا رسولَ الله ! قد تَرَكتُهنَّ جُمَعَ [1].

وشهدَ أعرابي عند معاويةَ بشهادةٍ ، فقال له معاويةُ : كَذَبْتَ ! فقال له الأعرابيُّ: الكاذبُ والله مُتَزمِّلٌ في ثيابك ، فقال معاوية : هذا جزاءُ مِنْ عجلَ .

وقال معاويةُ يومًا للأَحْنَفِ ـ وحدَّثهُ بحديثٍ : أتكذِبُ ؟ فقال : والله مَا كذبتُ مُذْ عَلِمْتُ أنَّ الكذبَ يَشِينُ أهلَهُ .

ودخلَ عبدُ الله بن الزُّبير يومًا على معاويــة ، فقـال : اسمعْ أبْياتًا قُلْتُها ، وكان واجدًا عليه ، فقال معاوية : هَاتِ ، فأنشدَهُ :

إذا أنْتَ لم تُنْصِفْ أخـاكَ وَجَدْتَـهُ ... على طَرَفِ الهِجْرَانِ إنْ كـان يَعْقِـلُ

ويركَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيمَـهُ ... إذا لم يكن عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَـلُ

فقال له معاويةُ : لقد شَعُرْتَ بعدَنا يا أبا بكرٍ ! ثم لم يَنْشَبْ معاويةُ أَنْ دَخَلَ عليه مَعْنُ بن أَوْسٍ المُزَنِيُّ ، فقال له : أَقُلْتَ بعدنا شيئًا ؟ قال : نَعَمْ فأنشدَه[2] :

---

(١) لم أجد الحديث. وقال الشيخ المحدث أحمد محمد شاكر فى تعليقه على الكامل ٥٦٦ بتحقيقه: "وهذا الحديث والذى قبله لم أجدهما فى شيء من كتب الحديث ".

(٢) البيت من الطويل ، وهو له فى ديوانه صـ ٣٩ ،وخزانة الأدب (٨/ ٢٤٤، ٢٤٥،٢٨٩، ٢٩٤)، وشرح التصريح (٢/ ٥١) ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى صـ ١١٢٦، ولسان العرب (١٢٧/٥) (كبر) ،(٧٢٢/١١) (وجل) ، والمقاصد النحوية (٤٩٣/٣) ، وتاج العروس (وجل) ، وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر (١٤٠/٨) ، وأوضح المسالك (١٦١/٣) ، وجمهرة اللغة صـ٤٩٣، وخزانة الأدب (٥٠٥/٦) ، وشرح الأشمونى (٢/ ٣٢٢) ،وشرح شذور الذهب صـ ١٣٣، وشرح قطر الندى صـ ٢٣، وشرح المفصل (٤/ ٨٧) ، (٩٨/٦) ، ولسان العرب (٢٦١/٩)(عنف)/(٤٣٨/١٣) (هون)، والمقتضب (٣/ ٣٥) (٢٤٦/٣) ، وتاج العروس (١٩٠/٢٤) (عنف) (هون) .

لَعَمْـرُكَ مـا أَدْرِي وإنّـي لأَوْجَـلُ   علـى أيِّنـا تَعْـدُو المَنِيَّـةُ أَوَّلُ

حتى صارَ إلى الأبياتِ[1] التي أَنْشَدَها ابنُ الزبير ، فقال معاويةُ : يا أبا بكـر ، أَمَا ذَكَرْتَ آنفًا أنَّ هذا الشِّعرَ لك ؟ قال : أنا أصلَحْتُ المَعَانيَ ، وهو أَلَّف الشعرَ ، وهو بَعْدُ ظِئْرِي [2]؟ فما قالَ مِنْ شيءٍ فهو لِي !! .

وكان عبدُ الله[3] مُسْتَرْضعًا في مُزَيْنَةَ .

وحُدِّثْتُ أنَّ عُمرَ بنَ عبدِ العزيز بنِ مَـرْوَانَ كتـبَ في إِشْخاصِ إيَاسِ بـنِ معاويـةَ المُزنيِّ وعَدِيِّ بن أرْطاةَ الْفَزَارِيِّ أميرِ البَصْرَةِ وقاضيها يومئذٍ[4] فصار إليـه عـديٌّ فَقَـرَّب[5] أَن يُمَزِّنَهُ [6]عند الخليفةِ ، فقال يا أبا واثِلَةَ ، إنَّ لنا حَقًّـا ورَحِمًا ، فقال لـه إيـاسٌ : أَعَلَى الكذب تُرِيدُنِي ؟ وا الله ما يَسُرُّني أَنِّي كَذَبْتُ كَذْبةً يَغْفِرُها ا الله لي ولا يَطَّلِعُ عليها إلاّ هذا ـ وأوْمَأَ إلى ابْنِه ـ ولي ما طَلَعَتْ عليه الشمسُ .

---

(١) ديوان معن ق ٢٠/٩،١٠ص٩٤ .

(٢) يريد بعد ما ذكرت لك فهو أخي من الرضاعة .

(٣) فى نسخة : عبد ا لله بن الزبير .

(٤) قال محقق س: كذا فى أوهـ ، وفى سائر النسخ : وفى"وعدى بن أرطاة الفزارى ، وهـو إذ ذاك أمير البصرة وقاضيها ". وقوله : "وهو إذ ذاك " زيد بهامش الأصل . فإن كان فى سائر النسخ رواية فالصواب " وهما إذ ذاك ".

وبهامش ى ما نصه:" كذا وقع هنا ،وهى رواية ابن سراج رحمـه ا لله:"وعـدى بـن أرطـاة"، وروايـة عاصم " المزنى إلى عدى بن أرطاة وهو أظهر " اهـ .

ويرى دي غويه أن يكون الكلام :" ... وقاضيها يومئذ إيـاس " وكـذا يـرى الشيخ المرصفـى فإنـه قال:" وظنى أن الرواية : وقاضيها يومئذ إياس .....؟ رغبة الآمل ١٩٢/٥-١٩٣ . وذلك لأن عديًّـا كان أميرًا و لم يكن فى القضاة . ولعل ما أثبته هو الصواب ، ولا سقط فى الرواية .

(٥) يعنى توسل إليه بقربه رغبة فى أن يمزنه عند الخليفة . رغبة الآمل ١٩٢/٥ .

(٦) قال محقق (س) فى الأصل :" والتمزين : المدح " وهى زيادة من النساخ ،ويمزنـه يعظمـه ، كمـا فى هامش.

[قال أبو الحسن :" التَّمْزِينُ " المَدْحُ ، و لم أَسْمَعْ هذه اللفظة إلاَّ من أبي العباس ، وهي عندي مشتقّة من " المازِنِ " وهو النَّمْلُ ، وبهذا سُمِّيَتْ " مـازِنُ " كأنـه أرادَ منـه أن يُكَثِّرَهُ [1]] .

ويروَى أنَّ أخـا إيـاسٍ صـارَ إلى ابـن هُبَـيْرةَ فقـال : طَرَقَنِـي اللصـوصُ فحـارَبْتهم فهَزَمْتهُم وظَفِرْتُ منهم بهذا المِغْوَلِ فجعله ابن هُبيرةَ تحتَ مُصلاَّهُ ، ثم بعـثَ إلى الصَّياقِلَـة فأحضرَهم ، فقال : أَيَعْرِفُ الرجلُ منكم عملَه ؟ قالوا : نعم ، فأخرجَ المِغْوَلَ فقال : أَيُّكُمْ عَمِلَ هذا !؟ فقال قائلٌ منهم : أنا عملتُ هذا ، واشتراهُ مِنِّي هذا أَمْسِ .

* * *

---

(١) قال محقق س فى : " يكبره" وبعده : " ويـروى يكـثره " . وبعـد هـذا فـى بعـض النسـخ تعليـق نصه:" قال القتبى [أدب الكاتب :٧٢] المازن : بيض النمل . قال الشيخ : قوله :" يمزنه عند الخليفـة أى يجعله سيد مزينة لأنه كان مزنيا والصواب يمزره ، قال الموصلى :

وإنى مع ذا الشيب حلو مزير

و لم يكن فى القضاة ، وإنما كان أميرًا على البصرة ..إن مات عمرو كتب عمر إلى عدى : اجمع ناساً ممن قبلك وشاورهم فى إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة ؟، واستقض أحدهما . فولى عـدى إياسـا " وموضع النقط هو موضع القطع فى الورق ، ولا أدرى ما هو .

وعلق الشيخ المرصفى على ما جاء هنا بقوله:" لا أدرى من هـو ذلـك الشـيخ الـذى جهـل أن عديـا فزارى لا مزنى .[قوله] :والصواب يمزره : يجعله مزيرًا والمزير الظريف وليس بالجيد أن يصفه بذلك.[وقوله] قال الموصلى : هو إسحاق وهو مولد لا يستشـهد بقولـه، علـى أنه أورد الشـطر علـى غير وجهه وصوابه مع ما قبله وما بعده :

لا يرعـونك شـيبى فـإنى	لمع هذا الشيب حلو مزير
قد يفل السيف وهو جراز	ويصول الليث وهو عقير

[وقوله] : و لم يكن فى القضاه : انتقاد حسن وما أظن أبا العباس يجهل مثل هذا ، وظنى أن الروايـة وقاضيها يومئذ إياس فسقطت إياس من رواية أبي الحسن ": رغبـة الآمـل ١٩٢/٥ ــ ١٩٣ . وأمـا " يمزنه" فصواب محض ففى اللسان (مزن) " وتمزن على أصحابه : تفضل وأظهر أكثر ممـا عنـده ،وقيـل التمزن أن ترى لنفسك فضلا على غيرك ولست هناك ... قال المبرد: مزنت الرجـل تمزينًـا إذا قرظتـه من ورائه عند خليفة أو وال . ومزنه مزناً : مدحه ".

باب

ما يجوزُ فيه " يَفْعَلُ " فيما ماضيهِ " فَعَلَ " مفتوحُ العين .

اِعْلَمْ أنَّ كلَّ فِعْلٍ على " فَعُلَ " فهو غيرُ متعدٍّ إلى مفعولٍ ؛ لأنَّه فِعْلُ الفاعلِ في نفسه ، وتأويلُه الانتقال ، وذلك قولُك:" كرُمَ " عبدُ الله ، و " وظَرُفَ " عبدُ الله .

وتأويلُ قولي:" الانتقالُ " إنمَا هو انتقالٌ من حالٍ إلى حالٍ ، تقولُ : ما كان كريمًا ولقد " كَرُمَ " وما كان شريفًا ولقد " شَرُفَ " ، فهذا تأويلُه . فأمَّا قولُهم:" كُدْتُ أَكادُ " فإنَّما " كُدْتُ " معترِضَةٌ على " أكاد " .

وما كَان من "فَعِل " من الصَّحِيحِ فإنَّهُ " يَفْعَلُ " نحو " شَرِبَ يَشرَبُ " و"عَلِمَ" و " فَرِقَ " . ويكونُ متعدّيًا وغيرَ متعَدٍّ ، تقولُ : " حَذِرْتُ " زيدًا ، و " عَلِمْتُهُ " عبدَ الله ، ويكونُ فيه مثلُ " سَمِنْتُ " و " بَخِلْتُ " غيرَ متعدٍّ ، وكلُّه على " يَفْعَلُ "نحو " يَسْمَنُ " و " يَبْخَلُ " و " يعْلَمُ " و " يَطْرَبُ " .

فأما قولُهم في الأربعة من الأفعال :" يَحْسِبُ " و " يَيْئِسُ " و " يَنْعِمُ "و" يَيْبِسُ" فهي معترِضَةٌ على " يَفْعِلُ " تقولُ في جميعها :" يحسَبُ " و " يَنْعَمُ " و " يَيْأَسُ " و" يَيْبَسُ " .

وما كان على " فَعَلَ " فَبابُه " يَفْعُلُ " و " يَفْعِلُ " نحو " قَتَل يقتُل " و " ضرب يضرِبُ " و " قعد يقعُد " و " جلس يجلِس " فقد أنبأْتُكَ أنه يكون متعدّيًا وغيرَ متعدٍّ .

فأمَّا " يَأْبَى " ويَقْلَى " فلهما عِلَّةٌ تُبَيَّنُ لكَ إن شاء الله .

، لا يكونُ " فَعَلَ يَفْعَلُ " ، إلاّ أن يكونَ يَعْرِضُ له حرفٌ من حروف الحَلْقِ الستة في موضعِ العينِ أو موضع اللاّم ، فإذا كان ذلك الحرفُ عينًا فَتَحَ نَفْسَه ، وإن كَان لامًا ما فتح العينَ .

وحروفُ الحَلْقِ : الهمزةُ ، والهاءُ ، والعينُ ، والحاءُ ، والغينُ ، والخاءُ .

وذلك قولهم :"قَرَأَ يقْـرَأُ" ، "سـأَلَ يَسْأَلُ" و"جَبَهَ يَجْبَـهُ " و " ذَهَـب يذهَـبُ"، ويقال :" صَنَـعَ يصنَـعُ " و " طَعَـنَ يَطْعَـنُ " و " ضَبَـحَ يَضْبَـحُ " وكذلـك " فَـرَغَ يَفْـرَغُ" و"سَلَخَ يَسْلَخُ " .

وقد يجوزُ أَنْ يجيءَ الحرفُ علـى أصلِه وفيـه أحـدُ السِّتَّةِ ، يجـوزُ " زَأَرَ يَزْئِـرُ " و "فَرَغَ يَفْرُغُ" و " صَبَغَ يَصْبُغُ " إلاَّ أنَّ الفتحَ لا يكونُ فيما ماضيه " فَعَـلَ " إلاَّ وَأَحَـدُ هـذه الحروف فيه .

وأَما " يأْبَى" فله عِلَّةٌ ، وأما " يَقْلَى " فليس بِثَبْتٍ . وسـيبويه يذهـبُ في " يَـأْبَى" إلى أنَّه انْفَتَحَ مِن أجلِ أنَّ الهمزةَ في موضع فائه [1]، والقولُ عندي على مـا شَـرَحْتُ لـك، من أنه إِذا فُتِحَ حَدَثَ فيه حرفٌ من حروف الحلق ، فإنما انْفَتَـحَ ؛ لأنـه يصـيرُ إلى الألـفِ، وهي من حروف الحلق ، ولكن لم نَذْكُرْها ؛ لأنَّها لا تكونُ أصـلاً ، إنمـا تكـونُ زائـدةً أو بَدَلاً ، ولا تكونُ متحركةً ، فإِنَّما هي حرفٌ ساكنٌ ، ولا يَعْتَمِدُ اللّسانُ بِهِ علـى موضـعٍ، فهذا الذي ذكرتُ لك من أنَّ " يَسَعُ " و " يَطَأُ " حَدُّهمـا " فَعِـلَ يَفْعِـلُ " في المعتـلِّ ،كـ "حَسِبَ يَحْسِبُ" من الصَّحيح ، ولكـنْ فتَحَتْهمـا العيـنُ والهمـزةُ ، كمـا تقـول: " وَلَـغَ " الكلبُ " يَلَغُ " والأصلُ " يَلِغُ " فحرفُ الحلقِ فَتَحَهُ .

* * *

(١) قال سيبويه فى الكتاب ٢٥٤/٢ :" وقالوا : أبى يأبى فشـبهوه بيقـرأ . وفـى أبـى وجـه آخـر أن يكون فيه مثل حسب يحسب فتحا كما كسرا ".

باب

قال أبو العباس :يُرْوىَ عن عليٍّ بن أبي طالبٍ رَحْمَةُ ا الله عليه أنه افْتَقَدَ عبدَ ا الله بن العباس رحمه ا الله في وَقْتِ صلاةِ الظُّهْرِ ، فقال لأصحابه : ما بَالُ أبي العباسِ لم يَحْضُرْ ؟ فقالوا : وُلِدَ له مولودٌ ، فلما صلَّى عليٌّ رحمه ا الله قال : امضُوا بِنَا إليه فأتاه فَهَنَّأَهُ ، فقال : شَكَرْتَ الواهِبَ ، وبُورِكَ لك في المَوْهُوبِ ، ما سَمَّيْتَهُ ؟ قال : أَوَ يَجُوزُ لي أنْ أُسَمِّيَه حتى تُسَمِّيَه ! فأَمَرَ به فأُخْرِجَ إليه ، فأخذَه فَحَنَّكَه ودَعَا له، ثم رَدَّه إليه ، وقال:خُذْه إليك أبا الأَمْلاَكِ ، قد سَمَّيْتُه " عليًّا " وكَنَّيْتُهُ " أبا الحسن " فلما قام معاويةُ قال لابن عباسٍ : ليس لكم اسْمُه وكنيته ، وقد كَنَّيْتُه " أبا محمدٍ " فَجَرَتْ عليه .

وكان عليٌّ سيدًا شريفًا بليغًا ، وكان له خَمْسُمائَةِ أصل زَيْتُونٍ ، يصلِّي في كلِّ يومٍ إلى كلِّ أصلٍ ركعتين ، فكان يُدْعَى " ذَا الثَّفِنَاتِ "(١) .

وضُرِب بالسِّياطِ مرتين ، كلتاهُما ضربَهُ الوليدُ بن عبد الملك ، إحداهُما : في تَزَوُّجِهِ لُبَابَةَ بنتَ عبد ا الله بن جعفر ، وكانت عندَ عبد الملك ، فَعَضَّ تُفَّاحَةً ثم رَمَى بها إليها ، وكان أَبْخَرَ ، فَدَعَتْ بِسِكِينٍ ، فقال : ما تَصنعينَ به ؟ قالتْ : أُمِيطُ عنها الأَذَى! فطلَّقَها ، فتزوَّجها عليُّ بنُ عبد ا الله ، فضربه الوليدُ ، وقال : إنما تَتَزَوَّجُ بأُمَّهاتِ الخلفاء لِتَضعَ منها ؛ لأنَّ مروانَ بن الحكم إنما تزوَّجَ أمَّ خالدِ بن يزيد بن معاوية ليضعَ منها ، فقال عليُّ بنُ عبد ا الله : إنما أَرادتِ الخروجَ من هذه البَلْدَة ، وأنا ابن عَمِّها ، فتزوجتُها ؛ لأَكونَ لها مَحْرَمًا .

فأمّا ضربُه إيّاه في المرَّة الثانيةِ فإنّا نرويه من غَيْرِ وَجْهٍ ، ومِنْ أَتَمِّ ذلك ما حَدَّثنيهِ

---

(١) الثفنة : هو كل ما ولى الأرض من كل ذى أربع إذا برك أو ربض.

وذو الثفنات أيضاً لقب زين العابدين على بن الحسين، وعبد ا الله بن وهب الراسى . وانظر المرصع لابن الأثير ١١٧، واللسان والتاج (ثفن) ، ووفيات الأعيان ٤/٢٧٣ .

أبو عبد الله محمدُ بنُ شُجاعٍ الثَّلْجِي في إسناد مُتَّصلٍ[1] ، لستُ أحفظهُ ، يقولُ في آخر ذلك الإسناد :رأيتُ عليًّا مضروبًا بالسَّوْط يُدَارُ به على بَعيرٍ ووجههُ مما يَلِي ذَنَبَ البعيرِ، وصائحٌ يصيحُ عليه : هذا عليُّ بنُ عبدِ الله الكذابُ ! قال : فأتيتُه فقلتُ : ما هذا الذي نَسَبُوكَ فيه إلى الكذب ؟ قال بلَغهم أنّي أقُولُ : إنَّ هذا الأمْرَ سيكونُ في ولدي ، والله ليكونَنَّ فيهم حتى يَمْلِكَهُمْ عَبيدُهُم الصِّغَارُ العيونِ العِرَاضُ الوُجُوهِ الذين كَأَنَّ وجوهَهُمُ المَجَانُّ المُطَارَقَةُ [2].

ومع هذا الحديث آخَرُ في شَبِيهٍ بإسناده أنَّ عليَّ بنَ عبد الله دخلَ على سليمانَ بن عبد الملك ، ومعه ابْنا ابْنِه : الخليفتانِ أبو العباس وأبو جعفر - قال أبو العباس : وهذا غَلَطٌ ، لِمَا أذْكُرُهُ لك ، إنّما ينبغي أن يكون دخلَ على هشام - : فأوسَعَ له على سريره ، وسأله عن حاجته ، فقال : ثلاثون ألف درهم علي دَيْنٌ ، فأَمَر بِقَضَائها ، قال له : وتستوصي بابْنَيَّ هذين خيرًا ، ففعلَ ، فشكرَهُ ، وقال : وَصَلَتْكَ رَحِمٌ ، فلما وَلّى عليٌّ قال الخليفةُ لأصحابه : إنَّ هذا الشيخَ قد اختَلَّ وأَسَنَّ وخُلِطَ فصار يقول : إنَّ هذا الأمر سينتقلُ إلى وَلده ، فسمعه فقال : والله ليكونَنَّ ذاكَ ، ولَيَمْلِكَنَّ هذانِ .

* * *

(١) بهامش نسخة ما نصه :" هو محمد بن شجاع الثلجى ، كذا صوابه ". وقع فى بعض النسخ " لبلحى" مصحفاً وكذا أثبته رابت ، وفى الأصل : محمد بن أبى شجاع ؟ وبهامشه ما نصه :" والثلجى كذاب ليس بثقة ".

والثلجى بالثاء المثلثة والجيم كما فى المتن هو الصواب،انظر الإكمال ٤٥٣/١، والمشبه ٨٩/١ ، واللباب ١/ ٢٤١ ، وميزان الاعتدال ٥٧٧/٣.

(٢)يشير بقوله هذا الى قوله (ﷺ) :" لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك،صغار الأعين حمر الوجوه، ذلف الأنوف ، كأن وجوههم المجان المطرقة" ..الحديث . أخرجه البخارى فى " الجهاد"، باب: قتال الترك (١٢٢/٦) ،ح٢٩٢٨، ومسلم فى " الفتن"(ح٢٩١٢) .

قال أبو العباس : أمَا قولي : إنَّ الخليفة في ذلك الوقت لم يكن سليمان ؛ فلأن محمدَ بنَ عليٍّ بن عبد الله كان يُمْنَعُ من التَّزوجِ في بني الحارث ،للحديثِ المَرْوِيِّ[1]، فلما قام عمرُ بن عبد العزيز جاءَه محمدٌ ، فقال له ، إني أردتُ أن أتزوَّجَ ابنةَ خالِي من بني الحارث بن كعبٍ ، أفتأْذَنُ لي ؟ فقال عمرُ : تزَوَّجْ - رحمك الله - مَنْ أحببتَ ، فتزوَّجَها، فأَوْلَدَها أبا العباسِ أميرَ المؤمنين ، وعُمَرُ بعدَ سليمانَ ، فلا ينبغي أن يكونَ تَهَيَّأ له أن يدخل على خليفة حتى يَتَرَعْرَعَ ، فلا يَتِمُّ مِثلُ هذا إلاّ في أيامِ هشامٍ .

وكان عبدُ الملك يُكرمُ عليًّا ويقدِّمُهُ ، فحدثني التوزيُّ قال : قال عليُّ بنُ عبد الله : سايَرتُ يومًا عبد الملك ، فما جاوَزْنا إلا يسيرًا حتى لِقَيَهُ الحجاجُ قادمًا عليه، فلما رآه ترَجَّلَ ومَشَى بين يديه ، فَحَثَّ عبدُ الملكِ ، فأسرعَ الحجاجُ ، فزادَ عبدُ الملك ، فَهَرْوَلَ الحجاجُ ! فقلتُ لعبد الملك : أبك مَوْجِدةٌ على هذا ؟ فقال : لا ، ولكنَّه رَفَعَ مِنْ نَفْسِهِ ، فأَحببتُ أن أَغُضَّ منه .

وحدثني جعفرُ بنُ عيسى بن جعفر الهاشميُّ ، قال : حضر عليٌّ عبدَ الملكِ وقد أُهديتْ له من خُراسان جاريةٌ وفَصٌّ وسيفٌ ؛ فقال : يا أبا محمدٍ ، إنَّ حاضِرَ الهديَّةِ شريكٌ فيها ، فاختَرْ من الثلاثة واحدًا ، فاختارَ الجارية ، وكانت تُسَمَّى سُعْدَى ، وهي من سبي الصُّغْدِ من رَهْطِ عُجَيْفِ بنِ عَنْبسَةَ ، فأولدها سليمانَ بنَ عليٍّ وصالح بن عليٍّ .

وذكر جعفرُ بنُ عيسى أنه لَّما أَوْلَدَهَا سليمان اجْتَنَبَتْ فِراشَه ، فمرضَ سليمانُ من جُدَرِيّ خرج عليه ، فانصرف عليٌّ مِنْ مُصَلاَّهُ فإذا بها على فراشه ، فقال مرحبًا بك يا أُمَّ

---

(١) قال الشيخ المرصفى :" عن أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية فى وصيته محمد بن على بن عبد الله بن العباس وهو بالحميمة لما حضرته الوفاة قال فى آخرها : واعلم أن صاحب هذا الأمر من ولدك عبد الله بن الحارثية " رغبة الآمل ١٩٩/٥ .

وعلق الشيخ المحدث أحمد محمد شاكر على كلام المرصفى بقوله :" هكذا قال ، وهو لا يتفق مع كلام المبرد لأن كلامه يشير إلى حديث شاع عندهم قبل زواج محمد بالحارثية ، وأما كلام أبى هاشم فإنه _ كما ذكر هنا - قاله بعد زواجه بها وولادة ابنه عبد الله ، وما أظن هذا الذى نقله الشيخ المرصفى صحيحًا ،ولا الذى أشار إليه المبرد " انظر الكامل بتحقيقه ٥٧٥ .

سليمانَ ، فوَقَعَ بها ، فأولدها صالحًا ، فاجْتَنَبْته بَعْدُ ، فسألَها عن ذلك ، فقالت: خِفْتُ أن يموتَ سليمانُ فينقطعَ السَّبَبُ بيني وبينَ رسول الله ﷺ ، فالآنَ إذْ ولَدْتُ صالحًا فَبالْحَرى إنْ ذهبَ أحدُهما أن يَبْقَى الآخرُ ، وليس مثلي وطِيئَةَ الرجال .

وزعم جعفر أنه كان فيها رُتَّةٌ . فهيَ الآنَ معروفةٌ في ولدِ سليمانَ ووَلِدَ صالحٍ .

وكان عليٌّ يقول : أكره أن أُوصِيَ إلى محمدٍ - وكان سَيِّدَ ولدِهِ - خوفًا من أن أَشِينَهُ بالوصية ، فأوْصَى إلى سليمانَ ، فلما دُفِنَ عليٌّ جاء محمدٌ إلى سُعَدَى ليلاً فقال : أَخْرِجي إليَّ وصيةَ أَبي ،فقالتْ : إن أباكَ أجلُّ من أن تُخْرَجَ وصيتُه ليلاً ، ولكنَّها تأتيك غدًا ، فلمَّا أصبحَ غَدا عليه بها سليمانُ ، فقال : يا أبي ويا أخي ، هذه وصيةُ أبيك ، فقال : جزاكَ الله من ابنٍ وأخٍ خيرًا ، ما كنتُ لأُثَرِّبَ على أَبي بعدَ موتِه ، كما لم أُثَرِّبْ عليه في حياتِه .

* * *

قال أبو العباس :"التَمتَمةُ" : التَّرَدُّدُ في التّاء ، و " الفَأْفَأَةُ " التَّرَدُّدُ في الفاء . و "العُقْلَةُ":الْتِوَاءُ اللسانِ عندَ إرادة الكلام ،و"الحُبْسَةُ " تَعَذُّرُ الكلامِ عند إرادته. و"اللَّفَفُ": إدخالُ حرفٍ في حرفٍ . و " الرُّتَّةُ " كالرِّيحِ تَمنعُ أوَّلَ الكلام ، فإذا جاء منه شيءٌ اتَّصَلَ و " الغَمْغَمَةُ " : أنْ تَسْمَعَ الصَّوْتَ ولا يَتَبَيَّنَ لك تقطيعُ الحروفِ . و"الطَّمْطَمَةُ " : أنْ يكونَ الكلامُ مُشْبِهًا لكلامِ العجمِ . " واللُّكْنَةُ " : أنْ تَعْتَرِضَ على الكلام اللغةُ الأعجميةُ وسَنُفَسِّرُ هذا بحُجَجِه حَرْفًا حَرْفًا ، وما قيل فيه ، إن شاء الله . و " اللُّثْغَةُ " : أن يُعْدَلَ بحرفٍ إلى حرف . و " الغُنَّةُ " : أن يُشْرَبَ الحرفُ صوتَ الخَيْشُومِ . و" الخُنَّةُ " : أشد منها . و " التَّرْخِيمُ " : حَذْفُ الكلامِ .

يقالُ : رجلٌ " فَأفَاءُ " يافتَى ! تقديره :" فَاعَالٌ " ونظيرُه من الكلامِ " سَاباطٌ وخَاتَامٌ " قال الراجز :

يــا مَــيُّ ذاتَ الجَــوْرَبِ المُنْشَــقِّ أَخَــذْتِ خَاتَــامِي بِغَــيْرِ حَــقٍّ[1]

[قال أبو الحسن : يقــال " خــاتَمٌ " على وزن " دَانَـقٍ " و " خــاتِمٌ " على وزن "ضارِبٍ" و " خَيْتامٌ " على وزن " دَيَّانٍ [2]" و " خَاتَامٌ " على وزن " سَابَاطٍ "] .

وقال رَبيعةُ الرَّقِّيُّ [3]في مَدْحِه يزيدَ بنَ حاتِمِ بن قَبيصَةَ بن المُهَلَّب ، وذَمِّهِ يزيدَ بن أُسَيْدٍ السُّلَمِيِّ :

لَشَتَّانَ ما بَيْنَ الـيَزِيدَيْنِ في النَّـدَى يَزيــدِ سُـلَيْمٍ والأغَـرِّ ابـنِ حــاتِمِ

فَهَــمُّ الفَتَــى الأَزْدِيِّ إتْــلافُ مالِــهِ وهَمُ الفتى القَيْسِيِّ جَمْعُ الدَّراهِمِ

فـلا يَحْسِـبِ التَّمْتَامُ أَنِّــي هَجَوْتُـهُ ولكنَّنِــي فَضَّلْــتُ أهــلَ المَكـــارِمِ

وقال الراجز :

ليـــس بفَأْفَـــاءٍ ولا تَمْتَـــامِ ولا مُحِـــثٍّ سَـــقِطِ الكـــلامِ[4]

وقال الشاعرُ :

وقــد تَعْتَرِيــه عُقْلَــةٌ في لســانِه إذا هُزَّ نَصْل السَّيْفِ غَـيْرَ قَرِيـبِ

وزعم عمرُو بنُ بَحْرٍ الجاحظُ عن محمدِ بن الجَهْمِ قال : أقبلتُ على الفِكْرِ في أيام محاربةِ الزُّطِّ ، فاعتَرَتْنِي حُبْسَةٌ في لساني [5]. وهذا يكونُ ؛ لأنَّ اللسانَ يحتاجُ إلى أن يُمَرَّنَ

---

(١)الرجز بلا نسبة فى شرح شافية ابن الحاجب (١٥٢/٢) ، وشرح شواهد الشافية صـ ١٤١، وشرح المفصل (٥ /٥٣) ، ولسان العرب (١٦٣/١٢) (ختم) والمقتضب (٢٥٨/٢) ، وتاج العروس (ختم)، ومقاييس اللغة (٢/ ٢٤٥) ، ومجمل اللغة (٢٣٩/٢) . ورواية الشطر الأول . أغر ذات المئزر المنشق .

(٢) نقل البغدادى فى شرح شواهد الشافية ص ١٤١ قول أبى الحسن ، وفيه " ديار" .

(٣) شعره ق ١٩/ ٣،٥،٦ص:٦٠.

الأبيات من الطويل وهي له فى ديوانه صـ ١٢٤ ، ١٢٧ ، ولسان العرب (٤٩/٢) (شتت) . والأول فى خزانة الأدب (٢٧٥/٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ / ٢٩٦ ، ٣٠٢) ، وشرح المفصل (٣٧/٤ ، ٦٨) ، وبلا نسبة فى شرح شذور الذهب صـ ٥١٩ . والثانى فى تاج العروس (٥٧٥/٤) (شتت) .

(٤) البيت أنشده الجاحظ فى البيان والتبيين ٣٨/١ لأبى الزحف بن عطاء بن الخطفى .

(٥) سبق الخبر

على القول ، حتى يَخِفَّ له، كما تحتاجُ اليد إلى التمرينِ على العمل ، والرِّجْلُ إلى التمرينِ على المَشْي ، وكما يعانيه مُوَتِّرُ القَوْسِ ورافعُ الحجر ليَصْلُبَ ويَشْتَدَّ ، قال الراجزُ [1]:

كــأنَّ فيـــه لَفَفًـــا إذا نَطَـــقْ   مِن طُـولِ تَحْبِيـسٍ وهَـمّ وأَرَقْ [2]

وقال ابنُ المُقفَّع : إذا كَثُرَ تقليبُ اللسـانِ رقَّتْ جوانبُه ولاَنَت عَذَبَتُهُ . وقـال العَتَّابيُّ : إذا حُبِسَ اللسانُ عن الاستعمالِ اشتدَّتْ عليه مَخارجُ الحروفِ .

وأما الرُّتَّةُ فإِنَّها تكونُ غَرِيزَةً ، قال الراجزُ :

يا أَيُّها المُخَلِّطُ الأَرَتُّ

ويقالُ : إنَّها تكثرُ في الأشرافِ ، ولم تُوجدْ تَخْتَصُّ واحدًا دونَ واحدٍ .

وأما الغَمْغَمَة فقد تكونُ من الكلامِ وغيرِهِ ؛ لأنه صوتٌ لا يُفْهَمُ تقطيعُ حروفِه .

* * *

وحدَّثني مَنْ لا أُحصي من أصحابنا عن الأصعمي عن شُعبةَ عن قتادةَ ، قال : قال معاويةُ يومًا : مَنْ أَفْصَحُ الناسِ ؟ فقام رجلٌ من السِّماطِ فقال : قومٌ تَبَاعَدُوا عن فُرَاتِيَّةِ العِراقِ ، وتَيَامَنُوا عن كَشْكَشَةِ تَميمٍ ، وتَيَاسَرُوا عن كَسْكَسَةِ بَكْرٍ ، ليس فيهم غَمْغمةُ قُضاعةَ ، ولا طُمْطُمَانِيَّةُ حِمْيَرَ . فقال له معاويةُ : مَنْ أُولئك ؟ فقال : قومُكَ [3] يا أميرَ المؤمنين ! فقال له معاويةُ : مَن أنتَ ؟ قال : رجلٌ من جَرْمٍ . قال الأصمعيُّ : وجَرْمٌ من فُصَحَاءِ الناسِ .

قولهُ :" تَيامنُوا عن كشكشةِ تميـمٍ " فـإنّ بـني عَمـرو بـن تميـم إذا ذَكَـرت كـافَ المؤنثِ فوقفتْ عليها أَبْدَلَتْ منهـا شِينًا ، لقُرْبِ الشـين مـن الكـافِ في المَخْـرَجِ ، وأنهـا مهموسةٌ مثلُها ، فأَرَادُوا البيانَ في الوقفِ ؛ لأنَّ في الشِّين تَفَشّيًا ، فيقولون للمـرأة : جعَـلَ

---

(١) هو أبو الزحف بن عطاء بن الخطفى. وقد سبق البيتان

(٢)الرجز بلا نسبة فى أساس البلاغة (لفف) .

(٣) يريد قريشاً. وانظر النهاية ٣٨٨/٣، واللسان (غمم).

ا لله البركةَ في دَارِشْ ، ووَيْحَكِ ما لَشْ والتي يُدْرِجُونها يَدْعُونها كافًا ، والتي يَقُفون عليها يُبْدِلونها شينًا .

وأما بَكْرٌ فتختلفُ في الكَسْكَسَةِ ، فقومٌ منهم يُبْدِلونَ من الكاف سينًا ، كما فعل التَّميميُّون في الشين ، وهم أقلُّهم ، وقومٌ يُبَيِّنُونَ حركةَ كَافِ المؤنَّثِ في الوقْفِ بالسين ، فيزيدونها بعدَها ، فيقولون : أعْطَيْتُكِسْ .

وأما الغمغمةُ فما ذكرتُ لك .

وقال الهاربُ لامرأتِه يوم الخَنْدَمَةِ ، وذلك أنها نظرتْ إليه يُحِدُّ حَرْبَةً في يوم فتح مكةَ ، فقالتْ له : ما تَصْنَعُ بهذه ؟ قال : أَعْدَدْتُها لمحمدٍ وأصحابه ! فقالت : وا لله إنْ أُراهُ يقومُ لمحمدٍ وأصحابِه شيءٌ ، فقال: وا لله إنِّي لأَرْجُو أن أُخْدِمَكِ بعضَهم! وأنشأ يقولُ [(١)]:

إنْ تُقْبِلُوا اليومَ فَما بي عِلَّهْ ... هذا سِلاحٌ كامِلٌ وأَلَّهْ

وذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّهْ

" الأَلَّةُ " : الحَرْبَةُ . و " الغِرَارُ " ههنا : الحَدُّ ، يعني " بذي غرارينِ " السَّيْفَ .

فلمَّا لقَيهم خالدٌ يومَ الخَنْدَمَة انهزمَ الرجلُ ، فلاَمَتْهُ امرأتُه ، فقال :

إنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ يَوْمَ الخَنْدَمَهْ ... إذْ فَرَّ صَفْوَانُ وفَرَّ عِكْرِمَهْ

ولَحِقَتْنا بالسُّيُوفِ المُسْلِمَهْ ... يَفْلِقْنَ كلَّ سَاعِدٍ وجُمْجُمَهْ

ضَرْبًا فلا تَسْمَعُ إلاّ غَمْغَمَهْ ... لَهُمْ نَهِيتٌ حَوْلَنا وحَمْحَمَهْ

لَمْ تَنْطِقي في اللَّوْمِ أدْنَى كَلِمَهْ[(٢)]

---

(١) الهارب هو : أبو عثمان الهذلى ، ويقال له الرعاش ، ويقال إن الرجز المذكور بعد هذا لحماس بن قيس بن مالك الدئلي أخى بنى بكر بن عبد مناة أنشد له أبو (كذا) إسحاق.والخندمة جبل دخل منه النبى ﷺ مكة يوم الفتح، وقيل الخندمة مشى فيه إسراع فأضيف إلخ اليوم لما كثر فيه .

(٢) الرجز لأبى الرعاش الهذلى فى شرح أشعار الهذليين ص ٧٨٧ وللراعى فى لسان العرب (١٢/ ١٩٢) (خندم) وتاج العروس (خذرما) ، ولرجل خاطب امرأة يوم الفتح فى لسان العرب (١٢/ ٦٢٢) (همم) ، وتاج العروس (همم) ، وبلا نسبة فى تهذيب اللغة (٦٨١/٧) ، وجمهرة اللغة (صـ ٢٢٤) .

وأما " الطُّمْطُمَانِيَّةُ " ففيها يقولُ عنترةُ :

تَبْرِي لـه حُـولُ النَّعَـامِ كأنَّهـا حِـزَقٌ يمانِيَـةٌ لأعْجَـمَ طِمْطِـمِ[1]

وكان صُهَيْبٌ أبو يحيى صاحِبُ رسول الله ﷺ يَرْتَضِخُ لُكْنَةً رُومِيَّةً ، ويَذْكرونَ أنَّ نَسَبُه في النَّمِرِ بنِ قاسِطٍ صحيحٌ .

وقد قال رسول الله ﷺ : " **صُهَيْبٌ سابِقُ الرُّومِ ، وسَلْمَانُ سابِقُ الفُرْس ، وبلالٌ سابقُ الحَبَشَةِ** "[2] .

وقال عمرُ لصُهَيْبٍ في قوله إنه من النَّمِرِ بن قاسطٍ : قد سمعت ما قال رسولُ الله ﷺ فيمن انْتَمى إلى غيرِ نَسَبِهِ[3]؟ فقال صهيبٌ :أنا مِن القومِ،ولكنْ وَقَعَ عليَّ سِبَاءٌ .

وكان عَبْدُ بَنِي الحَسْحَاسِ يَرْتَضِخُ لُكْنَةً حبشية ، فلما أنشدَ عمَرَ بنَ الخَطَّابِ :

عُمَـيْرةَ وَدِّعْ إنْ تَجَهَّـزْتَ غادِيَـا كَفَى الشَّيْبُ والإسْلامُ للمرءِ ناهيا[4]

---

(١)البيت من الكامل ، وهو له في ديوانه صـ ٢٠٠ ، ولسان العرب (١٠/٤٧) (حزق) ، (١٢/ ٣٧١) (طمم) ، وتهذيب اللغة (١٣/ ٢٠٧) ، ومجمل اللغة (٢/ ٥٧)، وجمهرة اللغة صـ ٢١٣ ، ٨٩٤ ، ومقاييس اللغة (٢/ ٥١٣) ، وتاج العروس (١٨/١٢٠) (قلص) (٢٥/١٦١) (حزق) (طمم) ، وبلا نسبة فى المخصص (٢/ ١٢/ ١٢٢) ، ولسان العرب (٧/٨١) (قلص) . ورواية البيت

تأوى له قلص النعام إذا أوت

(٢)الحديث "ضعيف" أورده الهيثمى فى " المجمع" بنحوه من حديث أنس (٩/٣٠٥) وقال : رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح ، غير عمارة بن زادان وهو ثقة وفيه خلاف ثم ساق له رواية أخرى من حديث أم هانئ وقال : رواه الطبرانى وفيه فايد العطار وهو متروك برقم"، والحديث أورده السيوطى فى الجامع الصغير بلفظ :" أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وسلمان سابق الفرس ،وبلال سابق الحبش" وأورده الشيخ الألبانى فى ضعيف الجامع ،(ح١٣١٢) ، وقال: "ضعيف" .

(٣) من ذلك قول رسول الله (ﷺ):" من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام " رواه البخارى ومسلم ، ومن حديث سعد ، وأبى بكرة وانظر صحيح الجامع برقم (٥٩٨٩) .

(٤)البيت من الطويل ، وهو لسحيم عبد بنى الحساس فى الإنصاف(١/ ١٦٨) ، وخزانة الأدب (١/ ٢٦٧) ، (٢/ ١٠٢ ، ١٠٣)،وسر صناعة الإعراب (١/ ١٤١) ، وشرح التصريح (٢: ٨٨) ، وشواهد المغنى(١/ ٣٢٥) ، والكتاب (٢/٢٦) ،(٤/ ٢٢٥) ، ولسان العرب (١٥/٢٦٦) (كفن) ومغنى اللبيب (١/ ١٠٦) ، والمقاصد النحوية (٣/ ٦٦٥) ، وبلا نسبة فى أسرار العربية صـ ١٤٤ وأوضح المسالك (٣/٢٥٣) ، وشرح الأشمونى (٢/٣٦٤) ، وشرح عمدة الحافظ صـ٤٢٥، وشرح قطر الندى ص٣٢٣، وشرح المفصل (٢/١١٥) ، (٧/٨٤ /١٤٨) ، (٨/٢٤، ٩٣ ، ١٣٨) ولسان العرب (١٥/٣٤٤) (نهى) .

فقال عمرٌ : لو كنتَ قَدَّمْتَ الإسلامَ على الشّيب لأجَزْتُكَ ، فقال : ما سَعَرْتُ ، يريدُ : ما شَعَرْتُ .

وكان عُبَيْدُ الله بنُ زِيَادٍ يرتضخُ لكنةً فارسيةً ، وإنما أَتَته من قِبَلِ زوج أُمه شِيرَوَيْهِ الأَسْوَارِيِّ .

ويقالُ : إن عليًّا عليه السلام عادَ زيادًا في منزل شِيرَوَيْه . فقال عبيدُ الله يومًا لرجلٍ كلّمه فظَنَّ به رأْي الخوارج[1] : أَهَرُورِيٌّ مُنْذُ اليومِ ؟ يريدُ : أَحَرُورِيٌّ ، وهذه الهاءُ يشترك في قلبها من الحاء أصنافٌ من العجَم .

وكان زيادٌ الأعْجَمُ - وهو رجلٌ من عَبْدِ القَيْسِ - يَرْتَضِخُ لُكْنَةً أعجمِيَّةً ، يذهبُ فيها إلى مذهبِ قومٍ بأعيانهم من العَجَم .

وأنشدَ المُهَلَّبَ بنَ أبي صُفْرةَ في مَدْحِه إياهُ :

فَتىً زَادَه السُّلْتَانُ في الحَمْدِ رَغْبةً ... إذا غَيَّرَ السُّلتانُ كلَّ خليلِ[2]

يريد " السلطان " ، وذلك أنّ بين الطّاء والتّاء نَسَبًا ، فلذلك قَلَبَها تاءً ، لأنَّ التاء من مخرج الطاء ، فقال " السُّلْتَان " .

وأمّا " الغُنَّةُ " فَتُسْتَحْسَنُ من الجاريةِ الحديثةِ السِّنِّ ؛ لأنّها ما لم تُفْرِط تميلُ إلى ضَرْبٍ من النَّغْمَةِ ، قال ابنُ الرِّقَاعِ العامليُّ[3] يصفُ الظَّبْيَةَ وولدَها :

تُزْجِي أَغَنَّ كأَنَّ إبْرَةَ رَوْقِهِ ... قَلَمٌ أصابَ من الدَّوَاةِ مِدادَهَا[4]

---

(١) قال محقق (س) : بعده فى زيادات من هامش نسخة:" الرجل الذى كلمه عبيد الله بن زياد وظن أنه من الخواج هانئ بن قبيصة ".
قال الشيخ المرصفى :" هذا غلط فاحش ، وذلك أن هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود الشيبانى جاهلي لم يدرك الإسلام ، والصواب هانئ بن عروة المرادى الذى نزل فى داره مسلم بن عقيل بن أبى طالب رسول الحسين إلى أهل الكوفة ..." رغبة الآمل ٢١١/٥.

(٢)البيت فى الأغانى (٣٨١/١٥) ، وفى روايته(السلطان) بدلا من .(لسلتان) ، و(الخير) بدلاًمن (الحمد) وعزى محققه هذه الرواية للعقد الفريد (٤٧٨/٢) .

(٣) من كلمة له نشرها العلامة الميمنى فى الطرائف الأدبية ص ٨٧-٩١ . وسيأتى البيت .

(٤)البيت من الكامل له فى ديوانه صـ ٣٥، ولسان العرب (٩٦/٣) (بلد) ، (٣٣٥/٦) (قرش)،(٣٥٥/١٤) (زجا) ، وأساس البلاغة صـ١(أبر) وطبقات فحول الشعراء صـ ٧٠٧ ، وتاج العروس (٣٢٦/١٧) (قرش) ، (زجا)، والطرائف الأدبية صـ ٨٨، والأغانى (٣٥٧/٩).

باب

قال محمدٌ بنُ عبد ا لله بنِ نُمَيْرٍ الثّقفِيُّ [1]:

لم[2] تَرَ عَيْــني مِثْــلَ سِــرْبٍ رأيتُــهُ ... خَرَجْنَ مــن التّنْعِيــمِ[3] مُعْتَجِـراتِ[4]

مَــرَرْنَ بفَــخٍّ[5] ثــم رُحْــنَ عَشِــيَّةً ... يُلَبِّـــينَ لـــلرَّحمن مُؤْتَجِـــراتِ

تَضَوَّعَ مِسْكًا بَطْنُ نَعْمانَ أَنْ مَشَــتْ ... بــه زَيْنَــبٌ في نِسْــوَةٍ عَطِــراتِ[6]

ولَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ أعْرَضَــتْ ... وكُــنَّ مِــنَ انْ يَلْقَيْنَــهُ حَــذِراتِ

دَعَــتْ نِسْــوَةً شُــمَّ العَرانِــينِ بُدَّنًــا ... نَواعِــمَ لا شُــعْثًا ولا غَــبِراتِ[7]

فَـأَدْنَيْنَ لَمّــا قُمْــنَ يَحْجُبْــنَ دونَهــا ... حِجابًا مِــنَ القَسِّــيِّ والحِــبَرَاتِ[8]

أَجَلَّ الّــذي فوقَ السَّموَاتِ عَرْشُهُ ... أَوانِـــسَ بالبَطْحـــاءِ مُعْتَمِـــرَاتِ

يُخَبِّئْــنَ أَطْرافَ البَنَــانِ مــن التُّقَــى ... ويَخرُجْنَ شَطْرَ الليــلِ مُخْتَمِـرَاتِ[9]

قولُه:" مثلَ سِرْبٍ رأيتُه " هو القِطْعةُ من النِّساءِ أو من الظِّبَاءِ أو مــن البقَــر أو مــن الطَّيرِ ، كما قال[10] :

---

(١) شعره –شعراء أمويون ٣/١٢٣-١٢٦ق١٩/٣ ، ٦،١،٤،١٦،١٥،٥،٧ وفى روايتها اختلاف .

(٢) فى نسخة : و لم .

(٣) التنعيم موضع بمكة فى الحلّ وهو بين مكة وسرف . معجم البدان ٤٩/٢ .

(٤) (معتجرات) من اعتجرت المرأة لوث عل رأسها ثوباً من غير إدارة تحت الحنك وهو المعجر كمنبر وجمعه المعاجر .

(٥) "مُوَيه قريب من مكة ". وانظر معجم البلدان ٢٣٧/٤ .

(٦) نعمان : هو نعمان الأراك بينه وبين مكة نصف ليلة . معجم البلدان ٢٩٣/٥. وقد سبق البيت

(٧) بعده فى زيادات بعض النسخ :" ويروى : ولا غفرات ، بالفاء أخت القاف ، من الغفر وهو الشعر الذى ينبت فى اللحيين ، يقال : غفرت المرأة : إذا نبت لها ذاك الشعر ".

(٨) القسى نسبة إلى " القَس" وهو موضع بين العريش والفرما ، يصنع فيه ثياب من كتان مخلوط بحرير . والحبرات جمع حبرة وهى ضرب من برود اليمن موشى . عن رغبة الآمل ٢١٣/٥-٢١٤

(٩)الأبيات فى الأغانى (٢٠٣/٦_٢٠٥) وفى روايتها تقديم وتأخير وبعض اختلاف .

(١٠) هدبة بن خشرم العذرى . وقد سبق البيت ونسبه المبرد ثمة لعمر بن أبى ربيعة والصواب أنـه لهدبـة وسيأتى مـع آخر .

لم تَـرَ عَيْنِـي مثـلَ سِـرْبٍ رأيتُـهُ خَرَجْنَ علينا من زُقاقِ ابن وَاقِفِ[1]

فهذا يعني نساءً . ويقالُ : مَرَّتْ بنا سُـرْبةٌ مـن الطَّير ، في هـذا المعنـى ، قـال ذو الرُّمَّةِ :

سِوَى ما أصابَ الذِّئْبُ منـه وسُـرْبَةٌ أَطافَتْ بـه مِـنْ أُمَّهاتِ الجـوَازِلِ[2]

ويقالُ : فلانٌ واسعُ السَّرْبِ ، يعني بذلك الصَّدْرَ ، ويقال : خَـلٍّ لفـلانٍ سَـرْبَهُ ، أي . طريقهُ الذي يَنْسَرِبُ فيه ، ويقالُ للإبل كذلك بالفتح : لأذْعَرَنَّ سَرْبَكَ .

ويقالُ " حَذِرَاتٌ " و " حَذُراتٌ " و " يَقُظٌ " "ويقُظ " قال ابنُ أَحْمَرَ :

هَـل يُنْسِـئَنْ يَوْمِـي إلى غَـيْرِهِ أَنِّـي حَوَالِـيٌّ وأَنِّـي حَـذِرْ[3]

ويُرْوَى : " حَذُرْ " .

وقوله : وكن مِنَ انْ يلقَيْنَهُ حَذِرات[4]

فالأصلُ " مِنْ أنْ يلقينه " ولكنَّ الهمزةَ إذا خُفِّفَتْ وقبلَها ساكنٌ ليس من حروفِ اللِّينِ الزوائد فتَخْفِيفُها متصلةً كانت أو منفصلةً أن تُلْقِيَ حركتَها على ما قبلَها وتحْذِفَها، فتقولَ " مَنَ ابوكَ ؟ فتفتحُ النون وتحذف الهمـزة "ومـن اخوانـك "و"مـن ام زيـد؟" فتضم النُّونَ وتكسرُها ، على ما ذكرتُ لك ،وتقولُ:﴿الذي يُخْـرِجُ الخَبَ في السَّـموَاتِ﴾[5] و " فلانٌ له هَيَةٌ " و " هذه مَرَةٌ " إذا خَفَّفْتَ الهمزةَ في " الخَبْءِ " و " الهَيْئَةِ " و " المرأةِ " وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ سَلْ بَنِي إسْرائِيلَ ﴾[6] لأنَّهـا كـانتَ " اسْأَلْ " فلمَّا حُرِّكَتِ

---

(١)البيت من الطويل ، وهو لهدبة بن الخشرم فى ديوانه صـ ١١٦، ومعجم البلدان (١٤٥/٣) (زقـاق ابن واقف) ،وبلا نسبة فى لسان العرب (١٤٤/١٠) _ (زقق) ، وتاج العروس (٤٠٩/٢٥) (زقق).

(٢)البيت من الطويل / وهو لـه فى ديوانـه صـ ١٣٤٦، ولسـان العـرب صـ(١/ ٤٦٣) (سـرب) ، (١١٠/١١) ، (٢٩/١٢) (أمم) ، وتهذيب اللغة (٦١٤/١٠) وتاج العروس (٥١/٣) (سـرب) ، (وديوان الأدب (١/ ١٦٢) ، وكتاب العين (٢٤٨/٧) ، وبلا نسبة فى جمهرة اللغة صـ ١١٧٦.

(٣)البيت من السريع وهو للمرار بن منقذ العدوى فى لسان العرب ١٨٦/١١(حول) ، وبلا نسبة فى المخصص٢٢/٣.

(٤)البيت من الطويل وهو للنميرى وهو فى الأغانى ٢٠٥/٦.

(٥) سورة النمل :٢٥.

(٦) سورة البقرة : ٢١١.

السينُ بحركةِ الهمزةِ سقطتْ ألفُ الوصْلِ لتحرُّكِ ما بعدها ، وإنما كانَ التخفيفُ في هذا الموضع بحذف الهمزةِ ؛ لأن الهمزةَ إذا خُفِّفَتْ قَرُبَتْ من الساكنِ ، والدليلُ على ذلك أنها لا تُبْتَدأُ إلا مُحَقَّقَةً ، كما لا يُبْتَدَأُ إلاَّ بمتحرِّكٍ ، فلما الْتَقَى الساكنْ وحرفٌ يَجْرِي مَجْرَى الساكنِ حَذَفْتَ المعتلَّ منهما ، كما تَحْذِفُ لالتقاء الساكنَيْنِ .

وقولُه " دَعَتْ نِسْوَةٌ شُمَّ العَرَانِين " فـ " الشَّماءُ " السابغَةُ الأَنْفِ والمصدرُ "الشَّمَمُ" وقال أحدُ الشعراءِ يمدحُ قُثَمَ بنَ العبَّاسَ :

نَجَوْتِ مِنْ حَلٍّ وَمِن رِحْلَةٍ ... يَا نَاقَ إنْ قَرَّبْتِنِي مِنْ قُثَمْ
إنَّكِ إنْ بَلَّغْتِنِيهِ غَدًا ... عاشَ لنا اليُسْرُ ومَاتَ العَدَمْ
في باعِهِ طُولٌ وفي وَجْهِهِ ... نُورٌ وفي العِرْنِين مِنْهُ شَمَمْ
لم يَدْرِ مَا " لاَ " و " بَلَى " قَدْ دَرَى ... فعافَها واعْتَاضَ منها " نَعَمْ "[(١)]

[قال أبو الحسن : أنشدنَيه أبي لسليمانَ بنِ قَتَّةَ[(٢)] ، وأنشدني " من حلّي ومن رحلتي " وزادني :

أَصَمُّ عن ذِكْرِ الخَنَا سَمْعُهُ ... ومَا عَنِ الخَيْرِ به مِنْ صَمَمْ

" والعِرْنِينُ " و " المَرْسِنُ " و " الأَنْفُ " واحدٌ ، لِمَا يُحِيط بالجميع .

و " البُدَّنُ " واحدُها " بادِنٌ " كقولك:"شاهدٌ وشُهَّدٌ " و " ضامرٌ وضُمَّرٌ " وهو العظيمُ البَدَنِ ، يقالُ: " بَدُنَ " فلانٌ : إذا كثر لحمهُ ، و " بَدَّنَ " : إذا أَسَنَّ ، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ : " **إنِّي قَدْ بَدَّنْتُ ، فلا تَسْبِقُونِي بالرُّكُوعِ والسُّجُودِ**"[(٣)].

---

(١)الأبيات من بحر السريع وهى لداود بن سلم فى كتاب الأغانى ٢٦/٦

(٢) وأنشده أبو الفرج فى الأغانى ٢٠/٦و١٦٩/٩ لداود بن سلم ، وأنشده القالى فى ذيل الأمالى ١٢٩ عن المبرد لداود . وانظر ذيل السمط ٦٠.

(٣)الحديث " صحيح" أخرجه بنحوه ابن ماجه فى "إقامة الصلاة" من حديث أبى موسى وبنحوه أبو داود أيضاً فى " الصلاة"من حديث معاوية بن أبى سفيان ،وكذا الدارمى بسند حسن ، وانظر صحيح ابن ماجه (ح٧٨٧، ٧٨٨) ، وصحيح أبى داود (ح٥٧٨) ،وصحيح الجامع (ح٢٤٧١) ، وراجع الصحيحة(ح٧٢٥) وقد زاد نسبته فى" الإرواء " (٢/ ٢٨٩، ٢٩٠) إلى أحمد فى "المسند"(٩٢/٤) والبيهقى فى " الكبرى "(٩٢/٢) .

و " الأشْعَثُ " و " الشَّعْثَاءُ " الخاليان من الدُّهْنِ ، وكان عمرُ بنُ عبد العزيز يتمثَّلُ :

مَنْ كان حينَ تَمُسُّ الشَّمْسُ جَبْهَتَهُ ... أو الغُبَارُ يَخافُ الشَّيْنَ والشَّعَثَا

ويَألفُ الظِّلَّ كَيْ تَبْقَى بَشَاشَتُه ... فسَوْفَ يَسكُنُ يومًا راغِمًا جَدَثَا[1]

[قال أبو الحسن : وزادَني أبي :

في بَطْنِ مُظْلِمَةٍ غَبْراءَ مُقْفِرَةٍ ... كيْما يُطِيلُ بها في بَطْنِها اللَّبَثَا

تَجَهَّزِي بِجِهَازٍ تَبْلُغِينَ بِه ... يا نَفْسُ واقْتَصِدِي لم تُخْلَقِي عَبَثَا

* * *

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، ونظر إلى أمِّ عمر بنت مروان بن الحكم ، وكانت صارت إليه متنكرة فرأته وقضت من محادثته وطرًا ، ثم انصرفت ، فلما رجعت من منىً عرفها ، فعلمت ذلك ، فبعثت إليه: لا ترفع بي صوتًا ، وأهدت إليه ألفَ دينارٍ ، فاشترى بها عطرًا وبرا وأهداهُ لها ، فأبت أن تقبله ، فقال: إذًا وا لله أُنهبه فيكونَ أذيع له! فقبلته ، وفي ذلك يقول :

وكَمْ مِنْ قَتيلٍ لا يُباءُ بِه دَمٌ ... ومِن غَلِقٍ رَهْنًا إذا ضَمَّهُ مِنَى[2]

وكَمْ مالِئٍ عينيه مِن شيءِ غيرِهِ ... إذا راحَ نحوَ الجَمْرَةِ البيضُ كالدُّمى

يجرِرْنَ أذيالَ المروطِ بأسوقٍ ... خدالٍ إذا ولَّيْنَ أعْجازُها رِوَى

أوانِسُ يَسْلُبْنَ الحَلِيمَ فُؤادَهُ ... فَيَاطُولَ ما حُزْنٍ ويا حُسْنَ مُجْتَلَى

فلَمْ أرَ كالتَّخميرِ منظَرَ ناظِرٍ ... ولا كليالى الحجِّ أفتنَّ ذا هوى

وفيها يقولُ :

أيُّها الرائحُ المُجِدُّ ابْتِكارًا ... قد قَضَى مِن تِهامةَ الأوْطارا

ليت ذا الحج كان حتمًا علينا ... كلَّ شهرٍ يْنَ حِجَّةً واعتِمارًا

---

(١)البيتان من البسيط ، وهما لعمر بن عبد العزيز فى لسان العرب ٣٢٥/٥(جهز) ، وتاج العروس ٨٩/١٥ (جهز) .

(٢) الأبيات من الخفيف وهى لعمر بن أبى ربيعة فى الأغانى ٩/ ٧٨.

قوله : وكم من قتيلٍ لا يُباءُ به دَمٌ

يقولُ : لا يُقادُ به قاتِلُهُ ، وأصلُ هذا أنه يقالُ : " أَبَأْتُ " فلانًا بفـلانٍ فـ " بَـاءَ " به : إذا قتلْته بهِ ،ولا يكادُ يُستعملُ هذا إلاَّ والثاني كُفءٌ للأوَّلِ ، فمن ذلك قولُ مهَلْهِـلِ بن ربيعة ، حيثُ قَتَلَ بُجَيْرَ بن الحـارث بـن عُبـادٍ ، فقيـلَ للحـارث ـ ولم يكـن دخـل في حربهم ـ: إن ابنك قُتِلَ ، فقال : إنَّ ابْنِي لأَعْظَمُ قتيلٍ بركةً ، إنْ أصلَـحَ الله بـهِ بَيْـنَ ابْنَـيْ وائلٍ ، فقيل له : إنهُ لّما قُتلَ قال مُهَلْهِلٌ : بُؤْ بِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيْبٍ ! فعند ذلك أدخل الحارث يده في الحرب ، وقال :

قَرِّبَـا مَرْبَـطَ النَّعَامَـةِ مِنِّـي   لَقِحَـتْ حَـرْبُ وائـلٍ عـن حِيَـالِ

لا بُجَـيْرٌ أَغْنَـى قَتِيـلاً ولا رَهْـ   ـطُ كُلَيْـبٍ تَزَاجَـرُوا عَـنْ ضَـلاَلِ

لم أَكُـنْ مِـنْ جُنَاتِهـا عَلِـمَ اللَّـ   ـهُ وإنِّي بِحَرِّهَـا اليَـوْمَ صَـالِي[1]

وقالت ليلى الأخيليَّةُ :

فـإنْ تَكُـنِ القَتْلَـى بَـوَاءً فَـإِنَّكُمْ   فَتًى ما قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفِ بـنِ عَـامِرِ[2]

وقال التَّغْلَبيُّ :

ألا تَنْتَهِـي عَنَّـا مُلُـوكٌ وتَتَّقـي   مَحَارِمَنَـا لا يَبُـؤِ الـدَّمُ بـالدَّمِ[3]

ويقالُ : " بَاء " فلانٌ بذَنبِه ، أي : بَخَعَ به وأقرَّ ، قال الفرزدق لمعاوية :

فلو كانَ هذا الحُكْـمُ في غَـيْرِ مُلْكِكُـمْ   لَبُـؤْتَ بِـهِ أوْ غَـصَّ بالمـاءِ شَـارِبُهْ

---

(١) الأبيات من الخفيف للحارث بن عباد فى الأغانى ٥/ ٥٣.

(٢)البيت من الطويل وهو لليلى الأخيلية فى ديوانها صـ ٧٩ ، ولسان العرب ٣٧/١(بوأ) ، ١٤٧/١٥(فتا) ، وجمهرة اللغة صـ ٢٢٩ ، وتاج العروس ١٥٧/١(بوأ) ، وبلا نسبة فى ديوان الأدب ٤/ ١٨٢ .

(٣)البيت من الطويل ، وهو لجابر بن جنى التغلبى فى شرح اختيارات المفضل صـ ٩٥١، ولسان العرب ١/ ٣٨(بوأ) ، ٢٢١/٦(مكس) ، وبلا نسبة فى الكتاب ٩٥/٣.

ويقالُ " باءَ " فلانٌ بالشيء ، من قول أو فعلٍ ، أي : احتملَهُ فصارَ عليه .

وقال المفسِّرون في قول الله جلَّ وعزَّ:﴿إنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وإِثْمِكَ﴾[1]: أي يَجتمعا عليك فَتَحْمِلَهُمَا .

وأما قوله " ومِنْ غَلِقٍ رَهْنٍ " فَمَنْ جَرَّض فهو من قولهم " رَهْنٌ غَلِقٌ " فلما قَدَّمَ النعتَ اضطرارًا أَبْدَلَ منه المنعوت ، ولو قال : " ومِنْ غَلِقٍ رَهْنًا " فنصَبَ على الحال من المعرفةَ وهي الاسم المضمَرُ في " غَلِقٍ " - كان جيِّدًا .

وقوله : " إذا ضمَّهُ مِنًى " فإنَّما سُمِّيتْ " مِنًى " لِمَايُمْنَى فيها من الدَّمِ ، يقالُ في المَنِيِّ - وهي النُّطْفَة - : " مَنَى " الرجلُ و " أَمْنَى " . والقراءةُ " ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَا تُمْنُونَ ﴾[2] و ﴿ ما تَمْنُونَ ﴾ . ويقالُ : " مَذَى " الرجلُ و " أَمْذَى " و " وَدَى " و " أَوْدَى " فقولُهم : " وَدَى " يعني البَلَّةَ التي تكونُ في عَقِبِ البَوْلِ كالمَذْيِ ، وأما المَذْيُ فيَعْتَرِي من الشَّهْوَةِ والحركة ، وقال عليُّ بن أبي طالب رحمه الله : كلُّ فَحْلٍ مَذَّاءٌ . ومن كلامِ العربِ : كلُّ فحلٍ يَمْذِي ، وكلُّ أُنْثَى تَقْذِي . وهو أن يكون منها مثلُ المَذْي . ولِـ " مَنَى" موضعٌ آخرُ ، يقالُ : " مَنَى " الله لك خيرًا ، أي قَدَّر لك خيرًا ، ويقال " مَنَى " الله أن أَلْقَى فلانًا ، أي قَدَّرَ . و " المَنِيَّةُ " مِنْ ذَا ؛ يقالُ :لَقِيَ فلانٌ مَنِيَّتَه ، أي : ما قُدِّرَ له من الموت . فأمَّا " المَنِيئَةُ " بالهمز ، في : المَدْبَغَةُ ؛ وهي المكانُ الذي يُدْبَغُ فيه .

وقوله : إذا راحَ نحوَ الجَمْرَةِ البيضُ كالدُّمى[3]

فـ " الجمرةُ " إنما سُمِّيتْ لاجتماعِ الحَصَى فيها ، ومن ثَمَّ قيلَ[4]: لا تُجَمِّرُوا المسلمين فتَفْتِنُوهم وتَفْتِنُوا نساءَهم ؛ أي : لا تُجَمِّعُوهم في المَغَازِي ، و " التَّجْمِيرُ "

---

(١) سورة المائدة : ٢٩

(٢) سورة الواقعة : ٥٨. وقرأ الجمهور ما تمنون بضم التاء ، وقرأ ابن عباس وأبو السمال بفتحها. انظر البحر ٢١١/٨

(٣)هذا عجز بيت من الطويل ،وصدره : ومن مالئ عينيه من شيء غيره . وهو لعمر بن أبى ربيعة فى ديوانه صـ ٤٥٩، والكتاب ١/ ١٦٥ ، والمقاصد النحوية ٣/ ٥٣١ .

(٤) فى حديث عمر: لا تجمروا الجيش فتفتنوهم . النهاية ٢٩٢/١.

التَّجميعُ . وكذلك قيل [1]في " جَمَراتِ العربِ " ـ وهم : بنو نُمَيْرِ بن عامرِ بن صَعْصَعَة ، وبنو الحارث بن كعبِ بن عُلةَ بنِ جَلْدٍ ، وبنو ضَبَّةَ بن أُدٍّ بن طَابِخَةَ ، وبنو عَبْسِ بن بَغِيضِ بن رَيْثٍ لأنَّهم تَجمَّعُوا في أنفسهم و لم يُدْخِلُوا معهم غيرَهم . وأبو عبيدة لم يَعْدُدْ فيهم عَبْسًا في كتاب " الدِّيباجِ " ولكنه قال : فَطَفِئَتْ جَمْرَتانِ ، وهما بنو ضَبَّةَ ؛ لأنَّها صارَتْ إلى الرِّبابِ فحالَفَتْ ، وبنو الحَارِثِ ؛ لأنَّها صارتْ إلى مَذْحِجٍ ، وبَقِيتْ بنو نُمَيْرٍ إلى الساعةِ ، لأنها لم تُحالِفْ . وقال النُّمَيْرِيُّ يُجيبُ جريرًا :

نُمَيْرٌ جَمْرَةُ العَربِ الّتي لَمْ ... تَزَلْ في الحرب تَلْتَهبُ الْتِهَابَا
وإنِّي إذْ أَسُبُّ بها كُلَيْبًا ... فَتَحْتُ عليهمُ لِلْخَسْفِ بَابَا[2]

وقال في هذا الشعر :

ولولا أن يُقالَ هَجَا نُمَيْرًا ... ولم نَسْمَعْ لشاعِرِهَا جَوَابَا
رَغِبْنَا عَنْ هِجاءِ بَني كُلَيْبٍ ... وكيفَ يُشاتِمُ الناسُ الكِلاَبَا[3]

* * *

وقال عُمَرُ بنُ عبيد الله بن أبي ربيعة :

لَيتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولَنْ لِرَكْبٍ ... بفَلاَةٍ هُمْ لَدَيها هُجُوعُ
طالمَا عَرَّسْتُمُ فاسْتَقِلُّوا ... حَانَ مِن نَجْمِ الثُّرَيَّا طُلوعُ
إنَّ همِّي قَدْ نَفَى النَّوْمَ عنِّي ... وحَدِيثُ النَّفْسِ شيءٌ وَلُوعُ
قالَ لي فيها عَتِيقٌ مَقَالاً ... فَجَرَتْ مِمَّا يقولُ الدُّمُوعُ
قالَ لي : ودِّعْ سُلَيْمَى ودَعْهَا ... فَأَجابَ القَلْبُ : لا أَسْتَطِيعُ
لا تَلُمْنِي في اشْتِياقِي إليها ... وَابْكِ لي مِمَّا تُجِنُّ الضُّلوعُ

---

(١) انظر جمرات العرب فى النقائض٩٤٦، والعقد ٣/٣٦٧، والعمدة ٢/١٩٧-١٩٨.

(٢)البيتان من الوافر ، وهما للراعى النميرى فى ديوانه صـ ١٨، وتاج العروس ١٠/٤٦٠ (جمر).

(٣) البيتان من الوافر ، وهما للراعى النيرى فى ديوانه ص ١٨ ، وتاج العروس ١٠/٤٦٠ (جمر) .

قولُهُ : حَانَ من نَجمِ الثُّرَيَّا طُلُوعُ

كنايةٌ ، وإنما يريدُ الثُّرَيَّا بنتَ عليٍّ بن عبد الله بن الحارث بن أُمَيَّةَ الأصْغَر وهُمُ العَبَلاَتُ [١]. وكانت الثريا وأختُها عائشةُ أَعْتَقَتَا الغَرِيضَ المُغَنِّيَ ، واسْمه عبدُ المَلك ، ويُكْنَى أبا يزيدَ [٢]. ويقولُ إسحاق بن إبراهيمَ المَوْصِليُّ : إنما سُمِّيَ الغَرِيضَ بالطَّلْعِ ، لأن الطَّلْعَ يقالُ له الإغْرِيضُ ، وليس هو عندي كما يقول ، وإنما سُمي الغَرِيضَ لِطَراءَتِهِ ، [٣] يقال : لَحْمٌ غَرِيضٌ .

وكانت الثُّرَيَّا موصوفةً بالجمال ، وتَزَوَّجها سُهَيْلُ بن عبدِ الرحمن بنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيُّ [٤] ، فَنَقَلَها إلى مصرَ ، فقال عمرُ يَضْرِبُ لهما المَثَلَ بالكَوْكَبَيْنِ :

أَيُّهَا المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً ... عَمْرَكَ اللهَ كيفَ يَلْتَقِيَانِ

---

(١) العبلات هم أمية الأصغر وعبد أمية ونوفل أبناء عبد الشمس وأمهم عبلة بنت عبيد بن جاذل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وبها يعرفون . انظر الخزانة ٢٣٨/١، ورغبة الآمل ٢٣٣/٥، والأغانى ٢١٠/١-٢١١

(٢) قال ابن السيد :" رأيت فى كتاب اللهو لابن خرداذبه أن كنيته أبو زيد ، وقال :هو من مولدى البربر يضرب العود ، أخذ الغناء عن ابن سريج ثم حسده فطرده وكان جميلاً" . وقال البغدادى :" وربته الثريا وعلمته النوح بالمراثى على من قتله يزيد بن معاوية يوم الحرة . وقيل إن الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وذكر الزبير بن بكار أنها الثريا بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن الحارث بن أمية الأصغر وأنها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبى جراب العبلى الذى قتله داود ابن على . كذا فى الغرر والدرر للشريف [٣٤٦/١-٣٤٧] عن الخزانة ٢٣٨/١. وكان فيها " كتب اللهو لابن جرادبة وهو تغيير وتحريف

وعقب أبو الفرج على قول الزبير قال :" وهذا غلط من الزبير عندى، والثريا أن تكون بنت عبد الله بن الحارث أشبه من أن تكون أخت الذى قتله داود بن على ...وهذا القول الذى قتله قول ابن الكلبى وأبى اليقظان ، أخبرنى به فى الحسن بن على عن أحمد بن الحارث عن المدائنى عن أبى اليقظان ، قال : وحدثنى به جماعة من أهل العلم بنسب قريش " الأغانى ٢١١/١. وانظر أنساب العرب ٧٦،ووفيات الأعيان ٤٣٦/٣.

(٣) انظر الأغانى ٣٥٩/٢

(٤) الذى صوبه أبو الفرج أنه سهيل بن عبد العزيز بن مروان ،ولم يرتضيه البغدادى فرأى أن الصواب أنه سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى كمال قال المبرد وهو قول الزبير بن بكار . انظر الأغانى ٢٣٢/١ ، والخزانة ٢٣٩/١.

هــي شــاميَّةٌ إذا مـــا اسْــتَقَلَّتْ وسُـــهَيْلٌ إذا اسْــتَقَلَّ يَمَـــانِ(1)

وقوله : قال لي فيها عَتِيقٌ مقَالاً

تَزْعُمُ الرُّواةُ أنَّ كلَّ شيءٍ ذَكَرَ فيه عَتيقًا أو بَكْرًا فإنما يعْنِي ابن أبي عَتِيق .

وكان ابن أبي عَتيقٍ من نُسَّاكِ قريشٍ وظُرَفائهم ، بل كان قد بَذَّهــمْ ظَرْفًا ، ولـه أخبارٌ كثيرةٌ ، سَيَمُرُّ بعضُها في الكتابِ إن شاءَ اللهُ .

* * *

فَمِنْ طَرِيفِ أخبارِه : أنَّهُ سمِعَ وهو بالمدينة قولَ ابن أبي ربيعةَ :

فَمَا نِلْتُ منها مَحْرَمًــا غــيرَ أنَّنــا كِلاَنَـا مـن الثَّوْبِ الْمُطَرَّفِ لاَبِــسُ(2)

فقال:أبِنَا يَلْعَبُ ابنُ أبي ربيعةَ ؟ وأيُّ مُحَرَّمٍ بَقِيَ! فركبَ بغلتَه متوجِّهًا إلى مكة ، فلما دخل أنصاب الحَرَمِ قيل له : أحْرِمْ ، قــال : إنَّ ذا الحاجـةِ لا يُحْـرِمُ ، فلَقِـيَ ابـنَ أبـي ربيعة فقال : أمَا زعمتَ أنك لم تَرْكَبْ حرامًا قَطُّ ؟ قال : بلَى ، قال : فما قولُك :

---

(1) البيتان من الخفيف ، وهما لعمـر بـن أبـى ربيعـة ، الأول فىملحـق ديوانـه ص ٥٠٣، والأغـانى ١/ ٢١٩ ، وأمـالى المرتضــى ١/ ٣٤٨ ، وخزانـة الأدب ٢/٢٨ ، والشـعر والشـعراء ٢/ ٥٦٢ ، ولسان العرب (عمر) والمقاصد النحوية ٣/ ٤١٣ .

وللنعمان بن بشير فى ديوانه ص١٤ ، وبلا نسبة فى المقتضب ٢/٣٢٩ .

والثانى بلا نسبة فى تاج العروس (شأم) .

(2) قال محقق (س) بهامش الأصل ما نصه:" أول هذه القصيدة :

من لسقيم يكتم الناس ما به لزينب نجوى صدره والوساوسُ

أقــول لمن تأت يــومًا بزينب بزينب تدرك بعض ما أنت لامسُ

فإنك إلا يبغى الشفاء متى تؤب فإنى مــن طــب الأطــباء يائس

فلست بناس ليلة الدار مجلساً لزينب حتى يعــلو الرمس رامسُ

خلاء بدت قمراؤه وتمحضت دجنته وغــاب مــن هو حارسُ

[فما نلت .... البيت]

نجيين نقضى اللهو فى غير محرم ولو رغمت [ملكا شحين] المعاطس "اهـ

انظر ديوان عمر ص ٣٩٥-٣٩٦

قال له إذن أُخْبِرَكَ : خَرَجَتْ بِعِلَّةِ المسجدِ فصرنا إلى بعض الشِّعَابِ ، فأخذتنا السماءُ ، فأمرتُ بمُطْرَفِي فستَرَنا الغِلْمانُ به ، لئلاّ يروا بها بلّةً فيقولوا هلاّ اسْتَتَرْتِ بسقائِفِ المسجد ؟ فقال له ابنُ أبي عتيقٍ : يا عَاهِرُ ، هذا البيتُ يَحْتَاجُ إلى حاضِنَةٍ !!!.

وابنُ أبي عتيقِ الذي سَمِعَ قولَ عمرَ بنَ أبي ربيعة :

مَنْ رَسُولِي إلى الثُّرَيَّا بأنِّي ضِقْتُ ذَرْعًا بهجرِها والكِتَابِ[1]

فلبسَ ثيابَه وركِبَ بغلتَه وأتى بابَ الثُّرَيَّا ، فاستأذنَ عليها ، فقالتْ : والله ما كنت لنا زَوَّارًا ، فقال : أجَلْ ولكن جئتُ برسالةٍ : يقولُ لكِ ابنُ عمِّك عَمَرُ بنُ أبي ربيعة " ضِقْتُ ذرعًا بهجرك والكتابِ " ، فلامَهُ عمرُ ، فقال له ابنٌ أبي عتيق : إنما رأيتُك تلتمسُ رسولاً ، فخَفَفتُ في حاجتك ، فإنّما كان ثَوابي أن أُشْكَرَ ! .

ومن طَريفِ أخباره : أنَّ عائشةَ بنت طلحةَ عَتَبَتْ على مُصْعَب بن الزُّبير فهَجرَتْهُ ، فقال مصعبٌ : هذه عَشَرَةُ آلافِ درهمٍ لمن احْتَال لي أن تُكلِّمني ، فقال له ابنٌ أبي عتيق : عَدِّل المالَ ، ثم صار إلى عائشة ، فجعلَ يَسْتَعْتِبُها لمصعبٍ ، فقالت : والله ما عَزْمِي أن أُكَلِّمَه أبدًا ! فلما رَأى جدَّهَا قال : يا بنة عَمِّي ، إنّه قد ضَمِنَ لي إن كلَّمتِهِ عَشَرَةَ آلافِ درهمٍ ، فكلِّميه حتى آخُذَها ثم عُودِي إلى ما عَوَّدَكِ الله .

ومن أخباره : أنَّ مَرْوانَ بنَ الحكَمَ قال يومًا : إنِّي مَشْغُوفٌ ببغلةٍ للحسنِ بن عليٍّ بن أبي طالبٍ رحمهما الله ، فقال له ابنُ أبي عتيقٍ : إن دَفَعْتُها إليك أتَقْضِي لي ثلاثين حاجةً ؟ قال : نعم ، قال : فإذا اجْتَمَعَ الناسُ عندك العَشِيَّةَ فإني آخُذُ في مآثِرِ قُريشٍ ، ثم أُمْسِكُ عن الحسنِ ، فَلُمْنِي على ذلك ؛ فلمّا أخذ القومٌ مَجالِسَهم أفاضَ في أوَّلِيَّة قريشٍ ، فقال له مروانُ : ألا تذكرُ أوَّلِيَّةَ أبي محمدٍ ، وله في هذا ماليسَ لأحَدٍ ؟ قال : إنما كُنّا في ذِكْرِ الأشْرافِ ، ولو كُنَّا في ذِكْرِ الأنبياء لَقَدَّمْنَا ما لأبي محمدٍ ! فلمَّا خرجَ الحسنُ ليركب تَبِعَهُ ابن أبي عتيق،فقال له الحسنُ - وتَبَسَّمَ - " أَلَكَ حاجةٌ ؟ فقال : ذكرتُ البغلةَ ، فنزل الحسنُ فدَفَعها إليه !! .

ومن طَرِيفِ أخباره : أنَّ عثمانَ بن حيَّانَ المُرِّيَّ لَمّا دخل المدينة واليًا عليها اجتمع إليه الأشرافُ من قريشٍ والأنصار ، فقالوا له : إنّك لا تَعْمَلُ عملاً أجْدَى ولا أوْلَى من

---

(١) البيت من الخفيف ، وهو لعمر بن أبى ربعية فى الأغانى ١/٢٢٣، وديوانه ص٤٣٠.

تحريم الغِنَاءِ والرِّثاء ، فَفَعَلَ ، وأجَّلَهُمْ ثلاثًا ، فقَدِمَ ابنُ أبي عتيـق في الليلـةِ الثالثـة ، فحَـطَّ رَحْلَه بباب سَلاَّمَة الزَرْقاء ، وقال لها : بَدَأْتُ بك قبلَ أنْ أصيرَ إلَى منزلي ، فقالت : أو مـا تَدْري ما حَدَثَ ؟ ! وأخبَرته الخبرَ ، فقال : أقيمي إلى السَّـحر حتّـى ألقـاهُ ، فقـالت : إنـا نخاف ألا تُغْنِيَ شيئًا ونُنْكَظَ ـ تَعْنِي : تنالنا شِدَّةٌ ـ فقال : إنَّه لا بأسَ عليكِ ، ثم مَضَى إلى عثمانَ بن حَيَّانَ فاستأذنَ عليه ، وأخبره أنَّ أحذَّ ما أقْدَمَهُ حُبُّ التَّسْلِيم عليـه ، وقـال لـه : إنَّ مِنْ أفضَلِ ما عمِلْتَ به تَحريمَ الغِنَاء والرِّثاء ! فقال : إنَّ أهْلَـكَ أشـاروا علـيَّ بذلـك ، قال : إنَّك قد وُفِّقْتَ ! ولكنِّي رسولُ امرأةٍ إليكَ تقولُ : قد كـانت هـذه صِنَـاعَتِي فتُبْـتُ إلى الله منها ، وأنا أسْأَلُكَ أيُّها الأميرُ أن لا تحولَ بينَها وبينَ مجاورةِ قـبرِ رسـول الله ﷺ ، فقال عثمانُ : إذا أدَعَها لك ، فقال : إذَنْ لا يَدَعَها الناسُ ، ولكن تَدْعُوا بها فَتَنْظُرُ إليها ، فإن كانت مِمَّنْ تُتْرَكُ تَرَكْتَها ، قال :فادْعُ بهـا ، قـال : فأمرهـا ابـن أبـي عتيـق فتقشـفت وأخذت سُبْحة في يدها ، وصارت إليه ، فحدثته عن مآثر آبائه ، ففكه لها ، فقال لها ابن أبي عتيق : اقرئي للأمير ، ففعلت ، فأعجب بذلـك فقـال لهـا : فـاحدي للأمـير فحركـه حداؤها ، ثم قال : غبرى للأمير ، فجعل يعجب بذلك عثمان ، فقال له ابن أبـي عتيـق ، فكيف لو سمعتها في صناعتها ؟ فقال : قل لها فلتقل ، فأمرها فتغنت :

سددن خصاص الخيم لما دخلنه بكل لبان واضح وجبين

فنزل عثمان بن حيان عن سريره حتى جلس بين يديهـا!! ثـم قـال : لا والله ، مـا مثلـك يخرج عن المدينة!! فقال له ابن أبي عتيق : يقول الناس أذن لسلامة في المقام ومنع غيرها ! فقال له عثمان : قد أذنت لهم جميعا !!

* * *

وقال ابنُ نميرٍ الثقفيُّ :

أشَـاقَتْكَ الظَّعَـائِنُ يـومَ بَـانُوا بذِي الـزِّيِّ الجميـلِ مـن الأثَـاثِ

ظَعَـائِنُ أُسْـلِكَتْ نقْـبَ المُنَقَّـى تَحُـثُّ إذا وَنَـتْ أيَّ احْتِثَـاثِ

كـأنَّ علـى الظّعـائِنِ يـومَ بَـانُوا نِعَاجًـا تَرْتَعِـي بَقْـلَ الـبِرَاثِ

يُهَيِّجُنِـي الحمـامُ إذا تَغَنَّـى كمـا سَـجَعَ النَوائـحُ بـالمراثِي[1]

---

(١) الأبيات من الوافر ، وهي لمحمد بن عبد الله بن نمـير الثقفي في الأغاني (٦/٢٠٧-٢٠٨) مع اختلاف في الألفاظ ، والأول له فـي جمهـرة اللغـة ص٥٤، ولسـان العـرب (رأى) ،ومعجـم البلـدان ٥/٢٩٨ (نقب) ، وللثقفي في مقاييس اللغة ١/٨ ، وتاج العروس ٤/٣٠٤(نقـب) ، (رأى) ، وبـلا نسبة في لسان العرب ١٤/٢٩٨ (رأى).
ويروى :" بذى الرئى " .=

قولُه :" الظعائنُ " واحدتُها " ظَعينةٌ " وإنَّما قيلَ لها " ظَعينةٌ " وهم يريدون مظْعُونًا بها ، كقولك :" قتيلٌ " في معنى مقتولٍ ، ثم استعمل هذا وكَثُرَ ، حتى قيلَ للمرأة المُقِيمَةِ " ظَعينةٌ " .

وقوله : **بذِي الزِّيِّ الجميل من الأَثَاثِ**

هي الرواية الصحيحة . وقد قيلَ : " بذِي الرِّئي الجَمِيلِ " واسْتَهْواهُمْ إليه قولُ الله جلَّ ثناؤُه : ﴿ **هُمْ أحْسَنُ أثَاثًا ورئْيًا** ﴾(١) فـ " الأَثَاثُ " : مَتاعُ البيت ، و " الرِّئي " ما ظَهَر من الزِّينةِ ، وإنما أُخِذَ من قولك:"رَأَيْتُ " فالرِّئيُ غيرُ الأَثَاثِ ، والزِّيُّ من الأَثَاثِ ، فمن هاهنا غَلِطُوا .

وقوله :" أُسْلِكَت نَقْبَ المُنَقَّى " فـ " المُنَقَّي " موضعٌ بعينه (٢)، و " النَّقْبُ " الطريقُ في الجبل ، و " الخَلُّ " الطريقُ في الرَّمْلِ ، فإذا اتَّسعَ الطريقُ في الجبل وعَلا فهو " ثَنِيَّةٌ " وقال ابنُ الأَيْهَم التَّغْلَبيُّ :

وتَراهُنَّ شُزَّبًا كالسَّعَالِي(٣) يَتَطَلَّعْنَ مِن ثُغُورِ النِّقَابِ(٤)

وقوله : **نِعَاجًا تَرْتَعِي بَقْلَ البِرَاثِ**

فـ " النعجةُ " عند العرب البقرةُ الوَحْشِيَّةُ ، وحُكْمُ البقرةِ عندهم حُكْمُ الضَّائِنة ، وحُكْمُ الظَّبيةِ عندهم حُكْمُ الماعزة ، والعربُ تَكْنِي بالنعجة عن المرأة وبالشاة ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **إنَّ هَذا أخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُون نَعْجَةً** ﴾(٥) . وقال الأعشى :

فرميتُ غفْلَةَ عينهِ عن شاتهِ فأصبتُ حبَّةَ قلبها وطحالها

=والثانى لمحمد بن عبد الله النميرى فى تاج العروس ٣٠٤/٤ (نقب) .

(١) سورة مريم ٧٤و " رئيا" بالهمز قراءة الجمهور .

(٢) هو بين أحد والمدينة . معجم البلدان ٢١٥/٥ .

(٣) شزبًا ضوامر الواحد شازب و(السعالى) جمع سعلاة " بكسر السين" أخبث الغيلان . رغبة الآمل ٢٣٩/٥ .

(٤) البيت من الخفيف ، وهو لعمرو بن الأيهم التغلبى فى أمالى القالى ٤٤/١ ، وسمط اللآلى ص١٨٤، وبلا نسبة فى لسان العرب ٧٦٧/١ (نقب) ، والمخصص ٧٦/١٠ ، وتاج العروس ٢٩٩/٤ (نقب) .

(٥) ص : ٢٣ ، وتفسير المرأة هنا بالنعجة مما يستقبح من أبى العباس ، لأنه إنما ورد فى الإسرائيليات الباطلة فى تفسير هذه الآية . انظر الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير للعلامة أبى شهبة (ص ٢٦٤-٢٧٠).

يريدُ المرأة . وأمَّا " البِرَاثُ " فهي الأماكنُ السَّهلةُ من الرَّمْلِ ، واحِدُهـا " بَـرْثٌ " مفتوحُ موضعِ الفاءِ من الفِعْـل ، وتقديرُهـا تقديـرُ " كَلْـب وكِـلاَب " . " والسَّجْعُ " في كلام العرب : أنْ تأْتَلِفَ أواخرُ الكلام على نَسَقٍ، كما تأتلفُ القوافي ، وهـو في البهـائمِ : مُوالاَةُ الصَّوْتِ ، قال ابنُ الدُّمَيْنَةِ :

أَأَنْ سَجَعَتْ وَرْقَاءُ في رَوْنـقِ الضُّحَـى ... على فَنَنٍ غَضٍّ النَّبَاتِ مِنَ الرَّنْدِ[1]

* * *

وقال عمر بن أبي ربيعة :

قـال لِـي صـاحِبي لِيَعْلَـمَ مَـا بِـي ... أَتُحِـبُّ القَتُـولَ أُخْـتَ الرَّبَـابِ؟

قلـتُ : وَجْدِي بها كَوَجْدِكَ بالمـا ... ءِ إذا مَـا مُنِعْـتَ بَـرْدَ الشَّـرَابِ

مَـنْ رَسُـولِي إلى الثُّرَيَّـا بـأنِّي ... ضِقْـتُ ذَرْعًـا بهجرِهـا والكتـاب

أَزْهَقَـتْ أمُّ نَوْفَـلٍ إِذْ دَعَتْهـا ... مُهْجَتِـي مـا لِقَـاتِلي مِـنْ مَتَـابِ

حـينَ قـالتْ لها : أجيـبي فقـالت : ... مَنْ دَعَـانِي ؟ قـالتْ : أبو الخَطَّـابِ

فاسْتَجَابَتْ عِنْـدَ الدُّعـاء كمـا لَبْـ ... ـبَى رجالٌ يَرْجُونَ حُسْـنَ الثَّـوابِ

أبرزوهـا مثـل المهـاة تهـادى ... بـين خمـس كواعـب أتـراب

وهـى مكـورة تحـير منهـا ... فـى أديـم الخديـن مـاء الشـباب

ثـم قـالوا: تحبهـا ؟ قلـت: بهـرًا ... عـدد النجـم والحصـى والـتراب

دميـة عنـد راهـب ذى اجتهـادٍ ... صوروهـا فـى جـانب المحـراب[2]

قوله : قلتُ وجْدِي بها كوَجْدِكَ[3] بالماء

معنًى صحيحٌ ، وقد اعْتوَرَهُ الشعراءُ ، وكلُّهم أجادَ فيه .

---

(١)البيت من الطويل ، وهو لابن الدمينة فى ديوانه ص ٨٥ ، والأغانى ١٠٩/١٧ ، وبلا نسبة فى مقاييس اللغة ٢/ ٤٤٤.

(٢) الأبيات من الخفيف ، وهى له فى الأغانى ١/ ٢٣٧ ، وديوانه ٤٣٠-٤٣١.

وقوله :   إذا مُنِعْتَ بَرْدَ الشَّرابِ

يريدُ : عندَ الحاجةِ ، وبذلك صَحَّ المعنى ، ويُروَى عن عليٍّ بن أبي طالب رحمه الله أنَّ سائلا سأله ، فقال : كيفَ كان حُبُّكم لرسول الله ﷺ ؟ فقال : " كان والله أحَبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائِنا وأُمَّهاتنا ومن الماءِ البَاردِ على الظَّمَأ " . وقال آخرٌ ، وأحْسِبُهُ قَيْسَ بن ذَرِيحٍ :

حَلْفتُ لها بالمَشْعَرَيْنِ وزَمْزَمٍ   وذُو العرشِ فَوْق المُقْسِمينَ رَقِيبْ

[قال أبو الحسن : ويُرْوَى " والله فوقَ المُقْسِمِينَ " وهو أحبُّ إليَّ]

لَئِنْ كان بَرْدُ الماء حَرَّانَ صَاديًا   إليَّ حبيبًا إنَّها لَحبيبُ(1)

وقال القُطَامِيُّ :

يَقْتُلْنَنَا بحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ   مَنْ يَتَّقِينَ ولا مَكْتُومُهُ بَادِي

فَهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِبْنَ بِهِ   مَوَاقِعَ المَاءِ مِنْ ذِي الغُلَّةِ الصَّادِي(2)

والقول فيه كثيرٌ .

وقوله :   ضِقْتُ ذَرْعًا بهجرها والكتابِ

قوله : " والكتابِ " قَسَمٌ .

وقولُه :

أَزْهَقَتْ أمُّ نَوْفَلٍ إذ دَعَتْها   مُهْجَتِي . . . .

تأويله : أَبْطَلَتْ وأَذْهَبَتْ ، قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ **فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** ﴾(3) وللزَّاهِقِ مواضعُ آخرُ ، وهو : السَّمِينُ المُفْرِطُ ، قال زُهَيْر(4) :

---

(1) البيت من الطويل ، وهما للمجنون فى ديوانه ص ٤٩ ، وسمط اللآلى ص ٤٠٠ ولعروة بن خزام فى خزانة الأدب ٣/ ٢١٢ ، ٢١٨ ، والشعر والشعراء ص ٦٢٧ ،وهو لكثير عزة فى ديوانه ص ٥٢٢ ، والمقاصد النحوية ٣/ ١٥٦ ، ولقيس بن ذريح فى ديوانه ص ٦٢ ، وبلا نسبة فى شرح الأشمونى ٢٤٩/١ وابن عقيل ص ٣٣٠ ، وشرح عمدة الحافظ ص ٤٢٨ .

(2) البيتان من البسيط ،وهما للقطامى فى ديوانه ص ٨١ ، ولسان العرب (صدى) ،وأساس البلاغة (نبذ).

(3) سورة الأنبياء :١٨

(4) البيت من البسيط ، وهو لزهير فى ديوانه ص١٥٣ ، ولسان العرب (زهم) ،(شنن) ، وتهذيب اللغة ١٦٧/٦ ، وجمهرة اللغة ص ٨٢٤، ص٨٢٩ ، ومجمل اللغة ٢٩/٣ ، وكتاب العين ٣٦٣/٣، وتاج العروس (زهم) ، وبلا نسبة فى لسان العرب (زهق) .

الْقَائِدُ الخَيْلَ مَنْكُوبًا دَوَابِرُهَا　　　منها الشَّنُونُ[1] ومنها الزَّاهِقُ الزَّهِمُ[2]

وقولُه :" ما لِقَاتِلي من مَتَابِ " يقولُ : من توبةٍ ، والمصدَرُ إذا كان بزيادة الميم من"فَعَلَ يَفعُلُ"فهو على"مَفعَلٍ " قال الله جلَّ وعزَّ :﴿ **فإنَّه يَتُوبُ إلى الله مَتَابًا** ﴾[3] وأمّا قولُه جلَّ ذكره : ﴿ **غَافِرِ الذَّنْبِ وقابلِ التَّوْبِ** ﴾[4] فيكونُ على ضَرْبَيْنِ : يكونُ مصدرًا ، ويكون جمعًا،فالمصدرُ قولُك :" تَابَ يَتُوبُ تَوْبًا " كقولك "قال يقولُ قولاً" ، والجمعُ " تَوْبَةٌ وتَوْبٌ " مثلُ " تَمرةٍ وتَمرٍ " و " جَمْرةٍ وجَمْرٍ " .

وقولُهُ :　　**أبْرَزُوهَا مِثْلَ المهاةِ تَهَادَى**

فـ " المَهَاةُ " البقرةُ في هذا الموضِع ، وتُشَبَّهُ بالبقرة من الوَحْشِ لِحُسْنِ عينيها ولِمِشْيَتِها ، والبقرةُ يقالُ لها :" العَيْنَاء " والجِمَاعُ " العِينُ " وكذلك يقالُ للمرأةِ ، وتكونُ " المَهَاةُ " البِلَّوْرَةَ في غير هذا الموضع .

وقولُه " تَهَادَى " أي: يَهْدِي بعضُها بعضًا في مِشْيَتِها ، ومِشْيَةُ البقرةِ تُسْتَحْسَنُ ، قال ابن أبي ربيعةَ [5]:

أبْصَرْتُهَا غُدْوَةً ونِسْوَتَها　　　يَمْشِينَ بين المَقَامِ والحَجَرِ

يَمْشِينَ في الرَّيْطِ والمُرُوطِ كما　　　تَمشِي الهُوَيْنَا سواكِنُ البَقَرِ[6]

وقولُه : " كواعب " الواحدة " كاعِبٌ " وهي التي قد كَعَّبَ ثَدْيَاهَا للنُّهُودِ . و " أتْرَابٌ " أقرانٌ يقال : فلانٌ " تِرْبُ " فلانٍ .

---

(١) (الشنون) من الخيل بين السمين والمهزول قال الأصمعى لم أسمع له فعلاً .رغبة الآمل ٥/٢٤٤

(٢) (الزهم) بكسر الهاء " الكثير الشحم . رغبة الآمل ٥/٢٤٤.

(٣) سور الفرقان : ٧١

(٤) سورة غافر :٣

(٥) البيتان من المنسرح ، وهما لعمر بن أبى ربيعة فى الأغانى ١/١٨٠، ١٢/١٤٥، وديوانه ص١٤٤ مع اختلاف فى الرواية .

(٦) الريط جمع ريطة وهى الملاءة ليست بذات لفقين ولا تكون إلا بيضاء . و(المروط) جمع المِرْط بكسر فسكون وهو كساء من خز أو صوف أو كتان .عن رغبة الآمل ٥/٢٤٥.

و " المَمْكُورَةُ " المُكْتَنِزَةُ .

وقولهُ : ثم قالوا :تُحِبُّهَا ؟ قلتُ : بَهْرًا [1]

قال قومٌ : أراد بقوله :" تُحِبُّها " الاستفهامَ ، كما قال امرؤ القَيْسِ :

أحـارِ تَـرَى بَرْقًـا أُرِيـكَ وميضَـهُ . . . . [2]

فَحَذَفَ ألفَ الاستفهام ، وهو يريد : " أَتَرَى " ، وقالوا : أراد " أَتُحِبُّها " ، وهذا القولُ خطأٌ فاحشٌ ، إنما يجوز حذفُ الألِفِ إذا كان في الكلام دليلُ عليها، [3] وسنفسرُ هذا ونذكرُ الصَّوابَ فيه ، إن شاء الله .

قولُه :" تُحِبُّها " إيجابٌ عليهِ غيرُ استفهامٍ ، إنما قالوا : أنت تُحِبُّها ، أي : قد علمنا ذلك ، فهذا معنى صحيحٌ لا ضرورة فيه .

---

(١)البيت من الخفيف ، وهو من كلمة عمر بن أبى ربيعة السابق تخريجها وهو له أيضًا فى أمالى المرتضى ٢٨٩/٢ ، والدرر ٦٣/٣ ، وجمهرة اللغة ص ٣٣١ ، والخصائص ٢٨١/٢ ، وشرح أبيات سيبويه ٢٦٧/١، وشرح شواهد المغنى ص ٣٩ ، وشرح المفصل ١٢١/١، ولسان العرب (بهر) ومغنى اللبيب ص ١٥ ، وبلا نسبة فى أمالى المرتضى ١/ ٣٤٥ ، والكتاب ١/ ٣١١، وكتاب اللامات ص ١٢٤ ، وهمع الهوامع ١/ ١٨٨.

(٢) البيت من الطويل ، وعجزه : كلمع اليدين فى حبى مكلل وهو للأسود بن يعفر فى ديوانه ص ٥٧ ، وشرح المفصل ١/ ٤٦ ، ولسان العرب (خلد) ، (حجا) ،و نوادر أبى زيد ص ١٦٠ ، ولامرئ القيس فى ديوانه ص ٢٤ ، ولسان العرب (كلل) ، وبلا نسبة فى الاشتقاق ص ٢٤٤، وإصلاح المنطق ص ٤٠٣ ، وأمالى ابن الحاجب ص ٣٢٨ ، وجمهرة اللغة ص ٤٤٢، ٦٥٧ ، ١٠٣٧.

(٣) قال محقق (س) : قال أبو الوليد الوقشى " قوله ":وقالو أراد أتحبها وهذا القول خطأ" بل قوله هذا هو الخطأ ، وما حكوه من حذف الألف دون دليل فى اللفظ عليها إلا بما يعطيه معنى الكلام معروف لهم ، قال حضرمى بن عامر الأسدى يرد على من عيَّره أنه فرح بموت أخيه وميراثه :

أفرح أن أرزأ الكرام وأن أورث ذوصًا شصًا نبلاً ": اهـ

عن شرح أبيات مغنى اللبيب ٣٤/١-٣٥.

وقال ابن السيد فيما كتبه على هامش الكامل :"أكثر ما تحذف ألف الاستفهام إذا كان بعدها "أم " لأن " أم " تدل عليها ، فإذا لم تكن فى الكلام لم يجز عند أكثر النحويين ،وهذا هو الذى أراد أبو العباس المبرد ، وقد جاء فى الشعر دون ذكر "أم" قال الشاعر :

أفرح أن أرزأ الكرام ... البيت " اهـ عن شرح أبيات مغنى اللبيب ٣٥/١.

وأمَّا قول امرئ القيسِ فإنّما جازَ لأنّه جَعَلَ الألِفَ التي تكونُ في الاستفهام تنبيهًا للنّداء ، واسْتَغْنَى بها ، ودَلّتْ على أنَّ بعدها ألفًا مَنْويَّةً فحُذِفَتْ ضرورةً ؛ لِدلالةِ هذه عليها ، ونظيرُ قول امرئ القيس " أحَارِ تَرَى بَرْقًا " فاكتفى بالألفِ عن أن يُعِيدَها في " تَرَى " قولُ ابنِ هَرْمَةَ:

وَلا أرَاهَا تَزَالُ ظالمةً تُظْهِرُ لي قَرْحَةً وتَنْكَؤُهَا(١)

اسْتَغنى بـ" لا " الأولى عن إعادتها (٢)،كما قال التَّميميُّ ،وهو اللّعِينُ المِنْقريُّ(٣) .

لَعَمْرُك ما أدْرِي وإنْ كُنْتُ دَارِيًا شُعَيْثُ ابنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ ابنُ مِنْقرِ؟(٤)

---

(١) البيت من المنسرح ، وهو لابن هرمة فى ديوانه ص ٥٦ ، وخزانة الأدب ٢٣٧/٩ ، والدرر ٤٧/٢، وشرح شواهد المغنى ص ٨٢٠ ، ٨٢٦ وبلا نسبة فى مغنى اللبيب ص ٣٩٣، وهمع الهوامع ١١١/١، ٢٤٨.

(٢) رد ابن السيد ما قال المبرد ودفع البغدادى ما رد به عليه. انظر شرح أبيات مغنى اللبيب ٢٢١/٦-٢٢٢

(٣)قال محقق (س) نسب البيت فى مطبوعة الكتاب ٤٨٥/١للأسود بن يعفر، وقال السيرافى :"وفى نسخة عتيقة من الكتاب قال أوس بن حجر ، بدل الأسود بن يعفر ". قال البغدادى :" ونقل أبو الوليد الوقشى عن البيان للجاحظ فيما كتبه على كامل المبرد أنه قال : ذكروا أن شعيث بن سهم بن محرز بن حزن أغير على إبله فأتى أوس بن حجر يستنجده فقال أوس : أو خير من ذلك أحضض لك قيس بن عاصم ، وكان يقال : إن حزن بن الحارث هو حزن بن منقر فقال أوس :

سائل بها مولاك قيس بن عاصم فمولاك مولى السوء إن لم يغير

لعمرك ما أدرى أمن حزن محرز شعيث بن سهم أم الحزن ابن منقر " اهـ .

انظر البيان والتبيين ٤/ ٤٠-٤١وفى حكاية كلامه تصرف .

(٤)البيت من الطويل ، وهو للأسود بن يعفر فى ديوانه ص٣٧ ، وخزانة الأدب ١١/ ١٢٢، وشرح التصريح ٢/ ١٤٣،وشرح شواهد المغنى ص ١٣٨،والكتاب ١٧٥/٣ ، والمقاصد النحوية ١٣٨/٤ ولأوس بن حجر فى ديوانه ص ٤٩،وخزانة الأدب ١١/ ١٢٨،وللأسود أو للعين المنقرى فى الدرر ٦/ ٩٨،وبلا نسبة فى أوضح المسالك ٣/ ٣٧٢،وشرح الأشمونى ٢/ ٤٢١،ولسان العرب(شعث) والمحتسب ١/ ٥٠، ومغنى اللبيب ١/ ٤٢، والمقتضب ٣/ ٢٩٤، وهمع الهوامع ٢/ ١٣٢.

وسيأتى البيت ، ولم يسم التميمى ثمة .

يريدُ " أشُعَيْثُ " ، فدلَّت " أمْ " على ألفِ الاستفهامِ ، وقال ابنُ أبي ربيعة :

لَعَمْرُكَ ما أدْرِي وإنْ كنتُ دَارِيًا بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الجَمْرَ أمْ بثَمانِ[1]

مثلُ ذلك ، وبيتُ الأخْطَلِ فيه قَوْلَانِ ، وهو :

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلَامِ مِنَ الرَّبابِ خيالا[2]

أراد : " أكَذَبَتْكَ عَيْنُكَ " ، كما قُلْنَا فيما قَبْلَه ، وليس هذا بالأجْوَدِ ، ولكنَّه ابْتَدَأَ مُتَيَقِّنًا ثم شَكَّ ، فأدْخَلَ " أمْ " كقولك : " إنَّها لإِبَلٌ " ثمَّ تَشُكُّ فتقول : أمْ شاءٌ " يا قَوْمِ .

وقولُه:" قلت بهْرًا " يكونُ على وجهين : أحدهما : حُبًّا بَهَرَني بَهْرًا أي مَلأني، ويقال للقمر ليلة البدر " باهرٌ " أي : يَبْهَرُ النُّجُومَ:أي يَمْلَؤها،كما قال ذو الرّمة[3]:

. . . . كَمَا يَبْهَرُ البَدْرُ النُّجُومَ السَّوَارِيَا

وقال الأعشى[4] :

---

(١) البيت من الطويل ، وهو لعمر بن أبى ربيعة فى ديوانه ص ٢٦٦ ، والأزهية ص ١٢٧ ، وخزانة الأدب ١١/١٢٢، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٢، والدرر ٦/١٠٠، وشرح أبيات سيبويه ٢/١٥١، وشرح شواهد المغنى ١/ ٣١، وشرح المفصل ٨/١٥٤، والكتاب ٣/ ١٧٥، ومغنى اللبيب ١/ ١٤، والمقاصد النحوية ٤/١٤٢، وبلا نسبة فى جواهر الأدب ص٣٥، والجنى الدانى ص ٣٥، ورصف المبانى ص٤٥، وشرح ابن عقيل ص ٤٩٦، وشرح عمدة الحافظ ص ٦٢٠، والصاحبى فى فقه اللغة ص ١٨٤ ، والمحتسب ١/ ٥٠ ، والمقتضب ٣/ ٢٩٤، وهمع الهوامع ٢/ ١٣٢.

(٢) البيت من الكامل ، هو للأخطل فى ديوانه ص ٣٨٥، والأزهية ص ١٢٩ ، وخزانة الأدب (٦/٩،١٠،١٢،١٩٥) ،(١١/١٢٢) ،(١٣/١٣٣) ، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٦٧وشرح التصريح ٢/١٤٤، وشرح شواهد المغنى ١/١٤٣ ، والكتاب ٣/١٧٤ ولسان العرب (كذب) ،(غلس) (أمم) ومغنى اللبيب ١/٤٥ ، وتاج العروس (غلس) ، (أمم) ، والمقتضب (٣/٢٩٥) الأغانى ٧/٧٩، والصاحبى ص ١٢٥.

(٣) ديوانه ق ٤٣/٣٦ج ٢/١٣١٥.

(٤) البيت لأعشى ميمون من رائية له فى الصبح المنير فى شعر أبى بصير ص ١٠٦.

حَكَّمْتُمُـــوهُ فَقَضَـــى بَيْنَكُـــمْ   أَبْلَـــجُ مِثْـــلُ القَمَـــرِ البـــاهِرِ

والوجهُ الآخرُ : أن يكونَ أرادَ " بَهْرًا لكم " أي : تَبًّا لكم حيثُ تلومُونَنِـي علـى هذا ، كما قال :

تَفَـاقَدَ قَوْمِـي إِذْ يَبِيعُـونَ مُهْجَتِـي   بِجارِيـةٍ بَهْـرًا لَهـم بَعْدَهَـا بَهْـرَا[1]

وقولُه :   عَدَدَ النَّجمِ والحَصى والترابِ

فيه قولانِ : أحدُهما : أنه أراد بالنَّجم:النجوم ، ووَضَعَ الواحدَ في موضعِ الجمع ، لأنه للجنس ، كما تقول : أَهْلَكَ الناسَ الدِّرْهَـمُ والدِّينَـارُ ، وقـد كَثُرَتِ الشَّاةُ والبعيرُ ، وكما قـال الله جـلَّ وعـزَّ : ﴿ إِنَّ الإِنْسَـانَ لَفِـي خُسْرٍ . إِلا الَّذِيـنَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَاتِ ﴾[2] وقال الشاعر :

فبـاتَ يَعُـدُّ النَّجـمَ في مُسْـتَحِيرَةٍ   سَرِيعٍ بـأيدي الآكِلِينَ جُمُودُهـا[3]

يعني النجومَ ، ويعني بالمستحِيرة إهالةً .

والوجهُ الآخر : أن يكون النجمُ : ما نَجَمَ من النَّبْتِ ، وهو ما لم يَقُمْ على ساقٍ ، والشجر ما قام على ساق ، واليَقْطينُ ما انتشر على وجـه الأرضِ ، قـال الله عـزَّ وجـلَّ : ﴿ وَ النَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾[4] وقال الحارثُ بـنُ ظالمٍ للأَسْوَدِ بـن المُنْـذِرِ بـن مـاء السماء :

---

(١) البيت من الطويل ، وهو لابن ميادة فى ديوانه ص ١٣٥، وأساس البلاغة (بهر) ، وإصلاح المنطق ص ١٣٠ ، والأغانى (٢٣٧/٢) ، وأمالى المرتضى (٣٤٦/١) ، والإنصاف ٢٤١/١، والحماسة البصرية ١١١/٢، والكتاب ١/ ٣١١، واللامات ص ١٢٣، ولسان العرب (فقد) ،(بهر)، والمقاصد النحوية ٥٢٤/١، وليزيد بن مفرغ فى ملحق ديوانه ص ٢٤٣، وبلا نسبة فى شرح أبيات سيبويه ١/ ٢٦٧.

(٢) سورة العصر :٢-٣.

(٣) البيت من الطويل ، وهو للراعى النميرى فى ديوانه ص ٩٢، ولسان العرب (نجم)، وتاج العروس (نجم) ،والمعانى الكبير ص٣٧٥، والأزمنة والأمكنة ١٨٥/١، وبلا نسبة فى لسان العرب (نجم) ، وتهذيب اللغة ١٢٧/١١.

(٤) سورة الرحمن :٦.

أخُصَيّيْ حَمَارٍ بـاتَ يَكْـدُمُ نَجْمـةً   أَتُؤْكَـلُ جـاراتي وجـارُكَ سَـالِمُ[1]

* * *

ومن طريف شعره قوله [2]:

فلمّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ منهـم وأُطْفِئَـتْ   مَصَـابِيحُ شُـبَّتْ بالعِشَـاءِ وَأَنْـؤُرُ

وغـابَ قُمَـيْرٌ كُنْـتُ أَرْجُـو غُيُوبَـهُ   ورَوَّحَ رُعْيـانٌ ونَـوَّمَ سُـمَّرُ

ونَفَّضْتُ عَنِّي العَيْنَ أقبلتُ مِشْيَةَ الـ   ـحُبَابِ ورُكْنِـي خِيفَـةَ القَـوْمِ أَزْوَرُ

فَحَيَّيْـتُ إذْ فَاجَأْتُهـا فَتَلَهَّفَـتْ   وكـادَتْ بمَكْتُـومِ التَّحِيَّـةِ تَجْهَـرُ

وقـالت ـ وعَضَّتْ بالبَنَـانِ ـ فَضَحْتَنِـي   وأنـتَ امْـرُؤٌ مَيْسُـورُ أَمْـرِكَ أَعْسَـرُ

أَرَيْتَـكَ إذْ هُنَّـا عليـك ألم تَخَـفْ   رَقيبًـا وحَوْلِـي مـن عَـدُوِّكَ حُضَّـرُ

فـوا لله مـا أَدْرِي أَتَعْجِيـلُ حاجـةٍ   سَرَتْ بِـكَ أَمْ قَدْ نَامَ من كنتَ تَحْذَرُ

فقلتُ لهـا : بـل قـادَنِي الشَّوْقُ والهَـوى   إليـك ومـاعين مـن النـاس تنظـر

وفي هذا الشعر :

فيـالك مـن ليـل تقـاصر طولـه   وماكـان ليلـى قبـل ذلـك يقصـر

ويـالك مـن ملهـى هنـاك مجلـس   لنـا لم يكـدره علينـا مكـدر

يمج ذكـى المسـك منهـا مفلـج   رقيـق الحواشـى ذو غـروب مؤشـر

يـرف إذا تفـتر عنـه كأنـه   حصـى بـرد أو أقحـوان منـور

وترنـو بعينيهـا إلى كمـا رنـا   إلى ربـربٍ وسـط الخميلـة جـؤذر

فلمـا تقضـى الليـل إلا أقلـه   وكـادت تـوالى نجمـه تتغـور

أشـارت بـأن الحى قـد حـان منهـم   هبـوب ولكـن موعـد لـك عـزور

---

(١) البيت من الطويل ، له فى لسان العرب (نجم) ، (خصا) ،تـاج العروس (نجم)، بـلا نسبة فـى تهذيب اللغة ١١/١٢٩.

(٢) الأبيات من الطويل ، وهى فى ديوانه ص ٩٦وما بعدها مع اختلاف فى الرواية .

فمـا راعنـي إلا منـاد برحلـةٍ | وقـد لاح مفتـوق مـن الصبـح أشـقر
فلما رأت مـن قـد تشـور منهـم | وأيقـاظهم قـالت : أشـر كيـف تـأمر
فقلـت : أبـاديهم فإمـا أفوتهـم | وإمـا ينـال السـيف ثـأرا فيثـأر
فقـالت : أتحقيقًـا لمـا قـال كاشـح | علينـا ، وتصديقًـا لمـا كـان يؤثـر!
فـإن كـان مـالابد منـه فغـيره | مـن الأمـر أدنـى للخفـاء وأسـتر :
أقـصُ علـى أختـى بـدء حديثنـا | ومـالى مـن أن تعلمـا متـأخر
لعلهمـا أن تبغيـا لـك مخرجًـا | وأن ترحبـا سـربا بمـا كنـت أحصـر
فقـالت لأختيهـا : أعينـا علـى فتـى | أتـى زائـرا والأمـر للأمـر يقـدر
فأقبلتـا فارتاعتـا ثـم قالتـا : | أقلـى عليـك اللـوم فـالخطب أيسـر
يقـوم فيمشـى بيننـا متنكـراً | فـلا سـرنا يفشـو ولا هـو يبصـر
فكـان مجنـى دون مـن كنـت أتقـى | ثـلاث شـخوص كاعبـان ومعصـر
فلمـا أجزنـا سـاحة الحـى قلـن لى: | ألم تتـق الأعـداء والليـل مقمـر !
وقلن : أهذ دأبـك الدهـر سـادرًا | أمـا تسـتحى أو ترعـوى أو تفكـر!(٣)

قوله :" شُبَّتْ " يقولُ : أُوقِدَتْ ، يقالُ : " شَبَبْتُ " النارَ والحـرْبَ ، أي : أَوْقَدْتُهما .

وقوله :" وأنْؤُرُ " إنْ شِئتَ همَزْتَ ، وإن شئتَ لم تَهْمِـزْ ، وإنما الهمزُ لانضمامِ الواوِ ، وقد مضى تفسيرُ هذا .

وقوله " قُميرٌ " إنما صَغَّره لأنهُ نَاقصٌ عن التَّمامِ ، وهذا في أول الشهر ، وكذلك يُصَغَّرُ في آخر الشهر ؛ لأن النقصانَ فيهما واحدٌ ، قال عَمَرُ :

وقُمَيْرٌ بَـدَا ابْـنَ خَمْسٍ وعِشْرِيـ | ـنَ لَـهُ قـالَتِ الفَتَاتَـانِ: قُومـا (٢)

---

(٣) الأبيات من الطويل ، وهي في ديوانه ص ٩٦وما بعدها .

(٢)البيت من الخفيف ، وهو لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٢٣٤، وجمهرة اللغة ٧٩٢، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٦٧٩ ، وبلا نسبة في الاشتقاق ص ٤٦٩، ولسان العرب (آ).

وقوله :" رُعْيَانٌ " يريدُ جمعَ " الرَّاعي " ومثلُهُ " راكبٌ ورُكْبانٌ " و " فارِسُ وفُرْسانٌ " .

و " السُّمَّرُ " جمعُ " السَّامِرِ " وهم الجماعةُ يتحدَّثون ليلا .

و " الحُبَابُ " حيَّةٌ بعينِه .

وقوله : ونَفَّضْتُ عَنِّي العَيْنَ " يقول : احترستُ منها وأَمِنْتُها ، و " النَّفَضَةُ " أَمَامَ العَسكرِ : القومُ يتقدَّمون فَيْنُفُضُونَ الطريقَ .

وقوله " أزوَرُ " يعني متجافيًا ، يقال " تزَاوَرَ " فلانٌ : إذا ذهبَ في شِقٍّ .

وقوله: " ذُو غُرُوبٍ " غَرْبُ كلِّ شيءٍ : حَدُّهُ ، وإنما يعني الأسنانَ .

وقوله:" مُؤَشَّر" يقول له " أُشُرٌ " وهو تَشْرِيفُ [1] الأسْنانِ في قولِ الناس جميعًا ، يقال : لأسنانه " أُشُرٌ " ، فهذا الشائعُ الذائعُ ، وأمَّا " الشَّنَبُ " فهو عندهم جميعًا بَـرْدٌ في الأسنان [2]. وحدَّثِني الرِّياشِيُّ عن ابنِ عائشةَ قال : أخذَ أبي حَبَّةَ رُمَّانٍ بـين إصْبَعَيْـه فـإذا هي تَرِفُّ [3]، فقال : هذا الشَّنَبُ .

وقولُه : وكَادَتْ تَوالِي نجمِه تَتَغَوَّرُ

" التَّوالِي " : التوابعُ ، و " تَتَغَوَّرُ " " تَغُورُ فَتَذْهَبُ ، وهو مأخوذ من " الغَوْرِ " .

وقوله :

أشـارت بـأنّ الحـيّ قـد حـان منهـم هبــوب . . . .

---

(١) قال الأصمعى :" وفى الأسنان الأشر وهو التشريف الذى يكون فى الأسنان أول ما تنبت " وقـال ثابتٌ :" فى الأسنان الأشر وهو التحزيز والتشريف الذى يكون فيها أول ما تنبت ، وإنما يكون ذلـك فى أسنان الأحداث ، يقال : أسنان مأشورة ، وقد تؤشر المرأة الكبيرة تشبها بالأحداث ". أنظـر خلـق الإنسان للأصمعى (الكنز اللغوى ١٩١) والمخصص ١٤٧/١

(٢) هذا قول الأصمعى قال :" وفى الأسنان الشنب وهو برد الأسنان وعذوبة مذاقتها" وقال صـاحب العين :" الشنب ماء ورقة فى الأسنان " وقال أبو عبيدة :" هو حدّة الأنيـاب " وقيـل غـير ذلـك انظـر خلق الإنسان للأصمعى الكنز اللغوى (١٩١) ، والمخصص ١٤٨/١، واللسان (شنب) .

(٣) أى تبرق .

يقول : انتباهٌ ، يقال : " هَبَّ " من نومه " يَهُبُّ " ، وقال عمرُو بنُ كُلْثُومٍ [١]:

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا . . . .

وقال الآخرُ [٢]:

هَبَّتْ تلُومُ ولَيْسَتْ ساعةَ اللاَّحِي   هَلا انْتَظَرْتِ بهذا اللَّومِ إصْباحِي

و " عَزْوَر " موضعٌ بعينهِ .

وقوله: " وأيقاظهم " جمع " يَقُظٍ " .

وقوله: " فقالتْ :أَتَحْقِيقًا " أي : أتفعلُ هذا تَحقيقًا ، ومن كلام العرب : أَكُلَّ هذا بُخْلاً ! وذاكَ أنه رآهُ يفعلُ شيئًا أنْكَرَهُ فقال : أَكُلَّ هذا تفعلُ بخلا.

وقوله :" أُبادِيهِمْ " يريد : أُظْهِرُ لهم ، غيرُ مهموزٍ ، يقال: " بَدَا يَبْدُو " غيرُ مهموزٍ : إِذا ظَهر ، و " بَدَأْتُ " به ، مَهْمُوزًا : إِذَا أردتَ بهِ معنى الأوّلِ .

وقوله :" بَدْءَ حديثِنا " ، يريد : أَوَّلَ حديثِنا .

وقوله:"وأَنْ تَرْحُبا " يريدُ : أن تَتَّسِعَا ، أي تَتَّسِعَ صدورُهما ، من قولهم : فلانٌ " رَحيبُ" الصَّدْرِ .

وقوله: " أَحْصَرُ " أي أَضيقُ به ذَرْعًا ، وقد مضى تفسيره .

وقوله: " مِجَنِّي " يريد : تُرْسِي .

وقوله " ثَلاثُ شُخُوصٍ " فالوجهُ : ثلاثةُ شخوص ، ولكنه لَمّا قَصَدَ إلى نساءٍ أَنَّثَ على المعنى ، وأبانَ ما أرادَ بقوله : كاعِبَانِ ومُعْصِرُ ". ومثلُه قولُ الشاعِرِ :

فإنَّ كِلابًا هذه عَشْرُ أَبْطُنٍ   وأنتَ بَرِيءٌ مِنْ قَبائلِها العَشْرِ [٣]

---

(١) البيت من الوافر ، وهو مطلع معلقته. انظر شرح المعلقات السبع ص٩٤، وشرح المعلقات العشر ص ٩٧ ، وديوانه ص٦٤، وخزانة الأدب ١٧٨/٣ ، وشرح شواهد الشافية ص٢٥١، وشرح شواهد المغنى ١١٩/١، ولسان العرب (مدر)، (ندر) ،(صحن).

وعجزه: ولاتبقى خمور الأندرينا .

(٢) هو أوس بن حجر أو عبيد بن الأبرص . انظر ديوان أوس ص١٤، ديوان عبيد ص٥٢وانظر للكلام على نسبته سمط اللآلى ٤٣٩ ، وطبقات فحول الشعراء ٩٢ .

فقال:" عَشْرُ أَبْطُنٍ " ؛ لأنَّ البطنَ قبيلةٌ ،وأبانَ ذلك في قوله:"من قبائِلِهـا العَشْـرِ"، وقال الله جلَّ وعزَّ : ﴿مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1] ؛لأن المعنَى حسناتٌ.

ويُرْوَى أنَّ يزيدَ بنَ معاويةَ لَمَّا أراد توجيهَ مُسْلمِ بن عُقْبَةَ المُرِّيِّ إلى المدينـةِ اعـترضَ الناسَ، فمرَّ به رجلٌ من أهل الشأم معه تُرْسٌ قبيحٌ ، فقال له : يا أخا أهـلِ الشـأمِ ! مِجَـنُّ ابن أبي ربيعةَ أحسنُ من مِجَنِّكَ ! يريدُ قولَ ابنِ أبي ربيعة :

فكـانَ مِجَنِّـي دونَ مَـنْ كنـتُ أَتَّقِـي ثلاثُ شـخوصٍ كاعِبَـانِ ومُعْصِـرُ[2]

وقولـه " أمـا تَسْتَحِي " يريـد " تَسْتَحْيِي " ولـه تفسـيرٌ يَبْعُـدُ في العربيـة قليـلاً ، وسنذكره بعد ذا ، إن شاء الله .

* * *

---

(٣) البيت من الطويل ، وهو للنواح الكلبى فى الدرر ١٩٦/٦، والمقاصد النحوية ٤٨٤/٤، وبلانسبة فى الأشباه والنظائر ١٠٥/٢، ٥/ ٤٩ ، وأمالى الزجاجى ص ١١٨ ،والإنصـاف ٧٦٩/٢ ، وخزانة الأدب ٣٩٥/٧ ، والخصـائص ٤١٧/٢، وشـرح عمـدة الحـافظ ص ٥٢٠ ، والكتـاب ٣/ ٥٦٥ ، وشرح الأشمونى ٦٢٠/٣ ولسان العرب (كلب) ، و(بطن) ، والمقتضب (١٤٦/٢) ، وهمع الهوامع (١٤٩/٢)

(١) سورة الأنعام : ١٦٠

(٢) البيت من الطويل ، وهو لعمـر بـن أبـى ربيعـة فـى كلمتـه السـالفة ، والأشـباه والنظـائر ٤٨/٥ ،١٢٩، والأغـانى ٩٠/١ ، وأمـالى الزجـاجى ص ١١٨ ، والإنصـاف ٧٧٠/٢ ، وخزانـة الأدب (٣٢١،٣٢٠/٥) ٤(٣٩٤/٧، ٣٩٦ ، ٣٩٨) ، والخصـائص ٢/ ٤١٧ ، شـرح أبيـات سـيبويه ٢/ ٣٦٦ وشرح التصريح ٢/ ٢٧١ ، وشرح شـواهد الإيضـاح ص ٣١٣ ، والكتـاب ٥٦٦/٣، ولسـان العرب شخص ، والمقاصد النحوية ٤/ ٤٨٢ ، وبلا نسبة فـى الأشباه والنظـائر ٢/ ١٠٤ ، وأوضـح المسالك ٢٥١/٤، وشرح عمدة الحافظ ص ٥١١، وعيون الأخبـار ٢/ ١٧٤ ، والمقتضـب ٢/ ١٤٦ ،والمقرب ١/ ٣٠٧ ، وشرح الأشمونى ٣/ ٦٢٠ ،وشرح التصريح ٢ر ٢٧٥ .

باب

قال أبو العباس حُدِّثْتُ أَنَّ عُمَرَ الوَادِيَّ قال : أقبلتُ من مكةَ أُريدُ المدينةَ ، فجعلتُ أَسيرُ في صَمْد من الأرضِ ، فسمعتُ غناءً مِنَ القَرارَةِ لم أَسمعْ مثلَه ، فقلتُ : وا لله لأَتَوَصَّلَنَّ إليه ولو بذَهاب نفسي ، فانحدرت إليه ، فإذا عبدٌ أَسْوَدُ ، فقلتُ له : أَعِدْ عليَّ ما سمعت فقال لي : وا للهِ لو كان عندي قِرًى أَقْرِيكَهُ ما فَعَلْتُ ، ولكنِّي أَجْعَلُه قِرَاكَ ،فإني وا لله رُبَّما غَنَّيْتُ هذا الصوتَ وأنا جائعٌ فأشْبَعُ ، وربَّما غَنَّيْته وأنا كَسْلانُ فأَنْشَطُ ، وربما غَنيته وأنا عطشان فأرْوَى ، ثم انبرَى يُغَنِّيني :

وكُنْتُ إذا ما زُرْتُ سُعْدَى بأَرْضِها ... أَرَى الأَرْضَ تُطْوَى لي ويَدْنُو بَعِيدُها

مِنَ الخَفِرَاتِ البِيضِ وَدَّ جَلِيسُها ... إذا ما انْقَضَتْ أُحْدُوثَةٌ لو تُعِيدُهَا(١)

قال عمرٌ ، فحفظتُه عنه ، ثم تَغَنَّيْتُ به على الحالاتِ التي وَصَفَ ، فإذا هو كما ذكَرَ .

* * *

وتَحَدَّثَ الزُّبَيْرِيُّونَ عن خالدِ صَامَّةَ بأَنَّهُ كان من أحسن الناس ضربًا بعود قال : فقدمت على الوليد بن يزيد ، وهو فى مجلس ناهيك به مجلسًا! فألفيته على سريره ، وبين يديه معبد ، ومالك بن أبى السمح وابن عائشة ، وأبو كامل غزيل الدمشقى ، فجعلوا يفنون ، حتى بلغت النوبة إلى فغنيته :

سَرَىَ هَمِّي وهَمُّ المَرْءِ يَسْرِي ... وغابَ النَّجْمُ إلاقِيدَ فِتْرِ

أُراقِبُ في المَجَرَّة كلَّ نَجْمٍ ... تَعَرَّض أَوْ عَلَى المَجْراةِ يَجْرِي

لِهَمٍّ ما أزالُ لَهُ قَرِينًا ... كأَنَّ القَلْبَ أُبْطِنَ حَرَّ جَمْرِ

علَى بَكْرٍ أَخِي فَارَقْتُ بَكْرًا ... وأَيُّ العَيْشِ يَصْلُحُ بَعْدَ بَكْرِ ؟!

---

(١) البيتان من الطويل ، وهما لكثير عزة فى ديوانه ص ٢٠٠ ، وله أو لذى الرمة فى تزيين الأسواق ١/ ١٢٥، ولذى الرمة فى ملحق ديوانه ص ١٨٦٥ ، وبلا نسبة فى تاج العروس (حدث)

فقال لي : أَعِدْ يا صامُّ ! ففعلتُ ، فقال لي : مَنْ يقولُ هذا الشعرَ ؟ فقلتُ : هـذا يقولُه عُرْوَةُ بنُ أُذَينة يرثي أخاهُ بَكْرًا ، فقال لي الوليدُ :

" وأَيُّ العَيْش يَصْلُحُ بَعْدَ بَكْرِ "

هذا العيشُ الذي نحنُ فيه ، وا لله لقد تَحَجَّرَ واسِعًا على رَغْمِ أَنْفِهِ !!

وحُدِّثْتُ أن سُكَيْنَةَ بنتَ الحسين أُنْشِدَتْ هذا الشعرَ ، فقالت : ومَنْ بَكْرٌ ؟ فوُصِفَ لها ، فقالت أَذَاكَ الأُسَيِّدُ الذي كان يَمُرُّ بنا ؟ وا لله لقد طابَ كلُّ شيءٍ بعدَه حتى الخبزُ والزَّيْتُ !!

ورَوى أصحابُنا [1] أنَّ يزيدَ بنَ عبد المَلِكِ ـ وأُمُّهُ عاتِكَةُ بنتُ يزيدَ بنِ معاوية ، وإليها كان يُنْسَبُ ـ قال يَوْمًا : يقال : إنَّ الدنْيا لم تَصْفُ لأحدٍ يومًا قطُّ ، فإذا خَلَوْتُ يومي هذا فاطْوُوا عَنِّي الأخبارَ ، ودَعُوني ولَذَّتي وما خَلَوْتُ له ، ثم دعا بِحَبَابَةَ ، فقال : اسْقِيني وغَنِّيني ، فَخَلَوَا في أطيب عَيْشٍ ، فتناولتْ حَبَابَةُ حَبَّةَ رُمَّانٍ ، فوضعتها في فيها ، فَغَصَّتْ بها ؛ فماتتْ ، فَجزِعَ يزيدُ جَزَعًا أَذْهَلَهُ ومَنَعَ مِنْ دَفْنِهَا ، حتى قال له مشايخُ بني أُمَيَّةَ : إن هذا عيبٌ لا يُسْتقالُ ، وإنما هذه جيفةٌ ! فأَذِنَ في دَفْنِها ، وتَبِعَ جِنَازَتَها ، فلمَّا وَارَاها قال : أَمْسَيْتُ وا للهِ فيكِ كما قال كُثَيِّر :

فإنْ تَسْلُ عَنْكِ النَّفْسُ أو تَدَعِ الهوى	فَبِالْيَأْسِ تَسْلُو عَنْكِ لا بالتَّجَلُّدِ
وكلُّ خَليلٍ راءَنِي فهو قائلٌ	مِنَ اجْلِكِ هذا هَامَةُ اليومِ أو غَدِ [2]

فَعُدَّ بينَهما خمسةَ عشرَ يومًا .

وقوله " رَاءَنِي " يريد " رَآني " ولكنه قَلَبَ ؛ فَأَخَّرَ الهمزةَ ، ونظيرُ هذا من الكلامِ قولُهم " قِسِيٌّ " في جمعِ " قَوْسٍ " وإنما الأصل " قُوُوسٌ " ولكنّه لَمَّا أَخَّرَ الوَاوَيْنِ أَبْدَلَ منهما يَاءَيْنِ ، كما يجب في الجمع ، تقولُ " دَلْوٌ ودُلِيٌّ " و " عاتٍ وعِتِيٌّ " وإن

---

(١) الخبر فى الأغانى ١٥/١٣٩-١٤٠

(٢) البيتان من الطويل ، وهما له فى ديوانه ص ٤٣٥ ، ولسان العرب هوم ،(رأى) ، والكتاب (٤٦٧/٣) ، والأغانى (١٥/١٤٠)

شئتَ قلتَ " عِتِيٌّ " و " ودِلِيٌّ " من أجل الياءِ ، فإنْ كن " فُعُولٌ " لواحدٍ قلتَ " عُتُوٌّ " ويجوز القلبُ ، والوجه في الواحدِ إثباتُ الواوِ ، كما تقولُ " مَغْزُوٌّ " و " مَدْعُوٌّ " ويجوز " مَغْزِيٌّ " و " مَدْعِيٌّ " وفي القرآنِ ﴿ **وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا** ﴾ [1] **وقال** : ﴿ **أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا** ﴾ [2] **وقال** : ﴿ **ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً** ﴾ [3] والأصلُ " مَرْضُوَّةً " لأنّه من الواو ، من " الرضوان " . ومن القلبِ قولُهم " طَأْمَنَ " ثم قالُوا " اطْمَأَنَّ " فأخَّرُوا الهمزةَ وقَدَّمُوا الميمَ ، ومثلُ هذا كثيرٌ جدًّا .

وقولُه : هذا هامَةُ اليومِ أوْ غَدِ " يقول مَيِّتٌ في يومه أو في غَدِهِ ، يقالُ : إنّما فلانٌ"هامة"أي:يَصِيرُ في قبره،وأصلُ ذلك شيءٌ كانت العربُ تقوله، وقد مضى تفسيره .

***

وحدَّثني عبدُ الصمد بنُ المُعَذَّلِ قال : سمعتُ إسحاق بن إبراهيم الموصِلِيَّ يتحدَّثُ قال : حجَجْتُ مع أمير المؤمنين الرشيد ، فلمَّا قَفَلْنَا فنزلنا المدينة آخَيْتُ بها رجلا كان له سِنٌّ ومعرفةٌ وأَدَبٌ ، فكان يُمْتِعُنِي ، فإنّي ذات ليلةٍ في منزلي إذا أنا بصوته يَسْتَأْذِنُ عليَّ، فظننتُ أمرًا قد فَدَحَهُ ففزِعَ فيه إليَّ ؛ فأسرعتُ نحوَ الباب ، فقلتُ :ما جاء بك ؟ فقال: إذَنْ أُخبِرَكَ ، دعاني صديقٌ لي إلى طعامٍ عتيدٍ ،وشرابٍ قد الْتَقَى طَرَفَاهُ ، وشِوَاءٍ رَشْرَاشٍ، وحديثٍ مُمْتِعٍ ، وغِنَاءٍ مُطْرِبٍ ، فأجبته ، وأقمتُ معه إلى هذا الوقتِ ، فأخذتْ مني حُمَيَّا الكأسِ مأْخَذَها ، ثم غُنِّيتُ بقولِ نُصَيْبٍ :

برنبَ أَلِمْ قبلَ أن يظعنَ الركبُ وقُلْ إن تَملينا فما ملَّك القَلْبُ [4]

---

(١) سورة الفرقان :٢١

(٢) سورة مريم :٦٩. وعتيا ضبط بضم العين ، وكسرها والكسر قراءة حمزة والكسائى وحفص عن عاصم من السبعة وقرأها السبعة بالضم . انظر السبعة لابن مجاهد ٤٠٧، وحجة القراءات ٤٣٩، والكشف لمكى ٨٤/٢، والنشر ٣١٧/٢، والبحر ١٧٥/٦

(٣) الفجر : ٢٨ .

(٤) سبق .

فكدتُ أطيرُ طَرَبًا ، ثم وجدت في الطربِ نَقْصًا إذْ لم يكن معـي مَـنْ يفهـم هـذا كما فهمتُه ، ففَزِعْتُ إليك لأصِفَ لك هذه الحال ، ثم أَرْجِعُ إلى صاحبي ، وضَرَبَ بَغْلَتـهُ مُوَلِّيًا عَنِّي فقلتُ : قِفْ أُكَلِّمْكَ ، فقال : ما بي إلى الوقوفِ عليكَ من حاجةٍ .

* * *

وحدثني غيرَ واحدٍ من أصحابنا عن أبي زيدٍ سعيد بن أَوْسٍ الأنصاري يُسْنِدُهُ [١]، قال : كانت وليمةٌ في أخوالنا ، وهم حَيٌّ يقال لهم بَنو نُبَيْطٍ من الأنصار ، قـال : فحضَرَ الناسُ ، وجاء حَسَّانُ بن ثابتٍ وقد ذهب بصرهُ ، ومعـه ابنُـه عبـدُ الرحمـن يَقُـودُهُ ، فَلمـا وُضِعَ الطعامُ وجِيءَ بالثَّرِيدِ قالَ حسانُ لابنه : يا بُنَيَّ ، أَطَعَامُ يَدٍ أَمْ طَعَامُ يَدَيْنِ ؟ فقال: بل طعامُ يدٍ ، فأَكَلَ ثم جِيءَ بالشِّوَاءِ ، فَقَالَ أطعامُ يدٍ أم طعامُ يَدَيْنِ ؟ فقال بَلْ طعـامُ يديـن، فأمسك ، وفي المجلس قَيْنَتَان تُغَنِّيان بشعر حسانَ :

أَنْظُـرْ خَلِيلِـي بِبَـابِ جِلِّـقَ[٢] هَـلْ تُؤْنِـسُ دُونَ البَلْقَـاءِ مِــنْ أَحَـدِ؟ [٣]

---

(١) قال الشيخ المرصفى :" كان الصواب أن يذكر من أسند إليه هذا الحديث كمـا نبـه عليـه غـيره ، يقول : يسنده إلى أبى زيد خارجة بن زيد بن أبى زهير الخزرجـى حتـى لا يتوهـم مـن قولـه الآتـى : " قال أبو زيد " أنه سعيد بن أوس الأنصارى . وخارجة هذا صحابى قتل يوم أحد وشـهد ابنـه زيـد يوم بدر . هذا وقد روى هذا الحديـث الأصبهـانى فى أغانيـه [١٧/١٦٧-١٧١] يسنده إلى عبـد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال : سمعت خارجة بن زيد يقول : دعينـا إلى مأدبـة فـى آل نبيـط إلى آخر الحديث " اهـ . رغبة الآمل ٨/٦ . والخبر ذكره الذهبى فى السير (٢/٥٢٠) فى ترجمـة حسـان ابن ثابت رضى الله عنه وأوله عن خارجة بـن زيـد قـال : كـان الغنـاء يكـون فـى العريسـات ، ولا يحضره شيء من السفة كاليوم ....." وفى سند هذه الرواية ابن أبى الزناد ، لخص حاله الحـافظ ابـن حجر فى التقريب بقوله : صدوق ، تغير حفظه لما قدم بغداد ".
وفى الأغانى (١٧/ ١٧١) بعد سرد طرق لهذه القصة ...فبكى حسـان حتـى سـدر ثـم قـال : هـذا عمل الفاسق ، أما لقد كرهتم مجالستى ، فقبح الله مجالسكم سائر اليوم ، قام فانصرف ".
(٢) (جلق) : بجيم ولام مشددة مكسورتين " هى دمشق نفسها أو قرية من قراها .
(٣) البيت من المنسرح ، وهـو لحسـان رضـى الله عنـه فـى ديوانـه ص٥٦ ط. ابـن خلـدون ولسـان العرب(عجب) ، (بلق) ، وتاج العروس (بلق) والسير (٢/٥٢٠) والأغانى ١٧/ ١٦٧-١٧١.

قالَ : وحسَّانُ يبكي ، يذكر ما كان فيه من صِحَّةِ البصر والشَّباب ، وعبدُ الرحمن يُومِيءُ إليهما أنْ زيدًا ، قال أبو زيدٍ ، فَلأَعْجَبَني ما أَعْجَبَهُ من أن تُبكِّيا أباهُ !

يقول أبو زيدٍ : عَجِبْتُ ما الذي اشْتَهَى من أنْ تُبَكِّيَا أبـاهُ ؟! وقولـه " أَعْجَبَنِـي " أي : تَركني أَعْجَبُ ، ومثلُه قولُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ :

أَلاَ هَزِئَـــتْ بنـــا قُرَشِيـــــــةٌ يَهْـــتَزُّ مَوْكِبُهَـــا
رأتْ بـــي شَـــيبةً في الـــرَّأْ سِ منِّـــي مَـــا أُغَيِّبُهَـــا
فقـــالتْ : أَبْـــنُ قَيْـــسٍ ذا ؟ وبعـــضُ الشَّـــيْبِ يُعْجِبُهَـــا[1]

أي تتعجَّبُ منه .

* * *

وحدثني عبدُ الصمدِ بنُ المُعَذَّلِ قالَ : كان خَلِيلانُ الأُمَوِيُّ يتغنَّى ، ويَـرَى أنَّ ذاك زَائِدٌ في الفُتُوَّةِ ، وكان خَليلانُ شريفًا وذا نِعْمَةٍ واسِعَةٍ ، فحضرَ يومًا منزلَ عُقْبَـةَ بـنِ سَـلْمٍ الهُنَائِيِّ ، وهو أميرُ البصرة ، وكان عاتيًا جبارًا ، فلما طَعِمَا وخَلَوَا نَظَـرَ خلِيـلاَنُ إلى عـود موضوع في جانب البيت ، فعلم أنه عرض له به ، فأخذه فتغنى :

بابنـــة الأزدي قلـــبي كئيـــب مســتهام عندهـــا مـــا يـــؤوب
ولقـــد لامـــوا فقلـــت : دعونـــي إن مـــن تلحـــون فيـــه حبيـــب

فجعل وجه عقبة يتغير ، وخليلان في سهو عما فيه عقبة ، يرى أنه محسن ، ثم فطـن لتغير وجهه ، فعلم أنه كاره لما تغنى به ، فقطع الصوت ، وجعل مكانه .

ألا هزئـــت بنـــا قرشيـــــــة يهـــتز موكبهـــا

فسرى عن عقبة ، فلما انقضى الصوت وضع خليلان العود ، ووكد الحلف على نفسه ألا يتغنى عند من يجوز أمره عليه أبدًا .

---

(١) الأبيات من مجـزوء الوافـر ، وهـي فـي ديوانـه ص ١٢١ . والأول فـي لسـان العـرب (هـزز) ، والمعانى الكبير ص ١١٧٥، والأغانى ٢٠١/٢١، والمؤتلف والمختلف ص ١٩٧ ، وبلا نسبة فى لسان العرب (وكب) ،وجمهرة اللغـة ص ١٣٢ ، ٣٧٨، والمعـانى الكبـير ص ٤٨٤ . والثـانى فـى لسـان العرب (عجب) ،وتاج العروس (عجب) ؛ والأغانى ٢١/ ٢٠٢.

وحُدِّثْتُ أن رجلا تَغَنّى بحضرة الرشيد بشعرٍ مُدِحَ به عليُّ بْنُ رَيْطَةَ ، وهو عليُّ ابْنُ أميرِ المؤمنين المَهْدِيّ ، وتَغَنَّاهُ المغني على جهلٍ ، وهو :

قُلْ لِعَلِيٍّ أيَا فَتَى العَرَبِ ... وخَيْرَ نَامٍ وخيرَ مُنْتَسِبِ

أَعْلاكَ جَدَّاكَ يا عليُّ إذا ... قَصَّرَ جَدٌّ في ذِرْوَة الحَسَبِ[1]

ففَتَّشَ عن المغني فوجده لم يَدْرِ فيمن الشِّعرُ ، فبَحَثَ عن أَوَّلِ مَنْ تغنّى به ، فإذا هو عبدُ الرحيم الرَّقَّاصُ ، فأَمر به فضُرِبَ أربعمائة سوطٍ .

وحُدِّثْتُ أن معاويةَ استمع على يزيد ذاتَ ليلةٍ ، فَسمِعَ مِنْ عندِه غِناءً أَعْجَبَه ، فلما أَصْبَحَ قال ليزيد : مَنْ كان مُلْهِيَكَ البارحةَ ؟ فقال له يزيد : ذاكَ سائِبُ خاثِرٍ ، قال: إذن فَأَخْثِرْ له من العطاء .

* * *

وحدِّثْتُ أنَّ معاويةَ قال لعمرو* : امْضِ بنا إلى هذا الذي قد تَشَاغَلَ باللهو وَسَعَى في هدم مُرُوءَتِهِ حتى نَنْعى عليه ، أي : نعيبَ عليه فِعْلَه ، يريدُ عبدَ ا لله بنَ جعفرِ بن أبي طالبٍ ، فدخلاَ عليه ، وعنده سائبُ خاثر ، وهو يلقي على جَوارٍ لعبدِ ا لله ، فأمر عبدُ ا لله بتَنْحِيَةِ الجواري لدخول معاوية ، وثَبَتَ سائبُ خاثرٍ وتَنَحَّى عبد ا لله عن سريره لمعاوية ، فرفَع معاوية عَمْرًا فأجلسه إلى جانبه ، ثم قال لعبد ا لله : أعِدْ ما كنتَ فيه ، فأَمر بالكَراسيِّ فأُلْقِيَتْ وأخرج الجَوَارِي ، فتغنّى سَائِبٌ بقولِ قَيْسِ بنِ الخَطِيمِ :

دِيارُ التي كَادَتْ ونحنُ عَلَى مِنًى ... تَحُلُّ بِنَا لولا نَجَاءُ الرَّكَائِبِ[2]

---

(١) البيتان فى الأغانى ٣/٢٦٥.

* نسب المبرد كلاما لا يليق فى هذا الباب لمعاوية وحسان وعطاء بن أبي رباح وسفيان بن عيينة وغيرهم من الجلة ممن هو صحابي له شرف الصحبة ، ووجوب إحسان الظن به ، أو تابعى شهد له بالعلم والفضل،ومثل هذا الذى ذكره لا يجوز التساهل فى قبوله بالنسبة للصحابة خاصة فمن بعدهم.

(٢) تحل بنا : تجعلنا نحل . عن رغبة الآمل ١٣/٦

ومِثْلِكِ قد أصْبَيْتُ لَيسَتْ بكَنَّةٍ[1] ولا جَارَةٍ ولا حَلِيلَةِ صَاحِبِ[2]

* * *

وردده الجوارى عليه ، فحرك معاوية يديه وتحرك فى مجلسه ، ثم مد رجليه فجعل يضرب بهما وجه السرير! فقال له عمرو : اتئد يا أمير المؤمنين . فإن الذى جئت لتلحاه أحسن منك حالاً وأقل حركة! فقال له معاوية: اسكت لا أبالك ! فإن كل كريمٍ طروب .

* * *

وحُدِّثْتُ من غيرِ وجه أنَّ سفيانَ بن عُيَيْنَةَ قال لجلسائه يومًا : إنِّي أَرَى جارَنا هذا السَّهْمِيَّ قد أَثْرَى وَانْفَسَحَتْ له النِّعْمَةُ ، وصار ذا جاهٍ عند الأمراء ، ووافدًا إلى الخلفاء ، فَمِمَّ ذاكَ ؟ يَعني يحيى بنَ جَامِعٍ ، فقال له جلساؤُه : إنَّه يَصِيرُ إلى الخليفة فيتغنّى له ، فقال سفيانُ : فيقولُ ماذا ؟ فقال أَحَدُ جُلَسائه : يقول :

أَطُوفُ نَهَارِي مَعَ الطَّائِفِينَ وأَرْفَعُ مِن مِئْزَرِي المُسْبَلِ[3]

فقال سفيانُ : ما أحسنَ واللهِ ما قال ! فقال الرجلُ :

وأَسْهَرُ لَيْلِي مَعَ العَاكِفِينَ وأَتْلُو مِنَ المُحْكَمِ المُنْزَلِ[4]

فقال : حَسَنٌ واللهِ جميلٌ ، قال : إنَّ بعدَ هذا شيئًا ، قال سفيانُ : وما هو؟ قال:

عَسَى فارجُ الكَرْبِ عَنْ يُوسُفٍ يُسَخِّرُ لي رَبَّةَ المِحْمَلِ[5]

---

(١) (الكنة) : بفتح (الكاف) امرأة الابن أو الأخ واحدة الكنائن وهذا الجمع نادر كأنهم توهموا فعيلة فجمعوها على فعائل . رغبة الآمل ٦/١٣ ، واللسان (كنن) .

(٢) البيتان من الطويل فى ديوانه ص ٧٧ ، والأول فى خزانة الأدب ٢٧/٧ ، وشرح شواهد الإيضاح ص ١٤٨ ، ولسان العرب (حل) ، وبلا نسبة فى الأزمنة والأمكنة ١/ ٢٧٨ ، وجواهر الأدب ص ٤٥.

(٣) البيت من المتقارب وهو لإسماعيل بن جامع فى الأغانى ٦/ ٣٠٨ .

(٤) انظر ما سبق .

(٥) انظر ما سبق .

فَزَوَى سفيانُ وجهَهُ ، وأومأَ بيدِهِ أَنْ كُفَّ ، وقال : حلالاً حلالاً !!

* * *

ولَقِيَ ابنُ أَبْجَرَ[1] عَطَاءَ بنَ أبي رباحٍ وهوَ يطوفُ ، فقال:اسمعْ صوتًا للغريضِ! فقال له عَطاءٌ : يا خَبيثُ ! أفي هذا الموضِعِ ؟! فقال ابنُ أَبْجَرَ : ورَبِّ هذه البَنِيَّةِ لَتَسْمَعَنَّه خُفْيَةً أو لأُشِيدَنَّ به ! فوقف له ، فَتَغَنَّى :

عُوجِـي علينـا رَبَّـةَ الهَـوْدَجِ	إنَّـكِ إلا تَفْعَلـي تَحْرَجِـي
أَنِّـي أُتيحَـتْ لي يَمانِيَـةٌ	إحْدَى بني الحارثِ من مَذْحِجِ
نَلْبَـثُ حَـوْلا كـاملا كلَّـهُ	لا نَلْتَقـي إلا علـى مَنْهَـجِ
في الحجِّ إن حَجَّت ، ومَـاذا مِنًـى	وأَهْلُهُ إنْ هِـيَ لَـمْ تَحْجُـجِ ؟![2]

فقال عطاءٌ : الكثيرُ الطَّيِّبُ يا خبيثُ !!

* * *

وسَمِعَ سليمانُ بنُ عبد الملك مُتَغَنِّيًا في عسكره ، فقال : اطْلُبوه ، فجاءوا به ، فقال : أَعِدْ ما تغنيتَ ، فتغنَّى واحْتَفَلَ ، وكانَ سليمانُ مُفْرِطَ الغَيْرَةِ ، فقال لأصحابِهِ : والله لكأنَّها جَرْجَرَةُ الفَحْلِ في الشَّوْلِ[3]، وما أَحْسِبُ أُنْثَى تسمعُ هذا إلا صَبَتْ ، ثم أَمَرَ بِهِ فخُصِيَ[4] !

* * *

---

(١) الخبر باختلاف فى الأغانى ١/٣٩٣-٤٠٨و٢/٣٦١-٣٥٩و٣/٣٤٣ .

(٢) الأبيات من السريع ، وهى للعرجى.انظر المصادر السابقة.

(٣)جرجرة الفحل تردد هديره.والشول جمع شائلة وهى من الإبل التى تشول بذنبها للقاح وقد جف لبنها. اللسان (شول) .

(٤) قال على بن حمزة:"ما هكذا الخبر!وقد غير لفظه ومعناه،وهو خبر طويل،وقد ذكرناه فى باب الغيرة من كتاب المناكحات ..."التنبيهات ١٥٣.وانظر رغبة الآمل ٦/١٥،والخبر برواياته فى الأغانى.

وحُدِّثْتُ أنَّ الفرزدق قَدِمَ المدينةَ فنزل على الأحوص بـن محمـد بـن عبـدِ ا لله بـن عاصم بن ثابتٍ بن أبي الأقْلَحِ ، فقال له الأحوصُ : ألا أُسْمِعُكَ غِناء ؟ فأتاه بمُغَـنٍّ فجعـل يغنيه ، فكان مما غناه :

أتنســى إذ تودِّعنــا سُــليمى   بفــرع بَشــامَة ســيقى البشــامُ

ولـو وجـد الحمــام كمـا وجدنـا   بسُــلمْانين لاكتــأب الحمــامُ[1]

فقال الفرزدق، لمن هذا الشعر ؟ قالوا : لجرير ، ثم غناه :

أســرى لخــالدةَ الخيــالُ ولا أرى   شـيئا ألـذَّ مـن الخيــال الطــارق

إن البليَّــة مــن تمــلُّ حديثَــه   فانقع فؤادك مـن حديـث الوامقِ[2]

فقال : لمن هذا الشعر ؟ فقيل : لجرير ، ثم غناه :

إن الذيـن غـدوا بلبـك غـادروا   وشـلاً بعينـك مــا يــزال معينــا

غيضــن مــن عــبراتهن وقلــن لى   مــاذا لقيت من الهوى ولقينـا ؟[3]

فقال : لمن هذا الشعر ؟ فقيل : لجرير ، فقال الفرزدق : ما أحوجه مع عفافـه إلى خشـونة شعرى ، وأحوجنى مع فسوقى إلى رقة شعره !!

* * *

وقال الأحوص يومًا لمعبد: امض بنا إلى عقيلة حتـى نتحـدث إليهـا ، ونسـمع مـن غنائهـا وغناء جواريها. فمضيا، فألفيا على بابها معاذًا الأنصارى ثم الزرقى وابن صائد النجـارى. فاستأذنوا عليها جميعًـا ، فـأذنت لهـم إلا الأحـوص ، فإنهـا قـالت : نحـن علـى الأحـوص غضاب فانصرف الأحوص وهو يلوم أصحابه على استبدادهم ، فقال :

ضنَّــت عقيلــةُ لمــا جئــت بــالزادِ   وآثرت حاجة الثاوى على الغادي

فقلــت: وا لله لــولا أن تقــولَ لــه   قد باح بالسرِّ أعدائى وحُسَّادى

---

(١)البيتان من الوافر وهما لجرير فى الأغمانى ٢/٢٠٤.

(٢) البيتان من لكامل ،وهما لجرير فى ديوانه صـ ٣٨٩ .

(٣) الأبيات من الكامل وهى لجرير فى ديوانه صــ ٣٨٦ ،وتـاج العروس ١٨/٤٥١ (غيـض) ،وبـلا نسبة فى لسان العرب ٧/٢٠١ (غيض) ،,تهذيب اللغة ٨/١٥٦ ،وتاج العروس ١٨/٤٧٤(غيض) .

قلنـا لمنزلهــا : حييــت مــن طلــلٍ وللعقيــق: ألا حييـت مــن وادى
إنِّـى جعلـتُ نصيبـى مــن مَودتهــا لمعبــد ومُعــاذٍ وابـــن صيَّـــاد
لابن اللعين [(1)] الذى يخبى الدخان لـه وللمغنى رسولِ الـزور قَـوَّادى
أمــا معــاذ فــإني لســت أذكــره كذاك أجداده كانوا لأجدادى[(2)]

قال الزبيري : وكان معاذ جلدًا ، فخـاف الأحـوص أن يضربـه ، فحلـف معبـد ألا يكلم الأحوص ولا يتغنى بشعره فشق ذلك على الأحوص . فلما طالت هجرته إياه رحـل نجيًا له وجعل طلاء فى مذرعٍ فى حقيبة رحله ،وأعد دنانير ، ومضـى نحـو معبـدٍ، فأنـاخ ببابه ، ومعبد جالس بفنائه ، فنزل إليه الأحوص فكلمه فلم يكلمه معبد ، فقـال : يـا أبـا عباد ، أتهجرنى ؟! فخرجـت إليـه امرأتـه أم كـردمٍ ، فقـالت : أتهجـر أبـا محمـد ؟ وا لله لتكلمنه. قال : فاحتمله الأحوص فأدخله البيت ، وقال : وا لله لارمتُ هـذا البيـت حتـى آكل الشواء وأشرب الطلاء وأسمع الغناء ، فقـال لـه معبـد : قـد أخـزى ا لله الأبعـد! هـذا الشواء أكلته ، والغناء سمعته ، فأنى لك بالطلاء؟ قال : قم إلى ذلـك المـذرع ففيـه الطـلاء ومعه دنانير ، فأصلح بها ما تريد من أمرنا، ففعل فقــالت أم كـردم لمعبـد: أتهجـر مـن إن زارنا أغدر فينا فضلاً ونيلا ،وإن فارقنا خلف فينا عقــلاً ونبـلا؟- فـانصرف الأحـوص مع العصر، فمر بين الدارين وهو يميل بين شعبتى رحله .

* * *

وحدثت أن سعد بن مصعب بن الزبير اتهم بامرأة فى ليلة مناحةٍ أو عرس ، وكـانت تحتـه ابنة حمزة بن عبد ا لله بن الزبير، فقال الأحوص-وكان بالمدينة رجل يقال له:"سعد النار":

ليـس بســعد النَّــار مــن تذكرونــه ولكن سعد النار سـعدُ بـنُ مَصْعَـبِ
ألم تــر أن القــوم ليلــة جمعهـــم بغـوه فـألفوه لـدى شـر مركـب
فمـــا يبتغـــى بالشــــر لادرَّ دَرُّهُ وفـى بيتـه مثـل الغـزال المربـب[(3)]

---

(١)(ابن اللعين) : يريد به ابن صياد والمغنى هو معبد

(٢)شعره ق ٤١ص ١١٢.

(٣)الأبيات من الطويل وهى للأحوص فى الأغانى ٤/ ٢٤٠.

فأمر سعد بن مصعب بطعام فصنع،وحمل إلى قباب العرب ، وقال للأحوص -وكان له صديقًا-: تعال نمضِ فنصيب منه ، فلما خلا به أمر به فأوثق ، وأراد ضربه ، فقال له الأحوص : دعنى ، فلا وا لله لا أهجو زبيريًّا أبدًا ، فحله ، ثم قال : إنى وا لله ما لمتك على مزحك،ولكن أنكرت قولك :

وفى بيته مثل الغزال المربب

وحدثت أن ابن أبى عتيق ذكر له أن المخنثين بالمدينة خُصُوا ،وأنه خُصِي الدَّلال فيهم، فقال : إنا لله ، أما وا لله لئن فُعِل ذلك به لقد كان يحسن :

لمن رَبْعٌ بذاتِ الجيـ ـشِ أمْسَى دارسًا خلقَا[1]

ثم استقبل ابن أبى عتيق القبلة يصلى ، فلما كبر سلم ، ثم التفت إلى أصحابه، فقال: اللهم إنه كان يحسن خفيفه ، فأما ثقيلهُ فلا ، ا لله أكبر !!

* * *

وحدثت أن مدينيًّا كان يصلى منذ طلعت الشمس إلى أن قارب النهار أن ينتصف، ومن ورائه رجل يتغنى وهما فى مسجد رسول ا لله ﷺ ؟ فإذا رجل من الشرط قد قبض على الرجل فقال :أترفع عقيرتك بالغناء فى مسجد رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ؟!- فأخذه ، فانفتل المدينى من صلاته ، فلم يزل يطلب فيه حتى استنقذه، ثم أقبل عليه فقال: أتدرى لم شفعت فيك ؟ قال : لا، ولكن إخالك رحمتنى ، قال : إذن فلا رحمنى ا لله!- قال : فأحسبك عرفت قرابة بيننا ؟ قال : إذَن فقطعها ا لله قال : فليدٍ تقدمت منى إليك؟ قال : لا وا لله ،ولا عرفتك قبلها ، قال : فخبرنى ؟ قال : لأنى سمعتك غنيت آنفا فأقمت واوات معبدٍ ، أما وا لله لو أسأت التادية لكنت أحد الأعوان عليك !

والصوت الذى ينسب إلى واوات معبدٍ شعرُ الأعشى الذى يعاتب فيه يزيد بن مسهرٍ الشيبانى ،وهو قوله :

هُريرة ودِّعها وإن لام لائمُ غداة غدٍ أم أنت للبَينْ واجمُ

لَقَدْ كان فى حول ثواءٍ ثويتُه تُقضَّى لُباناتٍ ويسأمُ سائمُ[2]

---

(١)البيت من مجزوء الوافر وهو للأحوص فى الأغانى ٤/ ٢٧٣ .

(٢)البيتان من الطويل ،وهما للأعشى فى ديوانه صـ ١٢٧ ،ولسان العرب ١١/ ١٦٤(حلل) والرد على النحاة صـ ١٠٣ ،وشرح أبيات سيبويه ٣٤٨/٢،والكتاب ٢٠٥/٤،وبلا نسبة فى لسان العرب ٩٤١/١٤(حرا) ،وجمهرة اللغة صـ ٤٥٨.

قوله :   **هريرة ودعها وإن لام لائم**

منصوب بفعلٍ مضمر ، تفسيره " ودعها " كأنه قال :" ودع هريرة" فلما اختزل الفعل أظهر ما يدل عليه ، وكان ذلك أجود من ألا يضمر ، لأن الأمر لا يكون إلا بفعل ، فأضمر الفعل إذ كان الأمر به أحق ، وكذلك " زيدًا اضربه" و" زيدًا فأكرمه " وإن لم تضمر ورفعت جاز ،وليس فى حسن الأول ، وترفعه على الابتداء وتُصيِّر الأمر فى موضع خبره . فأما قول ا لله جل وعز :﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**﴾ وكذلك: ﴿**الزانية والزانى فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة** ﴾ فليس على هذا ،والرفع الوجه؛ لأن معناه الجزاء ، لقوله :" الزانية" أى :التى تزنى ، فإنما وجب القطع للسَّرَقِ والجلد للزنا، فهذا مجازاة ،ومن ثم جاز : الذى يأتينى فله درهم ، فدخلت الفاء لأنه استحق الدرهم بالإتيان ، فإن لم ترد هذا المعنى قلت : الذى يأتينى له درهم ، لا غير ، لم يستحق شيئًا، كما تقول : زيد له درهم ، ولا يجوز : زيد فله درهم ، على هذا المعنى ولكن لو قلت: زيد فله درهم ، على معنى : هذا زيد فله درهم ،وهذا زيد فحسن جميل ،جاز ، على أن" زيداً" خبر ، وليس بابتداء ، وللإشارة دخلت الفاء ، وفى القرآن : ﴿ **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًا وعلانيةً فلهم أجرهم عند ربهم** ﴾ دخلت الفاء لأن الثواب دخل للإنفاق . وقد قرأتِ القراء: ﴿ **الزانية والزانى فاجلدوا** ﴾ ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا**﴾ بالنصب ، على وجه الأمر ، والوجه الرفع ، والنصب حسن فى هاتين الآيتين، وما لم يكن فيه معنى جزاء فالنصب الوجه .

* * *

ويروى أن معبدًا بلغه أن قتيبة بن مسلمٍ فتح خمس مداين ، فقال : لقد غنيت خمسة أصواتٍ هن أشد من فتح المداين التى فتحها قتيبة ، والأصوات:

ودِّع هريرةَ إن الرَّكْبَ مُرْتحلُ   وهلْ تُطِيْقُ وَدَاعًا أيُّها الرَّجُلُ(1)

ومنها قوله :

هُرَيْرةَ ودِّعها وإنْ لامَ لائِمُ   غَداةَ غدٍ أمْ أنْتَ للبَينِ واجِمُ(2)

---

(1)البيت من البسيط وهو للأعشى فى الأغانى ١٧٧/٩

(2)البيت من الطويل وهو للأعشى فى ديوانه صـ ١٢٧ ،ولسان العرب ١٦٤/١١(حلل) ، والرد على النحاة صـ ١٠٣ ، وشرح أبيات سيبويه ٣٤٨/٢،والكتاب ٢٠٥/٤ ،وبلا نسبة فى لسان العرب ١٤١/١٤ (جرًا) ، وجمهرة اللغة صـ ٤٥٨ .

ومنها قوله :

رأيـت عرابـةَ الأوسـيَّ يسمو ... إلى الخـيراتِ مُنْقطـعَ القَرِيْـنِ[1]

ومنه قوله :

وَدِّعْ لبابَـةَ قبـلَ أنْ تـترحَّلا ... واسـأل فـإن قليلـه أن تسـألا[2]

ومنها قوله :

لعمرى لئن شطَّت بِعَثْمَـةَ دَارُهـا ... لقد كُنْتُ مِن وشكِ الفِرَاقِ أُلِيْحُ[3]

أما قوله : " ودع هريرة إن الركب مرتحل "

وقوله : " هريرة ودعها وإن لام لائم "

فللأعشى ، يعاتب فيهما يزيد بن مسهر الشيبانى ، يقول :

أبلـغ يزيـد بنـى شـيبانَ مأْلُكـةً ... أبـا ثُبيـتٍ أمـا تنفـكُّ تـأتكلُ

ألسـت منتهيًـا عـن نحـت أثلتنـا ... ولست ضائرها مـا أطَّـت الإبـلُ

كنـاطحٍ صخـرة يومًـا ليفلقَهَـا ... فلم يَضِرْها وأوهى قَرْنَهْ الوَعِلُ[4]

ويقول فى الأخرى يعاتبه أيضًا:

يزيـد يغضُّ الطَّـرفَ دونـى كأنما ... زوى بـين عينيـه علـيَّ المحـاجمُ

فلا ينبَسِطْ من بين عينيك ما انزوى ... ولا تلقنـى إلا وأنْفُـكَ راغِـمُ

فأُقْسِـمُ إنْ جـدَّ التقـاطع بيننـا ... لِتَصْطَفِقَـنْ يومًـا عليـكَ المـآتمُ

وتُلفَـى حصـانٌ تنصُـف ابنة عَمِّهـا ... كما كان يُلْفَـى الناصفاتُ الخـوادمُ

---

(١)البيت الوافر وهو للشماخ فى ديوانه صـ٣٣٥ ،ولسان العرب ٢٨٤/٨ ،(قطع) ٤٦١/١٣ (يمن) ، وتهذيب اللغة ٢٢١/٨ ،٥٢٣/١٥ ،وكتاب العين ١٣٦/١ وتاج العروس ٤٣/٢٢ (قطع) .

(٢) البيت من الكامل وهو لعمر بن أبى ربيعة فى الأغانى ٣٠٠/١ .

(٣) البيت من الطويل وهو لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة فى الأغانى ٩/ ١٧٣ .

(٤) الأبيات من البسيط وهى للأعشى فى ديوانه صـ١١١.،وشرح التصريح ٦٦/١ ،وتـاج العـروس (وعل) ،والمقاصد النحوية ٥٢٩/٣ ،وبلا نسبة فى الأغانى ١٤٩/٩،وأوضح المسالك ٢١٨/٣ ،والرد على النحاة صـ ٧٤ وشرح الأشمونى ٣٤١/٢. وشرح شذور الذهب صـ ٥٠١، وشرح ابن عقيل صـ ٤٢١ .

إذا اتصلت قالت : أبَكْـرَ بـنَ وائـلٍ   وبكـرُ سبتْها والأنـوف رَوَاغِـمُ[1]

وأما الشعر الثالث فللشماخ بن ضرار بن مرة بن غطفان ، يقوله لعرابة بن أوس بن قيظى الأنصارى :

رأيـتُ عَرَابَـةَ الأوسـيَّ يَسْـمو   إلى الخـيراتِ منقطـعَ القريـن

إذا مـا رايـةٌ رفِعـتْ لمجـدٍ   تلقاهـا عرابـةُ بـاليمين

إذا بلّغتنـى وحمَلْـت رَحْلـى   عَرابَـةَ فاشْـرقى بـدمِ الوتَـينِ[2]

والرابع لعمر بن عبد ا لله بن أبي ربيعة ، يقوله فى بعض الروايات :

وَدِّعْ لُبابـةَ قَبْـلَ أنْ تـتَرحَّلا   واتسـألْ فـإنَّ قليلـه أنْ تَسْـألا

امْكُـثْ لِعُمْـرِك سـاعةً فتأنّهـا   فعسى الّذى بخلَـتْ بـهِ أَنْ يُبْـذلا

لسـنا نُبـالى حـين نَـدركُ حاجـةً   إنْ بـاتَ أو ظَـلَّ المطـىُّ مُعَقَّـلا[3]

والشعر الخامس لا أعرف قائله .

ولم يتغن معبد فى مدح قط إلا فى ثلاثة أشعار ، منها ما ذكرنا فى عرابة ، ومنهـا قـول عبد ا لله بن قيس الرقيات فى عبد ا لله بن جعفر بن أبى طالبٍ:

تقدتْ بـى الشَّهْباء نحْوَ ابـنِ جعفـرٍ   سـواءُ عليهـا ليلُهـا ونهارُهَـا[4]

والثالث قول موسى شهوات فى حمزة بن عبد ا لله بن الزبير :

حمـزة المبتـاع بالمـالِ الثّنـا   ويـرَى فـى بيْعِـهِ أنْ قـدْ غَبـنْ[5]

---

(١)الأبيات من الطويل ، وهو للأعشى فى ديوانه صـ ١٢٩ ولسان العرب ٨/٢٤٤(نقض) ١٤/٣٦٤(زوى) ،وتهذيب اللغة ٨/٣٤٥،١٣/٢٧٦ ، ١٤/١٨١،ومقاييس اللغة ٣/٣٤،وكتاب العين ٥/٥١، ٧/٣٩٦،وتاج العروس (نقض) ، (زوي) ، وبلا نسبة فى لسان العرب ، (شبع) وجمهرة اللاغة صـ ٢٣٧ .

(٢)الأبيات من الوافر وهى للشماخ بن ضرار بن مرة فى الأغانى ٩/١٩٦،١٩٧

(٣)الأبيات من الكامل وهى لعمر بن أبى ربيعة فى الأغانى ١/ ٣٠٠.

(٤)البيت من الطويل وهو لابن قيس الرقيات فى الأغانى ٥/٨٨.

(٥)البيت من الرمل وهو لموسى شهوات فى الأغانى ٣/ ٣٤٥.

كان عبد الله بن قيس الرقيات منقطعاً إلى مصعب بن الزبير ،وكان كثير المدح له ، وكان يقاتل معه ،وفيه يقول :

إنما مصعب شِهابٌ مِنَ اللـ ـهِ تَجلتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْماءُ

مُلْكُه ملكُ قوةٍ ليس فيهِ جبُروتٌ مِنْهُ ولا كِبرياءُ

يتقى الله فى الأمورِ وَقَدْ أفـ ـلحَ مَنْ كانَ همَّه الاتقاءُ(١)

قال أبو العباس : وله فيه أشعار كثيرة ، فلما قُتل مصعب كان عبد الملك على قتل عبد الله ، فهرب فلحِق بعبد الله بن جعفر ، فشفع فيه إلى عبد الملك ، فشفعه فى أن ترك دمه ، فقال : ويدخل إليك يا أمير المؤمنين فتسمع منه ، فأبى ، فلم يزل به حتى أجابه ، ففى ذلك يقول لعبد الله بن جعفر :

أتيناك نثنى بالذى أنتَ أهلُهُ عليكَ كما أُثْنى على الرَّوضِ جارُها

تقدَّت بى الشَّهْباءُ نحوَ ابنِ جعفرٍ سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

تزورُ فتًى قدْ يعلمُ الناسُ أنَّهُ تجودُ لهُ كف قليلٌ غِرارُها

فوا للهِ لولا أنْ تزورَ ابنَ جعفرٍ لكانَ قليلاً فى دِمَشْقَ قَرارُها(٢)

والشعر الذى مدح به عبد الملك :

عادَ لَهُ مِنْ كثيرةَ الطَّربُ فعينهُ بالدُّموعِ تَنْسَكِبُ(٣)

وفيها يقول :

ما نقموا مِنْ بنى أميَّةَ إلْـ ـلا أنهُم يحْلُمُونَ إنْ غَضِبوا

وأنَّهمْ مَعْدِنُ الملوكِ فلا تصلُحُ إلا عليهمُ العربُ

إن الفَنيقَ الَّذى أبوهُ أبو الْـ ـعاصى عليهِ الوقارُ والحجُبُ

خليفةُ اللهِ فى رعيتِهِ جفَّتْ بذاكَ الأقلامُ والكتبُ

يعتدل التَّاجُ فوقَ مفرِقهِ على جبينٍ كأنَّهُ الذَّهَبُ(٤)

---

(١)البيت من الخفيف وهو لابن قيس الرقيات فى الأغانى ٥/٨٧

(٢)الأبيات فى الطويل وهى لابن قيس الرقيات فى الأغانى ٥/٨٨.

(٣)البيت من المنسرح وهو لابن قيس الرقيات فى الأغانى ٥/٨٧ ، ٩١.

(٤)البيت من المنسرح وهو لابن قيس الرقيات فى الأغانى ٥/٩٠ ، ٩٢، ٩٣، ٩٤ .

فقال له عبد الملك : أتقول لمصعب :

إنما مصعبٌ شِهابٌ من اللـــهِ تجلت عَنْ وَجْهِه الظَّلْماءُ

وتقول لى :

يعتدلُ التّاج فَوْقَ مِفْرَقِهِ على جبينٍ كأنّهُ الذّهَبُ؟

وأما شعر الشماخ فى عرابة فقد مر فى موضعه بحديثه .

وأما الشعر فى حمزة بن عبد الله بن الزبير فإنه لموسى شهواتٍ ،وكان موسى قال لمعبد : أقول شعرًا وتتغنى به ، فما أعطاك من شىء فهو بيننا ! فقال هذا الشعر :

حمزةُ المبتاعُ بالمالِ الثنا ويُرَى فى بيعه أن قدْ غَبِنْ

وهو إن أعطى عطاءً كاملاً ذا إخاءٍ لم يكدِّرْهُ بمن

وإذا ما سنة مُجْحفة بَرَتِ المالَ كَبَرْى بالسَّفنْ

حَسَرَتْ عنه نقيا عِرْضَهُ طاهِرَ الأثوابِ ما فيه دَرَنْ

فأعطاه مالاً ، فقاسمه موسى .

* * *

باب

قال أبو العباسِ : قال عُتْبَةُ بنُ شَمَّاسٍ :

إنَّ أَوْلَـى بـالحقِّ في كـلِّ حـقٍّ ... ثـم أَحْـرَى بـأنْ يكـونَ حَقِيقَـا

مَـنْ أبوه عبـدُ العزيـز بـنُ مَـرْوا ... نَ ومَـنْ كـان جَـدُّهُ الفَارُوقَـا[1]

رَدَّ أَمْوَالَنـا علينـا وكـانتْ ... في ذُرَى شـاهقٍ تفُـوتُ الأَنُوقَـا

يقولُ هذا الشعرَ في عمرَ بن عبـدِ العزيـز بـن مـروانَ ، وأُمُّ عمـرَ أمُّ عـاصمٍ بنـتُ عاصمِ بنِ عمرَ بن الخطاب رحمه الله .

و " الأَنُوقُ " الرَّخَمَةُ ، ولا يقال " أَنُوقٌ " إلا للأنثى . ومن أمثال العرب : " هو أَعَزُّ من بَيْضِ الأَنُوق " . وتقول العرب لمن يَطْلُبُ الأمر العَسِيرَ : سـأَلتَني بيـضَ الأنـوق ، وهو لا يكاد يوجد لبُعْدِ مَطْلَبه وعُسْرِه؛فإن سأله مُحـالا قـال:سـأَلْتني الأَبْلَـقَ العَقُـوقَ، [2] وإنّما هو الذَّكرَ من الخيل ، ويقال : فـرسٌ عقـوقٌ : إذا حَمَلَـتْ فـامتلأ بطنُهـا ، والأبلـق العقوق مُحالٌ .

وقال جرير يمدحُ عمرَ بن عبد العزيز :

مـا عَـدَّ قـومٌ كـأجداد تَعُدُّهُـمُ ... مَرْوانُ ذو النُّورِ والفـارُوقُ والحَكَـمُ

أَشْبَهْتَ مـن عُمَـرَ الفـاروقِ سِـيرتَهُ ... فـاقَ البَرِيَّـةَ وائْتَمَّـتْ بـه الأُمَـمُ

تدعـو قُرَيْـشٌ وأنصـارُ الرَّسُولِ لـه ... أَن يُمْتَعوا بأَبِي حَفْصٍ وما ظَلَمُـوا[3]

وفيه يقولُ أيضًا :

يَعُـودُ الحِلْـمُ منـكَ علـى قُريـشٍ ... وتَفْـرُجُ عنهـمُ الكُـرَبَ الشِّـدَادَا

وقـد أَمَّنْـتَ وحْشَـهُمُ بِرِفْـقٍ ... ويُعْيِـي النَّـاسَ وَحْشُـكَ أن يُصـادَا

وتَدْعُـو الله مُجْتَهِـدًا لِـيَرْضَى ... وتَذْكُـرُ في رَعِيَّتِـكَ المَعـادَا[4]

---

(١) الأبيات من الخفيف ،وهى لعتبة بن شماس فى لسان العرب (فرق) ، وتاج العروس (فرق) .

(٢) انظر المستقصى ٢/٢٢٢، واللسان (أنق) .

(٣) الأبيات من البسيط ،وهى لجرير فى شرح ديوانه ص ٣٨٤ . ط. دار الكتب بيروت

(٤) الأبيات من الوافر ، وهى لجرير فى شرح ديوانه ص ١٠٥ .ط.دار الكتب بيروت .

وقال أيضًا ـ وكان ابنُ سَعْدٍ الازدي قد تَوَلَّى صَدَقاتِ الأعرابِ وأعطياتهم ، فقال جريرٌ يشكوه إلى عمرَ بن عبد العزيز ـ :

إنَّ عِيالِي لا فَوَاكِهَ عِنْدَهُم ... وعندَ ابنِ سَعْدٍ سُكَّرٌ وزَبِيبُ

وقد كان ظَنِّي بابنِ سَعْدٍ سَعادةً ... وما الظنُّ إلا مُخْطِئٌ ومُصيبُ

فإن تُرْجِعوا رِزْقي إليَّ فإنَّه ... متاعُ لَيالٍ والأَدَاءُ قَريبُ

تَحَنَّى العظامُ الراجفاتُ من البلَى ... وليس لداءِ الرُّكبتينِ طبيبُ[1]

وفيه أيضًا يقول لمَّا نُعِيَ :

نَعَى النُّعَاةُ أميرَ المؤمنين لنا ... يا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بيتَ ا للهِ واعتَمَرا

حُمِّلْتَ أمرًا جَسيمًا فاضْطَلَعْتَ بهِ ... وقُمْتَ فيه بحقِّ ا للهِ يا عُمَرَا

فالشَّمْسُ طالعةٌ ليستْ بكاسِفَةٍ ... تَبْكي عليكَ نُجومَ اللَّيْلِ والقَمَرَا[2]

قولُه " يا عمرَا " نُدْبَةٌ ، أراد " يا عُمَراهْ " وإنَّما الألِفُ للنُّدبة وحدَها ، والهاءُ تزادُ في الوقف لخفاءِ الألف ، فإذا وصَلْتَ لم تَزِدُها ، تقولُ :" يا عمرَا ذَا الفضلِ " فإذا وقفتَ قلتَ : " يا عُمَرَاه " فحذَفَ الهاءَ في القافية لاستغنائِه عنها .

وأمَّا قولُه : " نجومَ الليل والقمرَا " ففيه أَقَاوِيلُ كلُّها جيدٌ : فمنها : أنْ تَنصِبَ " نجومَ الليل والقَمَر"بـ " كاسفةٍ " يقولُ : الشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ نجومَ الليلِ والقمرَ ، يقولُ : إنما تكسفُ النجومَ والقمرَ بإفْراطِ ضيائِها ، فإذا كانتْ من الحُزْنِ عليه قد ذَهَب ضِياؤُها ظهرتِ الكواكبُ . ويقال : إنَّ الغُبارَ يوم حَلِيمةَ سَدَّ عَيْنَ الشمسِ فظهرت الكواكبُ المُتَبَاعِدَةُ عن مَطْلِعِ الشمسِ ، ويومُ حَلِيمةَ هو اليومُ الذي سار فيه المُنْذِرُ بنُ

---

(١) الأبيات من الطويل وهى لجرير فى ديوانه ص ٤٠ ، ٤١. ط. دار الكتب بيروت .

(٢) الأبيات من البسيط ، وهى لجرير فى ديوانه ص ٧٣٦ ، والدرر ٤٢/٣،وشرح التصريح ١٦٤/٢،١٨١ ،وشرح شواهد المغنى ٧٩٢/٢،وشرح عمدة الحافظ ص ٢٨٩ ، والمقاصد النحوية ٢٢٩/٤، وبلا نسبة فى أوضح المسالك ٩/٤ ،وشرح الأشمونى ٤٤٢/٢،وشرح قطر الندى ص ٢٢٢،ومغنى اللبيب ٣٧٢/٢ ،وهمع الهوامع ١٨٠/١ .

المنذرِ بعَرَبِ العِراقِ إلى الحارث الأعْرجِ الغَسَّانِيِّ ،وهو الأكبرُ ـ والحارثُ في عَرَبِ الشَّأْمِ ، وهو أَشْهَرُ أيامِ العربِ ، ومن أمثالهم : " ما يَوْمُ حَلِيمَةَ بِسِرٍّ "[1] وفيه يقولُ النابغةُ[2] :

تُخُـيِّرْنَ مِـن أزمـانِ يـومِ حَليمـةٍ ... إلى اليـومِ قـد جُرِّبْنَ كُـلَّ التَّجَـارِبِ

وأَظُنُّ قولَ القائلِ من العرب : " لأُرِيَنَّكَ الكواكـبَ ظُهْرًا " إنّمـا أُخِـذَ مـن يـومِ حليمةَ ، قال طَرَفَةُ [3]:

إنْ تُنَوِّلْـــهُ[4] فَقَــــدْ تَمْنَعُـــهُ ... وتُرِيـهِ النَّجْـمَ يَجْـرِي بـالظُّهُرْ

وقال الفرزدق[5] لخالد بن عبد الله القَسْرِيِّ :

لَعَمْـرِي لقـد سَارَ ابْنُ شَيْبَة سِـيرَةً ... أَرَتْـكَ نُجـومَ اللَّيْـلِ مُظْهِـرَةً تَجْـرِي

ويجوزُ أن يكونَ " نجومَ الليلِ والقمرَا " أرادَ بهما الظَّرْفَ ، يقولُ : تبكي الشمسُ عليكَ مدةَ نجومِ الليلِ والقمرِ ، كقولك : تَبْكِي عليك الدَّهرَ والشَّهرَ ، وتَبكِي عليك الليلَ والنهارَ يا فتى .

ويكونُ : تُبْكِي عليكَ الشمسُ النجومَ ، كقولك : أَبْكيتُ زيدًا على فلان .

وقال في هذا المعنى أَحَدُ المُحْدَثِينَ شيئًا مليحًا ، وهو أحمدُ أخو أشْـجَعَ السُّـلَمِيّ ، يقولُ لنَصْرِ بن شَبَثٍ العُقَيْلِيِّ ، وكان أَوْقَعَ بقومٍ من بني تَغْلِبَ بموضعٍ يُعرفُ بالسَّـوَاجِيرِ ، فقال :

لِلَّـــهِ سَـيْفٌ في يَــدَيْ نَصْـــرِ ... في حَــدِّهِ مــاءُ الــرَّدَى يَجْـــرِي

---

(١) انظر أمثال الضبى ١٦٩ ، وأمثال أبى عبيد ٩٢، وجمهرة الأمثال ٢/٢٧٣، ومجمع الأمثال ٢/٢٧٢، والمستقصى ٢/٣٤٠، وفصل المقال ١٢٧. وفى أوس :" ومن أمثالهم فى الأمر الفاشى : ما يوم أخ ".

(٢) البيت من الطويل ،وهو للنابغة فى ديوانه ص ٣٢ . ط . دار الكتب العلمية . .

(٣) البيت من الرمل ،وهو لطرفة فى ديوانه ص ٥٢ ،وتهذيب اللغة ١٠ / ٤٠٣ ، ١٥ / ٣٧١ ، ومجمل اللغة ٨/ ٣٣٢، وأساس البلاغة (نول) وتاج العروس (نول) ،وبلا نسبة فى لسان العرب (نول) .

(٤) (تنولة) . يريد تنول عاشقها من لذيذ ثغرها . رغبة الأمل ٦/٤٨ .

(٥) ديوانه ١/٣٠١.

أَوْقَعَ نَصْرٌ بالسَّواجيرِ مَا ... لم يُوقِعِ الجَحَّافُ بالبِشْرِ
أَبْكى بَنِي بَكْرٍ على تَغْلِبٍ ... وتَغْلِبًا أَبْكَى على بَكْرِ

ويكون " تَبْكي عليك نجومُ الليل والقَمَرا " على أن تكونَ الواوُ في معنى " مَعَ " ، وإذا كَانتْ كذلك فكانَ قبلَ الاسمِ فِعْلٌ نَصبْتَ ؛ لأنّه في المعنى مفعولٌ وَصَلَ الفعلُ إليه فَنَصبَه ، ونظيرُ ذلك " اسْتَوَى الماءُ والخَشَبَةَ " يا فتَى ؛ لأنه لم يُرد : استوى الماءُ واستوتِا لخشبةُ ، ولو أراد ذلك لم يكن إلا الرفعُ ، ولكنَّ التقديرَ : ساوى الماءُ الخشبةَ ، وكذلك " ما زِلْتُ أسِيرُ والنِّيلَ " يا فتى ؛ لأنك لَسْتَ تُخبِرُ عن النِّيلِ بسَيْرٍ ، وإنما تريدُ أنَّ سَيْرَك بحذائِهِ ومعه ، فوصل الفعلُ ، وهذا بابٌ يطولُ شرحُه . فإن قلتَ " عبدُ ا للهِ وزيدٌ أَخَوَاك " وأنت تريدُ بالواو معنى " مع " لم يكن إلا الرفعُ ؛ لأن الاسمَ قبلها مبتدأ ، فهي على موضِعِهِ .

وأجْوَدُ التفسيرِ عندنَا في قول ا للهِ جلَّ وعزَّ:﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وشُرَكَاءَكُم ﴾ [(١)] أن تكونَ الواوُ في معنى "مع" لأنك تقولُ: " أَجْمَعْتُ رأيي وأمرِي " و " جَمَعْتُ القومَ " فهذا هو الوجه ، وقومٌ ينصبونه على دخوله بالشِّرْكَةِ في معنى الأول ، فيجعلونه كقولِ القائل :

يا ليتَ زَوْجَكِ[(٢)] قد غَدَا ... مُتَقَلِّدًا سيفًا ورُمْحَا[(٣)]

والرمحُ لا يُتَقَلَّدُ ، ولكنْ أدخلَهَ مَعَ ما يُتَقَلَّدُ ، فتقديرُه : متقلدًا سيفًا وحاملاً رمحًا ، ويكونُ تقديرُ الآيةِ : فأجْمِعُوا أمرَكم وأعِدُّوا شركاءَكم ، والمعنى يؤول إلى أمرٍ واحدٍ . ومن ذلك قولُه :

---

(١) سورة يونس : ٧١. وانظر تفسير غريب القرآن ١٩٨، وتفسير القرطبى ٣٦٢/٨، والبحر ١٧٨/٥.

(٢) يرويه بعضهم " ورأيت بعلك فى الوغى.

(٣) البيث من مجزوء الكامل ،وهو بلا نسبة فى الأشباه والنظائر ١٠٨/٢ ، ٦/ ٢٣٨ ،وأمالى المترضى ٥٤/١ ،والإنصاف ٦١٣/٢ ،وخزانة الأدب ٢٣١/٢ ، ١٤٢/٣،والخصائص ٤٣١/٢ ، وشرح شواهد الإيضاح ١٨٢ ،وشرح المفصل ٥٠/٢ ،ولسان العرب (رغب) ، (زجج)، (مسح) ، (قلد) ، (جدع) ،(هدى) ، والمقتضب ٥١/٢.

شَرَّابُ أَلْبَانٍ وتَمْرٍ وأَقِطْ[1]

فأمَّا ما جاء من القرآن على هذا خاصةً فقولُه جلَّ وعزّ : ﴿ وا للهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماء فمِنْهُم مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ومِنْهُم مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ومِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي على أَرْبَعٍ ﴾ [2] فأدخل " مَنْ " هاهنا ، لأنَّ الناسَ مع هذه الأشياءِ ، فَجَرَتْ على لفظٍ واحدٍ ، ولا تكون " مَنْ إلاّ لما يَعْقِلُ إذا أفْرَدتها .

* * *

وقال رجلٌ لعمرَ بن عبد العزيز يشكو إليه عُمَّالَهُ :

إنَّ الذيـــن أَمَرْتَهُـــمْ أنْ يَعْدِلُـــوا ... نَبَــذُوا كِتَـابَكَ وَاسْـتُحِلَّ المَحْــرَمُ

وأردتَ أن يَلِــيَ الأمانَـــةَ منهـــمُ ... بَــرٌّ ، وهيهــاتَ الأبَــرُّ المُسْــلِمُ

طُلْسُ الثِّيابِ على مَنَـابِرِ أَرْضِنَـا ... كُــلٌّ بِنَقْــصِ نَصِيبِنَـا يَتَكَلَّــمُ

أنشدنيه الرِّيَاشِيُّ عن الأصمعِيِّ .

ونظيرُ هذا قولُ ابنِ هَمَّامٍ السَّلُولِيِّ :

إذَا نَصبوا للقولِ قَـالوا فأَحْسَـنُوا ... ولكـنَّ حُسْنَ القـولِ خالَفَـهُ الفعـلُ

وذَمُّـوا لنـا الدنيا وهـم يَرْضَعُونَهَـا ... أفـاويقَ حتـى مـا يَـدُرُّ لهـا ثُعْـلُ[3]

وقد مَرَّ تفسيرُ هذا الشعر .

و " **الأَطْلَسُ** " : الأَغْبَرُ ، وربُّما اشتدَّتْ غُبْرتُهُ حتى يَخْفَى في الغُبَـارِ ، وإنمـا أراد بقوله : " طُلْسُ الثيابِ " أنهم يُظْهِرُونَ تَقَشُّفًا ، ويجوز أن يكونَ جَعَلَهـم بمنزلـة الذئـابِ ، وهو أحسنُ .

* * *

ويُرْوَى أنَّ عمرَ بنَ الخطاب رحمه ا للهُ وَلَّى رجلا بلدًا ، فَوَفَدَ عليه ، فجاءه مُدَّهِنًا حسنَ الحالِ في جسمه ، عليه بُرْدان ، فقال له عمرُ : أهكذا وَلَّيْنـاكَ ؟! ثـم عزَلَـهُ ، وَدَفَـع إليه غُنَيْمَاتٍ يرعاها ، ثـم دَعَا به بعد مُدَّةٍ فرآه باليًا أشعَثَ في ثوبين أَطْلَسَيْنِ ، وذُكِـرَ عنـدَ

---

(١) الرجز بلا نسبة فى الإنصاف ٦١٣/٢ ،ولسان العرب (زجج) (طفل) والمقتضب (٥١/٢) .

(٢) النور : ٤٥.

(٣) سبق تخريج البيتين .

عمرَ بخيرٍ ، فردَّه إلى عمله ، وقال : كُلُوا واشربوا وادَّهِنُوا ، فإنَّكم تَعْلَمُونَ الذي تُنْهَوْنَ عنه .

ويروَى عن الحسن أنَّه قال : اقْرُبُوا من هذه الأعوادِ ، فإنَّهم إذا رَقُوهَا لُقِّنُوا الحكْمَةَ ، لتكونَ عليهم حُجَّةً يومَ القيامةِ .

وقال رجلٌ لعمرَ بن عبد العزيز يَرْثِيه ، أنشدنيه الرِّيَاشِيُّ :

قد غيَّبَ الدَّفِنُونَ اللَّحْدَ إذْ دَفَنُوا — بِدَيْرِ سَمْعانَ قُسْطاسَ الموازينِ

مَنْ لم يكن هَمُّهُ عَيْنًا يُفَجِّرُها — ولا النخيلَ ولا رَكْضَ البَرَاذِينِ

أقولُ لَمَّا أتانِي ثَمَّ مَهْلَكُهُ : — لا يَبْعَدَنَّ قِوَامُ المُلْكِ والدِّينِ[1]

يقالُ : " هذا قِوَامُ الأمرِ ومِلاكُهُ " لا غيرُ ، وتقولُ : " فلانٌ حَسَنُ القَوامِ "مفتوحٌ، تُريدُ بذلك الشَّطَاطَ ، لايكونُ إلا ذاكَ .

و "قِوَام " إذا كان اسما لم تنقلبْ واوُه ياءً من أجل الكسرة لأنَّها متحركةٌ ، إلا أنْ يكونَ جمعًا قد كانت الواو في واحده ساكنة ، فتنقلب في الجمع ؛ لأن حركتها لعلةٍ تقول " سَوْطٌ و سِياطٌ " و " ثوبٌ وثِيابٌ " و " حَوْضٌ وحِياضٌ " فإن كانت في الواحد متحركةً ثَبَتَتْ في الجمع ، نحو " طويلٍ وطِوال " . وكذلك " فِعالٌ " إذا كان مصدرًا صَحَّ إذا صَحَّ فعلُه ، واعْتَلَّ إذا اعْتَلَّ فعلُه ، فما كان مصدرًا لـ " فاعَلْتُ " فهو "فِعالٌ " صحيحٌ ، تقول : " قَاوَلْتُه قِوَالاً " و " لاَوَذْته لِوَاذًا " كقول الله تعالى : ﴿ **قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا** ﴾[2]أي " مُلاوَذَةً " وإذا كانَ مصدرَ " فَعَلْت " اعْتَلَّ لاعتلالِ الفعلِ ، فقلتَ:"قمتُ قِيامًا " و" نِمتُ نيامًا " و " لُذْتُ لِيَاذًا " و"عُذْتُ عِيَاذًا "

* * *

---

(١) الأبيات من البسيط ،والأول والثالث فى تاريخ الطبرى ١٠١/٤ولفظهما :

أقول لما نعى الناعون لى عمرا — لايبعدن قوام العدل والدين

قد غادر القوم باللحد الذى لحدوا — بدير سمعان قسطان الموازين

(٢) سورة النور : ٦٣ .

وقال عُوَيْفُ القَوافي شعرًا يَرْثي سليمانَ بنَ عبد الملك ، ويذكر عمرَ بنَ عبد العزيز ، هَذا ما اخترنا منه :

لاحَ سَحابٌ فرأَيْنَا بَرْقَهُ	ثم تَدَانَى فَسَمِعْنا صَعْقَهُ
وراحتِ الرِّيحُ تُزَجِّي بُلْقَهُ	ودُهْمَهُ ثم تزجِّي وُرْقَهُ
ذَاكَ سَقَى وَدْقًا فَرَوَّى وَدْقَهُ	قَبْرَ امْرِئٍ أَعْظَمَ ربِّي حَقَّهُ
قبرَ سليمانَ الذي مَن عَقَّهُ	وجحَد الخيرَ الذي قد بقَّهُ
في العالَمِين جِلَّهُ ودِقَّهُ	لَمَّا ابْتَلَى اللهُ بخيرِ خَلْقَهُ
وكادتِ النفسُ تُساوِي حَلْقَهُ	أَلْقَى إلى خيرِ قريشٍ وَسْقَهُ
يا عمرَ الخَيْرِ المُلَقَّى وَفْقَهُ	سُمِّيتَ بالفاروقِ فافْرُقْ فَرْقَهُ
وارْزُقْ عيالَ المسلمين رِزْقَهُ	واقْصِدْ إلى الخيرِ ولا تَوَقَّهُ
بَحْرُكَ عَذْبُ الماءِ ما أَعَقَّهُ	ربُّكَ ، والمَحْرُومُ مَنْ لَمْ يُسْقَهُ

يقالُ : " لاَحَ البرقُ " : إذا بَدَا ، و " أَلاَحَ " : إذا تَلأْلأَ ، وهذا البيت يُنْشَدُ :

مَنْ هَاجَهُ الليلةَ بَرقٌ أَلاَحْ

ويقالُ : " شَرَقَتِ الشمْسُ " : إذا بَدَتْ و " أَشْرَقَتْ " :إذا أَضاءتْ وصَفَتْ .

ويقالُ " صاعِقَةٌ " و " صاقِعَةٌ " وبنو تَميم يقولون " صاقِعةٌ " . و " الصَّعْقُ " شِدَّةُ الرَّعْدِ ، ويُعْنَى به في أكثرِ ذلك : ما يَعْتَري مَنْ يَسْمعُ صوتَ الصاعقةِ .

وقوله : " تُزَجِّي " يقول : تَسُوقُه وتَسْتَحِثُّهُ .

و " الأَبْلَقُ " من السحاب : ما فيه سوادٌ وبياضٌ ، وفي الخيلِ : كلُّ لونٍ يخالطُه بياضٌ فهو " بَلَقٌ " [١].

و " الأَوْرَقُ " : الذي بين الخُضْرةِ والسَّوادِ ، وهو أَلأَمُ ألوانِ الإبلِ ، ويقال : إنَّ لحمَ البعيرِ الأَوْرَقِ أطيبُ لُحْمانِ الإبلِ .

---

(١) قال الشيخ المرصفى :" هذا مما تفرد به أبو العباس. والمعروف عند أهل اللغة أجمع أن البلق فى الدابة سواد وبياض كالبُلقة بالضم ، وقال ابن سيده : البلق والبلقة : ارتفاع التحجيل إلى الفخذين " رغبة الآمل ٦/٥٦. وانظر اللسان (بلق) .

و " الوَدْقُ " : المطرُ ، يقال " وَدَقَتِ السماءُ يَا فتى تَدِقُ وَدْقًا " ، قال الله جلَّ وعزَّ " ﴿ فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ ﴾ [1]وقال عامرُ بنُ جُوَيْنٍ الطائيُّ [2]:

فلا مُزْنَةٌ ودَقَتْ وَدْقَها ... ولا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقالَهَا

وأصلُ " العَقِّ " : القَطعُ في هذا الموضع ، ولِلْعَقِّ مواضعُ كثيرةٌ ، يقالُ : " عَقَّ والديه يَعُقُّهما " : إذا قَطَعهما ، و " عَقَقْتُ عن الصبيِّ " مِنْ هذا[3] ، وقالوا : بل هو من " العَقِيقَةِ " وهو الشَّعْرُ الذي يُولَدُ به ، يقال : " فلان بعَقِيقَتِهِ " إذا كان بشَعْرِ الصَّبِى لم يَحْلِقْهُ [4]، ويقال : " سيفٌ كأنَّهُ عَقيقةُ بَرْقٍ " أي كأنه لَمْعةُ بَرْقٍ ، ويقال " رأيتُ عَقِيقَةَ البَرْقِ " يا فتى ! أي اللَّمْعَةَ منه في السحابِ ، ويقال : " فلانٌ عُقَّتْ تَمِيمَتُهُ ببلدِ كذا " أي قُطِعَتْ عنه في ذلك الموضِعِ ، قال الشاعر[5] :

أَلم تَعْلَمِي يا دَارَ بَلْجَاءَ [6]أنَّنِي ... إذا أَخْصَبَتْ أو كان جَدْبًا جَنَابُهَا

أَحَبُّ بِلادِ اللهِ ما بينَ مُشْرِفٍ[7] ... إليَّ وسَلْمَى أنْ يصُوبَ سَحَابُهَا

بِلادٌ بها عَقَّ الشَّبابُ تَمِيمَتِي ... وأوّلُ أرضٍ مَسَّ جلدِي تُرابُهَا

وقولهُ : " وجَحَدَ الخيرَ الذي قد بَقَّهُ "

---

(١) سورة النور : ٤٣ . وسورة الروم : ٤٨ .

(٢) البيت من شواهد الكتاب ٢٤٠/١، والخزانة ٢١/١، والمذكر والمؤنث للمبرد ١١٢، وشرح أبيات مغني اللبيب ١٧/٨ وسيأتي البيت.

(٣) قال المرصفى :" يريد ذبحت عنه يوم سابع ولادته شاة تسمى أيضًا بالعقيقة ..." رغبة الآمل ٥٧/٦.

(٤) قال الشيخ المرصفى :" فيكون معناه حلقت شعره يوم السابع فقطعته فجعلوا الشعر أصلاً والشاة المذبوحة مشتقة منه يريدون أنها سميت باسم غيرها إذ كانت معه أو مسببة عنه وذلك أنه تذبح عند حلق الشعر " رغبة الآمل ٥٧/٦ اهـ .

(٥) الأبيات لرفاع بن قيس الأسدى أو لأبى النضير الأسدى أو لامرأة طائية . انظر تخريجها فى سمط اللآلى ٢٧٢. وستأتى الأبيات .

(٦) (بلجاء) من البلج " بالتحريك " وهو تباعد ما بين الحاجبين وجنابها بالفتح ما حولها رغبة الآمل ٥٨/٦ .

(٧) و" مشرف " رمل بالدهناء . انظر معجم البلدان ١٣٢/٥. ورواية البيت :" ما بين منعج". انظر معجم البلدان ٢١٢/٥، وسمط اللآلى .

يقال : " بَقَّ " فلانٌ في الناس خيرًا كثيرًا ، و" أَبَقَّ " كلامًا كثيرًا .

وقوله : ألْقَى إلى خيرِ قريشٍ وَسْقَهُ

فهذا مثلٌ ، يريد : قَلَّدَهُ أَمره ، و " الوَسْقُ " الحِمْلُ .

وقوله : " المُلَقَّى وَفْقَهُ " يقال :" لُقِّيَ فلانٌ خيرًا " أي جُعِلَ يَلْقاهُ ، و " الوَسْقُ " من الكيلِ : مقدارُ خمسة أَقْفزةٍ بقَفِيزِ البصرة ، وهي قَفِيزَان ونصفٌ بقفيزِ مدينةِ السَّلامِ . وقولُه : " ليس في أَقَلَّ من خمسةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ [1]" إنّما يبلغُ ذلك خمسةً وعشرين قفيزًا بقفيزِ البَصْرة . و " الوَفْقُ " التوفيقُ .

وقوله:" سُمِّيتَ بالفاروقِ " فتأويلُ " الفاروق " : الذي يَفْرُقُ بين الحقِّ والباطِلِ ، وكذلك قال المفسرون في " الفُرْقَان " وقد أبان ذلك بقوله:" فافْرُقْ فَرْقَهُ " .

وقولُه : **وارْزُقْ عِيَالَ المسلمينَ رَزْقَهُ**

يقال : **" رَزَقَه يَرْزُقُه رَزْقًا " والاسمُ " الرِّزْقُ "** .

وقولُه : **بَحْرُكَ عَذْبُ الماء ما أَعَقَّهُ**

مقلوبٌ ، إنما هو " ما أَقَعَّهُ ربُّكَ " . يقال : " ماءٌ قُعَاعٌ " و " ماءٌ حُرَاقٌ " فـ" القُعاعُ " : الشديدُ الملوحةِ ، يقولُ : ما أَمْلَحَهُ ربُّك ، و" الحُرَاقُ " : الذي يُحْرِقُ كلَّ شيءٍ بمُلوحَتِه ، والماءُ العذبُ يقالُ له : النُّقَاخُ " وما دونَ ذلك شيئًا يقالُ له : "المَسُوسُ " أنشد أبو عُبيدةَ [2]:

لو كُنْتَ ماءً كنتَ لا عَذْبَ المَذَاقِ ولا مَسُوسا

يقالُ : " ماءٌ عذبٌ " و " ماءٌ فُراتٌ " وهو أَعْذَبُ العذْبِ ، ويقال : " ماءٌ مِلْحٌ " ولا يقالُ " مَالِحٌ " وسَمَكٌ مَمْلُوحٌ ومَلِيحٌ " ولا يقالُ : " مالِحٌ " وأشدُّ الماء ملوحةً يقال له : " الأُجَاج " قال الفَرَزْدَقُ :

ولو أَسْقَيْتَهُمْ عَسَلاً مُصَفًّى ... بماءِ النِّيلِ أو ماء الفُرَاتِ

لقالوا إِنَّهُ مِلْحٌ أُجَاجٌ ... أَرَادَ به لَنَا إِحْدَى الهَنَاتِ[3]

---

(١) انظر مجاز القرآن ١/٤٠ وتفسير ابن كثير ١/١٣٠، وتفسير القرطبى ١/٣٨٧ .

(٢) فى مجاز القرآن ٢/٧٧، والبيت لذى الإصبع العدوانى .وهو من كلمة له فى الأغانى ٣/١٠٢ .

(٣) (الهنات) جمع هنت "بسكون النون " والتاء بدل من الواو يدلك على هذا قولهم فى الجمع هنوات وهى الخصلات من الشر . رغبة الآمل ٦/٦٠.

وقولُه :   ذاكَ سَقَى وَدْقًا فَرَوَّى وَدْقَهُ

فيه قولان : أحدُهما : فَرَوَّى وَدْقَهُ ، يريدُ : منْ وَدْقِهِ ، فلمّا حَذَفَ حرفَ الجرِّ عَمِلَ الفِعْلُ ، والآخَرُ أنّه يقال : " رَوَّيْتُ زيدًا ماءً " و " أَرْوَيْتُ " ، و " رَوَّيْت " أكثرُ من " أَرْوَيْت " ؛ لأن "رَوَّيت" لا يكون إلاّ مَرّةً بعدَ مَرَّةٍ [1]. يقولُ:"فروَّى الله وَدْقَهُ" أي جَعَله رَوَاءً ، فأضمرَ لعلمِ المخاطَبِ ، ونظيره . قولُه جلَّ وعزَّ :﴿ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتّى تَوارَتْ بالحِجَابِ ﴾[2] ولم يَذكر الشمسَ ، وكذلك : ﴿ مَا تَرَكَ على ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾[3].ولم يَذكر الأرضَ . فقوله :" لاح سحابٌ " إنما معناه : ألاحه الله ، فالفاعل كالمذكور ؛ لأنّ المعنى عليه . وقال قومٌ:" وَدْقَهُ " يريد وَدْقةً واحدةً ، وهذا رَدِيءٌ في المعنىَ ، ليس بمُبالغٍ .

وقال ابنُ المَوْصِلِيِّ :

لَعَمْرِي لَئِنْ حُلِّئْتُ[4] عن مَنْهَلِ الصِّبَى   لقد كُنْتُ وَرَّادًا لِمَشْرَبِهِ العَذْبِ

لَيَالِيَ أَمْشِي بين بُرْدَيَّ لاهِيًا   أَمِيسُ كغُصْنِ البانَةِ النَّاعِمِ الرَّطْبِ

سَلامٌ على سَيْرِ القِلاص مع الرَّكْبِ   ووَصْلِ الغواني والمُدَامَةِ والشَّرْبِ

سلامُ امرئ لم تبق منه بقيةٌ   سِوَى نظر العَيْنين او شهوة القلب

قوله:و"الشَّرْب"يريد جمعَ "شاربٍ"يقال: " شاربٌ وشَرْبٌ " و " تاجرٌ و تَجْرٌ " و " راكبٌ ورَكْبٌ " و " زائرٌ وزَوْرٌ " قال الطِّرِماحُ :

حَبٌّ بالزَّوْرِ [5]الذي لا تُرَى   منه إلاّ صَفْحَةٌ عَنْ لِمَامْ

وهذا بابٌ متصلٌ كثيرٌ . قال العَجَّاجُ :

بِوَاسِطٍ أَكْرَمُ دارٍ دارًا   والله سَمَّى نَصْرَكَ الأَنْصَارًا[6]

يريد أنصارَكَ ، فأخرجه على " ناصِرٍ ونَصْرٍ " .

---

(١) وذلك لأن فعّل تفيد التكثير والتكرير

(٢) سورة ص : ٣٢

(٣) سورة فاطر : ٤٥

(٤) (حلئت) : منعت يقال حلأ الإبل والماشية عن الماء تحليئا وتحلئه حبسها ومنعها أن ترده . رغبة الآمل ٦/٦١ .

(٥) (الزور): إنما يريد الطرماح بالزور المصدر مرادًا به الزائر لا الجمع وحبَّ يحب (بفتح الحاء فيهما) بمعنى أحبب به . رغبة الآمل ٦/٦١ .

(٦) سبق البيت وتخريجه

وقولُه: " سلامُ امْرِئٍ " على البدلِ من قوله : " سلامٌ علـى سَيْرِ القِـلاَصِ " وإن شئتَ نصبتَ بفعلٍ مضمرٍ ، كأنك قلتَ : أُسلِّمُ سَلاَمَ امْرِئٍ ، لأنك ذكرت سلامًا أولاً ، وَمثـلُ ذلك " له صَوْتٌ صَوتَ حمارٍ " لأنك لَمّا قلـتَ " لـه صَوتٌ " دللـتَ علـى أنـه يُصَوِّتُ ، فكأنك قلت : يصوِّتُ صَوتَ حمارٍ ، وكذلك " له حَنِينٌ حَنِينَ ثَكْلَى " و :

. . . . له صَرِيفٌ صَرِيفَ القَعْوِ [1] بالمَسَدِ

أي : يَصْرِفُ صَرِيفًا فما كان من هذا نكـرةً فنَصْبُه علـى وجهـين : علـى المصدرِ ، وتقديرُه : يَصْرِفُ صريفًا مثلَ صريفِ القَعْوِ ، وإن شئتَ جعلتَه حالاً ، وتقديره : يُخرِجُـه في هذه الحالِ ، وما كان معرفةً لم يكن حالاً ؛ ولكن علـى المصـدرِ ، فـإن كـان الأولُ في غير معنى الفعلِ لم يكن النصبُ الْبَتّةَ، و لم يَصْلُحْ إلاّ الرفعُ على البدلِ ، تقـول : " لـه رأسٌ رأسُ ثَورٍ " ، و " له كفٌّ كَفُّ أَسدٍ " فالمرتفعُ الثاني إذا كان نكـرةً كـان بـدلاً أو نعتًـا ، وإذا كانَ معرفةً كان بدلاً و لم يكن نعتًا ؛ لأن النكرة لا تُنْعَتُ بالمعرفة ، وكذلك إذا كـان الأولُ ابتداءً لم يَجُزْ إلاّ الرفعُ ؛لأن الكلامَ غيرُ مُسْتَغنٍ، وإنما يجوزُ الإضمارُ بعد الاستغناء ، تقول : " صوتُهُ صوتُ الحمارِ " و " غِنَاؤهُ غِنَاءُ الُمجيدِينَ " ، وكذلك إنْ خبَّرْتَ عنه بأَمْرٍ مُسْتَقِرٍّ فيه اختِيرَ الرَّفع ، تقولُ : " له عِلْمٌ عِلْمُ الفقهاءِ " و" لـه رأيٌ رأيُ القضـاة " لأنَّـكَ إنما تمدحُه بأنَّ هذا قد استقرَّ له ، وليس الأَبْلَغُ في مدحه أنْ تُخبرَ بأنَّك رأيتَه في حالِ تَعَلُّـمٍ ويجوزُالنصبُ على أنك رأيتَه في حالِ تَعَلُّمٍ فاستدللتَ بذلك على علمـه ، فهـذا يَصْلُـحُ ، والأجود الرفعُ . فإذ قلتَ : " له صوتٌ صوتَ حمارٍ " فإنمـا أَخْبَرْتَ أنـه يُصَوِّتُ ، فهـذا سوى ذلك المعنى .

ومِمَّا يُختارُ فيه الرفعُ قولك : " عليه نَوْحٌ نَوْحُ الحَمَامِ " وإنَّما اختيرَ الرفعُ ؛لأن الهاءَ في " عليه " اسمُ المفعولِ ، والهاءَ في " له " اسمُ الفاعلِ ، ويجوز النصبُ على أنك إذا قلـتَ : " عليه نَوْحٌ " دَلَّ النَّوحُ على نـائِحٍ معـه ، فكـأنك قلـتَ : يَنُوحـون نَـوْحَ الحمـامِ ، فهـذا تفسيرُ جميعِ هذه الأبواب .

وقال ابنُ الخَيَّاط المَدِينيُّ ، يعني مالكَ بنَ أَنَس :

يَـأْبى الجَـوابَ فمـا يُراجَـعُ هَيْبَـةً   والسَّـائِلُون نَوَاكِـسُ الأذْقـانِ

هَـدْيُ التَّقِـيِّ وعِـزُّ سُـلْطانِ النُّهَـى   فهـو العزيـزُ وليـس ذا سُـلْطان

أراد : له هدىُ التَّقِيِّ ، أو : معه هديُ التَّقِيِّ .

* * *

---

(١) القعو :البكرة

باب

قال أبو العباس : نَذْكُرُ في هذا الباب من كل شيءٍ شيئًا ؛ لتكونَ فيه استراحةٌ للقارئ ، وانتقالٌ يَنفِي المَلَلَ ، لِحُسْنِ مَوْقِعِ الاسْتِطْرافِ ، ونَخلِطُ ما فيه من الجِدِّ بشَيْءٍ يسيرٍ من الهَزْلِ ، ليستريحَ إليه القلبُ ، وتَسْكُنَ إليه النفسُ .

قال أبو الدَّرْداءِ رحمه الله : إنِّي لأَسْتَجِمُّ نفسي بالشيء من الباطلِ ؛ ليكونَ أَقْوَى لها على الحقِّ .

وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رحمه الله : القَلْبُ إذا أُكْرِهَ عَمِيَ .

وقال ابنُ مسعودٍ رحمه الله : القلوبُ تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدان ، فابْتَغُوا لها طَرائِفَ الحِكْمةِ .

وقال ابنُ عباسٍ ﷺ: العِلْمُ أكثرُ من أنْ يُؤْتَى على آخِرِهُ ، فَخُذُوا من كل شَيْءٍ أَحْسَنَهُ .

وليس هذا الحديثُ من البابِ الذي ذكرنا ، ولكن نذكر الشيءَ بالشيءِ ، إمَّا لاجتماعهما في لفْظٍ ، وإمَّا لاشتراكهما في معنىً .

وقال الحسنُ ـ وليس من هذا الباب ـ:حادِثُوا هذه القلوبَ ، فإنَّها سَريعةُ الدُّثُور ، واقْدَعُوا هذه الأَنْفُسَ ، فإنها طُلَعَةٌ ، وإنَّكم إلاَّ تَزَعُوها تَنْزِعْ بكم إلى شَرٍّ غايةٍ . وقد مَضَى تفسيرُ هذا الكلامِ .

وقال أَرْدَشِيرُ بن بَابَكٍ : إن للآذانِ مَجَّةً ، وللقلوب مَلَلاً ، فَفَرِّقُوا بين الحِكْمَتَيْنِ يَكُنْ ذلك اسْتِجْمامًا .

وكان أَنُوشِرْوَانُ يقول : القلوبُ تحتاجُ إلى أقواتِها من الحِكْمةِ ، كاحْتِياجِ الأبدانِ إلى أقواتِها من الغِذَاءِ .

ويُرْوَى أنه أُصيبَ في حِكْمةِ آلِ داود : لا ينبغي للعاقل أن يُخلِيَ نفسَه من واحدةٍ من أربعٍ : من عُدَّةٍ لِمَعَادٍ ، أو إصْلاحٍ لَمعاشٍ ، أو فِكْرٍ يَقِفُ به على ما يُصْلِحُهُ مما يُفْسِدُه ، أو لَذَّةٍ في غير مُحَرَّمٍ يستعينُ بها على الحالاتِ الثلاثِ .

وقال عبدُ الملك بنُ عمرَ بنِ عبد العزيز لأبيه يومًا : يا أَبَـةِ ! إنَّـك تنـامُ نـومَ القائِلـة ، وذو الحاجة على بابكَ غيرُ نائمٍ ؟ فقال له : يا بُنَيَّ ! إنَّ نفسي مَطِيَّتي ، فإن حَمَلْتُ عليها في التَّعَبِ حَسَرْتُها .

تأويلُ قوله : " حَسَرْتُها " يقول : بَلَغْتُ بها أقصى غاية الإعْياء ، قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾[1] وأنشدَ أبو عُبيدةَ :

إنَّ العَسِيرَ بهـا داءٌ مُخامِرُهَـا ... فَشَـطْرَهَا نَظَـرُ العَيْنَيْـنِ مَحْسُـورُ[2]

قوله : " فَشَطْرَهَا " يريد : قَصْدَهاونحوَها ، قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحَرَامِ ﴾[3] وقال الشاعرُ:

لَهُنَّ الوَجَى لِمْ كُنَّ عَوْنًا على النَّوَى ... ولا زالَ منهـا ظـالِعٌ وحَسِـيرُ[4]

يعني الإبلَ ، يقول : هي المُفَرِّقَةُ ؛ كما قال الآخَرُ :

مـا فَـرَّقَ الأُلاَّفَ بَعْـ ... ـدَ الله إلاَّ الإبِـلُ

ولا إذا صـاحَ غُـرَا ... بٌ في الديـارِ احْتَمَلُـوا

ومـا غُـرابُ البَيْـنِ إلـ ... ـلا ناقـةٌ أو جَمَـلُ

[قال أبو الحسن : وزادني غيرُ أبي العباسِ :

والنـاسُ يلْحَـوْنَ غُـرا ... بَ البَيْـنِ لَمَّـا جَهِلُـوا

والبـائِسُ المسـكينُ مَـا ... تُطْـوَى عليـه الرِّحَـلُ

ويقالُ : إنه لأبي الشِّيصِ] .

قال أبو العباس : فمَنْ قال " آلِفٌ " للواحد قـال للجميع " أُلاَّفٌ " كـ " عامِلٍ وعُمَّالٍ " و " شاربٍ وشُرَّابٍ " و " جاهلٍ وجُهَّالٍ " . ومن قال للواحدِ : " إِلْفٌ " قال للجميع : " آلافٌ " وتقديرهُ " عِدْلٌ وأعْدالٌ " و " حِمْلٌ وأَحْمَالٌ " و " ثِقْلٌ وأثقالٌ " .

---

(١)سورة الملك :٤

(٢) تقدم تخريجه

(٣)سورة البقرة :١٤٤و١٤٩ و١٥٠.

(٤) البيت فى الأغانى ٢٨٣/١ لجميل وروايته " وكسير" إلا أنه فى بعض أصول الأغانى" وحسير " كما أنشده المبرد . والوجى مصدر وجى البعير إذا حفى وظالع من ظلع أي غمز فى مشيه

وقد أنصفَ الإبلَ الذي يقولُ :

أَلاَ فَرَعَى اللهُ الرَّوَاحِلَ إنَّما مَطَايا قُلُوبِ العاشِقِينَ الرَّواحِلُ

على أنهنَّ الواصِلاتُ عُرَى النَّوَى إذا ما نَأَى بالآلِفِينَ التَّوَاصُلُ

وقال الآخر :

أقولُ والهَوْجَاءُ تَمْشِي والفُضُلْ : قطَّعَتِ الأحْداجُ أعناقَ الإبلْ[1]

" الهَوْجاءُ " التي تُجِدُّ في السِّير وتَرْكَبُ رأسَها ، كأنَّ بها هَوَجًا ، كما قال :

لِلّهِ دَرُّ اليَعْمَلاَتِ الهُوجِ

وكما قال الأعشى[2] :

وفيها إذا ما هَجَّرَتْ[3] عَجْرَفِيَّةٌ إذا خِلْتَ حِرْباءَ الوَدِيقةِ أَصْيَدَا[4]

---

(١) قال الشيخ المرصفى :" كأن أبا العباس لم يدر سبب هذا الرجز ولا روايته الحقة فغيّر وحرّف وبدل وأسقط شطرًا يتوقف عليه تفسيره كلمة الفضل . وقد رواه الصاغانى فى تكملته وذكر سببه ، قال:قال أبو سعيد:يقال لأقطعن عنق دابتى أى لأبيعنها ، وأنشد لأعرابى تزوج امرأة وساق مهرها إبلا:

أقول والعيساء تمشى والفضل فى جلة منها عراميس عُطل

قطعت بالأحراح أعناق الإبل

والعيساء : الناقة البيضاء مع شقرة يسيرة ... وجلة الإبل مسانها ... وعراميس .. هى النوق الصلاب ..وعطل بضمتين يقع على الواحد والجميع : التى لا قلائد عليها ولا أرسان لها ، وقطعت مخفف الطاء مسندًا إلى تاء المتكلم ، والباء فى قوله بالأحراح داخلة على الثمن يريد بعت أعناق الإبل بالأحراح". عن رغبة الآمل ٦/٦٨-٦٩. وانظر التكملة واللسان (قطع) ، وحرر .

(٢) ديوانه ق ١٧/ ١٠ ص١٧١.

(٣) عجرفية : وهى أخت الهوج وهى التى لا تقصد فى السير من نشاطها وقال الجوهرى جمل فيه تعجرف وعجرفية كأن فيه خرقًا وقلة مبالاة لسرعته وهجرت : وقت الهاجرة

(٤) قال الشيخ المرصفى :" ليس فى بيته هوجاء ، ولكن فيه عجرفية وهى أخت الهوج وهى التى لا تقصد فى السير من نشاطها ... وهجرت : سارت وقت الهاجرة ..." رغبة الآمل ٦/٦٩.

و" والفُضُلُ " مِشْيةٌ فيها اختيالٌ كأنَّ مِشْيَتَها تَخرُجُ عن خِطامها فَتَفضُلُ عليه ، والأصلُ في ذلك : أن يمشيَ الرجلُ وقد أَفْضَلَ مِن إزارِه ، وتمشيَ المرأةُ وقد أفْضَلَتْ من ذَيْلِها ، وَإنما يُفعلُ ذلك من الخُيَلاء ، ولذلك جاءَ في الحديثِ : " **فَضْلُ الإزارِ في النار** "[1]. وقال رسول الله ﷺ لأبي تَميمةَ الهُجَيْمِيِّ : " **وإيَّاكَ والمَخيلَةَ** ، فقال : يارسول الله، نحنُ قومٌ عَرَبٌ ، فما المَخيلةُ ؟ فقال رسولُ الله ﷺ :"**سَبَلُ الإزارِ** "[2].

وقال الشاعرُ :

ولا يُنْسِينِيَ الحَدَثانُ عِرْضِي ... ولا أُرْخِي من المَرَحِ الإزارَا

وقال أبو قيسِ بنِ الأَسْلَتِ الأنصاريُّ :

تَمْشِي الهُوَيْنَا إذا مَشَتْ فُضُلاً ... كأنَّها خُوطُ بانَةٍ قَصِفُ

[قال أبو الحسن عليُّ بنُ سليمانَ : ما نعرفُ هذا البيتَ إلاّ لقيسِ بن الخطيم الانصاريِّ ، يعني " تمشِي الهوينا "] .

قال أبو العباس : وقال الوَليد بنُ يزيدَ :

أنا الوليدُ الإمامُ مُفْتَخِرًا ... أُنْعِمُ بَالِي وأَتْبَعُ الغَزَلاَ

أنقُل رجْلي إلى مجالِسِها ... ولا أُبالي مقَالَ من عَذَلا

غَرَّاءُ فرعاءُ يُستضاءُ بها ... تمشي الهُوينا إذا مشت فُضُلاً

* * *

ثم نعود إلى الباب ، قال الراجزُ يعني إبلاً ونوقًا :

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ ، وإنما أتى في معناه قوله (ص) :" ما أسفل من الكعبين ففى النار" أخرجه البخارى فى " اللباس"، باب " ما أسفل الكعبين فهو فى النار ،(١٠/٢٦٨) (ح٥٧٨٧) ، وكذا النسائى ، كلاهما من حديث أبى هريرة ، وفى المعنى أحاديث كثيرة ، انظر " الترغيب " (٣/٩٧-١٠٠)

(٢)الحديث "صحيح" أخرجه بنحوه أحمد فى " المسند "(٥/٦٣) من حديث جابر بن سليم الهجيمى، وفى أوله :" اتق الله ، ولا تحقرن من المعروف شيئًا ...إلى أن قال :"وإياك وإسبال الإزار ، فإن إسبال الإزار من المخيلة ...الحديث . وكذلك رواه أبو داود مطولا عن رواية أحمد ، من حديث أبى جري بن جابر بن سليم ، وفيه "وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة ،وإن الله لا يحب المخيلة ..." وانظر صحيح أبى داود(ح٣٤٤٢)، وصحيح الجامع (ح٩٨)، وزاد نسبته إلى ابن حبان والطيالسى . وراجع الصحيحة ،(ح٧٧٠و١٣٥٢) .

إنَّ لهـا لَسَـائِقًا خَدَلَّجَـا لم يُدْلِـجِ الليلَـةَ فيمـن أدْلَجَـا

" الخَدلَّجُ " : المُدْمَجُ السَّاقَيْنِ ، وإنما عَنَى المرأة التي ساقه حبُّه إليها .

والكلامُ يجري على ضروبٍ : فمنه ما يكونُ لنفسِهِ ، ومنه ما يُكنَى عنه بغيره ، ومنه مايَقَعُ مَثَلاً ، فيكونُ أبلَغَ في الوصفِ .

والكنايةُ تَقَعُ على ثلاثةِ أضْرُبٍ :

أحدها : التَّعْمِيَةُ والتَّغْطِيَةُ ، كقوله :

أكْني بغيرِ اسمِها وقد عَلِمَ الْـ ـلهُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَتِمِ

وقال ذو الرمة استراحةً إلى التصريح من الكناية :

أُحِبُّ المكانَ القَفْرَ من أَجْلِ أنّنِي بِهِ أتغنَّى باسمها غيرَ مُعجم [1]

وقال أحدُ القرشيين :

وقد أرسلَت فى السرِّ أن قد فضحتنى وقد بحت باسمى فى النسيب وما تكلنى

ويُرْوَى [2] أنَّ عمرَ بنَ عبدِ الله بنِ أبي ربيعةَ قال شعرًا وكتب به بحضرةِ ابنِ أبي عَتِيق إلى امرأةٍ مُحرِمَةٍ ، وهو :

أَلِمَّا بذات الخال فاستطلعا لنا على العهد باق ودها أن تصرما؟

وقولا لها : إن النوى أجنبية بنا وبكم قد خفت أن تتمما

قال : فقال له ابن أبى عتيق : ماذا تريد إلى امرأة مسلمة محرمة تكتب إليها بمثل هذا الشعر ؟! قال : فلما كان بعد مديدة قال له ابن أبى ربيعة : أعلمت أن الجواب جاء من عند ذلك الإنسان قال : ماهو ؟ قال : كتبت :

أضحى قريضك بالهوى نماما فاقصد هديت وكن له كتاما

وأعلم بأن الخال ذكرته قعد العدو به عليك وقاما

ويكونُ من الكنايةِ ـ وذاكَ أحسنُها ـ : الرغبةُ عن اللفظِ الخسيسِ المُفْحِشِ إلى مايدلُّ على معناه من غيرِه . قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾[3] وقال جلَّ ثناؤه : ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾[4] و " المُلامَسَةُ " في قول أهل المدينة ـ مالكٍ

---

(١) سبق البيت

(٢) الخبر فى الأغانى ٩/٢٣٩-٢٤١.

(٣) سورة البقرة : ١٨٧

(٤) سورة النساء : ٤٣ ، وسورة المائدة :٦

وأصحابه - غيرُ كِنَايَةٍ ، وإنما هو اللَّمْسُ بعينه ، يقولُـونَ في الرجـلِ تَقَـعُ يـدهُ علـى امرأتِـه أو على جاريته بشهوةٍ : إنَّ وضوءَه قد انْتَقَضَ [١]، وكذلك المرأةُ .

ومن ذلك قولُهم : " جاءَ فلانٌ من الغائِط " كنايةٌ عن الحَدَث ، وإنما " الغائطُ " الوادِي ، قال عمرُو بن مَعْدِي كَرِبَ :

وكَـمْ مِـنْ غـائِطٍ مِـن دُونِ سَـلْمَى قَليـلِ الإنْـسِ ليـس بِـهِ كَتِيـعُ

وقال الله جلَّ وعزَّ في المسيح ابـن مريـمَ وأُمِّـهِ صلـى الله عليهمـا[٢] : ﴿ **كانَـا يَأْكُلاَنِ الطَّعامَ** ﴾[٣] ، وإنما هو كنايةٌ عن قضاء الحاجة ، وقال : ﴿ **وقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِـمَ شهدتمَ علينا** ﴾[٤] ، وإنما هي كناية عن الفروج . وهذا كثير .

والضرب الثالث من الكناية : التفخيم والتعظيم ، ومنه اشتقت " الكنية " وهو أن يعظم الرجل أن يدعى باسمه ووقعت فى الكلام على ضربين : وقعـت فـى الصَّبـىِّ على جهـة التفـاؤل بـأن يكون له ولد فيدعى بولده كناية عن اسمه، وفى الكبير أن ينادى باسم ولده صيانة لاسمه وإنما يقال :" كنى عن كذا بكذا" ، أى ترك كذا إلى كذا ، لبعض ما ذكرنا.

وكان خالد بن عبـد الله القسـرى لعنـه الله يلعـن علـى بـن أبـى طـالب رحمـة الله عليـه ورضوانه على المنبر ، فيقول : فعل على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد منـاف ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته فاطمة وأبا الحسن والحسين!ثم يقبل على الناس فيقول : أكنيت ؟! فهذا تأويل هذا .

ونرجع إلى الباب الذي قَصَدْنَا له .

وقال أعرابيٌّ[٥] :

وحُقَّـةِ مِسـكٍ مـن نسـاءٍ لبسـتها شبابى وكـأس بـاكرتنى شمولهـا[٦]

---

(١) انظر ما سبق

(٢) قوله (صلى الله عليهما) قد يوهم أن مريم نبية ، لكن الراجح أنها صديقه ، كما قـال تعـالى : " ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، وأُمُّهُ صديقة كانا يـأكلان الطعـام " المـائدة : ٧٥ .

(٣) سورة المائدة :٧٥ .

(٤) سورة فصلت : ٢١ .

(٥) هو عبد الله بن العجلان النهدى كما فى ديوان الحماسة بشرح المرزوقى ١٢٥٩/٣ ، والتـبريزى ١٢٩/٣ وانظر ترجمته فى الأغانى ٢٣٧/٢٢ .

(٦) قوله وحقة مسك كناية عن امرأة جعلها لطيب رياها كظرف مسك، ومعنى لبستها : تمتعت بهـا، وموضع قوله شبابى نصب على الظرف ، والمعنى زمن شبابى - عن المرزوقى .

جديـدة سـربال الشـباب كأنهـا   أبـاءة بـردى سـقتها غيولهـا

محملـة بـاللحم مـن دون خصرهـا   تطول القصـار والطـوال تطولهـا

قوله " باكرتنى شمولها زعم الأصمعى أن الخمر إنما سميت " شمـولاً " لأن لها عصفـة كعصفة الريح الشمال .

قوله " أباءة بردى " " الأباءة " : القصبة ، وجمعها " الأباء" يا فتى! قـال كعـب بـن مالك[1] :

مـن سـره ضـرب يرعبـل بعضـه   بعضًـا كمعمعـة الأبـاء المحـرق[2]

وإنما شبه المرأة بالبردية والقصبة لنقاء اللون ورقته ، قال حميد بن ثورٍ :

لم ألـق عَمْـرَة بعـد إذ هـى ناشـئٌ   خرجـت معطفـة عليهـا مـئزر

" العطاف" الوشاح من النساء .

بـرزت عقيلـة أربـع هادينهـا   بيـض الوجـوه كـأنهن العنقـر

"العنقر" أصول القصب وفى هذا الشعر :

ذهبـت بعقلـك ريطـة مطويـة   وهـى التـى تهـذى بهـا تنشـر

[قال أبو الحسن : أنشدنيه ثعلب فى قوله " لو تنشر ": لو تشعر "]

فَهَمَمـت أن أغشـى إليهـا مَحْجَـرًا   ولمثلهـا يغشـى إليـه المحجـر

وقوله :((سقتها غيولها)) "الغيل " ههنا : الأجمة ، ومن هذا قولهم " أسد غيل "

قال طرفة:

أُسْـدُ غِيـلٍ فـإذا مـا شَـرِبُوا   وهَبُـوا كـلَّ أَمُـونٍ وطِمِـر

وقد أملينا جميعَ ما فِي " الغَيْلِ " و " الغِيلِ " .

وقوله : **تَطُولُ القِصَارَ والطِّوَالُ تَطولُها**

" طال " يكون على ضَرْبين : أحدُهما تقديـرُه " فَعُـلَ " وهـو مـا يقـع في نفسـه انتقالاً ، لا يتعدى إلى مفعول ، نحو : ما كان كريمًا ولقد كرُم ، وما كـان وضيعًـا ولقـد

---

(١) من كلمة له فى السيرة النبوية ٣/ ٢٧٣ . وفى بعض النسخ : كعب بن مالك الأنصارى .

(٢) يرعبل أى يمزق ويقطع .

وَضُعَ ، وما كان شريفًا ولقد شَرُفَ ، وكان الشيءُ صغيرًا فكَبُرَ ، وكذلك : ما كان طويلاً فطالَ ، وأصله " طَوُلَ " . وقد أَخبَرْنا بقصةِ الياءِ والواوِ إذا انفتح ما قبلَهما وهما مُتحرِّكتان .

وعلى ذلك يقال في الفاعلِ " فَعِيلٌ " نحو " شَرِيفٍ " و " كَرِيم " و " طويل " . فإذا قلتَ "طَاوَلَني فطُلْتُهُ" أي:فَعَلَوْتُه طُولاً ، فتقديرهُ على " فَعَلَ " نحوُ "خاصَمَنِي فَخَصَمْتُهُ " و " ضارَبَنِي فضَرَبتُه " وفاعِلُهُ " طائِلٌ " كقولك "ضارِبٌ " و " خاصِمٌ " . وفي الحديث[1] " **كان رسولُ الله ﷺ فَوْقَ الرَّبْعَةِ ، وإذا مَشَى مع الطِّوَالِ طَالَهُمْ** " .

وقال رياحُ بنُ سُنَيْحٍ الزَّنجِيُّ مولَى بني نَاجِيَةَ ، وكان فصيحًا ، يُجِيبُ جَرِيرًا ، لمَّا قال جريرٌ :

لاَ تَطْلُبَنَّ خُؤُولَةً في تَغْلِبٍ ... فَالزِّنْجُ أَكْرَمُ منهم أَخْوَالاَ

فتحركَ رِيَاحٌ فَذَكَرَ أَكْثر مَنْ وَلَدَتْهُ الزِّنْجُ من أشرافِ العربِ في قصيدةٍ مشهورةٍ معروفةٍ ، يقول فيها :

فالزِّنْجُ لو لاَقَيْتَهُمْ في صَفِّهِمْ ... لاَقَيْتَ ثَمَّ جَحَاجِحًا أَبْطَالا

ما بالُ كَلْبِ بَنِي كُلَيْبٍ سَبَّنا ... أَن لم يُوَازِن حاجِبًا وَعِقَالاَ

إنَّ الفرزدقَ صخرةٌ عادِيَّةٌ ... طالتْ فليس تنالُهَا الأَجْبَالاَ

يريدُ : طالتِ الأَجبالَ وَعَلَتْ فليس تنالُها .

* * *

---

(١)ورد الحديث بلفظ :"كان النبى(ﷺ) ربعة من القوم ، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ، أزهر اللون ...الحديث وهو متفق عليه من حديث أنس رضى الله عنه .

ثم نعودُ إلى ذكرِ البابِ :

وقال مرْوانُ بنُ أبي حَفْصَة ، وهو مروانُ بنُ سليمانَ بنِ يحيى بـنِ أبـي حفصـةَ ، واسمُ أبي حفصة يَزيدُ :

إن الغوانـــى طالمـــا قتلننـــا	بعيونهـــن ولا يديـــن قتيـــلا
مـن كـل آنسـةٍ كـأن حجالهـا	ضمن أحور فـى الكنـاس كحيـلا[1]
أرديـن عـروة والمرقـش قبلـه	كـل أصيـب ومـا أطـاق ذهـولا
ولقـد تركـن أبـا ذؤيـب هائمًـا	ولقـد تبلـن كثـيرًا وجميـلاً
وتركـن لابـن أبـى ربيعـة منطقًـا	فيهـن أصبـح سـائرًا محمـولاً
إلا أكـن ممـن قتلـن فـإننى	ممـن تركـن فـؤاده مخبـولا

قوله " ولا يَدِينَ قتيلاً " يقال " وَدَى يدِي".وكلُّ ما كان من " فَعَلَ " ممَّا فاؤُه واوٌ ومضارعُه " يَفْعِلُ " فالواوُ فيه محذوفة، لوقوعها بين ياء وكسرةٍ وكذلك ما كان منه على" فَعِلَ يَفْعِلُ "، لأنّ العلةَ في سقوط الواو كَسْرَةُ العين بعدَها ، وقد مضَى تفسيرُ هذا[2].

ولكنْ فى " يَدِينَ " عِلّةٌ أخرَى ، وهي أنَّ الياءَ التي هي لامُ الفعلِ بعدَ كسرةٍ ، فهي تَعْتَلُّ اعتلالَ آخِرِ " يَرْمِي " ، وأوَّلُه يعتلُّ اعتلالَ واوِ " يَعِدُ " ، واحْتَمَلَ عِلَّتين ؛ لأنَّ بينهما حاجزًا ، ومِثْلُ ذلك " وَعَى يَعِي " و " وَقَى يَقِي " و " وَفَى يَفِي " و" وَشَى يَشِي " و " وَنَى في أَمْرِه يَنِي " ، وما أَشْبَهَ ذلك ، ويَقَعُ في " فَعِلَ " نحو " وَلِيَ الأَميرُ يَلِي " .

فإذا أَمرتَ كان الفعلُ على حرفٍ واحدٍ في الوصلِ لاتّصاله بما بعدَه ، تقولُ :" يا زَيْدُ عِ كلامًا " و " شِ ثوبًا " وتقولُ : " لِ عَمرًا يا زيدُ " من " وَلِيتُ " فإذا وَقَفْتَ عليه قلتَ :" لِهْ " و " شِهْ " و " قِه " ، لا يكونُ إلاَّ ذلك ؛ لأنَّ الواوَ تَسْقُطُ فَتَبْتَدِيءُ بمتحرِّكٍ ، فلا تحتاجُ إلى أَلِفِ وصل ، فإذا وقفتَ احتجتَ إلى ساكنٍ تَقِفُ عليه فأدخلتَ الهاءَ لبيان حركة الأَوَّل ، ولم يَجُزْ إلا ذلك . ومَنْ قال : الْفِظْ " لِي " بحرفٍ واحدٍ غيرِ مَوْصُول فقد سَأَلَ مُحَالاً ؛ لأنَّكَ لا تَبْتَدِئُ إلاّ بمتحرِّكٍ ولا تقفُ إلا على ساكنٍ ، فقد قالَ الْفِظْ " لِي " بساكنٍ متحركٍ في حالٍ .

---

(١) الحجال جمع حجلة (بالتحريك) وهى بيت كالقبة يستر بالثياب وتجمع على حجل .

(٢) انظر ما سبق

وقوله " ضُمِّنَ " يقالُ : " ضُمِّنَ القبرُ زيدًا " و " ضُمِّنَ القبرَ زيد " كلٌّ صحيحٌ ، فمن قال " ضُمِّنَ القبرُ زيدًا " فإنما أرادَ : جُعِلَ القبرُ ضَمِينَ زيدٍ ، ومن قال " ضُمِّنَ زيدٌ القبرَ " فإنّما أراد: جُعِلَ زيد في ضِمْنِ القبر ، ويُنْشَدُ هذا البيتُ على وجهين :

ومَا غائِبٌ مَنْ غابَ يُرْجَى إيابُهُ ... ولكِنَّهُ مَنْ ضُمِّنَ اللَّحْدَ غائِبُ

و" مَنْ ضُمِّنَ اللَّحْدُ " يريد: مَن ضُمِّنَه اللَّحْدُ " وحَذَفَ الهاءَ مِن صِلَةِ " مَنْ " ؛ وهذا من الواضح الذي لا يَحتاج إلى تفسير .

وقوله " أَحْوَرَ " يعني ظَبْيًا . وأهلُ الغَريبِ يذهبون إلى أنَّ " الحَوَرَ " في العين : شِدَّةُ سَوَادِ سَوَادِها وشدةُ بياضِ بَياضِها ، والذي عليه العربُ إنما هو : نَقَاءُ البياضِ ، فعندَ ذلكَ يَضِحُ السوادُ (١). وقد فَسَّرنا " الحَوَرَ " و " الحُوَّارَى " (٢).

و " الكِنَاسُ " حيثُ تَكْنِسُ البقرةُ و الظَّبْيَةُ ، وهو أنْ تَتَّخِذَ في الشجرةِ العَادِيَّةِ كالبيتِ تَأْوي إليه وتَبْعَرُ فيه ، فيقالُ : إنَّ رَائِحَتَهُ أَطْيَبُ رائحةٍ ، لِطيبِ ما تَرْتَعِي . قال ذو الرُّمَّةِ (٣):

إذا اسْتَهَلَّتْ عليه غَبْيَةٌ أَرِجَتْ ... مَرَابِضُ العِينِ حتّى يَأْرَجَ الخَشَبُ

كأَنَّه بيتُ عَطَّارٍ يُضَمِّنُهُ ... لَطائِمَ المِسْكِ يَحْوِيهَا وتُنْتَهَبُ

قوله " غَبْيَةٌ " : هي الدُّفْعَةُ من المطرِ ، وعند ذلك تتحرَّكُ الرائحةُ .

و " الأَرَجُ " : تَوَهُّجُ الرِّيحِ ، وإنما يُسْتَعْمَلُ ذلك في الريح الطَّيِّبَةِ .

و "العِينُ"جمعُ"عَيْناءَ"يعني البقرةَ الوحشيَّةَ،وبها شُبِّهَتِ المرأةُ،فقيل"حورٌ عِينٌ" .

و " اللَّطِيمَةُ " : الإبلُ تَحمِلُ العِطْرَ والبَزَّ والذَّهَبَ ، لا تكونُ لغيرِ ذلك .

فيقولُ : ضُمِّنَّ ظَبْيًا أَحْوَرَ أَكْحَلَ ، وجَعَلَ الحِجَالَ كالكِنَاسِ .

---

(١) وفى بعض النسخ : يتضح

(٢) قال محقق س : أما الحور فقد فسره ههنا ، وأما الحوارى فلم يفسره بل جاء فى تفسيره للسبائك قال :" يريد ما يسبك من الدقيق فيؤخذ خالصه يريد الحوارى ..."

(٣) ديوانه ق ٧٢،٧٣/١ ج١/٨٥-٨٦.

وقال ابنُ عباسٍ في قول ا لله جلَّ وعزَّ:﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بالخُنَّسِ . الجَوَارِ الكُنَّسِ ﴾ [١] قال : أَقْسَمَ ببَقَرِ الوَحْشِ ؛ لأنها خُنْسُ الأُنوفِ [٢]، و " الكُنَّسُ " : التي تَلْزَمُ الكِنَاسَ . وقال غيرهُ : أَقْسَمَ بالنُّجُومِ التي تَجْرِي بالليل وتَخْنُسُ بالنهار ، وهو الأكثرُ [٣] .

" أَرْدينَ " يقولُ : أَهْلَكْنَ ، و " الرَّدَى " الموتُ مِن ذَا .

و " الذُّهُولُ " : الانصرافُ ، يقال " ذَهَلَ " عن كذا وكذا : إذا انصرف عنه إلى غيره ، قال كُثَيِّرٌ :

صَحَا قَلْبُهُ يا عَزَّ أو كادَ يَذْهَلُ وأَضْحَى يُرِيدُ الصَّرْمَ أو يَتَدَلَّلُ

وقوله : ولقد تَبَلْنَ كُثَيِّرًا وجَمِيلا

أصلُ " التَّبْلِ " التِّرَةُ ، يقال : " تَبْلِي عندَ فلانٍ " ، قال حَسَّانُ بنُ ثابتٍ :

تَبَلَتْ فُؤَادَكَ في المنامِ خَرِيدةٌ تَشْفِي الضَّجِيعَ ببارِدٍ بَسَّامِ

و" الخَريدةُ " : الحَيِيَّةُ .

وقوله : مِمَّنْ تَرَكْنَ فؤادَه مخبولاَ

يريد " الخَبْلَ " وهو الجنونُ ، ولو قال " مَخْبولاً " لكان حسنًا ، يريدُ : مَصِيدًا واقِعًا في الحِبَالَةِ ، كما قال الأعشى :

فكُلُّنا هائِمٌ في إثْرِ صاحِبِه دَانٍ ونَاءٍ ومَخْبُولٌ ومُخْتَبِلُ

* * *

وخُبِّرْتُ أن رجلاً جافيًا عشق قينة حضرية ، فكلمها يومًا على ظهر الطريق فلم تكلمه ، فظن أن ذلك حياء منها ، فقال : يا خريدة ، قد كنت أحسبك عروبًا ، ما بالنانَمِقُكِ وتشنئيننا ؟! : يا بن الخبيثة ، أتجمشنى بالهمز [٤]؟!

---

(١) سورة التكوير :١٥-١٦.

(٢) الخنس فى الأنف : تأخره إلى الرأس وارتفاعه عن الشفة وليس بطويل ولا مشرف . اللسان : خنس

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٣٥٩/٨-٣٦٠ ، والقرطبى ٢٣٦/١٩-٢٣٨.

(٤) التجميش المغازلة والملاعبة . قال الشيخ المرصفى:" كأنها تعرض به أنه من أنطاع بنى تميم وهم ينطقون بالهمز، تعيب عليه الهمز فى قوله وتنشنئيننا . فأما قريش وهذيل فلا ينبرون الحروف ، بل يستنكرونه..." رغبة الآمل ٨٨/٦.

" الخريدة" الحيية ، و" العروب":الحسنة التبعل ، وفسر في القرآن على ذلك في قوله : ﴿ عربًا أترابًا﴾[1] . فقيل : هن المحبات [١/١٧٦] لأزواجهن ، قال أوس بن حجر :

.... تصبى الحليم عروب غير مكلاح

وذكر الليثي [قال أبو الحسن : الليثي يعني الجاحظ] أن رجلاً كان يحب جارية ولم يكن يحسن مما يتوصل به إلى النساء شيئًا ، إلا أنه كان يحفظ القرآن ، فكان يتوصل إليها بالآية بعد الآية ، فكان إن وعدته فأخلفته تحين وقت مرورها ، فقال:﴿يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون ﴾[2] ، وإن خرجت خرجة ولم يعلم بها فينتظرها تحينها في أخرى فتلا :﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ﴾[3]، وإن وشى به واش إليها كتب إليها ﴿ يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا﴾[4] وذكروا أن أبا القمقام بن بحر السقاء عشق مدينية، فبعث إليها:إن إخوانا لي زاروني ، فابعثي إلي برؤوس حتى نتغذى ونصطبح على ذكرك، ففعلت، فلما كان في اليوم الثاني بعث إليها : إنا نفترق فابعثي إلي بسنبوسك حتى نصطحب اليوم على ذكرك ، فلما كان في اليوم الثالث بعث إليها : إن أصحابي مقيمون فابعثي إلي ببقرية قدية وجزورية شهية حتى نأكلها ونصطبح على ذكرك [5]فقالت لرسوله : إني رأيت الحب يحل في القلب ، ويفيض إلى الكبد والأحشاء ، وإن حب صاحبنا هذا ليس يجاوز المعدة !.

***

وخبرت أن أبا العتاهية كان قد استأذن في أن يطلق له أن يهدى إلى أمير المؤمنين المهدى في النيروز والمهرجان ، فأهدى في أحدهما برنية [6]ضخمة، فيها ثوب ناعم مطيب ، قد كتب في حواشيه :

---

(١) سورة الواقعة : ٣٧ ، وانظر تفسير ابن كثير ٨/٩ ، والقرطبي ٢١١/١٧ وتفسير غريب القرآن ٤٤٩ .

(٢) سورة الصف : ٢.

(٣) سورة الأعراف :١٨٨.

(٤) سورة الحجرات : ٦ .

(٥) البقرية قطعة من لحوم البقر ، وقدية طيبة الطعم طيبة الريح . والسنبوسك طعام من رقاق محشو بلحم مفروم ، وهو من المعرب . عن رغبة الآمل ٦/ ٨٩ .

(٦) البرنية : إناء من خزف .

نفسى بشــيء مــن الدنيــا معلقــة ‏ ‏ ‏ الله والقــائم المهــدى يكفيهــا [1]

إنــى لأيــأس منهــا ثــم يطمعنــى ‏ ‏ ‏ فيهــا احتقــارك للدنيــا ومــا فيهــا

فهم بدفع عتبة [2] إليه ، فجزعت ، وقالت : يا أمير المؤمنين ، حرمتى وخدمتى ! أتدفعنى إلى رجل قبيح المنظر بائع جرار ومكتسب بالعشق؟! فأعفاها ، وقال: املؤوا له هذه البرنية مالاً ، فقال للكتاب : أمر لى بدنانير ، فقالوا : ما ندفع ذلك ، ولكن إن شئت أعطيناك دراهم إلى أن يفصح بما أراد ، فاختلف فى ذلك حولا ، فقالت عتبة : لو كان عاشقًا كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول فى التمييز بين الدراهم والدنانير وقد أعرض عن ذكرى صفحاً!!.

***

ودعت أبا الحارث جمينا واحدة كان يحبها ، فجعلت تحادثه ولا تذكر الطعام ، فلما طال ذلك به قال : جعلنى الله فداك ! أسمع للغداء ذكرا؟! قالت : أما تستحى؟! أما فى وجهى ما يشغلك عن هذا ؟ قال لها : جعلنى الله فداك ؟ لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان شيئًا لبزق كل واحد منهما فى وحه صاحبة وافترقا !!

***

(١) البيتان فى تكملة ديوان أبى العتاهية ص ٦٦٨ .

(٢) جارية المهدى كان أبو العتاهية يتعشقها وله فيها أشعار كثيرة . عن رغبة الآمل ٦/ ٩٠ .

وأنشدته لأعرابى :

وقد رابنى من زهدم أن زهدمًا … يشد على خبزى ويبكى على جمل
فلو كنت عذرى العلاقة لم تكن … سمينًا وأنساك الهوى كثرة الأكل

وقال أعرابى :

ذكرتك ذكرة فاصطدت ضبا … وكنت إذا ذكرتك لا أخيب

وقال ذو الرمة :

ألم تعلمى يامَىُّ أنّا وبيننا … مهاو لطرف العين فيهن مطرح
ذكرتك أن مرت بنا أم شادن … أمام المطايا تشرئب وتسنح
من المؤلفات الرمل أدماء حرة … شعاع الضحى فى لونها يتوضح
هى الشبه أعطافًا وجيدًا ومقلة … ومية أبهى بعد منها وأملح
كأن البرى والعاج عيجت متونه … على عشر نهى به السيل أبطح
لئن كانت الدنيا على كما أرى … تباريح من ذكراك للموت أروح

قوله " مَهَاوٍ " واحدُتها " مَهْوَاةٌ " وهو الهَواءُ بين الشيئين .

ويقال : لفلان في دارِه " مَطْرَحٌ " : إذا وصفها بالسَّعَةِ ، يقول : يَطْرَحُ بَصَرَهُ كذا مَرَّةً وكذا مرةً ؛ وأنشد سيبويه :

نَظَّارَةٌ حين تَعْلُو الشمسُ راكِبَها … طَرْحًا بعَيْنَيْ لِيَاح فيه تَحْدِيدُ

" اللِّيَاحُ " من البياض ، و " اللَّوْحُ " العطشُ " واللُّوْحُ " الهواء .

و " الشَّادِنُ " الذي قد شَدَنَ ، أي تَحَرَّكَ .

وقوله " تَشْرَئِبُّ " يقال : إذا وقَفَ ينظُرُ كالمتَحَيِّرِ : قد اشْرَأَبَّ نحوِي ، ويقال هو يَسْرَح في المَرْعى[1] .

وقوله " منَ المُؤْلِفَاتِ " يقال : " أَلِفْتُ المكانَ أُولِفُهُ إيلافًا " ويقال " أَلِفْتُهُ إِلْفًا " وفي القرآن : ﴿ لإِيلافِ قُرَيْشٍ . إيلافِهِمْ ﴾[2] وقَرَءُوا : ﴿ إِلْفِهِمْ ﴾ على أَلِفْتُ[3] .

---

(١) قال الشيخ المرصفى : " كذا وقع فى نسخ الكتاب ، وكأن بها سقطا وهو : "ويقال للبعير وهو يسرح فى المرعى" :اشرأب : إذا امتد عنقه إليه " رغبة الآمل ٩٢/٦.

(٢) سورة قريش ١-٢. و﴿إيلافهم﴾ لم يرد فى غير هامش نسخة .

(٣) هى رواية عن ابن كثير وأبـى جعفر ، انظر البحر ٥١٤/٨، والنشر ٤٠٣/٢-٤٠٤. وفى نسخة: "على القصر " بدل " على ألفت " وقراءة الجمهور ﴿إيلافهم﴾ .

وقوله " الرَّمْلَ " النصبُ فيه أَجْوَدُ بالفِعْلِ ، ويجوز الخفضُ على شيء نذكره بعدَ الفراغ من هذا الباب ، إن شاء ا لله .

وأصل " الهِجَانِ " الأبيضُ .

و " العِطْفُ " : ما انْثَنَى من العُنقِ ، قال تعالى : ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ ﴾[1] . ويقالُ للأَرْدِيَةِ " العُطُفُ " ؛ لأنها تَقَعُ على ذلك الموضعِ .

وفي الحديثِ أنَّ قومًا يزعمون أنَّهم من قريشٍ أَتَوْا عمرَ بنَ الخطابِ رحمه ا لله ، وكان قَائِفًا ، لِيُثْبِتَهُمْ في قُرَيْشٍ ، فقال : اخْرُجُوا بنا إلى البَقِيعِ ، فنظَرَ إلى أَكُفِّهِمْ ، ثم قال : اطْرَحُوا العُطُفَ ـ واحدُها " عِطافٌ " ـ ثم أَمَرَهُم فأَقْبَلُوا وأَدْبَرُوا ، ثم أقبل عليهم فقال : لَيستْ بأكفِّ قريشٍ ولا شَمَائِلِهَا ، فأعطاهم فيمَنْ هُمْ منه .

و " الجِيدُ " العُنُقُ .

و " البُرَى " الخَلاخِيلُ ، واحدتُها " بُرَةٌ " وهي من الناقةِ : التي تَقَعُ في مارِنِ الأَنْفِ [2]، والذي يَقَعُ في العَظْمِ يقالُ له " الخِشَاشُ " .

و " العاجُ " كان يُتَّخَذُ كالأَسْوِرَةِ ، قال جَرِيرٌ :

تَرَى العَبَسَ الحَوْلِيَّ جَوْنًا بِكُوعِهَا ... لها مَسَكًا مِنْ غَيْرِ عَاجٍ ولا ذَبْلِ

" العَبَسُ : ما تَعَلَّقَ من البَوْلِ والأَبْعَارِ بِأذنابِ الإِبل ، و " الوَذَحُ " ما تَعَلَّقَ بِإِلاءِ الشَّاءِ [3].

و " الجَوْن " ههنا الأَسودُ ، وهو الأَغْلَبُ فيه [4]. و " الكُوعُ " رأسُ الزَّنْدِ الذي يَلِي الإبهامَ ، و " الكُرْسُوعُ " رأسُه الذي يلي الخِنْصرَ ، و " المَسَكَةُ " السِّوارُ . و " الذَّبْلُ " شيءٌ يُتَّخَذُ من القُرون ، كالأَسوِرَةِ [5]، ويقال " سِوَارٌ " و " سُوَارٌ " بالكسر والضم و " إِسْوَارٌ " ، قالت الخَنْسَاءُ :

---

(١) سورة الحج :٩. وقد سلف تفسيره .

(٢) مارن الأنف : طرفه أو مالان منه .

(٣) قال على بن حمزة فى التنبيهات ١٥٤ :" وقال أبو العباس : الوذح ما يتعلق بأطارف إلاء الشاء . وقد أساء فى هذا ؛ لأنه جمع ألية على إلاء ، وإنما جمع ألية أليات ..." اهـ .

(٤) الجون يطلق أيضًا على الأبيض وعلى الأحمر الخالص ، وهو معدود فى الأضداد

(٥) قال على بن حمزة فى التنبيهات ١٥٤ :" هذا غلط إنما الذبل قشر ظهر دابة من دواب البحر معروف أو صدف له ، وقد قيل إن الذبل جلود سلاحف البر حكاه ابن دريد ([فى الجمهرة] ٢٢٦/٣) وغيره " .

. . . . كأنَّـهُ تحْـتَ طَـيِّ الْـبُرْدِ إسْــوَارُ

و " العُشَرُ " شجرٌ بعينِه .

و " الأَبْطَحُ " : ما انبطحَ من الوادِي ، يقال " أَبْطَحُ وبَطْحَاءُ " يا فتى ! و " أَبْرَقُ وبَرْقَاءُ " و " أَمْعَزُ ومَعْزَاءُ " وهذا كثيرٌ .

و " التَّبارِيحُ " : الشدائدُ ، يقال " بَرَّحَ بي " ، ويقال : لَقِيتُ منك " بَرْحًا " يا فتى ، وفي الحديث : " فأَيْنَ أَهْلُ النَّهْرِ؟ قال : لَقُوا بَرْحًا[١] " ، والعربُ لا تعرفُه إلاَّ ساكنَ الراءِ ، قال جريرٌ [٢]:

مَا كنتُ أوَّلَ مَشْغُوفٍ أَضَــرَّ بــهِ ... بَرْحُ الْهَــوى وعَــذابٌ غــيرُ تفْتِيــر

[قال أبو الحسن : وقد سمعنا من غير أبي العباس : يقال : "لقيــتُ منك بَرَحًـا " بالفتح ، ويقال " لَقِيَ منه البُرَحِينَ " أي الدَّواهِيَ الشِّدَادَ التي تُبَرِّحُ به] .

* * *

قال أبو العباس : في المثل السائر : قيلَ لرجلٍ : مَا خَفِي ؟ قال : ما لم يكنْ .

وفي تفسيرِ هذه الآية : ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَى ﴾ [٣]قال : مـا حَدَّثْـتَ به نفسـكَ كما قال : ﴿ أَوْ أَكْنَنتُمْ في أَنفُسِكُمْ ﴾ [٤]وتقديرُهُ في العربية : وأَخْفَى منه .

والعربُ تحذفُ مثلَ هذا ، فيقولُ القائلُ : مررتُ بالفيلِ أو أَعْظَمَ، وإنه كالبَقَّـةِ أو أصْغَرُ ، ولو قال : رأيتُ زيدًا أو شَبِيهًا لجازَ ؛ لأن في الكلام دليلاً ولو قال : رأيتُ الجملَ

---

(١)جاء في " النهاية " (١/١١٣) :" وحديث أهل النهروان "لقوا برْحاً" ضبط فيه بإسكان الراء. وبنحوه هذا المعنى جاء في حديث سلمة بن الأكوع – الطويل – الذى أخرجه مسلم فى صحيحه وفيه قال سلمة:" ....وجلست على رأس قرن ،قال الفزارى :ما هذا الذى أرى ؟ قالوا : لقينا من هذا البرْح وا لله ما فارقنا منذ غلس يرمينا ، حتى انتزع كل شيء فى أيدينا ..الحديث .

وقال الإمام النووى فى شرحه لهذا الحديث : قوله :(لقينا من هذا البرح)هو بفتح الباء وإسكان الراءْ أى : الشدة . والحديث أخرجه مسلم فى " الجهاد"، باب غزوة ذى قرد وغيرها . (٤/٥٦١) ط. الشعب

(٢) ديوانه ق١٣/٩ج١/١٤٥.

(٣) سورة طه :٧

(٤) سورة البقرة :٢٣٥

أو راكبًا ، وهو يريدُ " عليه" لم يَجُزْ ؛ لأنه لا دليلَ فيه ، والأوَّل إنما قَرَّبَ شيئًا من شيءٍ ، وههنا إنما ذَكر شيئًا ليس من شَكْلِ ما قبلَه .

فأما قوله جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عليه ﴾[1] ففيه قولان : أحدُهما ـ وهو المَرْضِيُّ عندنا ـ : إنما هو : وهو عليه هَيِّنٌ ؛ لأن الله جلَّ وعزَّ لا يكونُ شيءٌ أَهْوَنَ عليه من شيءٍ آخرَ ، وقال مَعْنُ بن أَوْس [2]:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وإنّي لأَوْجَلُ   على أَيِّنَا تَغْدُو المَنِيَّةُ أَوَّلُ

أراد:وإنّي لَوَجِلٌ،وكذلك يُتَأَوَّلُ ما في الأذان"الله أكبَرُ الله أكبرُ " لأنه إنما يُفاضَلُ بين الشيئين إذا كانا من جنسٍ واحدٍ ، فيقول : هذا أكبرُ من هذا : إذا شاكَلَه في بابٍ .

فأَما " اللهُ أَجْوَد من فلانٍ " و " اللهُ أَعْلَمُ بذلك منك " فوجهُهُ بَيِّنٌ ؛ لأنَّه من طريقِ العلمِ والمعرفةِ والبَذْلِ والإِعْطَاء .

وقومٌ [3]يقولون " اللهُ أكبرُ من كلِّ شيءٍ " وليس يقع هذا على مَحْضِ الرُّؤْيَةِ ؛ لأنه تبارك وتعالى ليس كمثلِه شيءٌ ، وكذلك قولُ الفَرَزْدَق :

إنَّ الذي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لنا   بَيْتًا دَعائِمُهُ أَعَزُّ وأَطْوَلُ

جائزٌ أن يكونَ قال للذي يخاطبُه " مِنْ بيتِكَ "[4] فاستغنى عن ذكرِ ذلك بما جرَى من المخاطَبَةِ والمفاخَرَةِ ، وجائزٌ أنْ تكونَ دَعَائِمُهُ عزيزةً طويلةً ، كما قال :

قُبِّحْتُمُ يا آلَ زَيْدٍ نَفَرَا   أَلأَمَ قَوْمٍ أَصْغَرًا وأَكْبَرَا

يريدُ : صِغارًا وكِبارًا .

فأما قولُ مالكِ بنِ نُوَيْرَةَ في ذُؤَابِ بنِ رَبيعَةَ حيث قَتَلَ عُتَيْبَةَ بن الحارثِ بنِ شِهابٍ ، وفَخْرِ بني أسدٍ بذلك ، مع كثرةِ من قَتَلَتْ بنو يَرْبُوعٍ منهم :

فَخَرَتْ بَنُو أَسَدٍ بمَقْتَلِ واحِدٍ   صَدَقَتْ بنو أَسَدٍ عُتَيْبَةُ أَفْضَلُ

فإنما معناه : أفضلُ ممن قَتَلُوا ، على ذلك يَدُلُّ الكلامُ ، وقد أبانَ ما قلنا في بيته الثاني بقوله :

---

(١) سورة الروم :٢٧.

(٢) سلف البيت

(٣) منهم سيبويه ، انظر الكتاب ٢٣٣/١.

(٤) أي بيتنا دعائمه أعز وأطول من بيتك .

فَخَــرُوا بمَقْتَلِــهِ ولا يُوفِــي بــهِ   مَثْنَــى سَــرَاتِهمُ الذيــنَ نُقَتِّــلُ

والقولُ الثاني في الآية : وهو أهونُ عليه عندَكم ؛ لأن إعـادة الشـيءِ عنـدَ النـاس أهونُ من ابتدائِه حتى يُجْعَلَ شيءٌ من غير شيءٍ .

* * *

ثم نعودُ إلى الباب .

قال زُهَيْرٌ :

ومَهْما تكُنْ عنـد امرئ من خَليقةٍ   ولو [1]خالَهَا تَخْفَى علي الناسَ تُعْلَم

فهذا مِثْلُ المَثَلِ الذي ذكرناه .

وقال عمرٌو بنُ العاصي : إذا أنا أَفْشَيْتُ سِرِّي إلى صَدِيقِي فأذاعَهُ فهـو في حِلٍّ ، فقيل له : وكيف ؟ ! قال : أنا كنتُ أَحَقَّ بِصِيانتِه .

وقال امْرُؤُ الْقَيْسِ :

إذا المَـرْءُ لم يَخْـزُنْ عليــه لِسَــانَهُ   فَلَيْـسَ علـى شـيء سِـوَاهُ بخَـزَّان

وأحْسَنُ ما سُمِعَ في هذا ما يُعْزَى إلى عليٍّ بن أبي طالب ﷺ فقائلٌ يقـولُ : هُـو لَهُ ، ويقولُ آخرونَ : قاله مُتَمَثِّلاً ، ولم يُخْتَلفْ في أنّه كان يُكْثِرُ إنشَادَهُ :

فــلا تُفْــش سِــرَّكَ إلاَّ إليــكَ   فــإنَّ لِكُــلِّ نَصِيــح نَصِيحَــا

فــإنِّي رأيــتُ غُــوَاةَ الرِّجَــا   ل لاَ يَـتْرُكونَ أدِيمًــا صَحِيحَـا[2]

وذَكر العُتْبيُّ أنَّ معاويةَ بنَ أبي سفيانَ أَسَرَّ إلى عثمانَ بن عَنْبَسـةَ بـن أبـي سـفيانَ حديثًا ، قال عثمانُ : فجئتُ إلى أبي ، فقلتُ : إنَّ أميرَ المؤمنين أَسَرَّ إليَّ حديثًا ، أَفَأُحَدِّثُكَ به ؟ قال : لا ، إنه مَنْ كَتَمَ حديثَه كان الخِيارُ إليه ، ومَنْ أَظْهره كـان الخيـارُ عليـه ، فـلا تجعلْ نفسَك مملوكًا بَعْدَ أنْ كنتَ مالكًـا ، فقلـت : أَوَ يَدْخُـلُ هـذا بـينَ الرَّجـلِ وأبيـه ؟!

(١) فى بعض النسخ وبعض رواياته (وإن)

(٢) قال على بن حمزة فى التنبيهات ١٥٥ :" البيت الثانى قبل الأول وروايته : ألم تر أن وشاة الرجال وهو فى الثابت من شعر على رضى الله عنه ، وقد أتينا به فى ديوان شعره ". انظر الشعر المنسوب إلى على رضى الله عنه ، وتعليق العلامة الميمني فى التنبيهات .

قال : لا ، ولكني أكرهُ أن تُذَلِّلَ لسانَك بإفشاءِ السِّرِّ ، قال : فرجعت إلى معاويةَ فذكرتُ ذلك له ، فقال : أَعْتَقَكَ أخي من رِقِّ الخَطَإ .

وقال معاويةُ : أُعِنتُ عَلَى عليٍّ رحمه الله بأَربعٍ : كنتُ رجلاً أكْتُمُ سِرِّي ، وكان رَجُلاً ظُهَرَةً [1]، وكنتُ في أَطْوَعِ جُنْدٍ وأَصْلَحِهِ ، وكان في أخبثِ جندٍ وأعصاهُ ، وتركتُه وأصحابَ الجَملِ ، وقلتُ : إنْ ظَفِرُوا به كَانوا أَهْوَنَ عليَّ منه ، وإن ظَفِرَ بهم اعْتَدَدت بها عليه في دينه، وكنتُ أَحَبَّ إلى قُرَيْشٍ منه، فَيَالَكَ من جامعٍ إليَّ ومُفَرِّق عنه ، وعَوْنٍ لي وعون عليه .

وقال أَرْدَشيرُ : الدَّاءُ في كلِّ مكتومٍ .

وقال الأخطل [2]:

إنَّ العداوةَ تَلْقَاها وإنْ قَدُمَتْ ... كالعُرِّ يكمُن حينًا ثم ينتشر[3]

وقال جَمِيلٌ :

ولا يَسْمَعَنْ سِرِّي وسِرَّكِ ثالثٌ ... أَلاَ كُل سِرٍّ جاوَزَ اثنين شائعُ

وفتيان صِدق لستُ أُطْلِعُ بعضَهم ... على سِر بعض غير أنيِّ جمَاعُهَا

يَظَلُّونَ في الأرض الفَضاء وسِرُّهُمْ ... إلى صَخْرَةٍ أَعْيَا الرجالَ انْصِداعُها

وقال آخر :

سأَكْتُمُهُ سِرِّي وأَحْفَظُ سِرَّهُ ... ولاَ غَرَّنِي أَنِّي عليهِ كَرِيمُ

حَليمٌ فَيَنْسَى أو جَهولٌ يُضِيعُهُ ... وما الناسُ إلاَّ جاهلٌ وحَليمُ

وكان يقال : أصبرُ الناسِ مَنْ صبرَ على كِتْمَانِ سِرِّهِ ، فلم يُبْدِهِ لصديقه ، فيوشكُ أنْ يصيرَ عَدُوًّا فيُذيعَه .

وقال العُتْبيُّ :

ولي صاحِبٌ سِرِّي المُكَتَّمُ عندَه ... مَخاريقُ[4] نيران بلَيل تُحَرَّقُ

---

(١) على وزن فعلة مبالغة فى إظهاره أمره وإفشائه بين الناس

(٢) ديوانه ق١٩/٥٠ ج ٢٠٣/١ .

(٣) العر : الجرب .

(٤) (مخاريق) جمع مخراق "بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة) وهو ما تلعب به الصبيان من الخِرَقَ المفتولة يضرب بها بعضهم بعضًا ، وكنى بتحريقها عن إذاعة سره .

عَطَفْتُ على أَسْراره فكَسَوْتُها ثيابًا مِنَ الكِتْمان لا تَتخَرَّقُ[1]

فَمنْ تكُن الأَسْرارُ تَطْفُو بصَدْرِهِ فأسرارُ صَدْري بالأحاديث تَغْرَقُ[2]

فلا تُودِعَنَّ الدَّهْرَ سِرَّك أحمقًا فإنَّك إن أَوْدَعْتَهُ منه أحْمَقُ

وحَسْبُكَ في ستر الأحاديثِ واعِظًا مِنَ القَوْل ما قال الأريبُ المُوَفَّقُ :

"إذا ضاق صَدْرُ المرْء عن سِرٍّ نفسه فَصَدْرُ الذي يُسْتَوْدَعُ السِرَّ أَضْيَقُ

وقال كَعْبُ بن سَعْدٍ الغَنَويُّ :

ولستُ بمُبْدٍ للرجال سَريرَتي وما أنا عن أسرارهم بسَئُول

وقد ذكرنا قولَ العباس بن عبد المُطَّلب رحمه الله لابنِه عبدِ الله : إنَّ هذا الرجلَ قد اختَصَّكَ دونَ أصحاب محمد ﷺ فاحْفَظْ عنِّي ثلاثًا : لا يُجَرِبنَّ عليك كَذِبًا ، ولا تُفْشِيَنَّ له سِرًّا ، ولا تَغْتَبْ عندَه أحدًا . فقيلَ لابن عباس: كلُّ واحدةٍ منهنَّ خيرٌ من ألفٍ ، فقال : كلُّ واحدةٍ منهنَّ خيرٌ من عشرةِ آلافٍ .

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ :

لي حِيلَةٌ فِيمَنْ يَنُمُّ وليْسَ في الكَذَّابِ حيلَهْ

مَنْ كان يَكْذِبُ ما يريدُ فحِيلَتي فيه قليلَهْ

وقال آخرُ [قال أبو الحسن : هو لأبي العباس المُبَرِّدِ] :

إنَّ النَّمومَ أُغَطِّي دونَه خَبَري وليس لي حيلةٌ في مُفْتَري الكَذِبِ

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ :

كَتَمْتُ الهَوَى حتى إذا نَطَقَتْ به بوادِرُ من دَمعٍ تَسِيلُ على خدِّي

---

(١) في البيت صورة رائعة تجسد الأسرار في صورة الشيء الحسي الذى يلف فى أثواب من الكتمان، وتتفاعل فى البيت الاستعارتان المكنية فى كسوة الأسرار والتصريحية فى أثواب الكتمان لتشكيل تلك الصورة الرائعة .

(٢) تظهر براعة الشاعر فى هذا البيت فى جمعه بين صورتين متقابلتين يكشف بهما عن مدى الفارق بين حاله وحال صديقه فى حفظ الأسرار، فجعل صدريهما بحرين ، وجعل الأحاديث تغرق بصدره ، بينما تطفو بصدر خليله ، وفى تطفو وتغرق استعارتان بالكناية عن إفشاء الأحاديث وحفظها .

وشاعَ الذي أضمرتُ من غيرِ مَنْطِقٍ كَأَنَّ ضَمِيرَ القلبِ يَرْشَحُ من جِلْدي

* * *

وقال جميلُ بن عبد الله بنِ مَعْمَرٍ العُذْرِيُّ[1] :

إذا جاوَزَ الخِلَّيْن سِرٌّ فإنَّه بَنَثٌّ[2] وإفْشَاءِ الحَدِيثِ قَمِينُ

وتأويلُ " قَمين " و "حَقِيق" و "جَدِيرٍ"و"خليق" واحدٌ ، أي قريبٌ مِن ذلكَ، هذه حقيقتُه، ويقال " قَمِينٌ" و " قَمَنٌ " في معنًى ، قال الحارث بنُ خالدٍ المخزوميُّ[3] :

مَنْ كان يسألُ عنّا أينَ منزلُنا فالأُقْحُوَانةُ منّا منزلٌ قَمَنُ

وفي الحديثِ أنَّ رسول الله ﷺ قال : " **من باعَ دارًا أو عَقارًا فلم يَرْدُدْ ثمنَه في مثلِهِ فذلك مالٌ قَمَنٌ ألاَّ يُبارَكَ فيه** "[4] .

وقال الرَّقَاشِيُّ[5] :

إذا نَحْنُ خِفْنَا الكاشِحِينَ فلم نُطِقْ كلامًا تكلَّمْنا بأعيُنِنا سِرًّا

فَنَقْضِي ولم يُعْلَمْ بنا كلَّ حاجَةٍ ولم نكْشِفِ النَّجْوَى ولم نَهْتِكِ السِّتْرَا

وقال معاويةُ لعيَّاشِ بنِ صُحَارٍ العَبْدِيِّ:ما أَقْرَبُ الاختصارِ ؟ قَالَ : لَمْحةٌ دالَّةٌ .

وقيلَ : خيرُ الكلامِ ما أغنَى اختصارُهُ عن إكثارِه .

---

(١) قال محقق س كذا اوهو وهم منه . والصواب أنه لقيس بن الخطيم ، ديوانه ق١٣/١ ص ١٠٥ . وقد سلف بيت جميل

(٢) النث : نشر الحديث وإنشاؤه

(٣) شعره ق ٤٠/١ ص١٠٣ .

(٤)الحديث "حسن" أخرجه بنحوه أحمد فى " المسند"(٤٦٧/٣)، وابن ماجه فى سننه ، والبيهقى فى " الكبرى "(٣٣/٦، ٣٤) ،وابن عدى ،والضياء فى "المنتقى " من حديث سعيد بن حريث ولفظه :" من باع منكم دارًا أو عقارًا ، فليعلم أنه مال قمن ألا يبارك له فيه ، إلا أن يجعله فى مثله " وأخرجه البخارى فى تاريخه ، والطيالسى ، لكن بلفظ مغاير من حديث حذيفة ، وانظر صحيح الجامع (٦١١٩،٦١٢٠) ، وصحيح ابن ماجه (ح٢٠١٩) ، (ح٢٠٢٠) ، وراجع الصحيحة (ح ٢٣٢٧)

(٥) هو الفضل بن عبد الصمد مولى رقاش وهم حى من ربيعة نسبوا إلى أمهم وكان منقطعًا إلى البرامكة . عن رغبة الآمل ١٠٣/٦ ، وانظر ذيل سمط اللآلى ٢٣.

وقيلَ : النَّمَّامُ سهمٌ قَاتلٌ .

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ :

لا أَكْتُمُ الأَسْرَارَ لكنْ أَنُمُّهَا ... ولا أَدَعُ الأَسرارَ تَغلِي على قَلْبِي

وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاس بالسُّخْفِ لامْرُؤٌ ... تُقَلِّبُهُ الأَسْرارُ جَنْبًا إِلَى جَنْبِ

وقال آخرُ :

وأَمْنَعُ جارَتِي مِنْ كُلِّ خَيرٍ ... وأَمشِي بالنَّميمةِ بينَ صَحْبِي

ويقالُ للنَّمَّامِ " القَتَّاتُ " .

وفي الحديث [1]: " لا يَراحُ القَتَّاتُ رائحةَ الجنَّةِ " .

وفي الحديثِ عن النبي ﷺ :" **لعَنَ ا الله المُثَلِّثَ. فقيلَ:يارسولَ ا الله، ومَنِ المُثَلِّثُ ؟ فقال: الذي يَسْعَى بصاحبه إلى سُلْطانِه، فيُهْلِكُ نفسَه وصاحبَه وسلطانَه** " .

وقال معاويةُ للأَحْنَفِ في شيءٍ بلغه عنه ، فأنكر الأحنفُ ،فقال له معاوية : بَلَّغَنِي عنك الثقةُ ، فقال الأحنفُ : إنَّ الثقةَ لَا يُبَلِّغُ !!

وقال أحدُ الماضِينَ وهو طُرَيْحُ بنُ إسماعيلَ الثَّقَفِيُّ :

إنْ يَسْمَعُوا الخيرَ يُخْفُوهُ وإن سمعوا ... شَرًّا أُذِيعَ ، وإن لم يَسْمعُوا كَذَبُوا

وقال المُهَلبُ بن أبي صُفْرَةَ : أَدْنَى أخلاقِ الشريفِ كتمانُ السرِّ ، وأَعْلى أخلاقِهِ نسيانُ ما أُسِرَّ إليه .

ويقالُ للنكاحِ " السِّرُّ " على غيرِ وجهه ، وهذا ليس مِن الباب الذي كُنَّا فيه ، ولكن يُذْكَرُ الشيءُ بالشيءِ ، وهذا حرفٌ يُغْلَطُ فيه ؛ لأن قومًا يجعلونَ " السِّرَّ " الزِّنَا ، وقومٌ يجعلونه الغِشْيانَ ، وكِلاَ القولينِ خطأٌ [2] ، إنما هو الغشيانُ من غيرِ وجهِهِ ، وقال ا الله

---

(١) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ،وإنما أتى بلفظ:"لا يدخل الجنة قتات" أخرجه البخارى فى"الأدب" ، باب : مايكره من النميمة،(٤٨٧/١٠) ،ح٦٠٥٦، ومسلم فى "الإيمان ، باب :بيان غلظ تحريم النميمة (ح١٠٥) ،كلاهما من حديث حذيفة رضى ا الله عنه .

(٢) قال على بن حمزة فى التنبيهات ١٥٦-١٥٧:" السر النكاح ، والسر أيضًا اسم للذكر . وأبو العباس مخطئ فى رد أقوال المصيبين . وقال أبو عبيدة : السر الإفضاء بالإيلاج ... وقال غيره : كأن السر كناية عن الجماع ، كما أن الغائط كناية عن الموضع ، قال الزجاج : وهذا القول عندى صحيح وقال أبو يوسف وقال الأصمعى وقولهم تسريت أصلها من السر وهو النكاح ، والذى استشهد به من قول الأعشى شاهد عليه واضح ، وقد قال الفرزدق :

جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إلاّ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفًا ﴾[1] ، فليس هذا مَوْضِعَ الزِّنا[2] .

وقال الحُطَيْئَةُ :

وَيَحْرُمُ سِرُّ جارَتِهِمْ عليهم ... ويأكلُ جارُهُمْ أُنُفَ القِصَاع

وقال الأعْشَى [3]لسَلامةَ ذِي فائشٍ الحِمْيَرِيِّ :

وقَوْمُكَ إنْ يَضْمَنُوا جارَةً ... وكانوا بموضعِ أَنْضَادِهَا[4]

فلَنْ يَطْلُبوا سِرَّها للغِنَى ... ولَن يُسْلِموها لإزْهادِهَا

وفي هذا قولان : أحدُهما : أنَّهم لا يَطلبون اجْتِرَارَها إليهم على رَغْمِ أوليَائِها من أَجل مالِها غَضَبًا لِلْجُوَار ، ولا يُسْلِمونها إذا انقطع رجاؤُهم من الثوابِ والمكافأةِ . والآخرُ : أنَّهم لا يَرغَبون في ذواتِ الأموال ، وإنَّما يَرغبون في ذواتِ الأحْسابِ اختيارًا للأولادِ وصِيانةً للأصْهار أَنْ يَطْمَعَ فيهم مَنْ لا حَسَبَ له .

وقَولُ الحطيئةِ ... ويأكلُ جارُهم أُنفَ القِصَاع

إنَّما يريدُ المُسْتَأنَفَ الذي لم يُؤْكَلْ قَبْلُ منه شيءٌ ، يقال : " رَوْضَةٌ أُنُفٌ " إذا لمْ تُرْعَ ، وَ " كَأْسٌ أُنفٌ " إذا لم يُشْرَبْ منها شيءٌ قبلُ ؛ قال لَقِيطٌ بنُ زُرَارَةَ :

إنَّ الشِّوَاءَ والنَّشِيلَ والرُّغُفْ ... والقَيْنَةَ الحَسْناءَ والكَأْسَ الأُنُفْ

لِلطَّاعِنِينَ الخَيْلَ والخَيْلُ خُنُفْ[5]

موانع للأسرار إلا لأهلها ... ويخلفن ما ظن الغيور المشفشف

وأوضح من هذا وذا ما أنشده أبو عمرو فرت لأبى الشداد من سره صهلا

وروى بعضهم بيت امرئ القيس ... وأن لا يحسن السر أمثالى .

وقد شرحنا هذا فى كتاب أسماء النكاح من كتاب المناكحات بأكثر من هذا وفى الذى أوردناه ههنا كفاية إن شاء الله " . اهـ .

(١) سورة البقرة : ٢٣٥ .

(٢) قد فسر السر فى الآية بالزنا ، الحسن وقتادة والضحاك وغيرهم واختاره الطبرى وفسره بالنكاح ابن عباس وابن جبير ومجاهد وعكرمة وغيرهم.انظر تفسير ابن كثير ٤٢٢/١، والقرطبى ١٩٠/٣ ، وتفسير غريب القرآن ٩٠ .

(٣) ديوانه ق ٨ ، ٥٤ ، ٥٥ ص١١١. الرواية فى الأول : يكونوا بموضع .

(٤) الأنضاد : الأعمام والأخوال المتقدمون فى الشرف ، الواحد نضد . عن رغبة الآمل ١٠٦/٦.

(٥) النشيل : لحم يطبخ بلا توابل ، وعن أبى حاتم : النشيل ما انتشلت بيدك من لحم القدر بلا مغرفة ولا يكون من الشواء نشيل . والخنف جمع خنوف من خنف الفرس إذا لوى حافره إلى وحشيه أو أحضر وثنى رأسه ويده فى شق من نشاطه . عن رغبة الآمل ١٠٧/٦ .

باب

قال أبو العباس : وهذا باب اشترطنا أن نَخْرُجَ فيه من حَزْنٍ إلى سَهْلٍ ، ومن جِدٍّ إلى هَزْلٍ ، ليستريحَ إليه القارئ ، ويَدْفَعَ عن مُسْتَمِعِهِ المَلالَ ، ونحنُ ذاكرونَ ذلك إن شاء الله تعالى .

قال بَكْرُ بنُ النَّطَّاحِ في كَلمةٍ له يَمْدَحُ فيها مالِكَ بنَ عَلِيٍّ الخُزَاعِيَّ :

عَرَضْتُ عليها ما أرادتْ من المُنَى لترْضَى فقالتْ : قُمْ فَجِئْنا بكَوْكَبِ

فقلتُ لها هذا التَّعَنُّتُ كلُّهُ كَمَنْ يَتَشَهَّى لحمَ عَنقاءَ مُغْربِ

فلو أنَّنِي أَصْبَحْتُ في جُودِ مالكٍ وعِزَّتِهِ ما نالَ ذلك مَطْلَبي

فَتىً شَقِيَتْ أموالُهُ بسَماحِهِ كما شَقِيَتْ قَيْسٌ بأرْماحِ تَغْلِبِ

* * *

وقال الخَليعُ في كلمةٍ له يمدح فيها عاصمًا الغَسّاني :

أقولُ ونفسِي بين شَوْق وحَسْرَةٍ وقد شَخَصَتْ عيني ودَمْعِي على خدي

أَيحيي بقَتْلِ مَنْ تَرَكْتِ فُؤَادَهُ بلَحْظَتِهِ بينَ التَّأَسُّفِ والجَهْدِ

فقالتْ : عذاب بالهوى قبل ميته وموت إذا أقرحت قلبك من بعدى

لقد فطنت للحور فطنة عاصم لصنع الأيادى الغر فى طلب الحمد

ساشكوك فى الأشعار غير مقصر إلى عاصم ذى المكرمات وذى المجد

لعل فتى غسان يجمع بيننا فتأمن نفسى منكم لوعة الصد

* * *

وقال إسماعيلُ بن القاسمِ :

إنَّ السَّلامَ وإنَّ الْبِشْرَ من رَجُلٍ في مِثْلِ ما أنتَ فيه ليس يكفيني

هذا زمانٌ أَلَحَّ الناسُ فيه على زَهْوِ الملوكِ وأَخْلاقِ المساكين

أَمَا علمتَ جزاكَ الله صالحةً عَنِّي وزادكَ خيرًا يا بْنَ يَقْطِين

أنِّي أُريدُكَ للدنيا وعاجِلِها ولا أُريدُكَ يومَ الدِّينِ لِلدِّين

* * *

وقال يَزيدُ بنُ مُحَمَّدِ بن المُهَلَّبِ المُهَلَّبيُّ في كلمةٍ له يمدحُ بها إسحاقَ بن إبراهيمَ:

إنْ أَكُنْ مُهْدِيًا لكَ الشِّعْرَ إنِّي ... لابْنُ بَيْتٍ تُهْدَى له الأَشْعارُ

غيرَ أَنِّي أراكَ من أهلِ بيتٍ ... ما على الحُرِّ أَنْ يَسُودُوهُ عَارُ

وقال أيضًا في كلمةٍ أخرى :

وإذا جُدِدتَ فكلُّ شيءٍ نافعٌ ... وإذا حُدِدتَ فكلُّ شيءٍ ضائِرُ[1]

وإذا أتاكَ مُهَلَّبيٌّ في الوغَى ... والسيفُ في يدِه فنِعْمَ النَّاصِرُ

* * *

وقال عبدُ الله بنُ الزُّبَيْر لما أتَاه قتلُ مُصْعَبِ بنِ الزُّبَيْر : أشَهِدَهُ المُهَلَّبُ بنُ أبي صُفْرَةَ ؟ قالوا : لا ، كان المُهلَّبُ في وجُوهِ الخَوارِج ، قال : أفشَهِدَهُ عَبَّادُ بن الحُصَيْنِ الحَبَطِيُّ ؟ قالوا : لا ، قال : أفَشَهِدَهُ عبدُ الله بنُ خازمٍ السُّلَمِيُّ ؟ قالوا : لا ، فَتَمَثَّلَ عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ :

فقلتُ لها : عِيثِي جَعارِ[2] وجَرِّرِي ... بلَحْمِ امْرِئٍ لم يَشْهَدِ اليومَ ناصِرُهْ[3]

" جَعَارِ " اسمٌ من أسماء الضَّبُعِ ، وهي صفةٌ غالبةٌ ، لأنه يقال لها " جاعِرَةٌ " فهذا في بابه كَـ "فَسَاقِ " و " لَكَاعِ " و " حَلاَقِ " للمَنِيَةِ . وقد فَسَّرنا هذا البابَ مُسْتَقْصًى على وجوهه الأربعةِ[4].

* * *

ويُرْوَى[5]: أنَّ جاريةً لِهَمَّامِ بن مُرَّةَ بنِ ذُهْلِ بنِ شَيْبانَ قالتْ له يومًا :

أهَمَّامُ بنُ مُرَّةَ حَنَّ قَلْبي ... إلى اللَّائِي يَكُنَّ مَعَ الرجالِ

---

(١) جددت : رزقت الجدّ وهو الحظ ، وحددت : منعت. عن رغبة الآمل ١٠٩/٦ .

(٢) (فقلت لها : عيثى جعار إلخ) : هذا البيت أنشده سيبويه للنابغة الجعدى والعيث : الفساد (جعار اسم إلخ) ويقال لها أيضًا أم جعار وجعير

(٣) البيت من شواهد الكتاب ٣٨/٢، والمقتضب ٣٧٥/٣. ونسب فى مطبوعة الكتاب للنابغة الجعدى ،وانظر شعره _ الملحق ٢٢٠ .

(٤)انظر ما سبق

(٥) الخبر حكاه المرزبانى فى أشعار النساء ١٩٢ عن محمد بن أبى الأزهر عن المبرد . وهو باختلاف فى أمالى القالى ١٠٥/٢ ،١٠٦ . وفى نسخة : أن ابنة جارية ، وفى نسخة : أن ابنة لهمام .

فقال : يا فَسَاق ! أردتِ صَفيحةً ماضيةً ! قالتْ :

أَهَمَّـامُ بـنُ مُـرَّةَ حَـنَّ قلبـي   إلى صَلْعـاءَ مُشْـرِفَةِ القَـذَال

قال : يا فَجار ! أردتِ بَيْضَةً حصينةً ! فقالتْ :

أَهَمَّـامُ بـنُ مُـرَّةَ حـنَّ قلبـي   إلى أَيْـرٍ أَسُـدُّ بـه مَبـالِي !

قال : فقتلها .

* * *

قال أبو العباس : قال أبو الشَّمَقْمَقِ - وهو مَرْوانُ بنُ محمدٍ ، وزَعَمَ التَّوَّزِيُّ عن أبي عُبَيدةَ قال : أبو الشَّمَقْمَقِ ومنصورُ بنُ زياد ويَحْيى بنُ سُلَيْمٍ الكاتِبُ مِن أهلِ خراسانَ ، مِن بُخَارِيَّةِ عُبَيْدِ الله بن زِيَاد [1]، وكان أبو الشمقمقِ رُبَّما لَحَنَ ، ويَهْزِلُ كثيرًا ويَجِدُّ ، فيَكْثُرُ صوابُه - قال يمدحُ مالكَ بنَ عليٍّ الخُزاعيَّ ويَذُمُّ سَعيدَ بنَ سَلْمٍ الباهليَّ :

قَـدْ مَرَرْنـا بمـالكٍ فوجَدْنـا   هُ جـوادًا إلى المَكـارمِ يَنْمِـي

مـا يُبَـالِي أتـاهُ ضَيْـفٌ مُخِـفٌّ   أم أتـاه يـأجُوجُ مِـنْ خَلْـفِ رَدْم

فَارْتَحَلْنـا إلى سَـعيد بـن سَـلْم   فـإذا ضَيْفُـه مِـنَ الجُـوعِ يَرْمِـي

وإذا خُـبْزُهُ عليـه " سَيَكْفيـ   ـكَهُمُ الله " مـا بَـدَا ضَـوْءُ نَجْـم

وإذا خـاتَمُ النـبيِّ سُـلَيْمَا   نَ بـن داوُدَ قـد عَـلاَهُ بخَتْـم

فارْتَحَلْنـا مِـن عِنْـدِ هـذا بحَمْـدٍ   وارْتَحَلْنـا مـن عِنْـدِ هـذا بـذَمِّ

وقال عبدُ الصَّمَدِ بنَ المُعَذَّل يرثي سَعيدَ بنَ سَلْمٍ :

كَـمْ يَتِيـم جَبَرْتَـهُ بعـدَ يُتْـم   وفقـيرٍ نَعَشْـتَهُ بعـدَ عُـدْم

كُلّمـا عَضَّـتِ الحـوادثُ نـادَى :   رَضِـيَ الله عـن سَـعيدِ بـن سَـلْم

وقال سعيدُ بنُ سَلْمٍ : عَرَضَ لي أعرابيٌّ فمدَحَني فَبَلَغَ ، فقال :

أَلاَ قُلْ لِسَارِي الليل : لا تَخْشَ ضلةً   سـعيدُ بنُ سَـلْم ضَـوْءُ كُـلِّ بـلادِ

لنَـا سَـيِّد أَرْبَـى علـى كـلِّ سـيِّدٍ   جَـوَادٌ حَثَـا في وَجْـهِ كُـلِّ جَـوَادِ

---

(1) انظر معجم البلدان ٣٥٦/١ .

قال : فتأخَّرْتُ عن برِّهِ قليلاً ، فهجانِي فَبَلَغَ ، فقال :

لِكُـلِّ أَخِـي مَـدْح ثـوابٌ يُعِـدُّهُ ... وليـس لِمَـدْح الباهِلِي ثَـوَابُ

مَدَحْـتُ ابنَ سَلْم والمَدِيـحُ مَهَـزَّةٌ ... فكـانَ كَصَفْـوَان عليـه تُـرابُ

وقال أبو الشَّمَقْمَقِ :

قال لِي الناسُ : زُرْ سَعِيدَ بنَ سَلْم ... قلـتُ للنـاس : لا أَزُورُ سَعِيدا

وأَمـيري فَتَـى خُزَاعَـةَ بالبَصْـ ... ـرَةِ قَـدْ عَمَّهـا سماحًـا وجُـودا

وَلَنِعْـمَ الفتَـى سَـعيدٌ ولكـنْ ... مـالكٌ أَكْـرَمُ البَرِيَّـةِ عُـودَا

فقال سعيدٌ : لَوَدِدتُ أَنَّه لم يكنْ ذَكَرَنِي مع مالكٍ ، وأنه أخذ مِنِّي أُمْنِيَّتَهُ .

وقال أبو الشمقمق :

هيهـاتَ تَضْـربُ في حَديـدٍ بـاردٍ ... إنْ كنـتَ تطمـعُ في نـوال سَعيدِ

وا للهِ لـو مَلَـكَ البُحُـورَ بأَسْـرها ... وأتـاهُ سَـلْمٌ في زمـان مُـدُودِ

يَبْغيـهِ منهـا شَـرْبَةً لِطَهُـورهِ ... لأَبَـى وقـال : تَيَمَّمَـنْ بصَعيـدِ

ومثله قول الآخر :

لو أن قصرك يابن يوسف ممتل ... إبـرًا يضيـق بهـا فضـاء المنـزل

وأتـاك يوسـف يستعيرك إبـرة ... ليخيـط قـد قميصـه لم تفعـل

وقال مُسْلمُ بن الوَليدِ :

دُيونُـكَ لا يُقْضَـى الزَّمـانَ غَرِيمُهـا ... وبُخْلُـكَ بُخْـلُ البـاهِلِيِّ سَعِيدِ

سَعِيدُ بنُ سَلْم أَلأَمُ الناس كُلِّهـمْ ... ومـا قومُـهُ مِـنْ لُؤْمِـهِ ببعِيـدِ

يزيـد لـه فضـلٌ ولكـنَّ مَزْيـدًا ... تَـدَارَكَ فينـا مَجْـدَهُ بـيَزيدِ

خُزَيْمَـةُ لاَ بَـأْسٌ بـهِ غـيرَ أَنـهُ ... لَمَطْبَخِـهِ قُفْـلٌ وبـابُ حَدِيـدِ

وقال عبدُ الصَّمَدِ بنُ المُعَذَّلِ يرثِي عمرَو بنَ سعيد بنِ سَلْمٍ ـ وكان عَمروٌ هَلَكَ بُعَيْدَ سَعِيدٍ بيسير ـ :

رُزِئْنا أبـا عَمْـرو فقلنـا : لنا عَمْـروٌ ... سَيَكْفِيكَ ضَوْءُ البَـدْر غَيْبُوبَـةَ البَـدْر

وكـان أبـو عمـرو مُعَـارًا حَيَاتُـهُ ... بعمرو فلمَّا مـاتَ مـاتَ أبـو عَمْرو

* * *

وقال أميرُ المؤمنين الرشيدُ يومًا لسَعيدِ بنِ سَلْمٍ : يا سَعيدُ ، مَنْ بَيْتُ قَيْسٍ في الجاهليةِ ؟ قال : يا أميرَ المؤمنينَ ، بنو فَزارةَ ، قال : فَمَنْ بيتُهم في الإسلام ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، الشَّريفُ مَنْ شرَّفْتُمُوه ، قال : صدقتَ ، أنتَ وقومُكَ .

وحدثني عليُّ بنُ القاسمِ بنِ عليِّ بنِ سليمان الهاشميُّ قال : حدثني رجلٌ من أهل مكةَ قال : رأيتُ في مَنَامي سعيدَ بن سَلْمٍ ، في حياتِه ونعمتِه ، وكثرةِ عَدَدِ ولَدِه ، وحُسْنِ مذهبه ، وكمالِ مُرُوءَتِهِ ، فقلتُ في نفسي : ما أَجَلَّ ما أُعْطِيَهُ سعيدُ بنُ سَلْمٍ ! فقال لي قائلٌ : وما ذَخرَ الله له في الآخرةِ أكثرُ .

وكان سعيدٌ إذا استَقْبَلَ السَّنةَ التي يَسْتَقْبِلُ فيها عَدَدَ سِنيهِ أعتقَ نَسَمةً وتصدَّقَ بعشَرةِ آلافِ درهمٍ ، فقيل لِمَدينيٍّ : إنَّ سعيدَ بنَ سلْمٍ اشْتَرى نفسَه من ربِّهِ بعشرة آلاف درهمٍ ، فقال : إذًا لا يَبيعَهُ .

* * *

وقال أحمدُ بنُ يوسفَ الكاتبُ لولدِ سعيدٍ :

أَبَنِي سعيدٍ إنَّكُمْ مِنْ مَعْشَرٍ ... لا يَعْرِفُونَ كرامةَ الأَضْيافِ
قَومٌ لباهِلَةَ بنِ يَعْصُرَ إنْ هُمُ ... نُسِبوا حَسِبْتَهُمُ لعبدِ مَنافِ
قَرَنُوا الغَدَاءَ إلى العَشاءِ وقرَّبوا ... زَادًا لَعَمْرُ أبيكَ ليس بكافِ
وكأنَّني لَمَّا حَطَطْتُ إليهمُ ... رَحْلي نَزَلتُ بأَبْرَقِ العزَّافِ (١)
بَيْنَا كذاكَ أتاهُم كُبَرَاؤُهُمْ ... يَلْحَوْنَ في التَّبْذِيرِ والإسْرَافِ

وأنشدني المازِنيُّ :

سَلِ الله ذَا المَنِّ مِن فَضْلِهِ ... ولا تَسْأَلَنَّ أبا واثِلَهْ
فما سَأَلَ الله عبدٌ لَهُ ... فخابَ ولَوْ كانَ من باهِلَهْ

[قال أبو الحسن : وزادني بعضُ أصحابنا :

تَرَى الباهِلِيَّ على خُبْزِهِ ... إذا رَامَهُ آكِلٌ آكِلَهْ

وأنشدني رجُلٌ من عبد القَيْسِ :

---

(١) أبرق العزاف:ماء لبنى أسد بن خزيمة فى طريق القاصد إلى المدينة من البصرة . عن معجم البلدان

(٢) فى ذراه : بفتح الذال أىفى كنفه وستره ودفئه .

أَبَـــاهِلَ يَنْبَحُنِـــــي كلبُكـــــم وأُسْـــدُكُمْ ككِـــلابِ العَـــرَبْ
ولـو قيـــلَ للكَلْـــبِ يـــا بــاهِليُّ عَوَى الكلبُ من لُـؤْمِ هـذا النَّسَبْ

* * *

وحدثني عليُّ بنُ القاسمِ قال:حدثني أبو قلاَبَةَ الجَرْميُّ قال: حَجَجْنا مع أبـي جَـزْءِ بـنِ عَمرِو بن سعيدٍ ، قال:وكُنَّا في ذَرَاهُ [٢]، وهــو إذْ ذَاكَ بَهِـيٌّ وَضِـيٌّ ، فجلسنا في المسـجدِ الحرامِ إلى أقوامٍ من بني الحارثِ بـنِ كَعْـبٍ ، لم نَـرَ أَفْصَحَ منهـم ، فـرَأَوْا هيئَـةَ أبـي جَـزْءٍ وإعظَامَنَا إيَّاه مع جَمالِهِ، فقال قائلٌ منهم له:أَمِنْ أَهلِ بيت الخليفةِ أنتَ ؟ قال : لا ، ولكن رجلٌ من العربِ ، قال : مِمَّنِ الرجلُ ؟ قال : رجلٌ من مُضَرَ ، قال : أَعْرَضَ ثوبُ المُلْبِسِ [قال أبو الحسن : يقال للرجل إذا سُئِل عن شيء فأجاب عن غيره : أَعْرَضَ ثوبُ المُلْبِسِ ، أي : أبدى لي غيرَ ما أُريدُ منه] ! مِنْ أَيِّها عافاك ا للهُ ؟ قال : رجلٌ من قيـسٍ ، قـال : أَيْنَ يُرادُ بكَ ، صِرْ إلى فَصِيلتِك التي تُؤْويكَ ! قال : رجلٌ من بني سعدِ ابنِ قيسٍ ، قــال : اللهم غَفْرًا ! مِن أَيِّهَا عافاكَ ا للهُ ؟ قال:رجلٌ من بــني يَعْصُـرَ ، قـال : ومِـنْ أَيِّهـا ؟ قـال : رجلٌ من باهِلَةَ ، قال : قُمْ عَنَّا !! قال أبو قِلاَبَةَ : فَأَقبلتُ على الحارثيِّ فقلتُ : أتعرفُ مَنْ هذا ؟ قال : ذكَرَ أَنه باهليٌّ ! فقلتُ : هذا أميرُ ابنُ أميرِ ابن أميرِ ابن أميرِ ابنِ أميرٍ ، قـال : حتى عَدَدتُ خمسةً ، ثم قلتُ : هذا أبو جَزْءٍ أميرٌ ، ابن عمرٍو ، وكان أميرًا ، ابن سعيدٍ ، وكان أميرًا ، ابن سَلْمٍ ، وكان أميرًا ، ابـن قُتَيبـةَ ، وكـان أمـيرًا ، فقـال الحـارثيُّ : الأمـيرُ أَعْظمُ أَمِ الخليفَةُ ؟ قُلتُ : بَلِ الخليفةُ ، قال أَفَالْخَلِيفَةُ أَعْظَمُ أَمِ النَّبـيُّ ؟ قلـتُ : بَـلِ النَّبيُّ ، قال فو ا للهِ لو عَدَدْتَ له في النُّبُوَّةِ أضعافَ ما عَدَدْتَ له في الإِمْرَةِ ثم كـان باهليًّـا مـا عَبَأَ ا للهُ به شيئًا !! قال : فكادَتْ نفسُ أبي جَزْءٍ تَخْرُجُ ، فقلتُ له : انْهَضْ بنـا ، فـإنَّ هـؤلاء أسوأُ الناس آدَابًا .

* * *

وحُدِّثتُ أنَّ أعرابيًّا لقي رجلاً من الحاجِّ ، فقال له : مِمَّنِ الرجلُ ؟ قال بـاهليٌّ ، قالَ : أُعِيذك با للهِ من ذلك ! قال : إي وا للهِ ، وأنا مع ذلك مولًى لهـم ! فـأقبل الأعرابـيُّ يُقَبِّلُ يَدَيْهِ ويَتَمَسَّحُ به ، فقال له الرجلُ : لِمَ تفعلُ ذلــك ؟ قـال : لأنـي أَثِـقُ بـأنَّ ا للهَ عـزَّ وجلَّ لم يَبْتَلِكَ بهذا في الدنيا إلاَّ وأنتَ في الجَنَّةِ !!

وتَزعمُ الرُّوَاةُ أنَّ قُتَيْبَةَ بنَ مُسْلِمٍ لما فَتحَ سَمَرْقَنْدَ[1] أفْضَى إلى أَثَاثٍ لم يُرَ مثلُه ، وإلى آلات لم يُرَ مِثْلُها ، فأرادَ أن يُرِيَ الناسَ عظيمَ ما فَتَحَ اللهُ عليه ، ويُعَرِّفَهم أقدارَ القومِ الذين ظَهَرَ عليهم ، فأَمَرَ بدارٍ فَفُرِشَتْ ، وفي صَحْنِها قُدُورٌ تُرْتَقَى بالسَّلالِمِ ، فإذا بالحُضَيْنِ ابنِ المنذرِ بن الحارثِ بن وَعْلَةَ الرَّقاشِيِّ قد أقبلَ،والناسُ جُلُوسٌ على مراتِبِهم ، والحُضَيْنُ شيخٌ كبيرٌ ، فلما رآه عبدُ الله بنُ مسلم قال لقُتيبةَ : ائذنْ لي في مُعَابَثَتِهِ، قال: لا تُرِدْهُ فإنّه خبيثُ الجوابِ ، فأبى عبدُ الله إلاّ أنْ يأْذَنَ له ، وكان عبدُ الله يُضَعَّفُ ، وكان قد تَسَوَّرَ حائطًا إلى امرأةٍ قبلَ ذلكَ ، فأقبلَ على الحُضَيْنِ بنِ المنذرِ فقال : أَمِنَ الباب دخلتَ يا أبا ساسانَ ؟ قال : أجَلْ ، أَسَنَّ عَمُّكَ عن تَسَوُّرِ الحِيطان ! قال: أرأيتَ هذه القدورَ ؟ قال : هي أعظمُ من ألاّ تُرَى ! قال : ما أحْسِبُ بكرَ بنَ وائلٍ رأى مثلها ! قال : أجَلْ ، ولا عَيْلان ، ولو كان رآها سُمِّيَ شَبْعانَ و لم يُسَمَّ عَيْلاَنَ ! قال له عبدُ الله : يا أَبَا ساسان ، أتَعْرِفُ الذي يقولُ :

عَزَلْنا وأَمَّرْنا[2] وبَكْرُ بنُ وائلٍ ... تَجُرُّ خُصَاها تَبْتَغِي مَنْ تُحَالِفُ[3]

قال : أَعْرِفُه ، وأَعْرِفُ الذي يقولُ :

وخَيْبَةَ مَنْ يَخِيبُ على غَنِيٍّ ... وباهِلَةَ بنِ يَعْصُرَ والرِّكابِ

قال له : أفتعرفُ الذي يقولُ :

كَأَنَّ فِقاحَ الأَزْدِ حَوْلَ ابنِ مِسْمَعٍ ... إذا عَرِقَتْ أَفْواهُ بَكْرِ بنِ وائلِ ؟

قال : نَعَمْ ، وأعرفُ الذي يقولُ :

---

(١) قال محقق (س) : بهامش الأصل ما نصه:" الذى فتح سمرقند سعيد بن عثمان فى خلافة معاوية . والذى ذكر أبو العباس وهم لا شك فيه " اهـ .

قلت : كذا قال ، وأبو العباس مصيب غير واهم . فسعيد بن عثمان ولى خراسان فى خلافة معاوية ففتح سمرقند،ثم نقضوا وارتدوا ،ففتحها قتيبة بن مسلم وكان ولى خراسان أيام الوليد بن عبد الملك انظر أنساب الأشراف ٤/١/٦١٤ ، وسير أعلام النبلاء ٤/٤١٠، ومعجم البلدان ٣/٢٤٦ (سمرقند).

(٢) (عزلنا) رواية غيره نزعنا وولينا رغبة الآمل ٦/١١٧.

(٣) بهامش نسخة ما نصه :" هو لحارثة بن بدر الغدانى بقوله فى مالك بن مسمع وكان حالف الأزد على تميم عند اختلاف بكر وتميم بعد موت يزيد بن معاوية . وبعده :

ومابات بكرى من الدهر ليلة ... فيصبح إلا وهو للذل عارف " اهـ

وانظر النقائض ١١٢، ٧٢٩ ، ورغبة الآمل ٦/١١٧ .

قـــومٌ قُتَيْبَـــةُ أُمُّهُـــمْ وأَبُوهُـــمُ   لـولا قُتَيْبَـةُ أَصبَحُـوا في مَجْهَـلِ[1]

قال : أما الشعرُ فأراكَ تَرْوِيهِ ، فهل تقرأُ من القرآن شيئًا ؟ قال : أَقرأُ منـه الأَكـثرَ الأَطْيَبَ[2]: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَـمْ يَكُـنْ شَـيْئًا مَذْكُـورًا﴾[3] قـال : فأَغْضَبَه ، فقال[4]: وا للهِ لقد بلغني أَنَّ امرأَةَ الحُضَيْنِ حُمِلَتْ إليه وهي حُبْلَـى مـن غـيره ! قال : فَما تَحَرَّكَ الشَّيخُ عن هَيْئَتِهِ الأُولَى ! ثم قال على رِسْلِهِ : ومـا يكـونُ ! تَلِـدُ غلامًـا على فِرَاشي فيقالُ " فلانُ بنُ الحُضَيْنِ " كما يقالُ " عبدُ ا للهِ بـنُ مسـلمٍ " !! فـأقبلَ قتيبـةُ على عبد ا للهِ فقال : لا يُبْعِدِ ا للهُ غيرَكَ ! هذا الحُضَيْنُ بنُ المنذرِ بنِ الحارثِ بن وَعْلَةَ .

وكان الحضينُ بيده لواءُ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رحمه ا للهُ على ربيعة ، وله يقولُ القائلُ :

لِمَـــنْ رايـــةٌ سَـــوْداءُ يَخْفِـــقُ ظِلُّهـــا   إِذَا قِيـلَ قَدِّمْهَـــا حُضَيْـــنُ تَقَدَّمـــا[5]

* * *

وللحارثِ بن وَعْلَةَ يقولُ الأَعْشَى ، وكان قَصَدَهُ فلـم يُحْمِـدْهُ ، فَعَـرَّجَ عنـه إلى هَوْذَةَ بنِ عليٍّ ذِي التَّاجِ . وهوذةُ من بني حَنِيفَةَ بن لُجَيْم بن صَعْبِ بن عَلِيٍّ بـنِ بَكْـرِ بـنِ وائلٍ ، والحارثُ بنُ وَعْلَةَ من بني رَقَاشٍ ، وهي امرأَةٌ ، وأَبوهم مالكُ[6] بنُ شَيْبانَ بنِ ذُهْلِ ابنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُكابَةَ بنِ صَعْبِ بنِ عَلِيٍّ بنِ بكرِ بنِ وَائلٍ ، فقال الأعشىَ[7] يَذْكُـرُ الحـارثَ بنَ وَعْلَةَ وهَوْذَةَ بنَ عليٍّ :

أَتَيْـتُ حُرَيْثًـا زائِـرًا عـن جَنَابَـةٍ   فكـانَ حُرَيْـث عـن عَطـائيَ جَـامِدَا

إِذَا مـــا رَأَى ذَا حاجـــةٍ فكأنمـــا   يَـرَى أَسَـدًا في بيتِـــه وأَسَـــاوِدَا

---

(١)البيت من الكامل ، وهو بلا نسبة فى المخصص ١٧٣/١٣.

(٢)بهامش الأصل :" الطيب وعليه "ع" يريد رواية أبى على .

(٣)سورة الإنسان :١.

(٤) فى نسخة : فقال له .

(٥) البيت من الطويل ، وهو لعلى بن أبى طالب فى ديوانه ١٧٠ ولسـان العـرب ٤١٥/٧(غيظ) ، ١٣/ ١٢٤ (حض)، ٢٦٩/١٤ (دمى) ، وزهر الآداب ١/ ٤٥، وتاج العروس (ودق) (حضن)

(٦) بهامش الأصل ما نصه :" رقاش هذه أم مالك هذا وزيد مناة أخيه ، فبنوهـا هـم بنـو رقـاش يعرفون بها ، وهى رقاش بنت ضبيعة بن قيس بن ثعلبة " اهـ وهو كما قال ، انظـر جمهـرة أنسـاب العرب ٣١٧، واللباب ٣٣/٢. واكتفى المبرد فى نسب عدنان وقحطان ١٦ بـالقول إن بـني رقـاش من بطون ذهل بن ثعلبة .

(٧) ديوانه ق ٤/٧،٦،٥،٧،٨،٩،١٠،١٦ ص ١٠١ ، ١٠٣ . وفى الرواية اختلاف .

لَعَمْرُكَ ما أَشْبَهْتَ وَعْلَةَ في النَّدَى شَمَائِلَهُ ولا أَبَاهُ مُجَالِدَا

فإنَّ امْرَأً قد زُرْتَه بَعْدَ هذِهِ بجَوٌّ لَخَيْرٌ منك نَفْسًا ووالِدَا

تَضَيَّفْتُهُ يومًا فَقَرَّبَ مَجْلِسِي وَأَصْفَدَنِي عَلَى الزَّمانة قائِدَا

وأمْتَعَنِي على العَشَا بوَلِيدَةٍ فَأُبْتُ بخير منكَ يَا هَوْذَا حامِدَا

فَتىً لو يُباري الشَّمسَ أَلْقَتْ خِمارَها أو القَمَرَ السَّاري لأَلْقَى المَقَالِدَا

يَرَى جَمْعَ ما دُونَ الثلاثين قُصْرَةً ويَغْدُو على جمع الثلاثينَ واحدَا

وهي كلمةٌ .

قوله " أتيتُ حُرَيْثًا " يريدُ " الحارثَ " وتصغيرُه عَلَى اللفظ " حُوَيْرِثٌ " . وهذا التصغيرُ الآخَرُ يقال له " تصغيرُ التَّرْخِيمِ " وهو أنْ تَحْذِفَ الزوائدَ من الاسم ثم تُصَغِّر حروفَه الأصلية ، فتقولَ في تصغير " أَحمدَ " : " حُمَيْدٌ " ؛ لأنه من " الحَمدِ " ، وفي " الحارثِ " : " حُرَيْثٌ " ؛ لأنَّه من " الحَرْثِ " ، وفي " غَضْبانَ " : " غُضَيْبٌ " ؛ لأنه من " الغَضَبِ " ؛لأنَّ الألفَ والنونَ زائدتان . وكذلك ذواتُ الأربعةِ ، تقول في تصغير " قِنْديل " على لفظه " قُنَيْدِيلٌ " ، فإن صغَّرتَه مُرَخَّمًا حذفتَ الياءَ فقلتَ " قُنَيْدِلٌ " فعلى هذا مَجْرَى الباب .

وقوله " عن جَنَابَةٍ " يقولُ : عن غُرْبَةٍ وبُعْدٍ . يقالُ " هُمْ نِعْمَ الحَيُّ لِجَارِهم جار الجَنَابَةِ " أي الغُرْبة ، يقال : " رجلٌ جُنُبٌ " و " رجلٌ جانِبٌ " أي غريبٌ ، قال ا للهُ جلَّ وعزَّ ﴿ وَالجَارِ ذي القُرْبَى والجار الجُنُبِ ﴾[1] ، وقال الحُطَيْئَةُ[2] :

وا للهِ ما مَعْشَرٌ لامُوا امْرَأً جُنُبًا في آل لأْيِ بن شَمَّاس بأَكْيَاس

وقال عَلْقَمَةُ بنُ عَبَدَةَ [3]:

فَلاَ تَحْرِمَنِّي نَائِلاً عن جَنَابَةٍ فإنِّي امْرُؤٌ وَسْطَ القِبَابِ غَرِيبُ

فمن قال للواحِدِ " جُنُبٌ " قال للجميع " أجْنَابٌ " كقولك " عُنُقٌ " و " أعناقٌ " و " طُنُبٌ " و " أطنابٌ " . ومن قال للواحد " جَانِبٌ " قال للجميع " جُنَّابٌ " كقولك: " راكبٌ" و " رُكَّابٌ " و " ضاربٌ " و " ضُرَّابٌ " قالت الخَنْسَاءُ :

---

(١) سورة النساء : ٣٦ .

(٢) ديوانه ق ١/٧١ ص ٢٨٣ .

(٣) ديوانه ق ١/٣٩ ص ٤٨ . والكلمة هى المفضلية رقم ١١٩ ، وهى فى الاختيارين برقم ١٠٢ .

ابْكِـي أخَـاكِ لأَيْتَـامٍ وأَرْمَلَـةٍ   وابْكِي أخاكِ إذَا جَـاوَرْتِ أَجْنَابَا[1]

وإن كان من " الجَنَابَةِ " الـتي تُصيـب الرجـلَ قلـتَ "رجـلٌ جُنُـبٌ " و " رجـلان جُنُبٌ " وكذلك المرأةُ ، والجميعُ . وقـد يجوزُ ـ وليـس بالوَجْـهِ ـ : " رجـلان جُنُبـانِ " و " امرأةٌ جُنُبَةٌ " و " قومٌ أَجْنَابٌ " .

وقوله :   يَرَى أسدًا في بيتِه وأَسَاوِدَا

يريد " جَمْعَ " أَسْوَدَ " سالخ و " أَسْوَدُ " ههنا نعتٌ غالبٌ ، فلذلك جَرَى مَجْرَى الأسماءِ ؛ لأنه يَدُلُّ على الحَيَّةِ . و " أَفْعَـلُ " إذا كـان نعتًـا بنفسه فجمعُـه " فُعْـلٌ " نحـو " أَحْمَرَ " و " حُمْرٌ " و " أسودَ وسودٍ " وإذا كان نعتًا بنفسه وجرى مجْرَى الأسمـاء فجمعُـه " أَفَاعِلُ " نحو " أَسَـاوِدَ " و " أَجَـادِلَ " و " أَدَاهِـمَ " إذا أرتَ القَيْـد ؛ لأَنّـه نعـتٌ غـالبٌ يَجْـري [2]مَجْـرَى الأسمـاء؛ وإن أردتَ " أَدْهَـمَ " الـذي هـو نعـتٌ محـضٌ قلـتَ : " دُهْمٌ " قال الأَشْهَبُ بنُ رُمَيْلَةَ[3] :

أُسُودُ شَرًى لاَقَـتْ أُسُـودَ خَفِيَّـةٍ   تَسَاقَوْا على حَرْدٍ دِمـاءَ الأَسَـاوِدِ[4]

فأَجراه مُجْرَى الأسماء ، نحو " الأَصاغِرِ " و " الأَكابِرِ " و " الأَحَامِدِ " .

وقولُه :

لعمرُك ما أشبهتَ وعلةَ في النـدى   شمائلَـــه . . . .

فإنَّه جعل " شمائِلَه " بدلاً مِنْ " وَعْلَةَ " والتقديرُ : ما أَشْبَهْتَ شمائلَ وَعْلَة .

والبدلُ على أربعةِ أَضْرُبٍ :

---

(١) ديوانها ص ٧ .

(٢) فى الأصل : فيجرى .

(٣) سلف البيت .

(٤)البيت من الطويل ، وهو للأشهب بن رميلة فى أمالى القالى ١/ ٨ ، والحماسة البصرية ١/ ٢٦٩، وخزانة الأدب ٦/ ٢٧ وسمط اللآلى ٣٥ ، وشرح شواهد المغنى ٢/ ٥١٧ ، ولسان العرب ٣/ ١٤٦(حرد) ،١٤/ ٢٣٧(خفا) ، ومعجم ما استعجم ٢، ٥٠٦ ، والمقاصد النحوية ١/ ٤٨٣، والمنصف ١/ ٦٧ وبلا نسبة فى الحيوان ٤/ ٢٤٥، والمقتضب ٢/ ٢٢٨ .

ورواية البيت :-

أسود شرى لاقت أسود خفية   تساقت على لوح دماء الأساود

فواحدٌ منها : أن تُبْدِلَ أحدَ الاسْمَيْنِ مــن الآخَـرِ إذا رَجَعَا إلى واحـدٍ ، ولا تُبَـالِي أَمَعْرِفَتَيْنِ كانا أم معرفةً ونكرةً ، تقولُ :مررتُ بأخيك زيدٍ ؛ لأنَّ زيدًا هو الأخُ وكذلك : مررتُ برجلٍ عبدِ اللهِ ، فهذا واحدٌ .

والآخَرُ : أن تُبْـدِلَ بعـضَ الشـيءِ منـه ، نحـو : ضربـتُ زيـدًا رأسَـهُ ، لَمَّـا قلـتَ " ضربتُ زيدًا " أردتَ أن تُبَيِّنَ موضعَ الضربِ منه .

فمِثْلُ الأوَّل : قولُ الله تبارك وتعالى:﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِـرَاطَ الَّذِيـنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِـمْ**﴾[١] وقَولُـه:﴿**وَإِنَّـكَ لَتَهْـدِي إِلَـى صِـرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . صِـرَاطِ اللهِ**﴾[٢] و﴿**لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ . نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ**﴾[٣].

ومِثْلُ البدَلِ الثاني : قولُه عزَّ وجلَّ : ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾[٤] " مَنْ " في موضع خفضٍ ، لأنها بدلٌ مـن " النـاس " ومِثْلُـهُ إلاَّ أنـه أُعِيـدَ حرفُ الخَفْضِ : ﴿**قَالَ الْمَلأُ الَّذِيـنَ اسْتَكْبَرُوا مِـنْ قَوْمِـهِ لِلَّذِيـنَ اسْتُضْعِفُوا لِمَـنْ آمَـنَ مِنْهُمْ**﴾[٥].

والبَدَلُ الثـالثُ : مِثْـلُ مـا ذكرنـا في البيـتِ ، أَبْـدَلَ " شمائلَـه " منـه ، وهـي غـيرُه ، لاشتمال المعنى عليها . ونظيرُ ذلك:أَسْأَلُكَ عن زيدٍ أَمْرِهِ ؛ لأنَّ السؤالَ عن الأَمْرِ . وتقولُ على هذا : سُلِبَ زيدٌ ثوبُهُ ، فالثوبُ غيرُه : ولكن به وَقَعَ السَّـلْبُ ، كمـا وقعـتِ المسـألةُ عن خبرِ زيدٍ . ونظيرُ ذلك في القرآن : ﴿**يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيـهِ**﴾[٦]؛ لأنَّ المسألةَ إنَّما كانت عن القتال: أهو يكونُ في الشهرِ الحرام؟وقال الشاعرُ :

إنَّ السُّـــيُوفَ غُدُوَّهَـــا وَرَوَاحَهَـــا … تَرَكَتْ هَوَازِنَ مِثْـلَ قَـرْنِ الأَعْضَـبِ[٧]

---

(١) سورة الفاتحة : ٦، ٧ .

(٢) سورة الشورى :٥٢، ٥٣ .

(٣) سورة العلق : ١٥، ١٦ .

(٤) سورة آل عمران : ٩٧ . و"حَجّ" كذا ضبط فى نسخة بفتح الحاء وهى قـراءة أبى عمـرو وابـن كثير ونافع وأبى بكر عن عاصم من السبعة ، وقرأ الباقون " حِج" بكسر الحاء . انظر السبعة لابـن مجاهد ٢١٤. وحجة القراءات ١٧٠ ، والكشف لمكى ١/٣٥٣.

(٥) سورة الأعراف :٧٥ .ووقع اضطراب فى جميع النسخ فى هذه الآية .

(٦) سورة البقرة : ٢١٧ .

(٧) بعده فى بعض النسـخ :" وهـو الأخطـل ". والبيـت لـه ، ديوانـه ق ١١/٨ج ١/ ٩٠ ، والخزانـة ٢/ ٣٧٢ (الأعضب):الكبش المكسور القرن ، وقد عضب قرنه "بالكسر" عضبًا انكسر فهو أعضب وهو عضباء رغبة الآمل ١٢٣/٦.

وبَدَلٌ رابعٌ ، لا يكونُ مثلُهُ في القرآنِ ولا في الشِّعْرِ ، وهو أنْ يَغْلَطَ المتكلمُ فَيسْتَدْرِكَ غَلَطَهُ ، أو يَنْسَى فَيَذْكُرَ فيرجعَ إلى حقيقة ما يَقْصِدُ له ، وذلك قولُك : مررتُ بالمسجدِ دارِ زيدٍ ، أرادَ أن يقولَ : مررتُ بدارِ زيدٍ ، فإمَّا نسِيَ ، وإمَّا غَلِطَ ، فاسْتَدْرَكَ فوضَعَ الذي قَصَدَ له في موضع الذى غَلِطَ فيه .

وقوله " بجَوٍّ " فهي قَصبةُ اليَمامَةِ .

وَقولُه " تَضَيَّفْته يومًا " إنما هو " تَفعَّلْتُهُ " من " الضِّيافَةِ " يقال " ضِفْتُ الرجلَ " إذا نزلتَ به ، و " أَضَافَنِي " أي أَنْزَلَنِي .

وقولُه "وأَصْفَدَنِي" أي : أعطاني ، وهو " الإِصْفَادُ" و " الصَّفَدُ " الاسمُ ، و" الإِصْفَادُ " المصدرُ ، قال النابغةُ [1]:

فلم أُعَرِّضْ - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - بالصَّفَدِ[2]

ويقال " صَفَدْتُ الرجلَ فهو مَصْفُودٌ " من القَيْدِ ، ولا يقال في القيدِ "أصفدت" ولكن " صَفَدْتُهُ صَفْدًا " واسم القَيْدِ " الصَفَدُ " قال ا لله جلَّ وعزَّ:﴿**مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ**﴾[3] ، كقولك " جَمَلٌ وأَجْمَالٌ " و " صَنَمٌ وَ أَصْنَامٌ " .

وقولُهُ " فتًى لو يُبَارِي الشمسَ " يقول : يُعارِضُ ، يقالُ " انْبَرَى لي فلانٌ " أي اعترضَ لي ، وَبَرَى لِي في هذا المعنَى ، و " فلانٌ يُبَارِي الرِّيحَ " مِن هذا ، أي يعارضُ الريح بجُودِه ، فهذا غيرُ مهموزٍ .

فأمّا " بَارَأْتُ " الكَرِيَّ " فهو مهموزٌ [4]؛ لأنه من " أَبْرَأَنِي وأبرأْتُه " . ويقال " بَرَأَ فلانٌ من مرضِه " و " بَرِيءَ " يا فَتى ! والمصدرُ منهما " البُرْءُ " فاعلمْ . و " بَرَيْتُ القلمَ " غيرُ مهموز . ويقال " ما بَرَأَ اللهُ مثلَ فلانٍ " ، وهو البارئ المصوِّرُ ، وقولُه " البَرِيَّة " أصلُه من الهمز ، ويُخْتَارُ فيه تخفيفُ الهمزِ ، ولفظُ التخفيفِ والبدلِ واحدٌ . وكذلك يُخْتَارُ في " النَّبِيِّ " التخفيفُ ، فمن جعلَ التخفيفَ لازمًا قال في جمعِه " أنبياء " كما يُفعلُ بذواتِ الياءِ والواوِ ، تقول " وَصِيٌّ وأوصياءُ " و " تَقِيٌّ وأتقياءُ " و " شَقِيٌّ

---

(١) ديوانه ق ١/ ٤٨ ص ٢٤.

(٢) صدره :   هذا الثناء فإن تسمع لقائله

(٣) سورة ص : ٣٨ .

(٤) الكرى : الذى يُكرى دابته .

وأشقياءُ " ومَن هَمَزَ الواحدَ قال في الجمع " نُبَآءُ "لأنه غيرُ مُعْتَلٍّ، كما تقول " حُكَماءُ " و " أنبياءُ " لغة القرآن والرسول ﷺ . وقال العباسُ بنُ مِرداس السُّلَمِيُّ :

يا خاتِمَ النُّبَآءِ إنَّكَ مُرْسَلٌ ... باِلحقِّ كُلُّ هُدَى السَّبِيلِ هُدَاكا[1]

وقوله: **أو القَمرَ السَّارِي لأَلْقَى المَقَالِدَا**

إنما أَسْكَنَ الياءَ ضرورةً ، وإنَّما جازَ ذلك؛ لأن هذه الياءَ تَسْكُنُ في الرفع والخفض، فإذَا احتاجَ الشاعرُ إلى إسكانِها في النصب قاسَ هذه الحركةَ على الحركتين : الضَّمةِ والكَسرةِ ، الساقطتين ، فَشَبَّهَهَا بهما ، فَجَعَلَها كالألفِ التي في " مُثَنًّى " على هيئةٍ واحدة في جميع الإعراب ، قال النابغةُ :

رَدَّتْ عليهِ أَقاصِيهِ ولَبَّدهُ ... ضَرْبُ الوَلِيدَةِ بالمِسْحَاةِ في الثَأَدِ[2]

فأَسْكَنَ الياء في " أقاصيه " ، وقال رُؤْبةُ :

كَأَنَّ أَيْدِيهِنَّ بالقَاعِ القَرَقْ [أيدى جوار يتعاطين الورق][3]

وقال : **سَوَّى مَسَاحِيهِنْ**[4] **تَقْطِيطَ الحُقَقْ**[5]

وقال الآخرُ[6]:

---

(١)البيت من الكامل ، وهو لعباس بن مرداس فى ديوانه ٩٥ ، والكتاب ٣/ ٤٦٠ ، ولسان العرب ١/ ١٦٢ (نبأ) وبلا نسبة فى جمهرة اللغة ١٠٢٨، والمقتضب ١/ ١٦٢.

(٢)البيت من البسيط ، وهو للنابغة الذبيانى فى ديوانه ١٥، وخزانة الأدب ٤/٥، وبلا نسبة فى المقتضب ٤/ ٢١، وكتاب العين ٨/ ٥٦.

(٣)زيادة من نسخة .

(٤) حوافرهن على التشبيه بالمساحى جمع المسحاة فى صلابتها وقشرها الأرض ، وتقطيط الحقق قطعها وتسويتها . يريد حقق الطيب ويسمى صانع ذلك بالقطاط وهو الخراط . رغبة الآمل ١٢٧/٦.

(٥)البيت من الوافر ، وهو لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ١٤٢، وخزانة الأدب ٤/ ٤٣٩، ١٠/٤٧٧،٤٨٢، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ١٩٤، ولأبى حية النميرى فى لسان العرب ١٥/١٩٥(قفا) ، وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر ٨/٤٨،١١٢وتخليص الشواهد ٢٩٩ ، وخزانة الأدب ٣/ ٤٤٣،٦/٣٩٧، والخصائص ٢/٢٦٨ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ٩٧٠، وشرح المفصل ٦/١٥،١٠/ ١٠٣،والصاحبى فى فقه اللغة ٣٥، والمقتضب ٤/ ٢٢ والمنصف ٢/ ١١٥ .

(٦) بهامش الأصل :" هو بشر بن أبى خازم " ديوانه ق ١/٢٩ ص ١٤٢، وهو من شواهد المقتضب ٤/٢٢ والخزانة ٢/٢٦١ .

كَفَى بالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءَ كافِ　　وليس لِحُبِّها ما عِشْتُ شافِ

وأما قولُهُ :

وأمْتَعَنِي على العَشَا بوليدةٍ　　فأُبْتُ بخير منك يا هَوْذَ حَامِدَا

فإنَّه كان يتحدث عنه ، ثم أَقْبَلَ عليه يخاطبه ، وترك تلك المُخاطبةَ .

والعرب تَتْرُكُ مخاطبةَ الغائبِ إلى مخاطبةِ الشاهد،ومخاطبةَ الشاهدِ إلى مخاطبةِ الغائب؛قال الله جلَّ وعزَّ:﴿حتَّى إذَا كُنْتُمْ في الفُلْكِ وجَرَيْنَ بِهِمْ بريحٍ طَيِّبَةٍ﴾[1] كانتِ المُخاطَبَةُ لِلأُمَّةِ ، ثم صُرِفَتْ إلى النبي ﷺ إخْبارًا عنهم [2]. وقال عَنْتَرَةُ[3] :

شَطَّتْ مَزَارُ العاشِقِينَ فأصْبَحَتْ　　عَسِرًا عليَّ طِلابُكِ[4] ابْنَةَ مَخْرَمِ

كان يُحَدِّثُ عنها ثم خاطبها . ومثلُ ذلك قولُ جريرٍ [5]:

وتَرَى العَواذلَ يَبْتَدِرْنَ مَلامَتِي　　فإذا أَرَدْنَ سِوى هَواكِ عُصِينَا

وقال آخرُ :

فِدًى لكِ والدي وسَرَاةُ قومِي　　ومالي إنَّهُ منهُ أَتَانِي

وهذا كثيرٌ جدًّا .

وقوله :　　يَرَى جَمْعَ ما دونَ الثلاثين قُصْرَةً

أي قليلاً ، من " الاقتصارِ " . ويُرْوى " ويَغْدُو " و " يَعْدُو " جميعًا .

* * *

وكان هَوْذَةُ بنُ عليٍّ ذا قَدْرٍ عالٍ ، وكانتْ له خَرَزاتٌ تُنْظَمُ فتُجْعَلُ على رأسِه ، تَشَبُّهًا بالملوكِ .

وحدثني [6]التَّوَّزيُّ عن أبي عُبَيدةَ ، قال : ما تَتَوَّجَ مَعَدِّيٌّ قَطُّ ، إنما كانتِ التيجانُ لليَمَنِ . قال : فسأَلْتُه عن قولِ الأعشَى :

---

(١)سورة يونس : ٢٢.

(٢)سبق التنبيه على هذا اللون من البديع ، وهو فن معروف مشهور بالالتفات .

(٣) سلف البيت .

(٤) طلابك : يروى طلابها .

(٥) سلف البيت مع آخر .

(٦) انظر ما سلف . وقد أعاد ههنا ما قاله ثمة .

مَنْ يَرَ هَوْذَةَ يَسْجُدْ غيرَ مُتَّئِبٍ إذا تَعَمَّمَ فوقَ التاجِ أو وَضَعَا ؟

قال : إنَّما كانَتْ خَرَزَاتٌ تُنْظَمُ له .

وكَتبَ رسولُ الله ﷺ إلى هوذةَ كما كَتَبَ إلى الملوكِ .

وكانت بنو حَنيفةَ بنِ لُجَيْمٍ أصحابَ اليَمامةِ ، ويقولُ بعضُ النَّسَّابينَ : إنَّ عُبَيْدَ ابن حنيفةَ كان أَتَى اليمامةَ وهي صَحْراءُ ، فاختَطَّهَا ، فَجعلَ يَرْكُضُ حوالَيْهَا ويَخُطُّ برمْحِهِ في الأرض على ما أصابَ من النَّخْلِ ، وإنَّهم أَكَلُوا ما أصابوا تحتَه من التَّمر ، فلما طَلَعَ لهم التمرُ بَعْدُ لم يهتَدُوا لِصُعُودِ النَّخْلِ ، فأقبلوا يَجُدُّونَهُ ، حتى فَكَّرُوا فأَعَدُّوا له السَّلاَلِمَ ، فلمَّا عَمِرَتِ اليمامةُ جَعلتِ العربُ تَنْتجعُهُمْ لموضع التمر فَيُجَاوِرُونَ العَزِيزَ منهم وكان يقال لمن دخلها من هؤلاء " السَّواقطُ " مِمَّن كانوا .

ويقالُ : إنَّ اليمامةَ والبَحْرَيْنِ والقَرْيَتَيْنِ ومواضعَ هناك كانت لِطَسْمٍ وجَدِيسَ ، والخبرُ في ذلك مشهورٌ بزَرْقاء اليَمامةِ ، وقد ذكر ذلك الأعشى في قوله[1] :

قالتْ : أَرَى رَجُلاً في كَفِّه كِتفٌ أو يَخْصِفُ النعلَ لَهْفِي أيَّةً صَنَعَا

فكَذَّبُوها بما قالتْ فَصَبَّحَهُمْ ذو آلِ حَسَّانَ يُزْجِي الموتَ والشَّرَعَا

* * *

وحدثني التَّوَّزِيُّ عن أبي عُبيدَة وَالأَصْمَعِيِّ عن أبي عَمرو قال : قال لي رجلٌ من أهل القريتينِ : أَصَبْتُ ههنا دراهم وَزْنُ الدرهم ستة دراهمَ وأربعةَ دَوانيقَ[2] ، من بقايا طَسْمٍ وجَدِيسَ ، فخِفْتُ السلطانَ فأخفيتُها .

وقد ذكر ذلك زُهَيْرٌ في قوله:

عَهْدِي بِهِم [3] يومَ بابِ القريتينِ عقد وقد زالَ الهَمَالِيجُ بالفُرْسانِ واللُّجُمُ[4]

---

(١) ديوانه ق ١٩/١٣ / ٢٠ ص ١٣٩ .

(٢) فى الأصل : دوانق .

(٣) فى نسخة كما فى سائر النسخ " بهم " ناسخ نسخة كتب عليها " بها" مع " صح" فأثبتها رايت " بها " وفى هذا مخالفة لما أطبقت عليه النسخ ، وروايه الديوان كما فى المتن .

(٤) الهماليج عليه : وهى الدابة فى سيرها سرعة وبخترة ، أراد بها الخيل ، وقيل الإبل . عن رغبة الآمل ١٣٢/٦ والديوان .

فاسْـــتَبْدَلَتْ بعدَنَـــا دارًا يَمَانِيَـــةً تَرْعَى الخَرِيـفَ فَأَدْنَى دارِهَـا ظَلِـمُ[1]

وقال جريرٌ يَهجُو بني حَنيفةَ:

هَجَانِيَ الناسُ مِلْ الأَقْوامِ[2] كُلِّهِـمُ حتـى حَنيفـةُ تَفْسُـو في مَنَاحِيهَـا

أَصحابُ نَخْلٍ وحيطـان ومَزْرَعَـةٍ سُـيوفُهُم خُشُـبٌ فيهـا مَسـاحِيهَا

ذَلَّـتْ فـأعطتْ يـدًا للسِّلْمِ صـاغرةً مِـن بعدِ مـا كـاد سيفُ ا لله يُفْنِيهَا

صـارتْ حنيفـةُ أَثْلاثًـا فَثُلْثُهُـمُ أَضْحَوْا عَبِيدًا وثُلْثٌ مـن مَوَالِيهَا[3]

قوله في "مَناحِيهَا" " المَنْحَاةُ " : مَقامُ السَّانيةِ على الحوض ، و " الحائطُ " : البستانُ .

وقوله : " مِن بعد ما كَاد سيفُ ا لله يُفنيها "

يعني خالدَ بنَ الوليد بنِ المغيرة بنِ عبد ا لله بنِ عُمَرَ بنِ مخزوم، في وَقْعَتِهِ بمُسَيْلِمَةَ ، ولِلنَّسَّابينَ بعدَ هذا قولٌ مُنْكَرٌ .

وقال جريرٌ [4]:

أَبَـنِي حنيفـةَ نَهْنِهُـوا سُـفَهاءَكُمْ إِنِّي أخـافُ عليكـمُ أن أغْضَبَـا[5]

أَبَـنِي حنيفـةَ إِنَّـني إنْ أَهْجُكُـمْ أَدَعِ اليَمامَـةَ لا تُـوَارِي[6] أَرْنَبـا[7]

---

(١)البيت من البسيط ، وهو لزهير بن أبى سلمى فى ديوانه ١٥٠ ولسان العرب ٢/٣٩٤(هملج) ، وبلا نسبة فى تاج العروس (زول) .

(٢) فى نسختين :" الناس والأقوام "، وفى نسخة :" مل أحياء " ، وفى بعض النسخ : من الأقوام ، وهو خطأ ، وفى نسخة : الأقوام ، وهو تحريف .

(٣) بهامش نسخة ما نصه :" هذا مما عيب على جرير ؛ لأنه لم يذكر الثالث. قال الآمدى : لما قال جرير هذا البيت قيل لرجل من بنى حنيفة:من أى الأثلاث أنت ؟ قال :من الثلث الملغى " اهـ . وهذا القول بنصه نقله البغدادى عن ابن السيد ثم قال البغدادى : "أراد جرير بالثلث المتروك أشرافهم ، وترك الثالث عمداً ؛ لأنه فى مقام الذم لا يثبت لهم أشرافاً صراحة " الخزانة ٢/٣٠٠.

(٤) ديوانه ق ١٠٩/١-٢ج١/٤٦٦. فى د: وقال جرير أيضاً .

(٥) بهامش نسخة ما نصه:((قال ابن الأعرابى : يقال حكم فلان عن الأمر : إذا رجع عنه ، وأحكم ، وأنشد : ابنى حنيفة أحكموا)) اهـ .

(٦) فى نسخة :" لا توازى " وتحته:" بالزاى أى توازن " .

(٧)البيت من الكامل ، وهو لجرير فى ديوانه ٤٦٦، ولسان العرب ١٢/ ١٤٤(حكم) ، ومقاييس اللغة ٢/ ٩١، ومجمل اللغة ٢/ ٩٤ وتهذيب اللغة ٤/١٢٢، وأساس البلاغة ٩١(حكم) وتاج العروس (حكم) ، وبلا نسبة فى كتاب العين ٣/ ٦٧ .

ورواية البيت: أبنى حنيفة أحكموا سفهاءكم إنى أخاف عليكم أن أغضبا

وقال عُمَارَةُ بنُ عَقِيلٍ :

بَلْ أيُّها الراكبُ الماضِي لِطِيَّتِهِ[1] ... بَلِّغ حنيفةَ وانْشُر فيهمُ الخَبَرَا

أكان مَسْلَمَةُ الكذَّابُ قال لَكُم ... لن تُدْرِكُوا المَجْدَ حتى تَغْضَبُوا مُضَرَا

مَهْلاً حنيفةُ إنَّ الحربَ إنْ طَرَحَتْ ... عليكُمُ بَرْكَهَا أَسْرَعْتُمُ الضَّجَرَا

" البَرْكُ " الصَّدْرُ ، إذا فتحتَ الباءَ ذَكَّرْتَ ، وإن أردتَ التأنيث قلتَ " بِرْكَةً " فكسرتَ الباءَ [2]، قال الجَعْدِيُّ[3] :

ولَوْحا ذِرَاعَيْنِ في بِرْكَةٍ ... إلى جُؤْجُؤٍ[4] رَهِلِ المَنْكِبِ[5]

* * *

وزعم الأصمعيُّ أن زِيادًا كان يقالُ له " أَشْعَرُ بَرْكًا[6] "؛ لأنه كان أَشْعَرَ الصَّدْرِ .

وغيرُ الأصمعِيِّ زعم أنَّ هذا كان يقال للوليدِ بنِ عُقْبَةَ بنِ أبي مُعَيْطِ بنِ أبي عَمرِو بن أُمَيَّةَ [7].

وذكروا أن عَدِيَّ بنَ حاتمِ بنِ عبد الله الطائي قال يومًا : أَلاَ تَعْجَبُونَ لهذا أَشْعَرَ بَرْكًا يُوَلَّى مثلَ هذا المصر ! والله ما يُحْسنُ أنْ يَقْضِيَ في تمرتين !! فبَلَغَ ذلك الوَليدَ فقال على المنبرِ:أَنْشُدُ الله رَجُلاً سَمَّانِي أَشْعَرَ بَرْكًا إلاَّ قامَ ؟ فَقَام عَدِيُّ بنُ حاتمٍ فقال: أيُّها

---

(١) (لطيته) لوجهه الذى يريده والطية أيضًا الحاجة . رغبة الآمل ١٣٣/٦ .

(٢) فى نسخة : "... التأنيث كسرت الباء قلت بركة " وفى بعض النسخ : قلت بركة بكسر الباء . وفى نسخة : فكسرت الباء فقلت .

(٣) ديوانه ق ٢٧/٢ ص ٢١ ، وأدب الكاتب ٥١٨ .

(٤)الجؤجؤ : الصدر أو مجتمع رؤوس عظام الصدر

(٥)البيت من المتقارب ، وهو للنابغة الحصدى فى ديوانه ٢١ ، وبلا نسبة فى لسان العرب ٤/ ٣٢٦(زفر) ، وتهذيب اللغة ١٣/ ١٩٤، وتاج العروس ١١/ ٤٣٥(زفر) .

ورواية البيت : ولوجا ذراعين فى بركة ... إلى جؤجؤ حسن المزدفره

(٦) بهامش نسخة ما نصه:"قال أبو زيد: يقال إنه لكثير شعر البرك : إذا كان كثير شعر القصص ، وهو الصدر ، وإنما يقال هذا للتيس إذا كثر شعر قصصه ، وهو القصص من الشاة والكرة من البعير والصد من الإنسان اهـ .

(٧) زاد فى نسخة :" بن عبد شمس ". وانظر أنساب الأشراف ٥١٧/٤ .

الأميرُ : إنَّ الذي يقومُ فيقولُ أنا سَمَّيتُك أَشْعَرَ بَرْكًا لَجَرِيءٌ ! فقال : اجلسْ يا أبا طَرِيفٍ فقد بَرَّأَكَ ا لله منها ، فجلسَ وهو يقولُ : وا لله ما بَرَّأني ا لله منها !!

وكانت أمُّ الوليدِ بنِ عُقْبَةَ أُمَّ عثمانَ بنِ عَفَّانَ ، وهي أَرْوَى بنتُ كُرَيْزِ بنِ حَبيبِ بنِ رَبيعة بن عبد شمسٍ[1] بنِ عبد مَنافٍ ، وأُمُّها البَيْضَاءُ بنتُ عبدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشمٍ ، ومن ثَمَّ قال الوليدُ لعليِّ بنِ أبي طالبٍ رحمه ا لله : أنا أَلْقَى رسولَ ا لله ﷺ بأُمِّي من حيثُ تَلْقَاه بأبيك .

وكان يقال للبَيْضَاء بنتِ عبد المطلب " قُبَّةُ الدِّيَاجِ " واسمُها أمُّ حَكِيمٍ ، ولذلك قيل لعثمانَ وللوليدِ ، يا بْنَ أَرْوَى ، وَيا بنَ أُمِّ حَكِيم .

وقال الوليدُ لبني هاشمٍ لهذا السببِ حين قُتِلَ عثمان رحمه ا لله :

بَنِي هاشم رُدُّو سِلاَحَ ابنِ أختكم ... ولا تُنْهِبُوهُ لا تَحِلُّ مَنَاهِبُهْ

بَني هاشم كيف الهَوَادَةُ بيننا ... وعندَ عليٍّ دِرْعُهُ ونَجَائِبُهْ

هُمُ قَتلوهُ كَيْ يَكُونُوا مكانَه ... كما غَدَرَتْ يومًا بكسْرَى[2] مَرَازِبُهْ[3]

وهذا القول باطلٌ . وكان عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْر إذا ذَكر مَقْتَلَ عثمانَ يقولُ : كان عليٌّ أَتْقَى لِلهِ مِن أنْ يَقْتُلَ عثمانَ ، وكانَ عُثمانُ أَتقى لله مِن أن يَقْتُلَه عليٌّ .

وقال الوليدُ بنُ عُقْبَةَ:

أَلاَ إنَّ خَيْرَ النَّاس بَعْدَ ثَلاَثةٍ ... قَتِيلُ التُّجيبيِّ الذي جاء من مِصْر

وما لِيَ لا أبْكِي وتَبْكِي أقاربي ... وقد حُجِبَتْ عنَّا فُضُولُ أبي عَمْرو[4]

---

(١) كذا وقع ، والصواب :".. كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ". انظر جمهرة أنساب العرب ٧٤-٧٥، وأنساب الأشراف ٤/١/٤٨٠ أفاده محقق (س) .

(٢) يذكر ما كان من قتل شيرويه أباه أبرويز بن هرمز وأعانه عليه مرازبته وهم الفرسان المقدمون ، رغبة الآمل ٦/١٣٦.

(٣)الأبيات فى الأغانى ٥/ ١٣٢.

(٤)البيت من الطويل ، وهو للوليد بن عقبة فى ديوانه ٦٢ ولسان العرب ١/ ٢٨٧، ٢٨٨(جوب) ، والتنبية والإيضاح ١/٥٦، وتاج العروس ٢/ ٥٩(تجب) ، وللكميت فى لسان العرب ١/ ٢٨٧ جول) وليس فى ديوانه ، وبلا نسبة فى مجمل اللغة ١/ ٣٢٢.وينسبان لنائلة بنت الفرافصة زوج عثمان كذا فى رغبة الآمل ٦/١٣٧ .

[قال أبو الحسن: قاتِلُ عليٍّ تَجُوبيٌّ، وقاتِلُ عثمانَ تُجيبيٌّ، وكلاهما من مُرَاد] [(١)].

وقالت الأخْيَلِيَّةُ [(٢)]، أَنْشَدَنِيه الرِّيَاشيُّ عنِ الأَصْمعِيِّ :

أَبَعْدَ عثمانَ تَرْجو الخيرَ أُمَّتُهُ ... وكان آمَنَ مَنْ يمشِي على ساقِ

خَليفَةُ اللهِ أعطاهُمْ وخَوَّلَهُمْ ... ما كانَ من ذَهَبٍ حَوْمٍ وأَوْراقِ

فلا تُكَذِّبْ بوعدِ اللهِ وارْضَ بِهِ ... ولا تَوَكَّلْ على شيءٍ بِإشْفاقِ

ولا تقولَنْ لشيءٍ سَوفَ أَفْعَلُهُ ... قد قَدَّرَ اللهُ ما كلُّ امرئٍ لاقِ

وقال آخرُ :

أَلاَ قُلْ لقوْمٍ شارِبِي كأْسِ عَلْقَمٍ ... بقَتْلِ إمامٍ بالمدينةِ مُحْرِمِ

قَتَلْتُمْ أمِينَ [(٣)] اللهِ في غيرِ رِدَّةٍ ... ولا حَدِّ إِحْصانٍ ولا قَتْلِ مُسْلِمِ

تَعَالَوْا فَفَاتُونا فإن كانَ قَتْلُهُ ... لواحدَةٍ منها فَحِلٌّ لكمْ دَمِي

وإلاَّ فأعْظِمْ بالذي قَدْ أَتَيْتُمُ ... ومَنْ يأْتِ ما لم يَرْضَهُ اللهُ يَظْلِمِ

فلا يَهْنِئَنَّ الشامِيِّينَ مُصابُهُ ... فَحَظُّكُمُ من قَتْلِهِ حَرْبُ جُرْهُمِ

---

(١) قال الشيخ المرصفى :" التجيبى نسبة إلى تجيب اسم امرأة بلفظ المضارع من أجاب إجابة وهى تجيب ابنة ثوبان بن سليم أم عدى وسعد ابنى أشرس بن شبيب-كأمي - بن السكون- بفتح السين- المذحجى منهم قاتل عثمان رضى الله عنه، وهو كنانة بن بشر بن عتاب بن عوف بن حارثة التجيبى فأما التجوبى فمنسوب إلى تجوب بلفظ المضارع من جاب البلاد قطعها وهو لقب كلدة الحميرية الجد الأكبر لعبد الرحمن بن يحيى بن عمرو بن ملجم قاتل على رضى الله عنه ، وإنما لقب به لأنه أصاب دمًا فى قومه فهرب فأتى مراد بن مالك بن أدد فى الزمن الأول فقال : أتيتكم أجوب الأرض فسمى تجوب ذكر ذلك كله سوى اليسير ياقوت فى مقتضبه" رغبة الآمل ١٣٧/٦ .

(٢) ديوانها ق ٢٧/١-٤ ص٩٢ .

(٣) أخذه من قول عثمان وقد اشتد به الحصار مهلا مهلا لا تقتلونى وإنه لا يحل إلا قتل ثلاثة زان بعد إحصان وكافر بعد إيمان أو قاتل نفس بغير حق أما إنكم قتلتمونى وضم السيف على رقابكم ثم لا يرفعه الله عنكم أبدًا (ففاتونا) حاكمونا وفى الحديث أن قوما ما تفاتوا إليه معناه تحاكموا إليه وقال الطرماح أنج بفناء أشدق من عديٍ ومن جرم وهم أهل التفافى .

وأنشدني الرِّيَاشِيُّ عن الأصمعيّ في مثله، [قال أبو الحسن : هذا الشعرُ لابن الغَرِيزَةِ الضَّبِّيِّ] :

لَعَمْـرُ أَبيـكَ فـلا تَذْهَلَـنَّ ... لقـد ذَهَـبَ الخـيرُ إلاَّ قليـلا[1]

وقـد فُتِـنَ النـاسُ في دِينِهـم ... وخلَّـى ابـنُ عَفَّـانَ شَـرًّا طويـلا

ومثله قولُ الراعِي :

قَتلوا ابنَ عَفَّـانَ الخليفـةَ مُحْرِمًـا ... ودَعَـا فلـم أَرَ مِثْلَـهُ مَخْـذُولاَ

فَتفَرَّقَـتْ مِـنْ بعـدِ ذاك عَصَـاهُمُ ... شِقَقًا وأَصْبَحَ سَـيْفُهُمْ مَسلولاَ[2]

قولهُ " مُحْرِمًا " يريد في الشهر الحرامِ ، وكان قُتلَ في أيام التَّشْرِيقِ رحمه ا لله .

وقال أَيْمَنُ بنُ خُرَيْمِ بن فَاتِكٍ الأَسَدِيُّ ، وكانت له صُحْبَةٌ :

تَفـاقَدَ الذَّابِحُـو عُثْمـانَ ضاحِيَـةً ... أيَّ قَتيـلِ حَـرامٍ ذُبِّحُـوا ذَبَحُـوا[3]

ضَحَّـوْا بعثمـانَ في الشَّـهْرِ الحَـرامِ ولم ... يَخْشَوْا على مَطْمَحِ الكَفِّ الَّذِي طَمَحُـوا

فـأيَّ سُـنَّةِ جَـوْرٍ سَـنَّ أَوَّلُهُـمْ ... وبـابِ جَـوْرٍ علـى سُـلْطانِهِمْ فَتَحُـوا

مـاذا أرادوا أَضَـلَّ ا لله سَـعْيَهُمُ ... مِن سَفْحِ ذاك الدَّمِ الزاكِي الذي سَفَحُوا

فاسْـتَوْرَدَتْهُمْ سُـيوفُ المسـلمينَ علـى ... تَمَـامِ ظِـمْءٍ كمـا يُسْـتَوْرَدُ النَّضَـحُ

---

(١) بهامش نسخة ما نصه :" قال القتبى " هو لهمام [كذا ، والصواب : لهميم] بن صعصعة [عم] الفرزدق الذى سمى الفرزق باسمه" اهـ . انظر الشعر والشعراء ٤٧٢، والبرصان للجاحظ ١٢١-١٢٢، ونسب فى أنساب الأشراف ٥٩٩/١/٤ لإهاب بن همام بن صعصعة ؟ ولابن الغريزة ولعلى بن الغدير بن المضرس الغنوى . ونسب إلى الحتات بن يزيد المجاشعى عم الفرزدق . انظر رغبة الآمل ١٣٩/٦ .وفى الأصل : فلا تعجلان .

(٢)البيتان من الكامل ، وهما للراعى النميرى فى ديوانه ٢٣١، وجمهرة اللغة ٥٢٢، وتهذيب اللغة ٥/ ٤٥، وأساس البلاغة (حرم) ولسان العرب ١٢/ ١٢٣(حرم) ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ٧٥١، وتاج العروس (حرم) ، وبلا نسبة فى مقاييس اللغة ٤٥/٢، ومجمل اللغة ٢/ ٤٩، والمخصص ٣٠٠/١٢، وراجع المزيد من مصادر البيت فى ديوانه ٢٣١ -٢٣٢.

ورواية البيت

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما ... ودعا فلم أر مثله مقتولا

(٣) فى الأصل : ويلهم ذبحوا .

إنَّ الذيـــن تولَّـــوْا قَتْلـــهُ سَـــفَهًا لَقُــوا أثَامًــا وخُسْــرانًا ومــا رَبِحُــوا

قولُه " ضَحَّوْا بعثمان " إنما أصلُه فُعِلَ في الُضحَى ، وقال زهيرٌ :

ضَحَّوْا قليــلاً قَفــا كُثْبــانِ أَسْنُمَةٍ ومنهــمُ بالقَسُــومِيَّاتِ مُعْــتَرَكُ[1]

أي نزلوه ضُحىً ، ويقال " بَيَّتُوا ذاك " أي فَعَلُوهُ ليلاً ، قال ا لله جلَّ وعزَّ : ﴿ إذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ القَوْلِ ﴾ [2]، وأنشد أبو عبيد ةَ [3]:

أَتَوْنِــي فلــم أَرْضَ مــا بَيَّتُــوا وكــانوا أَتَوْنِــي بــأَمْرٍ نُكُــرْ

لأُنْكِــحَ أَيِّمَهُــمْ مُنْــذِرًا وهــل يُنْكِـحُ العبــدَ حُــرٌّ لِحُــرْ[4]

وقولُه : في سَفْحِ ذاكَ الدَّمِ الزاكي الذي سَفَحُوا

أي في صَبِّ ذاك الدمِ[5]، يقال:"سَفَحْتُ دَمَهْ وسَفَكْتُ دَمَه " ، قال ا لله تعالى : ﴿ إلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾[6] .

وقولُه " على تَمَامِ ظِمْءٍ " ، فهذا مَثَلٌ ، وأصلُ " الظِّمْءِ " : أنْ تشربَ الإبلُ يومًا ثم تَغِبَّ يومًا [7]لا تَرِدُ ، فما بين الشَّرْبتين ؟ "ظِمْءٌ " ، ثمَّ يكون الظِّمْءُ يومين ، فيقال له " الرِّبْعُ " كما يقال في الحُمَّى ؛ لأنهم يَعْتَدُّون بيَوْمَيْ شُرْبِها ، و " الخِمْسُ " أن تَظْمَأَ ثلاثة أيامٍ . و " النَّضَحُ " الحَوْضُ .

---

(١) ديوانه ق ٩/٤ ص١٢٨ . ويروى : وعرسوا ساعة فى كثب أسنمة.

(٢)سورة النساء : ١٠٨.

(٣) فى مجاز القرآن ١٣٣/١ونسبهما لعبيدة بن همام أحد بنى العدوية . وسيأتى البيتان .

(٤)البيت من المتقارب ، وهو للأسود بن يعفر فى ديوانه ٦٧ ولسان العرب ٥/ ٢٣٤(نكر) ، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٢١٨ وتاج العروس ١٤/ ٢٨٧(نكر) ، وبلا نسبة فى كتاب العين ٨:١٣٧، والمخصص١٢/١٧، وديوان الأدب ١/ ٢٦١، ٤٣٥/٣، والكامل ٩٢٠، ١٠٧٧.

ورواية البيت :-

أتونى فلم أرضَ ما بيتوا وكانوا أتونى بشيء نكر

(٥) فى نسخة : الدم الزاكى .

(٦) سورة الأنعام :١٤٥

(٧)قال الشيخ المرصفى :" كان الأجود أن يقول : ثم يوماً ، وذلك أن الغب بالكسر ورد يوم وظمء آخر وليس معناه ترك الشرب فقط .." رغبة الآمل ١٤١/٦.

والأَثَامُ " : الهَلاَكُ : قال ا لله عَزَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾[1] . ثـم فَسَّرَ فقال:﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيـهِ مُهَانًـا﴾[1]فجـزم " يُضَـاعَفْ "؛ لأنه بدلٌ من قوله ﴿ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ إذْ كان إيّاه في المعنى ، وأنشد أبو عُبيدةَ :

جَـزَى ا لله ابـنَ عُـرْوَةَ إذْ لَحِقْنَـا عُقُوقًـا[2] والعُقُـوقُ مـن الأَثَـامِ[3]

وقوله " على مَطْمَحِ الكَفِّ " يقول : على رَفْعها وإبْعادِهـا ، يقـال"طَمَـحَ بَصَـرُه" إذا ارتفع وأَبْعَدَ النَّظَرَ ، قال امرؤُ القيس :

لقد طَمَحَ الطَّمَّاحُ[4] من بُعْدِ أَرْضِـهِ لِيُلْبِسَـنِي مِـن دَائِـهِ مَـا تَلَبَّسَـا[5]

* * *

(١)سورة الفرقان ٦٩.

(٢)(عقوقا) :(بفتح العين) يريد ولدًا يعقه . رغبة الآمل .

(٣)البيت من الوافر ، وهو لشافع الليثي في لسان العرب ١٢/ ٦(أثم) ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ١٥/١٦١ ورواية البيت :-

جزى ا لله ابن عروة حيث أمسى عقوقًا ، والعقوق له أثامُ

(٤) الطماح : ذكر ياقوت أنه ابن قيس بن طريف بن عمرو بن قعين بالتصغير ابن الحرث بن ثعلبة ابن دودان بن أسد بن خزيمة وكان امرؤ القيس قتل أخاله فذهب وراءه لما علم أنه يريد أن يستنجد بقيصر على قتله أبيه فأقام مستخفيا حتى سار بجيش قيصر الذى ضمه إليه فاحتال حتى وصل الى قيصر فقال له إن امرأ القيس غوى عاهر وإنه لما انصرف ذكر أنه كان يراسل ابنتك ويواصلها وهو قائل فى ذلك أشعارا يشهرها بها فى العرب فيفضحها ويفضحك فبعث إليه بحله منسوجه بالذهب مسمومة وقال لرسوله قل له إنى أرسلت إليك بحلتى التى كنت ألبسها تكرمة لك فسر بها ولبسها فأسرع فيه السم فتساقط جلده ولذلك سمى بذى القروح .

(٥)ديوانه صـ ٨٧ .

باب

قال أبو العباس : وهذا بابٌ طريفٌ نَصِلُ به هـذا البـابَ الجامعَ الـذي ذكرنـاه ، وهو بعضُ ما مَرَّ للعربِ من التشبيه المُصيبِ ، وللمُحْدَثِينَ بعدَهم .

فأَحْسَنُ ذلك ما جاء بإجماع الرُّواةِ : ما مَرَّ لامـرئ القيسِ في كـلام مختصـرٍ ، في بيتٍ واحدٍ ، من تشبيه شيءٍ في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين ، وهو قولُه :

كأنَّ قلوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا ويابسًا ... لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ والحَشَفُ البَالِي[1]

فهذا مفهومُ المعنىَ ، فإن اعترضَ معترضٌ فقال : فهَـلاَّ فَصَـلَ فقـال : كأَنَّـه رَطْبًـا العُنَّابُ وكأنَّهُ يابسًا الحَشَفُ ؟ قيلَ له:العربيُّ الفصيحُ اللَّقِنُ الفَطِنُ يَرْمِي بالقولِ مفهومًـا ، ويَرَى ما بعدَ ذلك من التكرير عِيًّا ، قـال الله جلَّ وعَـزَّ ، ولـه المَثَلُ الأَعْلَى : ﴿ **وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لكمُ اللَّيْلَ والنَّهارَ لِتَسْكُنُوا فيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ** ﴾ [2]علْمًا بأن المخاطَبِينَ يَعْلَمُونَ وقتَ السُّكون ووقتَ الاكتساب [3] .

ومن تمثيلِ امرئ القيس العجيب قولُه [4]:

كـأنَّ عُيـونَ الوَحْـشِ حَـوْلَ خِبائنـا ... وأَرْحُلِنَـا الجَـزْعُ الـذي لم يُثَقَّـبِ[5]

ومن ذلك قولُه:

إذا مـا الثُّرَيَّـا في السَّـماءِ تعَرَّضَـتْ ... تَعَـرُّضَ أَثْنَـاءِ الوِشَـاحِ المُفَصَّـلِ[6]

---

(١)البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس فى ديوانه ٣٨، وشرح التصريح ١/ ٣٨٢، وشرح شواهد المغنى ١/ ٣٤٢، ٢/ ٥٩٥، ٨١٩ ، والصاحبى فى فقه اللغة ٢٤٤ ، ولسان العرب ١/ ٢٠٦ (أدب) والمقاصد النحوية ٣/٢١٦، والمنصف ٢/ ١١٧، وتاج العروس (بال) ، وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر ٦٤/٧ وأوضح المسالك ٢/٣٢٩، ومغنى اللبيب ١/ ٢١٨ ، ٢/ ٣٩٢،٤٣٩.

(٢)سورة القصص : ٧٣ .

(٣) فى بيت امرئ القيس وفى الآية فن من البديع معروف يقال له اللف والنشر ، وله أقسام معروفـة بالنظر إلى كونه مرتبا أو غير مرتب . انظر البديع وفن الفصاحة للطيبى وهو القسم الثانى مـن كتـاب التبيان له بتحقيقى ط المكتبة التجارية بمكة المكرمة .

(٤) والجزع : خرز أسود مجزّع ببياض . عن الديوان .

(٥)البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس فى ديوانه ٥٣، ولسـان العرب ٨/٤٨(جـزع) ، وأسـاس البلاغة ٥٨(جزع) ، وكتاب العين ١/٢١٦، وتاج العروس ٢٠/ ٤٣٤(جزع) .

(٦)البيت من الطويل، وهو لامرئ القيس فى ديوانه ١٤، صـ٩٢٣،ولسان العرب ٧/ ١٦٩ (عرض) ، وتهذيب اللغة ١/٤٢٦، ١٥/١٣٦ وتاج العروس ١٨/٤١٩(عرض) ،وأساس البلاغة (ثنى) وبلا نسبة فى لسان العرب ١٤/١١٥ (ثنى) ، وتاج العروس (ثنى) .

وقد أكثروا في الثُّرَيَّا فلم يأتوا بما يقارِبُ هذا المعنى،ولا بما يقاربُ سُهولةَ هذه الألفاظِ.

ومن أعجب التشبيه قولُ النابغةِ:

فإنَّكَ كالليلِ الذي هو مُدْرِكِي وإنْ خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأَى عنكَ واسِع[1]

وقولُه :

خَطاطِيفُ حُجْنٌ[2] في حِبَالٍ مَتينةٍ تَمُدُّ بها أَيْدٍ إليك نَوَازِعُ[3]

وقولُه :

فإنكَ شمس والملوكُ كواكبٌ إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منهنَّ كوكبُ[4]

ومن عجيب التشبيه قولُ ذي الرُّمَّةِ :

وَرَدْتُ اعْتِسَافًا[5] والثُّرَيَّا كأنها على قِمَّةِ الرأسِ ابنُ مَاءٍ مُحَلِّقُ[6]

وقولُه :

فجاءت بِنَسْجِ العَنْكبوتِ كأنَّه على عصَوَيْها سَابِرِيٌّ مُشَبْرَقُ[7]

وتأويلُه أنَّه يَصِفُ ماءً قديمًا لا عَهْدَ له بالوَارِدَةِ ، فقد اصْفَرَّ واسْوَدَّ ، فقال :

---

(١)البيت من الطويل ،وهو للنابغة الذبيانى فى ديوانه ص ٣٨ ولسان العرب ٤/ ٥٠٧ (طور) ، ١٥/ ٣٠٠(نأتى) ،وكتاب العين ٨/ ٣٩٣، وتاج العروس (نأى) ،وبلا نسبة فى مقاييس اللغة ٥/ ٣٧٨، ومجمل اللغة ٤/ ٣٦٨

(٢) الخطاطيف جمع خطاف وهو حديدة حجناء معطوفة الرأس ونوازع جواذب يقول لك خطاطيف أجَرُّ بها إليك فليس عنك مهرب ، رغبة الآمل ٦/ ١٤٦.

(٣)البيت من الطويل ،وهو للنابغة الذبيانى فى ديوانه ص٣٨ ولسان العرب ٩/ ٧٧ (خطف) ، ١٥/ ١٩١(قعا) ، وجمهرة اللغة ص ٦٠٩ ،١٢٣١، وتهذيب اللغة ٧/ ٢٤٤،وتاج العروس ٢٣/ ٢٢٨ (خطف) ، (حبل).

(٤)دوانه صـ ٢٨ .

(٥)(اعتسافًا): السير على غير هدى رغبة الآمل ٦/ ١٤٧.

(٦)البيت من الطويل ، وهو لذى الرمة فى ديوانه ص ٤٩٠، وأدب الكاتب ١٩٢، الأضداد ١٥٤، وجمهرة اللغة ١٦٤، ٩٧٨، وخزانة الأدب ١١/ ٤٩، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٤٨٩ ، والكتاب ٢/ ٩٩ ، ولسان العرب ٩/ ٢٤٥(عسف) ، ١٠/ ٦٤(حلق) وبلا نسبة فى لسان العرب ١٢/ ٤٩٤(قمم) ، والمقتضب ٤/ ٧٤، وتاج العروس (قمم) .

(٧)البيت من الطويل ، وهو لذى الرمة فى ديوانه ٤٩٦ ولسان العرب ٤/ ٣٤١(سبر) ، ١٠/ ١٧١(شبرق) ،١٥/ ٦٧(عصا) ، وتهذيب اللغة ٩/ ٣٨١، وكتاب العين ٢/ ١٩٧وبلا نسبة فى مقاييس اللغة ٤/ ٣٣٥، والمخصص ٤/ ٦٤.

وماءٍ قَديمِ العَهْدِ بالنّاسِ آجِنٍ كأنَّ الدَّبى ماءَ الغَضَا فيه يَبْصُقُ[1]

وقد أجاد عَلْقمةُ بنُ عَبَدَةَ في وصفِ الماءِ الآجنِ ، حيث يقولُ:

إذا وَرَدَتْ ماءً كأنَّ جمامَهُ مِن الأَجْنِ حِنّاءٌ مَعًا وصَبِيبُ[2]

وقال ذو الرُّمَّةِ في وصفِ هذا الماءِ ، فَقَرَنَ بتغيُّره بُعْدَ مَطْلَبِهِ ، فقال :

فَأَدْلَى غُلامِي دَلْوَهُ يَبْتَغِي بها شِفاءَ الصَّدَى واللَّيْلُ أدْهَمُ أَبْلَقُ[3]

يريد أنَّ الفَجْرَ قد نَجَمَ فيه . فجاءَتْ ـ يعني الدَّلْوَ ـ " بنَسْجِ العنكبوت كأنّه على عَصَوَيْها سَابريٌّ مُشَبْرَقُ"[4]. و " السَّابِرِيُّ " : الرقيقُ من الثّيابِ والدُّرُوعِ . و" المُشَبْرَقُ " المُمَزَّق ، وأنشد أبو زيد:

لَهوْنا بسِرْبالِ الشَّبابِ مَلاوَةً[5] فَأَصْبَحَ سِرْبالُ الشَّباب شَبارِقَا[6]

* * *

---

(١)سبق البيت وفى نسخة : بالإنس آجن . وفى بعض النسخ " تبصق".آجن من أجن الماء إذا تغير واصفر أو اخضر ، والدبى: الجراد ، يقول : كأن ا لجراد بصق فى هذا الماء مما أكل من الغضى وماء الغضى أخضر أسود عن الديوان. ورسم فى النسخ " الدبا " .

(٢)البيت فى ديوانه ق ١/٢١ ص ٤٢ وله رواية

فأوردتها ماء كأن جمامهُ من الأجن حناء معًا وصبيبُ

البيت من الطويل ،وهو لعلقمة بن عبدة فى ديوانه ٤٢، ولسان العرب ٥١٨/١ (صبب)،٨/١٣(أجن) وكتاب العين ١٨٣/٦، وديوان الأدب ٧٣/٣ ،وشرح اختيارات المفضل ١٥٨٥،وتاج العروس ٣/ ١٨٠(صبب) ،(أجن) وتهذيب اللغة ١١٢/١٢، وبلا نسبة فى كتاب العين ٧/ ٩٠، ومجمل اللغة٢٢١/٣، ومقاييس اللغة ٢٨٠/٣.

(٣)البيت من الطويل ،وهو لذى الرمة فى ديوانه ٤٩٥، وأساس البلاغة (شفى) .

(٤) أورد فى نسخة البيتين بتمامهما وجاء عقبهما " فجاءت يعنى الدلو . والسابرى .." ، ولم يرد فيه " يريد ...فيه ".

(٥)(ملاوة): مثلث الميم وهى البرهة والحين من الدهر . رغبة الآمل ١٤٨/٦.

(٦) البيت من الطويل ، وهو للأسود بن يعفر فى ديوانه٥٢ ، ولسان العرب ١٧١/١٠(شبرق) ،وتاج العروس ٤٧٨/٢٥(شبرق) .

وله رواية :

لهوت بسربال الشباب ملاوةً فأصبح سربالُ الشباب شبارقا

ومن التشبيه العجيبِ قولُ ذي الرُّمَّةِ في صفة الظَّلِيم [1]:

شَخْتُ الجُزَارَةِ مِثْلُ البيتِ سائِرُه ... مِن المُسوحِ خِدَبٌّ شَوْقَبٌ خَشِبُ [2]

" الشَّخْتُ " الضَّئيل اليابسُ الضَّعِيفُ، و " الجُزَارَةُ " القَوَائِم . وقولُه " مِثْلُ البيتِ سائِرُه مِن المُسُوحِ "يعني [3]:إذا مَدَّ جَنَاحَيْهِ،وإنما أَخَذه من قول علقمةَ بنِ عَبَدَةَ:

صَعْلٌ كَأَنَّ جَناحَيْهِ وجُؤْجُؤَهُ [4] ... بيتٌ أَطافَتْ به خَرْقاءُ مَهْجُوم [5]

" الصَّعْلُ " الصغيرُ الرأسِ : و " الخَرْقَاءُ " : التي لا تُحْسِنُ شيئًا ، فهي تُفْسِدُ ما عَرَضَتْ له ؛ قال الحُطَيْئَةُ [6]:

هُمُ صَنَعُوا لِجَارِهِم وليستْ ... يَدُ الخرقاءِ مِثْل يَدِ الصَّنَاعِ [7]

و " المهجومُ " المهدُومُ . وفي الخبرِ أنَّه لما قُتِلَ بِسْطامُ بنُ قَيْسٍ لم يَبْقَ في بكرِ بن وائلٍ بيتٌ إلا هُجِمَ ، أي هُدِمَ . و " الخِدَبُّ " : الضَّخمُ . و " الشَّوْقَبُ " . الطويلُ . و " الخَشِبُ " الذي ليس بلَيِّنٍ .

ومن التشبيه المُصِيبِ قولُه في صفةِ رَوْضَةٍ :

قَرْحَاءُ حَوَّاءُ أَشْرَاطِيَّةٌ وَكَفَتْ ... فيها الذِّهَابُ وحَفَّتْها البرَاعِيمُ [8]

---

(١) فى الأصل : ظليم .

(٢)البيت من البسيط ، وهو لذى الرمة فى ديوانه ١١٥، ولسان العرب ٢/ ٥١(شخت)، ٤/ ١٣٥(جزر) وتهذيب اللغة ٥/٤٠٦، ٧/٧٧ ، ١٠/ ٦٠٤، وكتاب العين ١٣/ ٣٧٠ ، ٥/ ٤٦، ٦ /٦٢، وتاج العروس ٤/ ٥٨٠ (شخت) وجمهرة اللغة ٢٩٠، وجمهرة أشعار العرب ٩٦٢ وسمط اللآلى ٤٥٤، وبلا نسبة فى لسان العرب ١/ ٧٨٦(شقب) وكتاب العين ٤/١٦٧، وجمهرة اللغة ٣٨٨ ، وتاج العروس ٤/ ٣٩٨(شقب) .

(٣) فى الأصل :" يقول "وبهامشه :" وعليه " ع " يعنى رواية أبى على .

(٤)الجؤجؤ : مرّ تفسيره وهو الصدر أو مجتمع رؤوس عظامه .

(٥)البيت من البسيط ، وهو لعلقمة بن عبدة فى ديوانه ٦٣، وكتاب العين ٣/ ٣٩٥ ، ولسان العرب ١٢/٦٠١ (هجم) ، وتاج العروس (هجم) ، وبلا نسبة فى جمهرة اللغة ٤٩٦، والمخصص ٩/٨٧، وكتاب العين ٤ / ١٥٠ وديوان الأدب ٢/ ١٣٥، ولذى الرمة فى ملحقات ديوانه ١٩١١، ولسان العرب ١٠/ ٧٥ (خرق) ، وتهذيب اللغة ٧/ ٢٣، وتاج العروس (خرق) .

(٦) ديوانه ق١٨/٥ ص٦٢ . وفيه :" هم صنعٌ لجارهم " .

(٧) فى نسخة : لجارتهم .

(٨)ديوانه ق ١٢/٢٦ج١/٣٩٩.

" قَرْحَاءُ " يريدُ الأَنْوَارَ [١]. وقوله " حَوَّاءُ " يقولُ : تَضْرب إلى السَّوَادِ لشدةِ رِيِّها وخُضْرَتِها وكذلك المفسرون يقولون في قول الله جلَّ وعزَّ : ﴿ **مُدْهَامَّتَان** ﴾ [٢] : تَضْرِبانِ إلى الدُّهْمَةِ ، لشِدَّةِ خُضْرَتِهما وريِّهما .

وقوله " أشْرَاطِيَّةٌ " : ليس مما قَصَدْنا له [٣]، ولكنّه مما يَجْري ، فَنُفَسِّرُهُ ، ومعناه : مُطِرَتْ بِنَوءِ الشَّرَطَيْنِ [٤] .

وحدثني الزِّياديُّ قال : سمعتُ الأصمعيَّ ، وسُئِلَ بحَضْرَتي ، أو سألتُه عن قوله " أشراطية " ؟ فقال : باسْتِهِ واسْتِ عِرْسِه ! وذاكَ أنَّ الأصمعيَّ كان لا يُنْشِدُ ولا يَفَسِّرُ ما كان فيه ذِكْرُ الأَنْوَاءِ ، لقولِ رسولِ الله ﷺ : " **إذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فأَمْسِكُوا** "[٥] ؛ لأنَّ الخبرَ في هذا بعينِه ، "مُطِرْنا بِنَوءِ كَذَا وكذا"[٦].وكَان لا يُفسِّرُ ولا يُنْشِدُ شعرًا فيه هِجاءُ

---

(١) أنوار جمع نَوْر .

(٢)سورة الرحمن : ٦٤ .وانظر تفسير ابن كثير ٧/٤٨١-٤٨٢ ، والقرطبي ١٧/١٨٤-١٨٥، وتفسير غريب القرآن ٤٤٢ .

(٣) ليس في الأصل .

(٤) مثنى شرط "بالتحريك" وهما من الحمل قرناه وبعض العرب يعد معهما كوكبًا صغيرًا في جانب الشمالى منهما , ويسميها الأشراط . عن رغبة الآمل ٦/١٥١.

(٥)الحديث " صحيح" أخرجه الطبرانى فى "الكبير" ،وأبو نعيم "فى الحلية" كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود ، وأخرجه ابن عدى من حديث ثوبان ، وأخرجه ابن عدى أيضًا من حديث ابن عمر وللحديث شاهد أخرجه عبد الرزاق فى "الأمالى " عن طاوس عن أبيه مرفوعًا به ،وأورده السيوطى فى " الجامع الصغير " وعزاه لابن عدى عن عمر ، وقال الشيخ الألبانى:" لم أره عنده عن عمر ، بل عن ابنه عبد الله بن عمر ، فلعله سقط من قلم السيوطى أو بعض النساخ كلمة (ابن) . وانظر صحيح الجامع(ح٥٤٥) ، وراجع الصحيحة (ح٣٤) .

(٦) أخرجه مسلم فى صحيح (كتاب الإيمان) ، باب : كفر من قال مطرنا بالنوء برقم (٧١) من حديث زيد بن خالد الجهنى قال :"صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية فى إثر سماء كانت من الليل . فلما انصرف أقبل على الناس فقال :" هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم .قال : قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب ".

وأخرج بنحوه البخارى برقم (٨٤٦) فى كتاب "الأذان " - باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم وبرقم (١٠٣٨) فى كتاب "الاستسقاء":باب قول الله تعالى:﴿ **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** ﴾ وبرقم (٣١٤٧) فى " كتاب المغازى " -باب غزوة الحديبية -وقول الله تعالى ﴿ **لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** ﴾ .

وكان لا يفسِّرُ شعرًا يوافقُ تفسيرُه شيئًا من القرآن وسُئلَ عن قول الشَّماخِ :

طَوَى ظِمْأَها في بَيْضَـةِ القَيْـظِ بعدَمَـا ... جَرَى في عِنَان الشِّعْرَيَيْن الأَمَـاعِزُ[1]

فأَبَى أن يفسرَ " في عِنان الشِّعْرَيَيْن " .

وقوله:" الذِّهَابُ " فهي الأَمْطارُ اللَّيِّنَةُ الدائمة ، ويقالُ إنها أَنْجَعُ المطرِ في النَّبْتِ ، وكذلك " العِهاد" وأنشدَ الأصمعيُّ :

أمـيرٌ عَـمَّ بـالمعْرُوفِ حتـى ... كَـأَنَّ الأرضَ جَلَّلهَـا العِهَـادُ

و " البَرَاعِيمُ " واحدها " بُرْعُومَةٌ " وهي أَكِمَّةُ الرَّوْض قبلَ أن تَنْفَتِقَ ، يقال لواحدها " كُمٌّ " و " كِمَامٌ " ، فمن قال : " كِمَامٌ " فجمعُه " أكِمَّةٌ " مثلُ " صِمام وأصِمَّةٍ " و" زمام وأَزِمَّةٍ " ومن قال : "كُمٌّ " فالجماعُ " أكْمامٌ "، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿والنَّخلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ ﴾ [2].

ومن ذلك قولُ الآخَرِ ، أَحسِبُه تَوْبَةَ بنَ الحُمَيِّرِ [قال أبو الحسن : يقالُ إنه لمجنون بني عامر ، وهو الصوابُ] :

كَـأَنّ القلـبَ ليلـةَ قِيـلَ يُغْـدَى ... بلَيْلَـى العامِريَّـةِ أو يُـراحُ

قَطـاةٌ عَزَّهـا[3] شَـرَكٌ فبـاتَتْ ... تُجَاذِبُـهُ وقـد عَلِـقَ الجَنَـاحُ[4]

(فهذا غاية الاضطراب) وقد قال الشعراء قبله وبعده فلم يبلغوا هذا المقدار .

وقال الشَّيْبَانِيُّ للحَجَّاج :

هَـلاَّ بَـرزْتَ إلى غَزَالَـةَ في الوغَـى ... بل كَـان قَلْبُـكَ في جَنـاحَيْ طـائر[5]

فهذا يجوزُ أن يكونَ في الخَفَقَانِ وفي الذَّهابِ البَتَّةَ .

* * *

---

(١)البيت من الطويل ، وهو للشماخ فى ديوانه ١٧٥، ولسان العرب ١٢٧/٧(بيض) ، وكتاب العين ٩٠/١ ومقاييس اللغة ١٩/٤، وأساس البلاغة ٣٤(بيض)، وجمهرة اللغة ٨٢٥، وتاج العروس ٢٦٩/١٨ (بيض) ، (عنن) وبلا نسبة فى لسان العرب ١٣/ ٢٩١(عنن) ، وتهذيب اللغة ١/ ١١٠، ١٢/ ٨٩ .

(٢) سورة الرحمن :١١

(٣) (عزها) : غلبها وقهرها . رغبة الآمل .

(٤)البيت الأول والثانى فى الأغانى ٢/ ٤٥. وهذا النوع من التشبيه يقال له التشبيه التمثيلى وهو تشبيه صورة بصورة ، وحالة بحالة ، وهيئة بهيئة ؛ وهو من أجود أنواع التشبيه وأروعه

(٥) بهامش نسخة ما نصه :"غزالة هذه امرأة شبيب الخارجى، لما قتل قامت مقامه فى عسكرها .وقيل البيت:

أسد علي وفى الحروب نعامة ... ربداء تنفر من صفير الصافر

هلا برزت ... البيت

ومن التشبيه المحمودِ قولُ الشاعر :

طَلِيـــقُ الله لم يَمْنُـــنْ عليـــه ... أبـــو داوُدَ وابـــنُ أبـــي كَثِـــيرِ

ولا الحَجَّـاجُ عَيْنَـيْ بِنْـتِ مَـاءٍ ... تُقَلِّـبُ طَرْفَهـا حَـذرَ الصُّقُـورِ[1]

وهذا غاية في صفة الجبان .

ونَصَبَ " عَيْنيْ بنتِ ماء " على الذَّمِّ ، وتأويلُه : أنه إذا قال : " جاءني عبدُ الله الفاسقَ الخبيثَ " فليس يقولُه إلاَّ وقد عرفهُ بالفِسْـقِ والخُبْـثِ ، فَنَصَبَه " بـأعْني "[2] ومـا أشبَهه من الأفعالِ ، نحو " أَذْكُرُ " وهـذا أبلغُ في الـذم ، أن تُقيمَ الصفـة مقـامَ الاسـم ، وكذلك المدحُ ، وقولُ الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَالْمُقِيمِينَ الصَّـلاَةَ** ﴾ بعـدَ قولـه : ﴿ **لكِـنِ الرَّاسِخونَ فِي العِلْمِ مِنْهُم** ﴾[3] إنما هو على هذا[4]. ومَنْ زعم أنَّه أرادَ " ومِـنَ المقيمـين الصَّلاةَ " فمخْطئ في قول البصريين؟ لأنَّهم لا يَعْطِفون الظاهرَ علـى المضمـرِ المخفـوضِ ، من أجازه من غيرهم فعلى قُبْحٍ ، كالضَّرورة، والقرآنُ إنما يُحْمَلُ على أشـرفِ المذاهـبِ ، وقرأ حمزةُ : ﴿ **الَّذي تَسَّاءَلُونَ بِـهِ والأَرْحَـامِ** ﴾[5]. وهـذا ممـا لا يجوز عندنـا[6]، إلاَّ أن يُضْطَرَّ إليه شاعرٌ ، كما قال[7] :

---

(١)البيتان من الوافر ، وهما لإمام بن أقزم النميرى فى البيان والتبيين ١/ ٣٨٦ ، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٧ وبلا نسبة فى الكتاب٢/ ٧٣، ولسان العرب١٠ / ٢٢٧(طلق) (البيت الأول فقـط) ، (وفيـه" كبير" مكان " كثير") .

(٢) فى الأصل :بإضمار أعنى .

(٣) سورة النساء :١٦٢

(٤) انظر الكتاب ١/٢٤٨-٢٤٩، والبحر ٣/٣٩٥-٣٩٦. وانظر ما سلف .

(٥) سورة النساء :١. وقراءة والأرحام بالجر هى قراءة حمـزة مـن السبعة وهـى أيضًـا قـراءة النخعـى وقتادة والأعمش وقرأ الجمهور ﴿والأرحـام﴾ بـالنصب . انظـر السبعة لابـن مجـاهد ٢٢٦ ، وحجـة القراءات ١٨٨ ، والكشف لمكى ١/٣٧٥، والبحر ٣/١٥٧ ، وتفسـير القرطبى ٥/٢ وتفسـير غريـب القرآن ١١٨. وفى بعض النسخ بعد الآية : " بالجر " .

(٦) حكى الفارسى أن أبا العباس المبرد قال:لـو صليـت خلـف إمـام يقـرأ ﴿ والأرحـام﴾ أى بالكسـر لأخذت نعلى ومضيت. وقال القرطبى:"فأما البصريون فقال رؤساؤهم:هو لحـن لا تحـل القـراءة بـه . وأما الكوفيون فقالوا : هو قبيح و لم يزيدوا على هذا و لم يذكروا علة قبحه". وانظـر تفصيـل ذلـك فـى تفسير القرطبى والبحر . قلت : ولا معنى لاستقباحه وقد صحت القراءة به ، فالقرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه .

(٧)البيت من شواهد الكتاب١/٣٩٢، والخزانة ٢/٣٣٨، و لم يعرف له قائل .وانظر المصادر السالفة .

فـاليومَ قَرَّبْـتَ تَهجونَـا وتَشْـتِمُنا　　　فاذْهَبْ فما بكَ والأيَّامِ مـن عَجَـبِ

وقـرأ عيسى بنُ عُمـر : ﴿ وامْرَأَتُـهُ حَمَّالَـةَ الحَطَـبِ ﴾[1] أرادَ : وامرأتُـهُ ﴿ في جيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾ فنصبَ " حَمَّالَةَ " عَلَى الذمِّ . ومن قـال إنما " امرأتُـهُ " مرتفعـةٌ بقوله : ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذاتَ لَهَبٍ ﴾ فهو يجوزُ ، وليس بالوجه أن يُعْطَفَ المُظْهَرُ المرفوعُ على المضمر حتى يُؤكِّدَ ، نحو ﴿ فـاذْهَبْ أنْـتَ وَرَبُّـكَ فَقَـاتِلاَ ﴾ : و : ﴿ اسْكُنْ أَنْـتَ وَزوْجُكَ الجَنَّةَ ﴾ . فأمَّا قولُه : ﴿ لَوْ شَـاءَ ا الله مَـا أَشْـرَكْنَا وَلاَ آباؤُنـا ﴾ فإنَّـه لَّما طـالَ الكلامُ وزِيدَتْ فيه " لا " احتَملَ الحذفَ [2]. وهذا على قُبْحِهِ [3]جائِزٌ في الكـلام ، أعنِـي : ذهبتُ وزيدٌ وأَذْهَبُ وعمروٌ قال جَرِيرٌ:

ورَجَـا الأُخَيْطِـلُ مـن سَـفاهَةِ رَأْيِـهِ　　　مَـا لم يَكُـنْ وأبٌ لَـهُ لِيَنَـالاَ[4]

وقال ابنُ أبي ربيعةَ:

قُلْـتُ إذ أَقْبَلَـتْ وزُهْـرٌ تَهَـادَى　　　كَنِعَـاجِ المَـلاَ تَعَسَّـفْنَ رَمْـلاَ[5]

ومِمَّا يُنصبُ على الذمِّ قولُ النابغةِ الذُّبْيَانِيِّ :

لَعَمْرِي ومـا عَمْـرِي علـيَّ بِهَيِّـنٍ　　　لقـد نَطَقَـتْ بُطْـلاً علـيَّ الأَقَـارِعُ

---

(١) سورة المسد:٤. وسلف التعليق على القراءة .

(٢) أنظر الكتاب ١/٣٩٠ .

(٣)يقصد المبرد استقباح العرب لذلك بمعنى ندرته فى لغتهم وقلة شيوعه لديهم ، ولكن مهما اعتذرنا له ، فاللوم طائله لامحالة ؛ إذ أى قبح فيه وقد جاء به القرآن الكريم وذكر شـاهده فيـه ، أفـلا يكـون ذلك كافيا لاستحسانه؟!

(٤)البيـت مـن الكـامل ، وهـو لجريـر فـى ديوانـه ٧٥، والـدرر ٤٩/٦ وشـرح التصريـح ٢/ ١٥١، والمقاصد النحوية ٤/ ١٦٠ ، وبلا نسبة فى الإنصاف ٢/ ٤٧٦، وأوضح المسالك ٣/ ٣٩٠ ، وشرح الأشمونى ٢/ ٤٢٩، والمقرب ١/ ٢٣٤، وهمع الهوامع ٢/ ١٣٨ .

(٥)البيت من الخفيف ، وهو لعمر بن أبـى ربيعـة فـى ملحـق ديوانـه ٤٩٨، وشـرح أبيـات سـيبويه ٢/ ١٠١، وشرح عمدة الحافظ ٦٥٨ ، وشـرح المفصـل ٨٦/٣ ، واللمـع ١٨٤، والمقـاصد النحويـة ٤/ ١٦١، وبـلا نسبة فـى الإنصـاف ٢/ ٧٩، والخصـائص٣٨٦/٢، وشـرح الأشمونـى ٢/ ٤٢٩ ، وشرح ابن عقيل ٥٠١ والكتاب ٢/ ٣٧٩ .

وله رواية :-

قلت إذ أقبلت وزهر تهادى　　　كنعاج الفلا تعسفن رملا

أَقَارِعُ عَوْفٍ لا أُحَاوِلُ غيرَها   وُجُوهَ قُرودٍ تَبْتَغِي مَنْ تُجادِعُ[1]

وقال عُرْوَةَ بنُ الوَرْدِ العَبْسِيُّ:

سَقَوْنِي الخمرَ ثُمَّ تَكَنَّفُونِي   عُدَاةَ الله مِن كَذِبٍ وزُورِ[2]

والعربُ تُنْشِدُ قول حاتِمِ الطائيِّ رفعًا ونصبًا:

إن كُنْتِ كارهةً مَعِيشَتَنا   هَاتَا[3] فَحُلِّي في بَنِي بَدْرِ

الضَّاربِينَ لَدَى أَعِنَّتِهِمْ   والطَّاعِنِينَ وخَيْلُهُمْ تَجْرِي[4]

وإنما خَفَضُوهما على النعتِ[5]، وربما رفعوهما على القَطْعِ والابتداء.

وكذلك قولُ الخِرْنِقِ بنتِ هفَّان القَيْسِيَّةِ من بني قَيْسِ بن ثَعْلَبَة:

لا يَبْعَدَنْ قَوْمِي الذين هُمُ   سُمُّ العُدَاةِ وآفَةُ الجُزْرِ

النَّازِلِينَ بكُلِّ مُعْتَرَكٍ   والطَّيِّبِينَ معاقِدَ الأُزْرِ[6]

وكلُّ ما كان من هذا فعَلَى هذا الوَجْهِ.

وإنْ لم يُرِدْ مَدْحًا ولا ذمًّا قد اسْتَقَرَّ له فَوَجْهُهُ النعتُ. وقرأ بعَضُ القُرَّاء:

---

(١)البيتان من الطويل، وهما للنابغة الذبياني في ديوانه ٣٤، ٣٥، وخزانة الأدب ٢/ ٤٤٦، ٤٤٧، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٤٤٦، والكتاب ٢/ ٧٠، ٧١ ولسان العرب ٨/ ٤٢(جدع) وبلا نسبة في شرح أبيات سيبويه ١٩٧/١.

(٢)البيت من الوافر، وهو لعروة بن الورد في ديوانه ٥٨، والأغاني ٣٦/٣، ٣٨ والكتاب ٢/ ٧٠، ولسان العرب ١٧٠/١ (نسأ)، ٣٠١/٥(يستعر)، وبلا نسبة في أمالي المرتضى ١/ ٢٠٦، ولسان العرب ١٥/ ٣٢٥(نسا)، ومجالس ثعلب ٢/ ٤١٧.

(٣) (هاتا)تا اسم إشارة يريد ياهذه. رغبة الآمل ١٥٧/٦.

(٤)البيت من الكامل، وهو لحاتم الطائي في ديوانه ٢٠٤ ولسان العرب ٢١٤/٥ (نضر). وله رواية :-

إن كنت كارهةً لعيشتنا   هاتا فحلي في بني بدر

(٥) قوله :" والعرب تنشد بيت حاتم الطائي رفعاً ونصباً ... وإنما حفضوهما على النعت" ظاهره أن " الضاربين " و" الطاعنين " ليست الياء فيهما بعلامة النصب وإنما هي علامة الخفض على النعت.

(٦)البيتان من الكامل، وهما للخرنق بنت بدر بن هفان في ديوانها ٤٣، والأشباه والنظائر٢٣١/٦، وأمالي المرتضى١/ ٢٠٥، والإنصاف ٤٦٨/٢، وأوضح المسالك ٣١٤/٣ والحماسة البصرية ١/ ٢٢٧ وخزانة الأدب ٥/ ٤١، ٤٢، ٤٤والدرر ٦/ ١٤، وسمط اللآلي ٥٤٨، وشرح أبيات سيبويه ١٦/٢، وشرح التصريح ١١٦/٢، والكتاب ٥٧/٢٠٢/١، ٥٨، ٦٤،ولسان العرب ٥/ ٢١٤ (نضر)، والمحتسب ١٩٨/٢ والمقاصد النحوية ٦٠٢/٣، ٧٢/٤، وأساس البلاغة (أزر)،وبلا نسبة في رصف المباني ٤١٦، وشرح الأشموني ٣٩٩/٢.

﴿ فتَبَارَكَ ا للهُ أَحْسَنَ الخَالِقِينَ ﴾[1] .

وأكثرُ ما تُنشدِ العربُ بيتَ ذي الرُّمَّةِ نصبًا ؛ لأنه لمَّا ذَكر ما يَحِنُّ إليه ويَصْبو إلى قُربه أشَادَ بذِكرِ ما قد كَان يَبْغِي ، فقال :

دِيَـارُ مَيَّـةَ إذْ مـيٌّ تُسـاعِفُنا ولا يَرَى مِثْلَهـا عُجْمٌ ولاَ عَـرَبُ[2]

وفي هذه القصيدة من التَّشبيهِ المُصِيبِ قولُه :

بَيْضَـاءُ في دَعَـجٍ صَفْـرَاءُ في نَعَـجٍ كأنها فَضَّـةٌ قـد مَسَّـها ذَهَـبُ[3]

وفيها من التشبيهِ المصيبِ قولُه :

تَشْكُو الخِشَاشَ ومَجْرَى النِّسْعَتَيْن كمـا أنَّ المريـضُ إلى عُـوَّادِهِ الوَصِـبُ[4]

و " الخِشَاشُ " : ما كان في عَظْمِ الأنْفِ ، وما كان في المَارِنِ فهو " بُرَةٌ " يقالُ " أبْرَيْتُ " الناقةَ ، فهي " مُبْرَاةٌ " .

قال الشَّمَّاخُ[5] ، وهذا من التشبيهِ العجيبِ :

فَقَرَّبْـتُ مُـبْرَاةً تَخَـالُ ضُلُوعَهـا مـن الماسـخِيَّاتِ القِسِـيِّ المُوَتَّـرا[6]

و " مَاسِخةٌ من بني نَصْرِ بن الأَزْدِ ، وإليهم تُنْسَبُ القِسِيُّ الماسِخِيَّةُ .

وأحسنُ ما قيلَ في صفة الضُّلُوع واشتباكها :

والبيت الثانى له رواية :-

النازلون بكل معترك والطيبون معاقد الأزر

(١)سورة المؤمنون :١٤ .

ولا أعلم بينهم اختلافاً فى قراءة ﴿ أحسن ﴾ بالرفع ، ولم أجد قراءة النصب . وقد سلف الاستشهاد بها ص ١٤٧.

(٢)البيت من البسيط ، وهو لذى الرمة فى ديوانه ٢٣وخزانة الأدب ٢/ ٣٦٥، ٣٣٩، ٣٤٠، والدرر ٣/٧ وشرح أبيات سيبويه ١/ ٥٤٨ ، والكتاب ١/ ٢٨٠ ، ٢/ ٢٤٧ ولسان العرب ١٢/ ٣٨٦ (عجم) ، ونوادر أبى زيد ٣٢ وهمع الهوامع ١/ ١٦٨

(٣) البيت ٢٠ ص٣٣.ورواية الديوان :" كحلاء فى برج ".. والدعج سواد العين . والنعج البياض .

(٤) البيت ٢٨ ص٤٢.ومجرى النسعتين هو موضع التصدير والحقب ، وأن من الأنين ، والوصب : الوجع

(٥) ديوانه ق٥/١٢ ص١٣٣

(٦) الموتر : المشدود الوتر . قال قدامة بن جعفر :" شبه أضلاع الناقة وبرى السير إياها بالقسى الموترة ... من قبل اجتماع الأضلاع والقسى الموترة فى الشكل والتوتر بالأعصاب والأوتار ، ولم يرد إلا الشكل فقط ، وقد أتى على ما فيه " نقد الشعر ١١١-١١٢ .

وكَأَنَّما انتَطَحَتْ على أَثْبَاجِهَا[1] فُدُرٌ بِشَابَةَ قَدْ تَمَمْنَ وُعُولاَ[2]

" الفَادِرُ " المُسِنُّ من الوُعولِ .

وذو الرُّمَّةِ أخذ ذلك المعنى من المُثَقِّبِ العبديِّ ، قال المُثَقِّبُ :

إذا ما قُمْتُ أَحْدِجُها بِلَيْلٍ تَأَوَّهُ آهَةَ الرجلِ الحزينِ[3]

ومن التَّشْبيه المُسْتَحْسَنِ قولُ عَلْقَمَةَ بنِ عَبَدَة :

كأَنَّ إبْرِيقَهُم ظَبْيٌ على شَرَفٍ مُفَدَّمٌ بِسَبَا الكَتَّانِ مَلْثُومُ [4]

فهذا حسنٌ جدًّا .

وقال أبو الهِنْديِّ ـ وهو عبدُ المؤمن[5] بنُ عبد القُدُّوسِ بن شَبَثِ بن رِبْعِيٍّ

---

(١) (أثباجها) جمع ثبج " بالتحريك" وهو معظم الظهر وفيه محانى الضلوع رغبة الآمل ١٦١/٦ .

(٢)البيت من الكامل ، وهو للراعى النميرى فى ديوانه ٢١٩ ولسان العرب العرب ٥٠/٥ (فدر) وجمهرة اللغة ٦٣٤ ، وتهذيب اللغة ١٤/ ١٠٢، وكتاب العين ٨/ ٢٦، وتاج العروس ١٣/ ٣٠٩(فدر) ، ومعجم ما استعجم ٧٧٤، وسمط اللآلى ٦٧٨ ، وبلا نسبة فى جمهرة اللغة ١٢٧٥ ، وانظر المزيد ممن مصادر البيت فى ديوانه ٢١٩ .

وله رواية :-

وكأنما انبطحت على أثباجها فدر تشابه قديمن وعولا

(٣)البيت من الوافر ، وهو للمثقب العبدى فى ديوانه ١٩٤ وإصلاح المنطق ٣٢١والخصائص ٣/ ٣٨ ، ولسان العرب ١١/ ٢٧٦(رجل) ، ١٣/ ٤٧٣(أوه) وبلا نسبة فى شرح المفضل ٣٩/٤، ولسان العرب ٥٥١/١٣(هوه) ،٥٣/١٤(أوا) وتاج العروس (أوه) .

(٤) البيت من البسيط ، وهو لعلقمة بن عبدة فى ديوانه ٧٠ ولسان العرب ٤٥٧/١ (سبب) ١٠٤/١٨ (برق) ، وتاج العروس ٣٧/٣ (سبب) ، ٤٣/٢٥(برق) ، والمخصص ١٦٧/١٥.

(٥) وقيل عبد السلام وقيل عبد الملك وقيل غالب .انظر الشعر والشعراء ٦٨٢/٢، والأغانى ٣٢٩/٢٠، وسمط اللآلى ٢٠٨،١٦٨ ، وهامش الاشتقاق ٢٢٣.

الرِّيَاحِيُّ ، من بني رِيَاحِ بنِ يَرْبُوعٍ :

مُقَدَّمَةً قَزًّا كأَنَّ رِقابَها رِقابُ بَنَاتِ الماءِ أَفْزَعَها الرَّعْدُ[1]

وكان أبو الهنديِّ قد غَلَبَ عليه الشرابُ ، على كرم مَنْصِبِهِ ، وشرفِ أُسْرَتِهِ ، حتّى كاد يُبْطِلُه .

وكان عَجيبَ الجوابِ ؛ فجلس إليه رجلٌ مَرَّةً يُعْرَفُ بِبَرْزِينِ المَناقِيرِ ، وكان أبوه صُلِبَ في خِرَابَةٍ ـ و " الخِرابةُ " عندهم سَرَقُ الإبل خاصَّةً ـ فأقبلَ يُعَرِّضُ لأبي الهِنْدِيِّ بالشرابِ ، فلما أَكْثَرَ عليه قال أبو الهنديِّ : أحدُهم يَرَى القَذَاةَ في عين أخيه ، ولا يَرَى الجِذْعَ في اسْتِ أبيه !!

وفي الخِرابَةِ يقولُ الراجزُ :

والخارِبُ اللِّصُّ يُحِبُّ الخارِبَا وتلكَ قُرْبَى مِثْلُ أَنْ تُناسِبَا

أَنْ تُشْبِهَ الضَّرَائِبُ الضَّرَائِبَا[2]

وقال آخرُ:

ايتِ الطَّرِيقَ واجْتَنِبْ أَرْمَامَا[3] **إنَّ بِها أَكْتَلَ أَو رِزَامَا**

---

(١) البيت من الطويل ، وهو لأبى عطاء السندى فى الكتاب ٢/٩٨، ولأبى الهندى الرياحى ، وهو مؤمن بن عبد القدوس ، فى لسان العرب ٥/ ٢٨٤(وضر) ، ١٠/١٨ (برق) ، ١٢/٤٥١(قدم) ، والمعانى الكبير. ٤٥، وبلا نسبة فى شرح المفصل ١/ ٣٥، والمقتضب ٤/ ٤٦، ٣٢٠

والبيت :

مفدمة فرا كأن رقابها رقابُ بنات الماء أفرعها الرعدُ

(٢) الضرائب جمع ضريبة وهى السجية والطبيعة . عن رغبة الآمل ٦/١٦٣.

(٣) (أرماما) : "بفتح فسكون " ذكر ياقوت أنه اسم جبل فى ديار باهلة بن أعصر أو واد يصب الثلبوت من ديار بنى أسد . رغبة الآمل ٦/١٦٤.

خُوَيْرِبَيْـــنِ يَنقفَـــانِ الهَامَـــا[1]

[زاد أبو الحسن: لم يَتْرُكا لِمُسْلِمٍ طَعَامَا] نَصَبَ " خُوَيْرِبَيْنِ " على " أَعْنِـي " لا يكون غيرُ ذلك ؛ لأنه إنما أَثْبَتَ أحدَهما بقوله " أو "[2] .

ومَرَّ نصرُ بنُ سَيَّارٍ الليثيُّ بأبي الهنديِّ وهو يَميلُ سُكْرًا ، فقـال لـه : أَفْسَدْتَ شرفَك ! فقال له أبو الهنديِّ : لو لم أُفْسِدْ شَرَفي لم تكنْ أنتَ واليَ خراسانَ !!

وحَجَّ [3]به نصرُ بنُ سَيَّارٍ مرةً ، فلمـا وَرَد الحَرَمَ قـال لـه نصـرٌ : إنَّـك بفِنـاء بيتِ الله ومَحَلِّ حَرَمِهِ ، فَدَعْ لي الشَّراب حتى يَنْفِرَ النـاسُ ، واحْتَكِمْ عليَّ ، فَفَعَـلَ ، فلما كان يومُ النَّفْرِ أخَذَ الشراب فوضَعَه بين يديه ، وأقبلَ يشرب ويبكِي ! ويقول :

رَضيعُ مُدَامٍ فـارَقَ الـرَّاحَ رُوحُـهُ ... فظَـلَّ عليهـا مُسْـتَهِلَّ المَدَامِــعِ

أَدِيرَا علـيَّ الكـأْسَ إنِّـي فَقَدْتُهـا ... كمـا فَقَـدَ المَفْطُـومُ دَرَّ المَرَاضِــعِ

وكان يَشْرَبُ مع قَيْسِ بنِ أبـي الوَليـدِ الكِنـانيِّ ، وكـان أبـو الوليـد ناسـكًا ، فاسْتَعْدَى عليه وعلى ابنِه ، فهربًا منه[4] ، وقال أبو الهنديِّ :

قُـلْ لِلسَّرِيِّ أبي قَيْـسٍ أَتُوعِدُنـا ... ودارُنا أصْبَحَتْ من دارِكُم صَـدَدَا[5]

---

(١) هو رجل أسدى . والأبيات فى أمـالى ابـن الشـجرى ٢/٣١٨، والجمهـرة ١/٢٣٣، وشـرح أبيات مغنى اللبيب ٢/٣٧-٤٥، والثـانى والثـالث فـى الكتـاب ١/٢٨٧ ، واللسـان (خـرب) . والبيت الذى زاده أبو الحسن فى شرح أبيات مغنى اللبيب وفى نسخة : وقال الآخر .

(٢) انظر المصادر التى أحلنا عليها فى الحاشـية السـابقة . وزعـم الكوفيـون أن " أو" هنـا بمعنـى الواو .

(٣) الخبر والبيتان فى الأغانى ٢٠/٣٣٢-٣٣٣.

(٤) زاد فى بعض النسخ :" معًا".

(٥) يقال دارى صدد داره ـ بالنصب على الظرف ـ وعلى صـدد داره وبصـدد داره : إذا كـانت قبالتها وعن ابن السكيت : الصدد والصقب : القرب . عن رغبة الآمـل ٦/١٦٥، وانظـر اللسـان (صدد).

أبا الوليد أَمَا وا اللهِ لو عَمِلَتْ فيكَ الشَّمُولُ لما حَرَّمْتَها أَبَدَا
ولا نَسِيتَ حُمَيَّاهَا ولَذَّتَها ولا عَدَلْتَ بها مالا ولا وَلَدا

* * *

ثم نرجعُ إلى التشبيه . وربَّما عَرضَ الشيءُ والمقصودُ غيره ، فيُذْكَرُ للفائدةِ تَقَعُ فيه ، ثم يُعادُ إلى أصلِ البابِ .

وقال عُرْوَةُ بنُ حِزَامٍ العُذْرِيُّ [1]:

كأَنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بجَناحِها على كبدي من شِدَّةِ الخَفَقَانِ

ويقال إنَّ المرأةَ إذا كانت مُبْغِضَةً لزوجها فآيةُ ذلك أن تكونَ عند قُرْبِهِ منها مُرْتَدَّةَ النظرِ عنه ، كأنما تنظر إلى إنسانٍ وراءَه ، وإذا كانت مُحِبَّةً له لا تُقْلِعُ عن النظر إليه ، فإذا نَهَضَ نظرتْ من ورائِه إلى شخصه حتى يَزُولَ عنها . فقال رجلٌ [قال أبو الحسن : قال المبرّدُ . هذا الرَّجُلُ قاسمٌ التَّمَّارُ،حدّثني الجاحظُ عنه بهذا ، وكان مُغَفَّلا] أردتُ أن أعلمَ كيفَ حالي عند امرأتي ، فالتفتُّ وقد نَهَضْتُ من بين يديها فإذا هي تَكْلَحُ [2]في قَفَايَ .

وقال الفَرَزْدَقُ في هذا المعنى ، والنَّوَارُ تخاصِمُهُ عند عبد ا لله بن الزُّبَيْر :

فَدُونَكَها يا بنَ الزُّبَيْرِ فإنَّها مُوَلَّعةٌ يُوهِي الحِجارَةَ قِيلُهَا

---

(١) البيت من كلمة له طويلة . انظر الشعر والشعراء ٢/٦٢٤، والأغانى ٢٤/١٥٨، وذيل الأمالى ١٥٩، وانظر كلام العلامة الميمنى فى ذيل سمط اللآلى ٧٣-٧٤ .

(٢) يقال كلح كمنع وأكلح إذا تكشر فى عبوس .

إذا جلستْ عند الإمامِ كأنّما ترَى رُفْقةً مِن خَلْفِها تَسْتَحِيلُها[1]

قوله " مولعة " يقول : كأنها مولعة بالنظر مرة هاهنا ومرة هاهنا

وقولُه " تَرَى رُفْقَةً " يقال " رِفْقَةٌ " و " رُفْقَةٌ " . ومعنى " تَسْتَحِيلُها " : تتبينُ حالاتِهَا ، قال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ الهِلالِيُّ :

إذا خَرَجَتْ تَسْتَحِيلُ الشُّخُوصَ مِنَ الخَوْفِ تَسْمَعُ ما لا تَرَى

ومن عَجيبِ التشبيهِ قولُ جريرٍ فيما يُكْنَى عنه :

تَرَى بَرَصًا بمَجْمَعِ أَسْكَتَيْها كعَنْفَقَةِ الفَرَزْدَقِ حينَ شَابَا

ويقال : إن الفرزدقَ حين أُنْشِدَ النصفَ الأولَ ضرب بيده إلى عَنْفَقَتِهِ ، تَوَقُّعًا لِعَجُزِ البيتِ .

ومن التشبيه الحَسَن قولُ جريرٍ [2]في صفةِ الخيلِ :

يَشْتَفْنَ لِلنَّظَرِ البَعيدِ كأنّما إرْنَانُهَا[3] ببَوائِنِ الأَشْطَانِ[4]

---

(١) ديوانه ٢/٦٢.

(٢)كذا والصواب " قول الفرزدق "، وروايته " يصهلن بالنظر البعيد ".

(٣) إرنانها : الإرنان : الصياح الشديد . رغبة الآمل ١٦٨/٦.

(٤) البيت من الكامل ، وهو للفرزدق فى ديوانه ٢/ ٣٤٤ ، ولسان العرب ٦٤/١٣ (بين)، وتاج العروس ٥٢٩/٢٣ (شنف) ،(بين) ،ولجرير فى تهذيب اللغة ٥٠١/١٥ ، ولجرير أو للفرزدق فى لسان العرب ١٨٣/٩ (شنف) ، وبلا نسبة فى لسان العرب ٧١٥/٩ (شوف)، وتاج العروس ٢٣/ ٥٣٣ (شوف) .

وله رواية

يشنفن للنظر البعيد كأنما إرنانها ببوائن الأشطان

قولُه " يَشْتَفْنَ " و " يَتشَوَّفْنَ " بمعنًى واحد . وقوله " كأنما إرْنَانُها بِبَوَائِنِ الأَشْطَانِ " أراد شدة صَهِيلها ، يقول : كأنما يَصْهَلْن في آبارٍ واسعةٍ تَبِينُ أشطانُهَا عن نواحيها .

ونظير ذلك قولُ النابغةِ الجَعْدِيِّ :

ويَصْهَلُ في مثلِ جَوْفِ الطَّوِيِّ صَهِيلا يُبَيِّن للمُعْرِبِ[1]

" المُعْرِبُ " العالمُ بالخيلِ العِرَابِ .

ومن حَسَنِ التشبيه قولُ عَنْترَةَ :

غادَرْنَ نَضْلَةَ في مَعْرَكٍ يَجُرُّ الأسِنَّة كالمُحْتَطِبْ[2]

يقول : طُعِنَ وغُودِرَتِ الرِّماحُ فيه ، فَظَلَّ يَجُرُّها ، كأنه حاملُ حطبٍ .

ومن التشبيه المُفْرط المُتَجاوِز قولُ الخَنْسَاء :

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الهُدَاةُ بِه كأنَّه عَلَمٌ في رأسِهِ نَارُ[3]

---

(١) البيت من المتقارب ، وهو للنابغة الجعدى فى ديوانه ٢٣ ، ولسان العرب ٥٩٠/١ (عرب)، وتهذيب اللغة ٣٦٥/٢ ، وكتاب الجيم ٢٤٧/٢ ، وسمط اللآلى ٤١٤، وتاج العروس ٣٣٦/٣ (عرب) ، وبلانسبة فى المخصص ١٧٧/٦ ، وجمهرة اللغة ٣١٩ .

وله رواية :

ويصهل فى مثل جوف الطوى صهيلا تبين للمعرب

(٢) في بعض النسخ : عنترة العبسي ، والبيت من المتقارب ، وهو لعنترة في ديوانه ص٢٩٣ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٤٢٠ ، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٤١٢/١ .

(٣) سلف البيت .

فَجَعَلَتِ المهتدِيَ يأتَمُّ به ،وجعلته كنارٍ في رأسِ عَلَـمٍ ، و " العَلَـمُ " : الجبـلُ ، قال جريرٌ [1] :

إذا قَطَعْـنَ عَلَمًـا بَـدَا عَلَـمْ

وقال ا لله جلَّ ثناؤه : ﴿ **وَلَهُ الجَوَارِ المُنْشَآتُ في البَحْرِ كَالأَعْلَامِ** ﴾ [2].

ومن هذا الضَّرْبِ من التشبيه قولُ العَجَّاجِ [3]:

تَقَضِّـيَ البَـازِي إذَا البَـازِي كَسَـرْ

و " التَّقَضِّي " : الانْقِضَاضُ ، وإنما أراد سرعتَها ، والعربُ تُبْدِلُ الياءَ مِن أحدِ التَّضْعِيفَيْنِ ، فيقولون " تَظَنَّيْتُ " والأصلُ " تَظَنَّنْتُ " لأنَّه " تَفَعَّلْتُ " مـن " الظَّـنِّ " ، وكذلك " تَقَضَّيْتُ " من " الانقضاض " أي " تَقَضَّضْتُ " ، وكذلـك " تَسَرَّيْتُ " ، ومثلُ هذا كثيرٌ .

* * *

ومن تشبيه المحدَثين المستَطْرَفِ قولُ بَشَّارٍ :

كـأنَّ فُـؤادَهُ كُـرَةٌ تَـنَزَّى ... حِـذارَ البَيْـنِ إنْ نَفَـعَ الحِـذَارُ [4]

وفي هذه القصيدةِ :

جَفَـتْ عَيْنِي عن التَّغْمِيـضِ حتَّـى ... كـأَنَّ جُفُونَهـا عنهـا قِصَـارُ

أقـولُ ولَيْلَتِـي تَـزْدادُ طـولاً : ... أمـا لِلَّيـلِ بعدَهُـمُ نَهَـارُ ؟!

وقال الحسنُ بنُ هانئٍ [5] في صِفَةِ [6] الخمر :

---

(١) سلف البيت

(٢) سورة الرحمن :٢٤ .

(٣) سلف البيت وروايته هناك " تجلى البازى " .

(٤) ديوانه ٣/ ٢٤٨-٢٤٩، والشعر والشعراء ٧٥٩-٧٦٠ ، وسمط اللآلى ٦٩٥.

(٥) سلف البيتان . وضبط فى نسخة :" المتاح " و " الرياح " .

(٦) فى نسخة : فى وصف .

وإذا مـــا لَمَسْـــتَهَا فَهَبَـــاءٌ تَمْنَـعُ اللَّمْـسَ مـا تُبِيـحُ الْعُيُونَـا

دَرَسَ الدَّهْـرُ مـا تَجَسَّـمَ منهـا وتَبَقَّـــى لُبَابُهَـــا المكْنُونَـــا

في كُــؤُوسٍ كــأَنهنَّ نُجُـــومٌ جارِيـــاتٌ بُرُوجُهَـــا أَيدِينَـــا

طالِعَـــاتٌ مـــع السُّـــقاةِ علينـــا فـــإذا مـــا غَرَبْـــنَ يَغْرُبْـــنَ فِينَـــا

[وزاد أبو الحسن :

فَهْـيَ بِكْـرٌ كأنَّهـا كُـلُّ شَـيْءٍ يَتَمَنَّـــى مُخَـــيَّرٌ أَنْ يَكُونَـــا]

فهذه قطعةٌ من التشبيهِ غايةٌ ، على سُخْفِ كلامِ المُحْدَثِينَ .

وقال الحَنَفِيُّ ، وهو إسحاقُ بنُ خَلَفٍ ، في صفةِ السيفِ :

أَلْقَـــى بجـــانب خَصْـــرِهِ أَمْضَـــى مـــن الأَجَـــلِ المُتـــاحْ

وكأَنمـــــا ذَرَّ الهَبَـــــا ءَ عليـــه أَنْفَـــاسُ الرِّيَـــاحْ[1]

وقال مُسْلِمُ بنُ الوليدِ الأنصاريُّ [2] في مدحِه يَزِيدَ بنَ مَزْيَدٍ :

تَمْضِـي المَنايَا كمـا تَمْضِـي أَسِـنَّتُهُ كـأَنَّ في سَـرْجِهِ بَـدْرًا وضِرْغَامَـا

وقال دِعْبِلُ بنُ عليٍّ في صفةِ مصلوبٍ :

لم أَرَ صَفًّـا مثـلَ صَـفِّ الـزُّطِّ [3] تِسْـعِينَ منهـم صُلِبُـوا في خَـطِّ

مِـنْ كـلِّ عـالٍ جِذْعُـه بالشَّـطِّ كأنـــه في جِذْعِـــهِ المُشْـــتَطِّ[4]

أخـو نُعـاسٍ جَـدَّ في التَّمَطِّـي قـد خـامَرَ النَّـوْمَ ولم يَغِـطِّ[5]

وقال آخرُ في صِفَةِ مصلوبٍ ، وهو يَزِيدُ المُهَلَّبِيُّ :

قـــامَ ولَمَّـــا يَسْـــتَعِنْ بِسَـــاقِهِ آلَـــفَ مَثْـــوَاهُ علـــى فِرَاقِـــهِ

كأَنمـــا يَضْحَـــكُ في أَشْـــدَاقِهِ

---

(١) شعره ق ٢/٣٢ص٢٣.

(٢) ديوانه ق ١٩/٦ ص٦٥ .

(٣) هو جبل أسود من السند أو الهند (بالشط) بجانب النهر و(المشتط): الذى جاوز فى الطـول حده. رغبة الآمل .

(٤) المشتط : الطويل الذى جاوز فى الطول حده.

(٥) الأبيات في ديوانه ص ١٠٠.

أراد بياضَ الشَّرِيطِ في فيه .

وقال آخرُ في صفةِ مصلوبٍ وهو الأخْطَلُ [قال أبو الحسن : الأخطلُ الذي يعنيه رجلٌ مُحْدَثٌ بصريّ ويعرفُ بالأُخَيْطِل ، وهو يُعْـرَفُ بِبَرْقُوقَـا] ، [وذكر أبو الحسن أنّ أبا العباسِ كان يُدَلِّسُ به] :

كأنـه عاشِـقٌ قـد مَـدَّ صَفْحَتَـهُ ... يـومَ الفِـراق إلى تَوْديـع مُرْتَحِـل

أو قـائمٌ مـن نُعـاس فيـه لُوثَتُـهُ ... مُواصِـلٌ لِتَمَطِّيـهِ مـن الكَسَـل[1]

وقال حَبِيبُ بنُ أَوْسٍ : [قال أبو الحسن: يعني به إسحاقَ بنَ إبراهيمَ الطّاهِريَّ] .

قَدْ قَلَّصَتْ شَفَتاهُ مِنْ حَفِيظَتِهِ ... فَخِيلَ من شِدَّةِ التَّعْبِيس مُتَبَسِّمَا[2]

وقال أيضًا في رجلٍ يَنْسُبُه إلى الدِّعْوَةِ [3]:

وتَنَقُّلٌ مِنْ مَعْشَرٍ في مَعْشَرٍ ... فكأنَّ أُمَّكَ أو أباكَ الزُّنْبَقُ

يقال " زِئْبقٌ " و " زِئْبِرٌ " [4]مهموزانِ ، و " درهمٌ مُزَأْبَقٌ " و " ثوبٌ مُزَأْبَرٌ "

ومن إفراطِ التشبيه قولُ أبي خِرَاشٍ الهُذَلِي [5] يصفُ سرعةَ ابنِه في العَدْوِ :

كـأنّهُمْ يَسْعَوْنَ في إثْـرِ طـائِر ... خَفِيفِ المُشَاش عَظْمُهُ غيرُ ذين نحض نَحْض

يُبـادِرُ جُنْـحَ اللَّيْـل فهـو مُهَـابِذٌ ... يَحُـثُّ الجَنَـاحَ بالتَّبَسُّـطِ والقَبْـض

وقال أَوْسُ بن حَجَرٍ [6][قال أبو الحسن : أهلُ الكوفةِ يَرْوُونَها لعَبِيدِ بن الأبرَصِ]:

---

(١) البيتان في سمط اللآلى ٥٩٥.

(٢) ديوانه ق١٣٥ / ١٨ ج ٣ / ١٧٠ .

(٣) الرجل الذي يعنيه أبو تمام هو عتبة بن أبي عاصم شاعر أهل حمص والبيت في ديوانه ق٣٩٧/ ١٧ ج ٣٩٦/٤ ، رغبة الآمل ١٧٣/٦ . و الدعوة : بكسر الدال هى ادعاء الولد الدعى غير أبيه كالدعاوة.رغبة الآمل ١٧٣/٦ واللسان (دعوة) .

(٤) الزئبر : ما يعلو الثوب الجديد مثل ما يعلو الخز .

(٥) سلف البيتان مع أبيات أخرى .

(٦) قال محقق (س) : لم أجد البيتين فى كلمة عبيد . وانظر كلام محقق ديوان أوس فى تداخل الكلمتين .

كأنَّ ريقتَهـا بعـدَ الكَـرَى اغْتَبقَتْ   من مـاء أذْكَـنَ في الحـانوتِ نَضّـاح

أو مِـنْ مُعتَّقَـةٍ ورْهَـاءَ نَشْـوَتُها   أو مـن أنـابيبِ رُمَّـان وتُفّـاح[1]

وقال ابنُ عَبْدَل [2] يهجو رجلا بالبَخَرِ :

نَكِهْـتَ علـيَّ نَكْهَـةَ أَخْـدَريٍّ   شَـتيم شـابكِ الأنيـابِ وَرْدِ[3]

وفي هذا الشِّعْرِ :

فمـا يَدْنُـو إلى فِيـهِ ذُبَـابٌ   ولـو طُلِيَـتْ مَشـافِرُهُ بقنْـدِ [4]

يَرَيْـنَ حَـلاوةً ويَخَفْـنَ مَوْتًـا   وَشـيكًا إنْ هَمَمْـنَ لـه بـورْدِ

"الذُّبابُ" الواحد من " الذِّبّان " وأدنَى العَدَدِ فيه " أَذِبَّةٌ " والكَثيرُ " الذِّبّانُ " . ولكنه ذكرَ واحدًا ثم خبَّرَ عن سائِر الجنس . والأسدُ أَنْتَنُ السِّباعِ فمًا ، كما أن الصَّقْرَ أَنْتَنُ الطيرِ فَمًا .

قال بعضُ المحدثين في رجل يهجوه - وهو داودُ بنُ بَكْر - [5]:

قَـدْ وَلِـي فـارسَ والأهْـ   ـوازَ داودُ بـنُ بَكْـر

ولَـهُ لِحْيَـةُ تَيْـس   ولـه منقـار نَسْـر

ولَـهُ نَكْهَـةُ لَيْـثٍ   خـالَطَتْ نكْهَـةَ صَقْـر

وقال عبدُ الرحمن بنُ أبي عبد الرحمن بنِ عائشةَ :

---

(١) صدر البيت لخراشة بن عمرو العبسى أو لعنترة فى الاقتضاب وليس فى ديوان عنترة ، وبلا نسبة فى جمهرة اللغة ١٣١٥ .

(٢) من كلمة له أنشدها الجاحظ فى الحيوان ١/٢٥٠-٢٥٣ ، وأنشد بعضها صاحب الأغانى ٢/٤١٢-٤١٣.

(٣) نكهت على : تنفست على أنفي . وأخدرى قال الشيخ المرصفى :"غلط الشاعر فجعل نعت الحمار الوحشى نعتًا للأسد وكان الصواب أن يقول :(خدر أو خادر) وهو الأسد فى عرينه . فلما لم يستقم له عبر بأخدرى غلطا " رغبة الآمل ٦/١٧٦. والشتيم : الأسد العابس . والورد من أسماء الأسد ، سمى تشبيهًا له بلون الورد .

(٤) القند : عصارة قصب السكر .

(٥) فى (ن) زيادة [وكان ولى الأهواز وفارس ، والشعر لأبى الشمقمق] .

مـنْ يكُـنْ إبْطُـهُ كآبـاطِ ذا الخلْـ ـقِ فإبْطـايَ في عِـدَادِ الفِقـاحِ[1]

لِـيَ إبْطـانِ يَرْمِيَـانِ جَليسِـي بشَـبيهِ السُّـلاَحِ أو بالسُّـلاحِ[2]

فكَـأَني مـن نَتْـنِ هـذا وهـذا جـالسٌ بـين مُصْعَـبٍ وصبَـاحِ

يعني مُصْعَبَ بنَ عبد الله الزُّبَيْريَّ ، وصَبَاحَ بنَ خاقَانَ المِنْقَرِيَّ ، وكانا جليسين ، لا يكادان يفترقان ، وصَدِيقَيْنِ مُتَواصِلَيْنِ ، لا يكادان يتصارَمَان .

فَحُدِّثْتُ أنَّ أحمدَ بنَ هشامٍ لَقِيَهما يومًا ، فقال :أمَا سمعتُمَا ما قال فيكما هذا؟ يعني إسحاقَ بنَ إبراهيم المَوْصِلِيَّ ، فقالا : ما قال إلا خيرًا ، قال :

لامَ فيهـا مُصْعَـبٌ وصَبَـاحٌ فَعَصَيْنـا مُصْعَبًـا وصَبَاحَـا[3]

ولكنَّ المَكْرُوهَ ما قال فيكَ ، إذْ يقولُ :

وصافيـةٍ تَغْشَـى العُيـونَ رَقيقـةٍ رَهينَـةِ عـامٍ في الدِّنَـانِ وعـامِ

أَدَرْنَا بهـا الكَـأْسَ الرَّوِيَّـةَ مَوْهِنًـا من اللَّيْـلِ حتَّـى انْجابَ كـلّ ظَـلامِ

فمـا ذَرَّ قَرْنُ الشـمسِ حتّى كأنَّنـا من العِيِّ نَحْكِي أَحْمَدَ بـنَ هِشَـامِ[4]

* * *

واعلمْ أنَّ للتشبيهِ حَدًّا ؛ لأَنَّ الأشياءَ تَشابَهُ مـن وجـوهٍ ،وتَبَايَنُ مـن وجـوهٍ . فإنّما يُنْظَرُ إلى التشبيه من أين وقَعَ . فإذا شُبِّهَ الوجـهُ بالشـمس والقمـر فإنما يُـرَادُ بـهِ الضِّياءُ والرَّوْنَقُ ،ولا يُرَادُ به العِظَمُ والإحْراقُ . قال الله جـلَّ وعـزَّ : ﴿ **كـأَنَّهُنَّ بَيْـضٌ مَكْنُونٌ** ﴾[5] والعربُ تُشَبِّهُ النساءَ بِبَيْضِ النَّعام ، تريدُ نَقاءَهُ ورِقَّةَ لونه ؛ قال الراعي :

---

(١) الأبيات فى الأغانى ١١٩/١٧ والفقاح جمع فقحة وهى الدبر أو حلقته . عن رغبة الآمل ١٧٦/٦ .

(٢) السلاح : ما تلقيه من العذرة رغبة الآمل ١٧٦/٦.

(٣) البيت فى الأغانى ١٧/ ١١٨ .

قد نهانا مصعب وصباح فعصينا مصعبًا صباحا

(٤) الأبيات في الأغاني ١١٨/١٧ ، ١١٩ .

(٥) سورة الصافات :٤٩ .

كَـأنَّ بَيْـضَ نَعَـامٍ في مَلاحِفِهـا [١]   إذا اجْتَلاهُـنَّ قَيْـظٌ ليلُـهُ وَمِـدُ [٢]

وقيلَ للأَوْسِيَّةِ - وهي امرأةٌ حَكِيمـةٌ مـن العـرب ، بحضـرةِ عمـر بـن الخطـاب رحمه الله - : أيُّ مَنْظَرٍ أحسنُ ؟ فقالت : قُصُورٌ بِيضٌ في حَدَائِقَ خُضْـرٍ ، فأنشـدَ عمـرُ ابنُ الخطاب لِعَدِيِّ بنِ زيدٍ :

كَدُمَى العـاجِ في المَحـاريبِ أو كالْـ   ـبَيْـضِ في الـرَّوْضِ زَهْـرُهُ مُسْـتَنِيرُ [٣]

وقال آخرُ :

كالبَيْضِ في الأُدْحِيِّ يَلْمَـعُ بـالضُّحَى   فالحُسْـنُ حُسْـنٌ والنَّعيـمُ نَعيـم [٤]

وقال جريرٌ :

ما اسْتَوْصَفَ الناسُ مِنْ شَيْءٍ يَرُوقُهُـمُ   إلاّ رَأَوْا أُمَّ نُـوحٍ فـوقَ مـا وصَفُـوا

كأنَّهـا مُزْنَـةٌ غَـرَّاءُ رائحـةٌ   أو دُرَّةٌ لا يُوَارِي ضَوْءَها الصَّدَفُ [٥]

و" المُزْنَةُ " : السحابةُ البيضاءُ خاصَّةً ، وجمعها " مُزْنٌ " ؛ قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ أَأَنْتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ ﴾ [٦]. والمرأةُ تُشَبَّهُ بالسَّحَابة لِتَهادِيها وسُـهولةِ مَرِّهـا ؛ قـال الأَعْشَى :

كـأنَّ مِشْـيَتَها مِـنْ بَيْـتِ جارَتِهـا   مَـرُّ السَّـحابةِ لاَ رَيْـثٌ ولا عَجَـلُ [٧]

---

(١) ملاحفها : جمع ملحف كممئز ، وقد يقال ملحفة وهى الملاءة السمط دون المبطنة وكل ما تغطيت به فهو لحاف وملحف وملحفة رغبة الآمل ٦/ ١٧٨ . والومد : ندي يجئ فى صميم الحر من قبل البحر مع سكون الريح .

(٢) البيت من البسيط ، وهو للراعى النميرى فى ديوانه ص ٥٥ ولسان العرب ٣/٤٧٠ (ومد) ، وتهذيب اللغة ١٤/٢١٨ ،وتاج العروس ٩/٣٣٠(ومد) .

(٣) ديوانه ق ١٦/٤ ص٨٤ .

(٤) الأدحيّ: مبيض النعام تدحوه برجلها ثم تبيض فيه ، رغبة الآمل ١٧٩/٦.

(٥) البيت فى شرح ديوان جرير (مهدى محمد ناصر الدين) صـ ٢٩٠ .

(٦) سورة الواقعة :٦٩.

(٧) البيت من البسيط ، وهو للأعشى فى ديوانه ص ١٠٥، ولسان العرب ٥/ ١٨٦(مور) ، وتهذيب اللغة ١/ ٣٧٢، ٢/٢٥٦ ، وتاج العروس ١٤/١٥٢(مور) .

وله رواية :

كأن مشيتها من بيت جارتها   مور السحابة لا ريث ولا عجل

" الرَّيْثُ ":الإبطاءُ ؛ فهذا ما تَلْحَقُهُ العَيْنُ منها، فأما الخِفَّةُ فهي كأسرعِ مارٍّ ، وإن خَفِيَ ذلك على البصرِ ، قال الله جلَّ وعَزَّ : ﴿ وتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُها جَامِدَةً وهي تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ (١).

* * *

والعربُ تُشَبِّهُ المرأةَ بالشمس ، والقمرِ ، والغُصْنِ ، والكَثِيبِ ، والغَزالِ ، والبَقرةِ الوحشيَّةِ ، والسحابةِ البيضاءِ ، والدُّرَّةِ ، والبَيْضَةِ . وإنَّما تَقْصِدُ من كلِّ شيءٍ إلى شيءٍ .

قال ذو الرُّمَّةِ:

ومَيَّةُ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْن جيدًا	وسالِفةً وأَحْسَنُهُمْ[٢] قَذالا
فلم أَرَ مِثْلَها نَظَرًا وَعَيْنًا	ولا أُمَّ الغَزال ولا الغَزالا
تُريكَ بَياضَ غُرَّتِها ووَجْهَها	كَقَرْن الشَّمْس أَفتَقَ ثم زالا
أصابَ خَصاصَةً فَبَدا كَلِيلا	كَلا وانْغَلَّ سائرُهُ انْغِلالا[٣]

" الجِيدُ " : العُنُقُ . و " السالِفةُ " : ناحيةُ العُنُقِ . و " القَذالان " : ناحِيَتا القَفَا والنُّقْرَةُ بينهما .

وقوله " أَفْتَقَ ثم زَالا " يقال " أَفْتَقَ السحابُ " : إذا انكشفَ انكشافةً فكانت منه فُرْجة يسيرةٌ بين السَّحاب . تقول العربُ : دامَ علينا الغَيْمُ ثم أَفْتَقْنا . وإذا نُظِرَ إلى الشمس والقمر من فَتْقِ السحاب فهو أحسنُ ما يكونُ وأشدُّه استنارةً .

وقوله " كَلا " يريدُ في سرعةِ ما بَدَا ثم غابَ (٤).

---

(١) سورة النمل :٨٨.

(٢) بهامش نسخة :"وأحسنه" وهى رواية الديوان .

(٣) البيت من الوافر ، وهو لذى الرمة فى ديوانه ص ١٥٢١ ، والأشباه والنظائر ١٠٦/٢، وخزانة الأدب ٣٩٣/٩ ، والخصائص ٤١٩/٢، والدر ١٨٣/١، وشرح المفصل ٩٦/٦، ولسان العرب ١١/ ٨٨(ثقل) ، وبلا نسبة فى أمالى ابن الحاجب ٣٤٩/١، ورصف المبانى ١٦٨، وشرح شذور الذهب ٥٣٦ ، وهمع الهوامع ١/ ٥٩ .

(٤) قال الشيخ المرصفى :" العرب إذا أرادت تقليل مدة فعل أو ظهور شيء خفى قالت كان فعله أو ظهوره كلا . وربما كرروا فقالوا كلا ولا " رغبة الأمل ١٨٠/٦ ، وانظر اللسان (لا) .

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الياقوتُ والمَرْجانُ ﴾[١] وقال تبارك وتعالى : ﴿ كأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ ﴾[٢].

و " المكنونُ " : المَصُونُ ، يقال : " كَنَنْتُ الشيءَ ": إذا صُنْتَهُ ، و " أَكْنَنْتُهُ " : إذا أخفيتَهُ ، فهذا المعروف ؛ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أوْ أَكْنَنْتُمْ في أَنفُسِكُمْ ﴾[٣] وقد يقالُ " كَنَنْتُهُ " : أخفيتُهُ .

وقال جريرٌ في يَزِيدَ بنِ عبد المَلِكِ - وأُمُّهُ عاتكةُ بنتُ يزيدَ بن معاوية - :

الحَزْمُ والجُودُ والإيمانُ قد نَزَلُوا ... على يَزِيدَ أمِينِ الله فاخْتَلَفُوا[٤]

ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ والإيمان ، غُرَّتُهُ ... كالبَدْرِ ليلةَ كادَ الشهرُ يَنْتصِفُ[٥]

وقال ذو الرُّمَّةِ:

فياظَبْيَةَ الوَعْساءِ بَيْنَ جُلاَجِلٍ ... وبَيْنَ النَّقَا آأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمِ؟[٦]

[قال أبو الحسن ؛ ويروى : بين حُلاحِلِ[٧]]

وقال ابنُ أَبي رَبيعةَ[٨]:

---

(١) سورة الرحمن : ٥٨ .

(٢) سورة الواقعة : ٢٣ .

(٣) سورة البقرة : ٢٣٥ .

(٤) لم أجد هذا البيت فى كلمة جرير . وانظر تذييل ديوانه ١٠٦٤/٢ .

(٥) ديوانه ق٤٢/١٦ ج١ /١٧٥ . والرواية " الدسيعة والأبيات ".

(٦) البيت من الطويل ، وهو لذى الرمة فى ديوانه ٧٦٧، وأدب الكاتب ٢٢٤، والأزهية ٣٦، والأغانى ١٧/ ٣٠٩، والخصائص ٤٥٨/٢، والدرر١٧/٣، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٧٢٣ وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٢٥٧ ، وشرح شواهد الشافية ٣٤٧، وشرح المفصل ١/ ١١٩/٩،٩٤ والكتاب ٣/ ٥٥١، ولسان العرب ١٢٣/١١(جلل) / ٤٣٠/١٥(أ)، ٤٩١(يا) ، واللمع ١٩٣، ٢٧٧، ومعجم ما استعجم ٣٨٨ (حلاجل) والمقتضب ١٦٣/١، وبلا نسبة فى أمالى ابن الحاجب ١/ ٦٧٧/٢،٤٥٧ ، والإنصاف ٢/ ٤٨٢، وجمهرة اللغة ١٢١٠، والجنى الدانى ١٧٨ ، ٤١٩، وخزانة الأدب ٢٤٧/٥ ، ٦٧/١١، ورصف المبانى ١٣٦/٢٦، وشرح شافية ابن الحاجب ٦٤/٣ وهمع الهوامع ١٧٢/١.

(٧) انظر معجم البلدان (جلاجل) ١٤٩/٢، و(حلاحل) ٢٨٠/٢.

(٨) سلف البيتان .

أبْصَرْتُهـا ليلَـةً ونِسْـوَتَها يَمْشِـينَ بـين المَقـام والحَجَـر

يرْفُلْنَ[1] في الرَّيْطِ والمُـرُوطِ كمـا تَمْشِـي الهُوَيْنـا سَـوَاكِنُ البَقَـر

فهذه تشبيهاتٌ عربيَّة مفهومةٌ .

وقال أحدُ شعراء المُتَكَلّمين من المُحْدَثِين : [قال أبو الحسن : هو أبو عبد الرحمن العَطَوِيُّ] .

قد رأينا الغَزالَ والغُصْنَ والنَّجْـ ـمَيْن شَمْسَ الضُّحَى وبَدْرَ الظَّلام

فَوَحَـقِّ البَيـان يَعْضُـدُهُ الـبُرْ هـانُ في مَـأْقِطٍ أَلَـدِّ الخِصَـام

مـا رَأَيْنـا سِـوَى الحَبيبـةِ شَـيْئًا جَمَـعَ الحُسْـنَ كلَّـه في نِظـام

فهي تَجْري مَجْرَى الأَصَالـةِ في الرَّأْ يِ ومَجْـرَى الأَرْوَاح في الأجسـام

" البرهانُ ": الحجةُ ، قال الله عز وجل : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾:[2] أي حُجَّتَكُم ، و " المَأْقِطُ " : موضعُ الحربِ ، فضربه مَثَلا لموضعِ المناظرةِ والمُحاجَّة . و " الأَلَدُّ " : الشديدُ الخصومةِ ، قال الله تَبارك وتَعالى : ﴿ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ [3]وقال : ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ ﴾[4] .

* * *

وقالت لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةُ [5]:

كـأَنَّ فَتَـى الفِتْيَـان تَوْبَـةَ لم يَبِـتْ بنَجْـدٍ ولم يَطْلُـعْ مَـع المَتَغَـوِّر

ولم يَقْـدَع الخَصْـمَ الأَلَـدَّ ويَمْـلإِ الْـ ـجفَانَ سَـدِيفًا يومَ نَكْبـاءَ صَرْصَـر

" السَّدِيفُ " : شِقَقُ السَّنامِ .

---

(١) يرفلن : "بضم الفاء "من رفلت فى ثيابها رفلا جرت ذيلها رغبة الآمل ١٨٢/٦.

(٢) سورة البقرة :١١١ ، وسورة النمل :٦٤ .

(٣) سورة مريم:٩٧.ووقع فى جميع نسخ الكتاب عدا (ن) و (س) "لتنذر" وهو سهو مخالف للتلاوة .

(٤)سورة البقرة :٢٠٤ .

(٥) ديوانها ق ٤/١٨،٦،ص٧٢ باختلاف فى الرواية . وسيأتيان فى أبيات .

و " النَّكْباءُ " : الرِّيحُ بين الرِّيحين ؛ لأنَّ الرياحَ أربعٌ ، وما بين كُلِّ ريحين نكباءُ ، فهي ثمان في المعنى :

فما بين مُطَّلِعِ سُهَيْلٍ إلى مَطْلِعِ الفجرِ " جَنوبٌ " وإنما تأتي الجَنوبُ من قِبَلِ اليَمَنِ ، قال جريرٌ :

وحَبَّذَا نَفَحاتٌ من يَمانِيَةٍ ... تأتيك من جَبَلِ الرَّيَّانِ أحْيانَا[1]

وإذا هَبَّتْ من تِلْقاء الفَجْرِ فهي " الصَّبا " تُقابِلُ القِبْلَةَ ، فالعرب تسميها "القَبُولَ" قال الشاعرُ :

إذا قلتُ هذا حِينَ أسْلُو يَشُوقُني ... نسيمُ الصَّبا من حيثُ يَطَّلِعُ الفَجْرُ[2]

وإذا أَتَتْ من قِبَلِ الشَّأْمِ فهي" شَمالٌ " قال الفَرَزْدَقُ:

مُسْتَقْبِلِينَ شَمالَ الشَّأْمِ تَضْرِبُنا ... بَحَاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ[3]

وهي تقابلُ الجنوب ، وكذلك قال امرؤُ القيس :

. . . . لِمَا نَسَجَتْهَا من جَنُوبٍ وشَمْأَلِ[4]

---

(١) قبله بيت وهو :

يا حبذا حبل الريان من حبل ... وحبذا ساكن الريان من كانا

والبيتان من البسيط ، وهما لجرير فى ديوانه ١٦٥، والدرر ٥/ ٢٢٠ وشرح شواهد المغنى ٢/ ٧١٣، ولسان العرب ١/٢٩١(حبب) ومعجم ما استعجم ٦٩٠، ٨٦٧، والمقرب ١/ ٧٠، وبلا نسبة فى جمع الهوامع ٢/ ٨٨، والأول منهما بلا نسبة فى أسرار العربية ١١١والجنى الدانى ٣٥٧، وخزانة الأدب ١١/ ١٩٧، ١٩٩، وشرح المفصل ١٤٠/٧، والثانى منهما مع نسبته إلى جرير فى شرح شواهد المغنى ٢/ ٨٩٨ ، وبلا نسبة فى الدرر ٢٢٢/٥ ، ومغنى اللبيب ٢/ ٥٥٨

(٢) البيت من الطويل ، وهو لأبى صخر الهذلى فى أشعار الهذليين ٢/ ٩٤٧ ، وشرح شواهد المغنى ١/ ١٦٩ وبلا نسبة فى شرح شواهد المغنى ٢/ ٨٨٥ ، ولسان العرب ٣٣٥/٨(طلع) ، ومغنى اللبيب ٢/ ٥١٨

(٣) البيت من البسيط ، وهو للفرزدق فى ديوانه ١/ ٢١٣، ولسان العرب ١٣٠/٩(زحف) ، وتاج العروس ٢٣/ ٣٧١(زحف) .

(٤) البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس فى ديوانه ٨،والأضداد٩٣، وخزانة الأدب ١١/ ٦، والدرر ١/ ٢٨٥، وشرح شواهد المغنى ١/ ٤٦٣، ٢/ ٧٤٣، وبلا نسبة فى خزانة الأدب ٩/ ٢٧، ومغنى اللبيب ١/ ٣٣١، والمنصف ٣/ ٢٥، وهمع الهوامع ١/ ٨٨ .

وصدره : **فتوضح فالمقراة لم تعف رسمها** .

وهو ثابت فى بعض النسخ .

فإذا جاءت من دُبُرِ البيتِ الحَرامِ فهي " الدَّبورُ " وهي تَهبُّ بشِدَّةٍ ، والعربُ تُسَمِّيها " مَحْوَةَ " عن أبي زيدٍ ؛ لأنها تَمْحُو السَّحابَ ، و " مَحْوَةُ " معرفةٌ لا تنصرفُ ؛ فأما الأصمعيُّ فزَعَمَ أنَّ " مَحْوَةَ " من أسماء الشَّمال ، وأنشدَا جميعًا :

قد بَكَرَتْ مَحْوَةُ بالعجَاجِ فَدَمَّرَتْ بَقِيَّةَ الرَّجَاجِ (١)

" الرَّجَاجُ " : حاشيةُ الإبلِ وضِعافُها (٢).

---

(١) البيت فى لسان العرب ٣/ ١٥٨٥ بلا نسبة .

(٢) قال محقق (س) : نقل دى غويه عن نسخة ليدن من التنبيهات ذات الرقم ٤٤٦ ما نصه -وانظر التنبيهات بتحقيق الشيخ الميمنى ٣١٩-٣٢٠و١٦٦-١٧٠ :

" وقال أبو يوسف" : و " السدوس " الطيلسان قال الأصمعى واسم الرجل"سُدوس " بالضم . وهذا من أغلاط الأصمعى مشهور ، ودال [على] أنه سمع الضم فى "سدوس" فلم يضبطه . قال أبو جعفر محمد بن حبيب : وفى تميم " سَدوس " بن دارم بن مالك بن حنظله ، وفى ربيعة " سدوس" بن [ذهل بن] ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن على بن بكر بن وائل . فكل " سَدوس" فى العرب فهو مفتوح السين إلا " سُدوس" بن أصمع بن أبىّ بن عبيد بن ربيعة بن نصر بن سعد بن نبهان ، وسمعت أبا رياش رضى الله عنه يقول : فاجتزت فى بنى سدوس : فقلت له : أفيجوز الضم فى "سدوس" ؟ فقال لى : إذا أردت "سدوس" تميم [فافتح] وإذا أردت "سدوس" نبهان فضم . وقال أبو يوسف : وكذلك هَبَّتْ محوةُ [اسم للشمال وهى معرفة ، قال الراجز :

قد بكرت محوة بالعجاج

وهذا غلط : إنما " محوة" اسم للدَّبور ، وأبو يوسف فى هذا القول متبع للأصمعى . وأبو زيد وغيره يقول ما قلناه . وسنوضح فساد قول الأصمعى فى ذلك فيما ننبه عليه من أغلاط الكتاب الكامل ، إذا انتهينا إليه ، إن شاء الله . وأما ما وعد به من التنبيه على الغلط فى تسمية الشمال " محوة" فقد قال فى التنبيهات على أغلاط أبى العباس المبرد فى كتابه الكامل ما صورته : فسر أبو العباس قول أوس بن حجر :

وعزت الشمأل الرياح وقد أمسى كَمِيعٌ الفتاة مُلتفِعا

فقال يقول غَلَبَتْها ، وتلك علامة الجدب وذهاب الأمطار . وهذا غلط منه ، على أنه تبع فيه الأصمعى فى تسمية الشمال "محوة" . وقد ضمنا لك فيما تقدم أنا نبيِّن صحيح قول أبى زيد من سقيم قول الأصمعى فى ذلك ، واعلم أن غلبة الشمال علامة البرد والقر ، فأما قوله علامة الجدب وذهاب الأمطار ففاسد ؛ لأن الشمال مع بردها من شأنها استدرار السحاب ، قال الشاعر:

مرته الصَّبا وزَهَته الجنو ب وانتجفته الشمال انتجافا

وقال الآخر فى وصف سحابة :

لتلقيحها هيج الجنوب وتقبل الشْـ ـمال نتاجًا والصبا حالب يمرى

وقال رجل من مازن :

=تكركـــره خضخضـــات الجنـــوب وتفرعـــــه هـــــزةُ الشـــــمأل

وقال آخر وصف ثور وحش :

أخرجتـــه مـــن الليـــالى رجـــوس ليلــــةً هاجهـــا الشـــمال دُرُورًا

وقال آخر :

فجـــاء وقـــد فَضَلَتْـــهُ الشـــما لُ عـــذب المذاقـــة نضـــر الخضـــر

وقال لبيد :

أضـــــل صـــــواره وتَضَيَّفَتْـــــهُ نطـــوف أمرهـــا بيـــد الشـــمال

وقال المتلمس أيضًا :

فبـــات إلى أرطـــاة حقـــف كأنـــه إلى دفئهـــا مـــن آخـــر الليـــل مُعـــرِسُ

ثم قال الأخطلُ :

بـــات إلى دَفْءِ أرطـــاة تكفئـــه ريـــح شـــآمِيَّةٌ هبـــت بأمطـــار

وقال عمرو بن شأس :

وأفراســـنا مثـــل الســـعالى أصابهـــا قطـــار وبلتهـــا بنافحـــة شَـــمْلُ

وقال آخر :

مـــرته الجنـــوب فلمـــا اكفهـــرَّ حلـــت عَزَالِيـــهُ الشـــمألُ

وقال عديٌ بن زيد :

وجبـــى بعـــد الهُـــدو تهاديـــ ـــه شمـــال كمـــا يزجّـــى الكسـيرُ

فتأمل ما أحضرناه من شعر العرب تجد الشمال عندهم محمودة موصوفـة بالأمطـار والاستدرار ، وليست كما زعم الأصمعي أنها تمحو السحاب ، ولا كما قال أبو العباس أنها علامـة الجـدب وذهـاب الأمطار ، وكل ريح ، شمالاً كانت أو جنوبًا أو غيرهما فهى تمحو السحاب الجهام الـذى قـد هـراق ماؤه . قال بشر :

بنـــا كيـــف نقتـــص آثـــارهم كمـــا تســـتخفٌ الجنـــوب الجهامـــا

وقال الأعشى :

ثـــم فـــاءوا علـــى الكريهـــة والصبـــ ـــر كمـــا تقشـــع الجنـــوب الجهامـــا

وقال أيضًا : مـــور الجهـــام إذا زفتـــه الأزيـــب

والأزيب : الجنوب ، فنسبه الأصمعى إلى محو السحاب ، فتركه نص ذلك إلى الجنوب ، مـع مـا جـاء فى أشعارهم من ذلك جهل منه بكلامهم ! وأنا أظن أنه إنما قـال هـذا القـول ، وذهـب فـى الشـمال هـذا المذهب لما سمع قول الراجز :

كـــان كغيـــث ربطـــت شمالـــه فلـــم يبـــت فـــى بلـــد أمحالـــه

ولم يعلم ما السبب فى ذلك ، فاعتقد ما اعتقد. وإنما هذا الرجز حجـازى ، والجنـوب ريحهـم ، وأهـل نجد بخلاف ذلك ، ريح نجد الصبا ، والصبا إذا هبت بالحجاز قلت الألبان وطوى الناس الوطـاب ، كمـا أن الجنوب إذا انفجرت من الحجاز على أهـل مصـر أضرت بهـم ،فإن دامـت عليهـم أهلكتهـم ، وهـم يسمونه المريسية . وأمثال الأصمعى والمبرد غير معذورين فى أن لا يضبطوا مثل هذه المواضع. و" محوة"=

وقال الأعشى:

لهـــا زَجَـــلٌ كَحَفِيـــفِ الحَصَـــا دِ صـادَفَ بـالليلِ رِيحًـا دَبـورَا[1]

* * *

ولهذه الرياحِ أسماءٌ كثيرةٌ ، وأحكامٌ في العربيـة ؛ لأن بعضَهـم يجعلُهـا نعوتًـا ، وبعضَهم يجعلُها أسماءً ، وكذلك مَصادِرُها تحتاجُ إلى الشرح والتفسيرِ ، ونحن ذاكـرون ذلك في عَقِبِ هذا الباب ، إن شاء الله .

يقـالُ : " جَنَبَـتِ الرِّيـحُ جُنُوبًـا " و " شَـمَلَتْ شُـمُولاً " و " دَبَـرَتْ دُبُـورًا "

=اسم للدبور ، لا للشمال ، ولهذه العلة سميت الدبور " العقيم" ؛ لأنها تهلك النبات إذا هبت ، وتمنع الغيث ، قال الشاعر :

فـلا مخلفـات رُحْـنَ ثـم تهيجـت عليهـن وَرْهَـاء الهبـوب عقيـم

وقال الله تعالى في عاد :﴿ **وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ۞ ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم** ﴾ [سورة الذاريات :٤١-٤٢] ، وليس بين أهـل العلـم خـلاف فـي أنها الدبور . وأكثر الأرياح ضررًا بعد الدبور لهذا الخلق الجنوب . قال أبـو حنيفـة : الجنـوب في نفسها أسقم من الشمال ومـن الصبا ، وأقل موافقـة للأبـدان ، وإن كـانت أوفـق للشـجر والعُشب ، من أجل نداها ودفئهـا ، وهمـا اللـذان يدرجـان [كـذا] كـل شـيء وهـي بموافقتهـا العشب وحسن إنباتها له أسرع الرياح في تخفيفه عنها . وعن الدبور يكون هَيْجُ النبـات ، همـا الهيفان اللتان سمع بهما في هبوبها ، فهي ثم ضاحية من علوه وضـاحي الأرض ، وإن لم تشـرف لها صكاء تثير به ما في قرار الماء . وهي متى اشتد هبوبها كدرت الهواء والماء ،وأثقلت الحـواس كلها وبلدتها ،وفورت الأبدان وأرختها ،وأخفـت الأذهـان ، وأورثـت الكسـل . فـالجنوب فـي عسرة ضررها كالأخت للدبور ، وليست موافقة أهل بلد غير أهل الحجاز ، كما أنبـأتك ،فإنهـا لهم موافقة ، وهم مستطيبون [لها] في كل الأوقات . والشمال بريئة من هـذه الصفـات ، وهـي عند العرب للروح ، والجنوب للأنداء والغمق ، والصبا لإلقاح الشجر ، والدبور للبلاء ، والدبور أقل الرياح هبوبًا ، تم ولله الحمد " .اهـ.

وقد صححت بعض ماكان فيما قرأه دى غويه من مطبوعة الشيخ الميمنى ، ومـا بـين حـاصرتين منها أو من الشيخ الميمنى .

وكان الناسخ قد اختصر في موضعين :الأول قوله:" وقال أبو يوسف هبت محوة ، إلى : بالعجـاج " والثاني قوله " وقال الله تعالى في عاد : ﴿ **وفي عاد إذ** ﴾ الآيتين" فأتممته .

(١) البيت من المتقارب ، وهـو للأعشى فـي ديوانـه ١٤٩، وشـرح أبيـات سـيبويه ٢/ ٢٣٧ ، ٢٥٦ ، والكتاب ٣/ ٢٣٨، ولسان العرب ٤/ ٢٧٢(دبر)، وما ينصرف ومالا ينصرف ص٥٦ .

و " صَبَتْ صُبُوًّا " و " سَمَّتْ سُمُومًا " و " حَرَّتْ حُرُورًا " مضموماتُ الأوائـل ، فإذا أردتَ الأسماءَ فتحتَ أوائِلَها فقلتَ " جَنُوبٌ " و " شَمُولٌ " و " سَـمُومٌ " و " دَبُورٌ " و "حَرُورٌ" .

و لم يأتِ من المصادر شيءٌ مفتوحُ الأول إلا أشـياءُ يسيرةٌ ، قـالوا : توضـأتُ "وَضُـوءًا" حسـنًا ، وتطهـرتُ "طهُـورًا" ، وأُولِعْـتُ بالشـيء " وَلُوعًـا " وإنَّ عليـه لَــ "قَبُولاً"، ووقَدَتِ النارُ " وَقُودًا "،وأكـثرهـم يجعـلُ " الوَقُـودَ " الحطـبَ ، و " الوُقُـودَ " المصدرَ .

ويقال " الشَّمالُ " علـى لغـاتٍ سِـتٍّ ، يقـال : " شَـمَالٌ " و " شَـأْمَلٌ " و " شَمْأَلٌ " و " شَمَلٌ " و " شَمْلٌ " و " شَامَلٌ " غيرُ مهموزٍ .

ويقال للشَّمال " الجِرْبِيَاءُ " قال ابنُ أَحْمَرَ:

بجَـو مِـن قَسَّـى ذَفِــرِ الخُزَامَــى تَدَاعَــى الجِرْبِيَــاءُ بــه الحَنِينَــا[1]

ويقال للجَنُوبِ " الأَزْيَبُ " .

ويقال للصَّبا " القَبُول " ـ وبعضُهم يجعلُه للجَنوبِ ، وهو في الصَّبا أشهرُ ، بـل هو القولُ الصحيحُ ـ و " الإيرُ " و " الهيرُ " و " الأَيِّرُ " و " الهَيِّرُ " قال الشاعرُ :

مَطَـــاعِيمُ أَيْسَـــارٌ إذا الهِــــيرُ هَبَّــــتِ[2]

فهذا يدلُّ على أنَّه الصَّبا ، وذلك أنَّهم إنما يتَمَدَّحُونَ بالإِطْعامِ في المَشْتاةِ وشِدَّةِ الزمانِ ، كما قال طَرَفَةُ:

---

(١) البيت من الوافر ، وهـو لا بـن أحمـر فـى ديوانـه ١٥٩ ، ولسـان العرب ٤/ ٣٠٧ (ذفر) ، ١٥/١٨٢(قسا) ، وتاج العروس ١/ ٣٧٤(قسا) ٢/ ١٥٢(جرب) ١١/ ٣٧٤(ذفر) (هجل) .

وله رواية :

بجــو مــن قســى ذفــر الخزامــى تهــادى الجربيــاء بــه الجنينــا

(٢) بهامش نسخة :

مطــاعيم أيســار إذا مــا تنكبــت ملاويــث أجــواد إذا الهــير هبــت

كذا أنشده أبو حنيفة فى كتاب النبات " اهـ .

وأنشده يعقوب :

وإنــا مســاميح إذا هبــت الصبــا وإنــا لأيســار إذا الأيــر هبــت

نحــنُ في المَشْــتاةِ نَدعُــو الجَفَلَــى   لا تَــرَى الآدِبَ فينــا يَنْتَقِــرْ[1]

" الجَفَلَى " العامَّةُ ،و" النَّقَرَى " الخاصَّةُ . و " الآدبُ " صاحب المَأْدُبَةِ ، يقــال : " مأدَبَةٌ " و " مَأْدُبَةٌ " للدَّعْوَةِ ، وفي الحديثِ[2] : " إنَّ القرآنَ مَأْدُبَةُ ا لله " . قــال أهــلُ العلمِ : معناه مَدْعاةُ ا لله ، وليس من " الأدَبِ " . وأكثرُ المفسرين قالوا القــولَ الأولَ ، وكلاهما في العربية جائزٌ ، ويدلُّ على القولِ الأولِ قولُ رسولِ ا لله ﷺ : " **أنا الجَفْنَةُ الغَرَّاءُ** " [3] أي التي يجتمعُ الناسُ عليها ويُدْعَوْنَ إليها ، ويقــال في الدَّعــوة "أَدَبَـهُ يَأْدِبُـهُ

---

(١) البيت من الرمل ، وهو لطرفة بن العبد فى ديوانه ٥٥ ، وأدب الكاتب ١٦٣،وإصلاح المنطق ٣٨١، وخزانـــة الأدب ١٩٠/٨، ٣٧٩/٩، ٤٣٢، ولســـان العـــرب ١/ ٢٠٧(أدب) ٢٣٠/٥(نقر) ١١٤/١١(جفل) ، ونوادر أبى زيد ٨٤، وأساس البلاغة (شتو) ، وبلا نسبة فى جمهرة اللغة ٧٩٥، والمنصف ٣/ ١١٠. وله رواية :

نحن فى المشتاة ندعو الأجفلى   لا ترى الآدب فينا ينتقر

(٢) الحديث أخرجه الحاكم فى " المستدرك (٥٥٥/١) بلفظ : " **إن هـذا القـرآن مأدبـة ا لله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم** ..." الحديث .وقال :" صحيح الإسناد ولم يخرجاه بصالح بن عمر ورده الذهبى بقوله : "صالح ثقة خرج له مسلم ؛ لكن إبراهيـم بـن مسـلم ضعيـف " ، وأورده الحافظ الهيثمى فى "المجمع" (١٦٤/٧) وقال :" رواه الطبرانى ، وفيه إبراهيم بن مسـلم الهجـرى وهو متروك". وذكر الذهبى فى " الميزان " أن ابن حبان رواه أيضًا مـن طريـق ابـن فضيـل وابـن الأجلح عن الهجرى ". وقال الشيخ الألبانى فى " الصحيحة"(٢١٥/٢) : وهذا إسناد لا بأس بـه في المتابعات ، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم غير الهجرى ، واسمه إبراهيم بن مسلم ، وهـو لـين الحديث . وله متابع آخر أخرجه الحاكم (٥٦٦/١) عن عاصم بن أبى النجود عن أبى الأحـوص به نحو حديث عطاء، وقال :" صحيح" وأقره الذهبى " .وانظر ضعيف الجامع (ح٢٠٢٢) .

(٣) قوله :" أنا الجفنة الغراء" ، ليس من كلامـه صلـى ا لله عليـه وسـلم كمـا زعـم أبـو العبـاس رحمه ا لله ، لما رواه أحمد فى " مسنده" (١٥٣/٣) عن مطرف بن عبد ا لله بن الشخير عن أبيه أنـه وفد إلى النبى ﷺ فى رهط من بنى عامر ، قال :فأتيناه فسـلمنا عليـه فقلنـا :أنت ولينـا وأنـت سيدنا ،وأنت أطول علينا ، قال يونس : وأنت أطـول علينـا طـولاً ، وأنـت أفضلنـا علينـا فضـلا وأنـت الجفنـة الغـراء ، فقـال قولـوا قولكـم ولا يستجرنكم الشيطان ، قـال : وربمـا قـال ولا يستهوينكم " فعلى هذا قوله :"أنا الجفنــة الغـراء " ليس مـن كلامـه ﷺ . والحديـث إسناده صحيح كما قال الشيخ الألبــانى فـى تعليقـه علـى المشـكاة (ح٤٩٠٠) ، ورواه بنحـوه أبـو داود وانظر صحيح سننه(ح٤٠٢١) ، وصحيح الجامع (ح٤٤١٨) ، وعـزاه إلى أحمـد وأبـى داود عـن والد مطرف .

أَدْبًا": إذا دعاه ، قال الشاعرُ :

وما أَصبَحَ الضَّحَّاكُ إلا كخالع عَصانا فَأَرْسَلْنا المَنِيَّةَ تأْدِبُهْ

* * *

وقولُنا في الرياح " إنَّها تكونُ أسماءً ونعوتًا " نُفَسِّره إن شاء الله :

تقولُ العربُ أكثر ما تقول : هذه ريحٌ جَنُوبٌ وريحٌ شَمَالٌ وريحٌ دَبُورٌ ، فتجعلُ " جَنُوبًا " و " شَمَالاً " و " دَبُورًا " وسائرَ الرياحِ نُعُوتًا ، قال الأعشى [1] :

لها زَجَلٌ[2] كحفيفِ الحَصَا دِ صادَفَ بالَّليْلِ ريحًا دَبُورَا

وقال زُهَيْرٌ :

مُكَلَّلٌ بأُصُولِ النَّبْتِ تَنْسِجُهُ ريحٌ شَمالٌ لضاحي مائِهِ حُبُكُ[3]

وقال جريرٌ [4]:

ريحٌ خَرِيقٌ شَمالٌ أو يَمَانِيَةٌ . . . .

فهذا يكونُ على النعتِ أَجْوَدَ ؛ لأنه أوضحه بيمانية ، ولا تكون اليمانيةُ إلا نعتًا ؛ لأنها منسوبةٌ . فأما " الخَرِيقُ " فهي الشديدة من كل ريحٍ ، قال حُمَيْدُ بن ثَوْر:

بمَثْوَى حَرَام والمَطِيُّ كأنَّهُ قَنًا مُسْنَد هَبَّتْ لَهُنَّ خَرِيقُ[5]

و" البَلِيلُ " الباردةُ من كل ريحٍ ، وأصلُ ذلك الشمالُ ، قال جريرٌ يُعَيِّرُ بني مُجَاشِعٍ بِخِذْلانهم الزُّبَيْرَ بنَ العوَّامِ في كلمةٍ يقولُ فيها:

---

(١) سلف البيت .

(٢) والزجل صوت ذى طرب وليس مرادًا هنا . رغبة الآمل ١٩٢/٦ .

(٣) من البسيط ، وهو لزهير بن أبى سلمى فى ديوانه ١٧٦، ولسان العرب ٣٧٦/٢(نسج) ، ٧٤/١٠(خرق) ، ٤٠٨/١٠(حبك) ،٥٦٩/١٢(نجم) ، وجمهرة اللغة ٢٨٣، وأساس البلاغة (حبك) ، وتاج العروس ٢٣٩/٦(نسج) ،(حبك)،(نجم)، وبلا نسبة فى المخصص ١٤٩/٩.

وله رواية :

مكلل بأصول النبت تنسجه ريح خريف لضاحى مائه حبك

(٤) عجزه : تعتاده مثل سوف الرائم الجلدا

والبيت من البسيط لجرير في ديوانه ص١٢١ ط . دار الكتب العلمية .

(٥) البيت من الطويل ، وهو لحميد بن ثور فى ديوانه ٣٥ ولسان العرب ٧٤/١٠(خرق) .

إنّـي تُذَكِّرُنـي الزُّبَـيْرَ حَمامَــةٌ تَدْعُـو بـأَعْلَى الأيْكَتَيْـنِ هَدِيـلاَ
يـا لَهفَ نفسـي إذْ يَغُـرُّكَ حَبْلُهُـمْ هَـلاّ اتَّخَـذْتَ على القُيُـون كَفِيـلاَ
قـالتْ قريـشٌ مـا أَذَلَّ مُجاشِـعًا جـارًا وأكْـرَمَ ذا القتيـلَ قَتِيـلاَ
أَفَبَعْـدَ مَـتْرَكِكُمْ خَليـلَ مُحَمَّـدٍ تَرْجُو القُيُونُ مع الرَّسُولِ سَـبِيلاَ
أفَتَى النَّدَى وفَتَى الطِّعانِ غَرَرْتُـمُ وأخَـا الشَّمالِ إذ تَهُـبُّ بَلِيـلاَ [1]

ويُروى أنَّ أُحَيْحَة بنَ الجُلاَحِ الأنصاري - وكان يُنخِّلُ - كان إذا هَبَّتِ الصَّبا طَلَعَ من أُطُمِهِ [2]، فنظرَ إلى ناحية هُبُوبها ، ثم يقولُ : هُبِّي هُبُوبَكِ ، قد أعددتُ لـك ثلثمائةٍ وستين صاعًا من عَجْوَةٍ ، أدْفعُ إلى الوليد منها خمس تَمْراتٍ ، فـيَرُدّ عليَّ منها ثلاثًا ، أي لصلابتها ، بعد جهدٍ ما يَلُوكُ منها اثنتين !! .

وكان لَبيدُ بنُ رَبيعة بن مالكٍ بن جعفرِ بن كِلاَبٍ شريفًا في الجاهلية والإسلامِ قد نَذَرَ ألاّ تَهُبَّ الصَّبا إلاّ نَحَرَ وأطْعَمَ ، حتى تَنْقَضِي ، فهبت في الإسلامِ ، وهو بالكوفة مُقْتِرٌ مُمْلِقٌ ، فَعلِم بذلك الوليدُ بن عُقْبَة بن أبي مُعَيْطِ بن أبي عمرو بن أُمَيَّةَ بن عبدِ شمس بن عبدِ منافٍ ، وكـان وَالِيهَـا لعثمـانَ بـن عَفّـانَ ، وكـان أخـاه لأُمِّـه ، وأُمُّهُما أَرْوَى بنتُ كُرَيْزِ بنِ حبيب بن ربيعة[3] بن عبد شمس فخطب النـاسَ ، فقـال : إنّكم قد عرفتم نَذْرَ أبي عَقِيلٍ ، وما وَكَّدَ على نفسِهِ ، فأعينوا أخاكم . ثم نزل فبعثَ إليه بمائة ناقةٍ وبَعَثَ الناسُ ، فَقَضَى نَذْرَه ، ففي ذلك تقول ابنةُ لَبيدٍ :

إذا هَبَّـتْ رِيـاحُ أبـي عَقِيـلٍ دَعَونـا عِنْـدَ هَبَّتِهـا الوَلِيـدا

* * *

ومَنْ جَعَلَ " الشَّمالَ " و " الجَنُوبَ " أسماءً لم يصرِفْهَا إذا سُـمِّي بشيءٍ منها رجلٌ لأنك إذا سميتَ مذكرًا باسمِ مؤنثٍ عَلَى أربعة أحرفٍ فصاعدًا لا علامة للتـأنيثِ فيه لم تَصْرِفْهُ في المعرفةِ وصرفته فى النكرة ، نحو " عناقٍ" و" أتان" و " عقـربٍ" . وإن

---

(١) الأبيات فى شرح ديوان جرير(مهدى محمد ناصر الدين) صـ ٣٤٢

(٢) الأطم : الحصن يبنى بالحجارة .

(٣) كذا : والصواب :كريز بن ربيعة بن حبيب . انظر ما سلف .

كان نعتًا انصرف ؛ لأنك إذا سميتَ مذكرًا بنعت مؤنثٍ لا علامة فيه صرفته ؛ لأنه مذكَّرٌ نَعَتَّ به المؤنَّثَ ، نحوَ " حائضٍ " و " طالقٍ " و " مُتْئِمٍ " و " مُرْضِعٍ " .

وإذا ذكرنا من الباب شيئًا فما لم نذكره منه فعلى مَجْرَاه ومِنهَاجِهِ ، قال الشاعر ، فجعلَ ما وَصَفْنا أسماءً :

حالتْ وحِيلَ بها وغَيَّرَ آيَهَا طولُ البلَى تَجْري به الرِّيحَان
ريحُ الشَّمال مَعَ الجَنُوبِ وتارةً رهَمُ الرَّبيع وصائبُ التَّهْتَان[1]

وقد أنشدوا بيتَ زُهَير [2]:

ريحُ الجَنُوبِ لِضَاحِي مائِهِ حُبُكُ

وَقولُنا " لا علامَةَ للتأنيث فيه " لتَعْرِفَ كيفَ حكمُ العلامات علاماتِ التأنيثِ؛ لأنَّ ذلك يكونُ على ضربَينْ :

فما كانت فيه ألفُ التأنيثِ مقصورةً أو ممدودةً فغيرُ منصرفٍ في معرفةٍ ولا نكرةٍ ، لمذكَّر كان أو لمؤنثٍ . فالمقصورُ نحو " حُبْلَى " و " سَكْرَى " وما أشْبَهَه ، والممدودُ نحو " حمراء " و " صفراء " و ما أشبه ذلك . وإن كانت ممدودةً لغير التأنيثِ انْصَرَفَ إذا كان لِمُذَكَّرٍ ، في المعرفة والنكرة ، زائدًا كان أو أصليًّا ، فالأصليُّ نحوُ " سِقَاء " و " غِذَاء " و " حذاء " و " رِدَاء " ، والزائدةُ نحوُ " عِلْبَاء " و " حِرْبَاء " و " قُوباءً " . ومن قال " قُوباءُ " يا فتى ، أَنَّثَ و لم يَصْرِفْ ؛ لأن الأُولى مُلْحَقَةٌ ، وهذه للتأنيثِ ، فأما الألفُ المقصورةُ التي لغير التأنيثِ فإن كانت أصليةً انصرفتْ في المذكَّرِ ، نحوُ " مَلْهًى " و"مَغْزًى" و " مُشْتَرًى " ، وإن كانت زائدةً لغير التأنيثِ انصرفتْ في النكرةِ ، و لم تنصرفْ في المعرفة ، نحوُ " أرْطًى " و " عَلْقًى " فيمن جعل الواحدة

---

(١) البيتان من الكامل ، وهما بلا نسبة فى شرح أبيات سيبويه ٢/ ٣٢٧ ، والكتاب ٣/ ٢٣٨ ، والثانى منهما لرجل من باهلة فى لسان العرب ٤/ ٢٧٢(دبر) ، وبلا نسبة فى لسان العرب ٢٨٢/١ (جنب).

ولهما رواية :

حالت وحيل بها وغير آيها صرف البلى تجرى به الريحان
ريح الجنوب مع الشمال وتارة رهم الربيع وصائب التهتان

(٢) سبق البيت

"عَلْقاةً" و "أَرْطاةً" .

وأمَّا ما كانت فيه هاءُ التأنيثِ فهو منصرفٌ في النكرةِ ، وغيرُ منصرفٍ في المعرفةِ ، لمذكَّرٍ كان أو لمؤنثٍ ، عربيًّا كان أو أعجميًّا .

فهذه جملة هذا الباب ،فأما قياسُه وشرحُه فقد أتينا عليه في الكتاب المُقْتَضَب(1).

ويقالُ في أكْثرِ الكلام " هَبَّتْ جَنوبًا " و " هبت شَمالاً " فيُسْتَغْنَى عن ذكر الريح ، وهذا مما يؤكد أنها نعوتٌ ؛ لأن الحالَ إنما بَابُها أن تقعَ (2) فيما يكون وصفًا، قال جَريرٌ:

هَبَّتْ شَـمالاً فَذِكْرَى ما ذَكَرْتُكُمُ … عند الصَّفَاةِ الـتي شَرْقِيَّ حَوْرَانـا(3)

وقال آخر :

فَـأَيُّ حَـيٍّ إذا هَبَّـتْ شَـآمِيَةٌ … واسْتَدْفَأَ الكَلْـبُ بالمأسُورِ ذِي الذَّئَبِ(4)

"المأسورُ" يعني قتبًا ، وإنَّما " الأَسْرُ " الشَّدُّ بالقِدِّ حتى يُحْكَمَ ، وإنما قيل "الأسيرُ" مِنْ ذا ، لأنه كان يُشَدُّ بالقِدِّ. ثم قالت العربُ لكلِّ مُحْكَمٍ :"شديدُ الأسْرِ ". قال ا لله تبارك وتعالى : ﴿ **نَحنُ خَلَقْنَاهُمْ وشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ** ﴾(5) .

وقوله :" ذى الذئب " يعنى الفضول التى وسعته وأسبغته، يقال :" غبيط مذأبٌ" أى ذو ذئبٍ ، أى موسع، و"الغبيط " مركبٌ من مراكب النِّساءِ

---

(1) انظر المقتضب ٢/٢٦٨و٣/٨٧-٨٨و٤/٨-٦.

(2) فى الأصل : تكون .

(3) البيت من البسيط ، وهو لجرير فى ديوانه ١٦٥، وشرح أبيات سيبويه ١/٩٣، وشرح شواهد المغنى ٢/ ٧١٣ والكتاب ١/ ٢٢٢، ٤٠٤. ويروى :

هبت جنوباً فذكرى ما ذكرتكم … عند الصفاة التى شرقى حورانا

(4) البيت فى ديوان الكميت ١/ ١٢٧ ولسان العرب ١٣/ ٥٣٧(كهكه) ، وأساس البلاغة ٤٠٠ (كهكه) وتاج العروس (كهكه) .

وله رواية :

وكهكه الصرد المقرور فى يده … واستدفأ الكلب فى المأسور

(5) سورة الإنسان :٢٨ .

وقال أَوْسُ بن حَجَرٍ ، في شدة البردِ وغَلَبةِ الشَّمالِ ، يَرْثِي [1]فَضَالَة بنَ كَلَدَةَ الأَسَدِيَّ :

وَالحافظُ الناسَ في تَحُوطَ إذا لم يُرْسِلُوا خَلْفَ عائذٍ رُبَعَا

[قال أبو الحسن [2]: وقع في كتابي بالفتح ، وحفظي بالضمّ تُحُوط ، وكلاهما جائز في العربية]

وعَزَّتِ الشَّمْأَلُ الرِّياحَ وقَدْ أَمْسَى كَمِيعُ الفَتَاةِ مُلْتَفِعَا

وكانت الكاعِبُ المُنَعَّمَةُ الـ حسناءُ في زادِ أهلِها سَبُعَا

[قال أبو الحسن : في روايتنا : " المُخَبَّأَةُ " وهو أَجْوَدُ مِنَ المُمَنَّعَةِ] " تَحُوطُ " و " قَحُوطُ " و " كَحْلُ " و " جَحْرَةُ " أسماءٌ للسَّنَةِ المُجْدِبَةِ . و " العائذُ " : الحديثة النِّتاجِ، فَتُنْحَرُ أولادُها في السَّنَة المُجْدِبة إبقاءً على ألبانِها وشُحومِها . و " الرُّبَعُ " : الذي يُنْتَجُ في الربيع ، و " الهُبَعُ ":الذي يُنْتَج في الصيفِ ، يقالُ:"مالَهُ هُبَعٌ ولا رُبَعٌ " . وإنما سُمِّي " هُبَعًا " ؛ لأنَّ الرُّبَعَ أسنُّ منه فيمشي مع أمَّهاتِه ، ولا يَلحقهنَّ الهُبَعُ إلا باجتهادٍ ، فيستعينُ بِعُنُقِهِ في المشي ، يقالُ إذا فعل ذلك " هَبَعَ يَهْبَعُ " .

* * *

ويقال للريحِ الشَّمَال : " نِسْعٌ " و " مِسْعٌ " ، قال الهُذَليُّ:

قد حالَ دونَ دَرِيسَيْهِ مُؤَوِّبَةٌ نِسْعٌ لها بِعِضاهِ الأَرْضِ تَهْزِيزُ[3]

---

(١) ديوانه ق٢٦/٥،٧،٩ ص٥٤-٥٥والتعازى والمراثى :٣٠ وستأتى مع أبيات أخرى .

(٢) قوله " تحوط " لعله ضم للإتباع ويقال تحوط وتحيط بفتح التاء وتحيط بضمها وتكسر للإتباع.

(٣) البيت من البسيط ، وهو للمتنخل الهذلى فى شرح أشعار الهذليين ١٢٦٤، ولسان العرب ١/٢٢١ (أوب) ٥/٤٢٣ (هـزز) ، ٦/٧٩(درس) ، ٨/٣٣٦(مسع) ، ٣٥٣(نسع)، ١٤/٥٢(أوا) ، وتاج العروس ٢/ ٣٧(أوب)، ١٥/٣٨٥(هزز) ، ١٦/٦٧(درس) ،٢٢/١٩٩ (مسع) وللهذلى فى المخصص ٩/٨٥، ١٧/٣، والمذكر والمؤنث للأنبارىص ٤٠٤، وبلا نسبة فى تهذيب اللغة ٢/ ١٠٥ ، ٧/٣٢٧، وجمهرة اللغة ٨٤٣، وتاج العروس ٩/٤٠٥ (خنذ) .

وله رواية:

قد حال بين دريسيه مؤوبة نسع لها بعضاه الأرض تهزيز

" الدَّرِيسَان ":ثوبانِ خَلقَان:و " مُؤَوِّبَة " : " مُفَعِّلَـةٌ " مـن " التـأويب " وهـو سَيْرُ النَّهَارِ ، وإنما يَعْنِي رِيحًا . وقوله" نِسْعٌ " أي شَمالٌ . و " العِضَاهُ " شَجَرٌ ضِخَامٌ ، فبعضُ العربِ يقـول للواحـدةِ "عِضاهَـةٌ " وللجميـع " عِضَـاهٌ " علـى وَزن "دجاجـة ودجـاج " وبعُضهـم يقـولُ في الواحـدة " عِضَــةٌ " فيقـول في الجميـع " عَضَـواتٌ " و " عِضَهَاتٌ " فتكون من الواو ومن الهاء ، قال الشاعرُ:

هــذا طريــقٌ يَــأْزِمُ المَآزِمَــا [١] وعِضَـوَاتٌ تَقْطَـعُ اللَّهَازِمَــا [٢]

ونظيرُ " عِضَةٍ " على أنَّ الساقطَ الهاءُ في قول بعض ، والواوُ في قول بعضٍ "سَنَةٌ" ، فإنَّ بعضَهم يقولُ : " سَنَهاتٌ " واكْتَرَيْتُهُ : مُسَانَهَةً " ، وهذا الحرفُ في القـرآن يُقْـرَأُ على ضروبٍ : فمن قرأ : ﴿ **لَمْ يَتَسَـنَّهْ وانْظُـرْ** ﴾ [٣] فوصـلَ بالهـاء فهـو مـأخوذٌ مـن " سانَهْتُ " ومَنْ جعله من الـواوِ قـال في الوصـلِ : ﴿ **لم يَتَسَـنَّ وانْظُـرْ** ﴾ فـإذا وقـفَ قال:﴿ **لم يَتَسَنَّهْ** ﴾ فكانت الهاءُ زائدةً لبيان الحركةِ ، بمنزلـة الهـاء في قولـه:﴿**فَبِهُداهُـمُ اقْتَدِهْ**﴾[٤] و ﴿ **كِتَابِيَهْ** ﴾ [٥]و ﴿ **حِسَابِيَهْ** ﴾ [٦]، والمعنى واحدٌ ، وتأويلُـه : لَم تُغَيِّره

---

(١) المآزما : هو الضيق بين جبلين ، يريد أن المضايق بالنسبة إلى ضيقه لا تذكر .

(٢) الرجز بلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٢٨٩ ، وجواهر الأدب ص٩٦ ، وخزانة الأدب ٤٤٢/٦، والخصائص ١٧٢/١ ، وشرح المفصل ٣٨/٥ ، والكتاب ٣٦٠/٣ ، ولسان العرب (أزم) ، (عضه) ، ومجالس ثعلب ٤٤/١ ، والممتع في التصريف ٦٢٥/٢ ، والمنصف ٥٩/١ ، ٣٨/٣ ، ١٢٧ ، والمخصص ٧/١٤ ، وتاج العروس (أزم) ، (عضه) .

(٣) سورة البقرة : ٢٥٩، ويتسنه بإثبات الهاء فى الوصل قراءة ابن كثير ونافع وعاصم وأبى عمرو وابن عامر ، ويتسن بحذف الهاء فى الوصل على أنها هاء السكت قراءة حمزة والكسائى من السبعة، وكلهم يقف على الهاء . انظر السبعة ١٨٩ ، وحجة القراءات ١٤٢، والكشف لمكى ٣٠٧/١ ، والبحر ٢٩٢/٢.

(٤) سورة الأنعام :٩٠ ﴿**واقتده**﴾ بإثبات الهاء فى الوصل ساكنة قراءة ابن كثير وأهل مكة ونافع وأهل المدينة، وأبى عمرو وعاصم . وقرأ حمزة والكسائى ﴿**اقتدِ قل**﴾ بغير هاء فى الوصل وكلهم يقف بالهاء ساكنة وقرأ ابن عامر ﴿**اقتده قل**﴾ بكسر الدال ويشم الهاء الكسر من غير بلوغ ياء .

انظر السبعة ٢٦٢ ، وحجة القراءات ٢٦٠ ، والكشف لمكى ٤٣٨/١-٤٣٩، والبحر ١٧٦/٤.

(٥)سورة الحاقة :١٩و٢٥.

(٦) سورة الحاقة :٢٠و٢٦. وكتابيه وحسابيه بإثبات هاء السكت وقفًا ووصلاً قراءة الجمهور . وقرأ ابن محيصن بحذفها وقفًا ووصلاً ، وقرأ ابن أبى إسحاق والأعمش بطرح الهاء فيهما فى الوصل لا فى الوقف . انظر البحر ٣٢٥/٨.

السُّنُونَ [١] ، ومن لم يَقْصِدْ إلى السَّنِة قال : لم يَتأَسَّنْ ، و "الآسِنُ": المتغيِّرُ ، قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ **فيها أَنْهارٌ مِنْ ماء غَيْرِ آسِنٍ** ﴾ [٢]ويقال : " أَسِنٌ " في هذا المعنى ، كما يقال رجل " حَاذِرٌ " و "حَذِرٌ".

* * *

ويقال للرِّيح الجَنُوبِ " النُّعَامَى " قال أبو ذُؤَيْبٍ[٣] :

مَرَتْهُ النُّعَامَى فلم يَعْتَرِفْ ... خِلافَ النُّعامَى من الشَّأْمِ رِيحَا

ومعنى " مَرَتْه " اسْتَدَرَّتْهُ . وفي الحديث : " **ما هَبَّتِ الريحُ الجَنُوبُ إلا أَسالَ الله بها وَادِيًا** "[٤] .

وقال رجلٌ يمدحُ رجلاً :

فَتًى خُلِقَتْ أخلاقُهُ مُطْمَئِنَّةً ... لهُ نَفحاتٌ رِيحُهُنَّ جَنُوبُ[٥]

يريدُ أنَّ الجَنوبَ تأتي بالمطر والنَّدَى .

والعربُ تكره الدَّبورَ ، وفي الحديث أنَّ رسول الله ﷺ قال : " **نُصِرْتُ بالصَّبا ، وأُهْلِكَتْ عادٌ بِالدَّبُورِ** "[٦] .

---

(١) نقل على بن حمزة فى التنبيهات ١٥٧ مقالة للزجاج فى " لم يتسنه" قال : "وقد قال الزجاج : من قال في السنه سانهت فالهاء من أصل الكلمة ، ومن قال في السنه سانيت فالهاء زيدت لبيان الحركة ، فأما من قال إنه من التغيير فخطأ ، والقول قول أبى إسحاق " اهـ .

(٢) سورة محمد : ١٥ .

(٣) وفى نسخة : قال أبو ذؤيب يصف غيما والبيت من المتقارب ، وهو لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص١٩٩ ، ولسان العرب (عرف) ، (نعم) ، وكتاب العين ١٦٢/٢ ، وجمهرة اللغة ص ٩٥٣ ، وتاج العروس (عرف) ، (نعم) ، والأزمنة والأمكنة ٧٧/٢ ، ٣٤٣ .

(٤) الحديث أخرجه الحافظ البيهقى فى " الكبرى "،(٣٦٤/٣) ، ولفظه :" قال الشافعى : وبلغنى أن أبا قتادة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **ماهبت جنوب إلا أسالت واديًا**" قال الشافعى رحمه الله : يعنى أن الله خلقها تهب بشرى بين يدى رحمته من المطر .

(٥) البيت من التقارب ، وهو لأبى ذؤيب فى شرح أشعار الهذليين ١٩٩، ولسان العرب ٢٣٦/٩ (عرف) ١٢/ ٥٨٦(نعم)،وكتاب العين٢/ ١٦٢، وجمهرة اللغة ٩٥٣، وتاج العروس ٢٤/ ٢٤٩ (عرف) ، (نعم) ، والأزمنة والأمكنة ٢/ ٧٧ ، وللهذلى فى الأزمنة والأمكنة ٢/ ٣٤٣.

(٦) الحديث أخرجه البخارى فى " الاستسقاء "، باب : قول النبى " نصرت بالصبا"، (٦٠٤/٢)، (ح١٠٣٥) ، وفى "الأنبياء "، (ح٣٣٤٣) ، وفى " المغازى" (ح٤١٠٥) ، ومسلم فى "الاستسقاء" أيضًا ، باب فى ريح الصبا والدبور،(ح٩٠٠) .

وقَلَّ ما يكون بالدَّبورِ المطرُ ، لأنها تَجْفِلُ [1] السحابَ ، ويكـونُ فيهـا الرَّهَـجُ والغَبَرَةُ ، ولا تَهُبُّ إلا أَقَلَّ ذلكَ إلا بشدَّةٍ ، فتكادُ تَقْلَعُ البيوتَ وتأتِي على الزُّروع .

وقال رجلٌ يهجو رجلاً :

لـو كُنْـتَ ريحًـا كـانتِ الدَّبُّـورَا   أو كنـتَ غَيْمًـا لم تَكُـنْ مَطِـيرَا

أو كُنْـتَ مـاءً لم تكـنْ طَهـورَا   أو كنتَ مُخًّـا كنتَ مُخًّا ريرَا [2]

أو كنـتَ بَـرْدًا كنـتَ زَمْهَريـرَا

" الرِّيرُ " : المخُّ الرقيق ، يقال : مُخٌّ " رِيرٌ " و " رَارٌ " في معنًى واحـدٍ ، قـالِ السُّلَيْكُ [3]:

يَصيـــدُكَ قَـــافِلاً والُمــخُّ رارُ [4]

---

(١) أى تستخفه فتمضى فيه .

(٢) الرجز بلا نسبة فى لسان العرب (٥/٣٣٧٢ ط دار المعارف) (كسر) ، وتاج العروس ١١/ ٢٢ (ضمجر) ، ١٤/ ٣٩(كسر) .

وله رواية أخرى :

لو كنت ماء كنت قمطريرا   أو كنت ريحا كانت الدبورا

أو كانت فخانت مخاريرًا

الأبيات ١، ٣، ٤ فى الكوكبيات (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق م٦٠ ج٢ص٢٤٨) ، والأبيات ٤، ٥، ١، فى الأغانى ٣/١٠٣ .

(٣) بهامش نسخة ما نصه :" قال ابن الأعرابي : قال بشر بن أبى خازم ، ويقال السليك بن السلكة :

نقود الخيل دامية كلاها   إذا ما الطعن كان له استعار

نقدم كل مظلمة طحون   إذا سرنا على حنق وساروا

كأن قوائم ... . البيت

بكل قرارة من حيث جاليت   ركـية سنبك فيها انهيار

أراد أن يقول : ركية حافر فقال سنبك" اهـ .

(٤) عجز بيت من الوافر ، وصدره : ويحضر فوق جهد الحضر نصًّا . وهو للسليك بـن السـلكة في ديوانه ص٥٣ ، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص١٣١٧ ، وسيأتي بعد عدة أسطر .

وله رواية أخرى :

لو كنت ماء كنت قمطريرا   أو كنت ريحا كانت الدبورا

أو كانت فخانت مخاريرًا

الأبيات ١، ٣، ٤ فى الكوكبيات (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق م٦٠ ج٢ص٢٤٨) ، والأبيات ٤، ٥، ١، فى الأغانى ٣/١٠٣ .

والشيءُ يُذكر بالشيءِ ، وقال آخرُ :

لـو كنـتَ مـاءً لم تكـن بعَـذْبِ ... أو كنتَ سَيْفًا كنتَ غيرَ عَضْبِ
أو كنـتَ لحمًا كنتَ لحـمَ كَلْـبِ ... أَوْ كُنْتَ عَـيْرًا كنتَ غيرَ نَـدْبِ[1]

فأما قولُ السُّلَيْكِ فإنه يرثي فرسَه ، وكان يقال له " النَّحَّامُ " فقال :

كـأنَّ قوائِـمَ النحَّـامِ لَمَّـا ... تَحَمَّـلَ صُحْبَـتي أُصُـلاً مَحَـارُ
علـى قَرَمَـاءَ عاليـةً شَـوَاهُ ... كـأنَّ بَيَـاضَ غُرَّتِـهِ خِمَـارُ
ومـا يُدْرِيـكَ مـا فَقْـرِي إليـه ... إذا مـا القَـوْمُ وَلَّـوْا أو أَغـارُوا
ويُخْضِرُ فوق جُهْدِ الحُضْرِ نَصًّـا ... يَصيـدُكَ قـافلاً والمـخُّ رَارُ[2]

قوله " كأنَّ قوائِمَ النَّحام ... مَحَارُ " المحارةُ "الصَّدفَة ، يريدُ المَلاسَةَ ، وأنه قد ارتفعَتْ قوائِمهُ للموتِ . و " الأُصُلُ " جمع " أَصيـلٍ " و " الأصيـلُ " : العَشِيُّ ، يقال " أَصيلٌ وأُصُلٌ " مثل " قَضيبٍ وقُضُبٍ " وجمع " أُصُلٍ " " آصـالٌ " وهـو جمعُ الجمعِ ، وتقديرهُ " عُنُقٌ وأعْناقٌ " و " طُنُبٌ وأطنابٌ " ويقال في جمع" أَصيلَةٍ" أصـائِلُ " مثلُ " خَليفةٍ وخَلائِفَ " . قال الأعْشَى :

---

(١) الندب : الخفيف السريع ، والرجز بنحوه في الأغاني (٣/٩٩) .

(٢) الأبيات من الوافر ، والأول للسليك بن السلكة فى ديوانه ١٨ ، ولسان العرب ٤/ ٢٢(حور) ٤٥٢/١٢(خرم) ١٢/ ٥٧٢(نجم) ، وجمهرة ٥٧٣، وتاج العروس ١١/١٠٥(حور) (نجم) ، وبلا نسبة فى جمهرة اللغة ٦٦٣.

وله رواية أخرى :

كأن قوائم النحام لما ... ترحل صحبتى أصلا محارُ

والثاني لبشر بن أبي خازم في ديوانه ص٧٧، وللسليك بن السلكة في الكتاب ٢٥٨/٤ ، ولسان العرب (تأد) ، (فرم) ، ولتأبط شرًّا في معجم ما استعجم ٤٩١/٢ ، وليس في ديوانـه . وبـلا نسبة في أدب الكاتب ص٥٩١ ، وجمهرة اللغة ص ١٢٣٣ ، وشـرح أبيـات سيبويه ٤٣١/٢ ، ولسـان العرب (قرم) . ويروى : "فرماء" .

والثـالث للسـليك بـن السـلكة في ديوانـه ص٥٣ ، ولسـان العـرب (ركـب) ، وتـاج العـروس (ركب) . ويرى عجزه :

إذا ما الركب في نهب أغاروا

والرابع سبق تخريجه .

. . . . .٥   ولا بأحْسَنَ منها إذْ دَنَا الأُصُلُ[١]

وقال أبو ذُؤَيْب :

لَعَمْري لأَنْتَ البيتُ أُكْرِمُ أَهْلَهُ   وأَقْعُدُ في أَفْيائِهِ بالأَصائِلِ[٢]

و" قَرْمَاءُ " ممدود[٣] اسمُ موضعٍ . و " شَوَاهُ " قوائِمُه،وقد فسرناه قبلَ هذا.

وقوله " ولَّوْا أو أَغَارُوا " إذا طَلَبُوا أو هَرَبُوا . وقوله " يَصِيدُكَ " أي يَصِيدُ لك ، يقال: " صِدْتُكَ ظَبْيًا " قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ** ﴾[٤] أي كَالُوا لهم أو وَزَنُوا لهم ، يقال : " كِلْتُكَ " و " وَزَنْتُكَ " لأنه قد قال تعالى أَوَّلاً : ﴿ **إِذَا اكْتَالُوا عَلَى الناس يَسْتَوْفُونَ** ﴾[٥] .

فأما ما جاء في الحديث من قول رسول الله ﷺ عند الهُبُوبِ : " **اللهمَّ اجْعَلْها رِياحًا ولا تَجْعَلْها رِيحًا** " [٦]فإنَّ العربَ تقولُ : لا تَلْقَحُ السحابُ إلا من رِياحٍ

---

(١) البيت من البسيط ، وهو للأعشى فى ديوانه ١٠٧ وتاج العروس (أصل) ، والصبح المنير في شعر أبي بصير ص٤٣ .

وصدره:

يومًا بأطيب منها نشر رائحة

(٢) البيت من الطويل ، وهو لأبى ذؤيب الهذلى فى إصلاح المنطق ٣٢٠، وخزانة الأدب ٥/ ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩١، ٤٩٧ ، والدرر ١/ ٢٧٣، وشرح أشعار الهذليين ١/ ١٤٢، ولسان العرب ١١/ ١٦ (أصل) ، وتاج العروس(أصل) ، وبلا نسبة فى الأزمنة والأمكنة ٢/ ٢٥٩ ، والإنصاف ٢/ ٧٢٣، وخزانة الأدب ١٦٦/٦، ولسان العرب ١٢٤/١(فيأ) وهمع الهوامع ٨٥/١.

وله رواية أخرى :

لعمري لأنت البيت أكرم أهله   فأقعد فى أفيائه بالأصائل

(٣) نص ياقوت على أنها بالقصر ثم حكى أنها قد جاءت ممدودة ونقل عن ابن كيسان أنه قال : أحسبها مقصورة مدها الشاعر ضرورة .

(٤) سورة المطففين : ٣ .

(٥) سورة المطففين : ٢.

(٦) الحديث أورده الحافظ الهيثمى فى " مجمع الزوائد " (١٣٥/١٠) مطولاً من حديث ابن عباس وقال : رواه الطبرانى ، وفيه حسين بن قيس الملقب بحنش ، وهو متروك ، وقد وثقه حصين بن نمير ، وبقية رجاله رجال الصحيح" والحسين بن قيس هذا ذكره الحافظ فى"التقريب" (١٧٨/١)، وقال : " متروك من السادسة" .

. ويصدِّقُ ذلك قولُ الله عزَّ وجلَّ :﴿الله الذي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحابًا﴾[1]وقولُ النبي ﷺ :" **إذا هَبَّتْ بَحْرِيَّةً ثم تَذَاءَبتْ** " [2]، وقال الشاعرُ :

تَسُحُّ إذا تَذَاءَبَتِ الرِّيَاحُ

يقول : إذا تَقابلتْ ، يقال " تَذاءَبَتْ " و " تَنَاوَحَتْ " أي تقابلتْ [3]،و"تَنَاوَحَ" الشجرُ : إذا قابلَ بعضُه بَعْضًا ، وإنما سميت النائحةُ ؛ لأنها تُقابلُ صاحبتَها .

فإذا خَلَصتِ الريحُ دَبُورًا فهي عندهم من جنس البَوارِ ، وإذا خَلَصَتْ شَمالاً شَتْوِيَّةً فهي بابُ الجَدْبِ ، ومِن ثَمَّ تقولُ العربُ : يُطْعِمُ في الشَّمالِ ، كما تقولُ : يُطْعِمُ في المَحْلِ .

قال أَوْسُ بن حَجَر [4]: " وعَزَّت الشَّمْأَلُ الرِّياحَ " أي غَلَبتْها ، فكانت أقوى منها ، فلم تَدَعْ لها موضعًا . وقوله تعالى : ﴿ وعَزَّنِي في الخِطَابِ ﴾[5] أي غلبني في المُخاطبةِ والخصومةِ[6] ، ومن أمثالِ العربِ [7]: " مَن عَزَّ بَزَّ " أي ؛ مَن غَلَبَ اسْتَلَبَ ، قالت الخَنْساءُ [8]:

كَأَنْ لم يكونوا حِمًى يُتَّقَى إذِ النَّاسُ إذْ ذَاكَ مَنْ عَزَّ بَزَّا

---

(١) سورة الروم :٤٨.

(٢) الحديث رواه مالك فى الموطأ (١٩٩/١) تنوير الحوالك .ط. الفكر ، ولفظه :"إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة . ، وقد قال الحافظ السيوطى فى شرحه للموطأ عند هذا الحديث :" قال ابن عبد البر : هذا الحديث لا أعرفه بوجه من الوجوه فى غير الموطأ ، إلا ما ذكره الشافعى فى الأم عن إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى عن إسحاق بن عبد الله ، أن النبى ﷺ قال : " **إذا أنشأت بحرية ثم استحالت شامية فهو أمطرها** ".

(٣) قال الشيخ المرصفى :" الذى فى اللغة : تذأبت الريح وتذاءبت اختلفت من هنا ومن هنا ..." رغبة الآمل ٢١٣/٦ . وانظر اللسان (ذ أ ب) .

(٤)سلف .

(٥)سورة ص : ٢٣ .

(٦) فى نسخة : فى الخصومة .

(٧) سلف وسيأتى أيضًا .

(٨) ديوانها ص ٨١ ، والفاضل ٤٧. وسيأتى مع أبيات أخر .

قال أبو العباس : وحدثني عمرُو بن بَحْرٍ الجاحظُ قال : رَأَيْتُ رجلاً من غَنِيٍّ يُفاخِرُ رجلاً من بني فزارةَ ، ثُمَّ أَحَدَ بَنِي بَدْرِ بنِ عمروٍ ،وكان الغَنَوِيُّ مُتَمَكِّنًا من لسانه، وكان الفَزاريُّ بَكِيًّا ، فقال الغنويُّ : ماؤُنا ما بينَ الرَّقَمِ [1]إلى كذا ، وهم جيرانُنا فيه، فنحن أقصرُ منهم رِشاءً ، وأعذبُ منهم ماءً ، لَنَا رِيفُ السُّهُولِ ومعاقِلُ الجبال ، وأرضُهم سَبخةٌ ، ومياهُهم أَمْلاحٌ ، وَأَرْشِيَتُهم طِوَالٌ ، والعربُ إذْ ذاك مَنْ عَزَّ بَزَّ ، فبِعِزِّنا ما قَدَرْنا عليهم ، وبِذُلِّهِمْ ما رَضُوا منّا بالضَّيْمِ .

قوله " كان بَكِيًّا " يقول : غيرَ قادرٍ على الكلامِ ، وأصلُ ذلك في الحَلْبِ ، يقالُ : ناقةٌ غَزِيرةٌ وناقةٌ " بَكِيٌّ " ، وهي ضِدُّ الغزيرةِ ، أي قليلةُ اللبنِ ، و " دَهِينٌ " و" صِمْرِدٌ " في معنًى ويقالُ " بَكَأَتِ " الناقةُ و " بَكُؤَتْ " ، وقال سَلامَةُ بنُ جَنْدَل :

يقولُ : مَحبسُها أدْنَى لِمَرْتَعِها   ولَوْ تَدَاعَى بِبُكْءٍ كلُّ مَحْلُوبِ[2]

يقولُ : أن تُحبَسَ الإبلُ على ضُرٍّ يُقَاتَلُ عنها فهو أَدْنَى أنْ تَرْتَعَ فيما تَسْتَقْبِلُ وإن ذهبتْ ألبانُها ، لأنّا إنْ أَطْرَدْناها وهَرَبْنا طُمِعَ فينا واسْتُذْلِلْنا ، ويقالُ في الكلامِ ، رجلٌ عَيِيٌّ بَكِيٌّ .

قال أبو العباس : وهذا الغنويُّ إذا قابلَ بقبيلته آلَ بَدْرٍ فقد أَعْظَمَ الفِرْيَةَ ، وبلغ في البَهْتِ ، وأَشْمَتَ العَدُوَّ بجُمْهُور قَيْسٍ ، وصارَ بهم إلى قولِ الأَخْطَلِ[3] :

وقد سَرَّنِي مِنْ قَيْسِ عَيْلانَ أَنَّنِي   رأيتُ بني العَجْلان سادُوا بني بَدْرِ

* * *

---

(١) بهامش نسخة ما نصه :" الرقم بفتح أوله وثانيه موضع بالحجاز قبل ياجج قريب من وادى القرى كانت فيه وقعة لغطفان على عامر ، قال الراجز :

يا لعنة الله على أهل الرقم   أهل الوقير والحمير والحرم

(٢) البيت من البسيط ، وهو لسلامة بن جندل فى ديوانه ١٢٨، ولسان العرب ١/ ٣٥(بكأ) ٤٢/١٥(عدا) والمعانى الكبير ٩٤٤ ، والمذكر والمؤنث للأنبارى ٤٥٣، وتاج العروس ١/ ٥١ (بكأ) ، وشرح اختيارات المفضل ٥٨٩ ، وسمط اللآلى ٤٧، وبلا نسبة فى مقاييس اللغة ١/ ٢٨٦ .

وله رواية أخرى :

يكون محبسها أدنى لمرتعها   ولو تعارى ببكءٍ كل محلوب

(٣) البيت من الطويل له في ديوانه ص١١١ ط . دار الكتب العلمية .

وكان زيادٌ يقولُ ـ وهو الغايةُ في السياسة ـ : أوصيكم بثلاثةٍ : العالِمِ والشَّيْخِ والشَّرِيفِ ، فوا لله لا أُوتَى بوضيعٍ سَبَّ شريفًا أو شابٌّ وَثَبَ بشيخ أو جاهلٍ امْتَهَنَ عالِمًا إلا عاقبتُ وبالَغْتُ .

وقال عُمارةُ لبَنِي أَسَدِ بن خُزَيْمةَ :

يـا أيُّهـا السَّـائِلي عَمْـدًا لأُخْـبِرَهُ ... بذاتِ نَفْسِي وأَيْدِي ا لله فـوقَ يَـدِي

إنْ تَسْتَقِمْ أَسَدٌ تَرْشَدْ وإنْ شَغَبَتْ ... فـلا يَلُـمْ لائِـمٌ إلاّ بَنِـي أَسَـدِ

إنِّـي رَأَيْتُكُـمُ يُعْصَـى كبيرُكُـمُ ... وتكنَعـونَ إلى ذي الفَجْـرَةِ النَّكِـدِ

فبـاعدَ ا لله كـلَّ البُعْـدِ دارَكُـمُ ... ولا شَفاكم مِنَ الأَضْغانِ والحَسَـدِ

فرأى عصيانَهم الكبيرَ من أقبحِ العيبِ ، وأدَلَّهِ على ضِغْنِ بعضِهم لبعضٍ ، وحَسَدِ بعضِهم بعضًا ، والوضيعُ يَتَفَلَّتُ إلى الشريفِ ، لأنه يَرَى مُقاولتَه فَخْرًا ، والاجتراءَ عليه رِبْحًا ، كما أنَّ مُقاولةَ الشريفِ لِلَّئِيمِ ذُلٌّ وضَعَةٌ .

وقال الشاعرُ :

إذا أنـتَ قـاوَلْتَ اللَّئيـمَ فإنَّمـا ... يكـون عليك الفَضْلُ حينَ تُقاوِلُـهْ

ولستَ كمن يَرْضى بما غَيْرُهُ الرِّضَـا ... ويمسحُ رأسَ الذِّئْبِ والذِّئْـبُ آكِلُـهْ

وسَنُشْبِعُ هذا المعنى إن شاء ا لله .

وفي هذا الشعر بيتٌ يُقَدَّمُ في بابِ الفَتْكِ ، وهو :

فـلا تَقْرَبَـنْ أَمْـرَ الصَّرِيمَـةِ بـامْرِئٍ ... إذا رام أَمْـرًا عَوَّقَتْـهُ عَواذِلُـهْ

" الصَّرِيمةُ " : العَزِيمةُ .

* * *

وقد امتنَعَ قومٌ من الجواب تَنَبُّلاً ، ومواضعُهم تُنْبِئُ عن ذلك ، وامتنعَ قومٌ عِيًّا بلا اعتلالٍ ، وامتنع قومٌ عَجْزًا واعتلُّوا بكَرَاهَةِ السَّفَهِ ، وبعضُهُمْ مُعْتَلٌّ برفعةِ نفسِه عن خصمه ، وبعضُهم كان يَسُبُّهُ الرجلُ الرَّكيكُ من العَشيرة فيُعْرِضُ عنه ويَسُبُّ سيدَ قومِه، وكذلك كانت الجاهليةُ ، وربَّما فعلتْه في الذُّحُول [1] ، قال الراجزُ:

إنَّ بَجِيـلاً كُلَّمـا هَجـانِي ... مِلْـتُ علـى الأَغْطَـشِ أو أَبَـانِ

---

(1) جمع ذحل وهو الثأر .

أو طَلْحَـةِ الخَـيْرِ فَتَـى الفِتْيَـان		أُولاكَ قَـومٌ شَـأْنُهُمْ كَشَـانِي
مَـا نِلْـتُ مِـنْ أَعْرَاضِهِـم كَفَـانِي		وإنْ سَـكَتُّ عَرَفُـوا إحْسَـانِي

وقال أحدُ المُحْدَثِينَ :

إنِّي إذا هَرَّ كَلْبُ الحَيِّ قُلْتُ لَـهُ		اسْلَمْ ورَبُّكَ مَخْنُوقٌ علـى الجِرَرِ[1]

قوله " اسْلَمْ " فاستأنَفَ بـألف الوصـل ؛ لأنَّ النصفَ الأول موقـوفٌ عليـه ، قال الشاعرُ :

ولا يُبَـادِرُ في الشِّـتاء وَلِيدُنَـا		الْقِـدْرَ يُنْزِلُهـا بغـير جِعَـال[2]

" الجِعَالُ " : الذي تُنْزَلُ به البُرْمَةُ ، وربما تُوُقِّيَتْ به حرارتُها . وقال الآخر :

لا نَسَـبَ اليَـومَ ولا خُلَّـةً		اتَّسَـعَ الخَـرْقُ علـى الراقِـعِ[3]

وهذا كثيرٌ غيرُ مَعيبٍ .

---

(١) بهامش نسخة ما نصه : جمع جرة بكسر الجيم ، وهى اللقمة يتعلل بها البعير إلى وقت علفه . وبالفتح الخبزة أو خاص بالتى فى الملة . قاموس . الملة : الرماد ، قاموس "اهـ.

(٢) البيت من الكامل ، وهو للبيد العامرى فى شرح شواهد الشافية ١٨٧، وليس فى ديوانه، ولحاجب بن حبيب الأسدى فى شرح أبيات سيبويه ٢/ ٣٧٤، وبلا نسبة فى الدرر ، ٣١٣/٦ وشرح شافية ابن الحاجب ٢/ ٢٦٦، والكتاب ٤/ ١٥٠ ، ولسان العرب ٦/ ١٩٠ (كأس) ١١٢/١١(جعل) .

(٣) البيت من السريع ، وهو لأنس بن عباس بن مرداس فى تخليص الشواهد ٤٠٥، والدرر ٦/ ١٧٥، ٣١٧،وشرح التصريح ١/ ٢٤١، وشرح شواهد المغنى ٢/ ٦١، والكتاب ٢/ ٢٨٥، ٣٠٩، ولسان العرب ٥/ ١١٥(قمر)١٠/ ٢٣٨(عتق) والمقاصد النحوية ٢/ ٣٥١، وله أو سلمان ابن قضاعة فى شرح أبيات سيبويه ١/ ٥٨٧،٥٨٣، ولأبى عامر جد العباس بن مرداس فى ذيل سمط اللآلى ٣٧، وبلا نسبة فى أمالى ابن الحاجب ١/ ٤٢١، وأوضح المسالك ٢/ ٢٠، وشرح الأشمونى ١/ ١٥١، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ٧٥، ٩٦٧ وشرح شذور الذهب ١١٢، وشرح ابن عقيل ٢٠٢، وشرح المفصل ٢/ ١٠١،١٣٥،٩/ ١٣٨، واللمع فى العربية ١٢٨ ، ومغنى اللبيب ١/ ٢٢٦، وهمع الهوامع ٢/ ١٤٤، ٢١١.

وفي مثل اختيار النَّبيل لِتَكافؤ الأعْراضِ قولُ الأخطل[1] :

شَفَى النَّفْسَ قَتْلَى مِنْ سُلَيْمٍ وعامرٍ ... ولم تَشْفِها قَتْلَى غَنِيٍّ ولا جَسْرِ

ولا جُشَمٍ شَرِّ القَبائلِ إنها[2] ... كبَيْضِ القَطا ليسوا بسُودٍ ولا حُمْرِ

ولَوْ بِبَنِي ذُبْيانَ بلَّت رِمَاحُنا ... لَقَرَّتْ بِهِم عيني وباءَ بهم وِتْري

وقال رجلٌ من المُحدَثينَ ، وهو حَمْدانُ بن أبانَ اللاَّحِقِيُّ :

أَلَيْسَ مِنَ الكبائرِ أنَّ وغْدًا ... لآلِ مُعَذَّلٍ يَهْجُو سَدُوسَا

هجا عِرْضًا لهم غضًّا جَدِيدًا ... وأَهْدَفَ عِرْضَ والدِهِ اللَّبِيسَا

وقال آخرُ :

اَللُّؤْمُ أَكْرَمُ من وَبْرٍ ووالدِهِ ... واللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبْرٍ وما وَلَدَا

وَاللُّؤْم داءٌ لِوَبْرٍ يُقْتَلُونَ بهِ ... لا يُقتلونَ بداءِ غيرِهِ أبَدَا

قَوْمٌ إذَا جَرَّ جانِي قَوْمِهِمْ أَمِنُوا ... مِنْ لُؤْمِ أَحْسابِهِمْ أن يُقْتَلُوا قَوَدَا

وقال آخر من ا لمُحْدَثينَ :

أما الهِجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَه ... والمَدْحُ عنكَ[3] كما عَلِمْتَ جَليلُ

فاذهبْ فأنتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إنَّه ... عِرْضٌ عَزَزْتَ بهِ وأنتَ ذَلِيلُ

وقال آخرُ :

فلو أَنِّي بُلِيتُ بهاشميٍّ ... خُؤُولَتُهُ بنو عَبْدِ المَدَانِ

صَبرْتُ على عدواتِه ولكنْ ... تَعالَيْ فانْظُري بِمَنِ ابْتَلانِي

* * *

ووقف رجلٌ عليه مُقَطَّعاتٌ على الأحْنَفِ بن قيسٍ يَسُبُّه ، وكان عَمرُو بنُ الأهْتمِ جعلَ له ألفَ درهمٍ على أن يُسَفِّهَ الأحْنفَ ، فجعل لايَأْلُو أَنْ يَسُبَّه سبًّا يُغْضِبُ والأحنفُ مُطْرقٌ صامتٌ لا يُكَلِّمُهُ ،فلما رآه لا يكلِّمُه أقبلَ الرجلُ يَعَضُّ إبهامَهُ ويقولُ : يا سَوْأَتَاهْ ! وا للّهِ ما يَمْنَعُهُ من جوابي إلاّ هَوَاني عليه ! .

---

(١) ديوانه ق ١٨/١٣ ، ١٤ ، ١٢ج١ /١٨١.

(٢) فى الأصل : إنهم .

(٣) فى الأصل : فيك . وبهامشه كما فى المتن .

وفَعَلَ ذلك آخرُ ، فأَمسكَ عنه الأحنفُ ، وأكثرَ الرجلُ ، إلى أن أَراد الأحنفُ القيامَ للغَدَاءِ فأقْبَلَ على الرجل ، فقال : يا هذا ، إنَّ غَدَاءَنا قد حضرَ ، فانْهَضْ بنا إليه إن شِئْتَ ، فإنكَ مُنْذُ اليوم تَحْدُو بجَمَلٍ ثَفَال !!

و" الثَّفَالُ " من الإبل : البطِيءُ الثقيلُ الذي لا يكاد يَنْبَعِثُ .

وعُدَّتْ على الأحنفِ سَقْطَةٌ في هذا الباب ، وهو أن عمرَو بن الأَهْتَم دَسَّ إليه رجلاً لِيُسفِّهَهُ ، فقال له : يا أبا بَحْرٍ ، مَا كان أبوك في قومِه ؟ قال : كان من أَوْسَطِهم ، لم يَسُدْهُمْ ولم يتخلَّف عنهم ، فرجعَ إليه ثانيةً ، فَفَطِنَ الأحنفُ أَنَّه من قِبَلِ عمرو ، فقال[1] : ما كان مالُ أبيك ؟ فقال : كانت له صِرْمَةٌ يَمْنَحُ منها ويَقْرِي ، ولم يكنْ أَهْتَمَ سَلاَّحًا[2] .

وجُعِلَ لرجلٍ ألفُ درهم على أن يَسألَ عمرَو بن العاصي عن أُمِّهِ ، ولم تكن في موضعٍ مَرْضِيٍّ ، إنَّما كانت من عَنَزَةَ ، ثم من بني جلاَّنَ ، فأتاه الرجلُ ، وهو بمصرَ أميرًا عليها ، فقال : أردتُ أن أعرفَ أمَّ الأمير ؟! فقال : كانت امرأةً من عَنَزَةَ ، ثم من بني جِلاَّنَ ، تُسَمَّى لَيْلَى ، وتُلَقَّبُ النابغة ، اذْهَبْ فخُذْ مَا جُعِلَ لك !! .

وقال له مرةً المنذرُ بنُ الجارُودِ: أيُّ رجلٍ أنتَ لولا أَنَّ أُمَّكَ أُمُّكَ ؟! قال : فإنِّي أَحْمَدُ اللّهَ إليك،إنِّي فكَّرْتُ فيها البَارحةَ ، فأقبلتُ أُنَقِّلُها في قبائلِ العربِ ، فما خَطَرَتْ[3] لي عبدُ القيسِ ببال !! .

ودخل عمرٌو مكة فرأى قومًا من قريشٍ قد جلسوا حَلْقةً ، فلما رأوه رَمَوْه بأبصارهم ، فَعَدَلَ إليهم فقالَ : أَحْسِبُكُمْ كنتم في شيء من ذكري ؟ قالوا : أجَلْ ، كنا نُمَيِّلُ بينك وبين أخيك هشامٍ أَيُّكما أفضلُ ؟ فقال عمرٌو : إنَّ لهشامٍ عليَّ أربعةً : أُمُّهُ ابنةُ هشامِ بنِ المغيرةِ ، وأُمِّي مَنْ قد عَرَفتم ، وكان أحبَّ إلى أبيه منِّي ، وقد عرفتم معرفةَ الوالدِ بالولدِ ، وأسلمَ قبلي ، واسْتُشْهِدَ وبَقِيتُ .

* * *

قال أبو العباس : وقد أكثر الناسُ في البابِ الذي ذكرناه ، وإنما نَذكرُ من الشيء وجوهَهُ ونوادرَه .

---

(١) في نسخة : فقال له .

(٢) السلاح : كثير السلح .

(٣) في نسخة : فلم تخطر . وبهامشه كما في المتن .

قال رجلٌ لرجلٍ من آل الزبيرِ كلامًا أقْذَعَ له فيه ، فأعرضَ الزبيريُّ عنه ، ثم دار كلامٌ فسبَّ الزبيريُّ عليَّ بنَ الحسين ، فأعرضَ عنه ، فقال له الزبيريُّ : ما يمنعُك من جوابي ؟ فقال عليٌّ : ما منعكَ من جوابِ الرجلِ ! .

وقد رُويَ قولُ القائلِ لرجلٍ : لو قلتَ واحدةً لسمعتَ عشرًا ، فقال له الرجلُ : ولكنك لو قلتَ عشرًا ما سمعتَ واحدةً .

وقال الشاعرُ :

ولقد أَمُرُّ على اللئيم يَسُبُّني ... فأجوزُ ثم أقولُ لا يَعْنِيني[1]

وقال رجلٌ لرجلٍ ،وسبَّه فلم يلتفتْ إليه[2] ،فقال: إياك أَعنِي ، فقال له الرجلُ: وعنكَ أُعْرِضُ .

فأما قولُ الشَّعْبِيِّ للرجلِ ما قال فمِنْ غَيْرِ هذا الباب ، إنَّما مَخْرَجُه الدِّيانةُ ، وذلك أنَّ رجلاً سبَّ الشعبيّ بأمورٍ قبيحةٍ نسبه إليها ، فقال له الشعبيُّ : إنْ كنتَ كاذبًا فغفر الله لك ، وإن كنتَ صادقًا فغفر الله لي .

وقال رجلٌ للصّديقِ رحمه الله : لأَسُبَّنَّكَ سَبًّا يَدخلُ معك قبرَك ! فقال : معكَ

---

(١) البيت من الكامل ، وهو لرجل من سلول فى الدرر ١/ ٧٨ وشرح التصريح ٢/ ١١، وشرح شواهد المغنى ١/ ٣١٠، والكتاب ٣/ ٢٤ والمقاصد النحوية ٤/ ٥٨ ، ولشمر بن عمرو الحنفى فى الأصمعيات ١٢٦، ولعميرة بن جابر الحنفى فى حماسة البحترى ١٧١، وبلا نسبة فى الأزهية ٢٦٣، والأشباه والنظائر ٣/ ٩٠ ، والأضداد ١٣٢، وأمالى ابن الحاجب ٦٣١، وأوضح المسالك ٣/ ٢٠٦، وجواهر الأدب ٣٠٧ وخزانة الأدب ١/ ٣٥٧، ٣٥٨، ٣/ ٢٠١، ٤/ ٢٠٧،٢٠٨ ، ٥/ ٢٣،٥٠٣، ٧/ ١٩٧، ٩/ ١١٩، ٣٨٣، والخصائص ٢/ ٣٣٨، ٣/ ٣٣٠ والدرر٦/ ١٥٤، وشرح شواهد الإيضاح ٢٢١، وشرح شواهد المغنى ٢/ ٨٣١، وشرح ابن عقيل ٤٧٥، والصاحبى فى فقه اللغة ٢١٩ ، ولسان العرب ١٢/ ٨١(ثمم) ، ١٥/ ٢٩٦(منى) ،ومغنى اللبيب ١/ ١٠٢، ٢/ ٤٢٩ ، ٦٤٥، وهمع الهوامع ١/ ٩، ٢/ ١٤٠ .

وله رواية أخرى مشهورة :

ولقد أمر على اللئيم يسبنى ... فمضيت ثمت قلتُ لا يعنينى

(٢) فى الأصل :فأعرض عنه ، وبهامشه كما فى المتن .

وا للهِ يدخلُ لا مَعِي .

قال أبو العباس : ويتصل بهذا الباب ذِكْرُ مَنْ رَغِبَ برجلٍ عن إرْثِ رجلٍ لا يُشاكِلُه ، وولايَةِ رجلٍ لا يُشابِهُهُ ، قال الشاعرُ [1]:

بكتْ دارُ بِشْرٍ شَجْوَها أنْ تَبدَّلَتْ ... هلاَلَ بنَ قعقاعٍ بِبِشْرِ بنِ غالبِ[2]

وما هِيَ إلاّ كالعَرُوسِ تَنقَّلَتْ ... على رَغْمِها من هاشمٍ في مُحَارِبِ[3]

وقال الفرزدقُ [4]حينَ وَلِيَ العِراقَ عُمرُ بنُ هُبَيْرَةَ الفزاريُّ بعَقِبِ مَسْلَمَةَ بنِ عبدِ المَلِكِ :

راحتْ بمَسْلَمَةَ البِغالُ عَشِيَّةً ... فارْعَيْ فَزارةُ لا هَناكِ المَرْتَعُ

ولقد عَلِمْتُ إذا فَزارةُ أُمِّرَتْ ... أنْ سوفَ تَطْمَعُ في الإمارة أَشْجَعُ

فأَرى الأُمُورَ تنكَّرَتْ أعلامُها ... حتى أُمَيَّةُ عن فزارةَ تُنْزَعُ[5]

عُزِلَ ابنُ بِشْرٍ وابنُ عمرٍو قبلَه ... وأخو هَراةَ لمثلها يَتَوَقَّعُ

فلما وَلِيَ خالدُ بنُ عبد ا للهِ القَسْرِيُّ على عُمرَ بنِ هُبَيْرَةَ قال رجلٌ من بني أسدٍ[6] يُجيب الفرزدقَ :

عَجِبَ الفرزدقُ مِن فَزارةَ أَنْ رَأى ... عنها أُمَيَّةُ بالمَشارقِ تُنْزَعُ

فَلَقَدْ رَأى عَجَبًا وأُحْدِثَ بعدَه ... أمرٌ تَضِجُّ له القلوبُ وتَفْزَعُ

بَكَتِ المنابرُ من فَزارةَ شَجْوَها ... فاليومَ من قَسْرٍ تَذُوبُ وتَجْزَعُ

وملوكُ خِنْدِفَ أَسْلَمُونا للعِدَى ... للهِ دَرُّ مُلُوكِنا ما تَصْنَعُ

كانوا كَتَارِكَةٍ بَنِيها جانبًا ... سَفَهًا وغيْرَهُمُ تَصُونُ وتُرْضِعُ[7]

* * *

---

(١) هو إسماعيل بن عمار ، وقيل الوليد بن كعب . انظر ديوان الحماسة بشرح المرزوقى ١٥١٣، والتبريزى ٤/٤٠.

(٢) رواية الحماسة : هلال بن مرزوق .

(٣) الأبيات فى الأغانى ٢١/ ٣١٣، ٣١٤

(٤) سلفت الأبيات .

(٥) انظر ما سلف من التعليق على ضبطه .

(٦) هو إسماعيل بن عمار و الأبيات فى الأغانى ٣٧٩/١١. وسلف الثالث والرابع .

(٧) الأبيات فى الأغانى ٣٨١/١١

قال أبو العباس : وكان الفرزدقُ هَجَّاءً لعمرَ بنِ هُبيرةَ عند ولايته العراقَ ، وفي ذلك يقول ليزيدَ بن عبد الملك :

أميرَ المؤمنينَ وأنتَ بَرٌّ أمينٌ لَستَ بالطَّبعِ الحَريصِ[1]

أأَطْعمتَ العراقَ ورافِدَيْهِ فَزاريًّا أَحَذَّ يَدِ القَميصِ

تَفَهَّقَ بالعِراق أبو المُثَنَّى وعَلَّمَ قومَهُ أكْلَ الخَبيصِ

ولم يَكُ قبلَها راعِي مَخاضٍ لِيَأْمَنَهُ على وَرِكَيْ قَلُوصِ

قوله : " لستَ بالطَّبع الحريص " فـ " الطَّبِعُ " : الشديدُ الطَّمَعِ الذي لا يَفهمُ لِشِدَّةِ طمعِه ، وإنما أُخِذَ هذا من " طَبَعِ السيفِ " يقال " طَبِعَ السيفُ " ، و " هو سيفٌ طَبِعٌ " إذا ركبه الصَّدأُ فغَطَّى عليه . والمَثَلُ من هذا في الذي طُبِعَ على قلبه إنما هو تغطيةٌ وحجابٌ ، يقال " طَبَعَ اللهُ على قلب فلان " ومثلُه[2] : ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ هذا الوقفُ ، ثم قال : ﴿ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾[3] وكذلك " رِينَ عَلَى قلبه " و " غِينَ على قلبه " فـ " الرَّيْنُ " يكونُ من أشياءَ تَألَّفُ عليه فتغطيه ، قال اللهُ جلَّ وعزَّ : ﴿ كَلاَّ بل رَانَ على قُلُوبِهِم ما كانوا يكْسِبُونَ ﴾[4] وأما " غِينَ على قلبه " فهي غِشاوةٌ تعتريه ، و " الغَيْنَةُ " : القطعةُ من الشجر الملتفُّ تُغَطِّي ما تحتها ، قال الشاعر :

كأنِّي بَيْنَ خافِيَتَيْ عُقابٍ أَصابَ حَمامةً في يومِ غَيْنِ[5]

وقال بعضُهم : أرادَ في التفافٍ من الظُّلْمةِ ، وقال آخرونَ : أراد في يومِ غيمٍ ، فأبدل من الميم نونًا، لاجتماعِ الميم والنون في الغُنَّةِ ،كما يقالُ للحيَّةِ " أَيْمٌ "و" أَيْنٌ ". واستجازت الشعراءُ أن تَجْمَعَ الميمَ والنونَ في القوفِي ، لما ذكرتُ لك من اجتماعهما في الغُنَّةِ ، قال الراجزُ :

---

(١) الأبيات فى ديوانه ٣٨٩/١ والفاضل ١١١، وطبقات فحول الشعراء ٣٤٢/١.

(٢) فى الأصل : ومنه . وبهامشه كما فى المتن .

(٣) سورة البقرة : ٧.

(٤) سورة المطففين :١٤ .

(٥) البيت من الوافر ، وهو بلا نسبة فى أمالى القالى ٢/ ٨٧ ورصف المبانى ٢٨٧، ولسان العرب ٣١٦/١٣(غين) ، و المحتسب ١/ ٨٨، والمنصف ٤٨/٣ .

بُنَيِّ إنَّ البرَّ شَيْءٌ هَيِّنُ   الْمَنْطِقُ اللَّيِّنُ والطُّعَيِّمُ(١)

وقال آخرُ :

مـا تَنْقِمُ الحربُ العَوَانُ مِنِّي   بازلُ عامَيْن حديثُ سِنِّي

لِمِثْلِ هذا وَلَدَتْني أُمِّي(٢)

[قال أبو الحسن : بلغني أنَّ عليّا رضوان الله عليه قاله للحسن ابنه] .

و " العِرَاقَان " : البصرةُ والكوفةُ . و " الرَّفِدَان " : دِجْلَةُ والفُراتُ .

وقوله : " أَحَذَّ يَدِ القميص " يريد الخفيفَ ، قال طَرَفَةُ :

وأَتْلَعُ نَهَّاضٌ أَحَذُّ مُلَمْلَمٌ   . . . . (٣)

وإنما نسبه بالخفة في يده إلى السرقة

وقوله " تَفَهَّقَ " أي امتلأَ مالاً ، يقال : بئر " تَفْهَقُ " وغَديرٌ " يَفْهَقُ " : إذا امتلأَ ماءً ، قال الراجزُ :

لا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ للقوم اسْتَقُوا   والقَوْمُ في عُرْض غَدِيرٍ يَفْهَقُ

وقال الأعشَى في مدحِه المُحَلَّقَ بنَ حَنْتَم أحدَ بني أبي بكرِ بن كِلَابٍ :

نَفَى الذَّمَّ عن رَهْطِ المُحَلَّق جَفْنَةٌ   كجابيَةِ الشيخ العِرَاقِي تَفْهَقُ(٤)

كذا راويةُ أبي عُبيدَةَ (٥).

---

(١) الرجز لامرأة قالته لابنها فى نوادر أبى زيد ١٣٤ ولجده سفيان فى تهذيب اللغة ٣٧٠/١٥ ، وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر ٢/ ١٩٠ ، وخزانة الأدب ١١/ ٣٢٥، وسمط اللآلى ٧٢، وشرح شواهد الشافية ٣٤٢، ولسان العرب ١٣/ ٣٩٤(لين) ،والمقتضب ١/ ٢١٧ ،والمنصف ٣/ ٦١ ، وتاج العروس ١/ ٣٩٣ (كفأ) .

(٢) الأبيات فى المقتضب ٢١٨/١ ، وشرح أبيات مغنى اللبيب ٢٥٤/١ . وتنسب للإمام على كرم الله وجهه (باختلاف فى رواية الأول) ولأبى جهل ، ولكليب بن عهمة السلمى (باختلاف فى الأول) ، انظر شرح أبيات مغنى اللبيب ، والسيرة النبوية ٢٨٧/٢، وشرح أشعار الهذليين ٧٧٠/٢ .

(٣)البيت من الطويل ، وهو لطرفة بن العبد فى ديوانه صـ ٢٨ ، وأساس البلاغة (حذذ)

(٤)البيت من الطويل ، وهو للأعشى فى ديوانه صـ ٢٧٥، ولسان العرب ٦٤/١٠(حلق) ، ٣١٤ (فهق) ١٢٩/١٤ جبى ، وتهذيب اللغة ٥/ ٤٠٤، ومقاييس اللغة ١/ ٥٠٣، ٤٥٦،ومجمل اللغة ٤/ ٦٧، وتاج العروس (فهق) ،(جبى) ، وبلانسبة فى المخصص ٥٠/١٠.

(٥) ويروى :" كجابية السيح ". انظر ما سلف .

وقوله :

ولم يَـكُ قَبْلَهـا راعِـي مَخـاضٍ لِيأْمَنَـهُ علـى وَرِكَـيْ قَلـوصِ[1]

كانت بنو فَزارَةَ تُرْمَى بغِشْيانِ الإبلِ ، ولذلك قال ابنُ دارَةَ[2] :

لا تـأْمَنَنَّ فزاريًّـا خلَـوْتَ بـه على قَلُوصِكَ واكْتُبْها بأَسْـيَارِ[3]

فلما عُزِلَ ابنُ هُبَيْرَةَ وحبسَه خالدُ بنُ عبد الله القَسْريّ ، قال الفرزدقُ[4]:

لعمـري لَئِـنْ نـابَتْ فَـزارَةَ نَوْبَـةٌ لَمِنْ حَدَثِ الأيامِ تَحْبِسُـها قَسْـرُ

لقد حَبَسَ القَسْرِيُّ في سجن واسِطٍ فَتًى شَيْظَمِيًّـا مـا يُنَهْنِهُـهُ الزَّجْـرُ

فَتًـى لم تُرَبِّبْـهُ النَّصـارَى ولم يكـنْ غِذَاءً لـه لحـمُ الخنـازيرِ والخَمْـرُ

قوله " فتى شيظميًّا " الشَّيْظَمُ " الطويلُ ، قال ذو الرُّمَّةِ :

إذا مـا رمَيْـن رَمْيَـةً في مَفـازَةٍ عَرَاقِيبَهـا بالشَّـيْظَمِيٍّ المُواشِـكِ[5]

يريدُ : حاديًا يَسُوقُها .

" ما يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ " : يقول : ما يُحَرِّكه .

وقولُه " فتًى لم تُرَبِّبْهُ النصارَى " يُنَبِّهُ به على أُمِّ خـالدٍ ،وكـانت نصرانيـةً روميَّـةً،

---

(١) كذا أنشده ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ٤٠١ والبكرى فى السمط . والرواية كما فى شرح ديوان الحماسة والخزانة :

لا تأمنن فزاريا خلوت به من بعد ما امتلّ أير العير فى النار

وإن خلوت به فى الأرض وحدكما فاحفظ قلوصك واكتبها بأسيار

فهو على هذا مركب من بيتين .

(٢) من أبيات فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى ٢٠٥/١ ، والخزانة ٥٥٧/١ ، وانظر سمط اللآلى ٨٦٢ .

(٣)البيت من البسيط ، وهو لسالك بن دارة فى لسان العرب ٥/ ١٦٣(مدر) /٣٧/٩ (جوف) ، وتهذيب اللغة ٢١١/١١ وتاج العروس ٩٨/١٤ (مدر) ، ١١٢/٢٣ (جوف) ، وبلا نسبة فى لسان العرب ٧٠١/١(كتب) ، وجمهرة اللغة ٢٥٦،٢٤٠ ، ٧٢٤ ومقاييس اللغة ٥/ ١٥٨ ، وكتاب العين ٥/ ٣٤١، وتاج العروس ١٠٣/٤(كتب) ، وأساس البلاغة (كتب) .

وله رواية أخرى :-

لا تأمنن فزاريًا ياخلوت به على بعيرك واكتبها بأسيار

(٤) لم أجد الأبيات فى ديوانه (ط: دار صادر) .

(٥)البيت من الطويل ، وهو لذى الرمة فى ديوانه ١٧٣٧ ، وتاج العروس (وشك)

وكان أبوه استَلَبها في يوم عيدٍ للرُّوم ، فأولدَها خالدًا وأسَدًا،ولذلك يقولُ الفرزدقُ:

ألاَ قَطَعَ الرَّحْمنُ ظَهْرَ مَطِيَّةٍ أَتَتْنا تَهادَى مِن دِمَشْقَ بخالدِ
وكيف يَؤُمُّ الناسَ مَنْ كانَتْ أُمُّهُ تَدِينُ بأنَّ الله ليس بواحِدِ
بَنَى بِيعَةً فيها النَّصارَى لأُمِّهِ ويَهْدِمُ من كُفْرٍ مَنارَ المساجدِ[1]

وقال[2] :

عليكَ أميرَ المؤمنين بخالدٍ وأصحابِهِ لا طَهَّرَ الله خالدَا
بَنَى بِيعةً[3] فيها الصَّليبُ لأُمِّهِ ويَهْدِمُ من بُغْضِ الصَّلاةِ المساجدَا[4]

وكان سببُ هَدْمِ خالدٍ مَنارَ المساجدِ ، حتى حَطَّها عن دُورِ الناسِ أنَّه بلغه شعرٌ لرجلٍ من الموالِي ، موالِي الأنصارِ ، وهو :

لَيتَني في المُؤَذِّنينَ حَيَاتي إنَّهُم يُبْصِرونَ مَنْ في السُّطوحِ
فَيُشِيرونَ أو تُشِيرُ إليهم بالهَوَى كلُّ ذاتِ دلٍّ مَلِيحِ

فحطَّها عن دُورِ الناسِ[5] .

وَرَوَوْا عنه فيما رَوَوْا من عُتُوِّهِ أنه استُعْفِيَ من بيعَةٍ بناها لأُمِّهِ ، فقال لملأ من المسلمين : قَبَحَ الله دينَهم إن كان شرًّا من دينكم .

وقال الفرزدق[6] لابن هُبَيرَةَ حين نُقِبَ له السجنُ فَسَارَ تحت الأرض هو وابنُه حتى نَفَذَا بطنَها :

لَمَّا رأَيتَ الأرضَ قد سُدَّ ظهرُها ولم يَبْقَ إلا بطنُها لك مَخْرَجَا

---

(١) لم أجد الأبيات في ديوانه :(ط:دار صادر) . وهي في الأغاني ٣١٣/٢١.

(٢) ديوانه ١٦٠/١ باختلاف في رواية الأول .

(٣) بيعة: يروى أنه بناها في ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة وكان يضرب لها الناقوس إذا أذن المؤذن .

(٤)البيتان في الأغاني ٢٧/٢٢

ولهما رواية أخرى :

أبلغ أمير المؤمنين رسالةً فعجل هداك الله نزعك خالدا
بنى بيعة فيها الصليب لأمه ويهدم من بغض الإله المساجدا

(٥) في نسخة: المسلمين .

(٦)ديوانه ١١٧/١، والفاضل ١١٢، والأغاني ٣١٢/٢١.

دَعَوْتَ الذي ناداه يونُسُ بعدَما ... ثَوَى في ثلاثِ مُظْلماتٍ ففَرَّجَا

فأصبحتَ تحت الأرضِ قد سِرْتَ سَيْرَةً ... وما سار سارٍ مثلَها حين أدْلَجَا

خرجتَ ولم يمنن عليك طَلاَقَةً ... سوى رَبذِ التَّقْرِيبِ من آلِ أعْوَجَا[1]

فقال ابنُ هُبَيْرةٍ : ما رأيتُ أشرفَ من الفرزدق ، هجاني أميرًا ، ومدحَني أسيرًا .

قولُه " حين أدْلَجا " يقال " أدْلَجْتُ " : إذا سرتَ في أول الليلِ ، و " ادَّلَجْتُ " : إذا سرتَ في السَّحَرِ ، قال زُهَيْرٌ:

بَكَرْنَ بُكورًا وادَّلجنَ بسُحْرَةٍ ... فَهُنَّ لِوَادِي الرَّسِّ كاليَدِ لِلفَمِ[2]

و " أعْوَجُ " فرسٌ كان لِغَنِيٍّ ، وقالوا : كان لبني كِلاَبٍ ، ولا يُنْكَرُ هذا ، لأنَّ خَبِيَّةَ بنتَ رِيَاحِ الغَنَوِيَّةَ ولدَتْ بني جعفرِ بن كلابٍ ، فلعله أن يكونَ صار إلى بني جعفرِ ابن[3] كلاب من غَنِيٍّ .

والعربُ تَنْسُبُ الخَيلَ الجيادَ إلى " أَعْوَدَ " وإلى " الوَجيهِ " و " لاَحقٍ " والغُرابِ" و " اليَحْمومِ " وما أشبه هذه الخَيلَ من المتقدماتِ ؛ قال زَيْدُ الخَيْلِ :

جَلَبْنَا الخيلَ من أجَا وسَلْمَى ... تَخُبُّ نَزائعًا خَبَبَ الذِّئابِ

جَلَبْنَا كلَّ طِرْفٍ أعْوَجِيٍّ ... وسَلْهَمَةٍ كخَافِيَةِ العُقَابِ[4]

ثم نرجعُ إلى التشبيه المصيبِ . قال امرؤُ القيسِ في طولِ الليل :

---

(١)الأبيات فى الأغانى ٢١/٣١٥

(٢)البيت من الطويل ، وهو لزهير فى ديوانه ١٠ ،ولسان العرب ٤/ ٣٥٠(سحر) ٦/٩٨(رسس)، ٢٨٢٠ (عجس). ط: دار المعارف والتنبيه والإيضاح ٢/ ٢٧٧ ، مجمل اللغة ٢ / ٣٥٧ ومقاييس اللغة ٢/ ٣٧٣،وتاج العروس ٥/٥٧٠(دلج)١١/٥١٩(سحر) ،١٦/١٢٥(رطس) ٢٣١(عجس)

وله رواية :-

بكرن بكورًا واستحرن بسحرة ... فهن لوادى الرس كاليد فى الفم

(٣) فى نسخة :لبني .

(٤) البيت من الوافر ، وهو لزيد بن مهلهل الطائى فى ديوانه ٧٣ ، وتاج العروس ١/ ١٢٩(أجأ)

وله رواية أخرى:

جلبنا الخليل من أجاءٍ وسلمى ... تخب نزائعًا خبب الركاب

كَـأَنَّ الثُّرَيَّـا عُلِّقَـتْ فِي مَصَامِهـــا   بـأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إلى صُـمٍّ جَنْـدَلِ[١]

فهذا في ثَبات الليل وإقامته . و " المَصَامُ " المَقَامُ ، وقيل لِلْمُمْسِكِ عـن الطعـام " صائم " لثباتِه على ذلـك ، ويقـال : " صـامَ النهـارُ " : إذا قـامت الشـمسُ ، قـال امـرؤُ القيس:

فَدَعْها وسَـلِّ الهَـمَّ عنـك بِجَسْـرَةٍ[٢]   ذَمُولٍ[٣] إذا صـامَ النهـارُ وهَجَّـرَا[٤]

وقال النابغةُ :

خَيْـلٌ صِيـامٌ وخَيْـلٌ غَـيرُ صائمـةٍ   تحت العَجَاجِ وخيلٌ تَعْلِـكُ اللُّجُمَـا[٥]

و" الأمراسُ " جمعُ " مَراسٍ " وهو الحبلُ ، قال أبو زُبَيْدٍ[٦] يرثـي غلامَـه ويذكـر تَعَرُّضَهُ للحربِ :

إمَّـا تَقَـارَنْ بِـكَ الرِّمَـاحُ فَـلا   أَبكيـكَ إلاَّ لِلدَّلْـــوِ والمَـــرَسِ[٧]

---

(١)البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس من معلقته فى ديوانه ١٩ ولسان العرب ١٣٦/١١(حبل) ، ٣٥١/١٢ (صوم) ، وتهذيب اللغة ٥/ ٧٩ ، وتاج العروس (جدل) ، (صوم) .
وله رواية أخرى : كأن نجوما علقت فى مصامه .

(٢) الجسرة الناقة النشيطة ،والذمول التى تسير سير الذمول وهو سير سريع . عن الديوان .

(٣) ذمول : من ذملت الناقة وكذلك البعير تذمـل بالكسـر والضـم " ذمـلا وذميـلا وذملانـا سـارت سريعًا لينا .

(٤)فى رواية (فدع ذا) ، البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس فى ديوانه صـ ٦٣، ولسـان العـرب ٢٥٥/٥(هجـر) ٣٥١/١٢(صـوم) ، وتهذيـب اللغـة ٢٥٩/١٢ ، وأسـاس البلاغـة (جسـر) ، وتـاج العروس ٤٠٢/١٤(هجر) ،(صام) وبلا نسبة فى مقاييس اللغة ٣/ ٣٢٣

(٥)البيت من البسيط ، وهو للنابغة الذبيانى فـى ملحـق ديوانـه صـ ٢٤٠ ولسـان العـرب ١٠/ ٤٧٠ (علك) ، ١٢/ ٣٥١(صوم) وتهذيب اللغة ٣١٣/١، ١٢/ ٢٥٩ ، وجمهرة اللغـة صـ ٨٩٩ وكتـاب العين ١/ ٢٠٢، ومقـاييس اللغـة ٣/ ٣٢٣، ٤/ ١٣٢، ومجمـل اللغـة ٣/ ٢٥١، والمخصـص ١٣/ ٩، والمعانى الكبير صـ ٩١٥ وله رواية أخرى :

خيل صيام وخيل غير صائمة   تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

وتاج العروس (علك) ، (وصوم) ، وبلا نسبة فى المخصص ١٨٤/٦.

(٦) شعره ق ١٢/٣٥ ص١١٢ .

(٧) فى رواية (إما تقرش بك الصلاح فلا) البيت من المنسرح ، وهو لأبى زبيد الطائى فى ديوانه صـ ١٠٥، ولسـان العـرب ٣٣٤/٦(قـرش)وجمهـرة اللغـة ص ٧٢١ ، ٧٣٢، وطبقـات فحـول الشـعراء صـ٦١٠ ، والشعر والشعراء صـ ٣٠٨، والكامل صـ ٩٩٢، والأغانى ١٢/ ١٦٠

وقال في ثَباتِ الليلِ :

فَيــالَكَ مــن ليــلٍ كــأنَّ نُجومَــهُ بكُــلِّ مُغارِ الفَتْلِ شُـدَّتْ بِيَذْبُــلِ[1]

" المُغَارُ " : الشديدُ الفَتْلِ ، يقالُ : " أَغَرْتُ الحبلَ " : إذا شددتَ فَتْلَه و " يَذْبُلُ "جبلٌ بعينه[2] .

وقال أيضًا:

كــأنَّ أبانًــا في أفــانينِ وَدْقِــهِ كبــيرُ أُنــاسٍ في بِجَــادٍ مُزَمَّــلِ[3]

" أبانٌ " جَبلٌ ، وهما أبانَان : أبانُ الأسْوَدُ ، وأبانُ الأبيضُ[4] ، قال المُهَلْهِلُ ، وكان نزَلَ في آخِرِ حربِهم ، حربِ البَسوسِ ، في جَنْبِ بن عَمرِو بن عُلَةَ[5] بن جَلْدِ بنِ مالكٍ ، وهو مَذْحِجٌ ، و " جَنْبٌ " حَيٌّ من أحيائهم وَضيعٌ ، فَخَطِبَتِ ابنتَه مُهِرَتْ أَدمًا ، فلم يقدر على الامتناع ، فزوَّجَها[6] ، وقال:

---

(١)البيت من الطويل ،وهو لامرئ القيس فى ديوانه صـ ١٩ ،وخزانة الأدب ٢/ ٤١٢ ، ٣/ ٢٦٩ ، والدرر ٤/ ١٦٦ ، وشرح شواهد المغنى ٢/٥٤٧، وشرح عمدة الحافظ صـ ٣٠٣، والمقاصد النحوية ٤/ ٢٦٩، وتاج العروس (ذبل)، وبلا نسبة فى رصف المبانى صـ ٢٢٠ وشرح الأشمونى ٢/ ٢٩١، ومغنى اللبيب ١/ ٢١٥ ، وهمع الهوامع ٢/ ٣٢

(٢) فى طريق نجد .انظر معجم البلدان ٤٣٣/٥.

(٣)فى رواية (كأن ثبيرًا فى عرانين وبله) البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس فى ديوانه صـ ٢٥، وتذكرة النحاة صـ ٣٠٨ ، ٣٤٦، وخزانة الأدب ٥/ ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ٩،١٠٢/ ٣٧ ، وشرح شواهد المغنى ٢/ ٨٨٣، ولسان العرب ١٠/ ٢٥(عقق) ٣١١/١١(زمل) ، ١٧٧/١٢(خزم) ، ٦/١٣ (أبن) ، ومغنى اللبيب ٢/ ٥١٥ وتاج العروس (خزم) ، وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر ٢/ ١٠ والمحتسب ٢/ ١٣٥.

(٤)انظر معجم البلدان ٦٢/١.

(٥)كذا ، والصواب :"فى جنب بن يزيد بن حرب بن علة ". وجنب اسم يقال لمنبه والحارث والغلى وسنحان وهفان وشمران أبناء يزيد بن حرب .انظر جمهرة أنساب العرب ٤١٣.

(٦) زوجها هو معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن منبه بن يزيد بن حرب بن علة . انظر جمهرة أنساب العرب ٤١٣.

أَنْكَحَهَا فَقْدُهَا الأَراقِمَ في جَنْبٍ وكان الحباءُ من أَدَمِ[1]
لو بأَبانَيْنِ جاءَ يَخْطُبُهَا ضُرِّجَ ما أنفُ خاطبٍ بدَمِ[2]

وقولُه " في أَفَانِينِ وَدْقِهِ " يريد : ضُروبًا من ودقه ، و " الوَدْقُ " المطرُ ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾[3] .

وقال عامرُ بنُ جُوَيْنٍ الطائيُّ :

فَلاَ مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهَا ولا أرضَ أَبْقَلَ إبْقالَهَا[4]

وقوله : كَبِيرُ أُنَاسٍ في بِجَادٍ مُزَمَّلِ[5]

---

(١) الحباء فى الأصل : العطاء ، أراد به المهر .عن رغبة الآمل ٦/٢٣٥ .

(٢)البيتان من المنسرح ، وهما للمهلهل فى ديوانه صـ ١٧٩، ولسان العرب ١٣/ ٥ (أبن) ، والبيت الأول فى لسان العرب ١/ ٢٨٣،(جنب) ، ١٢/ ٢٥٠(رقم) ١٦٣/١٤(حبا) ، وتهذيب اللغة ٢٦٦/٥، وتاج العروس ٢/ ١٩٧(جنب) ، (رقم) حبا / (ما) ورواية صدره :" زوجها فقدها." والبيت الثانى له فى شعراء النصرانية صـ ١٧٩ والأغانى ٥/ ٤٣، والدرر٦/ ٢٥٤، وشرح شواهد المغنى ٢/ ٧٢٤،٧٢٥، والشعر والشعراء ١/ ٣٠٥، ولسان العرب ٢/ ٣١٣(ضرج) ، ومعجم البلدان ٦٤/١(أبانان) ومغنى اللبيب ١/ ٣١٢، ولعصم بن النعمان فى معجم الشعراء ص٢٧٥، وبلا نسبة فى جمهرة اللغة صـ١٠٢٨، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٤٦٢، وشرح المفصل ١/ ٤٦ وهمع الهوامع ٢/ ١٥٨ .

(٣)سورة النور :٤٣ وسورة الروم :٤٨ .

(٤)البيت من المتقارب،وهو لعامر بن جوين فى تخليص الشواهدص ٤٨٣، وخزانة الأدب ١/ ٤٥، ٤٩، ٥٠ ،والدرر ٢٦٨/٦، وشرح التصريح ١/ ٢٧٨ ، وشرح شواهد الإيضاح صـ ٣٣٩ ، ٤٦٠ وشرح شواهد المغنى ٢/ ٩٤٣، والكتاب ٢/ ٤٦، ولسان العرب ١١١/٧(أرض)، ٦٠/١١(بقل) ، والمقاصد النحوية ٢/ ٤٦٤، وتاج العروس (ودق) ، (بقل) ، وبلا نسبة فى أمالى ابن الحاجب ١/ ٣٥٢، وأوضح المسالك ٢/ ١٠٨، وجواهر الأدب ص١١٣ ، والخصائص ٢/ ٤١١ ، وشرح الأشمونى ١٧٤/١ ،والرد على النحاة ص٩١، ورصف المبانى ص١٦٦،وشرح أبيات سيبويه ٥٥٧/١ ، وشرح ابن عقيل ص٢٤٤،وشرح المفصل ٥/ ٩٤، ولسان العرب ١/ ٣٥٧ (خضب) ، والمحتسب ٢/ ١١٢ ، ومغنى اللبيب ٢/ ٥٦ ، والمقرب ١/ ٣٠٣، وهمع الهوامع ٢/ ١٧١

(٥)عجز البيت:-

كأن ثبيراً فى عرانين وبله كبير أناس فى بجاد مزمل

البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس فى ديوانه ٢٥، وتذكرة النحاة ٨٠٣، ٣٤٦، وخزانة الأدب ٥/ ٩٨،٩٩، ١٠٠/ ١٠٢/٩/٣٧ وشرح شواهد المغنى ٢/ ٨٨٣، ولسان العرب ٢٢٥/١٠/١(عقق) ١١/ ٣١١(زمل) ،١٧٧/١٢(خزم)،٦/١٣(أبن) ، ومغنى اللبيب ٢/ ٥١٥، وتاج العروس(خزم)، وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر ٢/ ١٠ ، والمحتسب ٢/ ١٣٥ .

يريدُ : مُزَمَّلاً بثيابه ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيُّها المُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيلَ إلاَّ قليلاً ﴾[1] ، وهو " المُتَزَمِّلُ " بثيابه ، والتاء مدغمةٌ في الزاي . وإنما وَصَفَ امرؤُ القيسِ الغيثَ ، فقال قومٌ : أراد أنَّ المطر قد خنَّقَ الجبلَ فصار له كاللباس على الشيخ المتَزَمِّلِ ، وقال آخرون : إنما أراد ما كَسَاهُ المطرُ من خضرة النَّبْتِ . وكلاهما حسنٌ ، وذَكَرَ الوَدْقَ لأنَّ تلك الخضرةَ من عملِه .

وقال الراجزُ يصفُ غيمًا :

أَقْبَلَ فِي المُسْتَنِّ مِن رَبابِهِ ... أَسْنِمَةُ الآبَالِ فِي سَحابِهِ

أراد أنَّ ذلك السحابَ يُنْبِتُ ما تأكلُه الإبل ، فيصيرُ شحومًا في أسنمتها .

و " الرَّبابُ " : سحابٌ دُوَيْنَ المعظم من السحاب ، قال المازنيُّ[2] :

كأنَّ الرَّبابَ دُوَيْنَ السَّحابِ ... نَعامٌ يُعَلَّقُ بالأَرْجُلِ[3]

وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ إنِّي أَرَاني أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾[4] أي أعصر عِنَبًا فيصيرُ إلى هذه الحالِ .

وقال زُهَيْرٌ:

كَأَنَّ فُتَاتَ العِهْنِ في كل مَنزلٍ ... نَزَلْنَ به حَبُّ الفَنَا لم يُحَطَّمِ[5]

" الفَنَا " : شجرٌ بعينه ، يُثْمِرُ ثمرًا أحمرَ ، ويتفرَّقُ في هيئة النَّبقِ الصِّغار . فهذا من أحسن التشبيه ، وإنما وصفَ ما يسقُطُ من أنماطِهِنَّ إذا نَزَلْنَ . و " العِهْنُ ": الصُّوفُ

---

(١) سورة المزمل :١-٢.

(٢)هو زهير بن عروة بن حلهمة الملقب بالسَّكْب.

وبهامش نسخة ما نصه : قبله:

إذا الله لم يسق إلا الكرام ... فأسقى وجوه بنى حنظلِ

أحبش ملثًا غزير السحاب ... هزيم الصلاصل والأزملِ

ويروى لعبد الرحمن بن حسان " اهـ .

(٣) البيت من المتقارب ، وهو لعبد الرحمن بن حسان ، أو لعروة بن حلهمة المازنى فى تاج العروس ٢/ ٤٧٢(ربب) ، ولسان العرب ١/ ٤٠٢ (ربب) ، والتنبيه والإيضاح ١/ ٨٠ . والبيت من أبيات لعروة فى الأغانى ٢٢/٢٧٠-٢٧١، وسمط اللآلى ٤٤١. وسيأتى البيت

(٤) سورة يوسف :٣٦.

(٥) البيت من الطويل ، وهو لزهير بن أبى سلمى من معلقته فى ديوانه ١٢ولسان العرب ٢/ ١٦٥ (فتت) ، ١٥/ ١٦٥(فنى) ، والمقاصد النحوية ٣ / ١٩٤ ، وبلا نسبة فى شرح الأشمونى ١ / ٢٥٩ .

هذا قول أكثرِ أهلِ اللغة ، وأما الأصمعيُّ فقال : كلُّ صوفٍ عهنٌ . وكذلك قال أهلُ اللغة : الحَنْتَمُ : الخَزَفُ الأخضرُ ، وقال الأصمعيُّ:كلُّ خَزَفٍ حنتمٌ ، وأنشد :

مَـنْ مُبْلِـغُ الحَسْـناءِ أَنَّ حَلِيلَهـا بمَيْسَانَ يُسْقَى في زُجاجٍ وحَنْتَمِ[1]

وقال جريرٌ:

ما في مَقـامِ ديـارِ تَغْلِـبَ مَسْـجِدٌ وبهـا كنـائِسُ حَنْتَـمٍ ودِنَـانِ[2]

* * *

قال أبو العباس : والتشبيهُ جارٍ كثيرٌ في الكلام ، أعني كلامَ العربِ ، حتى لو قال قائلٌ : هو أكثر كلامِهِمْ لم يُبْعِدْ .

قال ا لله عزَّ وجلَّ وله المَثَلُ الأَعْلَى : ﴿ **الزُّجَاجَةُ كأنها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ** ﴾[3] ، وقال: ﴿ **طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤوسُ الشَّياطِين** ﴾[4] . وقد اعترضَ معترضٌ من الجَهَلَةِ المُلْحِدينَ في هذه الآية:فقال:إنما يُمَثَّلُ الغائبُ بالحاضِرِ ، ورُؤُس الشياطين لم نَرَها ، فكيف يَقَعُ التمثيلُ ؟! فهؤلاء في هذا القول كما قال ا لله جلَّ وعزَّ : ﴿ **بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لم يُحِيطُوا بعِلْمِهِ ولَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْويلُهُ** ﴾[5] . وهذه الآيةُ قد جاء تفسيرُها على ضربين: أحدُهما أنَّ شجرًا يقال له " الأَسْتَنُ " منكَرَ الصورةِ يقالُ لثمره " رؤوس الشياطين"وهو الذي ذكره النابغةُ في قوله :

تَحِيدُ مِنْ أَسْتَنٍ سُودٍ أَسَافِلُهُ . . . .[6]

---

(١)البيت من الطويل ،وهو للنعمان بن نضلة العدوى فى لسان العرب ١٤/١٣٦ (جذا) ،وللنعمان ابن عدى فىلسان العرب ١٢/١٦١ (حنتم) ،وتاج العروس (حنتم) ، وبلا نسبة فى لسان العرب ١٠/ ١٠٧ (دهق) .

وله رواية أخرى :

ألا أبلغا الحسناء أن حليلها بميسان ، يسقى من زجاج وحنتم

(٢)البيت فى شرح ديوان جرير صـ ٤٣٧ .

(٣) سورة النور :٣٥ .

(٤) سورة الصافات :٦٥.

(٥)سورة يونس : ٣٩ .

(٦)البيت من البسيط،وهو للنابغة الذبيانى فى ديوانه ٦٥،ولسان العرب ١٣/ ٢٠٣ (سن)، ١٤/ ٢٦٥ (دلا) ، ومقاييس اللغة ٣/ ١٣٣، ومجمل اللغة ٣/ ١١٨ ، وتاج العروس (ستن) ، وبلا نسبة فى جمهرة اللغة ٣٩٩ .

وله رواية أخرى :

تحيد عن أستن سود أسافله مثل الإماء الغوادى تحمل الحزما

وزَعم الأصمعيُّ أن هذا الشجرَ يسمى " الصَّوْمَ " . والقولُ الآخرُ ـ وهو الذي يَسْبقُ إلى القلب ـ أنَّ الله جلَّ ذكرهُ شَنَّعَ صورةَ الشياطينِ في قلوب العبادِ ، فكان ذلك أبلغَ من المعايَنة ، ثم مَثَّلَ هذه الشجرةَ بما تَنْفِرُ منه كلُّ نفسٍ .

قال أبو العباس : وحُدِّثْتُ في إسنادٍ متصلٍ أنَّ أبا النَّجْم العِجْليَّ أنشدَ هشامًا :

والشمسُ قد صارتْ كَعَيْنِ الأَحْوَلِ(١)

لمّا ذهبَ به الرَّويُّ عن الفِكر في عين هِشام ، فأغضبَه ، فأمَر به فطُرِدَ فأَمَّلَ أبو النجم رَجْعَتَهُ ، فكان يأوي المسجدَ . فأَرِقَ هشامٌ ذات ليلةٍ ، فقال لحاجبه ، ابْغِني رجلاً عَرَبيًّا فَصيحًا يحادثُني ويُنْشِدُني ، فَطَلَب له ما طَلَبَ فَوَقَفَ على أبي النَّجم،فَأَتى، فلما دُخِلَ به إليه قال : أَينَ تكونُ منذُ أَقصيناكَ ؟ قال : بحيثُ أَلْفَتْني رُسُلُكَ ، قال : فمنْ كانَ أبا مَثْوَاكَ ؟ قال : رجلين : كَلْبيًّا وتَغْلَبيًّا أَتغدَّى عندَ أحدهما،وأَتَعشَّى عند الآخر، فقال له : مَالَكَ مِنَ الوَلَدِ ؟ قال : ابنتان ، قال : أَزَوَجْتَهُما ؟ قال : زوَّجتُ إحداهما، قال : فبِمَ أوصَيتهَا ؟ قال : قلتُ لها ليلةَ أَهْدَيْتُها :

سُبِّي الحماةَ وابهَتِي عليهَا	**وإنْ أَبَتْ فازْدَلِفي إلَيهَا**
ثمَّ اقْرَعِي بالودِّ مِرْفَقَيْهَا	**وجَدِّدِي الحِلْفَ بهِ عليهَا**

لاَ تُخْبِري الدهرَ بذاكَ ابْنَيْهَا(٢)

قال : أَفَأوصيتَهَا بغير هذا ؟ قال : نَعم ، قلتُ :

أَوْصَيْتُ مِن بَرَّةَ قَلبًا حُرًّا	**بالكَلْبِ خيرًا والحماةِ شَرًّا**
لاَ تَسْأَمِي نَهْكًا لها وضَرًّا	**والحَيَّ عُمِّيهِمْ بِشَرٍّ طُرًّا**
وإن كَسَوْكِ ذهبًا ودُرًّا	**حتى يَرَوْا حُلْوَ الحياةِ مُرًّا(٣)**

---

(١) من لاميته فى الطرائف الأدبية ٦٩. وروايته

فهي على الأفق كعين الأحول .

(٢)الرجز لأبى النجم فى لسان العرب ٢/ ١٢(بهت)، ٤٨٨/١٣(دره) ، وتاج العروس ٤/٤٥٥(بهت)، وديوان الأدب ٢/ ١٩٢، وبلا نسبة فى لسان العرب ١٤/ ١٩٨ (حما) وتاج العروس (حما)

وله رواية :-

وسبى الحماة وابهتى عليها ثم اضربى بالود مرفقيها

(٣)الأبيات فى الأغانى ١٠ / ١٩٢ وهى لأبى النجم العجلى

قال هشامٌ : ما هكذا أَوْصَى يعقوبُ ولدَه ، قال أبو النجم : ولا أنـا كيعقـوبَ ، ولا بَنِيَّ كولَدِه !! قال : فما حالُ الأُخرى ؟ قال : قد دَرَجَتْ بين بيوتِ الحَيِّ وتَنْفَعُنـا في الرسالةِ والحاجةِ، قال : فما قلتَ فيها ؟ قال : قلتُ :

كـأَنَّ ظَلاَّمَـةَ أُخْـتَ شَـيْبانْ ... يَتيمـةٌ ووالِداهَـا حَيَّـانْ

الـرأسُ قَمْـلٌ كلُّـه وصِئْبَـانْ ... وليـس في الرِّجْلَيْـن إلاَّ خَيْطَـانْ

فهْي الـتي يُذْعَـرُ منهـا الشـيطانْ[1]

قال : فقال هشامٌ : يا غلام ، ما فعلتِ الدنانيرُ المختومـةُ الـتي أمرتُـك بقَبْضِهـا ؟ قال : ها هي عندي ، ووزْنُها خمسُ مائةٍ ، قال فادْفعْها إلى أبي النجـم ليجعلَهـا في رِجْلَـيْ ظَلاَّمةَ مكانَ الخَيْطَيْن .

أفلا تَراهُ [2]قال : " فهيَ الـتي يُذْعَـرُ منهـا الشـيْطان " وإن لم يَـرَهُ ، ولمـا قُـرِّرَ في القلوب من نَكارَتِه وشَناعَتِهِ . وقال آخرُ :

وفي البَقْـلِ إنْ لم يَدْفَـع ا للهُ شَـرَّهُ ... شَـياطينُ يَـنْزُوا بَعْضُهُـنَّ علـى بعـض

وزعَـمَ أهـلُ اللغـة أنَّ كـلَّ متمـرِّدٍ مـن جنٍّ أو إنسٍ أو سَبُعٍ أو حيَّـةٍ يقـال لـه " شيطانٌ "، وأنَّ قولَهم " تَشَيْطَنَ " إنما معناه : تَخَبَّثَ وتَنَكَّـر ، وقـد قـال ا للهُ جـلَّ وعـزَّ : ﴿شَيَاطِينَ الإِنْسِ والجِنِّ﴾[3] ، وقال الراجزُ :

أَبْصَرْتُهـا تَلْتَهِـمُ الثُّعْبَانَـا ... شـيطانَةٌ تزَوَّجَـتْ شـيطانَا

وقال امْرؤُ القيس :

أَيُوعِدُنِـي والمَشْـرَفِيُّ مُضَاجِعِي ... ومَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأَنيـابِ أَغْـوَالِ[4]

و " الغُولُ " لم يُخبِرْ صادقٌ قطُّ أنه رآها .

ثم نرجعُ إلى تفسيرِ شعرِ أبي النجم :

قوله : سُبِّي الحماةَ وابْهَتِي عليها

إنما يريدُ:ابْهَتِيها،فوضَعَ " ابْهَتِي " في موضع"اكْذِبي" فمِن ثَمَّ وَصَلَها:بـ " على "

---

(١)البيتان لأبى النجم العجلى فى الأغانى ١٠ / ١٩٣

(٢) كتب تحته فى الأصل :" من كلام المؤلف " .

(٣) سورة الأنعام :١١٢.

(٤)البيت فى ديوان امرئ القيس ١٢٥.

والذي يُسْتَعْمَلُ في صِلَة الفعل اللامُ ، لأنها لامُ الإضافة ، تقـول:"لِزيـدٍ ضربـتُ " و" لعمرو أكرمتُ " وإنما تقديرهُ : إكرامي لعمرو ، وضربي لزيد ، فأُجْرِي الفعلُ مَجْـرَى المصدرِ . وأحسنُ ما يكون ذلك إذا تقدَّمَ المفعولُ ،لأن الفعلَ إنما يجيء وقد عَمِلَتِ الـلامُ، كما قال ا لله جلَّ وعزَّ : ﴿ إنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْـبُرُونَ ﴾[1] وإنْ أُخِّـرَ المفعـولُ فهـو عَرَبـيٌّ حسنٌ . والقرآنُ محيطٌ بجميع اللغاتِ الفصيحةِ ، قال ا لله جلَّ وعزَّ: ﴿ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُـونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [2]والنحويون يقولون في قوله جلَّ ثنـاؤه:﴿قُلْ عَسـى أَنْ يَكُـونَ رَدِفَ لَكُمْ ﴾[3] إنما هو : رَدِفَكُمْ . وقال كُثَيِّرٌ :

أُرِيـدُ لأَنْسَـى ذِكْرَهـا فكأنَّمـا تُمَثَّـلُ لي لَيْلَـى بكـلِّ سَـبيلِ[4]

وحروفُ الخفضِ يُبْدَلُ بعضُها مـن بعـض ، إذا وقـع الحرفـان في معنًـى في بعـض المواضع ، قال ا لله جلَّ ذكره : ﴿ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِـي جـذُوعِ النَّخْـلِ ﴾[5] أي " عَلَـى " ، ولكنَّ الجذوعَ إذا أحاطتْ دخلتْ " في " لأنها للوعاء ، يقال : " فلانٌ في النَّخْلِ " أي قد أحاطَ به ؛ قال الشاعرُ[6] :

هُـمُ صَلَبُـوا العَبْـدِيَّ في جَـذْعِ نخلـةٍ فـلا عَطَسَـتْ شَـيْبانُ إلاّ بأجْدَعَـا

---

(١) سورة يوسف :٤٣.

(٢)سورة الزمر :١٢.

(٣)سورة النمل :٧٢ .

(٤)البيت من الطويل ، وهو لكثير عزة في ديوانه ١٠٨ ، والأغاني ٤/ ٢٦٧، ٢٦٨ ٢٦٩،٩/٣٣٥/٣٣٦، وأمالى القالى ٢/ ٦٣، وخزانة الأدب ٣٢٩/١٠، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ١٢٣٧، وشرح شواهد المغنى ٦٥/١ ،٥٨٠/٢ ،ولسان العرب ١١٨/٣ (رود) ، والمقاصد النحوية ٢/ ٤٠٣/٣،٢٤٩، وبلا نسبة فى الجنى الدانى ١٢، ورصف المبانى ٢٤٦، واللامات ١٣٨، والمحتسب ٣٢/٢، ومغنى اللبيب ١/ ٢١٦ .

(٥) سورة طه : ٧١ .

(٦)هو سويد بن أبى كاهل اليشكرى . والبيت من كلمة له فى منتهى الطلب كما ذكر البغدادى فى شرح أبيات مغنى اللبيب ٦٢/٤-٦٥ .ونسب لقراد بن حنش الصاردى فى الحماسة البصرية ٨٠/١ .وانظر أدب الكاتب ٥٠٦ وهو من شواهد المقتضب ٣١٩/٢.

وقال الله جلَّ وعزّ : ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾[1] أي " عليه " وقال تبارك وتعالى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾[2]، أي : بأمرِ الله . وقال ابنُ الطَّثْرِيَّةِ :

غَدَتْ مِنْ عَلَيْه تَنْفُضُ الطَّلَّ بعدما ... رأتْ حاجِبَ الشمسِ اسْتَوَى فَتَرَفَّعَا

وقال الآخرُ :

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ بعدَ ما تَمَّ خِمْسُها ... تَصِلُّ وعن قَيْضٍ بزِيزَاءِ مَجْهَلِ[3]

أي : من عنده . وقال العامريُّ[4] :

إذا رضِيَتْ عليَّ بنو قُشَيْرٍ ... لَعَمْرُ اللهِ أَعجبَنِي رِضَاهَا

---

(١) سورة الطور : ٣٨.

(٢) سورة الرعد : ١١.

(٣)البيت من الطويل ، وهو لمزاحم العقيلي في ديوانه ١١، وأدب الكاتب ٥٠٤ ، والأزهية ١٩٤، وخزانة الأدب ١٤٧/١٠،١٥٠ ، والدرر ٤/ ١٨٧، وشرح التصريح ٢/ ١٩ ، وشرح شواهد الإيضاح ٢٣٠، وشرح شواهد المغنى ١/ ٤٢٥، وشرح المفصل ٨/ ٨٣، ولسان العرب ٣٨٣/١١(صلل) ، ٨٨/١٥(علا) ، والمقاصد النحوية ٣/ ١٠٣ ونوادر أبى زيد ١٦٣، وتاج العروس (صلل) ، (علا)، وبلا نسبة فى أسرار العربية ١٠٣، والأشباه والنظائر ٣/ ١٢، وأوضح المسالك ٣/ ٥٨ ، وجمهرة اللغة ١٣١٤، والجنى الدانى ٤٧٠، وجواهر الأدب ٣٧٥، وخزانة الأدب ٦/ ٥٣٥، ورصف المبانى ٣٧١، وشرح الأشمونى ٢/ ٢٩٦ ، وشرح ابن عقيل ٦٧ ، والكتاب ٤/ ٢٣١، ومجالس ثعلب ٣٠٤، ومغنى اللبيب ١/ ١٤٦ ، ٢/ ٥٣٢ ، والمقتضب ٣/ ٥٣، والمقرب ١٩٦/١، وهمع الهوامع ٣٦/٢وله رواية أخرى :-

غدت من عليه بعد ما تم خمسها ... تصل وعن قيض بيداء مجهل

(٤)بهامش نسخة مانصه :" هو القحيف العقيلى .وزاد أبو زيد بعده .

ولا تنبو سيوف بنى قشير ... ولا تمضى الأسنة فى صفاها " اهـ .

انظر النوادر ١٧٦، والمقتضب ٢/ ٣٢٠ ، والخزانة ٢٤٧/٤ . وسلف البيت ص ٧٢٢.

وهذا كثيرٌ جدا .

وقوله : **وَإِنْ أَبَتْ فَازْدَلِفِي إِلَيْهَا**

يقول : تَقَرَّبي ، ومن ذا سُمِّيت " المُزْدَلِفَةُ " . قال العَجَّاجُ [١]:

نـاجٍ طَـواهُ الأَيْـنُ مِمَّـا وَجَفَـا ... طَـيَّ اللَّيـالِي زُلَفًـا فزُلَفَـا [٢]

سَـمَاوَةَ الهِـلالِ حتـى احقَوْقَفَـا

يقال : " زُلْفَةٌ " و " زُلَفٌ " كقولك " غُرْفَةٌ " و " غُرَفٌ " .

وقوله : **بالكلب خيرًا والحَماةِ شَرًّا [٣]**

كَلام مَعيبٌ عندَ النحويين ، وبعضُهم لا يُجيزه ،وذلكَ لأنّه عَطْفٌ على عامِلَين: على الباءِ وعلى الفعلِ ، ومَنْ قال هذا قال : ضربتُ زيدًا في الدار والحُجْرَةِ عمرًا . وكان أبو الحسَن الأخفش يراهُ [٤]، ويقرأُ ﴿ **وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّماء مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٍ** ﴾ [٥] فعطَفَ على "إنَّ" وعلى " في " . وقال عَدِيُّ بن زيدٍ [٦]:

أَكُـلَّ امْـرِئٍ تَحْسَـبِينَ امْـرَأً ... ونـارٍ تَوَقَّـدُ بـالليلِ نَـارَا [٧]

---

(١) سلفت الأبيات .

(٢) الرجز للعجاج فى ديوانه ٢/ ٢٣٢، ولسان العرب ٩/ ٥٢(حقف) ،١٣٨ (زلف) ، ٣٥٢(وجف) ، ١٤/ ٤٠٠ (سما) ، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٣١٩ والكتاب ١/ ٣٥٩ ، وتهذيب اللغة ١٣/ ٢١٤، وديوان الأدب ٢/ ٤٩٢، وتاج العروس ١٥٧/٢٣ (حقف) ، ٤٠٠(زلف)٤٤٧/٢٤(وجف) ،(سما) ومجمل اللغة ٢/ ٩٣، وكتاب العين ٣١٩/٧ ، وأساس البلاغة (حقف) ، وبلا نسبة فى جمهرة اللغة ٥٥٣، ومقاييس اللغة ٢/ ٩٠ والمخصص ١٣٧/١٠، وديوان الأدب ٤/ ٤٩، وتهذيب اللغة ٤/ ٦٨، ١٣/ ١١٦ .

(٣) البيت سبق تخريجه .

(٤) بهامش نسخة :"يجيزه" .

(٥) سورة الجاثية : ٥ : وقد سلف تخريج القراءة .

(٦) سلف البيت . وانظر ما علقناه على نسبته ثمة .

(٧) البيت من المتقارب ، وهو لأبى دؤاد فى ديوانه ٣٥٣،والأصمعيات ١٩١ وأمالى ابن الحاجب ١٣٤/١، ٢٩٧ ،وخزانة الأدب ٥٩٢/٩، ٤٨١/١٠، والدرر ٥/ ٣٩ ، وشرح التصريح ٢/ ٥٦، وشرح شواهد الإيضاح ٢٩٩ ، وشرح شواهد المغنى ٢/ ٧٠٠ ، وشرح عمدة الحافظ ٥٠٠ ، وشرح المفصل ٣/ ٢٦ ، والكتاب ١/ ٦٦ ، والمقاصد النحوية ٣/ ٤٤٥، ولعدى بن زيد فى ملحق ديوانه ١٩٩ ، وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر ٨/ ٤٩ ، والإنصاف ٢/ ٤٧٣، وأوضح المسالك ١٦٩/٣وخزانة الأدب ٤/ ٤١٧ ،١٨٠/٧ ،ورصف المبانى ٣٤٨،وشرح الأشمونى ٢/ ٣٢٥، وشرح

فعطفَ على " كلّ " وعلى الفعل .

وأما قوله **غَدَتْ مِنْ عليه بعدَ ما تَمَّ خِمْسُهَا**[1]

فـ " الخِمْسُ " : ظِمْءٌ من أَظْمَائِها ، وهو أن تَرِدَ ثم تغِبَّ ثلاثًا [2]ثم تَـرِدَ ، فَيُعْتَـدُّ بيَوْمَيْ وِرْدِها مع ظِمْئِها ، فيقال " خِمْسٌ " ، و " الرِّبْعُ " كحُمَّى الرِّبْـعِ . وقولـه "تَصِـلُّ" أي : تَسْمَعُ لأجوافِها صَليلاً من يُبْسِ العَطَشِ ، يقـال : المسـمارُ "يَصِلُّ" في البـاب : إذا أُكْرِهَ فيه ، قال جرير[3] يخاطبُ الزُّبَيْرَ بمَرْثِيَته في هِجائِهِ الفرزدقَ :

لو كنتَ حين غُرِرْتَ بَيْنَ بُيُوتِنَـا ... لَسَمِعْتَ مِنْ وَقْعِ الحديـدِ صَلِيـلاَ[4]

ويقـال للحمـار : " المُصَلْصِـلُ " : إذا أَخْـرَجَ صوتَـه مـن جوفـه حـادًّا ، قـال الأَعْشَى[5]:

عَنْتَرِيسٌ تَعْـدُو إذا حُـرِّكَ السَّـوْ ... طُ كَعَـدْوِ المُصَلْصِـلِ الجَـوَّالِ[6]

وقال المفسرون في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ **مِنْ صَلْصَالٍ من حَمَـإٍ مَسْنُونٍ** ﴾[7] قـالوا: هو الطينُ الذي قد جَفَّ، فإذا قَرَعَهُ شيءٌ كان له صَلِيلٌ،وتفسيرُ ذلكَ عند العَرَبِ التِّقْـنُ[8] الذي يَذْهبُ عنه الماءُ في الغُدران فيتشَقَّقُ ثم يَيْبَسُ .

و " القَيْضُ " : قِشْرُ البَيْضة الأعلَـى ، والـذي يَلْبَـسُ البيضـةَ فيكـونُ بينَهـا وبـينَ قشرِها الأَعلَى يقالُ له " الغِرْقِئُ " يقال : ثوبٌ كأنه غِرْقِىءُ البَيْضة .

ابن عقيل ٣٩٩ ، وشرح المفصل ٣/ ٧٩، ١٤٢، ٥٢/٨ ، ١٠٥/٩، والمحتسب ١/ ٢٨١، ومغنى اللبيب ١/ ٢٩٠ ، والمقرب ١/ ٢٣٧ ، وهمع الهوامع ٢/ ٥٢ .

(١) البيت سبق تخريجه .

(٢) انظر ما سلف .

(٣) ديوانه ق ١٩/٦جـ ١٠٩/١.

(٤) البيت فى شرح ديوان جرير صـ ٣٤٢.

(٥) ديوانه ق٢٧/١ ص٤٣ . والعنتريس الناقة الصلبة الشديدة .

(٦)البيت من الخفيف ، وهـو للأعشـى فـى ديوانـه ٥٧، ولسـان العرب ٣٨١/١١ (صلـل) ، وتـاج العروس (صلل) . وله رواية أخرى:-

عنتريس تعدو ، إذ مسها الصو ... ت كعدو المصلصل الجوال

(٧) سورة الحجر : ٢٦ و ٢٨ و ٣٣. وانظـر مجاز القـرآن ٣٥٠/١ تفسـير غريـب القـرآن ٢٣٧-٢٣٨، وتفسير ابن كثير ٤٥١/٤، والقرطبي ٢١/١٠ .

(٨) التقن اسم للطين الذى يذهب عنه الماء .

و " الزَّيزاءُ " ما ارتفعَ من الأرضِ ، وهو ممدودٌ منصرفٌ في المعرفة والنكـرةِ ، إذا كان لمذكر ، كالعِلْباء والحِرْباء ، وسنذكر هذا في غير هـذا الموضـع مُفَسَّرًا إن شـاءَ الله ، على أنَّا قدْ استقصيناهُ في الكتاب المُقْتَضَبِ[1] .

و " المَجْهَلُ " : الصحراءُ التي يُجْهَلُ فيها ، ولا يُهْتَدَى لسَبيلِها .

ويقال للشيءِ إذا غَبَّ فتغيرتْ رائِحتُه : " صَلَّ " و " أَصَلَّ " فهـو " صـالٌّ " و " مُصِلٌّ " ، ويقال " نَتَنَ " و " أَنْتَنَ " ، ويقال " خَمَّ " و " أَخَمَّ " ، وذلك إذا كان مستورًا حتى يَفْسُدَ . ويقال إذا عَتُقَ اللحمُ فتغيَّر : " خَنز " و " خَزَنَ " . وبيت طَرَفَـةَ أحسـنُ مـا يُنَشَدُ :

ثـم لا يَخْـنُزُ فينـا لَحْمُهـا إنمـا يَخْـنُزُ لَحْـمُ المُدَّخِـرْ[2]

ويقال لربِّ البيتِ وربَّةِ البيت اللَّذَين ينزلُ بهما الضَّيفُ " هي أُمُّ مَثْوَاهُ " و " هـو أبو مَثْوَاهُ " ، وأنشد أبو عُبيدةَ :

مِنْ أُمِّ مَثْوًى كريم قد نَزَلْـتُ بهـا إنَّ الكريـمَ علـى عِلاّتِـهِ يَسَـعُ

وفي كتاب الله جلَّ وعزَّ : ﴿ **أكْرِمِي مَثْوَاهُ** ﴾[3] معناه عند العربِ : إضافته .

ومن التشبيه المُطَّردِ على أَلْسِنَةِ العربِ ما ذكروا في سَـير الناقةِ وحركـة قوائمهـا، قال الراجزُ :

كأنَّهـا ليلـةَ غِـبِّ الأَزْرَق وقـد مَدَدْنـا بَاعَهـا للسُّـوَّق

خَرْقـاءُ بـين السُّـلَّمَيْن تَرْتَقِـي

قوله " ليلةَ غِبِّ الأَزرقِ " فإنَّما يعني موضعًا ، وأحْسِبُهُ ماءً[4]، لأنَّهـم يقولـون :

---

(١)انظر المقتضب ٢/٢٦٨و٣/٣٨٦.وانظر الكتاب ٢/١٠، والمخصص ١٦/٦٣-٦٧.

(٢)البيت من الرمل ، وهو لطرفة فى ديوانه ٥٦، ولسان العرب ١٣/ ١٤٠ (خزن) ، وجمهرة اللغة ٥٩٦ ، ومقاييس اللغة ٢/ ١٧٩ ، ومجمل اللغة ٢/ ١٨٣ وتاج العروس (خزن) ، وبلا نسبة فى تهذيب اللغة ٧/٢٠٩ ، وجمهرة اللغة ١٢٥٥ وكتاب العين ٤/ ٢٠٩ ، والمخصص ٤/ ١٣١، وأساس البلاغة (خزن)

وله رواية أخرى:

ثم لا يخزن فينا لحمها إنما يخزن لحم المدخر

(٣) سورة يوسف : ٢١ .

(٤) وهو فى طريق حاج الشام دون تيماء .انظر معجم البلدان ١/١٦٨.

" نُطْفَةٌ زَرقاء " وهي الصافيةُ ، قال زهيرٌ :

فلمَّـا وَرَدْنَ المـاءَ زُرْقًـا جمامُـهُ وَضَعْنَ عِصِـيَّ الحاضِرِ المُتخيِّـمِ[1]

وقال الآخر :

فألْقَتْ عصا التَّسْيَارِ عنها وخيَّمَتْ بأرْجاءِ عَـذْبِ الماءِ زُرْقٍ مَحَـافِرُهْ[2]

وقوله : وقد مَدَدْنَا باعَها للسُّوَّق

يقول : استفرغنا مـا عندَهـا في السَّير ، يقـال : " تَبَوَّعَـتْ " و " انْبـاعَتْ " : إذا مَدَّتْ باعَها .

وقوله : **خَرْقَاء بين السُّلَّمَيْن ترتقى**

يقول : لكثرة حركة الخرقاء وقلة حِذْقها بالصعود .

وقال الآخرُ :

كأنَّهـــا نائحــــةٌ تَفَجَّــــعُ تَبْكِي لِشَجْوٍ وسِواهَا الموجَعُ[3]

* * *

وقال الشَّمَّاخُ :

كـــأنَّ ذِرَاعَيْهــا ذِراعـــا مُدِلَّـــةٍ بُعَيْـدَ السِّبابِ حـاوَلَتْ أن تَعـذَّرَا

مِنَ البِيضِ أعطافًا إذَا اتَّصَلَتْ دَعَـتْ فِـرَاسَ بـنَ غَنْـمٍ أو لَقِيـطَ بـنَ يَعْمَـرَا

---

(١)البيت من الطويل ، وهو لزهير بن أبي سلمى فى ديوانه ١٣، ولسان العرب ٣/ ٤٥٧ (ورد) ١٠/١٣٩(زرق) ،١٢/١٠٥(جمم) ، وتهذيب اللغة ٧/٦٠٨ ، ٨/ ٤٢٩،٤/١٦٥ ، وتاج العروس ٩/٢٨٩(ورد) ٢٥/ ٤٠٠(زرق) ، وأساس البلاغة (خيم) ، (زرق) ، وبلا نسبة فى لسان العرب ١٢/ ١٩٤(خيم) ١٥ / ٦٥(عصا) ، وجمهرة اللغة ٤٩٥، والمخصص ١٢/ ٦٢.

(٢) البيت من الطويل ، وهو لمضرس فى تاج العروس (جبى) ، ولسـان العرب ١٤/ ١٢٩(جبى) ، وبلا نسبة فى لسان العرب ٤/ ٣٨٩ (سير) ، ١٥/٦٥(عصا) وتاج العروس ١٢/١١٥ (سير)
وله رواية أخرى :

فألقت عصا التسيار عنها وخيمت بأجباء عذب الماء بيض محافره

(٣) قال ابن السيد فيما كتبه على الكامل : "سواها ها هنا : نفسها مثل قول الآخر في النبي صلى الله عليه وسلم :

أتانـا فلـم نعـدل سـواه بغـيره شـهاب لنا في ظلمـة الليـل سـاطع

وقال ابن الأعرابي : سواه : قصده " عن شرح أبيات مغني اللبيب ٤/١٧ .

بهـا شَـرَقٌ مِـنْ زَعْفَـرَان وَعَنْـبَر　　أطـارَتْ مـن الحُسْـن الـرِّداءَ المُحَـبَّرَا

تقـولُ وقـد بَـلَّ الدّمـوعُ خِمارَهـا　　أبَـى عِفَّـتي ومَنْصِبـي أن أُعَـيَّرَا

كـأنَّ بذِفرَاهـا مَنَـادِيلَ قـارَفَتْ　　أكُـفَّ رجـال يَعْصِـرُونَ الصَّنَوْبَـرا

كـأنَّ ابـنَ آوَى مُوثَـقٌ تحـتَ غَرْضِهـا　　إذا هـو لم يَكْلَـمْ بنَابَيْـهِ ظَفَّـرَا[١]

شَبَّه يديها بيدَيْ مُدِلَّةٍ بجمال ومنصِبٍ قد سابَّتْ وأقبلـتْ تعتـذرُ وتشـيرُ بيديهـا . فوَصَف جمالَها الذي به تُدِلُّ ، ومَنْصِبَهَا المتصلَ بمن ذَكرتهُ .

وقوله : **أطارتْ من الحسن الرداءَ المحَبَّرا**

يقول : هي مُدِلَّةٌ بجمالها ، فلا تَختَمِرُ فَتَسْتُرَ شيئًا عن الناظر ، لأنَّهـا تبتهـجُ بِكُـلِّ ما في وجهها ورأسها .

وقد كشف هذا المعنى عمرُ بن أبي رَبيعة المخزوميُّ حيثُ قال :

فلما تَوَاقَفْنَا وسَـلَّمْتُ أشْـرَقتْ[٢]　　وجُـوهٌ زَهاهـا الحُسْـنُ أن تَتَقَنَّعَـا

تَبَـالَهْنَ بالعِرْفَـان لَمَّـا عَرَفْنَـني　　وقُلْـنَ امـرؤٌ بـاغ أكَـلَّ فأَوْضَعَـا

وقَرَّبْـنَ أسـبابَ الهـوَى لِمُقَتَّـل　　يَقيسُ ذراعًـا كُلَّمـا قِسْـنَ إصْبَعَـا

قوله :

كـأنَّ بذِفرَاهـا منـاديلَ قـارفَتْ　　أكُفَّ رجال يَعْصِرُونَ الصَّنَوْبَرَا[٣]

يقول : لِسَوَادِ الذِّفْرَى ، وهذا من كرمها ، قال أوْسُ بن حَجَر :

كـأنَّ كُحَيْـلاً مُعْقَـدًا أو عَنِيَّـةً　　على رَجْع ذِفْرَاها مِنَ اللِّيتِ واكِـفُ[٤]

---

(١) البيت من الطويل ، وهو بلا نسبة فى لسان العرب ٥/ ٢٥٤(هجر) والتنبيه والإيضاح ٢/ ٥٢٥.

(٢) في بعض النسخ : "أقبلت" .

(٣) البيت من الطويل ، وهو للشماخ فى ديوانه ١٣٧ ، ولسان العرب ٥/ ١٠٥(قطر) وبلا نسبة فى جمهرة اللغة ٣١٣ .

وله رواية:

كأن بذفرات مناديل فارقت　　أكف رجال يعصرون الصنوبرا

(٤) البيت من الطويل ، وهو لأوس بن حجر فى ديوانه ٦٧، ولسان العرب ١٠٣/١٥(عنا) ، وأساس البلاغة (رجع) ، ومقاييس اللغة ٤/ ١٤٨ ، وبلا نسبة فى كتاب العين ٢/ ٢٥٣ .

وهذا معنًى يُسألُ عنه ؛ لأنَّ الليتَين صفحتَا العُنُق ، و" الذِّفْرَى " في أعلى القَفَا فكيف يَكِفُ على الذفرى من اللِّيت ؟ والمعنى إنما هو : كأنَّ كُحَيْلاً مُعْقَدًا أو عَنِيَّةً واكفٌ على رَجْعِ ذِفْرَاها . وقوله " من اللِّيت واكف " كقولك : كموضِع دِجْلَةَ من بَغْدَادَ إنما هو للحَدّ بينهما ، لا أنّه وَاكِفٌ من شيء على شيءٍ .

وأما قوله :

كأنَّ ابنَ آوَى مُوثَقٌ تحت غَرْضِها ... إذا هو لم يَكْلِمْ بنابَيْه ظَفَّرَا[1]

فإنه يقول : ليستْ تَسْتَقِرُّ ، فكأنَّ ابنَ آوَى يَعَضُّها بنَابَيهِ ويَخْلِبُها بظُفْرِهِ ، فهي لا تستقرُّ . وقال أوس بن حَجَر [2]:

كأنَّ هِرًّا جَلِيبًا تحت غُرْضَتِها ... والْتَفَّ دِيكٌ برجْلَيْها وخِنْزيرُ

و " الغَرْضُ " و " الغُرْضَةُ " واحدٌ ، وهو حِزَام الرَّحْلِ .

* * *

وقال آخر :

كأنَّ ذِراعيها ذراعا بَذِيَّةٍ ... مُفَجَّعَةٍ لاقَتْ خلائِلَ عن عُفْرِ

سَمِعْنَ لها واسْتَفْرَغَتْ في حَدِيثِها ... فلا شيءَ يَفْري باليدَيْن كما تَفْري[3]

ولو قيل : إن هذا من أبلغ ما قيل في هذا الوصفِ ما كان ذلك بعيدًا . وَصَفَها بأنها بَذِيَّةٌ وقد فُجِعَتْ بما أُسْمِعَتْ ونِيلَ منها ، ولقيَتْ خلائِلَها بعدَ زمانٍ ، وتلك الشكوى كامنةٌ فيها ، وأَصْغَيْنَ إليها يَتَسَمَّعْنَ .

و" الفَرْيُ " : الشَّقُّ ، يقال " فَرَى أَوْدَاجَهُ " : أي قَطَع ، و " فَرَيْتُ الأدِيم . وإذا قلت " أَفْرَيْتُ " فمعناه أصلحتُ . وقولُ الحجَّاج : إني وا لله ما أَهُمُّ إلاَّ مَضَيْتُ ولا أَخْلُقُ إلاَّ فَرَيْتُ ، يقول : إذا قَدَّرتُ قطعتُ . يقال " فَرَيْتُ القِرْبَةَ والمَزادةَ ، فهما مفريَّتانِ ، قال ذو الرمة :

---

(١) ديوانه ق٢١/١٧ ص٤٢.

(٢) ديوانه ٢١ /١٧ ص٤٢ .

(٣) في بعض النسخ : بذيئة . والخلائل جمع خليلة ، والعفر طول العهد . عن رغبة الآمل ٦/٢٥٣ وفي بعض النسخ : قال أبو العباس : أنشدنيها عبد الصمد بن المعذل . وأنشدنيها سعيد بن سلم .

. . . .   **كأنّـه مِـن كُلـى مَفْرِيَّـةٍ سَـرَبُ**[1]

وقال امرؤُ القيسِ:

كأنَّ الحَصَى مـن خلفِها وأمامِها   إذا نَجَلَتْـهُ رِجْلُها خـذْفُ أعْسَـرا

كـأنَّ صَليـلَ المَرْوِ حِـينَ تُشِـذُّهُ   صَلِيـلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَـدْنَ بعَبْقَـرَا[2]

قوله : " حَذْفُ " أعسَرَ " يريد أنّه يذهبُ على غير قصدٍ ، وقوله"صَلِيلُ زُيُوفٍ " يقال : إنّ الزَّائفَ " شدَيدُ الصوتِ صَافيه .

وقال آخر :

كـأنَّ يَدَيْهـا يَـدَا مـاتحٍ   لِخمسٍ أتـى يـوم وِرْدٍ زَرُودا

يخـافُ العِقـابَ وفي نفسِـه   إذا هـو أنْهَـلَ ألاَّ يَعُـودا

يقول : هذا الساقي يخافُ العقابَ إن قَصَّر ، ولا عَوْدَةَ له إليه ثانيةً ، فهو يَسْتَقي سَقْيَهُ في مرةٍ واحدةٍ .

وقد أكثروا في هذا . فمن الإفراط في السرعة قولُ ذي الرُّمَّةِ:

كأنّـه كوكَـبٌ في إثْـر عِفْرِيَـةٍ   مُسَوَّمٌ في سوادِ الليل مُنْقَضِـبُ[3]

يقال " عِفْريتٌ " و " عِفْرِيَـةٌ " في معنـى ، والتـاء في " عِفْريـتٌ " زائـدة ، وهـو ملحقٌ بـ " قِنديلٍ "، يقال:فلانٌ "عِفْرِيَـةٌ زِبْنِيَـةٌ "و" الزِّبْنِيَـةُ " المُنْكَـرُ ، وجمعـه " زَبَانِيَـةٌ "، وأصلُه من الحركة ، يقال : " زَبَنَهُ " : إذا دَفَعَه . ويقال:" عِفْرِيَةٌ نِفْرِيَـةٌ " علـى التوكيـد، و"عِفْريتٌ نِفْرِيتٌ " ، ويقال : عُفَارِيَةٌ " و لم يُتْبَع بنُفَارِيَةٍ " .

و من الإفراط قولُ الحُطَيْئَة :

---

(١) البيت لذى الرمة فى لسان العرب ٣/ ١٩٨٢(سرب) وصدره : ما بال عينك منها الماء ينسكب

(٢) البيت من الطويل ، وهو لامـرئ القيس فـى ديوانـه ٦٤، وشـرح عمـدة الحـافظ ٦٤٧ ، ولسـان العرب ٩/ ٦١(حذف) ،٦٤٧/١١(نجل) ، والمقاصد النحوية ٤/ ١٦٩ .

(٣) البيت من البسيط ، وهو لـذى الرمـة فـى ديوانـه ص١١١، ولسـان العـرب ١/ ٦٧٨ (قضـب) ، ٤/ ٥٨٦(عفـر) ، وتهذيـب اللغـة ٨/ ٣٤٨ ، ومقـاييس اللغـة ٥/ ١٠٠ ، ومجمـل اللغـة ٤/ ١٧١، وأساس البلاغة صـ ٣٦٩ (قضب) وجمهرة أشعار العرب صـ ٩٦١ وتاج العروس ٤٨/٤ (قضب) ١٣/ ٨٧ (عفر) .

وإن نَظَرَتْ يومًا بمُؤْخِرِ عينِها ... إلى عَلَمٍ بالغَوْرِ قالت له ابْعُدِ[1]

ومن الإفراط قولُه [2] :

بأرضٍ ترَى فَرْخَ الحُبارَى كأنه ... بها راكبٌ مُوفٍ على ظهر قَرْدَدِ[3]

ومن ذلك قوله [4]:

وكادَتْ على الأطْواءِ أَطْواءِ خَارِجٍ ضَارِجٍ ... تُساقِطُني والرَّحْلَ من صوتِ هُدْهُدِ

وقال آخرُ :

مَرُوحٌ برِجْلَيْها إذا هي هَجَّرَتْ ... ويمنعُها مِنْ أنْ تَطِيرَ زِمامُها

وقال الشَّمَّاخُ:

. . . . تَكاد تَطِيرُ مِن رَأْيِ القَطِيعِ[5]

وكذلك الأعرابيُّ الذي يقول [6]:

لو تُرْسَلُ الرِّيحُ لجئْنَا قبلَها

---

(١) بهامش نسخة ما نصّه :" قبله " :

وأنّى اهتدت والدو بينى وبينها ... وما خلت سارى الليل بالدو يهتدى

وإن نظرت ... البيت

يقول :إذا نظرت إلى علم قالت له : ابعد ، يهون عليها بعده لنشاطها .

وبعده :

وباتت بى العوجاء تخدى صعودها ... إليك ابن شماس تروح وتغتدى

انظر الديوان ص١٤٨،١٦٠-١٦١ وفى ترتيب الأبيات خلاف .قوله " تخدى صعودها " كذا! وفى الديوان " تجرى ضفورها " .

(٢) البيت ١٥ ص ١٤٨ .

(٣) القردد : ما غلظ من الأرض وارتفع .

(٤) البيت ٢٥ص١٥٥.

(٥) البيت له رواية أخرى (مرح تغتلى بالبيد) البيت من الوافر ، وهو للشماخ فى ديوانه صـ ٢٢٦ ، ومجمل اللغة ٤، ٥٣٠، وأساس البلاغة (قطع) ، وبلا نسبة فى جمهرة اللغة صـ ٩١٥

وصدره :

مروح تغتلى فى البيد حرف

(٦) فى نسخة : وكذلك قول الأعرابى . وبهامشها كما فى المتن .

وقد مضى [1] خَبَرُهُ .

وأمْلحُ ما قيل في هذا وأجْوَدُهُ معنىً قولُ امرىء القيس :

وقَدْ أغْتَدِي والطَّيْرُ في وُكُنَاتِهَا ... بِمُنْجردٍ قَيْدِ الأوابِدِ هَيْكَلِ [2]

فجعله للوحش كالقَيْدِ .

وحُدِّثْتُ أنَّ رجلاً نظر إلى ظبيةٍ ، فقال له أعرابيٌّ : أتحبُّ أن تكون لك ؟ قال : نعم ، قال : فأعطني أربعة دراهمَ حتَّى أردَّها إليك ، ففعل ، فخرجَ يَمْحَصُ في إثْرِها ، فَجَدَّتْ وجَدَّ ، حتى أخذ بقَرْنَيْها ، فجاء بها وهو يقولُ :

وَهْيَ على البُعْدِ تُلَوِّي خَدَّها ... تُرِيغُ شَدى وأُرِيغُ شَدَّهَا

كيف تَرَى عَدْوَ غلامٍ رَدَّهَا

* * *

قال أبو العباس : ومن حُلْوِ التشبيه وقَرِيبِه ، وصريحِ الكلامِ وبليغه قولُ ذي الرُّمَّة :

ورَمْلٍ كأوْرَاكِ العَذَارَى قَطَعْتُه ... وقد جَلَّلَتْهُ المُظْلِماتُ الحَنادِسُ [3]

" الحِنْدِسُ " : الشديدُ الظُّلْمة ، وهو توكيدٌ لها ، يقال ليلٌ حِنْدِسٌ ، وليلٌ أَلْيَلُ ، ويومٌ يَمٍ ، كما يقال : ليلٌ مُظْلِمٌ .

---

(١) كذا ، ولم يمض فيما أعلم .

(٢) البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس فى ديوانه ص١٩ ، وإصلاح المنطق صـ٣٧٧ ، وخزانة الأدب ٣/ ١٥٦، ٢٤٣، وشرح المفصل ٢/ ٦٦ ، ٦٨ ، ٣/ ٥١، ولسان العرب ٣/ ٣٧٢(قيد)، ١١/ ٧٠٠(هكل) وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر ٢/ ٤١٠ ، ٣/ ٤١، وخزانة الأدب ٤/ ٢٥٠ والخصائص ٢/ ٢٢٠ ، ورصف المبانى صـ ٣٩٢، وشرح شواهد المغنى ٢/ ٨٦٢، وشرح عمدة الحافظ صـ ٤٨٧ ، والمحتسب ١/ ١٦٨ ، ٢/ ٢٤٣ ومغنى اللبيب ٢/ ٤٦٦ .

(٣) وفى رواية " إذا ألبسته......" البيت من الطويل ، وهو لذى الرمة فى ديوانه صـ ١١٣١، ولسان العرب ١٠ / ٥٠٩ (ورك) ، ١١/ ١٢٥(جمل) ، وتاج العروس (ورك) وانظر قافية " الركائك" .

وقال الشَّمَّاخُ في صفة الفَرس[1] :

مُفِجُّ الحَوَامِي عَنْ نُسورٍ كأنَّها ... نَوَى القَسْبِ تَرَّتْ عن جَرِيمٍ مُلَجْلَجِ[2]

قوله : " مُفِجُّ الحَوَامِي " يريد مُتَفَرِّقًا ، والحوامي : نواحي الحافر ، و "النُّسُور" واحدُها " نَسْرٌ " وهي نُكْتَةٌ في داخل الحافرِ ، ويُحْمَدُ الفرسُ إذا صَلُبَ ذلك منه ، ولذلك شُبِّهَ بنَوَى القَسْبِ[3] " تَرَّتْ " : سقطتْ و " الجَرِيمُ " : المَصْرُومُ و " الملجْلَجُ " الذي قد لُجْلِجَ مَضْغًا في الفم ثم قُذِفَ لصلابتِه .

وقوله " مُفِجٌّ " ليس يريدُ الذي هو شديدُ التَّفرقة ، ولكنِ الانفصالِ عن النَّسْرِ ، فإنَّه إن اتسعَ واستوى أسفلُه فذلك " الرَّحَحُ " ، وهو مذمومٌ في الخيل ، وكذلك إن ضاق وصَغُر قيل له " مُصْطِرٌّ " وكان عيبًا قبيحًا ، قال حُمَيْدٌ الأَرْقَطُ :

لارَحَحٌ فيها ولا اصْطِرَارُ ... ولم يُقَلِّبْ أرضَها البَيْطارُ[4]

ض

---

(١)كذا قال ، وقال المرصفى :"...وإنما يصف حافر أتان تدفع به حمار الوحش الذى شبه به ناقته فى قوله :

كأنى كسوت الرحل أحقب ناشطاً ... من اللاء ما بين الجناب ويأجج

.... [ثمانية أبيات]

إذا خاف يوماً أن يفارق عانة ... أضر بملساء العجيزة سمحج

إذا ساف منها موضع الردف ذبيت ... بأسمر لام لا أرحّ ولا وجى

مفج الحوامى ......البيت

رغبة الامل ٧/٢ ـ ٣ .

(٢) البيت من الطويل ، وهو للشماخ فى ديوانه ص٩٢، ولسان العرب ١٢/ ٩٠ (جرم) ، وتاج العروس (جرم) ، وتهذيب اللغة ١١/ ٨٦ ، وبلا نسبة فى المخصص ١٢٢/٢ ، وأمالى القالى ٢٥٢/٢، والمعانى الكبير صـ ١٦٨ .

(٣) القسب: التمر اليابس .

(٤) الرجز لحميد الأرقط فى جمهرة اللغة ٩٧ ، وسمط اللآلى ٩١٥ ، وشرح شواهد الإيضاح ٤٨٩ ولسان العرب ١/ ٦٨٧ (قلب) ، ١٥٩/٤(جر) /١٢٢/١٧(أرض)، والمعانى الكبير ١٥٥، وتاج العروس ٤/ ٧٤(قلب)٥٠٧/١٠(حبر)، وبلا نسبة فى إصلاح المنطق ٧٣، وجمهرة اللغة ٢٧٥ ، ٣٤٩ ، ١٠٢٩ولسان العرب ٢/ ٤٤٦ (رحح) ، وتهذيب اللغة ١٧٥/٩، ١٢/ ٦٢، وتاج العروس ٣٨٧/٦(رحح) ، ومجمل اللغة ٢/ ١٣٠ ، ومقاييس اللغة ٢/ ١٢٧، ٥/ ١٧ والمخصص ٧/ ١٧٦، وكتاب العين ٧/ ٥٦ .

وروى فى لسان العرب مادة (أرض) رواية أخرى :

ولم يقلب أرضها البيطار ... ولا طبليه بها جبار

ويُروى " ولم يُقَلِّم " . وتأويل ذلك : أن حوافرَها لا تَتَشَعَّثُ فيُقلِّمها البَيْطارُ، لأنَّها إذا كانت كذلك ذهب منها شيءٌ بعدَ شيءٍ فمَحَقَها ، قال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ [1] :

لا في شَظاهَا ولا أرْساغِها عَنَتٌ ولا السَّنابكُ أفناهنَّ تَقْلِيمُ

وإنما يُحْمَدُ الحافرُ المُقَعَّبُ ، وهو الذي هيئتُه كهيئة القَعْبِ ، وإن كان كذلك قيلَ " حافِرٌ وَأْبٌ " قال ابنُ الخَرِعِ[2] :

لها حافرٌ مثلُ قَعْبِ الوَلِيـ ـدِ يَتَّخِذُ الفَأْرُ فيه مَغارَا

يريدُ : لو دخل الفأرُ فيه لَصَلَحَ ، كقول القائل : " أتى بجَفْنَةٍ يقعدُ عليها عَشرةٌ " أي : لو قَعَدُوا عليها لصَلَح . وقال الراجز[3] :

وَأْبٌ حَمَتْ نُسورُهُ الأوْقارا

وفي كلِّ حافرٍ حامِيَتان ، وهما حرفاهُ مِنْ عَنْ يمينٍ وشمالٍ ، ومُقَدَّمُهُ السُّنْبُكُ، ومُؤخَّرُهُ الدَّابرَةُ .

ومثل قوله : " عن جَريم ملجلج " قولُ عَلْقمةَ بن عَبَدَةَ [4] :

سُلاَّءَةٌ كَعَصَا النَّهْدِيِّ غُلَّ بها ذُو فَيْئَةٍ مِن نَوَى قُرَّانَ مَعْجُومُ

قوله " سلاَّءة " شَبَّهها بالشَّوْكة من شَوْكِ النخل ، لأن الفرسَ الأنثى يُحْمَدُ منها أن يَدِقَّ صدرُها ثم ينخرطَ على امتلاءٍ إلى مؤخَّرها ، والحَمَامُ يُحمد منه أن يَعْرُضَ الصَّدرُ

---

(١) البيت من البسيط ، وهو لعلقمة بن عبدة فى ديوانه صـ ٧٣، ولسان العرب ١/ ٥٧٧ عتب، وتهذيب اللغة ٢/ ٢٧٩ ،وتاج العروس ٣/ ٣٠٨ (عنت) وفى رواية (.....عتب) .

(٢) هو عوف بن عطية بن الخرع. والبيت من مفضليته ، المفضليات ق ١٢٤/١٦ص١٤١. وانظر أدب الكاتب ١٢٠ . وفي رواية (... ركب فيه وظيف عجر) والبيت من الرمل وعزاه لعبد الرحمن ابن حسان في لسان العرب ٧٣/١٤ (بزا) وتاج العروس (بزا) .

(٣) في رواية (... وأبا) " الرجز للعجاج في ديوانه ٩٨/٢ ، ٩٩ ، ولسان العرب ٢٩١/٥ (وقر) ، وتاج العروس ٣٧٨/١٤ (وقر) وبلا نسبة في لسان العرب ٦٢٣/٤ (عير) وتهذيب اللغة ١٦٩/٣.

(٤) البيت من البسيط ، وهو لعلقمة بن عبدة فى ديوانه ص٧٤ ،ولسان العرب ١/ ٩٥ (سلأ) ٩٠/٥ ، ٣٤٢/١١(سلل) ٥٥٠(غلل) ،١٢/ ٣٨٩ (عجم) ،وتهذيب اللغة ١٣/ ٣٩٨ قرر(سلل، غلل) والمخصص ٦/ ٥٩،١٦٢/٨،٣٨/١٦، بلا نسبة فى تهذيب اللغة ٢٨٢/٨ ، ٧٠/١٣ ، وتاج العروس ٢٧٠/١ سلأ ، ٣٦٠ فيأ ٣٩٢/١،وجمهرة اللغة صـ١٠٧٤،ومقاييس اللغة ٤/ ٣٧٧، ومجمل اللغة ٤/ ٣٧٧ ، وكتاب العين ٢٣/٥.

ثم ينخرط إلى ذَنَبِهِ ضُمْرًا ، فيقال في صفتِه " كأنه جَلَمٌ " .

وقوله " كَعَصَا النَّهدي " يريدُ في الصلابة ، كما قال :

وكـلُّ كُمَيْـتٍ كـالهِراوَةِ صِلْـدِمِ

وقوله " ذو فَيْئةٍ من نَوَى قُرَّانَ " يقول : ذُو رَجْعةٍ ، يقالُ : مَضَغْتُهُ فلم تَكْسِرْه ثم بَعَرْتَهُ صِحَاحًا ، و" معجومٌ " مَمضُوغٌ ، يقالُ : "عَجَمْتُهُ أعجُمُهُ عَجْمًا" : إذا مضغته ، فـ " العَجْمُ " : المَضْغُ ، ويقال للنَّوَى من كل شيءٍ " العَجَمُ " متحرِّكُ الجيم ، قال الأعشى [1] :

. . . . وجُذْعَانُها كَلَقِيطِ العَجَمْ

وقال النابغة :

فظلَّ يَعْجُمُ أعْلَى الرَّوْقِ مُنْقَبِضًا في حَالِكِ اللَّونِ صَدْقٍ غيرِ ذي أَوَدِ [2]

ومثلُ البيت الأول قولُ عُقْبةَ بن سابقٍ :

لـهُ بَيْـنَ حَوَامِيـهِ نُسُـورٌ كَنَـوَى القَسْـبِ [3]

فهذا تشبيه مقارِبٌ جدًّا .

* * *

ومِن التشبيه الحسنِ قولُ الشاعرِ :

كـأنَّ المَتْـنَ والشَّـرْخَيْنِ منـه خِلافَ النَّصْلِ سِيطَ بـه مَشِيجُ [4]

---

(١) البيت صدره * مقادك بالخيل أرض الغدو *
البيت من المتقارب ، وهو للأعشى فى ديوانه ٨٧ ، وبلا نسبة فى جمهرة اللغة ٤٨٤، ٩٣٢ .

(٢)البيت من البسيط ، وهو للنابغة الذبيانى فى ديوانه صـ ٢٠ ولسان العرب ١٠ /١٩٦ (صدق) ، ١٢/ ٣٩٠ (عجم) .

(٣) البيت من الهزج ، وهو لأبى دؤاد الإيادىفى ديوانه صـ ٢٨٩، ولسان العرب ١٠/ ٢٠٦ (صلق) ١٤/ ٢٠٢(حما) ، وتهذيب اللغة ٥/ ٢٧٣، والمعانى الكبير صـ ١٦٨ ، ولعقبة بن سابق فى الأصمعيات صـ ١٤١ وتاج العروس (سكن) .

(٤)وله رواية أخرى : كأن النصل والقوفين منه خلال الريش..." البيت من الوافر ، وهو للداخل بن حرام الهذلى فى شرح أشعار الهذليين صـ ٦١٩، ولسان العرب ٢/ ٣٦٨ (مشج) ، وتاج العروس ٦/٢١٥(مشج) ، والتنبيه والإيضاح ١/ ٢١٩ ، ولأبى ذؤيب الهذلى فى كتاب العين ٦/ ٤١، وأساس البلاغة صـ ٤٣٠ (مشج) وبلا نسبة فى لسان العرب ٣/ ٢٩ (شرخ) ، ١٠/ ٣١٩ (فوق)، وكتاب العين ٥/ ٢٢٥، وتهذيب اللغة ٩/ ٣٣٨ ، وجمهرة اللغة صـ ٤٧٨ ومقاييس اللغة ٥/ ٣٢٦ ، ومجمل اللغة ٤/ ٣٢٩ ، وتاج العروس ٢٨٠/٧ (شرخ)، انظر الشاهد التالى .

يصف سهمًا رُمِيَ به فأَنْفَذَ الرَّمِيَّةَ فقد اتَّصَلَ به دَمُها . و " المَتْـنُ " مـتن السـهم . و " شَـرْخُ " كـلِّ شـيءٍ : حَـدُّهُ ، فـأَرادَ شَـرْخَي الفُـوقِ ، وهمـا حرفـاه . و " المَشِـيجُ " اختلاطُ الدَّم بالنُّطفة ، هذا أصله ، قال الشَّمَّاخُ [١] :

طَـوَتْ أحشـاءَ مُرْتَجَـةٍ لِوَقْـتٍ ... علـى مَشَـجٍ سُـلالَتُهُ مَهِـينِ

وا لله جلَّ وعزَّ يقول : ﴿ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾[٢] . وفي الحديث : " **اقْتُلُـوا مَسَانَّ المشركين واسْتَحْيُوا شَرْخَهُمْ** "[٣] أي الشَّبابَ ، لأن الشَّرْخَ الحَدُّ ؛ قال حَسَّانُ بـنُ ثابتٍ :

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّـعَرَ الأسْـ ... ـودَ مـا لم يُعاصَ كـان جُنُونَـا [٤]

قال أبو العباس : وأَنْشَدَنَا عمرُو بنُ مرزوقٍ عن شُـعْبَةَ قـال : أنشـدنا سِـمَاكُ بـن حَرْبٍ في هذا الحديث :

إنَّ شَـرْخَ الشَّـبابِ تأْلَفُـهُ البيـ ... ـضُ وشَيْبُ القَذَال شيءٌ زَهِيدُ[٥]

فأما قولُ الشَّنْفَرَى[٦] :

---

(١) البيت من الوافـر ، وهـو للشـماخ فـى ديوانـه صــ ٣٢٨ ، ولسـان العـرب ٣٦٧/٢ (مشـج) ، ٣٣٩/١١ (سلل) ، وتهذيب اللغة ١٠، ٥٥١ ، وتاج العروس (سلل) .

(٢) سورة الإنسان : ٢.

(٣) الحديث ضعيف ، أخرجه أحمد فى " المسند" (١٢/٥) ، وأبو داود فى الجهاد ، والـترمذى فـى " السير"، والبيهقى فى " الكبرى "(٩/ ٩٢) ، والبغوى فى "شرح السنة "،(٤٨/١١) كلهم من حديث سمرة بن جندب ، وفيه عنعنة الحسن ، وهو موصوف بالتدليس ، لذلك أورده الشيخ الألبانى فـى " ضعيف الجامع" (ح١١٦١) . وقال : ضعيف".

(٤) البيت من الخفيف ، وهو لحسان بن ثابت فى ديوانه صـ ٢٨٢، ولسان العرب ٣/ ٢٩ (شرخ) ، وتهذيب اللغة ٨١/٧، وجمهرة اللغة صـ٩٢، ٥٨٥ وتاج العروس ٧/ ٢٨١(شرخ) ، وديـوان الأدب ١٠١/١ وبلا نسبة فى مقاييس اللغة ٣/ ٢٦٩ ، والمخصص ١/ ٣٨ .

(٥) البيت من الخفيف ، وهو بلا نسبة فى لسان العرب ٣/ ٢٩ (شرخ) .٢٣١- وله رويـة أخـرى: (.. تخاطبك...) .

(٦) البيت من الطويل ، وهو للشـنفري فـى ديوانـه صــ ٣٣، ولسـان العـرب ٢/ ١١، ١٢(بلـت) ، ٣٢٤/١٥ (نسا) ، وجمهـرة اللغــة ص٢٥٦ ، ومقــاييس اللغــة ١/، ٢٩٩ ، ٤٢٢، ومجمـل اللغـة ١/ ٢٨٩، والمخصص ٢٧/١٤ ، وتهذيـب اللغـة ١٣/ ٨١ ، ١٤/ ٢٩٣، ٢٩٤، وأدب الكـاتـب صـ ٤٩٣ ، والأغانى ٢١/ ٢١٠ ، والخصائص ١/ ٢٨ ، وديـوان المفضليات ص ٢٠١ ، وشـرح اختيارات المفضل ١/ ٥١٧ ، وشرح أدب الكاتب صــ ٣٣٨ ، وتـاج العـروس ٤/ ٤٤٧ (بلـت) ، (نسى) ، وبلا نسبة فى ديوان الأدب ٢/ ١٤٦ .

كـأن لهـا في الأرض نِسْيًا تَقُصُّــهُ   على أَمِّهَـا وإنْ تُحَدِّثْـكَ تَبْلَـتِ

فإنّمـا أرادَ شـدَّةَ استحيائِها ، يقـول : لا تَرْفَـعُ رأسـهَا ، كأنهـا تطلـبُ شـيئًا في الأرض . و " النِّسْيُ " على ضربين : أحدُهما : ما تقادَمَ عَهْدُهُ حتى يُنْسَى ، والآخرُ : مـا أَضَلَّهُ أَهلُهُ فيُطْلَبُ ويُطْمَعُ فيه . و " تَقُصُّـهُ " : تَتَّبِعُـهُ ، قـال الله جـلَّ وعـزَّ : ﴿ **وقـالتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ** ﴾ [(١)] أي اتبعي أَثَـرَهُ . و " الأَمُّ " القصـدُ . وقولُـه : " وإن تُحَدِّثْـكَ تَبْلَـتِ " يقول : تَقْطَعُ الحديثَ لاستحيائِها .

وأُنشِدَ بَشَّارُ بن بُرْدٍ الأعمى قولَ كُثَيِّرٍ [(٢)] :

أَلاَ إنمـا لَيْلَـى عَصَـا خَيْزُرَانَـةٍ   إذا غَمَزُوهـا بـالأكُفِّ تَلِيـنُ

قال : فقال : لله أبو صَخْرٍ ! جعلَها عصًا ، ثم يَعْتَذِرُ لها ؟! والله لو جعلَها عصا مُخٍّ أو زُبْدٍ لكان قد هَجَّنَهَا بالعَصَا ، ألا قال كما قلتُ :

وبَيْضَـاءِ المَحَـاجِرِ مِـنْ مَعَـدٍّ   كـأنَّ حديثَهـا قِطَـعُ الجِنَـانِ

إذا قـامتْ لسُبْحَتِهَا تَثَنَّـتْ   كـأنَّ عِظامَهـا مِـن خَيْزُرانِ

و " الخيزُرانةُ " كلُّ غُصْنٍ لَيِّن يَتَثَنَّى ، ويقال للمرْدِيِّ خيزرانةٌ إذا كـان يتثنَّى إذا اعْتُمِدَ عليه . [قال أبو الحسن : المُرْدِي والخُرْدِيُّ : العودُ الطويل الذي تُدْفَعُ به السفينة]

قال النابغة :

يَظَلُّ من خَوفِه المَلاَّحُ مُعْتَصِمًا   بالخَيْزُرانَة بعد الأَيْنِ والنَّجَدِ [(٣)]

" الأَيْنُ " : الإِعْيَاءُ . و " النَّجَدُ " : العَرَقُ .

* * *

وبهامش الأصل ما نصه :" أنشد يعقوب هذا البيت مكان " أمها" "وجهها" . قال أبو الحسن بن كيسان : نِسْياً بكسر النون : الاسم ، وهو أجود ، ونسياً هو المصدر وقد قرئ بهما فى القرآن جميعاً ﴿ **وكنت نسياً منسّياً** ﴾ ويقال بلت وأبلت بمعنى ، وقوله تبلت أى تقطع الكلام وتؤخره . وقبله :

تحل بمنجاة من اللوم بيتها   إذا ما بيوت بالمدينة حلّت اهـ .

(١) سورة القصص :١١

(٢) انظر ديوانه ص١٧٥-١٧٦. والخبر فى الأغانى ١٥٤/٣ وبيتا بشار فيه .

(٣) البيت من البسيط ، وهو للنابغة الذبيانى فى ديوانه صـ٢٧ ، ولسان العرب ٣/ ٤١٨ (نجد) ، ٢٣٨/٤ خمر ، وجمهرة اللغة صـ ٥٦٩ ، وتهذيب اللغة ٢٠١/٧ ، وتاج العروس ٢٠٥/٩ (نجد) ١١/ ١٦٩ (خزر) والمعانى الكبير صـ ٢٢٣، ٩/ ٢٠٥ (نجد) ١٥٩/١١ (خزر) والمعانى الكبير صـ ٢٢٣، ومقاييس اللغة ٤/ ٣٢١ ، وبلا نسبة فى مقاييس اللغة ٣٩١/٥، وجمهرة اللغة صـ ٤٥١ .

وقد عاب بعضُ الناس قولَ كُثَيِّرٍ :

فمـا رَوْضَـةٌ بـالحَزْن طَيِّبَـة الـثَّرَى ... يَمُـجُّ النَّـدَى جَثْجَاثهـا وعَرَارُهـا

بِمُنْخَـرق مـن بَطْـن وادٍ كأنَّمـا ... تلاقَـتْ بـه عَطَّـارَةٌ وتِجَارُهَـا

بـأَطْيَبَ مـن أَرْدان عَـزَّةَ مَوْهِنًـا ... وقد أُوقِدَتْ بالمَنْدَل الرَّطْبِ نارُهـا [1]

وحكَى الزّبيريون : أنَّ امرأةً عَرَضَتْ لكُثَيِّر فقالت : أأَنْتَ القـائل هذيـن البيتـين ؟ قال : نعم ، قالت : فَضَّ الله فاكَ ! أرأيتَ لو أن زِنْجيَّةً بَخَّرَتْ أردانَها بمَنْـدَلٍ رَطْـبٍ أمَا كانت تَطِيبُ ؟! ألا قلتَ كما قال سَيِّدُكَ امرؤُ القيس :

ألم تَرَيـاني كلَّمَـا جئْـتُ طارقًـا ... وَجَدْتُ بها طِيبًا وإن لَمْ تَطَيَّبِ [2]

قوله " جَثْجاثُها وعَرَارُها " " الْجَثْجَاثُ " : رَيْحانةٌ طَيِّبة الرِّيح بَرِّيَّةٌ مِن أحرارِ البَقْلِ . قال جريرٌ [3] يهجو خُلَيْدَ عَيْنَيْنِ العَبْدِيَّ :

كم عَمَّـةٍ لـك يـا خُلَيْـدُ وخالـةٍ ... خُضْـر نَواجذُهـا مـن الكُـرَّاثِ

نَبَتَـتْ بِمَنْبِتِـهِ فطـابَ لِرِيحِهَـا ... ونَـأَتْ عـن القَيْصُـوم والجَثْجَـاثِ

وإنما هجاه بالكُرَّاثِ ، لأن عبدَ القيس يسكنون البَحْرَيْنِ ، والكُرَّاثُ من أطعمتِهم العامَّةِ ويُسَمُّونَهُ " الرَّكْلَ " و [بائعُه] " الرَّكَّالُ " قال أحدُ العَبْدِيِّينَ :

ألاَ حَبَّـذَا الأَحْسَـاءُ طِيـبُ تُرابهـا ... ورَكَّالُهـا غـادٍ علينـا ورائِـحُ [4]

وقولُ كُثَيِّرٍ " وعَرَارُها " فالعَرَارُ البَهارُ البَرِّيُّ ، وهو حَسَنُ الصُّفْرَةِ طيِّبُ الرِّيحِ .

---

(١) البيت من الطويل ، وهو لكثير عزة فى ديوانه ٤٢٩ ، وجمهرة اللغة ١١١٨ والخصائص ٢٨١/٣، والأغانى ١٥/ ٢٧٤، وبلا نسبة فى لسان العرب ٢/ ١٢٨ (جثث) ، وتاج العروس ١٩٥/٥ (جثث) .

(٢) وقبله بيت وهو :

خليلى مرا بى على أم جندب ... لأقضى حاجات الفؤاد المعذب

والبيتان من الطويل ، وهما لامرئ القيس فى ديوانه ٤١، والأشباه والنظائر ٨٥/٨،ولسان العرب ٦٥٥/١١ (ندل) ،٥١٨ (محل)

(٣) تذييل ديوانه . القسم الثانى ج١٠٢٤/٢ . وزد عليه النبات لأبى حنيفة ٢٠٥ .

(٤) البيت من الطويل ، وهو بلا نسبة فى لسان العرب ٢٩٤/١١(ركل) ، وتاج العروس(ركل) . وله رواية أخرى :

ألا حبذا الأحسار وطيب ترابها ... وركـالهـا غـادٍ علينا ورائـحُ

قال الأعشَى:

بَيضـــاءُ ضَحْوَتَهـــا وصَفْـــ ـــراءُ العَشِـــيَّةَ كـــالعَرَارَهْ[1]

وقولُه " مَوْهِنًا " يريد : بعدَ هَدْءٍ من الليل ، يقالُ : أتانَا بعد هَدْءٍ من الليلِ وبعد وَهْنٍ من الليل ، أي : بعدَ دخولنا في الليلً . وأنشدَ أبو زيدٍ[2] :

هَبَّتْ تَلومُكَ بعد وَهْنٍ في النَّـدَى بَسْـلٌ عليـكِ ملامَـتي وعِتـابِي

و " المَنْدَلُ " : العُودُ يقال له " المَنْدَلُ " و " المَنْدَلِيّ "[3] ، قال الشاعرُ:

أَمِـــنْ زَيـنـــبَ ذِي النَّـــارُ قُبَيْـــلَ الصُّبْـــحِ مـــا تَخْبُـــو

إذا مـــا خَمَـــدَتْ يُلْقَـــى عليهـــا المَنْـــدلُ الرَّطْـــبُ[4]

قال أبو العباس : " ذِي " معناه " ذهْ " يقال : ذَا عبدُ الله ، وذِي أَمَـةُ الله ، وذِهْ أَمَةُ الله ، وتِهْ أَمَةُ الله ، وتَا أَمَةُ الله . فإذا قلتَ : هـذا عبـد الله فالاسمُ " ذا " و" هـا " للتنبيه . وعلى هذا تقول : هذِي أَمَةُ الله ، وهذه أَمَةُ الله . وإن شئتَ أَسكَنْتَ في الوصلِ فقلتَ : هذِهْ أَمَةُ الله . فإذا قلتَ : هذِ هِي أَمَةُ الله فالياءُ زائدةٌ ، لأن هذه الهاءَ لما كـانت في لفظِ المضمرِ شبَّهوها به في زيادةِ الياء ، نحو : مررتُ بِهِي يا فتى ، ولا يجـوزُ أن تَضُـمَّ الهاءَ في"هذه " على قول مَنْ قال: مررتُ بِهُو ، لأنَّ هاءَ الإضمار أصلُها الضَّمُّ ، تقـولُ : رَأَيْتُهُ يا فتَى، ورأيتُهُم يا فتى ، وهذه الهاءُ من " هذِه" إنما هي مشبَّهةٌ . وتقولُ: هذِه هنـدٌ

---

(١) البيت من مجزوء الكامل ، وهو للأعشى فى ديوانه ٢٠٣ ، ولسان العرب ٤/ ٥٦٠ (عرر) .
وله رواية أخرى :

بيضاء غدوتها وصفـ ـراء العشية كالعراره

(٢) لضمرة بن ضمرة النهشلى ، انظـر النـوادر ص٢. وانظر الزهـراء ٤٥٢/١-٤٥٣، وأمـالى القـالى ٢٧٩/٢ ، وسمط اللآلى ٦٣١،٦٦٦،٩٢٢ونسبت فى الوحشيات ٢٥٦ لابنه حرى .

(٣) بهامش نسخة مانصه :" قال أبو حنيفة : مندل بلـد فيـه العـود ، وكـثر اسـتعماله فسمى العـود مندلاً ،والمندلى على أصله نسب إلى الموضع "اهـ . وانظر التنبيهات ١٥٨-١٦٠ .

(٤) البيت من الهزج ، وهو بلا نسبة فى لسان العرب ٤٥٢/١٥(ذا) ، وتهذيب اللغة ٣٣/١٥، وتـاج العروس (ذا) ، والبيتان لعمر ابن أبى ربيعة فى ديوانه ٤٨٦ .

وهاتا هندٌ ، على زيادة " ها " للتنبيه ؛ قال جرير[1] :

هذِي التِي جَدَعَتْ تَيْمًا مَعَاطِسَهَا ... ثُمَّ اقْعُدِي بعدَهَا يا تَيْمُ أو قُومِي

وقال عِمْرانُ بن حِطَّانَ [2] :

وليس لعَيشِنَا هذا مَهَاةٌ ... وليستْ دارُنَا هَاتَا بدَارِ[3]

قال أبو العباس : النحويون يُثْبِتُون الهاءَ في الوصلِ ، فيقولون " مَهَاةٌ " وتقديرُها " فَعَالٌ " ومعناه اللَّمْعُ والصَّفاءُ ، يقال : وَجْهٌ له مَهَاةٌ يا فتى ! والأصمعيّ يقولُ " مهاة " تقديرُها " حَصَاةٌ " ، يجعلُ الهاءَ زائدةً ، وتقديرُها في قوله " فَعَلَةٌ " و " المَهَاةُ " : البِلَّوزَةُ ، و " المَهَاةُ " : البقرةُ وجمعُها " المَهَا " .

فإذا صغَّرتَ " ذِه " قلتَ " تَيَّا " ، كأنك صغَّرتَ " تَا " ، ولا تُصغِّرُ " ذِه " على لفظِها ، لأنك إذا صغَّرت " ذَا " قلتَ " ذيًّا " ، فلو صغَّرتَ " ذِي " فقلتَ " ذَيَّا " لالْتَبَسَ المؤنَّثُ بالمذَّكرِ ، فصغَّرُوا ما يخالفُ فيه المؤنثُ المذكَّرَ .

وهذه المبهَمَةُ يخالفُ تصغيرُها تصغيرَ سائرِ الأسماءِ وسنذكر ذلك في بابٍ نُفْرِدُه له إن شاء الله[4] .

عاد القولُ إلى التشبيه .

أنشدَتْني أمُّ الهَيْثَمِ في صِفَةِ جَمَلٍ :

كأَنَّ صوتَ نابِهِ بنابِهِ ... صَرِيرُ خُطَّافٍ عَلَى كُلاَّبِهِ

أراد الصريفَ ، وهو أن يَحُكَّ أحد نابَيْهِ بالآخر . وقوله " صريرُ خطافٍ على كُلاَّبِهِ " فـ " الخُطَّافُ " : ما تَدُورُ عليه البَكْرَةُ ، و " الكُلاَّبُ " ما وَلِيَهُ .

---

(١) ديوانه ق ٢٦/٥٨ ج١/٣٦٠ .

(٢) انظر شعر الخوارج ص١٥٣ .

(٣) البيت من الوافر ، وهو لعمران بن حطان فى ديوانه ١١٢، والمخصص ١٠٧/١٥ ، وأساس البلاغة (مهمه) ، وتاج العروس (مهمه) وتخليص الشواهد ١٢١، وخزانة الأدب ٣٦١/٥، ٣٦٢/٢، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٢٧٠، وشرح شواهد الإيضاح ٦٠٤، وشرح شواهد المغنى ٢/ ٩٢٦ ، والكتاب ٣/ ٤٨٨ ، ولسان العرب ١٣/ ٤٢. (مهه) ، والمقتضب ٢/ ٢٨٨ ، ٤/ ٢٧٧ ، وبلا نسبة فى مغنى اللبيب ٢/ ٦٢٧ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٢٦٨ ، ومجمل اللغة ٤/ ٢٩١ .

(٤) انظر باب تحقير الأسماء المبهمة فى المقتضب ٢/٢٨٧-٢٩١ .

وقد قال النابغةُ [1]:

مقذوفةٍ بدَخِيس النَّحْض بازلُهـا ... له صَرِيفٌ صَريفَ القَعْـو بالمَسَـدِ[2]

القَعْوُ " : ما تدورُ عليهِ البَكْرَةَ إذا كان من خَشَبٍ ، فإن كان مـن حديـدٍ فهـو " خُطَّافٌ " ، وإذا دارتْ على حبْلٍ فذلك الحبلُ يسمى " الدَّرَكَ " .

وقوله " مقذوفةٍ " يقول : مَرَمِيَّة باللحم . و " الدَّخِيسُ " : الذي قد رَكِبَ بعضُهُ بعضًا . و" النَّحْضُ " : اللَّحْم . و " بازِلَها " : نابُها ، ومعنـى " بـزَلَ " و "فَطَـرَ" واحـدٌ ، وهو أن ينشقَّ النابُ ، قال ذو الرُّمَّةِ[3] :

كـأَنَّ على أنيابهـا كُـلَّ سُـدْفَةٍ ... صِيـاحَ البَـوَازي مـن صَرِيـف اللَّوائِـكِ

يقولُ : مما تَلُوكهُ . ويقال في الغضَبِ : تركتُ فلانًا يَصْرِفُ نابُهُ عليكَ ، ويَحْرِقُ ويَحْرُقُ،ورأيتُه يَعَضُّ عليك الأُرَّمَ [4] . قال زهـيرٌ في مدحِه حِصْـنَ بـنَ حُذَيْفَـةَ ابـن بَـدْرٍ الفَزَاريَّ :

أَبَى الضَّيْمَ والنُّعمـانُ يَحْـرُقُ نابَـهُ ... عليه فأَفْضَى والسُّيوفُ مَعاقِلُـهْ[5]

وقال آخرُ :

---

(١) سلف عجز البيت .

(٢) البيت من البسيط ، وهو للنابغة الذبياني فى ديوانه ١٦ ، وجمهرة اللغة ٥٧٨ ، ٧١٤، ٩٤٤، والدرر ٣/ ٧٦ ، شـرح أبيـات سيبويه ١/ ٣١، وشـرح الأشمونـى ٢/ ٥٠٧ ، والكتـاب ١/ ٣٥٥، ولسان العرب ٩/ ١٩١(صرف) ،٢٧٧(قذف) ،١١/ ٥٢(بزل) ١٩١/١٥ (قعا) ، وبـلا نسبة فـى لسان العرب ٧٧/٦ (دخس) ، ومجالس ثعلب ٣٢٠ ، وهمع الهوامع ١٩٣/١ .

(٣) ديوانـه ق ١٧/٦٨ ج١٧١٩/٣. وصـواب الروايـة :" على أنيابـه " يصـف بعيرًا وبهـامش أ. : "أنيابه " مع " صح" .

(٤) قال ابن منظور في اللسان (٦٥/١) ط . المعارف (أرم) : "الأُرَّمُ : الأضـراس ، قـال الجوهـري : كأنه جمع آرِم . ويقال : فلان يحرق عليك الأرَّم إذا تغيـظ فحك أضراسـه بعضهـا ببعض ، وقيـل : الأُرَّمُ أطراف الأصابع . ابن سيده : وقالوا هو يعلـك عليـه الأُرّم أي يصـرف بأنيابـه عليـه حنقًـا ... وقال أبو رياش : الأُرَّم الأنياب ... قال الجوهري : حرق نابه يحْرُقُه ويحرِقُه إذا سحقه حتى يسمع لـه صريف " . اهـ . بتصرف .

(٥) البيت من الطويل، وهو لزهير بن أبى سلمى فى ديوانه ١٤٣، وتاج العروس ١٤٩/٢٥(حرق) ، وكتـاب العين ٣/ ٤٤ ، وبـلا نسبة فـى لسـان العرب ١٠/ ٤٣(حـرق) ، وتهذيـب اللغـة ٤/ ٤٤ومقاييس اللغة ٨٦/١ .

نُبِّئْتُ أَحْمَاءَ سُلَيْمَى إنَّما ظَلُّوا غِضَابًا يَعْلُكُونَ الأُرَّمَا[1]

وقال بعضُ النحويين : يعني الشِّفَاهَ، وقال بعضُهم : يعني الأصابعَ .

فأما قولهم " عَضَّ على ناجذِه "[2] ـ وهو آخِرُ الأسنان ـ فيكونُ على وجهين : أحدُهما : أنَّه قدِ احتَنَكَ وبَلَغَ ، والآخرُ : أنْ يكونَ للإطْراق والتَّشَدُّدِ . ويُروى عن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّه كان يقولُ : إذا لقيتُم القومَ فاجْمَعُوا القلوبَ وعَضُّوا على النَّوَاجِذِ ، فإنَّ ذلك يُنْبي السيوفَ عَنِ الهَام .

* * *

ثم نعود إلى التشبيه

قال الراجزُ :

كأنّها حين تناهَى الْبَاسُ جنِّيَّةٌ في رأسِها أَمْرَاسُ

بها سُكونٌ وبها شِمَاسُ يَخرُجُ منها الحَجَرُ الكُبَاسُ

يَمُرُّ لا يَحْبِسُهُ حَبَّاسُ لا نَافِذُ الطَّعْنِ ولا تَرَّاسُ

يصفُ المَنْجَنِيقَ . و " الأمراسُ " : الحِبالُ ، الواحدُ " مَرَسٌ " . و "الكُبَاسُ": الضخم ، يقال : هامةٌ " كَبْسَاءُ " يا فتى ؛ ورأسٌ " أَكْبَسُ " . و " الحَبَّاسُ " : الذي من شأنه أن يَحْبِسَ ، يقال : ضاربٌ ، للذي يَضْرِبُ ، كثيرًا كان ذلك منه أو قليلاً ، فإذا قلت " ضَرَّابٌ " و " قَتَّالٌ " فإنما تُكَثِّرُ الفعلَ ، ولا يكونَ للقليل .

قال الراجزُ :

أَخْضَرُ مِن مَعْدِنِ ذي قُسَاس كأنه في الحَيْدِ ذي الأضراس

يُرْمَى به في البلدِ الدَّهَّاس[3]

يصفُ معْولاً . و " ذو قُسَاسٍ " : مَعدِنٌ للحديد الجيِّد ، وهو يقربُ من بلاد بنى أسَدٍ . " والحَيْدُ " : ما أشرفَ من الجبلِ أو غيرِ ذلك ، يقال للطُّنُفِ "حَيْدٌ "وهو الذي يسميه أهلُ الحَضَرِ " الإِفْرِيزَ " يقالُ : طَنِّفْ حائِطَك ، ويقالُ للنَّاتِئِ في وسطِ الكتِفِ

---

(١) البيتان بلا نسبة فى النوادر ٨٩ ، وتهذيب الألفاظ ٨١ ، واللسان (أرم) .

(٢) فى الأصل : نواجذه .

(٣) الرجز بلا نسبة فى تاج العروس ١٦/ ٣٧٥ (قسس) ، ومعجم البلدان ٤/ ٣٤٥(قساس) ، والفاضل ١٨ .

"حَيْدٌ"و " عير " وكذلك الناتِئِ في القَدَمِ . وقوله " ذي الأضراسِ " يريدُ الموضع الضَّرسَ الخَشِنَ ذا الحجارةِ ، فيقولُ : هذا المِعْوَلُ لِحِدَّتِهِ يَقَعُ في الخشونةِ فيَهْدِمُها كما يهدِمُ الدَّهَّاسَ . و "الدَّهَّاسُ" : ما لانَ من الرملِ . قال دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ في يوم حُنَيْن : أينَ مُجْتَلَدُ القومِ ؟ فقالوا : بأَوْطاسٍ[1] ، فقال : نِعْمَ مَجَالُ الخيلِ ، لا حَزْنٌ ضَرِسٌ ، ولا لَيِّنٌ دَهِسٌ .

وقال العَجَّاجُ [2]يصفُ حمارا :

كَأَنَّ في فِيهِ إذا ما شَحَجَا ... عُودًا دُوَيْنَ اللَّهَوَاتِ مُولَجَا

هذا يَصِفُ العيْرَ الوحشي الذي قد أسَنَّ ، تَراهُ لا يشتدُّ نَهِيقُهُ ، وكأنه يعالجه علاجًا . قال الشَّمَّاخُ[3] :

إذا رَجَّعَ التَّعْشِيرَ عَجًّا كأنَّهُ ... بناجذِه من خَلْفِ قَارِحِهِ شَجِي

فأما قولُ عَنْتَرَةَ :

بَرَكَتْ على ماءِ الرِّدَاعِ كأنَّما ... بَرَكَتْ على قَصَبٍ أَجَشَّ مُهَضَّمِ[4]

فإنما يصفُ الناقةَ ويذكر حنينَها ، يقالُ إنَّه يخرجُ منها كأَشْجَى صوتٍ ، وإنما شَبَّهه بالزَّمِير ، وأراد القَصَبَ الذي يُزْمَرُ به ، قال الأصمعيُّ : هو الذي يقال له بالفارسيَّة " نَرْمَنايَ " ، قال الراعي يصفُ الحادِيَ :

زَجِلِ الحُداءِ كأنَّ في حَيْزُومِهِ ... قَصَبًا ومُقْنِعَةَ الحَنِينِ عَجُولا[5]

" المُقْنِع " الرافعُ رأسَه ، في هذا الموضع ، ويقال في غيره : الذي يَحُطُّ رأسَه ، استخذاءً وندمًا ، قال ا لله جلَّ وعزَّ : ﴿ **مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ** ﴾ [6]ومن قال : هو الرافعُ

---

(١) أوطاس واد فى ديار هوازن فيه كانت وقعة حنين . معجم البلدان ١/ ٢٨١ .

(٢) سلف البيتان .

(٣) ديوانه ق ٢/٤٢ص٨٨

(٤) البيت من الكامل ، وهو لعنترة فى ديوانه ٢٠٣، ولسان العرب ٨/١٢٣(ردع) ،١٢/٦١٥ (هضم) ، وتاج العروس ٢١/ ٨٥ . (ردع) (هضم) ، ومعجم البلدان ٣/ ٣٩ (رداع)

(٥) البيت من الكامل ، وهو للراعى النميرى فى ديوانه ٢٢١، ولسان العرب ٨/٣٠٠ (قنع) ، وتهذيب اللغة ١/ ٣٦٠ ، وأساس البلاغة (قنع) ، وتاج العروس ٢٢/ ٦٩(قنع) ، وبلا نسبة فى المخصص ٢/١٤٣، ١٥٩ .

(٦) سورة إبراهيم :٤٣ .

رأسَه فتاويلُه عندنا : أنَّه يتطاولُ فينظرُ ثم يُطَـأْطِئُ رأسَـه ، فهـو بَعْـدُ يَرجـعُ إلى الإغْضـاء والانكسارِ .

* * *

والبعيرُ يَحنُّ كأشدِّ الحنينِ إلى ألاَّفِهِ إذا أُخِذَ من القطيع . قال[1] : وأكثَرُ مـا يحِـنُّ عند العطشِ ، قال الشاعرُ :

لا تَصْبِرُ الإبـلُ الجِـلاَدُ تفرَّقَـتْ ... بعـدَ الجميـعِ ويَصْبِرُ الإنسـانُ[2]

وقال آخر [3]:

وهَـل رِيبـةٌ في أنْ تَحِـنَّ نَجيبـةٌ ... إلى إلْفِهـا أو أنْ يَحِـنَّ نَجِيـبُ

وإذا رَجَّعَتِ الحنين كان ذلك أحسنَ صوتٍ يهتاجُ له المُفارِقونَ ، كمـا يهتـاجون لِنَوْحِ الحمامِ ، ولالْتِيَاحِ البُرُوق .

وقال عَوْفُ بنُ مُحَلِّم وسمع نَوْحَ حمامةٍ [4]:

ألاَ يا حَمامَ الأَيْـكِ إلْفُـكَ حـاضِرٌ ... وغُصْنُـكَ مَيَّـاد فَفِيـمَ تَنُـوحُ

أَفِقْ لا تَنُحْ مِـن غيرِ شـيءٍ فإنَّني ... بَكَيْـتُ زمانًـا والفـؤادُ صحيـحُ

وَلُوعًـا فَشَـطَّتْ غَرْبَـةً دارُ زَيْنَـب ... فهـا أنـا أبْكِـي والفـؤادُ قَرِيـحُ

وكلُّ مُطَوَّقَةٍ عند العربِ حمامةٌ ، كالدُّبْسِيِّ والقُمْرِيِّ والوَرَشَانِ وما أشبه ذلـك . قال حُمَيْدُ بنُ ثَوْر [5]:

ومـا هـاجَ هـذا الشَّوْقَ إلا حمامـةٌ ... دَعَـتْ سَاقَ حُرٍّ في حَمَامٍ تَرَنَّمَـا

---

(١) كذا ، والوجه حذفها .

(٢) لعروة بـن أذنيـة في المؤتلـف والمختلـف ٥٤ ، وهمـا بـلا نسـبة في الوحشيات ١٨٩ ، والمذكـر والمؤنث لابن الأنباري ٢٥٦ ، وفرحة الأديب ٧١ ، والعقد ٤١٤/٥ .

(٣) وهو ابن الدمينة . ديوانه ق٢٧/٥٠ص١٠٤ .وينسـب لغيره ،انظر تعليق العلامـة أحمـد راتـب النفاخ فى ديوان ابن الدمينة ص ٢٣٨ .

(٤) الأبيات من الطويل له فى سمط اللآلى ٣٧٢ وتخريجها ثمة .

وزعم المرصفى أن " الشعر لأبى كبير الهذلى لا لعوف وإنما ذكره لعبد الله بن طاهر لمـا سمـع صـوت عندليب فالتفت إلى ابن محلـم ، وقـال : هـل سمعـت بأشـجى مـن هـذا ؟ فقـال : لا والله قـاتل الله أبو كبير [كذا] حيث يقول : وذكر هذه الأبيات " رغبة الآمل ٢٦/٧.

(٥) ديوانه . ٢٧ وفى الرواية اختلاف . انظر رغبة الآمل ٢٧/٧-٢٨ .

إذا شئتُ غَنَّتني بأجْزَاعِ بيشَةٍ ... أو النَّخلِ من تَثْلِيثَ أو مِنْ يَبَمْبَمَا
مُطَوَّقَةٌ خَطْبَاءُ تَسْجَعُ كُلَّمَا ... دَنَا الصيفُ وانْجالَ الرَّبيعُ فَأَنْجَما
مُحَلاةُ طَوْق لم يَكُن من تَميمةٍ ... ولا ضَرْبِ صَوَّاغٍ بكفَّيْهِ دِرْهَمَا
تَغَنَّتْ على غُصْنٍ عِشاءً فلم تَدَعْ ... لنائحةٍ في نَوْحِها مُتَلَوَّمَا
إذا حَرَّكَتْهُ الرِّيحُ أو مال مَيْلَةً ... تغنَّتْ عليه مائِلاً ومُقَوَّمَا
عجبتُ لها أنى يكونُ غِناؤُها ... فَصِيحًا ولم تَفْغَرْ بِمَنْطِقِهَا فَمَا
فلم أرَ مثلي شاقَهُ صوتُ مِثْلِها ... ولا عَرَبِيًّا شاقَهُ صوتُ[1] أعْجَما[2]

وقال ابنُ الرِّقاعِ وذكرَ حمامةً [قال أبو الحسن : الصحيح أنه لِنُصَيْب] :

فلو قَبْلَ مَبْكاهَا بكيتُ صَبَابَةً ... بليلى شَفَيْتُ النَّفسَ قبلَ التَّنَدُّمِ
ولكنْ بكتْ قبلي فهاجَ لِي البُكَا ... بُكاهَا فقلتُ الفَضْلُ للمتقدِّمِ[3]

أما قولُ حميدٍ " دَعَتْ ساقَ حُرٍّ " فإنَّما حَكَى صَوْتَها . ويقالَ للواحدِ ذكرًا كان أو أنثى " حمامةٌ " والجمعُ " الحَمامُ "والحمامات" . فإذا كان ذكرًا قلت : "هذا حمامة " وإذا كانت أنثى قلت : "هذه حمامة " . وكذلك " هذا بَطَّةٌ " و " هذه بَطَّةٌ " ويقال " بقرةٌ " للذكر والأنثى ، و " دجاجةٌ " لهما ، فإذا قلتَ " ثَوْرٌ " أو " ديكٌ " بَيَّنْتَ الذَّكَرَ واستغنيتَ عن تقديم التذكير .

ويقال للحمامة : تَغَنَّتْ وناحتْ ، وذاك أنَّه صوتٌ حسنٌ غيرُ مفهومٍ ، فيُشَبَّهُ مرةً بهذا ومرةً بهذا ؛ وقال قَيْسُ بن مُعاذٍ[4]:

ولو لم يَشُقْني الظاعنونَ لَشَاقَنِي ... حمائمُ وُرْقٌ في الديارِ وُقُوعُ
تَجَاوَبْنَ فَاسْتَبْكَيْنَ من كان ذَا هَوًى ... نَوَائِحُ ما تَجْري لهنَّ دموعُ

وقوله " وانْجال الربيعُ " يقال : " انْجالَ الربيع عنَّا " أي أَقْلَعَ ، ومثلُ ذلك

---

(١) بهامش نسخة :"نوح ".

(٢) هذا البيت لحميد بن ثور في ديوانه ٢٤، والأشباه والنظائر ٨/ ٤٣٠ ، ٤٤ ، ولسان العرب ٣٥٤/٧ (علط) ، ١٥٧/٨(سفع) .

(٣) البيتان ينسبان لعدي ولنصيب ، انظر الحماسة البصرية ١٤٢/٢ ، وشعر نصيب ١٣٠ ، ٢٠٠ .

(٤) هو المجنون . ديوانه ص١٩١.

" أَنْجَمَ عَنَّا " فإذا قلتَ " أَنْجَمَ " فمعناه وقع ولزم ، فهو خلافُ " أَنْجَمَ " . فإذا قلتَ: " انْجَابَ " فمعناه انشَقَّ ، يقال " المِجْوَبُ " للحديدةِ التي يُثْقَبُ بها العَسِيبُ ، ويقال : "جُبْتُ البلادَ" أي دخلتُها وطَوَّفْتها . وفي القرآن : ﴿ **وثَمُودَ الَّذينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ** ﴾ [1]أي شَقُّوهُ .

وقوله " لم يَكُن من تَميمةٍ " " التميمةُ " : المعاذةُ وقد مضى هذا . وقوله "ولم تَفْغَرْ بمنطِقِها فَمَا" يقولُ : " لم تَفْتَح " ، يقال " فَغَرَ فاه " : إذا فَتَحَه .

وقوله : **ولا عَرَبيًّا شَاقَهُ صوتُ أعجما**

يقولُ: لم أَفهم ما قالتْ ، ولكنّي اسْتَحْسَنْتُ صوتَها واسْتَحْزَنْتُه ، فَحَنَنْتُ له.

ويُرْوَى أنَّ بعضَ الصالحين كان يسمعُ الفارسيَّةَ تَنُوحُ ولا يدري ما تقولُ ، فيُبكيه ذلك ويُرَقِّقُهُ ، ويَذْكُرُ به غيرَ ما قَصَدَتْ له .

قال أبو العباس : وحُدِّثْتُ أنَّ بعض المُحْدَثين سمع غِناءً بخُرَاسان بالفارسِيَّة فلم يَدْرِ ما هو ، غيرَ أنه شَوَّقَه [2] لِشَجَاهُ وحُسْنِهِ ، فقال في ذلك : [قال أبو الحسن : هو لأبي تمّام]

حَمِدْتُكِ ليلةً شَرُفَتْ وطَابَتْ ... أقام سُهادُها ومَضَى كَرَاهَا

سمعتُ بها غناءً كان أَوْلَى ... بأن يَقْتَادَ نفسِي من غِنَاهَا [3]

" الغِنَاء " الأولُ ممدودٌ من الصوت ، والذي ذكره بعدُ في القافية من المالِ مقصورٌ .

ومُسْمِعَةٍ يَحَارُ السَّمْعُ فيها ... ولم تُصْمِمْهُ لا يَصْمَمْ صَدَاهَا

ولم أفهم معانِيَهَا ولكنْ ... وَرَتْ كَبِدِي فلم أجْهَلْ شَجَاهَا

فكنتُ كأنّني أَعْمَى مُعَنًّى ... بحُبِّ الغَانِياتِ وما رَآهَا[3]

قال أبو العباس : والشَّيْءُ يُذْكر بالشيء ، لاحتواء البابِ عليهما .

وفي شِعْرِ حُمَيْدٍ هذا ما هُوَ أَحْكَمُ مِمَّا ذَكَرْنا وأَوْعَظُ ، وأحْرَى أَنْ يَتَمَثَّلَ بِهِ

---

(١) سورة الفجر ٩.

(٢) فى الأصل : شاقه .

(٣) من الوافر لأبي تمام في ديوانه ص٤٧٤ ط . دار الكتب العلمية .

الأشْرَافُ ، وتُسَوَّدَ به الصُّحُفُ ، وهو قولُه [1]:

أَرَى بَصرِي قَدْ رَابَنِي بعدَ صِحَّةٍ وحَسْبُك داءً أن تَصِحَّ وتَسْلَمَا

ولا يَلْبَثُ العَصْرانِ يومٌ وليلةٌ إذا طَلَبَا أن يُدْرِكَا ما تَيَمَّمَا

ويُروى عن النبي ﷺ أنه قال : " كَفَى بالسَّلامَةِ داءً "[2] .

* * *

ثم نرجعُ إلى التشبيه :

قال أبو العباس : والعربُ تُشَبِّهُ على أربعةِ أضرُبٍ : فتشبيهٌ مُفْرطٌ ، وتشبيهٌ مُصِيبٌ ، وتشبيهٌ مُقَارِبٌ ، وتشبيهٌ بعيدٌ يَحتاجُ إلى التفسير ولا يقوم بنفسه ، وهو أَخْشَنُ الكلام .

فمن التشبيه المفرطِ المتجاوز قولُهم للسَّخِيِّ : هو كالبَحْرِ ، وللشجاع : هو كالأسدِ ، وللشريف : سَمَا حتى بَلَغَ النجم . ثم زادُوا في ذلك ، فمنه قولُ بعضهم [قال أبو الحسن : وهو بَكْرُ بن النَّطَّاحِ يقوله لأبي دُلَف القاسمِ بن عيسى] :

لـه هِمَمٌ لا مُنْتَهَى لكِبارِها وهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ من الدَّهْرِ

له راحةٌ لو أَنَّ مِعْشارَ جُودِها على البَرِّ صارَ البَرُّ أَنْدَى من البحر

ولو أنَّ خَلْقَ الله في مَسْكِ فارسٍ وبارَزَهُ كَان الخَلِيُّ من العُمْرِ[3]

وقد قيل [4]: إنَّ امرأةَ عِمْرَانَ بنِ حِطَّانَ قالت له : أما زعمت أنَّك لم تكذبْ في شعرٍ قَطُّ ؟! قال : أَوَ فَعَلْتُ ؟ قالت : أنت القائلُ :

فهُناك مَجْزَأَةُ بنُ ثَوْ رٍ كان أَشْجَعَ من أُسامَةْ[5]

أفيكونُ رجلٌ أشجعَ من الأسدِ ؟! قال : أنا رأيتُ مجزأةَ بنَ ثورٍ فتح مَدِينةً ،

---

(١) سلف البيتان .

(٢) "ضعيف" أخرجة الديلمى فى مسند الفردوس " من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، وأورده الشيخ الألبانى فى "ضعيف " الجامع " (ح٤١٧٨) ،وقال : ضعيف

(٣) الأبيات من الطويل ، والثاني والثالث لبكر في الأغاني (١١٧/١٩) بتقديم وتأخير واختلاف في بعض الألفاظ .

(٤) سلف الخبر .

(٥) سبق .

والأسدُ لا يفتحُ مدينةً .

ومن عجيب التشبيه في إفراطٍ غيرَ أنه خرَجَ في كلامٍ جيدٍ ، وعنى به رجلٌ جليلٌ فَخَرَجَ من باب الاحتمال إلى باب الاستحسان ، ثم جُعِلَ لجَوْدة ألفاظِه وحسنِ رَصْفِهِ واستواء نظمِه في غاية ما يُسْتَحْسَنُ قولُ النابغة [١] يعني حِصْنَ بنَ حُذَيْفَةَ بن بَدْرِ بن عَمْرٍو الفَزَارِيَّ :

يقولون حِصْنٌ ثم تأبَى نفوسُهُم ... وكيفَ بحِصْنٍ والجبالُ جُنُوحُ

ولم تَلْفِظِ المَوْتَى القُبورُ ولم تَزُلْ ... نجومُ السماءِ والأديمُ صَحيحُ

فعَمَّا قليلٍ ثُمَّ جاء نَعِيُّهُ ... فَظَلَّ نَدِيُّ الحَيِّ [٢] وهو يَنُوحُ [٣]

ومن تشبيههم المتجاوزِ الجيِّدِ النَّظْمِ ما قد ذكرناه ، وهو قولُ أبي الطَّمَحَانِ القَيْنِيِّ :

أضاءتْ لهم أحسابُهم ووُجُوهُهُمْ ... دُجَى الليلِ حتى نَظَّمَ الجَزْعَ ثاقِبُه [٤]

ويروى عن الأصمعيِّ أنَّه رأى رجلاً يختالُ في أُزَيْرٍ في يوم قُرٍّ ، فقال له : مِمَّن أنتَ يا مَقْرُورُ ؟ فقال : أنا ابنُ الوَحِيدِ ، أمشِي الخَيْزَلَى [٥]، ويُدْفِئني حَسَبِي !!

وقيل لآخرَ في هذه الحالِ : أمَا يُوجِعُكَ البَرْدُ ؟ فقال : بَلَى ، ولكني أذْكُر حَسَبِي فَأَدْفَأُ !!

وأصْوَبُ منهما قولُ العُرْيانِ الذي سُئِلَ في يوم قُرٍّ عمَّا يجدُ ؟ فقال : ما عليَّ منه كبيرُ مَئونَةٍ، فقيل : وكيف ؟ فقال : دَامَ العُرْيُ ، فاعْتَادَ بَدَني ما أَلِفَتْهُ وجوهُكم!

---

(١) ديوانه ق ٥٠/١-٣ ص٢١٣.

(٢) بهامش نسخة :" القوم " رواية الديوان .

(٣) البيت من الطويل ، وهو للنابغة فى ديوانه ١٩٠ ، وأساس البلاغة ٦٦ (جنح) .

(٤) بعده بيت وهو :

نجوم سماء كلما غار كوكب ... بدا كوكب تأوى إليه كواكبه

والبيتان من الطويل ، وهما لأبى الطمحان القينى فى الأغانى ١٣/ ٩ ، وأمالى المرتضى ١/ ٢٥٧ ، وتخليص الشواهد ٢٠٢، وخزانة الأدب ٨/٩٥، ٩٦، وديوان المعانى ١/ ٢٢، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى١٥٩٨، ولسان العرب ١٤٣/٧(خضض) والمقاصد النحوية ١/ ٥٦٧، وهما للقيط بن زرارة فى الحيوان ٣ / ٩٣ والشعر والشعراء ٧١٥ .

(٥) الخيزلى: مشية فى تثاقل .

ومن التشبيهِ القاصدِ الصحيح قولُ النابغةِ :

وَعِيدُ أبِي قابُوسَ في غيرِ كُنْهِهِ ... أتانِي ودُونِي رَاكِسٌ فالضَّوَاجِعُ[1][2]

فَبِتُّ كأَنِّي سَاوَرَتْنِي ضَئِيلَةٌ ... من الرُّقْشِ في أنيابها السُّمُّ ناقِعُ[3]

يُسَهَّدُ مِنْ لَيلِ التمامِ سليمُها ... لِحَلْيِ النساءِ في يَدَيْهِ قَعاقِعُ

تَنَاذَرَها الرَّاقُونَ من سُوءِ سُمِّها ... تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وطَوْرًا تُراجِع

فهذه صفةُ الخائف المهموم . ومثلُ ذلك قولُ الآخرَ :

تَبِيتُ الهُمُومُ الطارِقاتُ يَعُدْنَنِي ... كما تَعْتَرِي الأَوْصابُ رأسَ المُطَلَّقِ[4]

و " المُطَلَّقُ " هو الذي ذكره النابغةُ في قوله :

تُطَلِّقُه طورًا وطورًا تُراجِعُ

وذلك أنَّ المنهوشَ إذا أَلَحَّ الوجعُ به تارةً وأَمْسَكَ عنه تارةً فقد قارب أن يُؤْنَس بُرْؤُه .

وإنما ذَكَرَ خوفَه من النعمانِ وما يَعْتَريه من لَوْعَةٍ في إثْرِ فَتْرَةٍ ، والفَتْرَةُ سيما الخائفِ ، ولا يَنامُ إلا غِرارًا ، فلذلك شُبِّهَ بالمَلْدُوغِ المسَهَّدِ .

وقال الآخرُ :

---

(١) راكس : واد ، والضواجع : موضع . انظر معجم البلدان (راكس) ٣/١٦و(الضواجع) ٣/٤٦٤ .

(٢) البيت من الطويل ، وهو للنابغة الذبيانى فى ديوانه ٣٢، ولسان العرب ٦/١٠١(ركس) ، ٨/٢٢١(ضجع) ، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٢٧٨ ، وديوان الأدب ٢/ ١٥٨ ، وتاج العروس ١٦/١٣١(ركس) ٢١/٤٠٢(ضجع) ، ومعجم البلدان ٣/ ٤٥٤(الضجوع) ٤٦٤(الضواجع) ، وبلا نسبة فى مقاييس اللغة ٣/ ٣٩٠ ، ومجمل اللغة ٣/ ٣٠٥ .

(٣) ساورتنى : واثبتنى والضئيلة : الحية الدقيقة القليلة اللحم ، والرقش جمع رقشاء وهى المنقطة ، وناقع : ثابت عتيد كامن . عن الديوان .

(٤) البيت من الطويل ، وهو للمزق العبدى فى الأصمعيات ١٦٤ وبلا نسبة فى لسان العرب ١٠/٢٣١(طلق) ، وتهذيب اللغة ١٦/ ٢٦١، وديوان الأدب ٢/ ٣٦٩ ، وجمهرة اللغة ٩٢٢، ومقاييس اللغة ٣/ ٤٢١ .

وله رواية :

تبيت الهموم الطارقات يعدننى ... كما تعترى الأهوال رأس المطلق

كأنَّ فِجاجَ الأرضِ وهي عريضةٌ ... على الخائفِ المطلوبِ كُفَّةُ حَابِلِ
يُؤَدَّى إليه أنَّ كلَّ ثَنيَّةٍ ... تَيمَّمَها تَرْمِي إليه بقاتِلِ[1]

يقال لكل مستطيل " كُفَّة " يقال " كُفَّةُ الثوبِ " لحاشيته ، و " كُفَّةُ الحابِلِ " إذا كانت مستطيلةً. ويقال لكلِّ مستدير " كِفَّة " ويقال " ضَعْهُ في كِفَّةِ الميزان " فهذا جملة هذا . وكُفَّةُ الحابل : الحِبَالَةُ التي يَنْصِبُها للصَّيدِ .

* * *

وأما التشبيهُ البعيدُ الذي لا يقومُ بنفسِه فكقوله:

بل لو رَأَتْني أُخْتُ جيرانِنا ... إذْ أنا في الدارِ كَأنّي حمارْ

فإنما أراد الصحة ! فهذا بعيدٌ ، لأن السامعَ إنما يستدلُّ عليه بغيره ، وقال الله جلَّ وعزَّ - وهذا البَيِّنُ الواضِحُ - ﴿ كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أسْفارًا ﴾[2] و " السِّفْرُ " الكتابُ ، يقول : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لم يَحْمِلُوهَا ﴾ في أنَّهم قد تَعامَوْا عنها ، وأَضْرَبُوا عن حدودِها وأمْرِها ونهيها، حتى صاروا كالحمار الذي يَحْمِلُ الكتبَ ولا يدري ما فيها. [قال أبو الحسن : الصحيح الفصيح:ضربتُ عن كذا ، وبه نزل القرآنُ ، قال الله تعالى : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا ﴾[3] لأنه من ضَرَبْتُ ، وأضربتُ لغةٌ جيدةٌ أيضًا] .

قال أبو العباس : وهجا مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حَفْصة قومًا من رواة الشعر ، بأنهم لا يعلمون ما هو ، على كثرة استكثارهم من روايته ، فقال :

زَامِلُ للأشعارِ لا عِلْمَ عِنْدهُم ... بجَيِّدها إلا كعِلْمِ الأبَاعِرِ
لَعَمْرُكَ ما يَدْرِي البَعِيرُ إذا غَدَا ... بأوْساقِهِ أو رَاحَ ما في الغَرَائرِ

* * *

قال أبو العباس : والتشبيهُ كما ذكرنا مِن أكثر كلام الناسِ . وقد وَقَع على أَلْسُنِ الناسِ من التشبيهِ المستحسَنِ عِندَهم - وعن أصلِ أَخَذُوه - أنْ يُشَبِّهُوه عينَ المراةِ والرجلِ بعينِ الظَّبْيِ أو البقرةِ الوحشيَّةِ ، والأنْفَ بحَدِّ السيفِ ، والفَمَ بالخاتِمَ ، والشَّعْرَ بالعَنَاقِيدِ ، والعُنُقَ بإبريقِ فضةٍ ، والساقَ بالجُمَّارة . فهذا كلامٌ جارٍ على الألْسُنِ .

---

(١)البيت من الطويل ، وهو بلا نسبة فى لسان العرب ٩/٣٠٤(الخفف) وتهذيب اللغة ٤/ ١٣٩، وتاج العروس ٢٤/٣٢٤(الخفيف) .

(٢) سورة الجامعة : ٥ .

(٣) سورة الزخرف :٥ .

وقد قال سُراقةُ بنُ مالكٍ بنِ جُعْشُم : " فرأيت رسولَ ا لله ﷺ وسَـاقَاه باديتـان في غَرْزِهِ كأنهما جُمَّارتَان ، فأَرَدْتُه فوقَعْتُ في مِقْنَبِ [(١)] مِن خَيْـلِ الأنصار ، فَقَرَّعُونـي بالرِّماحِ ، وقالوا : أين تُرِيدُ "[(٢)] .

وقال كعبُ بن مالكٍ الأنصاريُّ : " وكان رسول ا لله ﷺ إذا سُرَّ تَبَلَّـجَ وجْهُهُ فصارَ كأنه الْبَدْرُ "[(٣)]

وعينُ الإنسانِ مشبَّهةٌ بعين الظبي والبقرةِ في كلامهم المنثورِ ، وشعرِهم المنظومِ ، قال الشاعرُ :

فَعَيْنَـاكِ عَيْناهـا وجِيـدُكِ جِيدُهـا ولكنَّ عَظْمَ السـاقِ منكِ دَقِيقُ[(٤)]

وقال الآخرُ:

فلـم تَـرَ عينِي مثـلَ سِرْبٍ رأيتُـهُ خَرَجْنَ علينا من زُقاقِ ابـنِ واقِـفِ

طَلَعْنَ بأَعْناقِ الظِّباءِ وأعْيُنِ الْـ جَـآذِرِ وامْتَـدَّتْ بهـنِّ الـرَّوادِفُ[(٥)]

ويقالُ للخطيبِ : كأنَّ لِسَانَه مِبْرَدٌ . فهذا الجاري في الكلام ، كما يقال للطويـلِ : كأنه رُمْحٌ . ويقال لِلْمُهْتَزِّ للكَرَم : كأنَّه غصنٌ تحتَ بَارِحٍ .

---

(١) المقنب : جماعة الخيل والفرسان .

(٢) الحديث في سيرة ابن هشام ١٣٥/٢ .

(٣)هذه الفقرة وردت فى حديث توبة كعب بن مالك الطويل ، وقد أخرجه البخارى فى مواضع كثيةه من صحيحة ، من بين هذه المواضع ، أخرجه فى " المغازى" ، باب: حديث كعب بن مالك ، (٧١٧/٧) ،(ح ٤٤١٨) ، ومسلم فى " التوبة"، بـاب حديث كعب بن مـالك، (٦١٤/٥) ط الشعب .

(٤)البيت من الطويل ، وهو للمجنون فى ديوانه ١٦٣، وجمهرة اللغة ٤٣، وخزانة الأدب ١١/ ٤٦٤ ٤٦٨،٥٦٧ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٠٦ ، ولسان العـرب ١٣٦/٨(روع) ، ولرجـل مـن أهـل اليمامة فى جمهرة اللغة ٢٩٢، وبلا نسبة فـى الخصـائص ٢/ ٤٢٠ وشـرح المفصـل ٧٩/٨ ،٩/ ٤٨، ولسان العرب ١٠ / ١٦٨ (سوق) والمقرب ٢/ ١٨٢، والممتع فى التصيريف ٤١١.

وله رواية

فعيناش عيناها وحيدش جيدها سوى أن عظم الساق فش دقيق

(٥)البيـت مـن الطويـل ، وهـو لهدبـة بـن خشـرم العـذرى فـى ديوانـه ١١٦ ، ومعجـم البلـدان ٣/ ١٤٥(زقاق ابن واقف) ، وبلا نسبة فى لسان العرب ١٤٤/١٠(زقـق) ، وتـاج العـروس ٢٥/ ٤٠٩ (زقق).

ومن عجيب التشبيه قولُ القائلِ[1] :

لعَيْنُكَ يومَ البَيْنِ أَسْرَعُ واكِفًا ... من الفَنَن المَمْطُور وهو مَرُوحُ

وذلك أنَّ الغُصْنَ يقعُ المطرُ في وَرَقِه فيصيرُ منها في مِثْلِ المَداهِنِ ، فإذا هَبَّتْ له الريحُ لم تُلَبِّثْهُ أنْ تُقَطِّرَهُ .

* * *

ثم نذكرُ بعدَ هذا طرائِفَ من تشبيه المُحْدَثين ومَلاَحَاتِهم ، فقد شرطناه في أول الباب .

قال أبو العباس : ومِن أكثرهم تشبيهًا ؛ لاتِّساعِه في القول ، وكثرة تَفَنُّنِه ، واتِّساعِ مذاهبه الحسنُ بنُ هَانِئ ، قال في مَدْحِهِ الفَضْلَ بنَ يحيى بن خالدِ بنِ بَرْمَكٍ :

وكُنَّا إذا ما الحَائِنُ الجَد غَرَّهُ ... سَنَا بَرْق غَادٍ أو ضَجيجُ رعَاد[2]

تَرَدَّى له الفضلُ بنُ يحيى بن خالدٍ ... بماضِي الظُّبا أزهاهُ طُولُ نِجَادِ

أمامَ خَمِيس أُرْجُوان كأنَّه ... قميصٌ مَحُوكٌ من قَنًا وجِيَادِ

فما هو إلا الدَّهرُ يأتِي بصَرْفِهِ ... على كلِّ مَنْ يَشْقِى به ويُعَادِي

قوله : " الحائِنُ الجَد " يقال: " حانَ الرجلُ " : إذا دَنَا موتُه ، ويقال : " رجل حَائنٌ " والمصدرُ " الحَيْنُ " .

و" الجَدُّ " الحَظُّ ، و " الجَدُّ " و " الجَدَّةُ " مفتوحَان ، فإذا أردتَ المصدر من "جَددْتُ"في الأمْرِ قلتَ : " أجدُّ جدًّا " مكسور الجيم ، ويقال : " جَدَدْتُ النحلَ جَدًّا" : إذَا صَرَمْتَهُ ويقال : جَذَذْتُهُ جَذًّا وتركتَ الشيءَ جُذَاذًا " إذا قَطَعْتَه قِطَعًا . ويُرْوَى هذا البيت لجريرِ على وجهين[3]:

آلُ المُهَلَّبِ جَدَّ اللهُ دَابِرَهم ... أَضْحَوْا رَمادًا فلا أصْلٌ ولا طَرَفُ

---

(١) هو أبوحية النميرى . شعره ق ٢٦/١٧ص١٣٠.

والبيت من الطويل ، وهو بلا نسبة فى أساس البلاغة ١٨٣ (روح) .

(٢) ديوان أبى نواس ص٤٧٢-٤٧٣ .

(٣)البيت من البسيط، وهو لجرير فى ديوانه ١٧٦، ولسان العرب ٢/ ٦٠٠(ملخ) ومجمع الأمثال ١/ ١٧٦ .

ويروى " جَذٌّ " . وقرأ بعضُ القُرَّاءِ : ﴿ عَطاءً غيْرَ مَجْذُودٍ ﴾[1] . فأما قوله : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾ [2]فلم يُقْرَأْ بغيره . ويقالُ : كَمْ جذاذُ نَخلكَ ، أي : كم تَصْرِمُ منها . ويروى في قول ا لله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا ﴾ عن أنس بن مالكٍ:[3] غِنَى رَبِّنَا . وقرأ سعيدُ بن جبير[4] : " جَدًّا رَبُّنا " . وهذا الشعر يُنْشَدُ بالكسر :

أَجِدَّكَ لم تَغْتَمِضْ لَيْلَةً ... فتَرْقُدَهَا مَعْ رُقَّادِهَا[5]

ومثلُه قولُ الأعشى :

أَجِدَّكَ لم تَسْمَعْ وَصَاةَ محمدٍ ... نَبِيِّ الإلهِ حين أوْصَى وأشْهَدَا[6]

لأن المعنى: أَجدًّا منك ، تَوْقِيفًا ، وتقديرهُ في النصبِ " أَتَجدُّ جدًّا " ويقال : امرأةٌ " جَدَّاءُ " : إذا كانت لا ثَدْيَ لها ، فكأنّه قُطِعَ منها ، لأنَّ أصلَ " الجَدِّ " القطعُ ، ويقال : " بلدةٌ جَدَّاءُ " : إذا لم تكن بها مياهٌ ، قال الشاعرُ:

وجَدَّاءَ ما يُرْجَى بها ذو هَوَادَة ... لِعُرْفٍ ولاَ يَخْشَى السُّماةَ رَبيبُها[7]

[قال أبو الحسن : " السُّماة " هم الصَّادَةُ نصفَ النهار ، ورُوِيَ عن[8] بعض أصحابنا عن المازنيِّ قال : إنما سُمِّي " سامِيًا " بالمِسماةِ ، وهو خُفٌّ يَلْبَسُهُ لئلا يَسمعَ الوحشُ وَطْأَتَهُ ، وهو عندي مِن " سَمَا للصيدِ " أي : ارتفع] . قال أبو العباس : ويُنْشَدُ

---

(١) سورة هود : ١٠٨ . ولم أجد القراءة التى حكاها . ولا اختلاف بينهم فى أنه مجذوذ بذالين معجمتين .

(٢) سورة الأنبياء : ٥٨ .

(٣) والحسن . وقال ابن عباس : فعله وأمره وقدرته ، وقال مجاهد : جلاله .انظر تفسير ابن كثير ٢٦٥/٨ ، والبحر ٣٤٧/٨.

(٤) عزا صاحب البحر ٣٤٨/٨ هذه القراءة لعكرمة .

(٥) البيت للأعشى . ديوانه ق ٨/١ ص١٠٥ .

(٦)البيت من الطويل ، وهو للأعشى فى ديوانه ١٨٧ ، ومقاييس اللغة ٤٠٧/١، ومجمل اللغة ١/ ٣٨٤.

(٧)البيت من الطويل ، وهو للغبرى فى الكتاب ٢/ ١٦٣، وبلا نسبة فى الكتاب ٣/ ٤٩٨ ، ولسان العرب ٣/ ١١٠ (جدد) ١٤/ ٤٠٠(سما).

وله رواية :

وجداء مايرجى بها ذو قرابة ... لعطف ، ومايخشى السماة ربيبها

(٨) فى نسخة : ويروى لى عن .

هذا البيتُ [1]:

أَبَــى حُبِّــي سُــلَيْمَى أن يَبِيــدَا وَأصْبَـحَ حَبْلُهــا خلَقًــا جَديـدَا[2]

يقولُ: أصبَحَ خَلَقًا مَقْطُوعًا ؛ لأن " جديدًا " في معنى " مَجْدود " أي مقطــوع ، كما تقولُ : " قتيلٌ ومقتولٌ " و " جَريحٌ ومَجْرُوحٌ " . ويقال في غير هذا المعنى : رجلٌ " مَجْدُودٌ " : إذا كان ذَا خَطَرٍ وحَظٌّ . وفي الدعاء " **ولا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ منك الجَدُّ**[3] " أي : مَنْ كان له حظ في دنياه لم يَدْفَعْ ذلك عنه ما يريد الله به . ولو قـال قـائلٌ : ولا ينفـعُ ذا الجِدِّ منكَ الجدُّ ـ يريدُ الاجتهادَ ـ لكان وجهًا .

وقولَه : " سَنَا بَرْق غادٍ " و " السَّنَا " من الضِّياء مقصورٌ ، قـال الله جـلَّ وعـزَّ : ﴿ **يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ** ﴾ [4].و " السَّناءُ " من المَجْدِ ممدودٌ ، قال الشاعرُ :

وهــم قـومٌ كــرامُ الحَــيِّ طُــرًّا هــم خَــوَلٌ إذا ذُكِـرَ السَّــنَاءُ[5]

وضَربه الحسنُ [6]مَثَلاً . وجَمَعَ " الرَّعْدَ " فقـال : " رِعـادٌ " كقولـك : " كَلْـبٌ وكِلاَبٌ " و " كَعْبٌ وكِعابٌ " .

وقوله :" بمَاضِي الظُّبَا " " ظُبَةُ " كلِّ شيءٍ : حَدُّهُ ، يقال : وخَزَهُ بظُبَةِ السـيفِ، يرادُ بذلك ، حَدُّ طَرَفِهِ .

وقوله : " أَزهاهُ طولُ نِجَاد " " النِّجَادُ " : حَمائلُ السيف ، و " أزهــاه " : رفَعَـه وأَعْـلاهُ ، والرجـلُ يُمْـدَحُ بـالطُّولِ ؛ فلذلـك يُذْكَـرُ طـولُ حمائِلـه ، قـال مَرْوانُ بـن أبـي

---

(١) البيت للوليد بن يزيد كما فى أضداد ابن الأنبارى ٣٥٢ ،وانظر تخريجه فى أدب الكاتب ٢٩٢.

(٢)البيت من الوافر ، وهو للوليد بن يزيد فى أضداد بـن الأنبـارى ٣٥٢، وليـس فـى ديوانـه ، وبـلا نسبة فى لسان العرب ٣/١١١(جدد) ، ومقاييس اللغـة ١/ ٤٠٧ وتـاج العـروس ٧، ٤٧٥(جـدد) ، ومجمل اللغة ١/ ٣٨٤ ، والاشتقاق ٥٠١.

وله رواية : أبى صبى سليمى أن يبيدا وأمسى حبلها خلقا جديدا

(٣)هذا الدعاء جزء من حديث المغيرة بن شعبة فى كتابه إلى معاوية " أن النبى (ﷺ) ،كان يقول فى دبر كل صلاة مكتوبة :.لا إله إلا الله وحـده لا شـريك لـه ...إلى قولـه : ولا ينفـع ذا الجـد منـك الجد" أخرجه البخارى فى " الأذان" ، بـاب : الذكـر بعـد الصـلاة، (٢/٣٧٨) ، (ح٨٤٤) ، وفـى مواضع كثيرة ، ومسلم فى "المساجد"،باب : استحباب الذكر بعد الصلاة ، وبيان صفته (ح٥٩٣).

(٤) سورة النور :٤٣ .

(٥)البيت من الوافر ، وهو بلا نسبة فى لسان العرب ١٤/٤٠٣(سنا)

(٦) فوقه فى نسخة :" أى ابن هانئ " .

حَفْصةَ[1] يمدحُ المَهْدِيَّ :

قَصُـرَتْ حمائِلُـهُ عليـه فَقَلّصَـتْ ولقـد تـأنّقَ قَيْنُهَـا فأطالَهـا

وقال الحسنُ بنُ هانيء [2]يمدحُ محمدًا الأمِينَ[3] :

سَبْطُ البَنانِ إذَا احْتَبَى بِنِجَادِهِ غَمَـرَ الجمَـاجِمَ والسِّـماطُ قِيـامُ

وقال جريرٌ [4]للفرزدق :

تَعَالَوْا ففاتُونا ففي الحُكْمِ مَقْنَـعٌ إلى الغُرِّ مـن أهْـلِ البطـاح الأكَـارِمِ

فإنّي لأرْضَى عَبْدَ شمسٍ وما قَضَتْ وَأَرْضَى الطّوَالَ البِيضَ مـن آلِ هاشـمِ

وقال آخر :

ولَمَّا الْتَقَى الصَّفَّانِ وَاخْتَلَـفَ القَنَـا نِهَـالاً وأسْـبابُ المَنَايـا نِهَالُهَـا

تَبَيَّـنَ لي أنَّ القَمَـاءَةَ ذِلَّـةٌ وأنَّ أشِـدَّاءَ الرجـالِ طِوَالُهَـا

وقولهُ : " أمَامَ خَمِيسٍ " " الخَمِيسُ " : الجيشُ ، وكذلك قال رَبيئَةُ أهلِ خَيْبَرَ لَمَّا أطَلَّ عليهم رسولُ الله ﷺ : مُحمـدٌ والخَميسُ [5]، أي : الجيشُ . وقـال الشـاعرُ ، وهـو طَرَفَةُ[6] :

وأيُّ خَمِيـسٍ لا أفَأْنَـا نهابَـهُ وأسيافُنَا يَقْطُرْنَ من كَبْشِـهِ دَمَـا

" أفَأْنا " : رَدَدْنَا ، يقـال : " أفَـاءَهُ " أي ردَّه . و " الأُرْجُـوَانُ " : الأحمـرُ ، قـال الشاعرُ :

---

(١) شعره ص ٩٨ . وسيأتى البيت .

(٢) ديونه ص ٤٠٩ . وسيأنى البيت

(٣)البيتان فى شرح ديوان جرير صـ ٤٢١

ولهما رواية : تعالوا نحاكمكم ، وفى الحق مقنع إلى الغر من آل البطاح الأكارم

فإنى لراضٍ عبد شمس وماقضت وراضٍ بحكم العبد من آل هاشمٍ

(٤) سلف البيتان. وسيأتى الثانى.

(٥)هذه الفقرة جزء أخرجه البخارى فى " صحيحه" كتاب " الأذان " باب : ما يحقن بالأذان من الدماء ،(١٠٧/٢) ،(٦١٠٩ ، وفى "صلاة الخوف" ، فى " الجهاد "، والمناقب ، والمغـازى ، ومسلم فى " الجهاد" ، باب : غزوة خيبر ،(٤٤٨/٤) ط . الشعب كلاهما من حديث أنس رضى الله عنه .

(٦) ديوانه ق٩/٨٣ ص١٩٥.

عِشِيَّةَ غـادَرَتْ خَيْلِـي حُمَيْـدًا   كـأنَّ عليـه حُلَّـةَ أُرْجُـوَانِ

و " الجيـادُ " : الخيـلُ ، وفي القـرآن : ﴿ إذْ عُـرِضَ عليـه بالعشِـيِّ الصَّافِنَـاتُ الجِيادُ ﴾ [1].

ومن تشبيهه الجيِّدِ في هذا الشعر الذي ذكرناهُ قولُه [2]:

تَرَى النـاسَ أفْواجًا إلى بـابِ دارِه   كـأنَّهُم رِجْـلا دَبًـا وجَـرَاد

فَيَوْمٌ لإلْحاقِ الفقيرِ بـذي الغِنَـى   ويـومُ رِقـابٍ بُوكِـرَتْ بِحَصَـادِ

ومن التشبيهِ الجيدِ قولُه :

فكـأنّي بمـا أُزَيِّـنُ منهـا   قَعَـدِيٌّ يُزَيِّـنُ التَّحْكِيمَـا

وكان سببُ هذا الشعرِ أنَّ الخليفة تشَدَّدَ عليه في شربِ الخمر ، وحَبَسه من أجل ذلك حبسًا طويلاً ، فقال [3]:

أيُّهـا الرائِحـانِ بـاللَّوْمِ لُومَـا   لا أذوقُ المُـدامَ إلاَّ شَـميمَا

نـالَنِي بـالمَلامِ فيهـا إمـامٌ   لا أَرَى لي خِلاَفَـهُ مُسْـتَقِيمَا

فاصْرِفَاهـا إلى سِـوَايَ فـإنّي   لسْـتُ إلاَّ علـى الحَديـث نَدِيمَـا

كِبْرُ حَظـي منهـا إذا هـي دارَتْ   أنْ أَراهـا وأن أَشَـمَّ النَّسِـيمَا

فكـأنّي بمـا أُزَيِّـنُ منهـا   قَعَـدِيٌّ يُزَيِّـنُ التَّحكيمَـا

لَـمْ يُطِـقْ حَمْلَه السِّـلاَحَ إلى الحَـرْ   بِ فـأَوصَى المُطِيـقَ ألاَّ يُقِيمَـا

فهذا المعنى لم يسبقه إليه أحدٌ .

قال : وحُدِّثْتُ أنَّ العُمَانِي [4] الراجزَ أنشد الرشيدَ في نَعْتِ فرسٍ :

كـأنَّ أُذْنَيْـه إذا تَشَـوَّفَا   قادمـةً أو قَلَمًـا مُحَرَّفَـا

---

(١) سورة ص : ٣١ .

(٢) ديوانه ص ٤٧٢ .

(٣) ديوان أبى نواس ص ٢٩ .

(٤) هو محمد بن ذؤيب الفيمى ، وقيل له العمانى لأنه كان شديد صفرة اللون ، وأهل عمان مصفرة وجوههم ، وليس هو ولا أبوه من أهل عمان . انظر ترجمته فى الشعر والشعراء ٧٥٥ ، والأغانى ٣١١/١٨.

فعلمَ القومُ كلُّهم أنه قد لَحَنَ ، و لم يهتدِ أحدٌ منهم لإصلاح البيتِ إلا الرشيدُ ، فإنه قال له : قُلْ : " تَخالُ أُذْنَيْهِ إذا تَشَوَّفَا " . والراجزُ وإن كان قد لَحَنَ فقد أحسنَ التشبيه .

ويُروى أنَّ جريرًا دخلَ إلى الوليدِ وابنُ الرِّقاعِ العامليُّ عنده يُنْشِدُهُ القصيدةَ[1] التي يقولُ فيها :

غَلَبَ المَسَامِيحَ الوليدُ سَمَاحَةً وكَفَى قُرَيْشَ المُعْضِلاَتِ وَسَادَهَا

قال جرير : فحسدتُه على أبياتٍ منها ، حتى أنشد في صفة الظِبيةِ :

تُزْجِي أَغَنَّ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ

قال: فقلتُ في نفسي : وَقَعَ وا لله ، ما يَقْدِرُ أن يقولَ أو يُشَبِّهَ به ، قال : فقال :

قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

قال : فما قَدَرْتُ حَسَدًا له أن أُقِيمَ حتى انصرفتُ .

ومن التَّشْبيه الحسنِ الذي نَستطرِفهُ قولُه [2]:

تُعَاطِيكَهَا كَفٌّ كَأَنَّ بَنَانَهَا إذا اعْترضتها العَينُ صَفُّ مَدَارِي

ومن التشبيه المليح قولُه[3] :

وكأنَّ سُعْدَى إذْ تُوَدِّعُنَا وقَدِ اشْرَأَبَّ الدَّمْعُ أَنْ يَكِفَا

رَشَأٌ تَوَاصَيْنَ القِيَانُ بِهِ حتى عَقَدْنَ بأُذْنِهِ شَنَفَا

وفي هذا الشعرِ من التشبيهِ قولُه :

خَبِّرْ فُؤَادَكَ أو سَتخْبِرُهُ قَسَما لَيَنْتَهِيَنَّ أو حَلِفَا[4]

الحُبُّ ظَهْرٌ أَنْتَ راكِبُهُ فَإِذا صرَفْتَ عِنانَهُ انْصَرَفَا

---

(١) انظر القصيدة فى الطرائف الأدبية ٨٧-٩١ ، وبعضها فى رغبة الآمل ٤٨/٧-٤٩.وسلف البيت الثانى ص٧٦٩.

(٢) ديوان أبى نواس ص٤٣٥ .

(٣) ديوانه ص ٤٣٢

(٤) ديوانه ص٤٣٢ . ورواية البيت فيه :

فازجر فؤادك أو سنزجره قسما لينتهين أو حلفا

وله من التشبيهِ الجيدِ قولُه [1]:

إليكَ رَمَتْ بالقَوْمِ خُوص كأنَّما جَماجِمُها فوقَ الحِجَاجِ قُبُورُ

وله أيضًا[2] :

سَأَرْحَلُ مِنْ قُودِ المَهَارِي شِمِلَّةً مُسَخَّرَةً مَا تُسْتَحَثُّ بِحَادِي

معَ الرِّيح ماراحتْ فإن هي أَعْصَفَتْ نَهُوزٌ بِرأسٍ كالعَلاَةِ وَهَادِي[3]

" العَلاَة " : السِّنْدانُ [4]، قال جريرٌ [5]:

أَيَفْخَرُ بِالمُحَمَّمِ قَيْنُ لَيْلَى وَبالكِيرِ المرَقَّعِ والعَلاَةِ

وقال الحسن بنُ هانيء [6]في صفةِ السفينةِ :

بُنِيَتْ على قَدَرٍ ولاءَم بَيْنَهَا طَبَقَانِ مِن قِيرٍ ومن أَلْواحِ

فكأَنَّها والماءُ يَنْطَحُ صَدْرَها والخَيْزُرانةُ في يدِ المَلاَّحِ

جَوْنٌ من العِقْبانِ يَبْتَدِرُ الدُّجَى يَهْوي بِصَوْتٍ واصْطفاقِ جَنَاحِ

وقال [7]في شعرٍ آخرَ ، يصفُ الخمرَ ، ويذكرُ صفاءَها ورِقَّتها ، وضياءَها وإشراقَها:

إذا عَبَّ فيها شاربُ القومِ خِلْتَهُ يُقَبِّلُ في داجٍ من الليلِ كَوْكَبا

وأما قولُه :

بَنَيْنا عَلَى كِسْرى سماءَ مُدَامَةٍ جَوَانِبُهَا مَحْفُوفَةٌ بنُجومِ

فلو رُدَّ في كِسْرَى بن ساسانَ روحه إِذًا لاصْطَفَاني دونَ كلِّ نديمِ[8]

---

(١) ديوانه ص٤٨٢

(٢) ديوانه ص ٤٧٢ .

(٣) نهوز صيغة مبالغة من النهز وهو الدفع . عن رغبة الآمل .

(٤) كذا ضبط فى جميع النسخ بكسر السين . وقد نص القاموس على أنه بفتحها .

(٥) تذييل ديوانه ق ١١/٥ ج٨٢٧/٢ .

(٦) لم أجد الأبيات فى ديوانه.وهى فى المصون ٥٤ .والثانى والثالث فى الحماسة الشجرية ٩١٤/٢، ونضرة الإغريض ١٨٠ .

(٧)ديوانه ص ٢٢ .

(٨) لم أجد البيتين فى الديوان .

فإنَّما كانت صورةُ كِسْرى في الإناءِ . وقولُه " جوانبُها محفوفةٌ بنجومٍ " فإنما يريد ما تَطَوَّقَ به من الزَّبَدِ .

وقال في أُخرى :

أقمنا بِها يومًا ويومًا وليلةً ... ويومًا له يومُ التَّرَحُّلِ خامِسُ

تدارُ علينا الرَّاحُ في عَسْجَدِيَّةٍ ... حَبَتْها بأنواع التصاوير فارسُ

قَرارَتُها كِسْرَى وفي جَنَباتها ... مَهًا تَدَّرِيهِ بالقِسِيِّ الفَوارِسُ

فلِلْخَمْرِ مازُرَّت عليه جُيُوبُها ... وللماء ما دارَتْ عليه القَلاَنِسُ

" العسجديةُ " منسوبةٌ إلى " العَسْجَدِ " وهو الذَّهب . وقال المُثَقِّبُ العَبْدِيُّ :

قالت ألا لاَ يُشْتَرَى ذاكُمُ ... إلاَّ بما شِئْنَا ولم يُوجَدِ

إلاّ بِبَدْرَيْ ذَهَبٍ خالِصٍ ... كلَّ صَباحٍ آخِرَ المُسْنَدِ

مِن مالِ مَنْ يَجْبِي ويُجْبَى له ... سبعون قِنطارًا من العسجدِ[1]

وقوله " تَدَّريهِ " يقول : تَخْتِلُه ، يقال " دَرَيْتُ " الصَّيْدَ : إذا ختلتَه ، قال الأخطلُ[2]:

وإن كُنْتِ قد أَقْصَدْتِنِي إذْ رميتنى ... بسَهْمَيكِ والرامي يصيدُ وما يَدْرِي

وقال الحسنُ بن هانئٍ[3]:

مَا حَطَّكَ الواشونَ مِن رُتْبةٍ ... عندي ولا ضَرَّكَ مُغْتابُ

كأنَّما أَثْنَوا ولم يَعْلَمُوا ... عليكَ عندِي بالذي عابُوا

وهذا المعنى مأخوذٌ من قول النُّعمان بن المُنْذِر لِحَجْلِ بن نَضْلَةَ ، وقد ذَكر معاويَة بن شَكَلٍ ، فقال : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، إنَّهُ لَقَعْوُ الأَلْيَتَيْنِ ، مُقْبَلُ النَّعلين أَفْحَجُ الفَخِذَيْن ، مَشَّاءٌ بأَقْرَاء ، تَبَّاعُ إماء ، قَتَّالُ ظِباء ، فقال النعمانُ : أَردت أن تَذِيمَهُ فَمدَهْتَهُ .

قولُه " مُقْبَلُ النعلين " يقولُ : لنعله قِبَالٌ ، يَنْسُبُهُ إلى التُّرْفَةِ ، و " تَبَّاعُ إماء " قَتَّالُ ظباء " من ذلك . و " القَعْوُ " : ما تدور فيه البَكْرَةُ إذا كان من خَشبٍ . وقوله " تَذِيمُه "

---

(١) ديوانه ق ١/٣-٥ص١٢-١٣.

(٢) ديوانه ق ٢/١٨ ج١ /١٧٩ ، ونقائض جرير والأخطل ٢٨ .

(٣) ديوانه ص٣٢٤ .

معناه تذمه ، يقال " ذَمَّهُ يَذُمُّهُ ذَمّا " و " ذَامَهُ يَذِيمُهُ ذَيْمًا " و " ذَأَمه يَذْأَمُهُ ذَأْمًا " والمعنى واحدٌ ؛ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا ﴾ [1]وقال الحارثُ بنُ خَالدٍ المخزُوميُّ [2]لعبد الملك:

صَحِبْتُكَ إذْ عَيْنِي عليها غِشَاوَةٌ فلمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نفسِي أَذِيمُها

وقوله " فَمَدَهْتَهُ " يقول : فَمَدَحْتَه . وأبدلَ من الحاءِ هاءً لقُرْبِ المَخْرَجِ وبنو سَعْد بنِ زَيدِ مَنَاةِ بنِ تَميمٍ كذلك تقولُ ، ولَخْمٌ ومَن قَاربَهَا . وقال رُؤْبة :

للهِ دَرُّ الغانياتِ المُدَّهِ سَبَّحْنَ واسترْجَعْنَ مِن تَأَلُّهِي[3]

يريد : المُدَّحِ . وفي هذه الأُرْجُوزَةِ:

بَرَّاقَ أَصْلاَدِ الجبينِ الأَجْلَهِ

يريد : الأجْلَحِ . والعربُ تقولُ : " جَلِحَ الرجُلُ يَجْلَحُ جَلحًا " و " جَلِهَ يَجْلَهُ جلهًا "و"جَلِيَ يَجْلَى جَلًى " والمعنى واحدٌ ؛ قال العجاجُ :

مَعَ الجَلاَ ولاَئحِ القَتِيرِ[4]

ومثلُ بيتِ الحسنِ وكلامِ النعمانِ قولُ عمرو بن مَعْدي كَرِبَ :

كأَنَّ مُحَرِّشًا في جَنْبِ سُعْدَى يَعُلُّ بعَيْبِهَا عِندي شَفِيعُ[5]

وفي قصيدةِ الحَسَنِ هذه :

إنْ جئتُ لم تأتِ وإنْ لَمْ أَجِئ جئتَ فهذا منكَ لِي دابُ

كأنما أنتَ وإنْ كنتَ لا تَكْذِبُ في الميعادِ كَذَّابُ[6]

وهذا كلامٌ طَرِيفٌ .

* * *

ومن حَسَنِ التَّشْبيه قولُ بَشَّارٍ :

---

(١) سورة الأعراف :١٨ .

(٢) شعره ق٣٩/١ص١٠١.

(٣) ديوانه ق ٥٨/٧-٨ص١٦٥ .

(٤) ديوانه ق١٩/٧ج١/٣٣٤

(٥) شعره ق ٤٤/٤ص١٢٨.

(٦) ديوانه ص ٣٢٤

وكــأنَّ تحـــتَ لســـانِها   هـارُوتَ يَنفُــثُ فيــه سِــحْرَا
وتَخــالُ مــا ضَمَّــتْ عَلَيْـــهِ ثِيابَهَــا ذَهبًــا وعِطْــرا[1]

وهذا التشبيهُ الجامعُ .

ونظيرُه في جمع شيئين لِمَعْنَيينِ ما ذكرتُ لكَ من قول مُسْلِمِ بنِ الوليدِ:
. . . .   كأنَّ في سَرْجِهِ بَدْرًا وَضِرْغَامَـا

ومن حَسَنِ التشبيه من قول المُحْدَثين قولُ العباسِ بن الأَحْنَفِ[2]:
أُحْـرَمُ منكـم بمـا أقـولُ وَقَـدْ   نـالَ بـه العَاشِقُونَ مَـنْ عَشِـقُوا
صِـرْتُ كـأنِّي ذُبالـةٌ نُصِبَـتْ   تُضِـيءُ للنـاس وَهْـيَ تَحْـتَرِقُ

فهذا حسنٌ في هذا جدًّا .

ومن حَسَنِ ما قالوا في التشبيه قولُ إسماعيلَ بن القاسمِ أبي العَتاهية[3] للرَّشِيدِ :
أمـِينَ ا لله أَمْنُـكَ خَـيْرُ أَمْـنٍ   عليـك مِـنَ التُّقـى فيـهِ لِبَـاسُ
تُسَاسُ مِـنَ السَّـماء بكـلِّ بِـرٍّ   وأنـتَ بـه تَسُوسُ كمـا تُسَـاسُ
كـأنَّ الخَلْـقَ رُكِّـبَ فيـه رُوحٌ   لـه جَسَـدٌ وأنـتَ عليـه رَاسُ

وقد أخذَ هذا المعنى عليّ بن جَبَلَةَ[4]، فقال في مَدْحِهِ حُمَيْدَ بـنَ عبـدِ الحَميـدِ ، وزادَ في الشَّرح والترتيب ، فقال[5]:
يَرْتُـقُ مـا يَفْتُـقُ أعـداؤُهُ   وَلَيْـسَ يأسُـو فَتْقَـهُ آسِـي
فالنَّـاسُ جسْـمٌ وإمـامُ الهُـدَى   رأس وأنـتَ العَيْـنُ في الـرَّاس

والعربُ تَخْتَصِرُ التشبيه ، وربَّما أومَأَتْ إليه إيماءً ، قال أحدُ الرُّجَّازِ :
بِتْنـا بحَسَّـانَ ومِعْـزَاهُ تَئِـطّْ   مـا زِلْـتُ أَسْـعَى بينَهـم وأَلْتَبِـطْ

---

(١) الأغانى ٣/١٥٥ وسمط الآلى ٢٧٥-٢٧٦.
(٢) ديوانه ص ٢٢١ .
(٣) تكملة الديوان ص٥٦٥.
(٤) وهو المعروف بالعكوك .
(٥) البيت الثانى فى الأغانى ٢٠/٤٠ .

حتى إذا كـاد الظَّـلامُ يختَلِـطْ   جَاءُوا بِمَذْقٍ هل رأيت الذئبَ قَـط[1]

يقول في : لَوِن الذئب . واللَّبَنُ إذا جُهِدَ [2]وخُلِطَ بالماءِ ضَرَبَ إلى الغُـبْرَةِ وأنشـدَ الأصمعيُّ [3]:

يَشْـرَبُهُ مَحْضًـا وَيَسْـقِي عِيالَـهُ   سَـجَاجًا كـأَقْرَاب الثَّعالبِ أَوْرَقَـا

" السَّجَاجُ " : الرقيـقُ المَمْـذُوقُ . و " القُرْبَـانِ " الجَنْبَـان ، والواحُـد " قُـرْبٌ " ، والجَمِيعُ " أقرابٌ " من ذلك قولُ عمرَ بن الخطاب رحمه الله لرسول الله ﷺ ، وقد شَاوَرَ في رجـل جَنَـى جنايَـةً ، وجـاء بقـومٍ يَشْـفَعونَ لـه ، فشَـفع لـه آخـرون ، فقـال عمـرُ : يا رسول الله ، أَرَى أنْ تُوجعَ قُرْبَيْهِ ، فقال القومُ : يا رسول الله ، إنَّك لـن تَشْـتَدَّ على أُمَّتِكَ بقولِ عمرَ . فنزل إليه جبريلُ عليه السلام فقال ثلاثًا : يا محمدُ ، القولُ قولُ عُمرَ ، شُدَّ الإسلام بعمرَ . فخـرجَ رسـولُ الله ﷺ فضَـرَبَ الرَّجـلَ . و " الأَوْرَقُ " : لـونٌ بـين الخُضْرَةِ والسَّوادِ ، يقال " جَمَلٌ أَوْرَقُ بَيِّـنُ الوُرْقَـةِ " وهـو أَلأَمُ ألـوانِ الإبـلِ عنـدَ العـربِ وأَطيبُها لحمًا .

ومن مَليحِ التشبيهِ لِلْمُحْدَثِينَ قولُ عبد الصَّمد بن المُعَذَّل[4] في صفة العقربِ :

تُـبْرِزُ كـالْقَرْنَيْنِ حـينَ تُطْلِعُـهْ   تُرْجِلُـهُ مَـرًّا وَمَـرًّا تَرْجِعُـهْ

في مِثْلِ صَدْرِ السِّبْتِ خَلْقٌ تُقْطِعُـهْ   أَعْصَـلُ خَطَّـارٌ تَلـوحُ شُـنَعُهْ

أَسْـودُ كالسُّـبْجَة فيـه مِبْضَعُـهْ   لا تَصْنَـعُ الرَّقْشَاءُ مـا لا يَصْنَعُـهْ

وفي هذه الأُرجوزةِ :

بَـاتَ بِهَـا حَيْـنُ حُبَيْـشٍ يَتْبَعُـهْ   وَبَـاتَ جَـذْلاَنَ وِثـيرًا مَضْجَعُـهْ

ذَا سَـنَةٍ آمِـنَ مَـا يُرَوِّعُـهْ   حَتَّى دَنَـتْ منـه لِحَتْـفٍ تُزْمِعُـهْ

فَـاظَتْ تَجُـمُّ سُـمَّها وَتَجْمَعُـهْ   يـا بُـؤْسَ لِلْمودَعِـة مـا تُودِعُـهْ

فَشَـرَعَتْ أُم الحِمَـامِ إِصْبَعُـهْ   أَنْحَـتْ عليـه كالشِّـهاب تَلْذَعُـهْ

---

(١) قيل : هو للعجاج انظر ملحق ديوانه ق ٤٦/١-٦ج٣٠٤/٢ ،والأبيات ٢-٤ في الخزانة ٤٨٢/٢ ،والمقاصد النحوية ٦٢/٤

(٢) أي أخرج زبده كله .

(٣) في الإبل له (الكنز اللغوى ٩٥) ، والبيت في الحيوان ٣١١/٦.

(٤)الأبيات ١،٢،٤-٦،١٢،١٤،١٧ في المصون ٥٢.

عَطَّـكَ سِــرْبَال حَرِيــر تَخْلَعُــهْ وكـُـلُّ خِـلٍّ ظـــاهر تَفَجُّعُـــهْ

يَـزْدَادُ مـن بَغْـتِ الحِمَـام جَزَعُــهْ واليـــأسُ مِــن تَيْسِــيره تَوَقُّعُــهْ

وكذلك قال يزيدُ بنُ ضَبَّةَ [قال أبو الحسن : شكّ أبو العباس في هذا البيت أهـو ليزيد بن ضَبَّةَ أم لِلْعَرْجِيِّ] .

ولكنَّهــم بَــانُوا ولم أدْرِ بَغْتَــةً وَأَفْظَعُ شـيءٍ حين يَفْجَؤُكَ البَغْـتُ

ومن حَسَنِ التشبيه ومَلِيحِهِ قولُ رجلٍ يَهْجُو رَجُلاً برَثَاثَةِ الحال فيقول :

يـــأتِيكَ في جُبَّـــةٍ مُخرَّقَـــةٍ أَطْــوَلُ أعمــار مِثْلِهَـــا يَــوْمُ

وَطَيْلَسَـــان كـــالآل يَلْبَسُـــهُ علـــى قمِيــص كَأنَّـــهُ غَيْـــمُ[1]

* * *

قال أبو العباس : والتشبيهُ بابٌ كأنَّه لا آخِرَ له وإنما ذكرنا منه شيئًا لئلا يخلو هذا الكتاب من شيءٍ من المعاني .

ونَختِمُ ما ذكرنا من أشعار المُحْدَثين ببيتين أو ثلاثةٍ من الشعرِ الجَيِّدِ ، ثم نأخذُ في غير هذا الباب إن شاء الله .

قال طُفَيْلٌ [2]:

تَقْرِيبُـهُ المَرطَــى والجَــوْزُ مُعْتَــدلٌ كأنَّـــه سُــبَدٌ بالمـــاء مَغْسُـــولُ

" السُّبَدُ " : طائِرٌ بعينه . وقد قالوا : الخَصَفَةُ التي تُوضعُ عندَ البئرِ ، وهو بالطـائِر أَشْبَهُ ، وإنَّما أراد العَرَقَ في هذا الوقتِ ، وخيرُ الخيل ما لم يُسْرِعْ عَرَقُهُ ولم يُبْطِـىء ، فـإذا جاء في وقته شَمِلَهُ .

قال الرَّاجزُ :

كأنَّـــهُ والطَّــرْفُ منــه سَــامِي مُشْــتَمِلٌ جــاءَ مِــنَ الحَمَّـــام

وقال الأعْشَى [3]:

يُبـــاري النَّحُــوصَ ومِسْـــحَلَها وعِفْوَهُمـــا قَبْـــلَ أَنْ يَسْـــتَحِم

" النَّحُوصُ " : جِماعُها " نُحُصٌ " وهي التي لم تَحْمِلْ في عامِها .

---

(١) البيتان فى المصون ٥٣،ونسبا مجموعة المعانى ٢١٩ لابن الرومى وليس فى ديوانه

(٢) ديوانه ص ٥٧. وروايته تقريبها ...كأنها .

(٣) ديوانه ق ٤٣/٤ ص ٧٥ .

و " المِسْحَلُ " : العَيْرُ . و " العِفْوُ " : الوَلَدُ ، وجمعهُ " عِفَاءٌ " فاعلْم . وهو أَسْمى له إذا لم يكن لعامِهِ . و " يَسْتَحِمُّ " : يَعْرَقُ .

وفي حديث أُمِّ زَرْع [1]:"مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ الشَّطْبَةِ ، وتَكْفِيهِ ذِراعُ الجَفْرَةِ[2] " أي: أنه خَمِيصُ البطنِ . فهَذَا تَمْدَحُ به العربُ وتَسْتَحْسِنهُ . فأما قولُ مُتَمِّمِ بن نُوَيْرَةَ[3] :

. . . . فتًى غَيْرَ مِبْطانِ العَشِيَّاتِ أَرْوَعا

فإنَّما أَرَاد أنَّه لا يَسْتعجلُ بالعَشاءِ ، لانتظارِهِ الضيفَ ؛ كما قال[4] :

وضَيْفٍ إذا أَرْغَى طُرُوقًا بَعِيرَه وعَانٍ نـآهُ الوَفْدُ حتى تَكَنَّعا

وقالوا في قول الخَنْساءِ :

يُذَكِّرُني طُلوعُ الشمسِ صَخْرًا وأذكُرهُ لكلِّ غُروبِ شمسِ[5]

قالوا:أرادتْ بطلوعِ الشمسِ وقتَ الغَارَةِ ، وبغروبِ الشمسِ وقتَ الأضيافِ[6] .

وقال رجلٌ لبعضِ أهله: وا للّٰه ما أنتَ بعَظيم الرأْسِ فتكونَ سَيِّدًا ، ولا بأَرْسَحَ[7] فتكونَ فارسًا ، وقال رجلٌ من بني جُدَيلٍ [قال أبو الحسن : حِفْظي جُدَيْد بالدال] لرجلٍ من قَيْسٍ : وا للّٰه ما فُتِقْتَ فَتْقَ السَّادَةِ ، ولا مُطِلْتَ مَطْلَ الفُرْسانِ .

فهذه كُلُّها نعوتٌ قد عُرِفَتْ لقومٍ حتّى كأنَّها سِمَاتٌ لهم ، وكانوا يقولون : ينبغي أن يكونَ الفارسُ مُهَفْهَفَ الخَصْرَيْنِ ، مُتَوَقِّدَ العينين ، حَمْشَ الذِّراعين ، وأنشد الأصمعيُّ :

كأنَّما سَاعِدَاهُ سَاعِدَا ذِيبِ

---

(١)هذه الفقرة جزء من حديث أم زرع الطويل ، أخرجه البخارى فى " النكاح "، باب : حسن المعاشرة مع الأهل ، (١٦٣/٩) ، (ح٥١٨٩) ، ومسلم فى " الفضائل " ، باب : ذكر حديث أم زرع، (ح٢٤٤٨) .

(٢) الشطبة أصلها ما شطب من جريد النخل ، وقيل : السيف . والجفرة : الأنثى من أولاد الشاء .

(٣) المفضليات ق ٢/٦٧ ص٢٦٥ . وسيأتى فى كلمة ص ١٤٤٠ وصدر البيت :

لقد كفن المنهالُ تحت ردائه

(٤) سبق البيت .

(٥) سبق البيت وتخريجة ثمة

(٦) فى نسخة : الضيفان . وبهامشها كما فى المتن .

(٧) الأرسح من الرسح وهو قلة لحم الفخذين والأليتين .

وقالوا : ومِنْ نعتِ السَّيِّدِ أن يكونَ لَحِيمًا ، ضَخْمَ الهامةِ ، جهيرَ الصَّوْتِ ، إذا خطا أَبْعَدَ ، وإذا تُؤُمِّلَ مَلأَ العَيْنَ ؛ لأنَّ حقَّه أن يكونَ في صدرِ مجلسٍ ، أو ذِرْوَةِ مِنبر ، أو منفردًا في مَوْكبٍ .

وكانوا يقولون في نعتِ السيِّد : يملأُ العَيْنَ جمالاً ، والسَّمعَ مَقَالاً .

وقال أبو عليٍّ دِعْبِلٌ في رجلٍ ينسُبُهُ إلى السُّودَدِ ، يقوله لُمعاذِ بنِ سعيدٍ الْحِمْيَرِيِّ ، وهو من ولد حُمَيْدِ بن عبد الرحمنِ الفقيهِ :

فإذَا جَالَسْتَهُ صَدَّرْتَهُ ... وتَنَحَّيْتَ لَهُ في الحاشِيَهْ

وإذا سَايَرْتَه قَدَّمْتَهُ ... وتَأخَّرْتَ معَ الْمُسْتَأْنِيَهْ

وإذا ياسَرْتَهُ صادَفْتَهُ ... سَلِسَ الخُلْقِ سَلِيمَ النَّاحِيَهْ

وإذا عَاسَرْتَهُ صادَفْتَهُ ... شَرِسَ الرَّأْيِ أَبِيًّا دَاهِيَهْ

فاحْمَدِ اللهَ على صُحْبَتِهِ ... واسْأَلِ الرَّحمنَ منه العافِيَهْ

وهذا المعنى أَجْمَلَهُ جَرِيرٌ في قوله :

بِشْرٌ أبو مَرْوانَ إنْ عَاسَرْتَهُ ... عَسِرٌ وعندَ يَسَارِهِ مَيْسُورُ

* * *

فهرس المحتويات

٣١ ـ باب في الخطابة

٣٢ ـ باب في أشعار المولدين

٣٣ ـ باب في كلام الحكماء

٣٤ ـ باب في بعض هجاء جرير

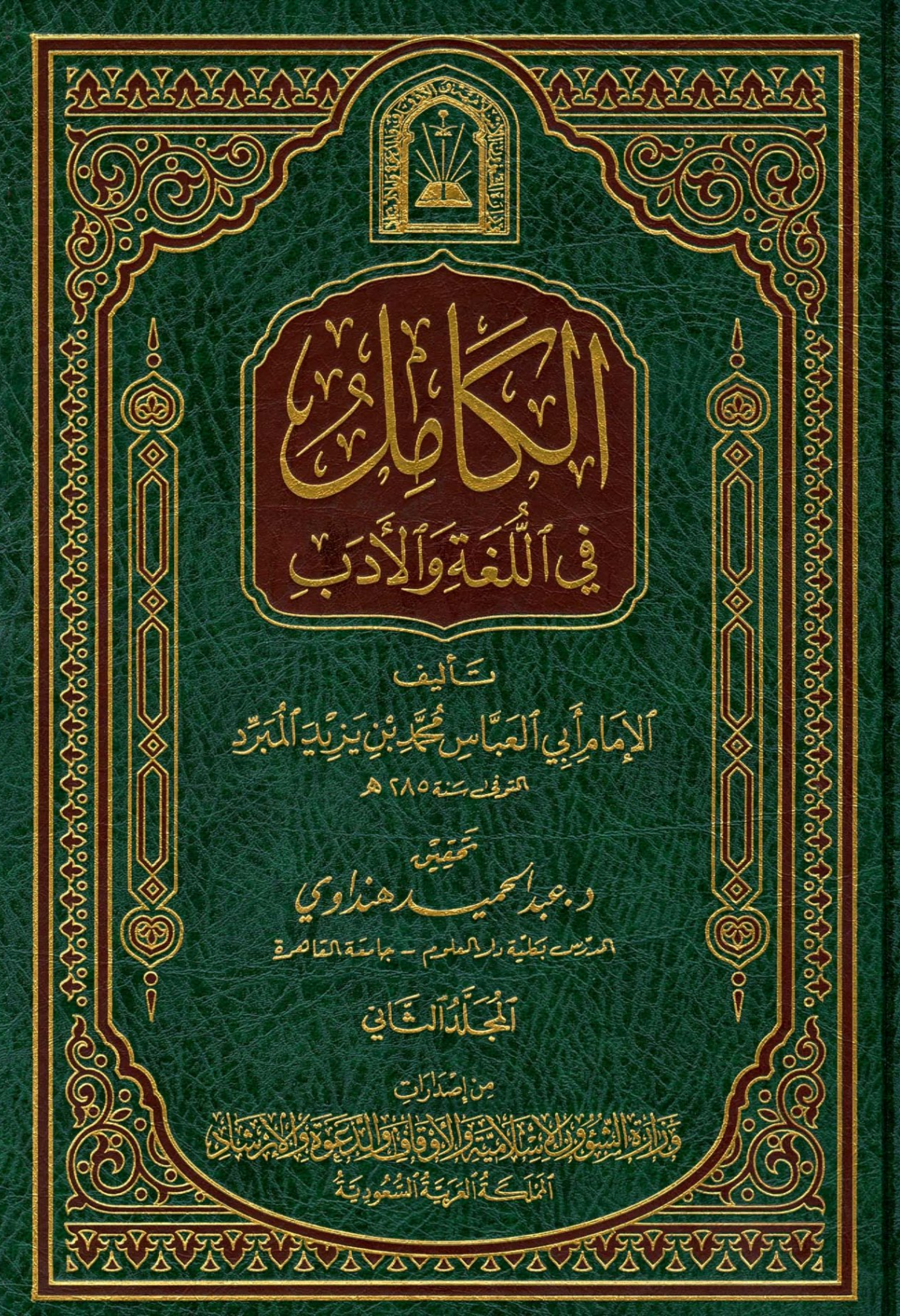
٤٣ ـ باب في أشعار العرب

٤٤ ـ باب في الغناء عند العرب

٤٥ ـ باب في المدح والشكوى والرثاء مدح عمر بن العزيز

٤٦ ـ باب في ما يريح القارىء ويصرف عنه الملل

٤٧ ـ باب من تشابيه العرب


الكامل
في اللغة والأدب
تأليف
الإمام أبي العباس محمد بن يزيد المبرد
المتوفى سنة ٢٨٥ هـ
تحقيق
د. عبد الحميد هنداوي
المدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة
المجلد الثاني
من إصدارات
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
المملكة العربية السعودية